

أم الديب الجزء الثاني

الفصل الأول

في لحظة هادئة، ومليئة بالترقب، تناغمت أصوات أفراد أسرة جلال مع طعم السوداني ولذة العصير الذي تذوقوه أمام شاشة التلفاز، حيث كانوا يغوصون بعمق في عالم السينما المليء بالإثارة، والتشويق، فانبهرت أعين جلال بالبريق اللامع للعرض الخاص الذي عرض جمال، وروعة مدينة جمصة، هذا العرض الذي أشعل فيهم أحلامًا برحلة يومية تدوم سبعة أيام، وبلغت تكلفتها مائتي جنيه فقط، وأدرك جلال أن هذه الفرصة ليست فقط مُغرية ولكنها تتسم بالفراة، والضرورة، خاصة في هذا الزمن الذي يحتاجون فيه بشدة إلى تجديد طاقاتهم الإيجابية التي تضاعلت بفعل السلبات التي فرضتها ظروف الحياة الصعبة التي تجسدها شخصية أم الديب، وفي خضم هذا الانبهار، والتفكير العميق، لم يستطع جلال أن يمنع نفسه من التعبير عن دهشته قائلاً:

_ ايه ده يا بت يا ليالي...شايفة اللي أنا شايفه ده؟ بيقولك أسبوع في جمصة بميتين جنيه ده ببلاش يا عيال .

ردت ليالي بسعادة، وهي تأكل السوداني، وقد ارتسمت على وجهها ملامح البهجة، وعينيها تشعان بالحماس، وكأنها تستشرف المستقبل بعيون حالمة. شعرت بأن هذه الرحلة ستكون بمثابة نسمة عليلة تملأ أرجاء حياتهم بالانتعاش، وتزيل عن كاهلهم غبار الروتين اليومي الممل:

=تصدق يا جلال دي فكرة حلوة أوي...ده العيال نفسهم يبلبطوا بدل الكاتمة دي ياخويا .

رد جلال، وهو يصوب عينه ناحية التلفاز، حيث انعكست الأضواء المتلألئة على وجهه. بدا وكأن عينيه تسترسلان في تفاصيل العرض، ووجد نفسه يتأمل في بريق الصورة التي تجسدت أمامه:

_ مانا بقولك يا ليالي دي فرصة متعوضش...أنا هاخذ أمي وأبويا معانا، وأخواتي البنات وننفسح كلنا .

لكن للأسف، فرحة ليالي لم تكتمل بسعادة، بل أصبحت مستعرة بالحزن العميق، حيث لا تحتل ثقل الألم، وكأنها تعاني من عمى لا يمكنها تحمله. بالإضافة إلى ذلك، تجد صعوبة في تحمل وجود أم الديب حولها، وبكل جرأة، صرخت في وجهه، تعبر عن مشاعرها بكل صراحة:

=وتجيب أمك ليه طيب؟ ماخنا كنا حلوين لو احدثنا ده أمك هتطلع عين اللي جابونا .

حاول جلال إقناع ليالي، بلطف، قائلاً:

_ يا بت افهمي أبويا وأمي يصرفوا علينا مصاريف الأكل والشرب وأهو نقعد ببلاش ومجاتش على المتين جنيه السكن .

ردت ليالي بسخط:

=تغور أمك بفلوسها، قال يعني بتصرف أوي...ده الجنيه اللي بيطلع من جيبيها بيتكتهله عمر جديد .

نطق جلال، وهو يحاول إقناع ليالي مجددًا، بكلمات تنبع من القلب:

_ الزن أمر من السحر، وأنا هزن على ودانها المهم جهزي الشنط عشان نساقر الصبح، وكلمي البيت نعمة تجهز شنطها .

تلفظت ليالي بتفكير:

=لا لو جات على نعمة محلولة...إنما أمك دي اللي صعبة .

رد جلال بابتسامة واسعة:

_ ولا صعبة ولا حاجة جهزي الشنط بس خيلنا نفرح !

أم الديب الجزء الثاني

نزل جلال من شقته، وطرق باب أم الديب، وقال بصخب:

=ياما افتحي ياما !

في هذا التوقيت، كانت أم الديب تشتغل على عجن العجين، وفجأة صاحت بسخط، كأن صوتها انكسر على جدران المطبخ كصخب الأمواج على الصخور المتلاطمة:

_ ايهي ايه اللي جابه دلوقتي؟ ده أيي ورايا عجن .

توقفت حركة أم الديب، ففتحت الباب، وكانت يديها مستورة بالعجين، فنطقت قائلة بنبرة متجبرة:

_ ايهي جلال؟ ايه اللي جابك يا ولا؟

دخل جلال الشقة، وهو يسأل عن والده، وكان صوته يتردد في أرجاء الغرفة كنسمة خفيفة تتسلل بين الأمور الشخصية:

=فين أبويا؟

ونادى عليه قائلاً:

=ياا... ياا.

في هذا الوقت، كان المعلم حنفي نائمًا على سريره، يعانق حلمًا مغمورًا برائحة لحم الفخذة الضأنية المشوية على الفحم. لكن فوجئ اللحم بكلماته تنبثق إلى الواقع، حيث نطق مغشياً عليه، وكان صوته يخترق حدود الأحلام ليبلغ أرجاء الوجود بمشهد غير متوقع:

_ ياه ده الواحد نفسه في فخذة .

دخلت أم الديب الغرفة، وسمعت ما قاله، فصاحت به قائلة بضجيج:

=فخذة ايه دي يا راجل يا عرة؟ بقى أيي واثقة فيك وفي اللي جابوك، وفي الآخر تخوني يا راجل يا معتق؟

استيقظ المعلم حنفي من نومه، وهو يصيح قائل:

_ جرا ايه يا ولية؟ هو أيي كل ما أحلم بطبق اللحم، تيجي تفصليني؟

رد جلال بتعجب، وعيناه تعبر عن دهشته:

=الواحد مننا يبيلح بحاجة عمره ما شافها...إنما الغريبة ياا إنك جزار وبتحلم باللحمة .

جلس المعلم حنفي على سريره، وقال:

_ يااض أيي جزار بالإسم...انت مش شايف حنة الدهنة اللي معلقها ليل نهار؟ أيي عاوز طبق لحمة مليون قد كدهو .

صاحت أم الديب قائلة ببغضاء:

=أيي هقطعك حنت وأعمل منك طبق فتة!

وقف المعلم حنفي مكانه، وهو يصرخ في وجهها قائل:

_ لا بقولك ايه أيي ساكتلك من ساعتها متخلنيش أمد أيدي عليكي!

اقتربت أم الديب منه، وقالت بصوت غليظ، كأنها تتحدث بقوة:

=تمد أيديك على مين يا راجل انت؟

نظر المعلم حنفي في عين أم الديب فانصدم بما يخرج منها من شر وأذية، فقال بخوف ملموس يرتسم على ملامحه الاضطراب:

_ يا ولية بهزر معاكي .

وأردف لجلال:

أم الديب الجزء الثاني

_ يلا يا ض يا جلال خذ أمك وأخرج وسيبوني أحلم بطبق اللحمة .

رد جلال بامتعاض:

=قوم يا با أنا مش نازل من شقتي علشان تقولي أخرج...أنا جايلكم في حاجة هنفرحكم أوي أوي .

تلفظ المعلم حنفي بفضول:

_ عايز ايه يا ض؟

رد جلال بسعادة:

=هنروح مصيف يا با...افرح!

تاه عقل المعلم حنفي، فقال بعدم استيعاب، كأن كلماته تتلبد بالدهشة:

_ مين؟

نطق جلال بسعادة:

=أنا بكلمك انت يا با بقولك هنروح مصيف ونغير جو كلنا!

همست أم الديب بزغاريد تناغمت مع الفرحة، وارتسمت على وجهها ابتسامة تنطق بالسعادة. جرت

بخطوات مُسرعة نحو غرفة هايدي، وفي لحظة من البهجة، قالت لها بصوت مليء بالحنان:

_ يا ألف بركة...افرحي يا بت يا هايدي...انت يا منيلة !

وضعت هايدي هاتفها جانبًا، وقالت بتعجب:

=في ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ افرحي يا بت هنصيف، ونروح البحر اللي عمرنا ما شوفناه!

قالت هايدي بتعجب:

=هتروحو فين؟

دخل جلال الغرفة، وأجاب قائلاً:

_ هنروح جمصة يا بت سبع ليالي بمتين جنبه .

ردت أم الديب بذهول:

=ايهي هو انت اتجوزت سبعة منها يا ولا؟

تلفظ جلال بسخرية:

_ لا يا ما خفة دم مش عاوز!

وقفت هايدي مكانها، وقالت باشمنزاز:

=ايه القرف ده؟ جمصة ايه وقرف ايه؟ الناس بتروح الساحل، وشرم، والغردقة، والجونة، وانتوا

رايحين جمصة؟

انفجرت أم الديب في وجه هايدي بكلام ملتهب قائلة:

_ اتبطري على النعمة يا بت لحد ما تغور من وشك...أني مش عارفة البت دي متمردة كده ليه على

عشتها؟

وخرجت من الغرفة، وهي تزغرد قائلة بسرور واضح:

_ زغردوا يا ولاد !

أم الديب الجزء الثاني

في شقة نعمة، كانت تستلقي على الأريكة، وتعبقر وجهها بالتساؤلات حيال زغاريد أم الديب التي هزت أسوار المنزل. تسارعت أفكارها، وظنت في داخلها أن هايدي قد قررت أخيراً الموافقة على العريس الجديد، وفي تلك اللحظة، خرج حامد من غرفة النوم بدهشة، قائلاً:

=الله هي البت أحتك اتخطبت ولا ايه؟

ردت نعمة بتفكير:

_والنبي مانا عارفة لا يكون كلامك صح .

لم تتحمل نعمة كثرة التفكير القاتل، فوقفت، وهي تضع حجابها فوق رأسها قائلة:

_لا بقولك ايه أنا هنزل لأمي أشوف في ايه...خد بالك من الواد!

نزلت نعمة إلى شقة أم الديب متأثرة بصوت زغاريدها، وفور وصولها، تسلل السخط إلى كلمات المعلم

حنفي، حيث تحدث بصوت مليء بالغضب:

=بتزغردي على ايه يا ولية؟ هو احنا عندنا فرح؟

دخلت نعمة الشقة، وقالت بتعجب:

_في ايه؟ في ايه؟ ايه الصوت ده؟

ردت هايدي بانفعال:

=شوفي الهم اللي بيحصل، قال ايه رايعين يصيفوا في جمصة دي عامله زي الترعة... أنا مش فاهمة

دماغهم بجد .

نطقت نعمة بتعجب:

_ايه ده احنا هنصيف ياما؟ الكلام ده بجد يا جلال؟

بفرح كبير، رد جلال قائلاً:

=طبعا يا بت والسعر حنين أوي سبع ليالي بمتين جنيه .

صرخت أم الديب بصوت عالٍ من الصدمة، قائلة:

_يا خرابي متين مرة واحدة؟ انت عارف يا ولا المتين جنيه دول يعملوا ايه وايه؟ يخربيتك يا منيل أني

كنت عارفة إن ليالي دي هتفلسك وتخليك على الحديدية .

ردت هايدي بسخرية مبتسمة:

=هو ايه اللي متين جنيه؟ أمال لو عرفتي إن الأوضة في الفندق بتلات آلاف جنيه للشخص الواحد لليلة

واحدة!

صرخت أم الديب، وهي مندهشة بشدة، قائلة:

_يا مصيبيتي، اكنمي يا بت!

ردت نعمة بابتسامة ساخرة:

=اسكتي يا هايدي ألا أمك عندها داء الفلوس!

تحدث جلال ببهجة:

_يلا يا نسوان جهزوا الشنط خلونا نلبط .

رد المعلم حنفي بلهفة مفعمة بالسعادة:

=ياه أخيراً الواحد هيشوف البحر؟

في صمت الليل، سعد جلال إلى شفته، جالساً على الأريكة يستمتع بشاشة التلفاز. في الوقت ذاته، كانت

ليالي تنظر إلى حقيبته بتوتر، خوفاً من أن تنسى ملابس أحدهم. فصلت ملابس جلال، وملابسها،

أم الديب الجزء الثاني

وملابس حمود، وتقى بعناية، ثم جمعتها بحذر داخل الحقيبة. وضعت منشفتين، وكريمات العناية بالبشرة، وكريم الحلاقة للحية، وأدوية ضرورية. احتياطاً من أي طارئٍ قد يطرأ ليلاً، وعندما انتهت من ترتيب الثياب، أغلقت الحقيبة بعناية ووضعتها جانباً. ثم توجهت إلى المطبخ، حيث بدأت في تحضير الساندويتشات، فصنعت ساندويتشات الجبن، وأخرى بلانشون اللحم، ووضعتها في المثلج. بينما في اليوم الثاني الساعة الرابعة فجراً، استيقظت العائلة برمتها. فدخل جلال إلى المرحاض لغسل وجهه، في حين أيقظت ليالي أبناءها واختارت لهم ملابس الرحيل، وصففت شعر ابنتها تقي، وعندما اكتملوا، كانت الساعة الخامسة والنصف صباحاً. في حين هايدي ترفض السفر إلى تلك الوجهة التي تراها رديئة. حيث دخل المعلم حنفي الغرفة ليجد أم الديب ترتدي الجلاب، وبينما اندلع القلق في قلبه، قال:

_ يلا يا ولية ألا نتأخر !

نطقت أم الديب بصياح:

=انت تتكتم خالص...مسمعش صوتك، فاهم ولا لا؟

أجاب المعلم حنفي بصوت خافت:

_ حسبنا الله ونعم الوكيل في الظالم والمفتري .

نفوحت أم الديب بجلبة متوترة:

=بتقول ايه يا راجل انت؟

رد المعلم حنفي بفرع:

_ لا ياخوتي ده أي بقول استغفر الله...يستغفر ربنا .

حمل جلال الحقائب، وقال بتوصية متألمة:

=يلا يا ليالي أنا هنزل أحط الشنط في التمنية، متنسيش تقفلي النور ألا يفرقع ويعملنا حريقة في البيت !

ردت ليالي بسخرية:

_ ياريت بس يفرقع عند أمك، أمك اللي مطلعة عينينا .

تلفظ جلال بتعجب واضح:

=ماجرا ايه يا ليالي انتي حد داسلك على طرف؟

نطقت ليالي برهبة ملحوظة:

_ لا ياخويا محدش...انزل وأنا جاية وراك أنا والعيال .

وهكذا، نزل جلال حاملاً الحقائب، حيث رتبت ليالي الساندويتشات، وعلب العصائر داخل كيس بلاستيكي. حملت حقيبتها الشخصية ودخلت المطبخ لتطمئن على محبس المياه المأسور، وأنبوب الغاز.

ثم خرجوا وأوصدوا الباب وراءهم، وعندما جلسوا في السيارة، كان جلال يشغل دور السائق، وإلى جانبه المعلم حنفي كالعادة، وفي المقاعد المتوسطة جلست أم الديب، ونعمة، ومحمد. أما في المقاعد الخلفية، جلس حامد بجواره هايدي، وحملت ليالي أبنائها على ساقها، وكان حامد ينظر إلى هايدي، يطلق ضحكات ساذجة، فنظرت هايدي له بانزعاج، وقالت بضيق:

=أنا ايه اللي قعدني هنا؟ ماكان زمني قاعدة في البيت أرحم .

زغردت أم الديب بابتهاج، وهي تصفق، وتغني قائلة:

_ غنوا معايا يا عيال...أيوه يا وادي ولعة خدها ونزل الترعة .

ضحك جلال بابتسامة، وقال:

=و ليه الفال الوحش ده ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

بينما كان جلال مشغولاً في الحديث مع أم الديب، انحرفت السيارة بالفعل نحو الترعة. صرخ المعلم حنفي بعنف، وهو يتشبث بتابلوه السيارة، قائلاً بصوت مرتفع:
_ الحق يا ض!

انحدرت السيارة في الترعة، فصرخت أم الديب بفزع:
=يا لهوتي... حد يلحقتي!
تجمع الفلاحون حول السيارة بفضول، يسعون للتأكد من سلامة عائلة أم الديب. قال أحدهم، وهو يلقي نظرة نحو جلال، بتعبير ينم عن الاهتمام:
_ انتوا بخير؟

ثم نظر للمعلم حنفي، وأردف:
_ انت بخير يا عم الحاج؟
فقد المعلم حنفي القدرة على النطق، فخرجت منه كلمات مشوشة تلامس حدود الغموض، كأنه يحاول التعبير عن مشاعره بلغة لا تعترف بالكلمات، قائلاً:
=مين.. ده... هو... هما ...
تحدث أحدهم بتعجب قائل:
_ انت بتقول ايه يا حاج؟ انت كويس؟
نطق جلال بأعصاب مرهقة:
=آه... الواحد كان هيموت يا بت يا ليالي .
نزل جلال، والمعلم حنفي من السيارة، وتجمع الناس حولها، ممددين أيديهم ليرفعوها. في تلك اللحظة، كان الأطفال يبكون من الذعر الذي أصابهم. طمأنت ليالي أطفالها بكلمات مليئة بالحنان، قائلة:
_ متخافوش يا عيال... الحمد لله طلعوننا بسرعة، كان زمانا غرقانين دلوقتي!
ردت أم الديب بسخرية:
=ايه يا عيال يا خرعة... دي ترعة فيها شبر مائة انتوا اللي عيال جبانة .
ركب جلال السيارة، وقال:
_ أهو ده ياما المثل اللي يقولك بيغرق في شبر مائة .
نطقت أم الديب بسعادة:
=يلا يا ولا اطلع خيلنا نروح نلبط في الماية .
ردت ليالي، وصاحت بصوت مرتفع في وجهها:
_ ده كان يوم أسود يوم ما جيتي معنا في حنة .
نظرت أم الديب بعيون متأججة بالامتعاض في وجه ليالي، وقالت بصوت يرن كصخب العاصفة:
=انتي بتتكلمي عليا أي يا بت؟ بتغلطي فيا؟
أجابت ليالي بلا مبالاة:
_ أنا جيت ناحيتك يا حماتي؟ أنا بتكلم على البت تقى... أصلها بتعيط وأنا مبحبش الزن .
ردت أم الديب باهتياج:
=ايه بحسب... ده لو كنتي بتتكلمي عليا كنت طلعت بزمارة رقبتهك يا بت!

أخرج جلال علبة السجائر، وأشعل السيجارة بانفعال، قائلاً بغضب متصاعد:

أم الديب الجزء الثاني

_ ما جرا ايه متدوشونيش، أنا هطلع بالعربية واللي هيفتح بوقه بكلمة هذب السكنينة في كرشه !
ثم نظر للمعلم حنفي، وأردف:

_ ما تقول حاجة يابا .

رد المعلم حنفي، وهو يرتجف من الارتياح:

=اطلع ياض ألا ركبي بتخبط في بعض من ساعتها .

رد جلال:

_ أجييلك حاجة تشربها يابا؟

نظر جلال لجسد المعلم حنفي، فرأى أنه ما زال يرتجف، فقال بدهشة:

_ مال جسمك بيترعش ليه؟

ردت أم الديب:

=ده راجل عرة... جبان .

التف المعلم حنفي نحو أم الديب، وكأنه يسعى جاهداً للوصول إلى جسدها بيده، يتلمس طريقه ليرتاح ويستعيد حقوقه المهذورة. بصوت ينبعث منه الغضب المتأجج، قال:

_ مش هسيبك يا ولية... أني هطلع القديم كله على نفوذك انتي واللي جابوكي!

ردت أم الديب بعجيج:

=انت بتتكلم مع مين يا راجل انت؟ ده أني هقلع البلغة، وهنزل بيها على نفوذك!

صاح جلال بصوت مرتفع قائلاً:

_ بس! في ايه؟

تفوهت نعمة بقلق:

=ما تسكتي ياما شوية مش كده... معلش يابا

حقك على راسنا احنا .

رد المعلم حنفي بضيق:

_ أني هسكت علشانك انتي يا نعمة بس قسمًا عظمًا إن أمك فتحت بوقها... لأطربقها على دماغها!

بعد محاولات مضنية من الجميع لتهدئة الموقف وفض النزاع، انطلق جلال بالسيارة، وبعد ساعات من

الرحيل، وصلوا إلى جمصة. هناك، توجهوا نحو العنوان الموجود في الإعلان التلفزيوني. بالفعل، تم

ترتيب الشقة من قبل، وكان الرجال يحملون الحقائب بحرص لنقلها إلى الشقة المصيفية، وتم توزيعهم

على الغرف بترتيب دقيق. جلال، وزوجته، وأبناؤه في غرفة أما نعمة، وحامد، وابنهم في غرفة أخرى،

بينما أم الديب، والمعلم حنفي، وهايدي في غرفة أخرى. بعدما جلسوا للراحة، خرج حمود من الغرفة،

مرتدياً شورت البحر، ومعه عوامة، وهو يقترب من جلال فقال له بحماس:

=أبا أبا عاوز أنزل البحر .

رد جلال بإرهاق:

_ استنى ياض نرتاح شوية ألا أنا جتتي اتدغدغت... مانتوا خسرانين ايه؟ أنا اللي كنت سابق وكلكم

ممددين ورا .

تفوهت ليالي بسخرية:

=ممددين ايه؟ احنا كنا محشورين في بعض ياخويا، محسنني إننا قاعدين في عربية مرسيدس دي حياه

تُمناية .

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بصوت حاد:

_مالها الثمناية يا ليالي؟ ماهي اللي جابتنا لولاها كان زمانا قاعدين في البيت .
نطقت ليالي بوجه عابس، ملامحها متجهمة وعينيها تعكسان شعورًا عميقًا بالضيق:
=طيب ياخويا العيال عايزين ينزلوا .

دخل جلال الغرفة بخطوات ثقيلة، وقال لأم الديب بنبرة جادة:
_يلا ياما غيروا عشان نازلين البحر .

ردت أم الديب:

=ماشي .

وأردفت لهايدي:

=بت يا هايدي البسي هدوم البحر .

أجابت هايدي:

_حاضر .

دخلت أم الديب إلى البلكونة حيث كان يجلس المعلم حنفي، وقالت بصوت حاد، وممتلئ بالانفعال:

=قوم يا راجل انت عايزين نروح البحر .

رد المعلم حنفي، وهو يشاهد منظر البحر، وقد تلاشت تعابير الغضب من وجهه، وانبتقت بداخله مشاعر من السكينة، والتأمل. بينما يتأمل أمواج البحر تتلاطم على الشاطئ، قال بصوت مليء بالهدوء:
_لا روحوا انتوا...أني مش نازل النهاردة .

ردت أم الديب ببيغضاء:

=يا باي عليك راجل فقري .

دخل الجميع إلى الغرف ليرتدوا زي السباحة، وبعد أن اكتمل التجهيز وتأكدوا من أنهم مستعدون تمامًا، نزلوا معًا بحماس للاستمتاع بمياه البحر الزرقاء المنعشة. وفي تلك اللحظة، قال جلال بسعادة متجددة، ونبرة مليئة بالحيوية:

_ياه يا بت يا ليالي شايفة منظر البحر يشرح القلب ازاي؟

ردت ليالي بسعادة:

=أيوه يا جلال...ده المنظر إنما ايه شوية هوا كده مفيش لا قبلهم، ولا بعدهم .

أطلقت أم الديب الزغاريد، وقالت بسعادة:

_البحر أهو يا عيال .

وقفت أم الديب إزاء شاطئ الرمال الذهبية، وعبير التعجب يتعانق مع جمال المنظر الخلاب أمامها، فيما كان البحر يمتد إلى الأفق البعيد كلوحة فنية حية، وفجأة، ظهرت هايدي من خلفها، وكلامها يتسلل بتقزز، وكأنها تحاول أن تشوه روعة اللحظة بجملتها اللاذعة:

=بس ده الرمل يا ماما!

ردت أم الديب بسعادة:

_ايهي آني عمري ما شوفته ولا روحته...فين البحر دهو؟

أشارت هايدي بيدها نحو البحر، وقالت بنبرة مفعمة بالاشمئزاز:

=أهو اللي لونه أخضر .

تفوهت أم الديب بتعجب:

_بس هما بيقولوا لونه أزرق .

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي بأشمزاز:

=لا ده في الأماكن النظيفة إنما هنا لونه أخضر من كتر القرف اللي فيه.. لعلك الناس هنا بتعمل بيبي في الماية!

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_وايه المشكلة يا بت يعني الرجل يبقى محصور وميفكش زنفته؟ ايهي دهو اسمه كلام؟

قالت هايدي بنبرة مفعمة بالثقرز:

=ايه اللي بتقوليه ده يا ماما بس؟

قفز جلال في أحضان المياه، وشغف السعادة يرقص على وجهه، فخرجت منه كلمات تنبع من قلبه المفعم بالبهجة، وهو يعبر عن فرحته العارمة بتجريب كل حركة، حتى إنه راح يطفو على الماء ويدور في حلقات من البهجة الخالصة:

_يا حلاوة يا ولاد... ده الماية ساقعة .

دخلت ليالي ونعمة بأولادهما إلى أحضان البحر، فابتسمت ليالي بسعادة عارمة، وكلماتها انبعثت بلطف، وبهجة وهي تقول:

=الله ايه الجمال ده؟

اقترب حمود من والده، فواصلت ليالي حديثها:

=والنبي تاخذ بالك من الواد حمود وأنا هخلي البت في إيدي !

رد جلال بسعادة:

_ماشى... تعالى يا ض مع أبوك جوا .

دخل حمود مع والده إلى مكان أعمق في البحر، حيث كانت الأمواج تهدأ وتصبح أكثر سكونية، بينما وقف المعلم حنفي في البلكونة يراقب النساء المارات بعيون فضولية. وفجأة، مرت حياله فتاة في عمر الزهور، جمالها البريء وشبابها النضر لفتا انتباهه بشدة، فناداها بصوت مليء بالإعجاب، وكأنما وجد في رؤيتها شيئاً يحيي في داخله ذكريات، وأحلاماً ضائعة:

=إش على الحلاوة... ماتبصي يا حلوة ده أني راجل كبير وأعجبك !

مرت سيدة ممثلة الجسد، أو كما تُعرف بـ"كيرفي"، بجانب المعلم حنفي، وفي تلك اللحظة، تحسس بيده على صدره كأنه يحاول تهدئة نبضات قلبه المتسارعة، ونظر إليها نظرة إعجاب واضحة، مغزلاً إياها بصوت عذب قائلاً كلمات ناعمة تحمل في طياتها كل معاني الافتتان:

=وده طبييعي ولا صناعي؟

في تلك اللحظة، صوبت أم الديب نظرها نحو المعلم حنفي، وكأنه ينظر إلى سحر السماء ويتأمل جمالها اللا متناهي. لاحظت استغراقه في التأمل، وبعد أن اطمننت إلى أنه مشغول بعالمه الخاص، انشغلت هي مع أبنائها. ولكن بعد برهة، نطق المعلم حنفي بكلمات ساخطة، وكأن بركان الغضب يثور في داخله، مضيئاً إلى هدوء اللحظة صوتاً مدويًا يعكس حالة الغليان التي تجتاح صدره:

=وليه بومة وش الهم .

وقفت أم الديب على الشاطئ، وقالت بلهفة:

_انتوا يا عيال جاتكوا هباب خدوني معاكم أني عاوزة أبلبط!

لكن هايدي وقفت على حافة الشاطئ، وألقت بكلماتها بين الرياح المتطايرة، قائلة بصوت يحمل في طياته النفور:

أم الديب الجزء الثاني

=أنا هستناكم برا .

مدت نعمة يدها لأم الديب بحنان، وقالت بصوت دافئ:

_تعالى معنا ياما .

دخلت أم الديب البحر، وهي تعوم بأسلوب يشبه عوم الكلاب مع أولادها، وكلما وقت الموجات إليها، انتفضت وصرخت بصوت يفتح على مدى البحر:

=يا لهوتي...يا خرابي .

صاح جلال فيها قائلاً بانزعاج:

_ما جرا ايه ياما الفضايح دي؟

ردت أم الديب بذعر:

=الماية عالية يا ولا .

دخلت أم الديب في عمق المياه مع نعمة وحامد، وهي تسبح بحركة ثابتة، وظلت العائلة في هذا الوضع حتى دوى أذان المغرب، وهو الزمن الذي يتجلى فيه انتشار الجان في مياه البحر. فقال جلال بترقب:

_يلا يا ليالي نطلع...الدنيا ليلت .

تحدثت ليالي:

=يلا يا عيال .

رد حمود بسعادة:

_سيبوني مع ستي البجرة شوية .

أمسكت ليالي بيد ابنتها برفق، وقالت بعاطفة واضحة في صوتها:

=طيب تعالى معايا يا تقى .

خرج جلال، وزوجته، وابنته من أعماق البحر، وجلسوا على كراسي مريحة أمام الشاطئ، حيث كانت الأمواج تتلاطم بهدوء على الرمال الذهبية. وفي لحظة من السكون، وضع جلال يديه الاتنين خلف رأسه، ومال بجسده إلى الخلف، مستمتعاً بلحظات الراحة بعد السباحة الطويلة. حيث نطق بكلمات ينسج فيها بين همس البحر، وصوت الأمواج المتلاطمة، والإرهاق الذي كان يشعر به، قائلاً بتأمل:

_ياه الواحد اتفرهد...عايزك يا بت يا ليالي لما نروح ناكل ونظبط .

ردت ليالي، وهي تجفف جسد ابنتها بالمنشفة:

=ماشى ياخويا لما أمك تطلع .

خرجت نعمة من أحضان البحر كأموحٍ ترقص على الشاطئ، وجلست بجانبهم، وصوبت نظرها نحو أم الديب، قائلةً بهدشة:

_هي أمي لسه مطلعتش؟

رد جلال، وهو يتحسس ذراعه بيديه بحركة بطيئة، قائلاً بنبرة مملوءة بالتفكير:

=لا مانتى عارفة أمك دماغها ناشفة .

فجأة، تمسرت قدماً أم الديب، وشعرت بوجود شيء غامض يقيدها، فاندلعت صرختها في الهواء، وهي تقول بصوت مليء بالرهبة:

_واد يا حمود انت فين؟

أم الديب الجزء الثاني

نظرت أم الديب حولها بقلق، واكتشفت فجأة حفيدها يُجذب تحت الماء بشكل غامض، ومخيف. تسارعت دقات قلبها، وصرخت مجددًا بصوت يحمل نداء الرعب، ممتزجًا بتوسل الأمل، قائلة بكلمات تنتقطع بين شهقات الخوف، ودموع الذعر:

_يا مصيبتى... انت يا واد... يا خرابي الواد اختفى، يا مصيبتى السوداء... واد يا حمود !

سمعت ليالي نواح أم الديب، فقالت بفرع:

=سامع اللي أنا سامعاه؟

صب جلال كل تركيزه على الصوت الصادر من الاتجاه الآخر، فاكتشف أنه صوت أم الديب الذي يصرخ بيأس. نهض بسرعة، وبحركة مفاجئة، مستجمعًا كل طاقته، وقال بصوت عالٍ ومليء بالقلق، عاقداً العزم على التدخل السريع لإنقاذ الموقف:

_ده صوت أمي!

وقفت ليالي هي الأخرى، وصرخت بصوت مليء بالهلع، قائلة بكلمات تنبع من عمق القلب وتعبر عن حالة من الذعر الجسيم:

=يا نهار أسود... أمك بتنده على ابني!

نهضت نعمة وزوجها، وأسرعوا بالجري نحو البحر بسرعة هائلة، حيث تعالت أصواتهم بالتوتر. قالت نعمة بصوت يحمل الخوف المتزايد:

_أسترها يارب على ابن أخويا .

نظر جلال حوله، يبحث عن ابنه بعيون مليئة بالقلق، ولكن لم يجده. في لحظة من اليأس، انطلقت يديه بسرعة نحو جيبه وهو يستخرج منه المطوى، وبصوت ينبع من أعماق الألم، صاح:

=الواد ابني فين ياما؟

أجابت أم الديب بإعوال:

=الواد كان جنبي يا جلال... ببص لقيته اختفى!

لطمت ليالي وجهها بيديها بقوة، وهي تصرخ بصوت مليء بالفرع، قائلة بكلمات تعكس حالة من التوجس:

_يا لهوتي هاتولي ابني... هاتلي ابني يا جلال... هاتلي ابني!

تشبثت ليالي في عنق جلال بيديها الاثنتين، فأمسك جلال بيديها بقوة وانزلق بهما بعيدًا، وصاح في وجهها بصوت مليء بالانزعاج، قائلاً:

=أوعي يا ليالي !

ثم وجه المطوى نحو أم الديب، وأردف:

=وديتي ابني فين ياما؟

تحدثت هايدي برهبة:

_اهدوا يا جماعة مش كده !

نطقت نعمة بخوف:

=جيب العواقب سليمة يارب .

ردت أم الديب بصياح:

_وآني مالي؟ آني بقولك كان جنبي، واختفى، تلاقيك انت يا ولا اللي ضيعته، وجاي تلبسها فيا مآني عارفاك .

أم الديب الجزء الثاني

تفوهت ليالي بنواح مؤلم، صدح عبر الهواء بينما كانت تعبر عن بأسها العارم:
=هوديكي في داهية يا حماتي!
ردت أم الديب بصياح:

_ اُخرسي يا بت مسمعش صوتك...أما بت قليلة الأدب صحيح .
جرى جلال، وحامد بعيداً للبحث عن حمود، فقال جلال، وهو يشار بيده على المكان المراد:
=روح انت هناك، وأنا هروح هنا!

قبل أن يتحرك حامد، رأى حمود يلعب ببراعة على الشاطئ، يتفاعل بفرح مع حبات الرمل التي تتناثر حوله. فأشار حامد بيده بتفاؤل وابتسامة تملأ وجهه، وصاح بصوت مليء بالفرح، كأنه يعبر عن سعادته البالغة لإيجاد حمود:

_ ابنك هناك يا جلال بيلعب .
جرى جلال نحو ابنه، وأمسك به بعنف مَنين، وصاح في وجهه بصوت يحمل نبرات القلق، والموجدة، قائلاً:

=ايه اللي جابك هنا ياض؟
بكى حمود، وكلماته تنهمر مع دموع الأسي، قائلاً بصوت مكسور:
_ستي البجرة جابتي .

تشبث جلال بملابس ابنه، ورفع في الهواء بقوة، وهو يسير به كما تحمل الرياح الخفيفة الورق. ثم قال بصوت ينبع من قلب مليء بالأبوة:
=تعالى معايا!

صرخت ليالي بمجرد رؤية ابنها، وجرت نحوه بسرعة مذهلة، دموعها تنهمر بغزارة وهي تبكي، قائلة بصوت مليء بالحنين، والفرح المختلط بالقلق والتعبير عن مشاعر الأمومة العميقة:

_يا عيني عليك يابني...هاتولي ابني .
جرت نعمة خلفها، وقالت بارتياح:
=اهدي يا ليالي أهو جه خلاص!
بعد أن وصلت ليالي لطفلها، نشبت به، وصاحت في وجهه قائلة بانفعال:

_ايه اللي وداك هناك؟
أجاب حمود بانتحاب:
=ستي البجرة ياما .

تحدثت جلال بصوت جلف:
_الكلام ده حصل ياما؟
صاحت أم الديب فيه قائلة:

=والنعمة ياخويا ما حصل...ده عيل كداب مش متربي زي أمه بت سلامة دباح الحمير .
ردت ليالي بضجيج:
_ماشى يا حماتي خليكي فاكرها !

تحدثت نعمة بإجراج:

أم الديب الجزء الثاني

=معلش يا ليالي...أمي متقصدهش .

أجابت أم الديب بسخط متأجج:

_ لا آني قاصدة، ايه رأيك بقى؟

تلفظ جلال بعصبية متوهجة:

=أنا هر جعك البيت ياما، ووريني مين هياخذك معاه في حنة ثاني... يلا يا ليالي قدامي!

صعد الجميع للشقة المصيفية بغضب متوتر، وأعصاب متشنجة، فلما وصلوا، قال المعلم حنفي بتعجب ملحوظ، وغير متوقع:

_ انت جيت ياض؟

دخل جلال الغرفة، وهو يقول بندم واضح:

=أنا غلطان يابا إني جييت أمي معانا .

رد المعلم حنفي بصوت عالٍ مليء بالاستياء:

_ بيني وبينك ياض أمك وش هم...دي ولية غم .

نطقت نعمة بخوف ملحوظ:

=خذ بالك يابا أمي طالعة على السلم !

رد المعلم حنفي بلا مبالاة:

_ خليها تسمع هتعمل ايه يعني؟

دخلت ليالي المرحاض مع أبنائها للاستحمام، وفي الوقت نفسه وصلت أم الديب إلى الشقة، حيث انبثق

الشر، والاحتياظ من عينيها، وبصوت حاد وكلمات مليئة بالقسوة، قالت بتلك الكلمات المستاءة التي

تخترق الجو وتثير الفرع:

=هما فين؟

رد المعلم حنفي بجلبة:

_ هما مين يا ولية؟

نطقت أم الديب بصياح:

=ليه ياخويا هو انت متعرفش؟

رد المعلم حنفي بسخرية:

_ لا ياخوتي معرفش .

أجابت أم الديب بانفعال:

=الواد جلال ومراته لبسوني تهمة، قال ايه ضيعت الواد ابنهم .

رد المعلم حنفي بتعجب:

_ ضيعتية فين يا ولية؟ أمال مين اللي لسه داخل الحمام ده؟

صرخت أم الديب بصوت مرتفع يشبه صوت الرعد، تناثرت كلماتها كأسهم ملتهبة في الهواء المشحون

بالتوتر:

=ايهي هما دخلوا الحمام قبلي؟

طرقت أم الديب باب المرحاض بعنف متفجر، وهي تصيح بكلمات تنبعث منها حرارة الانزعاج:

_ افتح يا جلال...افتح !

جاء جلال عقبها، وقال بصوت متسائلاً، ومليء بالاستغراب:

=في ايه ياما؟ مش أنا اللي جوا!

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم الديب بإستفهام ينطوي على حيرة وامتعاض مكبوت:
_أمال مين اللي جوا؟

أجاب جلال بترقب:

=ليالي بتحمي العيال .

نطقت أم الديب بنواح مؤثر، ينبعث منه حرقان كأن مياه البحر نار ناشبة بجسدها:

_آني عاوزة أخش الحمام استحمى يا ولا...جتتي بتاكلني من الماية المالحة .

وضعت أم الديب يدها بقوة على جسدها، وهي تتهرش بلا هدف وكأنها تحاول بجميع جوانبها محو أثر

التآكل الذي أشعل جسدها، فقالت بتألم:

_ايهي ده بحر ولا ماية مخلل ياخويا؟

رد جلال بضيق:

=اصبري ياما لما يخلصوا أدخلني بعدهم، وبعد منك هايدي، وبعد منها نعمة، وخليني أنا في الآخر .

نطق حامد بذهول وهو يتهرش جلده بقوة، كأنه يحاول استرجاع توازنه بعد صدمة قاسية تعرض لها في

أعماق البحر:

_وأنا هستحمى امتى يا جلال؟

رد جلال بتعبير يعكس الاضطراب، وهو يتهرش بقوة جسده كمن يعاني من الجرب الذي يتسلل إلى كل

زاوية من جسده، محاولاً تخفيف الحكمة:

=استحمى بعد مني يا ض أ لا أنا جتتي بتاكلني .

تلفظ حامد، وهو يتهرش بقوة جسده كمن يحاول التخفيف من شعور داخلي متزايد:

_وأنا يعني اللي جتتي عليها عسل نحل؟

صاحت أم الديب في وجوههم بصوت مليء بالاستياء، كأنها تحاول نقل قوة انفعالها بوضوح:

=اخرسوا، انتوا هتلكوا كتير؟

رد جلال بعصبية:

_في ايه ياما؟ صوتك ميعلاش !

جاءت نعمة من خلفهم، وقالت بصوت هادئ:

=بس خلاص مش عايزين مشاكل...تعالى ياما نقف برا لحد ما ليالي تخلص هي والعيال .

سحبت نعمة أم الديب من يدها، فقالت الوالدة بغضب ملحوظ:

_آني مش عاوزة أقف في حته، آني عاوزة أخش الحمام!

وطرقت الباب بعنف مجددًا، وواصلت بصياح:

_افتحي يا بت يا ليالي !

سحبت نعمة يد أم الديب للمرة الثانية، وقالت بصوت محتدم مليء بالإحباط، كأنها تسعى لفرض سلطتها

بقوة:

=تعالى بس ياما .

أم الديب الجزء الثاني

بعد مرور نصف ساعة، خرجت ليالي من المرحاض برفقة أبنائها، ودخلت الغرفة بخطوات هادئة تعكس السكينة. فيما لم تلبث أم الديب إلا أن انقضت على المرحاض بعد خروجهم، موصدة الباب بعنف واضح في وجوههم، كأنها تمثل صورة للاستفحال. وفيما انتهت ليالي وأبناؤها من تغيير الملابس في مدة قصيرة، كانت أم الديب تغني في المرحاض بصوت مرتفع، كأنها تردد ألحان الفرحة بين جدرانها المغلقة. استغرب المعلم حنفي من هذا المشهد بكل تعجب، ودهشة، فقال لجلال:

_أما قولِي يا ض هي مراتك لبست ولبست العيال ليه؟
رد جلال:

=ماحنا يابا بعد ما نخلص هننزل ناكل لقمة برا، ونلف شوية نشترى شوية حاجات .
وقف المعلم حنفي، وقال بصوت هادئ متمهل:

_طيب هدخل ألبس أنا .

دخل المعلم حنفي الغرفة ليرتدي الملابس، بينما وقفت نعمة حيال باب المرحاض، ونادت أم الديب بصوت يحمل نبرة الاستفزاز:

=يلا ياما ما تخلصي ده احنا نشفنا... يلا ياما الواد ابني عايز يستحمي!

ردت أم الديب بصوت عالٍ يتسم بالحدة:

_ايهي استنتي يا بت أني لسه مستحمتش !

وقف جلال من صدمته، واقترب من المرحاض وهو يضرب كفاً على كف، فصاح بصوت يحمل مزيجاً من السخط، والاستغراب، كأنه يحاول إيجاد تفسير للأحداث الغير متوقعة التي تجري في تلك اللحظة المشحونة بالتوتر:

=أمال انتي ياما بتعملي ايه كل ده؟

ردت أم الديب بصوت عالٍ، وهي تحاول تسليك شعرها المجعد بالفرشة، كأن صوتها يعكس غضباً مستتراً خلف الكلمات، كمن يحاول إخفاء الضيق الذي يتراكم داخلها:

_أني بفك في شعري...ده ياخويا لازق في بعضه، المشط مش راضي يمشي فيه ولا راضي يدخل .
رد جلال بصياح:

=ياما الدنيا هتليل ياما أكثر ماهي ليلت...عايزين ناكل لقمة، يلا ياما أنا جسمي بياكلني!

ردت أم الديب بصوت عالٍ:

_خلاص يا ولا قربت أخلص !

تحدث جلال بغضب متقد، وكلماته تنبعث منها حرارة الاستياء:

=عاجبك اللي أمك بتعمله ده يا نعمة؟

ردت نعمة بنأثر:

_الواد عمال يعيط يا جلال مش مستحمل الملح اللي على جسمه .

مر المعلم حنفي من أمامهم، فناداه جلال بصوت مرتفع، يحمل طلباً أو استفهاماً ملحاً:

=ماتيجي يابا تشوف حل مع مراتك .

رد المعلم حنفي بلا مبالاة:

_اتصرفوا انتوا...أني مليش فيه .

بعد مرور ساعة ونصف، انتهى الجميع من الاستحمام، وتغيير الملابس، ثم خرجوا ليسيروا على الكورنيش الذي كان ممتلئاً بالمارة المتجولين، ورائحة الطعام الشهية بالمطاعم، والكافيهات الصاخبة

أم الديب الجزء الثاني

بالموسيقى، والملاهي المضيئة، وكل ما تشتهيهِ الأنف من حياة، وحركة. كان جلال يسير في المقدمة بجانب المعلم حنفي، وفي الوسط كانت تمشي ليالي مع نعمة، وحامد مع أبناؤهما، وفي الخلف كانت تتبعهم أم الديب، وهايدي، وفي لحظة من الهدوء الذي لاحق الضجة، تحدث جلال بأسلوب متسلسل ينبعث منه رونق السرور، والتفاؤل، كما لو أنه كان يتنفس الحياة الجديدة، والأمل في كلماته:
=هتاكلوا ايه؟

أشار حمود بيده باتجاه الشيف الذي كان يستخرج الدجاج المشوي ببراعة من الشواية في المطعم، وهو يقول بصوت متحمس، ومليء بالاشتهاء:

_أبا أبا...أنا عاوز فرخة مشوية .

التف جلال اتجاه ليالي، وقال بصوت ينبعث منه التقدير:

=ايه رأيك يا بت يا ليالي نجيب فراخ مشوية؟

ردت ليالي بتفكير:

_فكرة ياخويا ألا احنا آخر مرة كلناها كانت من سنة .

نطق جلال باهتمام:

=ماشى...وانتي يا بت يا نعمة؟

ردت نعمة بتأكيد:

_احنا هناكل حواوشي ياخويا... هاتلنا ثلاث أرغفة كبار .

قال جلال بصوت متفائل ينبعث منه الاهتمام:

=باقي هايدي، وأبويا...هتاكلوا ايه؟

أجابت هايدي بثقة:

_أنا عايزة فرايد تشيكن .

رد جلال بتعجب:

=انتي بتقولي ايه يا بت؟ ماتتلمي زينا، هتاكلي فراخ معنا ولا هتاكلي ايه؟

أجابت هايدي بانزعاج:

_مانا بقولك أهو هاكل فرايد تشيكن !

رد جلال بسخرية:

=أبو أم عوجة اللسان دي...هاتولنا مترجم!

ونظر للمعلم حنفي، ثم أردف بكلمات مليئة بالتقدير:

=هتاكل ايه يابا؟

أجاب المعلم حنفي باشتهاء:

_أني هاكل ياض لحمة راس، وشورية كوارع .

نفوخت هايدي باشمزاز:

=يع .

تحدثت أم الديب بجلبة حارة:

_وآني هاكل ايه؟ ولا انت يا ولا تسأل كله، وتيجي عليا وتقف؟

سألها جلال بانزعاج ملموس:

=هتاكلي ايه ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم الديب بتأمل:
_ أني عاوزة عيش مبلول مائة .
صاحت نعمة قائلة بدهشة:
= هو انتي ياما مفيش فايده فيكي؟ يعني كلنا طالبين فراخ، ولحمة وانتي تقولي عيش مبلول؟
نطقت أم الديب بعجيج:
_ ده اللي عندي يا بت ان كان عاجبك... أني أكل اللي يعجبني أني حرة .
تلفظ جلال بصياح:
= ما جرا ايه ياما؟ انتي كل يوم عاملنا فضايح؟
رد المعلم حنفي بصياح يحمل في طياته تهديدًا واضحًا لأم الديب، صوته يتجاوز الحدود المألوفة للهدوء، كأنه يسعى لإيصال رسالة قوية ومحددة بشكل لا يدع مجالاً للتأويل:
_ اسكتي يا ولية مسمعش صوتك ألا هقتك!
نطقت أم الديب بصياح:
= انت بتزعقلي يا راجل انت؟
كانت نعمة تشعر بالخوف المتزايد من تأزم الوضع، حيث بدأت الأنظار تلتفت نحوهم بسبب ارتفاع صوتهم بشكل لافت، وفي هذه اللحظة الحرجة، قالت ببساطة تعكس القلق:
_ يا جماعة الله يهديكم بطلوا مشاكل !
نطقت ليالي ببرود يعكس الهدوء:
= ما كنا جينا لواحدنا يا جلال .
ردت أم الديب بسخرية:
_ وهيجيبك لواحدك ليه يا بت سلامة؟
أجابت ليالي برود مأكرة تتم عن ذكاءها:
= ماهو أصل بصراحة يا حماتي، انتي زودتيها وبوظتي علينا الخروجة!
نطق جلال باختناق:
_ اتكتموا بقى... أنا رايح أجيب الأكل خلينا نطفح قبل ما نرجع البيت.
ومد يده لأم الديب، وواصل بانتظار:
_ هاتي ياما فلوس.

ردت أم الديب بدهشة:
= وأنى أجيبك فلوس منين؟
نطق جلال بغضب ملحوظ:
_ هاتي ياما فلوس بقولك!
أجابت أم الديب بصوت حاد:
= ممعايش .
رد جلال بانفعال:

_ لا معاكي ياما... يلا هاتيلنا ٣٠٠ جنيه خلينا ناكل ونخلص .

أم الديب الجزء الثاني

صاحت أم الديب بانزعاج واضح، صوتها ينطلق بقوة معبراً عن استيائها:
=ايهي ٣٠٠ عفريت لما يركبوك وينططوك يا بعيد، وأني هجيبلك كل ده منين؟ هو جنيه مفيش غيره
وبرضة كثير عليك .
أخرجت هايدي المال من حقيبتها، وبينما تمد يدها لتسليمه لجلال، قالت بكلمات تنبعث منها الثقة:
_ خلاص، خد يا جلال... أنا أخذت مرتبي من المدرس اللي بتدرب معاه!
لم يتردد جلال في أخذ المال من أخته، فكان ينطوي على روح لا تمنع في الاستفادة من جهود
الآخرين، وبالأخص النساء. كان يفتقر إلى فهم حقيقي لمعنى الرجولة، فكانت مفاهيمه محدودة بالعنف،
والاحترار، وعلى الرغم من ذلك، فرح جلال وهو يعبر عن سعادته بطريقة مبتهجة:
=أنا كنت عارف أنك جدعة يا بت يا هايدي .

ونظر لأم الديب باشمئزاز، وأردف:
=مش زيك ياما .
ذهب جلال إلى المطعم وطلب الطعام، وفي الوقت نفسه، ازدادت نار أم الديب، حيث قررت الانتقام من
جلال بشكل خاص بسبب ما قاله لها سابقاً. فصاحت بصوت مشحون بالقسوة:
_ ماشي يا جلال... ماشي .
اتجهت أم الديب نحو نفس المطعم الذي ذهب إليه جلال، فعبرت هايدي بدهشة:
=هي ماما رايحة فين؟
ردت نعمة بتركيز:
_ مش عارفة !
وفجأةً تعلقت أم الديب بثياب جلال، وصرخت بأعلى صوتها بشكل يدل على الاستغاثة، قائلة بنواح:
=حرامي!
يتبع....

الفصل الثاني

بعدما مثلت أم الديب أن جلال قد استغل أموالها بيديه الممتدتين كالظلال، جمعت حشدًا من الناس حوله، تحدثت المحاسب بدهشة قائلًا:

_مالك يا حاجة في ايه؟

تعلقت أم الديب في عنق جلال بيديها المرتجفتين، والممتلئتين بالسخط، وصرخت بصوتٍ مخنوق، وممتلئ بالحرز قائلة:

=الواد دهو سرق مني ٣٠٠ جنيه، وأناي ست تعبانة وشقيانة... ده ربنا العالم جيبتهم ازاي!
رد جلال بصياح:

_ايه اللي بتقوليه ده ياما؟

تفوهت أم الديب بأعوالٍ مستاء وممزوج باليأس، كأنه أنين الروح المتعبة:

=مش عيب تسرق واحدة قد أمك؟ منظر ك ايه يا ولا قدام نفسك؟ يا لهوتي هاتولي فلوسي .

اجتمع الناس حولهم كالسيل الجارف وأمسكوا بجلال بقوة، فصرخ جلال بصوتٍ عالٍ، ومذعور قائلًا:

_انتي بتتهميني ظلم ياما؟

نطق المحاسب بتعجبٍ واضح:

=أنا مش فاهم حاجة... هو ده تبعك يا حاجة؟

رد جلال بصياحٍ جسيم، وغضبٍ متأجج، قائلًا:

_وكتاب الله تبعها يا عم الحاج، بس هقول ايه أمي بتكرهني، وعاوزة توقعني دايمًا .

تفوهت أم الديب بنواح عارم:

=ده آني لو كان عندي واد زيك كنت دبحته، وشربت من دمه يا ولا .

نظرت ليالي إلى نعمة بعينين مليئتين بالدهشة والاستغراب من تجمع الناس وارتفاع أصواتهم، وقالت:

_هو في ايه؟

ردت نعمة برهبة، صوتها يرتجف من الفزع:

=أنا عارفة؟ شكل أمي بتتخانق!

دخل الجميع ناحية موقع حدوث النزاع يتلاحقون كأنهم في سباقٍ مُتسارع، متمنين إدراك الأمر قبل أن يتفاقم، وعندما وصل المعلم حنفي إلى منتصف الشجار بخطوات متعجلة، تحدث بصوتٍ حاد وقوي،

يفيض بالجدية، كأنه يحاول فرض سيطرته على الوضع الفوضوي، وإعادة الهدوء والنظام إلى المكان:

_انتي يا مرا بسمة !

بعد أن وصلوا إليها بعيون مذعورة وقلوب مضطربة، وقف المعلم حنفي حيال أم الديب، وقال بصياح

حار يملأه الانفعال، محاولاً كبح جماح الفوضى وإعادة الأمور إلى نصابها، كأنه يحاول أن يخترق

الصخب بكلماته الحادة:

_انتي بتزعقي ليه يا ولية؟ في ايه يا جلال؟

أجاب جلال بضجيج، صوته يتردد بين الجموع، بينما الناس حوله توقفوا عن أداء أعمالهم واجتمعوا بفضول، واهتمام حول موقع النزاع، محاولين فهم ما يجري والمساهمة في تهدئة الأمور، أو على الأقل

مشاهدة الأحداث تتكشف إزاء أعينهم:

أم الديب الجزء الثاني

=أمي بتتهمني ظلم...إني سرقت منها ٣٠٠ جنيه يابا وعاملة قال ايه أنها متعرفنيش .
جذب المعلم حنفي أم الديب من ملابسها نحوه بعنف، وعقله يحدثه بضرورة سحبها نحو المنزل بسرعة
قبل أن يتضاعف الخزي أمام الناس المتجمعين، فصاح بصوت كامد يهز الأرض تحت أقدامهم، محاولاً
فرض التحكم بالموقف ومنع تفاقم الخزي في هذا المكان المزدهم بالشهود الفضوليين:
_يلا يا ولية قدامي على البيت...يلا .

ردت أم الديب بنواح مؤلم، كأنها تحاول استدرار العطف من كل من حولها، ومن يراها يصدق أكوبتها
المصطنعة، فهي تبكي كالتماسيح بدموع تتدفق بغزارة وكأنها تعيش لحظة حزن حقيقية، على الرغم من
أن ملامح وجهها تخفي خبثاً ومكرًا تحت قناع البكاء الزائف:
=وانت هتصدقه؟ ده عيل كذاب مش متربي .

رد المعلم حنفي بصياح عالٍ، ومليء بالموجدة:

_أني قولت كلمة، ومش هعيدها، قدامي على البيت... يلا!

تحدثت أم الديب ببكاء مؤلم، كأن دموعها تتدفق بلا توقف، وهي تحاول بوضوح استعطاف من حولها،
مستخدمة كلماتها لتثير الشفقة في قلوبهم، وتلتمس منهم الدعم، في محاولة لإخفاء نواياها الحقيقية خلف
ستار من الانتحاب الزائف:

=يا عيني عليا الواد ببسرقتني بدل ما يديني من معاه... يا عيني عليا ست كبيرة وغلبانة .

رد جلال بصراخ مدي، كأن صوته يتردد في الهواء، معبراً عن غضب لا يمكن كتمانها، مجسداً مدى
الاضطراب الذي يشعر به في تلك اللحظة:

_ماشى ياما صبرك عليا!

نطقت ليالي بصياح يغمره الوعيد:

=ماشى يا حماتي هتروحي مننا فين؟ أنا وانتى والزمن طويل .

تلفظت نعمة باهتياج، صوتها ينطلق بقوة، معبرة عن استياءها، وتعبيراً عن مشاعرها المتزايدة
بالانفعال:

_خد أمي معاك يابا وامشوا .

تشبث المعلم حنفي في أم الديب بقوة، ووطأها بقسوة، كانت كلماته تنطلق بصوت مليء بالعنف، كأنه
يحاول بقوة إيقافها، وتوجيه رسالة قوية:

=يلا قدامي يا ولية !

غادر المعلم حنفي برفقة أم الديب، متجهين إلى الشقة المصيفية الهادئة في أطراف المدينة، في حين
انطلقت بقية العائلة بصحبة بعضهم البعض إلى مطعم راقٍ آخر لشراء الطعام. وعندما اكتملت قائمة
الطلبات واستلموا الأكياس المليئة بالأطعمة الشهية، انطلقوا في طريق العودة إلى المنزل الدافئ، وفي
تلك اللحظة المناسبة، حيث كان جلال يلتفت نحو مقبض الباب، تفاجأ الجميع بنظرته الثاقبة وهو يعقد
قراراً صارماً في ذهنه، متعهداً بأن يجعل أم الديب تدفع ثمن ما حدث، قائلاً:

_ماشى ياما صبرك عليا .

نطقت ليالي بضيق عارم، حيث حاولت بجدية أن ترتفع أصوات كلماتها الحادة نحو حماتها المتسلطة،
التي كانت تُعدّ مفسدةً للسعادة ومعتزضةً على كل خطوة تقتربها من حياة الزوجية المستقرة:

=يلا يا عيال ندخل نتخمد...منها لله ستكم اللي بوظت علينا فرحتنا .

أم الديب الجزء الثاني

بينما دخل الجميع، كل واحد منهم يتجه إلى غرفته الخاصة، وفيما بينهم، كان جلال يُرتب أكياس الطعام الخاصة بهم بعناية فوق السراحة، بينما تفكر تقي بتفكير عميق، ومتأمل في الاعتقاد الجارح الذي حفظته عن الجدة، بأنها بقرة كما وصفتها الوالدة، وتتساءل كيف يمكن أن يؤثر ذلك على ديناميكية العائلة المعقدة:

_ماما ماما... هي ستي مش بتتحلب ليه؟

نطق جلال بتعجب، ووجهه يعبر عن الدهشة:

=ايه اللي بتقوليه ده يا بت؟

ردت تقي بسعادة، وابتسامة تملأ وجهها:

_أصل يا بابا، حمود أخويا يقول عليها ستي البجرة، والبجرة بتتحلب... يبقى ليه ستي مش بتتحلب؟

جلس الجميع فوق السرير، ثم نطق جلال بانفعال:

=شوفي حل مع بتك يا ليالي، أنا هتخد، محدش يقيد النور عليا وأنا نايم!

وقف جلال إزاء خزانة الثياب، تنظر عيناه إلى الثياب بنظرة تعبر عن الاستعداد للتغيير، فانتابته حركة سريعة ليقفل ثيابه بحركة متسارعة، كأنه يخلع عبء اليوم وينسجم مع راحة المنزل، واستبدلها بثياب المنزل، تلك الثياب البسيطة التي ترتاح لها عادته وتعيد له هويته الحقيقية. فضحكت ليالي، تلك الضحكة الناعمة التي تنبعث من أعماقها مع كل هزة، تعبيرًا عن فرحتها باللحظة وتوافقها مع حديث ابنتها، وقالت، وهي تحمل في صدرها الكراهية العميقة للجدة، بكلمات هادئة تحمل مزيجًا من الانتقاد، والسخرية المتقدمة:

_عيب يا بت يا تقي متشبهيش ستك بالبقرة... طيب البقرة بتجيلنا لبن، وجبنة وبتفيدنا...إنما ستك بتفيدنا بيايه؟

ردت تقي ببراءة الأطفال، وعيناها تتلألأ بالتفكير، معبرة عن رد فعلها البسيط:

=أصل... أصل هي المفروض تتحلب هتلاقي عندها لبن كثير يا ماما .

ضحكت ليالي، وكانت ضحكتها تنبع من داخلها كأنها نابعة من ينبوع سعادة عميقة، ثم قالت بابتسامة رقيقة:

_عوض عليا عوض الصابرين يارب .

ثم أمسكت بأيدي أولادها، ووقفت معهم ليقوموا بتغيير ثيابهم، استعدادًا لتناول الطعام ومن ثم الاستعداد للنوم، تحتضنهم بحبها ليغمروا في أحضانها الدافئة. كانت الأجواء مغمورة برائحة المشويات اللذيذة، التي تعبق في المنزل وتعزز من حميمية اللحظة، وبينما يستعدون، قالت بابتسامة مشرقة:

_يلا قوموا نغير، وبعدين ناكل وننام .

بعد أن غيروا ملابسهم، جلسوا سويًا وتناولوا الطعام، لكن جلال رفض أن يأكل بسبب تعكر مزاجه، وفي غرفة نعمة، وزوجها، وابنها كانوا يتناولون الطعام أيضًا، لكن هايدي، والمعلم حنفي خرجوا يتناولوا الطعام في البلكون بعيدًا عن أم الديب، وبعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام خلدوا للنوم، فكان جلال ينام بجانب زوجته، وعلى السرير الآخر أولاده بينما في غرفة نعمة كانوا يناموا هم الثلاثة على السرير، لكن في غرفة أم الديب كانت تنام بجانب زوجها، وهايدي تنام على السرير الآخر. ثاني يوم الساعة السادسة صباحًا في بداية ظهور الشمس استيقظت أم الديب من نومها، وهي ترغب في النزول للبحر، فجلست على سريرها، ونادت المعلم حنفي بصوت غليظ قائلة:

=يا حنفي... يا حنفي!

أم الديب الجزء الثاني

لم يستجب المعلم حنفي لنداءها، فأوقعت صفحات متتالية على وجهه، كانت كل صفحة ترافقها شعور بالانتقام المتأجج، وفي حدود صوتها القاسي، قالت بصوت يعبر عن الاستياء:

_يا حنفي... انت يا عرة!

استيقظ المعلم حنفي من نومه، وقال بصياح:

=جرا ايه يا بت ستين فردة شبشب؟ في حد يصحي حد كده؟

صفعته أم الديب على وجهه بأقلام متتابعة، كانت كل صفحة تُعبر عن عداوتها. وبينما كانت تلك الأقلام تتلاحق على خديه، نطقت بصوت محمل بالسخط:

_فوق عاوزة أنزل البحر ياخويا!

تمعن المعلم حنفي في ساعة هاتفه، وقال بتعجب:

=بحر ايه يا ولية اللي على الصبح كده؟ هو احنا نازلين نبيع لبن؟ نامي يا ولية، ولما العيال تصحي نبقى ننتيل نازل .

تلفظت أم الديب بسخط:

_ايهي وأني لسه هستنى؟

رد المعلم حنفي بانزعاج:

=نامي يا ولية، مش كفاية نمت من غير عشا امبارح بسبيك؟

نطقت أم الديب بجلبة:

_ده انت راجل كداب كذب الإبل، أمال مين اللي طفح لحمة الراس، وشوربة الكوارع اللي بالسم

الهاري؟

كانت هايدي ملقاة على السرير، متأرجحة بين اليقظة، والنعاس، لم تتمكن من النوم بسبب علو صوتهم المتتالي. كانت الأصوات تتردد في أذنيها كالموجات المتلاطمة على شاطئ البحر، مما جعلها تشعر بالضيق الشديد. بينما كانت تتذبذب في حيرة بين الاستيقاظ بشكل كامل أو الاستمرار في محاولة النوم، خرج منها صوت كامد، وهي تقول بكل قوة:

=بس بقنانتوا مش بتبطلوا كلام ليه؟

ردت أم الديب بجلبة:

_ انتي بقى يطلعك صوت يا بت؟ يلا قوموا كلكم نازل البحر، ولعلمكم أني أول واحدة هستحمي بعد ما

نرجع، لا تقولي ليالي بت دباح الحمير ولا غيرها!

نطق المعلم حنفي بنعاس:

=نامي يا ولية، ولما العيال تصحي نفطر ونبقى نازل .

أرادت أم الديب أن تفند حجتهم، فنطقت بكلمات تنبع من عمق الاستفزاز، وهي تتأكد من أن صوتها يحمل ثقل السلطة:

_ أني هفطركم ملكمش حجة .

جلست هايدي على سريرها، وعبرت بخوف عارم من التهديدات الصحية التي ستلقاها، حيث أدركت أنها ستنتقل لدار الآخرة بعد تعرضها لحالة تسمم قوية بسبب عدم نظافتها، وكانت عباراتها تنبعث منها بترقب، وإصرار:

=لا أبوس إيدك بلاش، احنا شوية وهنبعت جلال ينزل يجيب الفطار...أوعي تمدي ايدك في حاجة!

ردت أم الديب بدهشة:

أم الديب الجزء الثاني

_ليه مالها ايدي؟ ماهي زي الفل .

نطق المعلم حنفي بسخط:

=يا ولية الله يسترك نامي .

بعد إقناع طويل من المعلم حنفي وهايدي، أخيرًا عادت أم الديب لنومها مجددًا، وهدأت الأجواء في البيت، ولم تمض الساعات كثيرًا حتى وصلت الساعة إلى التاسعة صباحًا، لتكون نهاية ليلة طويلة من الجدالات. خرج جلال من غرفته، وهو يتنأب بصوتٍ مُتعب، يعكس حالة النعاس التي لازمته بعد ليلة مُضطربة، قائلاً:

_يا صباح الخير ياللي هنا .

خرج جلال للصلاة، وإذا بصدمة تعبر عن وجهه حين رأى حامد جالسًا على الأريكة، وهو يُظهر تعبيرًا مندھشًا على وجهه، وقال بصوتٍ مليء بالذهول:

_ايه يا حمو صاحي من امتي؟

أجاب حامد، وهو يشاهد التلفاز بتمعن:

=لسه صاحي... انت مشوفتش اللي حصل؟ ده أمك فضلت تزعق لأبوك، وقال ايه عايزة تنزل البحر .
رد جلال بندم:

_أنا اللي غلطان إني خدتها معانا .

خرجت ليالي من الغرفة، وخلفها جاء حمود، وبينما توقفت وجهات النظر عليه، نطقت بصوتٍ هادي: ِ
=صباح الخير .

رد جلال بابتسامة:

_يلا يا بت يا ليالي أدخلي جهزي السلطة، والمخلل، وأنا هنزل أجيب الفطار من المطعم اللي على أول الشارع .

ونظر لحامد، وأردف بعجلة:

_يلا يا حمو .

وقف حامد، وهو يمرر يده على شعره برفق، ثم نطقت ليالي بلُطف:

=طيب ياخويا خد حمود معاك .

رد جلال:

_تعالى يا حمو معانا .

نزل جلال، وحامد، وحمود معًا لشراء الفطور، وفي الوقت نفسه، بدأت ليالي، ونعمة في غسل الخضار، والفاكهة في المطبخ. استيقظت أم الديب فجأة من نومها، وخرجت من غرفتها بخطى ثقيلة لتدخل المطبخ، وهناك وجدت نعمة تقطع الطماطم، ورأت ليالي تقطع شرائح البصل ببراعة، وتعصر الليمون فوقها. فلم تتمالك أم الديب نفسها، وقالت بدهشة:

=انتي بتعملي ايه يا بت منك ليها؟

ردت نعمة بسعادة:

_صباح الخير ياما... احنا بنجهز الفطار .

ردت أم الديب، وهي تتنأب بشكل لافت، صوتها ينطلق بين الثنايا بنبرة تعب تعكس الاستيقاظ المفاجئ، والحاجة الملحة للاسترخاء:

أم الديب الجزء الثاني

=اعملوا حسابي يا بت في قدرة فول وخمستاشر قرص طعمية .

تعجبت نعمة، لذا قالت بذهول:

_ايه ياما كل ده؟ هو فيل اللي هياكل؟

نطقت أم الديب بصوت حاد:

=ايهي بلاش آكل يعني؟ أجوع ويغم عليا يا بت؟

ردت نعمة بخور:

_لا ياما بس مش للدرجة دي يعني !

خرجت أم الديب من المطبخ، واستقرت على الأريكة في الصالة، حيث كانت تبحث عن لحظة من

الراحة، والهدوء. فجأة، دخلت تقى ووقفت حبالها، نبرة صوتها تعكس الاهتمام، وقالت بفضول:

=ستي... ستي .

ردت أم الديب بانزعاج:

_عاوزة ايه يا مخفية؟

نطقت تقى بابتسامة:

=أنا عاوزة لبن .

ردت أم الديب، وهي تشاهد التلفاز بلا مبالاة، عيناها تتبع الحركة على الشاشة بدون انتباه حقيقي،

ووجهها يعبر عن غياب التفاعل:

_روحي لأمك تجيبلك .

ردت تقى بابتسامة:

=لا، ستي أنا عاوزة لبن منك... هاتيلي كوباية .

نطقت أم الديب بتفكير:

_ايهي أني مش فاهمة حاجة !

بعد مرور ربع ساعة، عاد جلال، وحامد، وحمود بأكياس الفطور، ودخل جلال المطبخ بخطواته الثقيلة،

وهو يحمل الأكياس بترتيب، وفي لحظة من الترقب، نطق بصوت يعبر عن الانتظار الملحوظ:

=يا نسوان ياللي هنا، أنا جيببت الأكل... افرشوه في الأطباق خلونا ناكل .

ردت ليالي بتعجب:

_انت جيت؟ هات .

استلمت ليالي أكياس الطعام من جلال بيديها المرهقة، وبدأت في تفريغهم في الأطباق بحركات منظمة،

وكانها تنقل الاهتمام في كل تحرك. بينما جلال جلس على الأريكة، لم يمض وقت طويل حتى لاحظ

ابنته تبكي بصوت عالٍ، فاندesh وقال بصوتٍ مليء بالتعجب:

=بتعيطي ليه يا بت؟

أجاب تقى بانتحاب:

_ستي مش عايزاني أحلبها .

ضحك جلال بصوتٍ ينبعث منه الفكاهة، ثم نادى ليالي بصوتٍ عالٍ:

=يا ليالي تعالي خدي بتك .

ردت أم الديب بصياح:

_هو ايه اللي أحلبها؟ ما جرا ايه يا بت انتي شايفاني جاموسة قدامك؟

أم الديب الجزء الثاني

بعد قليل، خرجت ليالي لثَعَجَل فطور الصباح المصري الشهير، حيث امتزجت نكهات الفول البلدي المغموس في زيت حار مع الفلافل الذهبية، والبطاطا المقلية المقرمشة، ورقائق الباذنجان المحمرة، والجُبْن القديم بالطماطم، ونعمات العسل الأسود الممزوج بالطحينية، والمخلل المُنعش، وشرائح الشيبسي المقرمشة، وقارورة المياه المتلجة تناغمت معهم على المشمع البلاستيكي المنسوج بعناية. كانت الأطباق علو أيديهم وهم يجلسون بها، جميعهم، يستمتعون بلذة الطعام، ويتبادلون الأحاديث الودية في ظل جو عائلي دافئ، وبعد أن شربوا من قارورة المياه وأكملوا وجبتهم، وقفت ليالي، ونعمة بترتيب الصحون وغسلها بحنان، ودخلت كل منهما لتلبس البوركيني الخاص، فيما نزل البقية من العائلة بحماس إلى الشاطئ، حيث غمرتهم أمواج البحر بانسجام، وهم يتبادلون الضحكات والمزاح تحت إشراف المعلم حنفي، الذي أبدع في الاستمتاع باللحظات الجميلة معهم:
=ياه هو ده البحر يا عيال؟ ده آني هنزل أبلبط .
رد جلال بسعادة:

_ انزل معانا يابا، ومتبعدهش ألا تغرق !

نطق المعلم حنفي بثقة:

=لا ياض متقلش عليا... أبوك أسد .

نزلت العائلة إلى الشاطئ، وتفرقوا فيما بينهم للاستمتاع بالمياه، إلا هايدي التي بدت مشمئزة من منظر البحر، ورائحته، ولونه، فاكتفت بالجلوس أمامه، توجه ظهرها نحو البنائيات. بينما أم الديب دخلت خلف المعلم حنفي، ووصلت للجزء العميق من البحر، فانطلقت صراخًا قائلة:
_ يا لهوتي .

بدلاً من أن تحاول الخروج بسرعة، اختارت أن تنتشبت بعنق المعلم حنفي بشدة، حتى أغرقته في أعماق البحر. صاح جلال بصوت ينبع من الفزع:
=أبويا!

صاح المعلم حنفي قائلاً باستغاثة:

_ الحقوني الولية هتموتني !

جرى جلال بسرعة نحو المعلم حنفي، وهو يتلهف لإنقاذه، بعجيجه الحار، وهو يقول:
=متخافش يابا، أنا هلحقك .

تفوهت أم الديب بنواح:

_ الحقوني يا خلق!

أمسكه جلال بسرعة، وبمساعدة حامد، جذبا المعلم حنفي، وأم الديب من أعماق البحر، وسحباهما بجهد شديد إلى الشاطئ. وقام جلال بتنفيذ عملية التنفس الاصطناعي للمعلم حنفي بحذر شديد، في حين تأمل الجميع في أن يعود المعلم حنفي إلى الوعي. وفي مفاجأة مذهلة، بدأ المعلم حنفي يعود إلى الحياة، مستعيداً تدريجياً إدراكه، وهو ينطق بألم:
=آه .

رد جلال بحزن:

=سلامتك يابا ألف سلامة عليك... انشالله اللي يكرهك .

نطق المعلم حنفي بإعياء:

_ تعبان أوي ياض يا جلال .

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت نعمة بفرع:

=سلامتك يا بابا .

تلفظ حامد بتأثر:

_سلامتك يا حمايا .

نفوخت ليالي باستياء:

=ألف سلامة يا حمايا، يارب اللي كان السبب .

وقفت أم الديب، وعبارات الامتعاض تتناغم مع صوتها المرتفع:

_هي مين دهيا يا بت؟ قصدك على مين؟

ردت ليالي بلا مبالاة:

=هيكون قصدي على مين يا حماتي؟ شوفي اللي كان السبب واعرفي .

نطقت أم الديب بصياح:

_انتي بتلقحي عليا يا بت؟ ده آني هطين عيشتك .

حاولت أن تطأ الأقدام أرض النزاع، لكن في تلك اللحظة توقف جلال في وسطها، كي يحل الشجار قبل أن يشتعل، فخرج صوته بحدة:

=ملكيش دعوة بليالي ياما ولا ليكي دعوة بأي حد يخصني!

نطقت ليالي بسخط:

_لو قربتي مني يا حماتي أنا هصوت وألم الناس كلها وأقولهم شوفوا حماتي بتفتري عليا ازاي!

تلفظت أم الديب بنواح:

=اعملها يا بت سلامة دباح الحمير، وشوفي آني هعمل فيكي ايه !

رد جلال بصياح:

_بقولكم ايه، فضوها كلام خلونا في أبويا .

تلفظ المعلم حنفي بإعياء، وهو مشيرًا إلى الشازلونج:

=اسندني ياض عاوز أنام على السرير ده، وانزلوا انتوا... آه... انتوا ملكوش ذنب .

رد جلال بتعاطف:

_طيب بابا قوم معايا .

أمسك جلال وحامد بالمعلم حنفي، وجلسوه على الشازلونج، ثم عادوا إلى مجدافهم في البحر. فقال جلال بحماس:

=يلا يا ليالي ننزل قبل اليوم ما يخلص .

نطقت ليالي بغم:

_يلا ياخويا احنا ملناش دعوة باللي بيحصل...يلا يا عيال .

صعدت هايدي إلى الشقة المصيفية، وجلست في البلكونة، وفي قلبها كل التمنيات بأن تنتهي أيام المصيف التعيسة، وتعود إلى ديارهم. في الوقت نفسه، استغلت أم الديب أن جميع الحاضرين منشغلين بالسباحة، فتقدمت بهدوء نحو المعلم حنفي النائم، وبحركة ثابتة سحبتة بلطف بيدها، ثم ألقت به بقوة إلى أعماق المياه. حين استفاق المعلم حنفي فجأة، وجد نفسه وسط أمواج البحر، فأطلق صرخة مكتومة من شدة الدهشة، محاولاً النجاة قائلاً بفرع:

=آه الحقوني، يا جلال الحق أبوك... جلال !

أم الديب الجزء الثاني

أثناء ما كان جلال يسبح، سمع نواح والده يتداعى عبر أمواج البحر، فصمت، وهو يتأمل الوضع بقلق، وقال:

_ الصوت ده مش غريب عليا .

انصدمت ليالي، وقالت بصراخ:

=الحق يا جلال أبوك بيغرق!

فر جلال مسرعًا نحو والده، وهو يقول بصدمة:

_ يا نهار أبيض .

تشبث جلال بوالده، وصدح صوته في أذن المعلم حنفي قائلاً:

=انت ايه اللي نزلك تاني يابا؟

ارتجف المعلم حنفي، ونطق بصعوبة بين رثتيه:

_ أمك... أمك سحبتني وأني نايم...أني متأكد أنها هي اللي عملت كده .

اقترب جلال من والدته بخطى متثاقلة، وبدت على وجهه علامات الاضطراب، وفجأة، اندفعت منه

كلماته بصوت مرتفع، وملىء بالانفعالات، وهو يقف أمامها:

=ما جرا ايه ياما؟ ينفع اللي بتعمليه ده؟

لكن أم الديب متظاهرة بالنوم، وكأنها تسبح في سيات عميق. أمسك جلال بوالده، واستحضر كل قوته

ليخرجه من أعماق البحر المضطرب، ثم نطق بصوت مليء بالضيق:

_ قوم معايا يابا نطلع الشقة ونغير .

نطقت ليالي بدهشة:

=رايح فين يا جلال؟

رد جلال بامتعاض:

_ هطلع أبويا ونازل تاني ماهو باينله يوم حلو من أوله .

صعد جلال بوالده حتى أطمئن أنه نام بسلام على سريرته، ثم نزل مجددًا. فقالت أم الديب، متظاهرة

بالسكون:

=أني هنزل البحر .

جاءت نعمة من بعيد، مرافقةً بزوجها، وابنها، وفي يدها طبق الترمس المليء بالليمون المنعش. انتشلت

عينها حولها ببحث مُتسارع عن المعلم حنفي، لكن دون جدوى، فوجدت نفسها تتساءل في دهشة تامة:

_ ايه ده ياما أبويا فين؟

ردت أم الديب بتجاهل:

=الواد جلال خده طلعه .

نطقت نعمة، وهي تستمتع بمذاق الترمس:

_ ليه ماله زهق ولا ايه؟

وضعت ليالي يدها بغضب على خصرها، ونطقت بكلمات حادة:

=أبوكي غرق يا نعمة لتاني مرة .

صاحت أم الديب في وجه ليالي قائلة بنبرة ملتهبة:

_ وانتى مالك يا مقصوفة الرقبة؟ ايه دخلك يغرق ولا ميغرقش انتى مالك يا بت؟

ردت ليالي بجلبة عارمة:

أم الديب الجزء الثاني

=بقولك ايه يا حماتي اتعدلي معايا شوية ألا أنا بقيت على أخري منك!

نطقت أم الديب بصياح:

_ ايهي شوف البت بتكلم حماتها ازاي؟ أني هخلي جوزك يعلمك الأدب .

حضر جلال بخطوات ثابتة من بعيد، وأردفت أم الديب بصوت متوتر:

_ أهو جه .

ونادته قائلة بضجيج:

_ واد يا جلال... انت يا ولا!

رد جلال بفضول، وهو يقف حياها بكمد، بينما ترتفع عبارته في الهواء:

=في ايه ياما بتندهي ليه؟

أجابنا أمالديب بشحناء:

_ مراتك بتشتمني... بتقولي يا ولية يا عجوزة ياللي وشك يقطع الخميرة من البيض!

نطق جلال بصوت حاد:

=الكلام ده حصل يا بت يا ليالي؟

تلفظت ليالي بجلبة:

_ والله ما حصل يا جلال..دي أمك كدابة .

اقتربت أم الديب بخطوات ثقيلة وتنوي ضرب ليالي، ووجهها ينبعث منه الغضب المتقد، وصدورها

يتنفس بسرعة:

=هي مين دهي اللي كدابة يا بت؟

تحدثت نعمة برهبة:

_ ياما...يا ليالي...اللهي يستركم بطلوا مشاكل وخناق دهانتوا زي الناقر ونقير مع بعض .

تلفظ جلال بصياح:

=يلا ياما اطلعي...كفاية عليكي كده!

ردت أم الديب بعجيج:

_وانت اللي هتحكم عليا يا عيل يا أبو شخة انت؟

نطق جلال بصراخ:

=احترمي سنك ياما أنا مش عيل، أنا راجل متجوز ومخلف عيلين!

ردت ليالي بسخط:

_ جوزي مش عيل يا حماتي عشان تبقي عارفة !

ظل النزاع مستمرًا كالنار في الهشيم حتى أرخى الليل سدوله عليهم، فتنهد جلال قائلاً:

=يلا يا ليالي نطلع...عايزك تحمي العيال عشان نروح نشترى أكل ونلف شوية .

تحدثت نعمة بضيق:

_ يلا يا ليالي نطلع .

ردت ليالي:

=ماشني...يلا يا ولاد .

أم الديب الجزء الثاني

بمجرد أن وصلت أصوات اتفاقهم إلى مسامع أم الديب، انطلقت مُسرعة كالسهم نحو الأعلى، تجري بكل ما أوتيت من قوة، وعزم، تقاوم بطأها الشديد بجهد جهيد، لتثير دهشة ليالي التي شاهدت اندفاعها المفاجئ نحو السكن، فتساءلت باستغراب:

=هي أمك بتجري كده ليه؟

رد جلال بذهول:

_أنا عارف؟

صعد الجميع إلى الشقة بخطوات مثقلة بالأحداث، ودخلت ليالي بأبنائها تتجه نحو المرحاض، فإذا بها تصدم بمشهد أم الديب التي كانت تغني فيه كالعصفور، فجاء جلال من خلفهم وطرق الباب بلطف قائلاً بانزعاج:

_ياما... افتحي ياما !

ردت أم الديب بصياح:

=عاوز ايه يا منيل؟

تفوه جلال بحدة، وسخط:

_اطلعي ياما معانا عيال صغيرة عايزين يتشطفوا .

ردت أم الديب بلا مبالاة:

=ستهم تتشطف الأول .

قالت ليالي بضيق متزايد:

_يادي النيلة اللي فوق دماغنا...أهو أنا مبحبش كده، هنفضل واقفين ننشف في الهوا يا جلال .

رد جلال بصبر نافذ:

=خلاص يا بت استني عشر دقائق وأمي هتطلع .

جلس الجميع حول طاولة الطعام على كراسيها الخشبية، ومرت ساعة كاملة ثقيلة على نفوسهم، حتى خرجت أم الديب من المرحاض أخيراً، فنهض جلال من مكانه، وقد ارتسمت على وجهه علامات الدهشة، وقال متعجباً:

=كل ده ياما؟ هو في حد بيستحمي ساعة؟

ردت أم الديب بوضوح:

_أني مستحمتش .

صاح جلال بصوت مرتفع وكأن البركان انفجر بداخله، قائلاً:

=أمال كنتي بتعملي ايه جوا كل ده؟

ردت أم الديب بسخرية:

_كنت برش مائة على الأرض يا ولا .

برزت عروق عنق جلال كأنها خيوط من الامتعاض المتدفق، واشتد لون وجهه ليصل إلى درجة الأحمر القاتم من شدة العصبية، حتى أنه ظهر وكأنه يتسامى بين دقات القلب، فصاح بصوت يهز الأركان:

=يارب صبرني على الابتلاء اللي أنا فيه .

وأردف لزوجته بانزعاج ملحوظ:

=أدخلي يا ليالي شطفي نفسك انتي والعيال .

أم الديب الجزء الثاني

دخلت ليالي إلى المرحاض مع أبنائها، وجلال استقر على الكرسي مجددًا، يعكس تفكيره العميق. في الوقت نفسه، دخلت أم الديب الغرفة حيث كان المعلم حنفي مستلقيًا على السرير، وبصوت حاد، وشديد اللهجة، همست له بكلمات تكشف عن سخطها المكبوت:

_وسع رجلك يا راجل انت !

رد المعلم حنفي بتعنت صامت يفيض بالحزم، كما لو أن كل كلمة ترتد عبر جدران الغرفة بتقلها الصامت، معبرًا عن إصراره بكلمات قليلة ولكنها حادة كسيف مسنن:

=مش هوسعها...ايه رأيك بقى؟

ردت أم الديب بصراخ مرتفع يمزق الهواء، كأنها تطلق صرخة تحمل في طياتها عواطفها المتقلبة:

_هتوسعها غصب عن اللي جابوك!

وأزاحت ساقيه من أمامها بعنف مفاجئ، فانفجر المعلم حنفي بصوت يرتفع في الهواء، يعبر عن ألمه المتصاعد:

=آه يا رجلي !

بعد أن انتهت ليالي، وأولادها من الاستحمام، خرجوا من المرحاض وارتدوا ملابسهم الجديدة بعناية فائقة، فدخلت نعمة لتغسل جسد ابنها أولاً بحنان، ثم جلال، وحامد، وفي النهاية المعلم حنفي، ولأكثر من ساعتين، استعدوا بتركيز للحظة الكبرى للخروج إلى الشارع، حيث أعجب جلال بنفسه، وهو منبهر بالترتيب المتقن لكل هذه الإجراءات، فوجد نفسه يقول بهدوء، وتأمل عميق:

_لو هحصل زي المرة اللي فاتت يبقى خدي نفسك ياما، واطلعي أديني بقولك من أولها .

نطقت نعمة بابتسامة خافتة:

=خلاص يا جلال أمك عرفت غلطها .

رد جلال بارتياح:

_أنا بأكد عليها بس .

تلفظت أم الديب بابتسامة ماكرة:

=وهي دهني تيجي مني برضة؟

نطق جلال بصوت مرتجف من الترقب:

_ماهي ياما مش بتيجي إلا منك انتي!

تفوهت ليالي بصوت حاد يهز الهواء:

=يلا يا جلال مد خطوتك خيلنا نجيب الأكل .

هذه المرة، اشترى جلال ثلاث دجاجات مشوية على الفحم، وثمانية طواجن من الأرز المعمر، وخمسة طواجن من الخضار بالصلصة إلى جانب الطحينة، والمخلل، وبعدها جلسوا على طاولتين متجاورتين أمام البحر في أجواء رائعة، جرب جلال دبوس الدجاجة، وهو يعرب عن سعادته، وتلذذه قائلاً:

_الله...دوقوا الفراخ يا عيال، ايه الحلاوة دي؟

تذوقت ليالي لحم الدجاج بهجة، وأعربت بسعادة:

=الله يا جلال دي طعمها زي السكر .

وضعت نعمة نصف الدجاجة إزاءها، وزوجها، بينما كانوا يتقاسمون الطعام على طاولة العشاء، وفي لحظة من الراحة، أعلنت بصوت هادئ:

_كل يا حمو، خير ربنا كثير .

أم الديب الجزء الثاني

أشارت أم الديب بيدها باتجاه الدجاجة، بتأكيد، وحزم في تعبيرها:
=ناولني يا ولا ورك الفرخة دهو .
رد جلال، وهو يأكل بلذة:
_ ده بتاع العيال ياما .
قالت أم الديب بسخط:
=ايهي مستخسر في أمك الأكل؟
تشبثت أم الديب بدبوس الدجاجة المخصص لحفيدها حمود، والتهمت نصفه بسرعة فائقة، ليندفع حمود
بصرخة كامدة:
_ ستي أكلت أكلي... عا .
نطق جلال بصوت مشحون بالعصبية:
=ايه ياما اللي عملتية ده؟ مش قولتلك ملكيش دعوة بأكل العيال !
ردت أم الديب، وهي تنهش في لحم الدجاج:
_ بيقوا ياكلوا عيش بجزر .
تلفظ جلال بتعجب:
=جزر ايه ياما انتي شايفاهم أرانب؟
بكى حمود بحرقة، وصرخ قائلاً بصوت ملتهب:
_ هاتولي أكلي، عا .
جرت تقى بسرعة نحو أم الديب، وفي يدها كوب بلاستيكي فارغ، وأعربت عن سعادتها قائلة بابتسامة
واسعة:
=ستي ستي ينفع أحلبك؟ عايزة كوباية لبن .
ردت أم الديب بصوت غليظ:
_ امشي يا بت... أني هفرمك انتي واللي جابوكي!
خافت تقى من صوت جدتها الغليظ، فجريت مُسرة لتلتفت حول والدتها وتحتضنها بقوة، وعندها قالت
ليالي بحنان:
=ملكيش دعوة بستك يا تقى .
بعد أن انتهوا من تناول الطعام ووضعوا البقايا في الأكياس، ورموها في سلة القمامة، توجهوا إلى
الملاهي. ووقف جلال أمام لعبة العروس الدوارة، وفي لحظة من التأمل، والفرح، قال:
_ شايف يابا البتاعة اللي بتلف بسرعة دي؟
نطق المعلم حنفي بذهول:
=أبوة ياض دي بتلف بسرعة أوى .
رد جلال بحماس متفجر:
_ تعالي نركبها .
تحدثت أم الديب بلهفة:
=خذوني معاكم .
رد جلال باعتراض واضح:
_ مش هينفع ياما...دي صعبة أوى .

أم الديب الجزء الثاني

قالت أم الديب بإصرار:
=مليش فيه يا ولا...ركبوني معاكم .
ردت نعمة بابتسامة تمتد على شفيتها:
_متزعلش أمك منك يا جلال، وبعدين أنا كمان هركب معاكم .
وأردفت لليالي:
_خدي بالك يا ليالي من الواد !
ردت ليالي برعاية:
_متخافيش يا نعمة...ابنك زي ابني بالظبط !
نطقت نعمة بود:
=انشالله تنستري يارب .
ذهب جلال، وحامد، والمعلم حنفي، وأم الديب، ونعمة بحماس نحو نقطة بيع التذاكر للعبة المثيرة. بعد اختيارهم للتذاكر المناسبة ودفع ثمنها ببهجة، انطلقوا ليستمتعوا بالمغامرة في منطقة اللعب. بينما انتظروا بفارغ الصبر، بدأت اللعبة تتحرك ببطء متزايد، ومع تسارعها المتدرج، زادت الأجواء إثارة وتشويقاً، حيث تآرجحت المقاعد بلطف ثم بقوة مع كل منعطف. ضحكات جلال المنبعثة تعكس فرحته، وهو يعبر ببهجة:
_ياه يابا ده اللعبة لسه بتسخن .
ردت المعلم حنفي ببهجة:
=أيوة ياض أني همسك جامد ألا أقع .
تشبث الجميع بأذرع اللعبة الحديدية بينما زادت سرعتها، وفي لحظة من الإثارة، قال جلال بسعادة منقطعة النظير:
_الله يابا ده السرعة زادت .
عندما تحرك المسمار في مقعد أم الديب ونعمة، وكادت السيارة أن تسقط، سارعت أم الديب لاستخراج المفك من كيس المحتويات الذي كان مخبأً في صدرها، وحاولت ربطه بسرعة. لكنها بدلاً من ذلك، قامت بفكه بالخطأ، فأطلقت نعمة صرخة حادة من الهلع:
=يا لهوتي الحق أمك يا جلال ماسكة المفك وبتفك العربية اللي احنا فيها...يا لهوتي !
ردت أم الديب بصياح:
_بتقوليله ليه يا بت؟ ايهي هي مش راضية تتربط ليه؟
نطقت نعمة بصوت صراخ يملأ الأجواء، وهي تلمم وجهها بقلق جسيم:
=يا لهوتي هنموت !
نظر جلال خلفه بانفعال أثناء دوران اللعبة في اتجاهها، ورفع صوته باتجاه أم الديب قائلاً بعبارة تنطلق من عمق الفزع وتصل إلى جوهر المشهد الشنيع:
_أوعي ياما...ايه اللي بتعمله ده؟

نظر المعلم حنفي خلفه بنظرة حادة، واندفع بصوت مغمور بالامتعاض قائلاً بنواح:
=يخربيتك على يخربيت اليوم اللي اتجوزتك فيه .

لكن أم الديب، متجاهلة صياح الجميع نحوها، أعطت كل انتباهها لربط المقعد الذي تم فكه مراراً، وتكراراً. وفجأة، عندما طار المقعد مع أم الديب، ونعمة في الهواء، وحينما خرجت نعمة بنفسها من

أم الديب الجزء الثاني

المقعد وطارت في الفضاء، صدحت صيحاتها بألم لا يوصف، محاولة استرداد السيطرة والتوازن في ظروف غير متوقعة، وخطيرة:
_يا لهوتي .

أم الديب صفقت وهي تحلق في الهواء كنعمة تستكمل طيرانها، مظهرًا عجائب الحركة، وسحر الإثارة بينما تراقب الأرض من أعلى كالأطائر الحر في السماء، نطقت بذهول:
=يا حلاوة يا عيال .

عندما سقطت أم الديب ونعمة على الأرض، تحطمت ساق نعمة بشكل مروع، وأصيبت أم الديب بفقدان الوعي فورًا. بينما سارع الناس للتجمع حولهما، تمزقت صرخات نعمة المليئة بالألم، تمتزج مع صرخات الناس الذين حاولوا مساعدتهما في هذه اللحظة الحرجة:

_آه هموت...مش قادرة...الحقوني!

اقترب حامد منها بحذر يخترق كلماته، وهو ينظر إلى زوجته بعينين ممتلئتين بالقلق، وقال بصوت مرتجف:

=مالك يا نعمة جرالك ايه؟

تحدث جلال بفزع عارم:

_انتي كويسة يا بت؟

نطقت هايدي بصدمة، صوتها يرتعش وعينيها تعبر عن القلق:

=طيب يا جماعة شدوها براحه !

بدلاً من أن يرحم المعلم حنفي زوجته في هذه الظروف اللصبة، فعل العكس تمامًا. قام بجرها من ملابسها على الأرض بلا رحمة، وهو يخرج الغل والكيد الذي يكنه داخله اتجاهها، كأنه يوجه لها أقسى اللوم بصراخ يتناثر في الهواء كالسيوف المسننة:

_مش هسيبك يا بسمة، آني هخنقك بإيديا دول اللي مضوا على جوازك مني...ياريتهم كانوا اتقطعوا ولا آني أتجوزك وأصطحب وأتمسى على خلقتك دي كل يوم .

فاقت أم الديب، وصوتها يعلو في الهواء كصرخة من داخل الجحيم، تنطلق بقوة تعبر عن العذاب الجارح في وقت لا يحتمل الألم:

=حد يلحقتي يا خلق !

سحب المعلم حنفي أم الديب من ملابسها بعنف، وصوته يتجاوز حدود الانفعال، وهو يصيح في وجهها بكلمات تنطلق كصاعقة من الغضب المُتجهم:

_هقتلك وأشرب من دمك !

ردت أم الديب بنواح:

=حد يلحقتي منه !

في الحال، ذهب العائلة بنعمة إلى المستشفى، تاركة المعلم حنفي، وأم الديب وحيدَين. فقام المعلم حنفي بأخذ أم الديب إلى السكن المصيفي، ودخل بها الغرفة، ثم خرج ليحضر الحبل، وعاد مجددًا ليربطها، وفي هذه اللحظة الدقيقة، صاحت أم الديب بصوت يعبر عن الألم، كلماتها تتدفق بين النزيف الجسدي والجروح النفسية التي تعانيتها:

_انت بتعمل ايه ياخويا؟

أم الديب الجزء الثاني

رد المعلم حنفي، وهو يربطها بحزم، وهدوء متناقضين، يعكسان تضافر الرعب، والرحمة في وقت واحد، كما لو كان يجسد صراعًا داخليًا من القسوة المطلقة:
=هربطك يا ولية يمكن ربنا يسهل ويأخذك ونرتاح منك .

نطق أم الديب بنواح:

_الحقوني يا ناس...انجدوني من الرجل المعتقد ده .

رد المعلم حنفي بإغتيال ملحوظ، وجهه يعبر عن الغضب المتصاعد، كأنه يواجه مشهدًا يتجاوز قدرته على التحمل:

=وعلشان أني معتق فهفضل رابطك وهروح أعمل كوباية شاي أعدل مزاجي، وأتصل بجلال أعرف نعمة عاملة ايه، وخليكي انتي هنا يا ولية .

ردت أم الديب بإعوال:

_يا ناس الحقوني!

خرج المعلم حنفي من الغرفة بعد أن ربط أم الديب، وأوصد الباب خلفه، بينما كانت بقية العائلة تقف حول نعمة في غرفة الطبيب، تترقب أخبارًا مريبة. فقالت ليالي بحزن مكبوت، كلماتها تتناغم مع لوحة الخوف المتدفقة حولهما في النقم:

=استرها علينا يارب .

تحدث جلال بقلق يملؤه الحيرة، صوته ينعكس فيه الترقب:

_يا دكتور الله يستر، البت نعمة أختي وقعت من لعبة الملاهي، ورجليها بتصوت منها...شوفلنا حل .

اقترب الطبيب من ساق نعمة بخطوات متأنية، ليفحص الإصابة بدقة. وفي لحظة من الترقب، قال بصوت مليئًا بالاهتمام:

=تمام وريني رجلك يا أنسة .

أخرج جلال المطوى من جيبه بحركة سريعة، ووجهه يعبر عن الغضب المتقد، وقال بصوت مليء بالسخط المتوقع:

_أمال الواد اللي قصادك ده ابن مين يا معلم؟

رد الطبيب بجلية:

=نزل القرف اللي في ايدك ده...أنا هعملك محضر تعدي على طبيب أثناء عمله!

تلفظ حامد بخوف:

_يا باشا متحطش في دماغك، جلال مخه تعبان... متأخدش على كلامه !

صاح جلال بكمد منين، كلماته ترتد في الغرفة مثل صدى من الانفعال المشتعل، قائلاً:

=مين ده ياض اللي مخه تعبان؟ ياض خلي عندك نخوة، ده بيقول على مراتك أنسة يعني بيغلط فيها أمال ابن أختي ده جه منين؟

ردت هايدي بدهشة:

_هو مش المفروض العكس لما يقول مدام وهي أنسة؟ ما تكبر دماغك يا جلال.

ثم نظرت للطبيب، وأردفت بابتسامة:

_معلش يا دكتور حقا على دماغي...مممكن تكشف عليها؟

أم الديب الجزء الثاني

نطق الطبيب بضجيج:

=اطلعوا برا .

ردت هايدي بإحراج:

_معلش يا دكتور هاتها فيا...أنا بعذرلك بالنيابة عنهم احنا في ورطة ومحتاجين حل .

هدأ الطبيب نوعاً ما، صوته ينطلق بارتياح، وهو يتحدث:

=أنا هعمل كده علشان حضرتك يا أستاذة شكلك غيرهم ومتربية .

تلفظت هايدي بابتسامة:

_ميرسي يا دكتور .

صاح جلال بغضب متصاعد، صوته يرن في الهواء مثل صدى الاستياء المتنامي، قائلاً:

=ما جرا ايه يا عمهم؟ انت هتسبل لأختي وأنا واقف؟

تلفظ الطبيب بصياح:

_احترم نفسك واطلع برا !

أمسك حامد بجلال بقوة، ونبرته تعكس الهدوء والتحكم، وقال بصوت مهدئ:

=تعالى معايا يا جلال نشم شوية هوا برا...ألا الجو هنا نار .

قال جلال بعجيج حار:

_ما تقول ياابا...عرفني يمكن أنا قرطاس لب وأنا معرفش !

تحدثت هايدي بصياح مفاجئ يعكس شدة إحراجها، صوتها يتسارع بين الكلمات كنبضات القلب في

لحظة من التوتر العارم:

=يوه أخرج بقى يا جلال، هو ده وقت مشاكل؟

خرج حامد بجلال من غرفة الطبيب، وكانت هايدي تشعر بأنها عالقة في منتصف ثيابها من تصرفات

جلال تُجاه الطبيب. فقالت بخجل يغمر كلماتها:

=أنا أسفة بجد يا دكتور...ممكن تكمل؟

واصل الطبيب الكشف على ساق نعمة المصابة بتركيز شديد، وطلب منهم إجراء أشعة لتحديد مدى

الإصابة، وبعد أن أُجريت الأشعة وعادوا بها، نظر الطبيب إلى النتائج بتركيز، ثم قال بتمعن في صوته:

_رجليها فيها كسر ومحتاجة تتجيب .

انصدمت ليالي، فصرخت قائلة:

=يا نهار... طب وهتقعده فيه قد ايه؟

أجاب الطبيب بوضوح:

_يعني شهر كده وينفك .

أقتربت ليالي من نعمة ببطء، وحركت يدها برفق على كتفها، لتعبر عن التعاطف، والدعم، وهي تواسيها

قائلة بكلمات ممزوجة بالحنان:

=معلش يا نعمة...بختك المايل إن دي أمك .

ردت نعمة باستياء:

_أنا عاوزة أروح...منك الله ياما .

نطقت هايدي بعصبية، صوتها ينطلق بحدة، كأنها تعبر عن امتعاض متراكم:

أم الديب الجزء الثاني

=هو في حد عاقل يعمل اللي هي عملته؟ دي فكت العربية بالمفك، أنا معرفش جابت المفك ده منين؟ ولا عملت كده ليه اصلا؟

تساءل الطبيب بذهول:

_والدة حضرتك مختلة عقليًا؟

ردت ليالي ببغضاء:

=أه أمها ست مخها تعبان بعيد عنك .

بعد أن قام الطبيب بوضع الجبس على قدم نعمة، وخرجوا بها من المستشفى وسط جو من الهموم، تعبيرًا عن المأساة التي حلت بالعائلة. قال حامد بصوت مليء بالتأثر، كلماته تتناغم مع الاستياء الذي يخيم على الجميع في هذه اللحظة الصعبة:

_سلامتك يا نعمة... يارب اللي يكرهك .

رد جلال بنية إنتقامية، ووجهه يعكس الحسرة المتصاعدة، والعزم على التصرف بشكل قاسي:

=أمك ليها حساب عسير معنا .

بعد أن وصلوا إلى الشقة، كان جلال يتساند نعمة بمساعدة حامد، وهو ينطق بكلمات تعبر عن العناية، قائلاً بصوت مليء بالحنان:

_براحة معايا يا نعمة .

حتى وصلوا بها إلى السرير، ثم دخل جلال المطبخ، ووجد المعلم حنفي يصنع الشاي. توقف للحظة، ثم قال له بصوت ممتزج بالتساؤل:

=انت بتعمل ايه بابا؟

أجاب المعلم حنفي بارتياح:

_بعمل كوباية شاي أعدل بيها مزاجي اللي اتعكر... البت أختك عاملة ايه دلوقتي؟

رد جلال باستياء:

=رجليها اتكسرت بابا ده كويس أنها جات على قد كده .

تفوه المعلم حنفي بضيق جسيم، وهو يقلب السكر في الشاي بحركات مُتسارعة، صوته يرتفع بينما يعبر عن الضغينة، كأنه ينطق بكلمات من الجمر في ذلك الوقت المُضطرب:

_أمك مخها زرخ مابتفهمش .

تساءل جلال بفضول ملتهب، وهو يبحث عن إجابات:

=أما صحيح هي فين؟

أجاب المعلم حنفي بصراحة:

=حاسبها يا ض .

دخل جلال الغرفة وفاجأه الإطالة المروعة لأم الديب، مربوطة بالكرسي، وهي تصدح بشكل مفزع، كلماتها تتألم مع كل نفس يخرج منها، تنادي مستتجدة بصوت يعبر عن حجم الألم الذي يعصف بها:

_يا لهوي يأتي حد يوديني للدكتور... رجلي اتلوت يا ناس !

تلفظ جلال بشماتة محنقعة، وهو يعبر عن فرحته بطريقة ساخرة، كما لو أنه يستغل الوضع لتقديم تعليق استفزازي:

=تستاهليها ياما حد قالك تتعاملي معنا على أنك عبيطة؟ في إنسان عاقل ياما يعمل اللي انتي عملتيه؟

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت أم الديب بإعوال:

_ أني كنت قاعدة لقيت المسمار مفكوك، قولت أربط العربية ألا تتفك بينا ونموت... ايهي الحق عليا
خايفة عليكم؟

رد جلال بجلبة:

=وانتي مالك ياما ومال صيانة الملاهي؟ انتي اللي ليكي تركبي وتلفي وبس غير كده ملكيش .
نطقت أم الديب بنواح:

_ وديني للداكتور طيب !

رد جلال بلا ميالاة:

=ولا ليا فيه ياما، يلا تصبحي على شر .

وصك الباب بالمفتاح، ثم نادت أم الديب ابنتها هايدي بصوت متوجع:

_ بت يا هايدي... حد يفتخلي الباب... يا خرابي!

تحدثت جلال بسعادة:

=صياحك طرب ياما... ماتديني يابا كوباية شاي أعدل بيها مزاجي .

رد المعلم حنفي بسعادة:

_ بس كده ياض؟ من عينيا الإنتين .

شرب المعلم حنفي الشاي مع جلال في البلكونة، وكانا يستمتعان بأجواء هادئة، ومريحة، وفي اليوم
التالي، استيقظ جلال، وزوجته من نومهما العميق، ودخلوا غرفة نعمة ليطمئنوا عليها ويراقبوا تحسنها.

فقال جلال بصوت مليء بالأمل، معبراً عن تفاؤله ورغبته في شفاءها السريع:

=سلامتك يا بت يا نعمة .

تحدثت ليالي بود:

_ سلامتك يا حلوة .

ردت نعمة بألم:

=الله يسلمكم... منجيش ليكم في حاجة وحشة .

نطق جلال بابتسامة:

_ معلىش بقي يا نعمة انتي عارفه إن الأيام بتتعد على الصواب، وخلص هنروح قريب فلانم نستغل
المصيف وندلع نفسنا .

ردت نعمة بتفهم:

=انت ملكش ذنب يا جلال ياخويا... خد مراتك وعيالك واتفسحوا وخذوا ابني وجوزي معاكم .

قال جلال بسعادة متأججة، ووجهه مشرق بالبهجة:

_ جوزك وابنك في عينيا .

وأردف لزوجته، وأولاده بحب:

=يلا يا بت يا ليالي نازل... يلا يا عيال !

خرج الجميع من الغرفة وارتدوا ملابس السباحة، ثم نزلوا سويًا للبحر، باستثناء نعمة، وأم الديب. فكانت
نعمة مستقرة على سريرها وهي مكتئبة، تعبر عن حزنها العميق ويتعذر عليها فهم ما حدث لها، قائلة

بكلمات ممزوجة بالألم، واليأس:

_ يارب اشفيني أنا تعبت .

أم الديب الجزء الثاني

دخلت أم الديب الغرفة، وخطواتها متعثرة، حتى وصلت لسرير ابنتها بحالة من الألم. وقالت بصوت يعبر عن الإرهاق، والضعف، كأنها تحمل عبءًا ثقیلاً في قلبها:
=خديني جنبك يا بت .

ردت نعمة بنواح:

_ابعدي عني ياما !

نطقت أم الديب بإصرار:

=هقعد جنبك يا بت...وسعي !

قبل أن تتحرك نعمة من مكانها، فقدت أم الديب اتزانها وسقطت علوها، وفي هذه اللحظة صعد جلال ليحضر عوامة حمود، وبمجرد دخوله الشقة، تفتحت السماء على أصوات كلماته:
_مش عارف مالي بقيت أنسى كده ليه؟

ونادى أم الديب بفضول:

_ياما مشوقتيش العوامة بتاعت حمود؟

دخل جلال الغرفة، وبينما كانت الصدمة تلتف حول عينيه مثل ضباب من الغموض، وكان كل خطوة داخل هذا المكان كانت تفتح أبوابًا إلى عالم مظلم، خرج من أعماقه بصوت مرتجف من الدهشة:
_أنا جيت في وقت غلط ولا إيه ياما؟
يتبع....

الفصل الثالث

تحدثت أم الديب بحفيظة:

_ قومي يا بت!

ردت نعمة بصراخ بتأوه:

=ممين فينا اللي يقوم أنا ولا انتي؟

نطق جلال بشك:

_ ايه اللي وقعك فوقها ياما؟

تلفظت أم الديب وهي تشرح له ما حدث، كلماتها تتلاطم كأموج البحر، تحمل في طياتها روح التعبير عن الأحداث الدرامية التي شهدتها اللحظات الأخيرة:

=ياخويا بعد مانتوا نزلتوا قولت أقعد مع نعمة نسلي بعضينا وأني بقعد روحت مكفيه على وشي نازلة عليها .

تحدث جلال بارتياح:

_ أنا مش داخل دماغي الحوارات دي !

ردت أم الديب بصياح:

=انشالله عنه ما دخل...يلا امشي، وسع مكان !

تلفظ جلال بامتعاض:

_ جرا ايه ياما هو أنا قاعد على حجرك؟ أنا نسيت العوامة وجاي أخدها .

بينما كانت ليالي جالسة على الكرسي الخشبي القديم على رمال الشاطئ، والبحر يلتف بأواجه الهادئة حولها كأنه يستمع لكلماتها بانتباه، وهي تتحدث مع والدها في الهاتف، وصوتها يرن في خلجات الهواء المالح، كأنه ينقل لها أصداء الأمواج، وأحاسيس السكون:

=جلال مسمعش كلامي قولتله بلاش نجيب حماتي وبرضه جابها، وكل ده علشان هي اللي تصرف ولحد دلوقتي مش عارفين نطلع منها بمليم .

رد عم سلامة بعداوة ناحية أم الديب، بنبرة حادة تكشف عن انزعاج متأجج، كأنه يرسم بكلماته خطوطاً من الإساءة تجاهها، معبراً عن عدم رضاه التام:

_ حماتك دي ست جلدة والجنيه اللي بيطلع من جيبها بيتكتبله عمر جديد .

ردت ليالي بتنهيده عميقة، كأنها تعبر عن إرهاقها، واستياءها من الوضع:

=على رأيك...ده أنا كان نفسي تيجوا انت وأمي وأخواتي، ده القاعدة كانت هتبقى فُل بدل القرف اللي أنا فيه ده .

رد عم سلامة بإشفاق:

_ المرة الجايه يابتي يكون ربك سهلها

نطقت ليالي، وهي تحاول إقناع والدها بكلمات مؤثرة ومنطق مقنع، مظهرةً اهتمامها الكبير بمصلحتهم، وبالحوال المناسبة للوضع الحالي:

=ازاي بس يابا؟ اسمع مني أنا هطفش حماتي وتيجوا تكملوا الكام يوم الباقيين .

ضحك عم سلامة بسخرية، وقال باستهزاء:

_ تطفشها؟ دي تطفش بلد بحالها، دي ست يتقاتلها بلاد .

أم الديب الجزء الثاني

ردت ليالي بإصرار:

=نحاول يابا احنا خسرانيين ايه بس؟

في الجهة الأخرى كانت هايدي جالسة على شاطئ البحر، حيث ترتفع الأمواج ببطء متسارع وتتلاطم على الرمال، وهي تشعر بالاشمئزاز من منظر البحر الذي في اعتقادها يشبه التربة المتلطخة المغمورة بالنفايات، وفي لحظة من الضجر، نطقت بصوت مليء بالتمترز:

_ ايه الملل ده؟ ده مصيف ولا تربة؟ خلاص ضاقت عليهم الأماكن النضيفة مش لاقين غير هنا؟

قدم حمود، وهو يتشبث بالعوامة في يده، وقد بدت على وجهه علامات الاستعداد للسباحة، وفي لحظة من الإصرار، نطق قائلاً:

=عمتي... عمتي هايدي !

ردت هايدي باحتدام:

_ قولتلك مليون مرة اسمها عمتمو، عايز ايه؟

تلفظ حمود بحماس:

=لبسيني العوامة .

ردت هايدي بضيق:

_ وأنا كنت خلفتك ونسينك؟ ده ايه الهم ده ياربي؟

وألبيسته العوامة بينما كان المعلم حنفي يسبح في المياه، وقد قرر أن يستخدم قدراته المدفونة ويتعمق في البحر أكثر فأكثر، متسلحاً بالثقة، ليثبت لهم أنه سباح ماهر. فجاء جلال وهو يتابع الوضع بتوتر، وقال بصوت مليء بالتشويق:

=رايح فين يابا؟

أجاب المعلم حنفي بنبرة مُستعدة:

_ هدخل جوا... ده الماية إنما ايه حلوة حلوة !

رد جلال برهبة:

=استنى يابا هدخل معاك... انت محرمتش ده انت غرقان مرتين قبل كده .

نطق المعلم حنفي بثقة، صوته يتردد في أرجاء البحر كصدى لقوته الداخلية المتجددة، معبراً عن إيمانه الكامل بمهاراته في السباحة:

_ بسبب أمك، هي بس تسييني في حالي وأناي هوريك العوام المحترف .

ضحك جلال، وقال بدهشة:

=محترف؟ لا ربنا يسترها .

ذهبت تقى إلى والدتها، وهي ترغب في النزول إلى البحر، فقالت بصوت ينبض بالحماس:

_ ماما يلا ننزل !

بينما كانت ليالي تتحدث مع عم سلامة في الهاتف، نطقت له بصوت مليء بالاهتمام:

=طيب يابا هكلمك بعدين... المهم انت بس انوي، وأنا هقول لجلال يشوفلنا شقة تانية .

رد عم سلامة بود:

_ ماشي يا بتي خدي بالك من العيال .

تفوهت ليالي بإحسان:

=حاضر يابا... سلام .

أم الديب الجزء الثاني

بعد أن انتهت المكالمة الهاتفية بينهم، قالت ليالي لابنتها بتأمل في عيونها الصغيرة، كأنها تحمل عبق الحنان:

_ عايزة ايه يا تقى؟

أجابت تقى بلهفة:

=كلهم نزلوا إلا احنا...يلا نزل يا ماما!

وقفت ليالي مكانها، وكان الصمت يلّفها كالغمامة، ثم نطقت ببساطة، كأنها تنادي بعالم آخر:

_ تعالي .

ثم أمسكت ليالي يد ابنتها بحنان ينبع من أعماق الأمومة، ودخلوا إلى البحر معًا، حيث انضم المعلم حنفي إلى جلال وبدأوا في السباحة. وفي لحظة ما، شعر المعلم حنفي بفرع لحظي كأنه شيء خفي توارى في أعماق المياه، ثم انبسطت على وجهه ابتسامة واسعة، وهو يقول بصوت مليء بالمرح:

=أو عى يا ض الأ هنتسحب...في عفريت تحت الماية .

ضحك جلال، وقال بسخرية:

_ عفريت؟ أما انت عليك حاجات بابا .

ضحك المعلم حنفي بصوت مرتفع، كموجة من الفرح تندفع في أعماق البحر، وفجأة، أثناء سباحته، انعكست أمام عينيه صورة خيالية لأم الديب تحت الماء، فتجمّدت حركته وارتعشت أطرافه، وتملكه الخور، حتى انسكبت من عينيه دموعه، وهو يرتجف ويصرخ في وجه البحر الهائج:

=يا نهاري عفريت تحت الماية، طلّعوني يا ولاد الكلب، طلّعني يا جلال طلّعني !

وتشب المعلم حنفي بعنق جلال، وفجأة جاءت ليالي من بعيد، وقالت بتعجب في صوت مليء بالتساؤل:

_ مالك يا حمايا؟

رد جلال بذهول:

=انت كبرت وبدأت تخرف بابا .

صاح المعلم حنفي فيه قائلاً بهياج:

_ أخرج يا ض...أني كبرت أه بس مخرفتش !

نشب جلال بالمعلم حنفي بقوة، وأخرجه على الشاطئ الرملي الذي كان يشهد عروض الأمواج اللامعة في ضوء الشمس الغروبية، وجلسوا على الرمال الناعمة التي تحكي قصص البحر وأسراره العميقة. وفي لحظة من الهدوء، نظرت ليالي إلى الثنائي بعيون ممتلئة بالدهشة، ونطقت بصوت متأمل:

=أحسن حاجة إن أمك مش هنا .

تلفظ جلال بكمد:

_ مالك يا ليالي؟ ما تطلعي أمي من دماغك بقى .

تحدثت تقى بإلحاح:

=بابا ودينا الملاهي بعد البحر !

رد جلال برهبة بعدما حدث لأخته بالملاهي، بنبرة مليئة بالقلق، كأنه يحمل في صدره ثقل الواقع وتأثيراته العميقة:

_ وانتى محرمتيش من اللي حصل لعمتك؟ دي نايمة فوق متكسحة شوفوا بقى هتقعده كام يوم في الجبس

ده .

أم الديب الجزء الثاني

تفوهت ليالي بشحننا!:

=كله من عمائل أمك...لو كانت قعدت ساكتة مكنش حصل كل ده .
ارتجف المعلم حنفي بردًا، وهو يحسس بأطراف أصابعه على ذراعيه بحثًا عن دفء، وكأن الرعب يسري في عروقه مثل دم متجمد:

_ آه يا حنفي...آه يا بختك المائل يا حنفي... مش عارف تفرحك يومين، آه يا حنفي آه .
تحدثت هايدي بغرور:

=حد قالكم تيجوا هنا؟ بقى سايبين شرم والساحل وجايين هنا؟
أجاب المعلم حنفي بصوت جلف:

_ طب ما تتشملي ياختي، وتودينا هناك بدل عوجة الراس اللي انتي عايشه فيها دي .
ردت هايدي بتلجلج:

=أنا مرتبي ميكفيش كل ده .

تلفظ المعلم حنفي بحكمة، صوته ينبعث بثقة، كأنه ينقش بكلماته دروسًا من الحياة تتجلى فيها حكمة الخبرة:

_ولا احنا فلوسنا تكفي اللي بتتكلمي عنه، يبقى تسكتي أنا مش ناقص !
ردت هايدي بندم، صوتها ينطلق بسخط، كأنها تعبر عن تأمل في أخطاء الماضي التي لا تستطيع تصحيحها الآن:
=أنا غلطانة إني جيت معاكم .

صعدت هايدي للشقة، وعابت على هذا المكان الدنيء من وجهة نظرها. وأثناء مرورها في طريقة الشقة، استنشقت رائحة الرنجة الفاسدة، فدخلت المطبخ بانزعاج، وجدت أم الديب تسخن الرنجة على شعلة النار. فقالت بتقرز:

_ايه ده يا ماما؟

نطقت أم الديب بشوق غريب، صوتها يتردد في الهواء باشتهاء عارم:
=ايه دي رنجة .

تلفظت هايدي باشمزاز:

_وجيبتيها منين؟

ردت أم الديب بوضوح، صوتها يتسلل إلى الغرفة كصدى لا يُمكن تجاهله، كأنها توجه رسالة مباشرة بدون أي تردد:

=الراجل اللي في الشقة اللي جنبنا كان بيتخانق مع مراته وبيقولها الرنجة طلعت بايظة، قالتله دي زي الفل راح الراجل قايلها دي بايظة هو أني مختوم على قفايا ومبفهمش؟ وبعد نص ساعة خناق يا بت على بايظة ولا مش بايظة جه الراجل واخدها وراميتها في الزبالة، قومت أني طالعة وجايبها قولت حرام نعمة ربنا تترمي في الزبالة .

وضعت هايدي يدها على فمها من شدة الاشمزاز، وقالت بصوت مكتوم:

_بع انتي ازاي تاخدي حاجة من الزبالة؟

ردت أم الديب بسخرية:

=ياختي ياختي...ما تعيشي عيشة أهلك يا بت !

تفوهت هايدي بصياح:

أم الديب الجزء الثاني

_ ياريتني ما جيت معاكم في حطة .
دخلت هايدي غرفتها، وصُدمت الباب بقوة، فصاحت أم الديب قائلة بصوت مرتفع:
=مترز عيش الباب يا بت ألا أدخل أخرجك!

بدأت الرائحة الكريهة تتغلغل ببطء في كل أنحاء الشقة، معبرة عن طبيعتها القذرة والمثيرة للاشمئزاز،
حتى وصلت إلى نعمة التي كانت تتواجد في الزاوية البعيدة. فحين شعرت نعمة بالرائحة، أدارت وجهها
بانزعاج، وتعبير عميق عن الاستياء، ونطقت بصوت ممتلئ بالتقرز:

_إف... ايه ريحة الكلب الميت دي؟
ونادت أم الديب بألم، صوتها يرتفع كلما زاد الضغط الذي تعاني منه، كأنها تطلب المساعدة:
_ياما...ياما .

دخلت أم الديب الغرفة على نداء نعمة لها، وقالت بصوت متوجس:
=مالك يا بت؟
ردت نعمة بتقرز:

_هي الريحة دي جايه منين؟
أجابت أم الديب بصراحة:
=من عندنا أصل أني بشوي رنجة .

ردت نعمة بتعجب:

_وجيبتيها منين؟
نطقت أم الديب بكذب، صوتها يرتجف بالحيرة والتوتر، كأنها تضطر لإخفاء الحقيقة أو تغطية أحداث
غامضة:
=اشتريتها .

لكن هايدي لم تستطع تحمل كذب أم الديب على نعمة، فاستجمعت شجاعتها، ودخلت الغرفة، وهي تقول
بصوت محاولة التعبير عن الحقيقة:

_ماما بتضحك عليك دي جاياها من الزبالة اللي قدام الشقة .
اغتاظت أم الديب من هايدي بعد أن كشفت سرها، فانطلقت كلماتها بصوت حاد يتدفق كالسيف القاطع،
كأنها تنقل الانزعاج بلا تحفظ:

=ايهي انتي بتكدييني يا بت؟ طب تعاليلي .
تشبثت أم الديب في رأس هايدي بعنف، وهي توطئها بكل قسوة. لكن هايدي حاولت بكل قوة الإفلات
من ضربات أم الديب القاضية، وصرخت بصوت يعبر عن الألم:
_سيبيني...بقولك سيبيني!

نفوحت أم الديب بأعوال، وهي توطأها بقسوة:
=عشان تبقي تكدييني تاني...أني هعلمك الأدب !
نعمة تحدثت بصراخ متألم، عاجزة عن الحركة بسبب عجزها:
_أبوس ايديكم متعملوش مشاكل!

أم الديب الجزء الثاني

كانت نعمة تحاول بكل جهدها الوقوف على قدميها، وتقاوم بكل إصرار تعبها، لكنها فشلت في ذلك، وزاد الألم مرارة وجودها. وفي الوقت نفسه، كانت أم الديب توطئ رأس هايدي بجبروت، معبرة عن أمراضها النفسية:

=هعلمك الأدب يا بت !

من شدة نواح هايدي، اهتزت المنطقة برمتها، حتى وصل صداها إلى باقي أفراد العائلة الذين كانوا على الشاطئ، فعبر المعلم حنفي عن دهشته من الوضع بتعبيرات ملموسة، ومفردات مُعبرة:

_ايه الصويت ده؟

ونادى جلال بصوت مرتفع:

_جلال... جلال !

حضر جلال، وقال بفضول مُلفت:

=ايه بابا حاجة حصلت تاني؟

تحدث المعلم حنفي بتركيز عارم، وصوته ينطلق بارتياح مُلفت:

_سامع اللي أني سامعه ده؟

بعد أن دقق جلال في الصوت، أدلى برأيه قائلاً:

=ده صوت أمي!

صاح حامد بجملة مُفاجئة قائلاً:

_بينا على فوق بسرعة !

صعد الجميع بسرعة، وكان جلال يجري في مقدمتهم بأقصى ما يملك من سرعة، لكن فجأة، في منتصف هذا النزاع المثير، تذكرت أم الديب بلحظة مُفاجئة أنها تركت الرنجة فوق النار المشتعلة، فوفقت مسرعة، وصرخت بصوت ملؤه الإنذار:

=يا خرابي الرنجة اتحرقت !

وصل المعلم حنفي الشقة، برفقة بقية العائلة، وتحدث بتعجب:

_رنجة ايه يا ولية؟

تساءل جلال بفضول:

=ايه اللي حصل؟

ردت هايدي بنواح:

_ضربتني... كنت هموت على ايديها... حسبنا الله ونعم الوكيل في الظالم... أروح منكم فين؟

نطقت ليالي بسخط ملحوظ:

=بقولك ايه يا جلال أمك زودتها... انت تاخدها وتوديتها في أي داهية بعيد عننا !

رد جلال بغية الانتقام، كلماته تنبعث منها رغبة قوية، وشغف متجنز:

_أنا عارف هعمل ايه كويس!

اندفع جلال إلى المطبخ بخطوات مُتسارعة، وهناك وجد أم الديب تستمتع بأكل الرنجة المحروقة، فلم يتمالك نفسه وقال لها بصوت مغمور بالخدعة:

=بقولك ايه ياما احنا زهقنا من المصيف وعايزين نرجع بيتنا كفاية علينا كده .

تساءلت أم الديب بتعجب ملموس:

_ايهي ايه اللي حصل؟

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بتمثيل:

= لا مفيش حاجة بس زهقنا...يلا ياما البسي عقبال ماचना كمان نلبس .

وخرج من المطبخ، ثم توجه إلى زوجته، وأردف بمكر:

=يلا يا ليالي شطفي العيال والبسوا .

ردت ليالي بتمثيل:

_ ماشي...يلا يا عيال !

رد حمود بسعادة:

=هيبه هنستحمى !

اقتحم المعلم حنفي المطبخ، فوجد أم الديب مشغولة بأكل الرنجة الفاسدة، حيث كانت تتلذذ بها بلا مبالاة،

وقالت، وهي تعبر عن استمتاعها بها:

_ الرنجة زي السكر ياخويا .

تلفظ المعلم حنفي بدهشة:

=انتي جايباها منين يا ولية؟

ردت أم الديب بصراحة مُفروطة:

_ من الزبالة .

تفوه المعلم حنفي باشمئزاز:

=هقول ايه هو انتي زينا؟ ده انتي شايلة اللوز بتاكلني اللي يجي قدامك...ده آني خايف في يوم أصحى

ألاقي ايد ولا رجل ناقصين .

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ليه شايفني جاموسة ولا جاموسة؟

تلفظ المعلم حنفي بفرع:

=هو حد اتكلم؟

بعد مرور ساعة، انتهى الجميع من ارتداء الملابس وتجهيز الحقائب، وفي هذا الوقت، بدأت التمثيلية

عند أم الديب بمجرد دخول جلال إلى غرفتها. بدا جلال مؤكداً، وهو يلقي نظرات مُريية نحوها:

_أوعوا تنسوا حاجة!

واصل جلال حديثه لأم الديب بابتسامة شريرة تتبعث منها طابع التهكم، مما أضفى على كلامه لمسة من

الانتقام:

_وانتي ياما تعالي معايا نروح نشتري أكل عقبال ما يلماو اللي في الشقة .

ردت أم الديب بطمع ملحوظ:

=هتجيبلي فراخ؟

أجاب جلال بمكر:

_أه ياما وطحينة واللذي منه .

نطقت أم الديب بخوف:

=متعرفش حد ألا أتحدس!

رد جلال بتدليس:

_متخافيش هعمل حسابك في فرخة لواحدك .

أم الديب الجزء الثاني

نزل جلال مع أم الديب من الشقة، وركبوا السيارة بمفردهم، وفي منتصف الطريق، تعطلت السيارة فجأة عن السير، فبادر جلال بضرب يده بانزعاج على تارة القيادة، معبرًا عن إحباطه، في حين ألقّت أم الديب بنبرة مندهشة:
=إيهي هو ايه اللي حصل؟

رد جلال بإحباط وانزعاج واضحين في تعبيراته:
_ العربية شكلها اتعطلت...طب بقولك أنا أعرف واحد صاحبي في الموقف هنا، تعالي معايا يوصلنا ونبقى نرجع للعربية تاني نشوف مالها .
تفوهت أم الديب بفضول:
=وانت عرفته منين؟ ده عمرنا ما سمعنا عنه .
نطق جلال بابتسامة:

_ لا ده جدع أوي...تعالي بس .
نزل جلال، وأم الديب من السيارة، واتجهوا إلى موقف السيارات، حيث عانق جلال زميله السائق بعنفوان، معبرًا عن فرحته، ثم قال له بتعبيرات حميمة، وصدائقة ممزوجة بالامتنان:
=يا مساء الهنا...ازيك ياأبا؟
رد جلال بابتسامة:

_ازيك يا معلم؟
وأردف لأم الديب قائلاً بابتسامة غامضة، وخداع متقن:
_ اركبي ياما عقبال ما أتكلم معاه في كلمتين .
صدقته أم الديب وسقطت فريسة في بئر خداعه، وهي تقول بكل ثقة:
=ماشي متتأخرش...أني على لحم بطني!
قال جلال بخبث:
_ لا متخافيش .

ركبت أم الديب السيارة، حيث ابتدأت السيارة تحمل الركاب، فاندمجت أم الديب مع إحدى السيدات في المقعد الخلفي. في الأثناء، عاد جلال إلى سيارته وأحضر حقيبة أم الديب، ثم رجع وسلمها بلحظة وداع مؤثرة لصديقه، وأعطاهها له بحنان ممزوج بالوداع. ثم غادر بعد أن عانقه عنق الصداقة، وتأملت أم الديب باندهاش عندما رأت اختفاء جلال، وخرجت بصوت ممتلئ بالحيرة:
=استنى يابن الكلب رايح فين؟ الواد جلال مركبش!
ضحك السائق ضحكة ممتدة، تملأ الهواء بهجة غامرة، ورد بابتسامة تنطق بالسرور، معبرًا بلهجة طريفة:

_ومش هيركب...هو مقالكيش يا حاجة ولا ايه؟
ردت أم الديب بصدمة:
=إيهي قال ايه؟

ضحك السائق ضحكًا شديدًا، امتدت نبراته في الهواء كموسيقى مفرحة، وبدا وجهه منيرًا بالسخرية، وفي لحظة، قال بصوت مليء بالترقب:
_ انتي راجعة على بلدكم يا حاجة...تصبحكم السلامة .
ضربت أم الديب يدها بقوة على صدرها، وصرخت بلهجة مليئة بالاستياء:

أم الديب الجزء الثاني

=يا مصيبيتي!

ونظرت أم الديب بنظرة شريرة مليئة بالانتقام نحو جلال، ثم واصلت حديثها بكلمات محملة بالقصاص:
=ماشي يا جلال ورحمة أبويا لأوريك...بقي أني تعمل معايا كده؟

لم تترك أم الديب الركاب وشأنهم، بل قامت بوطء الجميع بحذائها، حيث استخدمت أيديها وأرجلها بشكل متهور، وحذائها المتسخ ارتطم بقسوة بأجساد الركاب، بدءًا من رأس السائق وصولاً إلى بقية الركاب الذين كانوا يحاولون الهروب من نوافذ السيارة، مستنجدين بالسيارات المارة على الطريق. بعد أن عاد جلال إلى الشقة وسرد لهم ما حدث في هذا الموقف الكوميدي، ضحكت ليالي بشدة، وأعربت بابتسامة مشوشة بين الدهشة، والتسلية من الوضع الفوضوي الذي حدث:

_اديت أمك الصابونة يا جلال .

ضحك جلال بشماتة، وهو يقول:

=أعمل ايه طيب يا ليالي؟ ماهي كل شوية طالعانا بمشكلة شكل وأنا واحد جاي أستجم بيومين المصيف .

ردت ليالي بتفكير:

_طب والهدوم اللي لمانها دي هنعمل فيها ايه؟

أجاب جلال:

=سببها زي ماهي، ويلا تعالوا أنا عازمكم على أكلة كفتة إنما ايه...هتاكلوا صوابكم وراها .
نطقت هايدي باستياء:

_أنا هقعد مع نعمة، مش هسببها لواحدنا .

رد جلال بروح زاهية متفتحة للحياة، حيث انبعثت منه بسمة تنطق بالتفاؤل:

=حلو الكلام، ومتقلقوش هنجيبلكم نصيبكم لما نرجع .

تلفظ المعلم حنفي ببهجة:

_ياه أخيراً هاكل كفتة ياوض؟

رد جلال بسعادة:

=أمال ايه بابا؟ ده أنا هدلعمكم آخر دلح .

نزلت العائلة برمتها عدا نعمة، وهايدي، وبدأوا يتجولون في شوارع البلدة، وسط أجواء مصيفية ساحرة تملأ الأنفوس بالبهاء، حيث تعالت أصوات الأطفال المبتهجين ورنين الضحكات عبر الشوارع المزدهمة بالحياة. في هذا الإطار، أعربت ليالي بإعجاب عميق، مشددة على روعة هذه اللحظات التي تجمع بين الجمال الطبيعي، والنشاط الحيوي في البلدة:

_الجو حلو أوي يا جلال...متصورش أنا ارتاحت قد ايه لما روحت أمك!

ردَّ جلال بقلق عميق مما قد تفعله بهم أم الديب عند عودتهم من السفر، وكأنَّ في قلبه نذيرَ شوْمٍ يتربَّصُ بهم في الأفق:

=أنا مش شايل غير هم لما نرجع ده مش بعيد أمني تقتل قَتيل على عتية الشقة !

نطق المعلم حنفي باطمئنان:

_لا من ناحية الموضوع ده متقلقش ياوض، انت مستهون بأبوك ولا ايه؟ ده أبوك أسد !

ردَّ جلال برهبةٍ تتصاعد كأواجٍ عاتية، تكسرت على صخور الخوف المكنون في أعماقه:

أم الديب الجزء الثاني

= هو انت كده يابا دايماً كلام على الفاضي، ووقت الجد تخلع .

تفوه المعلم حنفي بثقة:

_ طب هتشوف، وهتقول أبوك قال .

بينما كانت نعمة، وهايدي تجلسان جنباً إلى جنب على السرير، مستندتين إلى الوسائد الناعمة التي كانت تستقر عليها أشعة الشمس المتسللة من النافذة، نظرت نعمة إلى هايدي بتعجب، مستفسرة بنبرة مفعمة بالتساؤل عن السبب الذي جعل هايدي تختار البقاء في الداخل وعدم مرافقتهم في النزهة الخارجية التي كانوا يتوقون إليها جميعاً:
=منزلتيش معاهم ليه؟

ردت هايدي باستياء:

_ بصراحه صعبتني عليا نبقى كلنا براء، وانتي لواحدك هنا، ويفرض احتاجتي حاجة مين يجيبهالك؟
نطقت نعمة بابتسامة:

= لا طمر فيكي .

ردت هايدي بنبرة حزينة، ومكسورة، كأنها تحاول أن تخفي خلف كلماتها أحزاناً عميقة، وأسراراً ثقيلة تنقل كاهلها، قائلة:

_ انتوا ليه شاييني وحشة؟ أنا بس عايزة اللي يفهمني وهديله عينيا!
ردت نعمة بابتسامة:

=مين قال إنك وحشة؟ ده انتي ست الحسن والجمال، طب ده يا بخت اللي هيتجوزك!
أجابت هايدي بإحباط:

_ يتجوزني؟ أنا مش عايزة أتكلم في الموضوع ده .

ردت نعمة بهشئة واضحة في صوتها ونظرتها، كأنها لا تستطيع تصديق ما تسمعه، قائلة بصوت مفعم بالتعجب:

=هتفضلني لحد امتي رافضة موضوع الجواز ولا انتي مش عايزة تتجوزي، وتخلفي، ويكون ليكي عزوة؟

أجابت هايدي بياس:

_ مش عايزة أتجوز أي حد وخلص، أنا عايزة اللي هتجوزه يكون فاهمني، وفاهماه، وعايزاه رومانسي بيقول كلام حلو .

ردت نعمة بإحباط واضح في صوتها ونظرتها المنكسرة، قائلة بصوت متهدج يكسوه خيبة الأمل:
=ياختي الكلام ده في المسلسلات وبس .

قالت هايدي بنبرة عقلانية هادئة، تحاول فيها أن تستند إلى المنطق وتفكر بعقل متزن، قائلة:

_ متبصيش لبابا وجلال انتي عارفة إن حياتهم صعبة و مفيش وقت للهزار والدلع .

على ناحية أخرى، كان المعلم حنفي يرمق الفتيات المارين أمامه بنظرات ذات مغزى، ويغازلهن بكلمات مُنمقة، وأسلوب مغوي، قائلاً:

=أموت أنا... ما جرا ايه ده أنا راجل كبير وأعجبك !

قال حامد بسخرية:

_ ما تهدي يا عمي انت مشوفتش حريم قبل كده؟

ردَّ المعلم حنفي بوجه عابس، تنعكس عليه ملامح الجدية، قائلاً بصوتٍ خالٍ من المزاح:

أم الديب الجزء الثاني

= لا مشوفتش، وأني هشوف فين؟

نطق حامد بنصيحة محترمة، وخشية على مشاعر حماته، كأنه يحرص على ألا يؤذيها بأي فعل، قائلاً:
_حماتي تزعل!

رد المعلم حنفي بعجيج:

= ما تزعل ولا تولع، وهي دي بيحوق في جنتها زعل؟ ده الخرتيت بيحس عنها .

نطق حامد برد عقلائي، مُبدئياً تفكيره الهادئ والمدرّس، قائلاً:

_يا حمايا دي ست وعندها مشاعر زي أي واحدة!

ضحك المعلم حنفي، وقال باستهزاء:

= ست مين؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

وغادر من حياله وهو يضرب كفاً على كف، وفي وجهه تعابير الاستغراب المتلاحقة كأمواج البحر، وكأن حامد يفكر في الأسباب الكامنة وراء هذا التصرف الغريب، مُتسائلاً بصوتٍ منتمٍ، ومليء بالدهشة:

_أنا قولت ايه غلط طيب؟

في المطعم، وقف جلال أمام مدون الطلبات وهو يطلب الطعام بكل هدوء، تارة يطلب من القائمة الملونة المعلقة على الجدار، وتارة يتشاور مع النادل بلطف حول تفاصيل الوجبة التي يرغب فيها، متأكدًا من اختياره بدقة ليضمن تجربة طعام مُرضية:

= هاتلي اثنين كيلو كفتة وظيف السلطات وحطنا خمس أطباق رز .

رد مدون الطلبات بسرعة، وهو يكتب الطلبات بأنامله النشيطة وعينيه المتألفتين على الحاسوب، كأنه يراعي كل تفصيل صغير لضمان تنفيذ الطلبات بدقة متناهية، ويبادل الابتسامات الودية مع الزبائن بين كل طلب وآخر:

_حاجة تانية؟

أجاب جلال:

= لا كده تمام التمام .

تحدثت ليالي بتفكير عميق، كأنها تستنشق أفكارها بعناية كالزهور في فصل الربيع:

_عايزين نحلي بعد الأكل يا جلال .

غمز جلال عينه برومانسية نابضة بالشغف إلى ليالي، وقال بصوت ينبض بالعشق، والغموض في آن معاً:

= وأحلي ليه والملين كله قدامي؟

ضحكت ليالي، وقالت بخجل:

_يخيبك الناس بتبص!

بعد مرور نصف ساعة، وصلت أم الديب إلى منزلها في القرية، حيث كانت تتصاعد منها أعمدة الدخان كالتهديدات المظلمة. تحركت أصابعها المرتعشة نحو باب شقتها، والعزم على إلحاق الأذى به والانتقام منه، فوجّهت لنفسها بصوتٍ غليظ ينبض بالانتقام:

= ماشي يا جلال...بقي تضحك على أمك وتعمل عليها فيلم وفي الآخر الأقبيني راجعة بلدنا؟ ماشي يا

جلال هتروح مني فين أني وراك والزمن طويل!

أم الديب الجزء الثاني

دخلت أم الديب مطبخها بخطواتٍ ثقيلة، واستلت السكين بين أصابعها المرتجفة، وصعدت بخطوات مترددة نحو باب شقة جلال، تحاول فتحه بكل الطرق حتى تمكنت أخيراً، بعد أن شوهدت شكل الباب بمرارة. ثم توجهت بخطواتٍ ساخطة إلى المطبخ، حيث بدأت في استخراج كل محتويات ثلاجة ليالي بدقة فائقة، ونقلتها بعناية متناهية إلى ثلاجتها بالأسفل، كأنها تضع كل قطعة بفرضية الانتقام المحكمة. دخلت غرفة النوم بخطواتٍ ثقيلة، وانغمست في تفكيك كل تفاصيلها، إذ أفرغت الخزانة من جميع الثياب بحركة واثقة، وبدأت بتمزيق المراتب، والستائر، والسجاجيد في غرف النوم والصاله، كأنها تعلن حرباً ضروساً على كل جزء من شقة جلال. وفي لحظة من الغضب الجسيم، قالت بصوت يتجاوز حدود السكينة، والحزن الذي تملكته:

_ بقى أم الديب يتعمل فيها كدهو؟ ده أني هخلي اللي جاي كله سواد بس يصبروا عليا .
بينما كانت العائلة مجتمعة على طاولة الطعام في المطعم بعد مرور نصف ساعة، كانوا يتناولون وجبة شهية محضرة بعناية، ولمعت البهجة في أعينهم مثل بريق النجوم في السماء الصافية. انعكست السعادة على وجوههم بكل تفاصيلها الدقيقة، وكانت الضحكات تملو الأجواء كأنها أنغام موسيقية تعزفها أيادٍ خفية، وفي هذا الجو المليء بالحماس للحظات الجميلة، أعرب جلال بسعادة غامرة، بصوت يترنم بالاعتزاز، والرضا عن كل ما هو متاح أمامهم، قائلاً:
=يلا يابا كل... ده كل واحد فينا له أربع صواب كفتة، ومقولكمش بقى على الرز وحلاوته .
رد المعلم حنفي باشتهاء:

_ لا ياض ده الريحة جامدة أوي .
بسط جلال يده برفق على علبة مغلقة، كأنه يمسك بكنزٍ يحتوي على أسرار السعادة، وقال بصوتٍ مليء بالترقب:

=أمال؟ طب حزرروا فزرروا العلبة دي فيها ايه؟
ضحكت ليالي، وقالت بروح فكاهية:
_ فيها فيل .

ضحك جلال بابتسامةٍ واسعة تملأ وجهه، وقال ببهجةٍ تنبعث من داخله كنهر من الفرح:
=العلبة دي فيها فراخ مشوية... شوفتوا مدلعمكم ازاي؟
رد حامد بتعجب:

_ أما انت جيب كل ده منين؟
ضحك جلال بضحكة تنم عن دهاءه كالحرامي الماهر، وقال بصوت مليء بالذكاء:
=أمي كانت مخبيه ٣٠٠ جنيه تحت المخدة وفاكرة إن محدش عارف، بس أنا شوفتهم وأول ماهي دخلت الحمام خدت اللي فيه النصيب... أصل جلال يضحك على الناس ميتضحكش عليه !
ضحكت ليالي بابتسامة تعكس إعجابها العميق بقدراته، وقالت بصوت مفعم بالإعجاب، والتقدير لما أظهره:

_ يخربيت دماغك يا جلال .
رن هاتف جلال بحيث تفاجأ من الجميع بسماعه، وبعد أن رد على النداء، تحدث بصوتٍ ينبض بالترقب:

=ألو يا عم إسماعيل في ايه؟
تساءل عم إسماعيل:
_ انتوا هتعرلوا ولا ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بتعجب:

=هنزل ايه؟ أنا مش فاهم حاجة !

أجاب عم إسماعيل:

_ أصل عدم اللا مؤاخذة في عربية تحت بيتكم بتنقل التلاجة والبوتجاز .

تلفظ جلال بفضول:

=تلاجة وبوتجاز ايه؟

رد عم إسماعيل بعفوية:

_ شكلها حاجتك يا جلال، أصل الحاجات دي جديدة .

نطق جلال بصوتٍ مليء بالصدمة، كأنه لم يصدق ما سمعه، وكأنه كان يأمل بشيء آخر تمامًا:

=يا خبر منيل... طب اقل دلوقتي .

عندما اتصل جلال على أم الديب، وبمجرد أن ردت وسمعت صوته، انفجرت بضحكة خبيثة تمزج بين

السخرية، والشماتة، وقالت بصوتٍ ينطلق من دواخلها بشكل مثير للانتقام:

_ شربتها يا حمار .

وقف جلال مكانه، وبدأ يتحول ببطء من الهدوء الذي عرف به إلى عصبيةٍ مفرطة، حيث تغلغل الاحتدام

في كل كلمة ينطق بها. بصوتٍ متسارع ، فقال بجلبة:

=كلام ايه ده ياما؟ انتي بتنقلي ايه؟

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_ ابهي بنقل حاجتك يا ولا... أصلهم هيتباعوا وهاخد فلوسهم أجدد بيها شقتي، أصل قال ايه الحيطه

قدمت فاحنا هنلونها .

نطق جلال بعجيج حار:

=كلام ايه ده ياما؟ بتبيعي حاجتي ياما؟ ما تردي عليا !

التفت كل من في المطعم إلى صوت جلال، ووقف المعلم حنفي في الحال، وهو يحاول أن يفهم ما

الأمر، وهمس بصوت مليء بالدهشة، والفضول:

_ في ايه ياض؟

تحدثت ليالي بخور:

=يا نهار أسود ومنيل .

ردت أم الديب بنبرةٍ حادة، وهي تحاول استفزاز جلال، كأنها تلعب بالنار بدون خوف أو تردد، تترنح

بين الاستفزاز، والتحدي، قائلة بصوتٍ مليء بالثبات:

_ بقولك ايه اقل متعطلنيش ده الرجالة لسه هيشيلوا الانترية، بس ياخويا مش عارفة هيطلعوه من الباب

ازاي؟

رد جلال بصراخٍ عالٍ، وهو يضرب يده بقوة على الطاولة، كأنه يحاول بذلك إخراج كل ما في داخله

من غضبٍ وانفعالاتٍ متقلبة، ممزوجة بالإحساس بالظلم:

=جرى إيه ياما؟ انتي شايفاني راجل ولا عيل بشخه؟ بتبيعي حاجتي ليه ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

لطمت ليالي وجهها بقوة، وهي تصرخ بصوتٍ متعالٍ، كأنها تعبر عن غضبٍ عميق، وحزنٍ لا يمكن احتواؤه، قائلة:

_يا لهوتي يا مصيبتني يا مصيبتني... هتبيع العفش اللي حيلتنا؟ يا لهوي يا لهوي!

تحدث المعلم حنفي بصياح:

=هات أمك أكلها !

وواصل حديثه في الهاتف بضجيج:

=ألو يا ولية انتي اتجننتي ولا ايه؟

صكت أم الديب المكالمة في وجه المعلم حنفي دون احترام، فقال بتعجب، ودهشة واضحة في صوته:

=دي قفلت السكة!

بعد أن وصل لقمة العصبية، وطأ جلال يده بقوة على الطاولة كصخب يهز الهواء حوله، كأنه يحاول

إخراج كل سخطه، وإحباطه في ضربة واحدة. صوته اهتز مع كل كلمة، يحمل في طياتها الشعور

بالظلم، وقال بصوت مليء بالانكسار:

_يلا قدامي يا ليالي لمي الحاجة، وهنزل على البلد... أنا هقتل قتيل، وبيا أنا يا أمي النهاردة !

خرجت العائلة من المطعم بخطواتٍ ثقيلة تنعكس عليها آثار القهر، واتجهوا إلى العمارة السكنية حيث

انقسموا لاستكمال التحضيرات للرحيل، وقد جلس جلال، والمعلم حنفي في السيارة، يعانقهما الصمت

الثقيل، والأفكار الملتبسة، في حين صعدت ليالي، وحامد لتعبئة بقية الملابس في الحقائب الكبيرة، وفي

غرفة النوم، دخلت ليالي بدموع تتساقط كالأمطار الغزيرة، ملامح الحزن تعلو وجهها المنكوب. فنادت

نعمة بصوت ينطلق من عمق الأسي، وهي تحاول تهدئتها ومساعدتها على تجاوز هذه اللحظات

الصعبة، قائلة بكلمات فضولية:

=في إيه يا ليالي؟

دخلت ليالي الغرفة، وهي تبكي بشدة، وعلى وجهها بادية علامات الحزن، والأسى العميق. بينما كانت

تحتضن ثيابها بقوة، وقد تأثر صوتها بالبكاء، قالت بصوتٍ مكسورٍ، ومحملٍ بالألم:

_أمك عملتها وعماله تحول في عفشنا يا نعمة .

ردت نعمة بصدمة:

=يا ساتر يارب، ليه كده طيب؟

تحدثت هايدي بذهول:

_كنت عارفة إنها مش هتسكت إلا لما تفش غلها .

ردت ليالي بانتحاب:

=ده احنا طلع عينا في الشقة، هو جلال كان حيلته مليم؟ مين هيجيبنا العفش تاني لو اتباع ده ربنا عالم

بحالنا .

نطقت نعمة بتأثر:

_اهدي طيب يا ليالي...ربك يسترها والنبي مانا عارفة ليه أمي مش عاقلة، وكل ما تتحرق من حد لازم

تجيب أجله .

تفوهت ليالي بنواح:

=البسوا خلونا نمشي...ده جلال يا عيني قايد حريق ومتعفرت على آخره .

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة بفزع:

_اسندوني طيب .

أسندت هايدي، وحامد نعمة، وزينوها بثيابها، بينما دخلت ليالي الغرفة وبدأت في جمع بقية الملابس من الخزانة ووضعها في الحقيبة، وبعد جمع أشياءهم، نزلوا من الشقة وسلموا المفتاح لصاحب العمارة المصيفية قبل أن يركبوا السيارة ويتوجهوا إلى قرية أبو حلاوة. طيلة الطريق، كان جلال ينفجر غضبًا ويصرخ على الجميع بسبب ما حدث له. وبعد ساعات، وصلوا أخيرًا إلى المنزل، ودخل جلال أولاً وهو يسير بخطوات مُسرعة نحو الشر، حتى انزلت قدماه وسقط على ظهره، يصرخ بعذاب:

=آه ضهري... ضهري... الحقوني !

مالت ليالي نحو زوجها، وعبرة الفرع تلوح في عينيها، وهي تعول بصوت ملتهب قائلة:

_يا لهوي يا لهوي يارب ارحمنا... انت كويس يا جلال؟ جرالك ايه؟

رد جلال بألم جسيم لا يُطاق:

=الأرض مليانة صابون... آه .

نظر الجميع تحت أرجلهم ووجدوا الأرض مغمورة بالماء والصابون، حتى نزلت أم الديب من بينهم وهي تمسك الممسحة بيدها، وفورًا أطلقت صيحة عالية:

_وسعوا، مش كفاية سايبين الدار زربية ورايحين تصيفوا؟ بقى داري يبقى منتن؟ ما هقول ايه مرات ابني مايلة وأهي محسوبة علينا واحدة .

بمجرد أن سمعت ليالي هذا الحديث المستفز، خرجت سريعًا من المنزل، ووقفت في منتصف الشارع، حيث ارتفعت صرختها العالية التي ملأت الأجواء المظلمة، كأنها تحاول بصوتها المنفلت إخراج كل الإحباط الذي كان يتراكم في داخلها، وفي هذا الوقت الصاخب، تأرجح حجابها حول وجهها كاللوح الفنية المتأرجحة في الهواء، وهي تعول:

=يشهد ربنا إن الست دي قايدالها صوابي العشرة شمع وبرضة مش عاجب، ومن يوم ما دخلت البيت

ده وهي بتحارب فيا أنا وجوزي ومش سايبانا في حالنا...أروح منها فين حد يقولي؟

خرجت أم الديب لليالي، وأمسكت بها بقوة، تطحنها تحت يدها كأنما تكون حجر صلب، وزاد صراخ ليالي في طريقها للتفاقم. حينها، جاء عم سلامة، الذي يبدو أن الشر يفوح من عينيه، وفجأة، أطلقت أم الديب صياحًا عاليًا:

_ايهي ده دباح الحمير جاي بنفسه يا ولاد!

أمسك عم سلامة بابنته، وأسندها على ذراعه بقوة، وقال بصوت مرتفع:

=أنا جاي أخذ بتي ليالي خليها تقعد في بيت أبوها معززة مكرمة بدل المرمطة اللي انتي معيشاها فيها ليل نهار .

ردت أم الديب بامتعاض:

_معززة مكرمة مين يا دباح الحمير يا بياعين البصل؟ ياللي كنتوا بتقعدوا من صباحية ربنا على

الأرض في السوق كل يوم عشان الخمسة جنيه...ده انت يا راجل مبهدل عيالك كلهم واحد واحد .

تحدث المعلم حنفي بصياح:

=اكتمي يا ولية لا أجبب أجلك...انتى لا ليكي ظابط ولا رابط، وأنى من النهاردة هطلع عليكى القديم

والجديد كله !

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم الديب بصخب:

_تطلعه على مين يا راجل يا عرة؟ ده انت متسواش ربع جنيه في سوق الرجالة ده أني جزمة أبويا بمية واحد منك!

انصدم المعلم حنفي بما قالته أم الديب له، فزادت الدماء غليانًا في عروقه، وانعكست حرارة الامتعاض في وجهه بوضوح، كأنه يتصاعد مثل بركان جامح. لم يمهل نفسه إلا لحظات، حتى أمسك أم الديب من عنقها بقوة غير مسبوقة، واستند عليها بكل قسوة، مما جعلها تصرخ بشدة مختنقة تحت قبضته القاسية، وفي تلك اللحظة المشحونة بالشجار، جرت هايدي بسرعة نحوه، تحاول بكل ما أوتيت من قوة إبعاده عن أمها، لكنه ازداد إصرارًا وصلابة، يهمس بكلمات تنبض بالخطر، كأنما تترجم نبرات صوته المتأججة إرادته الشديدة في فعل الأذى، وهو يقول:

=هقتلك يا بسمة !

نطقت أم الديب بنواح:

_يا خرابي حد يلحقني منه!

تلفظ المعلم حنفي بنظرات إنتقامية:

=هموتك يا بسمة !

حاولت أم الديب بياس إبعاد يد المعلم حنفي عنها، فقالت بصراخ متأجج:

_وسع يا راجل يا عرة!

تحدث عم سلامة بصوت حاد:

=ارجعي معايا يا ليالي، ولما جوزك يبقى راجل في بيته بحق وحقيقي تبقي ترجعيه.

رد جلال بصياح:

_أنا راجل غصب عن أي حد!

تلفظت ليالي باعتراض:

=وأنا مش هرجع معاك يابا أنا مع جوزي على الحلوة والمرة، وإن كان على حماتي فأنا هخلي جلال

يجيبلي شقة برا .

قال جلال بصراخ:

_ارجعي معاه ارحملك، أنا على الحديدية يا ليالي .

أمسكت ليالي بيد جلال، ورفعتها لأعلى كأنها تحمل قوة العالم بين أصابعها، وهي تنطق بصوت مليء بالسخط:

=قوم ياخويا قوم .

صعدت ليالي مع زوجها إلى شقتهم، وخلفهم بقية العائلة، ولكن انصدمت بما رأته عينها أمامها، شقة خالية من الأثاث، والستائر، والسجاد مقطوع! فوطنت وجهها بطريقة متتالية، وهي تصرخ بصوت ينبع من عمق الأسى:

=يا لهوي يا لهوي...تعبنا كله راح، راح يابا راح .

ضرب عم سلامة كفاً على كفٍ، وهو متأثر بما حدث لابنته، بينما قال بصوت مليء بالتأثر:

_لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نطقت ليالي بنواح، وهي توطأ رأسها بيدها بقوة:

أم الديب الجزء الثاني

=شقانا اترمى على الأرض يابا...منك الله يا حماتي، ربنا ينتقم منك دنيا وآخره... انشالله تتذلي وتدوقي من اللي دوقتينا منه قادر يا كريم... يا لهوي .

ومن شدة نواحها، فقدت وعيها في الحال، وسقطت على الأرض. فانقض الجميع حولها، بما فيهم جلال الذي قال بصوت يعبق بالقلق:

_ليالي!

استيقظ جلال من نومه على كابوس شرس، فوجد نفسه فوق السرير على سيف زوجته، يقول بتعجب:
=ده حلم ولا حقيقة؟ شقة المصيف أهي...ايه ده ليالي انتي صاحية؟
ردت ليالي بدهشة:

_مالك يا جلال فيك ايه؟ ده العيال بقالهم ساعة بيصحوا فيك عايزين ينزلوا البحر .
تذكر جلال أن والدته في القرية الآن، فأطلق منه عبارة مشحونة بالفرح، قائلاً بخور:
=أمي!

نطقت ليالي بتعجب:

_أمك؟ أمك ايه؟

وقف جلال، وعقله يسبح في عالم آخر، يبحث حوله بلا هدف عن أم الديب، كأنما يغوص في غمار الأحلام المتلاطمة، وقال بصوت متقطع، ومفعم بالقلق:
=أمي فين؟

خرج جلال من الغرفة، وإذا بأم الديب تجلس مع نعمة في البلكونة، فلم يستطع إلا أن يعبر عن تعجبه بصوت مندهش:

_ايه ده انتي مسافرتيش ياما؟

أجابت أم الديب بذهول:

=أسافر فين؟

رد جلال بارتياح:

_لا ولا حاجة...أمال أبويا وحمو فين؟

تفوهت نعمة بابتسامة:

=لقوك نايم فنزلوا يجيبوا الفطار .

تنفس جلال نفساً عميقاً، فارتاحت نفسه بعدها، وقال بانطباع منعش:

_يعني كل ده كان حلم؟

نطقت نعمة بتعجب:

=حلم ايه؟ أنا مش فاهمة حاجة!

رد جلال:

_لا ولا حاجة أنا داخل الحمام .

دخل جلال المرحاض، وهو يتحدث مع نفسه بأفكار متداخلة:

_لا ده أنا أحرص أوي من أمي ألا تتجنن وتعملها بجد .

تفوه حمود فجأة:

=أبا!

انفزع جلال من حديث ابنه بعد أن خرج من حوارته مع نفسه، فأطلق تعبيراً مليئاً بالدهشة:

أم الديب الجزء الثاني

_ ايه ده يا ض انت هنا بتعمل ايه؟

ضحك حمود، وقال بسخرية:

=بلعب في الترة .

ضحك جلال بابتهاج، وقال بصوت مفعم بالراحة:

_ ترعة ايه يا ض؟ ده بانيو .

رد حمود، وهو ينفض الماء بيده بلعب، وهو يضحك:

=متقاش قفل كده يا با .

قال جلال بجلبة:

_ اطلع برا يا ض عايز أعمل زي بقية الناس !

رد حمود:

=ما براحه... اللا !

حمل جلال ابنه من البانيو برفق، وأخرجه من المرحاض، ثم بدأ في قضاء حاجته. في هذه الأثناء، عاد المعلم حنفي، وحامد من المطعم، ووضعوا الأكياس المليئة بالطعام على الطاولة، فابتسمت أم الديب وقالت بابتسامة مشرقة:

_ أوعوا تكونوا كترتوا ده هما يا دوبك أربع ساندوتشات كل اتنين في واحد .

رد حامد بانزعاج:

=لما تدفعي من جيبك يا حماتي ابقى اتكلمي!

نطقت أم الديب بامتعاض:

_ انت بتغلط فيا يا حمو؟ ماتشوفي جوزك يا نعمة .

أجابت نعمة بخوف:

=حامد ميقصدش ياما .

خرجت ليالي من الغرفة بخطوات هادئة، وفتحت الأكياس بحذر، لتتظر في داخلها بفضول، قائلة:

_ جيبتوا الفول والطعمية؟

رد المعلم حنفي:

=أه أمال ايه؟ كله في السليم .

أخذت ليالي أكياس الطعام بيديها بحركة رشيقة، وقالت بنبرة مليئة بالحماس:

_ هدخل أعملكم فطار هتاكلوا صوابكم وراه .

تحدثت أم الديب بسخرية:

=وهي المنيلة على عينها بتعرف تعمل حاجة؟

ردت نعمة بسعادة:

_ طبعًا ياما، هو في حد زي ليالي في الأكل؟

دخلت هايدي المطبخ بخطوات واثقة، وقالت بنبرة مفعمة بالحيوية:

=صباح الخير يا ليالي .

قالت ليالي بابتسامة ودية:

_ صباح النور .

وأعطت الطماطم، والخيار لهايدي بلطف، وواصلت حديثها بنبرة مشجعة:

أم الديب الجزء الثاني

_خدي قطعيلي الطماطم والخيار .
تفوهت هايدي بكلمات حماسية، وهي تستعد لتقطيع الخضار:
=سهله مجاتش على دي، أمال ايه البروجرام النهاردة؟
تلفظت ليالي بجهل:
_يعني ايه؟
ردت هايدي:
=ناويين تعملوا ايه يعني؟
أجابت ليالي، وهي تبحث في الكيس عن الفلفل الأسود، بنبرة متفانية:
_هنفطر وبعدين نشرب الشاي، وبعدين نلبس، وننزل البحر ونرجع العصر نستحمي، ونتغدا، ونلبس،
وننزل نتمشى .
ردت هايدي، وهي تقطع الطماطم بالسكين بمهارة، قائلة بنبرة جادة:
=أه أوكي ، اسكتي مش أحمد وجميلة رايعين مع سامية وجوزها عشر أيام في الجونة؟
اشتعلت نار الغيرة في قلب ليالي في هذه اللحظة، فقالت بغیظ:
_وهي ياختي الجونة دي تيجي ايه في جمصة هنا كفاية ياختي إن في لمة وكله ببساعد بعضه .
نطقت هايدي بوضوح:
=هما قالوا يلحقوا يصيفوا قبل ما سامية تولد .
ردت ليالي بتعجب:
_هي حامل ولا ايه؟
أجابت هايدي بصراحة، وهدوء:
=أيوة وخلاص آخر شهر ليها، بس لعلمك الجونة مينفعش تدخل مقارنة مع المكان الحقير ده .
ردت ليالي بإغتيال، وهي تفرغ عبوة الفول في الطبق بحركات مُتسارعة:
_ما تخلي أخوكي يعيش عيشة أهله، هو حاطط راسه في العالي ليه؟ وبعدين لا مؤاخذة يعني رايع
يناسب واحدة أعلى منه ليه؟
ضحكت هايدي بابتهاج، وقالت بحنكة:
=أخويا بكالوريوس تجارة ودلوقتي شغال في أكبر الشركات وبيأخذ مرتب حلو أوي بيكفيه هو،
وجميلة، وسيليا يعني الفرق بينهم بقى معدوم مش دبلوم زي ناس !
ردت ليالي بضيق:
_ماله الدبلوم ياختي؟ وبعدين أنا شايفة يعني إن ست جميلة مش معبرة حد فيكم ولا بتتصل تظمن
عليكم.
أفحمتها هايدي بردها، وهي تقول بثقة مطلقة:
=مين قالك؟ أنا وجميلة كل يوم بنتكلم واتس واتحايلت عليا أول ما أرجع من السفر، وهما يرجعوا أروح
أقعد معاهم أسبوع .
نطقت ليالي باهتياج:
_طب قطعي الطماطم قطعي... يا مراري يآني !
بينما كانت أم الديب تقف في البلكونة المرتفعة، حيث تتأمل الأفق البعيد، قالت ببغضاء:

أم الديب الجزء الثاني

=أنا سامعاهم عمالين يرغوا في المطبخ .

ردت نعمة:

_وايه المشكلة ياما؟ خليه يدرشوا مع بعض شوية .

تلفظت أم الديب بصياح:

=هو احنا جايين نتكلم يا بت ولا نطفح، وننزل البحر؟

قالت نعمة بذهول، وعيناها تتلألأ بالدهشة:

_مالك يا حاجة ما تهدي على نفسك، متعصبة ليه؟

ردت أم الديب بامتعاض:

=هو كده آني لما بكون جعانة بتخانق مع دبان وشي .

دخل المعلم حنفي إلى البلكونة، حيث كانت حرارة الشمس تشتد فوق رؤوسهم، وقد بدا وكأنه يقول

بجدية:

_الشمس جامدة ما تدخلوا جوا لا يجيلكم ضربة شمس !

ردت أم الديب بصوت حاد:

=وانت مالك؟ ماتقعد وانت ساكت!

نطق نعمة بذهول، ووجهها يعكس التعجب العميق:

_ما جرى ايه بدل ما تقوليله كلمة حلوة ياما؟

تلفظ المعلم حنفي بسخط:

=هي كده طول عمرها لسانها أطول منها .

اقتربت أم الديب متجهة نحوه، وكلماتها خرجت محملة بالاحتدام:

_احترم نفسك يا راجل يا عرة!

واشتبك الاثنان سويًا، واندلعت مشكلة جديدة كأنهم صوت عاصفة في الساحة .

يتبع....

الفصل الرابع

خرج جلال من المرحاض على صدح نزاعهم سويًا، ووقف في المنتصف بينهم، وفض النزاع بينهم بكلماته السليمة، وحكمه الحكيم، قائلاً:

_تؤ تؤ عيب كده ياما، ده مهما كان جوزك أبو عيالك !

رد المعلم حنفي بسخط، وصدى صوته اهتز كأنه صوت رعد في سماء النزاع:

=تعالى ندخل جوا، أنا غلطان إني بنصح ولية زيك .

نظرت أم الديب للمعلم حنفي نظرات مليئة بالبغضاء، حيث انعكست على محياها ملامح الاستياء، والغضب العميق، وعندما دخل جلال، انضموا على الأريكة أمام شاشة التلفاز، وظلوا هناك حتى خرجت ليالي بالأطباق. في الوقت نفسه، كانت هايدي تنغمس في تحضير بقية الفطور بكل تفانٍ، وبعدما انتهت الاستعدادات، اجتمعت العائلة حول المائدة، حيث بدأوا بتناول الطعام بروح مليئة بالتلاحم، والترابط، تجسدت بينهم الوحدة. بعد الانتهاء من الوجبة، تغيرت أزيائهم وانطلقوا متجهين نحو البحر المجاور، حيث استقبلهم البحر بأواجه الهادرة، وبريقه الساحر، وفيما كان الأطفال يلهون بالمياه بفرحة لا حدود لها، كان حمود يتأمل المنظر بعيون ممتلئة بالسعادة، معبرًا بحماس جسيم:

_هيبه هتنزل البحر .

نطق محمد بسرور:

=أنا بحب البحر أوي .

رد حمود بسعادة:

_أبويا مدلعا .

تحدثت ليالي برعاية، وبلسم على الجروح:

=يلا يا عيال .

لكن هايدي اكتفت بالجلوس في الشقة المصيفية برفقة أختها نعمة، حيث كان الهدوء يسود الأجواء، وكانت النواذف تسمح بدخول أشعة الشمس الدافئة التي تنعش الأرواح. وعلى الجهة الأخرى، نزلت أم الديب إلى شاطئ البحر، حيث كانت تستمتع بلذة المياه التي تتخبطها موجاتها بلطف، وكانت ضحكاتهما تعلقو وجهها، ما يدل على ارتفاع هرمون السعادة في جسمها، وهي تصدح ببهجة:

_ده احساس حلو أوي .

لكن ليالي نظرت لأم الديب بابتسامة تخفي في طياتها بعض الاشمزاز، وقالت لزوجها بصوت هادي:

=بقولك ايه يا جلال، دخلنا بعيد عن أمك !

تساءل جلال بفضول متناغم بين كلماته، كأنه يحاول فك رموز ما يدور حوله:

_أمال أبوكي وأخواتك مش جايين ولا ايه؟

أجابت ليالي بدهاء:

=أنا قولت لأبويا مرضاش، بس بيني وبينك أنا فكرت لقيت إنه مينفعش انت عارف أمك لما بتشوف حد

من طرفي بتعمل ايه، وأنا المرة دي لو حد هوب ناحية أهلى مش هسكتله لو كان مين كده!

أعرب جلال عن استيائه تجاه والدته المتسلطة بتعبير منغمس في الضيق:

أم الديب الجزء الثاني

=أنا خلاص جيببت أخري من أمي، دي لا عاتقاني في الحلم ولا الحقيقة...لو ربنا سهل الحال هنشوف شقة برا .

ردت ليالي بسعادة:

_ عين العقل يا جلال وحتى متبقاش واحدة زي جميلة قاعده في شقة كبيرة وأنا وعيالي مزنوقين في شقة صغيرة...مش كفاية مجيبنتش نيش ولا سفرة في جهاززي؟

نطق جلال بسعادة، وابتسامته تتسع كالبحر المتلألئ في أشعة الشمس:

=لا ده الأمور تتحسن يا بت ونجيب شقة كبيرة وأعملك مطبخ مفتوح كمان .

ردت ليالي بفرحة، ونيرتها تنبض بالبهجة كالزهور في فصل الربيع:

_ انت بتتكلم بجد يا جلال؟

أجاب جلال بسعادة:

=أمال ايه؟ بس أمي تبعد عن سكتنا .

ضحكت ليالي بلهفة، وصوتها يعلو كنغمات موسيقية مُبتهجة:

_ يا لهوي دي هتضربنا عين تجيب أجلنا .

دخل الزوجان في عمق مياه البحر برفقة أولادهم، وفي لحظة من الحماس، قال جلال بصوت يعبق بالشغف:

=وهي هتחסد شقة ابنها برضة يا ليالي؟

نطقت ليالي بشحناء:

_ مفيش حماة بتحب الخير لمرات ابنها يا جلال !

في اللحظة التي كانت أم الديب تسبح في أعماق البحر، تذكرت ابنتها نعمة، التي كانت تعاني من العجز المؤقت، والذكريات الدافئة بينهما تعصف بذهنها كالأموج الهادرة، فعبرت بكلمات مليئة بالأسى:

=يا عيني عليك يا نعمة متجيسة، ومش عارفة تنزلي معانا .

اقترب المعلم حنفي من أم الديب، وكانت كلماته تنبعث منه بغضب ملتهب:

_ بسببك...كله بسببك يا وش الهم !

صاحت أم الديب في وجه المعلم حنفي بصوت ينطلق منه الامتعاض المتقد:

=بسبب مين يا راجل انت؟ ليه هو آني اللي طيرتها في الهوا؟

رد المعلم حنفي بصياح:

_ أقعدي كده وانتي ولية لاسعة...يا ولية يا بهيمة حد يجيب مفك، ويعمل بيه عربية الملاهي؟

نطقت أم الديب بجلبة حارة:

=العربية كانت بنتهز، وهتقع بينا أسيبها تقع بينا ونموت عشان سواد عيونك؟

نادى المعلم حنفي جلال بصوت متغلغل في الهواء:

_ ابعد الولية دي عني يا جلال...آني خلقي بقى في مناخيري!

وابتعد عنها، ودخل في عمق المياه، حيث تلاشت صورته عنها ببطء، وانغمس بعيداً عنها في عالم

السكون البحري الذي يحكي قصصاً لا يفهمها إلا من يعيشها. وفي الوقت نفسه، كان حامد يشعر

بالرغبة الكبيرة في تعليم ابنه الصغير السباحة، فأخذ بيده برفق وقال بابتسامة تعكس العاطفة الأبوية:

=عوم يا ولا، عوم واتعلم !

اقتربت أم الديب منهم، وبينما وجهها يعبر عن بذخ الأمل، قالت:

أم الديب الجزء الثاني

_هاته أعلمه ده أني بعوم عوم معامهوش أشطر سبح .

رد حامد بسخرية:

=أه طبعًا يا حماتي أصل مش أي حد يعرف بعوم وانتي ما شاءالله عليكي زي الريشة في الماية .
نطقت أم الديب بثقة عارمة:

_أيوه ياخويا أني محدش زيي .

وتشبتت بحفيدها محمد، وكانت عبارتها مستمدة من دفء الحنان:

_تعالى لسنتك يا ولا...ده انت ابن بتي نعمة الغالية هو أني ليا غيركم؟

تراجع محمد للخلف، وبدت عبارته محملة بالخوف الشديد، والترقب:

=لا يا ستي مش عاوز أموت .

تشبتت أم الديب بحفيدها بقوة أكبر من السابق، وكانت كلماتها تنطلق بحنان مفعم:

_تعالى يا ولا بقولك!

حملت أم الديب حفيدها فوق كتفها بقوة، ودخلت به في عمق مياه البحر، وفجأة، جرفتهم الأمواج بلا رحمة نحو السفح، دون أن يستطيعوا السيطرة على مسارهم. صرخت أم الديب بصوت مدوي، وقوي، ونادت بصوتٍ ملؤه الهلع، بينما حفيدها صاح بفرع:

=يايا...يايا !

انصدم حامد حينما اخترق صراخ ابنه محمد أذنه، فاندلعت ردود الفعل في داخله، وهو يصيح:

_محمد!

صرخ محمد بمعاناة ملتهبة، صدح صوته كالرنين المؤلم في أفق البحر:

=الحقوني بغرق...ستي بتغرقني!

استندت أم الديب بيدها بعنف فوق رأس حفيدها، محاولةً بشدة أن تحمي نفسها، وتتفقد حياتها من يران البحر العميق. وفي لحظة من الفرع، وبينما كانت تغوص تحت المياه، أردفت بصوتٍ يمزج بين الصمت، والشجن:

_لو مسندش على حفيدي أسند على مين؟

التفت جلال للصوت بتمعن شديد، وكانت عيناه تعكس القلق، وفي صدمة تامة، أدرك أن الوضع يتطلب استجابة سريعة، وحازمة، فقال بفرع:

=ايه ده محمد بيغرق!

جرى الجميع نحو محمد بسرعة فائقة لإنقاذه من شراسة الغرق، وبمساعدة جلال ووالده، حملوه بجهود مشتركة وجذبه بشدة إلى الشاطئ، حيث وضعوه على الرمل الرطب وبدأوا بتنفيذ إجراءات التنفس الاصطناعي لاستعادة نفسه، وفي هذا الوقت المحدق بالفرع، صاح المعلم حنفي بصوت يمزج بين الحنق، واليأس:

_طلاق تلاتة مانتي قاعدة هنا يوم زيادة !

ردت أم الديب بإرهاق:

=سيبوني في حالي .

نطق حامد بجلبة تمزق السكون:

أم الديب الجزء الثاني

_وحلفاني على حلفانك مانا كمان قاعد يا حمايا، وهاخذ ابني وهطلع آخذ مراتي ونرجع على بيتنا، ويوم ما نقول يا خروج مش هنخرج مع حماي .
تحدث جلال بصياح هزّ الأرض، كأنما يحاول تحطيم جدران الصمت وإيصال صده إلى أقصى أركان الشاطئ:
=يلا بينا فوق .

ردت ليالي بإغتيالها، وكلماتها ارتفعت كأموج البحر في يوم عاصف:
_يوه مانا قولتله بلاش مسمعش كلامي وجابها برضة...خليه يشرب بقي .
صعد الجميع إلى الشقة المصيفية باستثناء أم الديب التي لم تتبعهم، ودخل حامد وهو يحمل ابنه محمد على ذراعيه بخطوات ثقيلة نحو غرفة نعمة، ووضع الطفل بحنان في حضن أمه، حيث كانت تنتظرهم بفرغ الصبر. وفي لحظة من الغضب القاتم، قال حامد بصوت مليء بالاستياء، والكمد المختلطين:
=خدي ابنك يا هانم غرق وكان هيموت بسبب أمك .

عانقت نعمة ابنها بخوف جارف، وكانت كلماتها تتسم بالصراخ العاطفي:
_يا لهوي ابني حبيبي...تعالى يا ضنايا .
تحدث المعلم حنفي في منتصف الصلاة بصوت عالٍ، وقاطع:
=يلا ادخلوا استحموا، وجهزوا الشنط احنا راجعين على البلد .
خرجت هايدي من البلكونة، وهي ترتدي سماعة الهاتف في أذنها، وتستمع إلى الأغاني وسط صياح العائلة الذي اخترق جو الهدوء، فتعجبت وسط هذا التناقض البارز بين السلام، والضجيج، وقالت بفضول:
_في ايه؟

ردت ليالي بصياح:
=انتي نايمة في العسل ولا حاسة بحاجة، محمد يا قلب أمه غرق ولحقناه كان هيروح فيها .
تلفظت هايدي بصدمة، وكانت عبارتها مليئة بالدهشة:
_وده حصل ازاي؟

رد جلال بصياح:
=أمك السبب !
وأردف لزوجته بعجيج:
=خشني الحمام يا ليالي حمي العيال انتي لسه هنتكلمي؟

أجابت ليالي بخوفٍ مُلتفٍ حولها، كلماتها تنبعث منها بترددٍ، وقلقٍ عميقين:
_ما براحه ياخويا في ايه؟

دخلت ليالي المرحاض مع أبنائها، حيث قال جلال لهايدي:
=يلا البسي، ولموا الحاجة عشان ماشيين .
ردت هايدي بسعادة لا تُوصف:
_بجد هنمشي؟

أجاب جلال بكمد واضح في نبرة صوته:
=أه أمال ايه؟ هو بعد اللي حصل هنفضل قاعدين نهيب ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

وكان هذه اللحظة التي كانت هايدي تتوق لها منذ أيام، فقالت بسعادة:

_ الحمد لله يارب الحمد لله... أخيرًا!!

بعد مرور ساعة من الوقت، حيث انتهت العائلة من الاستحمام، وارتداء الملابس، وتجميع بقية الثياب بداخل الحقائب، وفي لحظة مواتية قبل أن يستعدوا لركوب السيارة، ألقت نعمة بنظرة متعجبة، تعبيرًا عن حنانها تجاه والدتها:

=طب وأمي؟

رد جلال بجلبة، وهو يستعد للقيادة، بتمعن يعكس ثقته الواثقة في المهمة التي تنتظرهم:

_ وهو بعد اللي عملته لسه قلبك عليها؟

وضع حامد الحقائب بعناية فوق سقف السيارة بمساعدة المعلم حنفي، ثم ركبوا السيارة وانطلقوا، وفيما بدأ جلال في القيادة بسخط، تحدثت ليالي بلطف، محاولةً تهدئة الأجواء المشحونة:

=خلاص يا جماعة استهدوا بالله كانت غلطة واتعلمنا منها .

رد جلال بندم:

_ ياريتني سمعت كلامك... كان عليا بابه ده كله؟

تلفظ المعلم حنفي بتخطيط دقيق، مبدئيًا حرصه على ترتيب كل تفصيل لضمان سلامة الرحلة القادمة:

=المره الجايه نتفق كلنا من غير ما أمك تعرف .

ضحك جلال بسخرية، معبرًا عن انزعاجه بطريقة هزلية:

_ ده إن كان في مرة جاية .

ردت ليالي، وهي تحتضن ابنتها تقي، بكلمات تنبع من قلبها المليء بالحنان:

=اللي حصل حصل.. مين عارف يمكن ربنا يعوضنا بسفرية تانية .

تفوهت هايدي بانتصار، معبرة عن نور بصيرتها بكلمات مفعمة بالثقة:

_ أنا أصلًا مكنتش عايزة آجي .

وضعت نعمة يدها بلطف فوق جبين محمد، وشعرت بارتفاع حرارته الملموسة وارتجاف جسده

الصغير، ما دفعها إلى التعبير بخوف عميق، وهي تقول بصوت متردد:

=الواد تعبان أوي يا حمو .

نطق حامد باستجابة، معبرًا عن رد فعله بطريقة تعكس تفاعله الفعال:

_ وقفنا عند أي مستشفى يا جلال ندفعله كشف .

ضمت نعمة ابنها بقوة إلى حضنها، وكان صوتها ينطلق بحزن مؤثر، كأنها تعبر عن آلام عميقة

تعصف بداخلها:

=معلش يا قلب أمك متخافش انت وسط أهلك .

ردت ليالي، وهي متأثرة بالموقف، بكلمات تنم عن تأملها العميق في الأمور التي تحدث حولها:

_ متخافيش عليه يا نعمة ان شاء الله ربنا هيعديها على خير .

تلفظت نعمة باستياء:

=يارب سترك .

أثناء قيادة جلال للسيارة، مروا أمام مستشفى وأدركوا ضرورة التوقف، فتوقفوا ونزلت العائلة بما فيها

نعمة، وكان زوجها يقدم لها الدعم، والرعاية بكل حنان. وفي الوقت نفسه، كان جلال يحمل ابن أخته

أم الديب الجزء الثاني

بين ذراعيه بعناية، حتى وصلوا به إلى غرفة الكشف، حيث قاموا بسررد كل تفاصيل الحادث للطبيب المعالج، فأبدى قوله بتساؤل:

_مين فيكم المريض؟

أشار المعلم حنفي على محمد بابتسامة دافئة، وقال:

=الواد ده .

نطق الطبيب:

_تعالى!

بعد أن أجرى الطبيب الكشف على محمد وقدم العلاج اللازم، نظر إليهم بابتسامة مطمئنة، وقال بصوت ينبض بالأمل، مُطمئناً إياهم بأن كل شيء سيكون بخير:

_خد دور سخونية بس هيروح بالعلاج ده، تقدرروا تصرفوا العلاج من قسم الأدوية تحت .

رد جلال بقلق:

=يعني الواد تمام؟

أجاب الطبيب بابتسامة:

_لا لا زي الفل مفيهوش حاجة .

استلم جلال الروشنة من الطبيب بعجلة، ثم نزل لصرف العلاج من الطابق السفلي، وبعد ذلك عادوا للسيارة مجدداً، وأكملوا طريقهم بتناول في العودة إلى الروتين اليومي. وفي أثناء مرورهم إزاء مطعم، توقف جلال، ونظر إلى الخارج بترقب، وقال بابتسامة:

=انزلوا خلوها تختم بحاجة عدلة .

رد المعلم حنفي بضيق، معبراً عن انزعاجه بطريقة تعكس حالة من الاضطراب:

_على رأيك...دي كانت سفرية الهم .

نزلت العائلة بأكملها من السيارة، ووجدوا أنفسهم جالسين على أكبر طاولة متاحة في المطعم، حيث كانت الأجواء هادئة، ومريحة. بعد مرور خمس دقائق، حضر الجرسون وقدم لهم ورقة الطلبات وقلماً لكتابة ما يرغبون به. تقدم الجرسون بابتسامة واضحة على وجهه، وكان ينتظر بصبر لسماع طلباتهم المختلفة، وتفصيلها:

=طلباتكم؟

أجاب جلال بتفكير:

_أنا عاوز نص كفتة، وفرخة، ورز، وسلطات .

رد المعلم حنفي:

=زودلنا عليهم كوارع، وكيلو لحمة .

تساءل جلال بحيرة، وكانت عبارة السؤال تعكس فضوله، واستعداده لاستكشاف رغباتهم:

_عايزين ايه تاني؟

نطقت ليالي بتفكير عميق، حيث كانت عبارتها تعكس انشغالها بالأفكار:

=طبق محشي مشكل اللهي يسترک .

قالت نعمة، معبرة عن قناعتها بالقرار الذي اتخذته بشكل نهائي:

_مكرونه باللحمة .

لكن جلال شعر بالضيق من كثرة الطلبات، فأبدى انزعاجه بكلماته:

أم الديب الجزء الثاني

=ما جرا ايه كل الطلبات دي؟

ردت هايدي:

_أنا عايزة نجرسكو .

وقف جلال مكانه، وأطلق صيحة بقوة، تعبيرًا عن استيائه:

=تجرسي مين يا بت؟ ما جرا ايه شغله ده ياأبا؟

أمسك المعلم حنفي بيد جلال برفق، في محاولة لتهدئته، قائلاً بحزم:

_أقعد يا جلال!

رد جلال بسخط:

=ما تشوف بتك بتقول ايه، بقى على آخر الزمن تقولي نجرسكو ليه عاملين عاملة، وأنا معرفش؟

تفوهت هايدي باشمنزاز:

_خلاص خلصت الفيلم بتاعك ده؟ النجرسكو دي مكرونة بالصوص الأبيض .

اقتربت ليالي ببطاء من جلال، وكانت عبارتها تنبعث بصوت خافت، حاملةً في تعبيرها إحراجًا:

=أقعد يا جلال شكلك بقى وحش أوي .

شعر جلال بالإحراج في هذه اللحظة، فجلس بصمت مُندهشًا، وألقى بكلماته بتردد، وهو يُحاول إيجاد

الطريقة المناسبة للتعبير عن مشاعره:

_ماهو مش كده يا جماعة .

ضحك الجرسون ضحكًا شديدًا على جهل جلال، وعصبيته المفرطة، فلم يتحمل جلال استخفاف الجرسون به، وقف فجأة، ومد يده الى جيب بنطاله ليخرج المطوى، وأحكم قبضته حول يد الجرسون واحتجزه بين الحائطين، حيث تصارعت رؤوسهما كما يتصارع القطط الذكور، وصاح جلال بصوت مرتفع:

_لو مكتوب على وشي نكتة عرفني، وأنا أضحك معاك!

نطق الجرسون بفزع:

=ميصحش كده يا أستاذ محصلش حاجة لكل ده .

رد جلال بصوت حاد:

_كويس يا ض إنك عارف إن محصلش حاجة لكل ده... عرفني بتضحك ليه لما هو محصلش؟

وقف المعلم حنفي، وتشبث بجلال بقوة، وهو يحاول بجهد إبعاده عن الجرسون، معبرًا عن قلقه، واضطرابه، وكأنه يحاول تهدئة عاصفة غضب داخلية، فقال وهو متجهم الوجه:

=أقعد يا جلال خلينا نطفح ونمشي .

رد جلال باحتدام:

_ميصحش ياأبا، مش أنا اللي يتقل مني !

وواصل حديثه مع الجرسون بصياح مليء بالموجدة، كأنه يطلق رياحًا من الكلمات المتقطعة تتطاير

كالأمواج في بحر هائج:

_لعلمك يا ض أنا ممكن أتصل بخالي ضايح يلم لمته، ويجي هنا يعملها معاك .

صرخ الجرسون قائلاً برهبة، كأنه يفتح صمامًا للخوف المتراكم:

=سيبني بقولك !

أم الديب الجزء الثاني

نشب حامد بجلال بلطف، وقال بترقب:

_تعالى يا جلال .

أبعد حامد جلال عن الجرسون بحنكة، وجلسوا سوياً مرة أخرى، في حين أخرج المعلم حنفي المال من جيبه وأعطاه للجرسون، الذي رفض بصوت مرتفع وبوجه يعبس، معبراً عن استيائه، ورفضه المطلق للتصالح أو القبول بالرشوة:

_يا حاج ابنك كان هيموتني!

رد المعلم حنفي بإلحاح:

=هاتها فيا...روح انت بس شوف شغلك .

مد الجرسون يده، وأخذ المال، وقال بصوتٍ مليءٍ بالخجل:

_ماشى يا حاج .

جلس المعلم حنفي على الطاولة مجدداً، وكأنه يتوجس من أبعاد الواقع المرير الذي تعرض له:

=اهدى يا جلال بقى متخليش الناس تبصلنا .

تحدثت ليالي بضيق، وكأنها تنغمس في بحر من الهموم، والأفكار المتشابكة:

_معلش يا حمايا أصل جلال دمه محروق من عمائل أمه فتلاقيه مآثر على مزاجه .

رد المعلم حنفي:

=خلي جوزك يهدي اللعب شوية .

بعد مرور أربعين دقيقة من الانتظار المحموم، قدم الجرسون بالطعام ووضع أمام العائلة بترتيب محكم، ثم رحل مترنحاً. التهمت العائلة الطعام بلا هوادة، كأنهم يختبرون طعمه لأول مرة في حياتهم، فتناثر الطعام من أفواههم كأوراق الخريف تتطاير في الريح. ومن بين تلك اللحظات الساحرة، كانوا ينازعون بعضهم البعض على النهش في الأطباق، مما أدى إلى سقوط بعض الطعام على باقي الأطباق الموجودة على الطاولة، وفي لحظة من الاشمزاز الخفي، نطقت هايدي كلماتها بتعبير مفرع:

_الناس بتبص عليكم، بلاش طريقة الأكل دي!

ردت نعمة، وهي تمضغ الطعام ببطء متناولة كل قطعة بتأن، كأنها تعيش في عالم موازٍ من الشهوات:

=خليكي على طبيعتك يا هايدي أنا عن نفسي مباحبش التمثيل .

تحدث المعلم حنفي، وهو يلتهم قطعة اللحم بنفس الوقت:

_ياه الأكل حلو أوي .

تحدث جلال وهو يتلذذ بتناول الطعام، مستمتعاً بكل لحظة من مذاق الوجبات التي وضعت أمامهم:

=يا سلام على الكفتة، واللحمة، وحلاوتهم .

بعد مرور نصف ساعة قضت العائلة في استمتاعها بالطعام، فظهرت الأطباق لامعة كالنجم الساطع في

سما صافية بعد هطول المطر، وقالت ليالي، وهي تلتقط نفسها بعمق:

_قوموا نغسل ايدينا .

دخلت ليالي بأبنائها إلى المرحاض، في حين ذهب المعلم حنفي، وجلال لدفع الحساب، وبينما كانوا

ينتظرون، قال جلال وهو يعبر عن فضوله:

=الحساب كام يا معلم؟

رد المُحاسب:

٦٥٠ _ جنيه.

أم الديب الجزء الثاني

نطق المعلم حنفي بتعجب:

=غالي أوي كده ليه؟

أجاب المُحاسب:

_ ده أقل حاجة يا حاج !

رد جلال بصوت حاد:

=كل واحد يطلع باللي في جيبه !

أخرج الرجال كل واحد منهم مبلغاً من المال، حتى أجمعوا المال المطلوب لدفع الحساب الضخم، وعندما انتهوا من الدفع، امتلأت السيارة بأجواء الراحة، والتخفيف، وفيما كانوا ينطلقون بسكون، سمع المعلم حنفي ينفث نفساً عميقاً من الارتياح، وهو يتلفظ:

_ بس الأكلة تستاهل الـ ٦٥٠ جنيه... ده الأكل كان حلو حلاوة .

رد جلال وهو يقود بمزاج جيد، متأملاً في الطريق الممتد أمامهم كما يتأمل الفنان في لوحة مفتوحة:

=أمال ايه؟ ده الأكل عشرة على عشرة .

وقبل أن يدير السيارة، أردف بابتسامة واثقة تنعكس على وجهه:

=ناقص التحلية بابا .

نطق المعلم حنفي باشتهاء:

_ عايز أحبس بكوباية شاي نعناع .

التف جلال للخلف، وقال بصوتٍ مليء بالاهتمام:

=هتشرّبوا ايه؟

ردت ليالي:

_ هاتلي مانجا أنا والعيال .

أجابت نعمة:

=وأنا قصب .

طلبت هايدي مشروبها المفضل، وهي تقول بنبرةٍ شغوفة:

_ هاتولي جواقة باللبن .

تحدث جلال:

=انزل معايا يا حمو .

نزل جلال، وحامد من السيارة وقاموا بشراء المشروبات المثلجة من البقالة القريبة، حيث اختاروا بعناية كل مشروب حسب نوقهم، ثم عادوا مجدداً إلى السيارة وقاموا بتوزيع المشروبات على أفراد العائلة ببهجة، فهذه المرة الأولى التي يصرفون فيها المال بدون تردد، وكانت لحظة من الحرية والانسجام بينهم. حيث أدار جلال السيارة بحرفية، وأمان، وأكمل طريقهم باتجاه القرية، حيث كان الطريق يمتد أمامهم كمسار يملؤه الإثارة، وبعد مرور ساعة ونصف من الرحلة، وصلوا أخيراً إلى القرية الهادئة ونزل الجميع من السيارة بأملٍ. فقال جلال وهو يلتقط أنفاسه بعمق:

=حمدالله على السلامة .

رد حامد بارتياح، وعبر عن ذلك بابتسامة منعشة تعكس سعادته:

_ الله يسلمك .

أم الديب الجزء الثاني

حمل كل واحد منهم حقائبه، وهم يسرعون إلى منازلهم في ظل الظلام الدامس الذي يحجب النجوم. وبعد أن دخلوا الشقة، وسط جوٍ من الرضا الذي يملأ الأجواء بالتفاؤل، قال حمود بسعادة وهو يطمئن إلى سلامة كل واحدٍ منهم:
=هنروح البحر ثاني امتي؟

ردت ليالي، وهي تضع الحقيبة على الأرض بحذر شديد، كأنها تصنع الراحة بين جدران المنزل:
_السنة الجاية، وعليكوا بخير .

تحدثت تقى باستياء:

=ستي بوظت الفسحة .

قالت ليالي بضيق يحجب نبرتها:

_عندك حق يا تقى، ولو هي مبوظتهاش أمال مين يبوظها؟

وضع جلال الحقائب في الغرفة، وأعلن:

=غيروا يا عيال مش عاوز أشوف حد فيكم بلبس الخروج .

جلست ليالي متعبة على الأريكة، وتحدثت بإرهاق:

_أنا هروح بكره لأبويا أقعد عنده أسبوع .

جلس جلال هو الآخر، ونطق كلماته بإنهاك:

=وده ليه؟

ردت ليالي بتنهيذة عميقة، تعبس بها وجهها:

_أجدد نفسي اللي باظت من عمائل أمك .

ثم تذكرت كون أم الديب بمفردها في هذه اللحظة، فانفجرت ضحكة عالية من شدة فرحها، وأضافت بابتسامة:

=طب تصدق زمان أمك دلوقتي بتلف حوالين نفسها ومش عارفة ترجع ده احنا يا عيني لمينا هدومها

والراجل استلم الشقة مننا...يعني هتبات في الشارع ده ممعاهاش قرش ساغ يوحد ربنا ترجع بيه .

نظر جلال لها بعين حمراء متوهجة، واندفع صوته بحدة:

_ما جرا ايه يا ليالي انتي هتسوقي فيها ولا ايه؟

ردت ليالي بفرع:

=ايه يا جلال مالك مانت كنت كويس؟

قال جلال بصوت حاد:

_خشني نامي مش عاوز كلام كتير !

خشت ليالي من حدة صوت جلال، فوقف، ودخلت غرفتها لتغيير ملابسها قبل أن تخلد للنوم. وفي الطابق السفلي من شقة المعلم حنفي، كان جالساً على الأريكة وهو يشعر بالسعادة لعودته إلى منزله، مبتهجاً بما حدث لأم الديب، التي لا تزال في المصيف بمفردها ولا تعلم ماذا حدث لهم. فقال ببهجة:

=أحمدك يارب رجعنا من غيرها أخيراً .

تحدثت هايدي بصوت مليء بالندم:

_دي أول وآخر مرة أجي معاكم في حنة !

رد المعلم حنفي بسخط:

أم الديب الجزء الثاني

=متجيش ياختي انتي هتذلينا ولا ايه؟

تفوهت هايدي بابتسامة منعشة، وارتياح واضح في صوتها:
_لا... بس كويس إننا هنرتاح من ماما كام يوم .

رد المعلم حنفي:

=هي اللي كان بإيديها نحبها لكن بعميلها اللي زي الزفت محدش مبسوط منها والكل كرهها .
تنهدت هايدي بعمق، ونطقت كلماتها بإقتناع ملحوظ:
_عندك حق يا بابا .

قال المعلم حنفي بنعاس يعكسه عيناه المتثاقلتان:

=يلا نامي، الصباح رباح .

ردت هايدي بابتسامة:

_تصبح على خير .

دخلت هايدي غرفتها بعد يوم طويل من العمل الشاق، وغيرت ثيابها ببطء متناغم، ثم خلعت إلى الفراش لتستريح من تعب اليوم الشاق. وفي صباح اليوم التالي، أخذت ليالي حقيبتها بحرص شديد، وجمعت أبناءها الصغار معها، ونزلت بهم بحذر، متجهة إلى منزل عائلتها البعيد. لكن فور وصولها المدخل، تفاجأوا بالظلام الكاحل الذي يعم الأرجاء، فتساءلت بهتان العينين:
=اللمبة مالها اتحرقت ولا ايه؟

اقتربت ليالي من مفتاح الكهرباء بخطوات ثابتة، وضغطت عليه بقوة، فامتأ المكان بالضوء الساطع كموجة من الأمل تعانق كل زاوية، فمأ صدى صوتها المندھش، وهي تقول:
=ماهي شغالة أهي .

نظرت ليالي جانبها، فوجدت أم الديب تقف هناك بملابس السباحة، تلقي عليهم نظرات من الحقد، والكرهية. ارتعشت من الفزع عندما رأتها وبدأت تعول بصوت عالٍ، ثم سرعان ما صعدت بأبنائها الصغار بسرعة نحو الدرج. وقبل أن يتسلق حمود ليصل إلى شقته، قرر أن يطرق باب شقة المعلم حنفي. وعندما خرج الجد بتعجب، وخوف من الأحداث المُريبة، قال بصوت مرتجف:

_في ايه... في ايه؟

رد حمود بصراخ:

=ستي رجعت!

صعد حمود مُسرّعاً قبل أن تصل إليهم، وأوصدوا بابهم خلفهم، حيث اندمجت أصوات خطواتهم مع صدى الهمسات في أروقة المنزل. وفيما كان المعلم حنفي، مع رغبته الكبيرة في التفكير المنفرد حول عودة زوجته إلى الدار بمفردها، صمت لحظةً طويلةً ترددت فيها ظلال الشك، والحذر. ثم، بتعجب، وقلق متداخلين، عبّر قائلاً:

_رجعت ازاي؟

صعدت أم الديب بخطوات ثقيلة، ووصلت إلى هايدي، حيث ترنح صدى صوتها الحاد في الهواء المليء بالتوتر، وقالت باحتدام ملتهب:

=أني هقولك ازاي !

رد المعلم حنفي بتعجب:

أم الديب الجزء الثاني

_ازاي؟

أمسكت أم الديب بقالب الطوب الأحمر، وكأنها تحتفظ بوزن الكون في يديها، وقالت بصوت محمل بالحفيظة المتأججة:
=كدهو .

وضربته بقالب الطوب الأحمر فوق رأسه بقوة، فانكسر الصمت المرعب بصراخه الحاد وسقط مغشياً عليه. سرعان ما نزل جلال من الدور العلوي متسابقاً لمعاونة الضحية، لكن أم الديب، متجاهلة الفوضى التي أحدثتها، ودخلت إلى المرحاض لتبدأ استحمامها. بعد دقائق، نزل حامد بعد الكارثة في هذه اللحظات الصاخبة، وفور رؤية جلال للموقف، صرخ بصوت متوتر:
_مالك يا جلال ايه؟

رد المعلم حنفي بألم:

=ودوني المستشفى بسرعة .

وبالفعل، نقل جلال، وحامد المعلم حنفي بعجلة الإسعاف إلى المستشفى، حيث استقبله الأطباء بعد تدخلهم السريع، وبعد أن أجروا الكشف الطبي عليه وأجروا الفحوصات اللازمة، قال الطبيب بجدية وهو يلقي نظرة مهتمة على النتائج:

_متقلقوش الجرح بسيط، وهيلم مع الوقت .

ثم لف الشاش، والقطن حول رأس المعلم حنفي، وعادوا مجدداً إلى المنزل، حيث بدأوا في تعافهم تدريجياً. وبعد مرور شهر، شفيت نعمة من كسر ساقها، وكذلك المعلم حنفي شفى من جرح رأسه، وعادوا لحياتهم الطبيعية بعد تلقي الرعاية اللازمة. في هذا اليوم الخريفي الهادئ، كانت هايدي تجلس في غرفتها الصغيرة المنعزلة، تتأمل في أفكارها، وتتذكر لحظات الألم، والخوف التي مرت بها. خيوط الذكريات تتشابك مع خيوط الأمل في عقلها، وكانت تتذكر وسامة علاء الدين، الإبن الأصغر لأم قمر الدين، الشاب الذي يتمتع بجمال فتاك وطول قامة يبلغ مترًا وتسعين سنتيمترًا. بشرته بيضاء كاللبن، ووجهه النقي كالقمر في السماء. شعره البني الحريري ينسدل بأناقة في الهواء، مما جعل هايدي تفكر في إمكانية الزواج منه، خصوصاً أن أخاها قد تزوج أخته. لكن، وسط هذه الأفكار الوردية، تواجه هايدي مشكلاتها الشخصية، والعائلية، خاصة مع أم الديب التي تمثل بالنسبة لها قبضة نارية مميتة. هي تشعر بأنها مدفونة في الوحل بالحياة، حيث ترى الناس من حولها يصعدون إلى أعلى المناصب، والمستويات في حياتهم، بينما هي لا تشارك إلا بالتشجيع، والتهنئات. وقفت هايدي أمام المرأة، ونظرت إلى نفسها الضائعة في تلك الأفكار، وسط دهشة الحياة، والرغبة الشديدة في الوصول إلى قلب علاء الدين، فوجدت نفسها تقول بصوت هادئ مليء بالحيرة:

=لازم أعجبه لازم، هو أنا أقل من البنات اللي حواليه؟

دخلت أم الديب الغرفة في تلك اللحظة، وكأنها عاصفة تعصف بسكون اللحظة، ووجهها المشدود يعكس حدة العواطف المتناقضة في داخلها، وقالت بصوت ينبض بالسلطة:

_مالك يا بت بتكلمي نفسك ولا ايه؟

ردت هايدي بتوتر:

=ها؟ ده أنا... ده أنا .

نطقت أم الديب بصوت حاد:

أم الديب الجزء الثاني

_ ما تتكلمي انتي واكله سد الحنك ولا ايه؟
ابتلعت هايدي ريقها بصعوبة، وقالت بصوت مرتجف مليء بالخوف:
=ده أنا كنت بسمع جزء من مشهد في مسلسل عاجبني أوي .
تلفظت أم الديب بفضول:
_ مسلسل ايه دهو؟
تلجلجت هايدي في حديثها، وقالت بتلعثم في حروفها:
=مسلسل... مسلسل... نسيت اسمه .
تحدثت أم الديب بصوت حاد:
_ مالك يا منيلة مش على بعضك كده ليه؟
أجابت هايدي بتلعثم:
=مفيش حاجة يا ماما... يلا أنا ماشية بقي ألا اتأخرت .
غادرت هايدي المنزل، فاستبدت الدهشة بأم الديب التي وقفت متسمرّة في مكانها، تتساءل في داخلها عن السرّ الكامن وراء هذا الرحيل المفاجئ:
_ البت مالها مش على بعضها كده ليه ومتلغطة؟ يلا واني مالي؟ المهم حلة المحشي .
دخلت أم الديب المطبخ بخطى متثاقلة، لتطمئن على قدر المحشي. بينما انطلقت هايدي بخفة إلى صالون التجميل في البلدة المجاورة. وبوجه يغمره الأمل، توجهت إلى موظفة الاستقبال، وقالت بإبتسامة خافتة:
=صباح الخير .
ردت الموظفة بإبتسامة:
_ صباح النور .
تحدثت هايدي بتفكير عميق، وعينيها تتوهجان بالأمل، والبحث عن التغيير:
=كنت عايزة أعمل نيولوك حلو كده شعر، وتنضيف بشرة، وباديكير .
تساءلت الموظفة باحترام:
_ عندنا كل حاجة يا فندم تحبي نبدأ بإيه؟
ردت هايدي بتفكير:
=تنضيف البشرة الأول، التكلفة هتكون في حدود كام؟
أجابت الموظفة:
_ احنا عاملين خصم يا فندم لحسن حظك .
نطقت هايدي:
=أه طب كويس .

أخرجت هايدي المال من حقيبتها برشاقة بعد أن علمت بالأسعار، واستلمت بطاقة من موظفة الاستقبال، ودخلت بها إلى صالون التجميل. هناك، صنعت مظهرًا تجميلياً جديدًا؛ ارتدت الباروكة، وركبت الأظافر الاصطناعية، ووضعت المكياج، فأصبحت في أبهى صورة، ثم غادرت المكان بخطى واثقة، واتجهت إلى موقف السيارات. بعد ثلاث ساعات، وصلت إلى الكمباوند الذي تقطن فيه أم قمر الدين. وقفت أمام منزلها، ونظرتها تحت النظارة الشمسية كانت مزيجًا من الترقب، والخوف أن يراها أحد. لوهلة، استجمعت شجاعتها وقالت لنفسها، "وما المشكلة إن حدث؟"

أم الديب الجزء الثاني

استأذنت من الحرس، وبعد التأكد من هويتها، سمحوا لها بالدخول إلى القصر. هناك، وجدت أم قمر الدين في انتظارها، فقالت بدهشة:

_ ايه ده هايدي؟ ازيك عاملة ايه؟ أدخلي !

ردت هايدي بابتسامة:

=الحمدلله يا طنط .

جلس الاثنان معًا في هدوء، فقالت أم قمر الدين:

_ كان في حاجة ولا ايه؟

شعرت هايدي بأن لا مفر من الكذب، فاجتاحتها رغبة ملحة لاختراع حجة مقنعة. ترددت للحظة، ثم قالت بصوت مرتعش:

=ها؟ لا أبدًا ده انتي وحشتيني قولى آجي أشوفك .

ردت أم قمر الدين بود:

_ ميرسي يا حبيبتى كتر خيرك... قوليلي بقى تشربي ايه؟

أجابت هايدي بإحراج:

=ولا أي حاجة يا طنط .

وقفت أم قمر الدين بثبات، وقالت بإصرار لا يقبل الجدل:

_ ازاي بس، لازم تشربي حاجة، مينفعش!

ردت هايدي بابتسامة:

=خلاص اختاريلي على مزاجك .

ثم نظرت حولها بحذر، وبدون أي مقدمات، قالت بنبرة حاسمة:

_ أمال علاء الدين فين؟

ردت أم قمر الدين بتعجب:

=نعم؟

أرادت هايدي إصلاح ما أفسدته بعفويتها الساذجة، فتسرعت في القول:

_ أقصد الفيلم بتاع علاء الدين، والمصباح السحري .

ضحكت أم قمر الدين، وقالت بإحراج:

=مش معقول أنا فكرتك بتتكلمي على علاء ابني .

ردت هايدي بخجلٍ واضح:

_ لا يا طنط أنا بعنبره زي أخويا مش أكثر .

ضحكت أم قمر الدين بصوتٍ عذب، ثم دخلت المطبخ عند الخادمت لتقوم ببعض الأعمال المنزلية. بالصدفة، دخل علاء الدين من باب القصر، فانصدمت هايدي بعد أن رأته أمامها، وارتجفت خوفًا حتى وصل إليها. وبعد لحظات من الصمت المتوتر، قال بصوتٍ هادئ، ومتأمل:

=هالو... ايه مامي فين؟

ردت هايدي بارتجاف، وعيناها تعكسان الذهول، والخوف المختلطين، حيث بدت كالورقة المتزلفة في عاصفة الخريف:

_ هاي... طنط جوا .

نظر علاء الدين إليها بتعجب عميق، وقال بصوتٍ هادئ ممزوج بالدهشة:

أم الديب الجزء الثاني

=انتي مين؟

أجابت هايدي بابتسامة:

_معقول مش عارفني؟ أنا هايدي أخت أحمد جوز أختك .

رد علاء الدين بلا مبالاة:

=أها سوري معلىش .

كانت هايدي تظن أنه عندما يراها، ستتغير موازين الكون من أجلها، وستشعر ولو للحظة واحدة بأنه يبادلها ولو ربع ذرة من مشاعرها له. لكن عندما وصلها إحساس لامبالاته، ازداد غضبها، واشتعلت نارها الدفينة بداخلها. وفي داخل نفسها، قالت بصوتٍ مُحبط:

_يعني صارفة، ومكلفة، وولا فارق معاه؟

بعد دقائق، دخلت أم قمر الدين إلى الريسبيشن بابتسامة واسعة تعكس سعادتها الغامرة. خلفها، كان الخادمون يحملون كل ما هو لذيذ، وشهي من حلويات متنوعة، وعصائر فريدة من نوعها، وفواكه طازجة، وملونة. تحدثت أم قمر الدين بصوتٍ مليء بالسخاء، والحماس، مرحبة بضيفتها بحرارة:

=انتي منورة الدنيا بجد يا هايدي .

ردت هايدي بسعادة:

_ميرسي يا طنط ربنا يخليكي لينا .

وضعت الخادمات الحلوى، والعصائر، والفاكهة باحترافية فوق طاولة الأريكة، ثم غادروا بخفة خطى تعكس الكرم. بينما جلست أم قمر الدين بأناقة، ووضعت ساقاً تلو الأخرى بلطف على الأرضية المغطاة بالسجاد الفخم، وبعد مرور خمس دقائق، نزل علاء الدين من غرفته بخطى ثابتة، وهادئة، مما أثار دهشة أم قمر الدين التي لم تكن تتوقع رؤيته بهذا التوقيت. قالت بصوتٍ مليء بالفضول، والتساؤلات:

=رايح فين يا علاء الدين؟

أجاب علاء الدين:

_خارج في مشوار .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=أوكي يا حبيبي خد بالك من نفسك !

نطق علاء الدين بكلمات مفعمة بالحب:

_متفلقيش .

خرج علاء الدين من المنزل، وفور رحيله، أرادت هايدي بشدة اختراع حجج باطلة بأي شكل من الأشكال لتبرير خروجها. أمسكت هاتفها بين يديها بتوتر، وتوقعات سيئة، ووقفت في مكانها محاولة تصور السيناريوهات المختلفة التي قد تحصل، وقالت بنبرة مستاءة:

=ياه معقول؟ أنا صاحبتني بعنتلي مسدج بنقولي مامتها تعبانة...أنا لازم أروح أطمئن عليها .

وقفت أم قمر الدين بلا حراك، وبدى الفرع يلوح في عينيها المتلاثلتين، وهي تتلعثم في كلماتها قائلة:

_أوه معقول؟

ردت هايدي بتلجلج:

=أه طبعًا... يا دوب ألحق أروحهم .

أم الديب الجزء الثاني

بينما كانت هايدي تعانق أم قمر الدين، ما زالت تشعر بالدهشة من إصرارها على الخروج. وما لبثت أن خرجت بسرعة من المنزل، محدقة بانتباه شديد في حركات علاء الدين، وهي تتأمل في نفسها بصوت خافت، حيث تسائلت في داخلها:
_يوه ده سريع أوي .

وقفت هايدي في الشارع الحيوي، وأشارت بحزم للتاكسي الذي كان يمر بالقرب، ثم ركبت فيه بتمهل، وطلبت من السائق أن يتبع سيارة علاء الدين بحذر. وبعد وصولها إلى الوجهة المحددة، نزلت ودفعت ثمن الأجرة بشكلٍ غير مبالٍ بالمال، بينما كانت تراقبه من بعيد، وهو يدخل كافتيريا كبيرة، ويصافح اثنين من أصدقائه الذين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر. ثم جلس معهم على طاولة قريبة من النافذة، حيث تدفقت أضواء الشمس الخافتة داخل الغرفة المنعشة. دون أي تفكير مسبق، دخلت هايدي وجلست في الطاولة التي كانت تحاذيهم، تنتظر بصبر متوتر. وبعد لحظات، جاء النادل بسرعة متناهية، وأعطاه قائمة المشروبات المتنوعة، فقالت بصوتٍ خافت:
_شكرًا .

سألها النادل باهتمام:

=تحبي تشربي ايه؟

أجابت هايدي:

_ليمون .

تحدث النادل بابتسامة واهتمام واضحين في صوته:

=تحبي حاجة تانية مع الليمون؟

أجابت هايدي بلطف:

_لا شكرًا .

غادر النادل طاولة هايدي بينما كانت تنصت جيدًا لحديث علاء الدين مع صديقه، وسمعته يقول بصوت مثار:

=لا يا حبيبي ده مكنش اتفاقنا... انت عارفني كويس .

رد صديقه بدهشة:

_وايه المشكلة يا علاء؟

تحدثت هايدي بصوت خافت، كأنها تخشى أن يسمعها أحد:

=هما بيقولوا ايه؟

بعد دقائق، جاء النادل ووضع المشروب حيال هايدي بأناقة، فابتسمت، وقالت له بلباقة:

=ميرسي .

بعد أن تذوقت القليل من الليمون، رن هاتف هايدي، وبمجرد أن ردت على المكالمة، سمعت أم الديب

تتكلم بصوت حاد، معبرة عن استيائها بشكل لا لبس فيه:

_انتي فين يا موكوسة؟ أبوكي عمال يزعق .

ردت هايدي بصوت خافت:

=أنا بشتري حاجات يا ماما...قوليله لسه قدامي شوية .

نطقت أم الديب بفضول:

أم الديب الجزء الثاني

_ ايهي بتشتري ايه؟

أجابت هايدي على المكالمة، وهي تتلجلج في حديثها، وكانت كلماتها تتقاطع بين القلق، والاستعداد للتبريرات المحتملة، حيث كانت تحاول بشدة إظهار ابتسامتها في الظروف الحالية:
=بشتري هدوم... هبقى أجيبك عباية جديدة .

صرّحت أم الديب بتأكيد:

_ متتأخريش ألا أبوكي، وجلال يعملوا مشكلة !

ردت هايدي بقلق:

=حاضر يا ماما... باي .

بعد أن انتهت هايدي من المكالمة الهاتفية، شربت الليمون ببطء متأن، ثم توجهت نحو المرحاض بخطى متثاقلة، وفي طريقها انزلقت بلا مبالاة وقصدت السقوط بلا توقف أمام طاولة علاء الدين، حيث كانوا أصدقاءه الموالون يتجمعون، فمال علاء الدين بخطوات ثابتة نحوها، وبينما كان يتقدم بتأني وثبات، قال بصوت مليء بالحنان:

Hey_ انتي كويسة؟

نظرت هايدي في عينيه الجميلتين، وكلماتها خرجت بتوتر متجسد:
=أه، أه كويسة .

مد علاء الدين يده نحو هايدي، حتى وقفت أمامه، وفي لحظة ممتدة من الزمن، تلاقت أنفاسهما كأنها تتناغم موسيقي. تأملت هايدي ملامح وجهه بتركيز عميق، وببراعة متناهية حاولت التمثيل أمامه، كمن اكتشفت فجأة أنه هو علاء الدين المؤلف. فبينما كان صوتها يترنح بالتوتر، والشوق، قالت بصوت متلهف:

=ايه ده هو مش انت علاء الدين؟

رد علاء الدين بتفكير:

_ انتي هبة؟ قصدي هالة؟

نطقت هايدي بضيق:

=أنا هايدي .

تلفظ علاء الدين بتواضع:

_ فرصه سعيدة إنني قابلتك .

ردت هايدي بابتسامه تنبض بالدفء، والسرور، كأنها تشرق كنجمه في ليلة صافية:

=أنا أسعد... هو انت بتعمل ايه هنا صحيح؟

أجاب علاء الدين بانزعاج:

_ انتي هتصاحبيني؟

شعرت هايدي بالإحراج، وكلماتها خرجت بتردد متأن:

=ها؟ لا ده... ده... كنت بسأل عادي !

غادرت هايدي المكان، وكانت السخط يتقاذف أفكارها، وواصلت حديثها مع نفسها، كأنها تحاور شخصاً

آخر لم يكن حاضراً:

_ ايه التناحة اللي فيه دي؟

أم الديب الجزء الثاني

ثم توجهت إلى موقف السيارات، حيث عادت إلى بلدتها بعد مرور ثلاث ساعات، وكانت الساعة تشير إلى السابعة ليلاً، في الريف، حيث يُعتبر التأخر الطويل للفتاة عن منزلها مصدر قلق كبير. ولسوء حظها، كان جلال يجلس في شقة أم الديب، فور دخولها المنزل، وقف ووجه لها نظرة كامدة، وقال بصوت مليء بالانزعاج:

=كنتي فين؟

أجابت هايدي بتلعثم:

_كنت بشتري حاجات .

نظر جلال إلى أيديها بتعجب، وكلماته خرجت باستفهام في صوته:

=غريبة مفيش حاجة في ايدك .

نطقت هايدي كلماتها بتردد، وهي تقول بتلقائية:

_مانا لفيت أدور على حاجة معينة ملقيتهاش، وبعدين انت مش قاعد في شقتك ليه؟

رد جلال بصوت حاد:

=وانتي هتمنعيني أقعد في بيت أبويا؟ ما جرا ايه يا بت ما تتعدلي ألا أعدلك أنا بطريقتي!

نطقت هايدي باشمزاز:

_ايه الأفورة اللي انت فيها دي؟

اقترب جلال منها بخطوات ثقيلة، وفي لحظة من التأمل المكثف، بدأت تنبثق من داخله الشخصية

السرسية، حيث خرجت كلماته بصوت حاد ينبعث منه الاحتياج:

=اتعدلي ياما ماتنسيش إن أنا هنا الأخ الكبير!

ردت هايدي بانزعاج:

_وانت بتخوفني ولا ايه؟ مش فاهمة .

أجاب جلال بصياح:

=أه هخوفك...مخوفكيش ليه؟

خرجت أم الديب من غرفة النوم، وكلماتها انطلقت بصوت حاد يعكس كمدتها المتصاعد:

_أقعد ياللي تتشك في مصارينك، ولا أقولك اطلع شقتك قاعد هنا هو بتنيل ايه؟

رد جلال بغضب ملحوظ، وكلماته تنطلق بصوت متجذر في الانزعاج:

=ما تلمي بتك ياما، سايباها ماشية على حل شعرها ليه؟

تلفظت أم الديب بنبرة حادة:

_انت ملكش حكم على أختك، وأني هنا هو الكلمة كلمتي .

نفوه جلال بسخط ملحوظ، حيث اندفعت كلماته بصوت مشحون بالانتقام:

=لا ياما أنا الكلام ده مياكلش معايا...أنا راجل ابن راجل، وأبويا علمني إن النسوان عندنا متمشيش على

حل شعرها!

ردت هايدي باشمزاز:

_نسوان؟

يتبع....

الفصل الخامس

ردت أم الديب بجلبة مليئة بالقوة، كأنها ترسل رسالة واضحة:

_ اطلع شفتك بدل ما ألق اللبي في رجلي، وعلى نفوخك!

نطق جلال بغضب عارم، حيث خرجت كلماته بصوت مليء بالانزعاج:

=تمام ياما خليكي فاكرها!

صعد جلال إلى شفته بخطوات ثقيلة وهو مشحون بالامتعاض، في حين دخلت هايدي غرفتها وغيّرت ملابسها ببطء، ثم أمسكت هاتفها بيد مرهقة، وجلست على السرير بحسّ من الإرهاق، وفتحت تطبيق الفيسبوك بحثاً عن الحساب الشخصي لعلاء الدين، وبعد مرور ربع ساعة من البحث المتعمق، والدقيق، وجدته أخيراً. ظهرت ابتسامة عريضة على وجهها، كما لو أن الأمل قد عاد إلى قلبها. وقالت بحماس، كأنها اكتشفت كنزاً مدفوناً:

_ الله عليا .

أرسلت هايدي إليه طلب صداقة، وبعد ساعة من الانتظار، وافق عليه. قررت هايدي بعد ذلك أن تدخل إلى محادثة خاصة معه، حيث أرسلت له رسالة تحمل في مضمونها التالي:

=سوري بعث أدد بالغلط .

رد علاء الدين بلا مبالاة:

_ ولا يهملك .

قالت هايدي بدهشة، وعبارة التعجب على وجهها:

=ايه ده انت علاء الدين؟

أجاب علاء الدين بلا مبالاة، وكلماته تنطلق بكتابة مستهترّة:

_ أها .

قالت هايدي بسعادة مفعمة، وابتسامتها تتسع كالشمس في صباح جميل:

=مش معقول الصدفة لتاني مرة!

بعد أن تمعن علاء الدين في اسم هايدي، (Haidy H. Eldeeb) بدت تعابير وجهه متجسدةً للدهشة، والتأمل، وقال باستغراب:

_ انتي هايدي أخت أحمد جوز جميلة أختي؟

سعدت هايدي بعد أن تذكرها علاء الدين، وبديها ارتفعت بفرح ملحوظ، وقالت بعبارة تنبض بالسرور:

=أه أنا..كويس إنك فاكرني .

رد علاء الدين بلا مبالاة في كلماته، وكأنه يعبر عن عدم اكترائه في تعامله معها:

_ أوكي .

صمت علاء الدين، وفي هدوء لا يتخلله أي كلمة، لكن هايدي فكرت بعناية شديدة في اختيار صورة شخصية تنبعث منها الجاذبية، والأناقة الطبيعية. تجوب أناملها معرض صور هاتفها بدقة، حيث كانت تبحث عن اللقطة المثالية التي تعكس جمالها، وثقتها بنفسها. بعد لحظات من التأمل، والاختيار الدقيق، وجدت صورة مناسبة التقطتها في بلكونة مصيف جمصة، حيث ابتسمت هايدي بفرح، رؤيتها الجميلة تنبض بالأنوثة التي تميزها:

=دي أحلى واحدة...يارب أعجبه بقى .

أم الديب الجزء الثاني

من الطبيعي في منزل أم الديب أنها تفتحم الأبواب فجأة دون استئذان كما تفعل فرقة مكافحة المخدرات، ففي لحظة من المفاجأة، صرخت هايدي بصوت يملأ الغرفة، ما أثار استغراب أم الديب التي تفاجأت من صوتها العالي، فأجابت بصوت حاد ينبعث منه الاستفهام:

_جرا ايه يا بت هو أني فتحت عليك باب الحمام؟

تنهدت هايدي بعمق، واستراحت لحظة لالتقاط أنفاسها، ثم خرجت كلماتها بانزعاج مشحون، كما لو أن كل كلمة تنبعث من داخلها بعتاب:

=يا ماما حد يخض حد كده؟

ردت أم الديب بعفوية طبيعية، كأنها تعبر عن رغباتها بدون تفكير، أو حسابات مسبقة:

_قومي يا بت ساعديني هنعمل عيش لستك أصل طقم السنان بتاعها وقع، ومبتعرفش تاكل غير اللقمة الطرية فقولت أما نعملها شوية عيش طري .

تلفظت هايدي بغرور:

=أنا مالي بكل ده؟

قالت أم الديب بصوت حاد:

_ما هقول ايه، أني اللي شايلة البيت على دماغي، ومرات أخوكي محدش ببشوف خلقتها، وأختك طول اليوم برا البيت ياما تعبانة، ومتكسحة في السرير .

نظرت هايدي في هاتفها بتركيز، وكلماتها خرجت بتجاهل واضح للموقف الحالي:

=أنا مليش في الجو ده .

تفوهت أم الديب بصوت حاد:

_ايهي أمال ليكي في المياصة، والسهوكه يا بت؟

ردت هايدي بخوف ملحوظ، حيث انعكس القلق في تعبيرات وجهها وصوتها:

=مين قال كده؟ وبعدين أنا عندي مدرسة الصبح ومش فاضية للكلام ده... أنا مُدرسة شاطرة قد الدنيا،

تقوليلي أعجن، وأخبز معاكي؟

دخلت نعمة، وهي تحمل ابنها بين ذراعيها، وأبدت بتعبيرات وجهها مزيجًا من الحماية، وقالت بصوت

ينطلق من قلبها المليء بالاهتمام:

_السلامو عليكو ياللي هنا .

نطقت أم الديب بدهشة:

=انتني شرفتي يا نعمة؟ مالك ياختي بايته في الشارع ليل نهار ليه؟

جلست نعمة بابنها فوق السرير، وكانت تعبر عن الراحة، وقالت بصوت ينبعث منه الحنان:

_مانتي عارفة ياما إن حمو مكسح مالوش في الشغل، ولولا أنا اللي بشجعه كان زمانه نايم في السرير

لحد دلوقتي... فبروح معاه أقطعه الطماطم، والبصل .

ردت أم الديب بسخرية:

=انتني اللي متجوزة واحد مايل وخايب، اعملي حسابك بالليل كلنا سهرانيين عندك .

نطقت نعمة بفرحة متألفة، وابتسامتها امتلأت بالسرور، حيث أعطت كلماتها لمحة من الموافقة:

_وماله ياما؟ ده انتوا تنوروني .

أم الديب الجزء الثاني

فيما هرولت أم الديب بسرعة نحو المطبخ، وسرعان ما استخرجت المانجو من داخل الثلج، ثم عادت به بخطى متسارعة إلى موقعها الأصلي. نظرت حولها يمينًا ويسارًا، مطمئنة بأنها لا ترى أحدًا حولها، ثم همست بصوت خافت:

=خذي يا بت أني عارفة إن جوزك مبيصرفش عليك زي باقية الرجالة .
نظرت نعمة بها في صدمة عارمة حين رأت الدود الميت في المانجو، ولم يلبث أن همست بصوت مشمئز:

_نهار أسود ياما... مش دي المنجاية المدودة اللي كانت عندك من ثلاث شهور؟ انتي مش قولتيلي إنك رميتها؟
ردت أم الديب بجلبة:

=يعني ايه تترمي؟ نعمة ربنا تترمي عشان خاطر ك يا بت؟ ماله الدود ماهو كله هيتضرب في بعضه، ومين اللي هيشرب في الآخر مش أبوكي، وأخواتك؟
وضعت نعمة يدها بغمرة على فمها، وقالت باشمئزاز واضح في صوتها:
_يع ياما .

وفرت مُسرعة نحو المرحاض، فقالت أم الديب بتعجب ملموس في صوتها:
=البت بقيت فافي أوي !
تحدثت نعمة، وهي تنقياً في الحوض، بصوت متقطع، ومبعثر من بين الشهقات:
_أه يا بطني أه .

تفوهت أم الديب بعجيج قوي:
=جاتكم داهية مفيكوش واحدة عدلة..كلكم مايلين .

دخلت أم الديب المطبخ محملة بالمانجو، وبدأت تثرثر بالمسبة عن الأحداث الأخيرة، وفي الليل التقى أفراد الأسرة في شقة نعمة المريحة، حيث كانت الأجواء مليئة بالفرح، والانسجام، وقالت نعمة بابتسامة في صوتها، وهي تنظر إلى كل فرد منهم بتقدير، ومحبة:
_أعملكم ليمون، ولا جوافة؟
ردت أم الديب بطمع ملحوظ في صوتها، كأنها تتوق إلى شيء ما بشدة:
=اعملي الاتنين زيادة الخير خيرين .

أجابت ليالي بحساسية ملموسة في صوتها، كأنها تنطق كلماتها برقة، وتأنيب داخلي:
_لا كفاية حاجة واحدة..احنا مش جايين نكلفك .

نطقت نعمة بابتسامة تمتد على شفثيها، كأنها تعبير عن فرح متواضع أو رضا داخلي عميق:
=متقوليش كده يا ليالي هو أنا أطول لما تنوروني في شقتي؟ قوليلي بس عاوزين ايه؟
ردت ليالي بابتسامة رقيقة تعكس بريق الصداقة في عينيها:
_منتحرمش منك يا نعمة يكرم أصلك .

تلفظ جلال بتفكير عميق، كأنه يحاول اتخاذ قرار مهم:
=اعملينا جوافة .
ردت نعمة بموافقة واثقة، كأنها تعبر عن مشاعرهما بكل إحسان:
_من عينيا .

أم الديب الجزء الثاني

دخلت نعمة المطبخ بخطوات واثقة، مستعدة لصنع المشروبات، بينما تحدث المعلم حنفي بصوته الهادئ، والممتلئ بالحكمة، كأنه يسلط الضوء على مفاهيم عميقة، ومهمة:
=أني هغير الشغلانة بفكر أفنح مديح على مستوى .
تلفظ جلال بدهشة:

_ هو انت نفعت في شغلانة الجزارة يابا لما تفتح مديح مرة واحدة؟
رد المعلم حنفي بأمل يشع بين كلماته، وهو ينطلق بتفأول، ورغبة في النجاح:
=وايه المشكلة؟ نجرب حظنا للمرة الثانية .

قال حامد بتشجيع ملموس في صوته، وهو يدعم، ويحفز حماه للمضي قدمًا، وتحقيق النجاح:
_ ما تجرب يا عمي ده اسم الله عليك دماغك توزن بلد .
نطق المعلم حنفي بسعادة:

=الله يخليك، أني طول عمري أقول حمو ده بي فهم في الأصول...يا زين ما اختارتي يا نعمة .
ضحك جلال بسخرية ملحوظة في صوته، معبر عن انتقاد أو تعليق ساخر يتعلق بالوضع الحالي:
_وأنا أبويا لو دماغه توزن بلد كان هيبقى ده حالنا؟
نطق المعلم حنفي بجلبنة:
=ما جرا ايه يا ض؟ أنا مش مالي عينك ولا ايه؟
تلفظ جلال بصدق صوته، معبر عن الحقيقة بكل وضوح، دون تنميق:
_ لا يابا مش القصد...أنا مش هجمل كلامي انت حافظني .

في شقة أم الديب، كانت هايدي ترتدي البيجامة الناعمة وتقوم بتصوير فيديوهات مميزة لتطبيق التيك توك، وكان الميك أب اللافت يبرز جمال وجهها. خلال هذا الوقت، نطقت بكل ثقة، وإقدام، كما لو أنها تتحدث إلى عالم كامل ينتظر استفاقته:
=أنا واثقة إني هعجبه...هو أنا أقل من البنات اللي حواليه في ايه؟ أنا بس كان ناقصني شوية اهتمام، وأبقى مزة، وأهو حصل...هو أنا في فحلاوتي، وجمالي؟
على ناحية أخرى، كانت جميلة تجلس براحة على الأريكة الناعمة في منزلها، ممسكة بهاتفها الذكي اللامع بين يديها، حيث تنعم بأجواء هادئة، ومريحة. أما سيليا، فقد اقتربت منها ببطء، تتسلل خلف الأريكة بابتسامة واسعة تملأ وجهها، وكان صوتها ينبعث منه دفء، مثل نسيم لطيف يداعب الأجواء، فقالت بركة:

_مامي...ممكن الفون؟

ردت جميلة باعتراض ملموس في صوتها، وهي تعبر عن رأيها بشكل حاسم:
=مش قولنا يا سيليا بلاش نمسك الفون كثير، ونستغل وقتنا في الـActivities؟
نفوحت سيليا ببراءة الأطفال، صوتها كشريط موسيقي ينعكس بحنان يدعو إلى التأمل:
_أيوه يا مامي... بس أنا... أنا بحب الألعاب!
ردت جميلة بقبول متأنية، وموافقة على الطلب بنفهم:
=خلاص ليكي نص ساعة بالظبط أكثر من كده مش هسمح !

رن هاتف جميلة في هذه اللحظة المتأخرة، وعندما نظرت إليه وجدت رقم أخيها علاء الدين يتلون على الشاشة بأرقامه البارزة، كالألوان المتألئة في الظلام. فعبرت عن دهشتها بتعجب واضح في ملامحها،

أم الديب الجزء الثاني

كما لو كانت تتساءل عن السبب الذي دفعه للاتصال في هذا الوقت غير المعتاد من الليل، مما جعلها تشعر بالحيرة، والاستفسار الصامت في داخلها:

_ايه ده خالو بيتصل !

ضحكت سيليا بابتهاج عندما رن هاتف خالها، والفرحة تتلألأ في عينيها كنجمة في السماء الصافية. جميلة، وهي تحمل ابتسامة من الرضا، استجابت للاتصال بتفأول، كما لو أن الصوت من الطرف الآخر أضفى نوراً مشرقاً على وجهها:

_أيوه يا علاء أخبارك ايه؟

كان علاء الدين يجلس في حديقة المنزل في الليل الحالك، حيث تعمقت الظلمة وانتشرت الأضواء الخافتة حوله. النجوم لامعة في السماء الصافية كالماسات المتلألئة على قماش أسود، وأضفت النسيمات اللطيفة لمسة من البرودة، والهدوء على الأجواء، بينما كان يتمتع بمشروبه المفضل مع إحساس بالسكينة، قال:

Hey=يا مزة أخبارك ايه انتي، والمزة الصغيرة؟

ضحكت جميلة بابتسامة تنبعث من داخلها، كأنها تنير الظلام حولها بلمعانها الدافئ، وقالت:

_الحمد لله وانت عامل ايه، وايه أخبار الجامعة؟

أجاب علاء الدين وهو يتمتع بمشروبه في الهواء الطلق بأناقة متفردة، حيث خرجت كلماته كجوهرة براقة في الليل المظلم، معبرة عن راحته النفسية، وتقديره لجمال اللحظة التي يعيشها:

=مطنش يا جميلة مليش مزاج للمحاضرات، والجو ده .

ردت جميلة بضيق، صوتها ينقل تأثراً مكتوماً أو عبءاً غير مُعلن عنه بوضوح:

_يا باني حرام عليك دي تاني سنة ليك في رابعة... انت مش عايز تتخرج ولا ايه؟
تلفظ علاء الدين باستهتار، وصوته ينطلق بثقة غير مبالية:

=عايز أكيد بس انتي عارفة الباقي بقى... المهم سلميلي على سيليا روح خالو .

قالت جميلة بابتسامة تنم عن رضا داخلي، وبهجة خفية:

_بس كده من عينيا...خالو بيسلم عليك يا سيليا .

ردت سيليا بفضول:

=خالو قمر، ولا علاء؟

أجابت جميلة بسعادة:

_علاء، وباعتلك Hug كبير .

اقتربت سيليا من الهاتف بخطوات هادئة، ووجهها ينبض بالسعادة المتأججة. حينما أخذت الهاتف بين يديها، وقالت بصوت مرتفع، وملء بالسرور:

=ميرسي يا خالو علاء...مواه .

بعد أن أرسلت له قبلة، وأخذت الأبياد الخاص بها، دخلت سيليا غرفتها بخطوات خفيفة، في حين أكملت جميلة حديثها الممتع مع أخيها. في منزل أم الديب، نزلت شقتها بسرعة لتحضر بطاقة التموين، وتسلمها لجلال الذي بدأ يدرس المشكلة التي كانت تعاني منها. وفي هذه اللحظة الدقيقة، وجدت هايدي في وضع لا يحسد عليه، وهي تقف أمام كاميرا الهاتف بشعرها المبعثر، وثيابها المنزلية، تستمع إلى الأغاني

أم الديب الجزء الثاني

الرومانسية وتغنيها بشغف. فجأة، انقضت عليها نبوءة حظها السيئ، وتشبثت بشعراتها بينما صاحت بصوت مرتفع:

_يا ساقلة يا فاجرة !

ردت هايدي بفرع:

=ماما؟

تحدثت أم الديب بنواح مليئ بالعرف، صوتها ينطلق بثقل يعكس الضغوطات التي تواجهها بسبب ابنتها:
_بتهبي ايه يا بت؟

أجابت هايدي بتلثم:

=أنا... أنا كنت بجرب أشوف شكلي من غير الطرحة يا ماما !

ألقت أم الديب صرخة لا تنطق بها إلا القلوب المحطمة والأفواه المكسورة:

_وبتتصوري بالتلافون ليه؟

ردت هايدي بألم كأنها نغمة مؤلمة ترن في أعماق الروح:

=خلاص يا ماما بقى متكبريش الموضوع!

تفوهت أم الديب بجلبنة:

_انتي ليلتك مش فايئة النهاردة .

فرت هايدي هاربة، تسلفت الدرج المؤدي إلى شقة نعمة بخطى مستعجلة، ولم تتركها أم الديب تتمتع بالهدوء، فقد خرجت وراءها، صرخت بأعلى صوتها محاولة اللحاق بها، متوجهة بكلماتها بلا تردد قائلة:

_بتجري مني يا بت؟ هتروحي مني فين؟

في شقة حامد، انبعثت نعمة من المطبخ، وبدأت بتوزيع المشروبات الباردة بين الحضور بنفس الحرص الذي يتسم به الأمل في برودتها، قائلة:

=اشربوا يا جماعة...خدي يا ليالي .

مدت ليالي يدها باتجاه الكأس الممتلئ بالمشروب، وأخذته ببطء، كأنها تستمتع بلحظة الانتظار المليئة بالتجربة، ثم أطلقت ابتسامة خفيفة تتلألأ على وجهها المرهق، وقالت بلطف:

_تسلم ايديكي يا نعمة .

دخلت هايدي الشقة بسرعة، وكان الفرع يعكسه وجهها المتوتر، حيث تبدو عيناها كشريطين من الليل المظلم ينقشعان أمام الحياة السوداء المنتظرة. فتحدثت نعمة بتعجب:

=ايه ده هايدي مالك بتجري كده ليه؟ وقالعة الطرحة ليه؟

وقف جلال متماسكاً في مكانه، واندفعت كلماته من بين أسنانه المضغوطة بالقول:

_خشي جوا البسي حاجة على دماغك!

دخلت هايدي بسرعة لغرفة النوم، تلاحقها نعمة بخطى ثقيلة من الدهشة تجاه ملامحها المذعورة، وفجأة، توقفت هايدي وهزت رأسها بخفة، كأنها تحاول التصدي للأفكار المظلمة التي تدور في عقلها

المضطرب، حيث نطقت نعمة:

=مالك عاملة في نفسك كده ليه؟

ردت هايدي برهبة:

_كنت بصور فيديو تيك توك، وماما شافتني، وهربت منها قبل ما أتضرب...بقولك ايه اتصرفي!

أم الديب الجزء الثاني

نطقت نعمة بكلمات التهذئة، تأمل في أن تثبت السلام في روح هايدي:

=خلاص متخافيش لما أمك تطلع هقولها كلمتين يهدوها .

نفوحت هايدي بامتنان:

_شكرًا يا نعمة .

ارتدت هايدي حجابًا فوق رأسها، كأنها تشكّلت قشعريرةً تعكس الدفء، وفجأة، أعادت نعمة ابتسامتها، قائلة:

=تعالى خديك كوباية عصير .

خرجت نعمة من الغرفة بخطوات هادئة تنعكس فيها آمال السلام، ودخلت المطبخ بلامح الأمان تعكس ظلال الراحة، وفي الوقت نفسه، كانت هايدي تقف بصمت في الزاوية، وهي ترتدي حجابًا يرمز إلى حماية لا تعتمدها، بينما خرجت أم الديب من شقتها بخطوات ثابتة تأمل بالانقضاء على هايدي، وهي تتوعد بصوت مشدد:

_ماشى يا هايدي هتروحي منى فين؟

صعدت أم الديب إلى شقة نعمة، وبمجرد أن لمحتها نعمة، خرجت لتلاقيها، وكان وجهها يعكس الخوف المتقلب كالأمواج، فقالت بصوت يتردد في الهواء المليء بالتوتر:

=أمانة عليكى ياما ما تقربي ناحيتها !

ردت أم الديب بصوت حاد:

_دي بت مش متربية...ناقصة رباية .

نطق جلال بفضول:

=هو في ايه ياما؟

أجابت أم الديب بجلبة:

_البت قال ايه أنزل ألقياها ...

تدخلت نعمة في الحديث بسرعة، كأنها تحاول تفادي كلمات أم الديب قبل أن يكتشف جلال الحقيقة، ويرمي بظلاله الثقيلة على هايدي، أو يحاول إيذاؤها، فقالت بنبرة تنم عن الترقب:

=أصل يا جلال أختك دلفت الصابون على السجادة من غير ماتقصد، وأمك حالفة ماتسيبها .

وضعت نعمة يدها برفق فوق فم أم الديب، لتخفف من حدة الكلمات المندفعة، وسحبها بلين حتى دخلوا الغرفة معًا، وفي ذلك اللحظة، انفجرت أم الديب بصوت حاد، كالبرق يشق السماء المظلمة:

_جرا ايه يا بت انتي بتداري على أختك ليه؟

نفوحت نعمة بارتياح:

=خلاص ياما حصل خير مالوش لزوم المشاكل، وبعدين انتي كبرتي وعايضة ترتاحي من المشاكل .

انكادت أم الديب من نعمة بعد أن وضعتها في خانة العجوز، حيث تكشف وجهها المليء بالحقد،

والغضب العميق، وفجأة، تحدثت بصوت غليظ كأموج البحر المتضاربة، معبرة عن كل ما تحمله من انتقام، كأنها تهدد بأن تجتاح كل شيء في طريقها بقوة لا تُقاوم:

_كبرت ازاي يا بت؟ سناني وقعت، ولا شعري إبيّض، وشاب؟

ردت نعمة بعفوية:

=ياما انتي اسم الله عليكى جدة لأربعة، وداخلة على الستين سنة !

أجابت أم الديب بجلبة مَنيّة:

أم الديب الجزء الثاني

_ ايهي آني لسه أربعة وخمسين سنة يا بت !

تلفظت نعمة برهبة:

=خلاص، ولا ترعلي نفسك تعالي اشربي عصير .

تساءلت أم الديب بشهية مفتوحة، كأنما كانت شهوة الفضول تدغدغ حواسها الذهنية:

_ عملتي حسابي في كوباية كبيرة؟

ردت نعمة بابتسامة:

=أبوة طبعًا ده انتي الخير، والبركة .

دخلت نعمة المطبخ بخطوات هادئة، وأحضرت كوب العصير اللذيذ لأم الديب، ثم غادرت بهدوء، تاركة إياهم يستمتعون بسهرتهم الليلية. وفي اليوم التالي، بعد حل المشكلة التي كانت تثير الجدل، استفاقت هايدي من نومها ببطء، ملبية في عقلها خطة جديدة لفوز قلب علاء الدين. استقبلت الصباح بالتفكير العميق، ثم دخلت المرحاض لتستعد لاستحمامها. وفجأة، استيقظ المعلم حنفي من نومه العميق، مستعجلاً لمحاولة فتح باب المرحاض، وهو محصورًا بالمياه، يطرق الباب بشدة وهو يعاني، وتعالته صرخاته في الصباح الهادي:

_ افتحي آني مزنوق أوي .

ردت هايدي، وهي تغسل شعرها بماء الحياة، فتجمدت لحظة الاستنشاق العميق، كأنها تعيش في عالم من الأحاسيس المتناقضة، حيث اختلطت رذاذات الماء بأفكارها الدقيقة:

=أنا لسه باخد شاور يا بابا .

تفوه المعلم حنفي بتألم:

_ ما تقولي بتستحي لازمتها ايه عوجة اللسان دي؟

خرجت أم الديب من المطبخ بصينية الطعام، حاملة في يديها حكاية الطهو، حيث انتشرت روائح البهارات، والنكهات المتعددة في أرجاء البيت، ملؤها دفء الاهتمام، فقالت بنبرة حادة:

=سيب البت خليها تروح شغلها .

نظر المعلم حنفي لما في يدها، ونطق بتعجب عميق، فظهرت على محياه تعبيرات الدهشة كأن أم الديب ترقص بين خيوط الزمان:

_ ايه اللي في ايدك ده يا ولية؟

ردت أم الديب باشتهاء ممزوج بالبهجة، كمن تتذوق نكهة الاستمتاع في كل كلمة تتردد عبر شفيتها:

=طبق الفول، والبصل .

صاح المعلم حنفي فيها قائلاً باشمئزاز:

_ يا ولية قولتلك مية مرة متاكلش بصل بيخلي ريحتك نتنة...آني معرفتش أنام طول الليل منك!

جلست أم الديب بصينية الإفطار على الحصيرة، وهي تتأمل فيها بعبوس، كلما انعكست ملامحها الجادة على سطح الصينية، قالت بانزعاج:

=وانت مال اللي خلفوك يا راجل انت؟

رد المعلم حنفي بسخط:

_ قسمًا عظمًا إن كلتي بصل تاني لأطخك بالنار في نفوذك أجيب أجل عيلتك كلهم !

بينما هايدي تستحم بداخل المرحاض كانت تسمع صوت نزاعهم، فقالت غاضبة:

أم الديب الجزء الثاني

=ياربي على خنقاتهم التافهة حتى الشاور مش عارفة أخده...أنا مش هعرف أتجوز بسببهم، هيفضلوا نقطة سودة في حياتي!

طرق المعلم حنفي الباب بقوة، وصدح صوته بتحذير ملئ بالجدية:

_يا بت يا هايدي افتحي قدامك خمس دقائق لو مفتحتيش هعملهاكم على السجادة !

ردت أم الديب بانزعاج متناقض، وهي تأكل البصل الأخضر، حيث ترقص على حدود النكهات بين طعم اللذة، ورائحة القذارة، مكملًا لطقوسها اليومية بلحظات السعادة:

=ما توطي صوتك بقي ده انت راجل غم صحيح !

التفت لها المعلم حنفي، وصدح صوته بصياح ملئ بالامتعاض، كأنه صوت الرعد يدوي في سماء ملبدة بالغيوم المظلمة:

_آني مش قولتلك يا ولية متاكليش بصل؟

تناولت أم الديب البصل الأخضر، وقالت باستهزاء:

=وآني أسمع كلامك ليه؟ ده انت ورجل الكنبه واحد .

اقترب المعلم حنفي بخطوات ثقيلة وعينيه تعبر عن الدهشة، مذهولاً من حديث أم الديب له، وفجأة، تلون وجهه باللون الأحمر القاتم، وبرزت عروق عنقه كأنها خطوط من النار. وفي هذه اللحظة المشحونة بالاحتدام، صاح بصوت مدوي يملأ الغرفة، كأن صدحه يحمل تلك الانفجارات البركانية التي تتسرب من أعماق الأرض:

_آني ورجل الكنبه واحد؟ آني اللي بصرف على البيت ده، وبجيبلك الطفح اللي بتطفحيه، وياريته

عاجب ده انتي مفيش حاجة محوقه فيكي .

ألقت أم الديب طعامها جانباً بحركة عاصفة، تعكس غضبها العارم وانزعاجها الشديد، وانطلقت كلماتها بصوت غليظ يهز الجو، مشحونة بالقوة التي تجعلها كلمات الشجار تتراقص في الهواء المشحون بالتوتر:

=بقولك ايه!

ترجع المعلم حنفي للخلف بخطوات تكاد تكون خائفة، ووجهه يعبر عن الاضطراب من غلاظة صوت أم الديب، كأنه يترقب اندلاع عاصفة مدمرة. وفي غمرة اللحظة المشحونة بالرهبة، خرجت كلماته بتلعثم، وخوف ملموس:

_خلاص يا ولية انتي برضة مهمة في البيت ده .

ثم أردف بصراخ حاد:

=عا، هعملها على نفسي .

وصعد لشقة جلال بخطوات متناقلة، وطرق الباب بحذر، كمن يترقب الإجابة من بوابة الغموض. وبعد أن ليالي فتحت له الباب ببطء، بادر بالقول لها بكلمات مفعمة بالاحترام:

=معلش يا ليالي الحمام عندنا مشغول .

ردت ليالي بابتسامة:

_لا يا عمي أدخل ده بيتك هو انت غريب؟

رد المعلم حنفي بخجل:

=الله يخليكي .

أم الديب الجزء الثاني

دخل المعلم حنفي المرحاض، وسط هدوء يختلط بضجيج الماء المتدفق، فتناغم صوت أحذيته مع صدى الغرفة الضيقة. وبعد أن انتهت هايدي من الاستحمام، دخلت غرفتها بخطوات هادئة، وعادت لتجهيز نفسها للذهاب إلى عملها. وفي ذات الوقت، بادرت أم الديب بمحو الأطباق في أقل من خمس دقائق، رافضة فكرة مضغ الطعام، فإنها تبتلعه صحيحاً دون أي جهد على أسنانها، حيث لم تشعر بالشبع، بل ازدادت الأمور سوءاً، فنطقت بدهشة:

_ هو لحق يخلص؟ خلاص هقوم أعمل طبق تاني هو احنا ورانا ايه يا بت يا بسمه؟
وقفت أم الديب على أرجلها، تحارب تعبها بكل قوة، حتى وصلت للمطبخ حيث ملأت الأطباق بالطعام مجدداً، ثم جلست أمام التلفاز، وتأملت في الشاشة بعينين متعبتين. وبعد ربع ساعة، خرجت هايدي من غرفتها، تجاه موقف السيارات في البلدة، وبعد ثلاث ساعات، وصلت إلى حي الأثرياء حيث تسكن أم قمر الدين. بدأت بمراقبة حركات علاء الدين، حتى عرفت مكان صالة الألعاب الرياضية التي يشترك فيها. وبالفعل، ذهبت إليها، واستفسرت عن الأسعار، وعندما وجدتها ملائمة، قامت بالاشتراك ودخلت الصالة. وهناك، تجولت بين أركانها، ساحرة بما شاهدته من جمال وتنظيم، فتعجبت بأناقة الأجهزة وترتيب المكان، معبرة عما يمكن أن تحققه من تحديات رياضية جديدة:
=تحفة الجيم ده، والديكورات حلوة أوي .

وللصدفة البحتة، حينما أبعدت عيناها كما لو كانت تبحث عن بريق أمل، وقعت عيناها على علاء الدين، الذي كان يتدرب على أحد الأجهزة بتركيز كأنما نُقل إلى عالم آخر. كان يرتدي السماعات التي عزلته عن ضجيج المكان، فبدا وكأنها اللحظة المثالية للحديث معه. اقتربت نحوه بخطوات مترددة، وقالت، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الدهشة:

_ ايه ده بقى مش معقول الصدف، انت مشترك في نفس الجيم اللي أنا مشتركة فيه؟
اقتلع علاء الدين السماعات من أذنيه بتردد، ودقق نظره في وجه المتحدث، كمن يبحث في ملامحه عن ذكرى بعيدة. وما إن أدرك أنها هايدي، ارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة، وقال بنبرة تمزج بين الدهشة، والفرح:

Hey=هايدي أخبارك ايه؟

ردت هايدي بسرور:

_تمام، أنا مكنتش متوقعة خالص إنك هنا .

أجاب علاء الدين بتعجب:

=أنا صراحةً مستغرب أوي، أنا كل ما أروح في حنة الأليكي فيها!

ضحكت هايدي بخفة، وتلفظت بكلماتها بخجلٍ غمر شفيتها:

_أه مآنا كمان كده كل ما أروح في حنة الأليكي فيها بس صدفة لطيفة .

رد علاء الدين بلطف:

=أكيد ده الجيم نور .

تفوهت هايدي بكلماتها، وهي تتلفظ حولها بعينين تلمعان بفضولٍ، وحيرة، كأنما تستمد شجاعتها من تفاصيل المكان:

_ميرسي...أنا مش عارفة الأجهزة هنا بتشتغل ازاي .

تنبأ علاء الدين من ملامحها المرتبكة وعيونها التي تستكشف المكان بفضول، أنها جديدة هنا. فابتسم بلطف، وقال:

أم الديب الجزء الثاني

=انتي شكلك أول يوم .

تفوهت هايدي بتردد:

_ لا أنا كنت في جيم ثاني بس قولت أجي أشوف الجيم ده بيقولوا لطيف .

رد علاء الدين بابتسامة دافئة تعلق وجهه:

= لا متصوريش ده حاجة واو... تعالي أفهمك!

نزل علاء الدين من فوق الجهاز الرياضي بخفة، ومشى بجانب هايدي بخطوات متناغمة مع خطواتها،

وطيلة سيرهما جنبًا إلى جنب كان ينظر إليها بتعجب يملأ عينيه، كأنما يحاول فك شيفرة ملامحها أو

قراءة قصص لم ترو بعد، ثم قال بصوت هادئ يحمل نبرة فضول:

_ ممكن سؤال بسيط؟

أجابت هايدي بأدب:

=انفضل .

نطق علاء الدين بتعجب:

_ انتي قصيرة أوي كده ليه؟

هذا يرجع إلى فارق الطول الشاسع بينهما؛ فهايدي بطولها الذي يبلغ مترًا وثمانية وخمسين سنتيمترًا

بدت كزهرة يانعة تحت ظل شجرة عملاقة، حيث بلغ طول علاء الدين مترًا وتسعين سنتيمترًا. في هذه

اللحظة، شعرت هايدي بإحراج خفيف يغمر وجنتيها، فضحكت، وقالت بابتسامة خجولة:

=معرفش بس أخواتي كلهم طوال .

رد علاء الدين بدهشة:

_ نايس أنا أختي منى طولك فعادي .

بعد أن وصلوا إلى الجهاز الرياضي، بدأ علاء الدين يشرح لها كيفية استخدامه بحماس، مرافقًا كل كلمة

بحركات يديه التي تعكس خبرته، واهتمامه الواسع بالرياضة:

=من هنا، وده من هنا... سهلة يعني !

لكن هايدي لم تركز في حديث علاء الدين فقط، بل كانت تتمعن في ملامحه الجذابة، وتذوب غرامًا في

حبه حتى انتهى من شرحه، وفي تلك اللحظة الصامتة، قال بصوت خافت ينعكس عليه الاهتمام:

_ فهمتي حاجة يا هايدي؟

ردت هايدي بابتسامة:

=أه أكيد... ميرسي بجد .

تلفظ علاء الدين بابتسامة، وهو يشير بيده بعيدًا:

_ لو احتاجتي حاجة أنا هناك .

تركها علاء الدين، وعاد للممارسة الرياضية من جديد، فكانت هايدي تتبع تحركاته بعينها، لكنها خافت

أن تظهر مشاعرهما له، خشية أن يستهزأ بها خصوصًا وأنهم ليسوا من نفس الطبقة الاجتماعية، فقالت

من أعماق وجدانها:

=مش عايزة شكلي يكون وحش هحاول أتمالك نفسي، وتصرفاتي... كده هتفضح أوي!

بينما في منزل أحمد، بعد أن جهزت جميلة للخروج، دخلت غرفة الملابس لتجد زوجها يقف أمام المرأة

ويربط رباط عنقه بحرفية. فقالت بابتسامة ممزوجة بالحنان:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنا هعدي آخذ سيليا من الحضانة، وهنطلع على النادي .

رد أحمد بابتسامة دافئة، وعينه تعكسان الحب:

=خدي بالك من نفسك، ومن سيليا، وأنا هخلص شغل، وهعدي آخذكم نتغدا برا .

تلفظت جميلة برقة:

_ أوكي يا حبيبي .

بعد أن اقتربت منه وقبّلته في خده، نزلت سويًا وركب كلٌّ منهم سيارته. أحمد اتجه لعمله، وجميلة ذهبت

لإحضار سيليا من الحضانة، وبعد وصولها إلى الفصل، قالت بابتسامة تملؤها السعادة:

=صباح الخير يا مس ليلي .

ردت المعلمة بابتسامة دافئة، وعينها تتلألأ بالحب:

_ صباح النور يا مدام جميلة...سيليا شطورة، ورسمت رسومات حلوة أوي .

أمسكت المعلمة كراسة الرسم، وأعطتها لجميلة لكي تنظر إليها وتسعد بالمهارات التي تمتلكها ابنتها.

فوجدت جميلة أن ابنتها ترسم فتاة تتأرجح قبال البحر ليلاً، وبجانبيها قطتها تلعب مع فراشة فاتنة تتلألأ

أجنتها بالأضواء اللامعة. بالفعل، فرحت جميلة بمهارة ابنتها في الرسم بفرح جسيم، وقالت بابتسامة

تملؤها الفخر:

=حلوة أوي...شابوه يا سيليا .

ردت سيليا ببهجة:

_ عجبتك يا مامي؟

أجابت جميلة بفخر متألّق، وعيناها تتلألأ بالاعتزاز بابنتها:

=طبعا دي تجنن...يلا بينا نروح النادي .

احتضنت سيليا يد والدتها، وحملت جميلة الحقيبة في يدها الأخرى، وودعت المعلمة. ثم خرجوا من

المدرسة، ولكن برغم وجود جميلة إلى جانبها، إلا أن ابنتها كانت تفتقد وجود والدها معها. فقالت سيليا

بحزن ملموس في صوتها:

_ هو ليه بابي مش بيقد معايا زي الأول؟

أجابت جميلة ببشاشة:

=الشغل بقى كتير أوي...بس في مفاجأة حلوة!

ردت سيليا بفضول عارم:

_ ايه هي؟

نفوّهت جميلة بسعادة:

=بابي هياخدنا النهاردة، ونتغدا مع بعض في المكان اللي يعجبك .

عانقت سيليا والدتها بحنان، وقالت بسعادة غامرة وهي تبتسم بفرح:

_ هيبه يا مامي!

ضحكت جميلة بابتسامة مشرقة، وقالت بتفاؤل:

=مفاجاه حلوة مش كده؟

ضحكت سيليا بابتسامة عريضة تمتد من أذنها اليمنى إلى أذنها اليسرى، ونفوّهت بفرحة طفولية غامرة،

مما أسعد قلب والدتها جميلة التي لم تكف عن الابتسام تأملاً في المستقبل المشرق لطفلتها:

أم الديب الجزء الثاني

_أوي يا مامي!
ثم جلسا سوياً في السيارة، وفي منزل ليالي، كانت تفرش قماشة كبيرة على أرضية الصالة، وتجلس علوها مقطعة الخضروات باهتمام، استعداداً لتجهيز الطعام، فخطرت في بالها هذه الفكرة، قائلة:
=والله المفروض العيال يروحوا، ويرجعوا مع عمتهم بدل بهدلة أبوهم كل يوم دي .
وفي هذه اللحظة، دخل جلال من باب الشقة مع أولاده حمود، وتقى. كان حمود يدرس في الصف الأول الابتدائي بينما كانت تقى في الحضانة. بمجرد أن رأتهم ليالي، انطلقت ابتسامة دافئة على شفثيها، وقالت ببهجة:
_كنت لسه في سيرتكم... عملتوا ايه يا عيال؟

رد حمود بسخط:
=الأبلة ضربتنا بالعصاية ياما .
نطقت ليالي بدهشة:
_ليه كده يا حمود انت معمليتش الواجب ولا ايه؟
دخل جلال إلى الغرفة، وبينما نظر حوله، قال بصوت هادئ:
=أنا داخل أريح ساعة اعمليلي حاجة أكلها عشان نازل ثاني .
ردت ليالي، وهي تقطع البطاطا ببراءة:
_حاضر ياخويا
تحدثت تقى بانزعاج:
=حمود ضربني يا ماما، وشدني من شعري .
قالت ليالي بصوت حاد:
_مش قولتلك متضربش أختك، وتأخذ بالك منها؟
تلفظ حمود بعبارة مفعمة بالامتعاض:
=كلت الساندوتش بتاعي .
تفوهت ليالي بنبرة جلفة، كأنها نغمة باردة ترتسم على وجهها:
_مانتوا كل واحد فيكم له أكله بتاخذوا أكل بعض ليه؟
رد حمود بعجيج:
=أنا بكرهها!
نهضت ليالي، وقالت بصوت ينطلق بقوة:
_متقولش على أختك كده... انتوا ملكوش غير بعض !
دخل حمود الغرفة مُسرِعاً كي يتحامى في والده، وهمس بتوتر:
=أبا...أبا .
نطقت ليالي بصوت مرتفع يعبر عن استيائها:
_شوف الولا بكلمه جه سايبني، وماشي!
وأردفت لإبنتها بحُب:
_تعالى يا تقى...سيك منه أنا هربيه!
ردت تقى بانتحاب:
=أنا زعلت منه يا ماما !

أم الديب الجزء الثاني

عانقت ليالي ابنتها برقة، وقالت بصوت ينبع من أعماق الحنان:
_ لا يا قلب أمك منز عيش!

بعد ساعة ونصف من ممارسة الرياضة، أرهقت هايدي من شدة الجري إلى درجة أن تلون وجهها إلى اللون الأحمر القرمزي، فجلست ترتاح على أرضية الصالة، تلاحق أنفاسها بصعوبة، حتى لاحظ علاء الدين، الذي جاء يسير نحوها بخطوات متسارعة، ووجهه يعبر عن دهشته، وبينما اقترب منها، قال بصوت يظهر فيه الاهتمام:

=هايدي انتي تعبتي ولا ايه؟

كانت هايدي تكابر، حافظة على شكلها، ومظهرها الرياضي الجيد أمام علاء الدين، الذي كان يراقبها باندهاش. وعلى الرغم من شدة الإرهاق الذي شعرت به بعد الجري، وجدت نفسها تتحدث بصوت منقطع:

_ لا خالص ده أنا بس برتاح شوية .

نطق علاء الدين بدهاء:

=يبقى تعبتي... على العموم ايه رأيك نخرج ناكل مع بعض؟

ردت هايدي ببهجة منقطعة النظير، كأنها كانت تنتظر هذا العرض منذ مدة طويلة:
_ ايه ده بجد؟

تلفظ علاء الدين بتعجب عميق، وعينه تتلألأ أن بدهشة لا تُخفى:

=طبعا...مالك فرحتي كده ليه؟

ردت هايدي بإحراج ملحوظ، حيث انعكست عبارة الخجل على ملامح وجهها:
_ لا عادي .

على الرغم من إرهاق هايدي الجسيم، إلا أنها وافقت على هذا العرض دون أي تفكير أو تردد، وبعد دخولها المرحاض، استحمت وارتدت ملابسها، ووضعت الروج الأحمر. ثم ذهبت مع علاء الدين إلى مطعم فاره، حيث اندهشت من جمال المكان، والناس المتواجدين به، الذين بدت لها كمن يظهرون في المسلسلات، والأفلام، يعيشون حياة جليلة مملوءة بالمسكن الفخم، والمأكولات الراقية، وهي بلا شك قالت بسعادة غامرة:

=حلو المطعم ده .

جلس الاثنان متقابلين على طاولة صغيرة، تتسع لاثنتين فقط، وكانت الأجواء مليئة بالدفء، حيث بادر علاء الدين بالحديث، وهو يتلفظ بتقدير:

_ تحبي تطلي ايه؟

منحها علاء الدين كتابًا أسود اللون، ففتحت هايدي صفحاته بفضول، وهي تنظر إلى الكلمات المكتوبة باللغة الإيطالية بمحاولة جادة لفهمها، وعلى الرغم من فشلها في فهم كلماته، إلا أنها استمرت في التصفح بشغف كأنها تدرك المعاني العميقة التي تحملها. وبينما كانت تتأمل الصفحات، قالت بتردد، وهي تبحث عن مفهوم واضح في النصوص:

=أنا عايزة...عايزة...

أم الديب الجزء الثاني

قال علاء الدين بترقب:

_ ما تقولي؟

أجابت هايدي بإجراج:

=هقولك حاجة...أطلبلي على مزاجك .

رد علاء الدين بابتسامة تكشف عن بريق من الثقة في عينيه، وهو ينظر إلى هايدي بدهشة ممزوجة بالإعجاب:

_ انتي جيتي في ملعبى يا هايدي .

ونادى النادل بصوت عالٍ:

_ لو سمحت !

حضر النادل ووقف أمام طاولتهم، محملاً بالورقة والقلم في يده، وتبسم وجهه بلطف، وود:

=أهلاً بيبك شرفتنا يا فندم .

رد علاء الدين بابتسامة:

_ ميرسى .

ثم أعاد النظر في قائمة الطعام، وبعد لحظة من التأمل، أردف بصوتٍ واثق:

_ أنا عايز اتنين بانيللا، واتنين بروسستيكا، وواحد كاتشيكو، وظبط الباقي من عندك .

دون النادل طلبات علاء الدين بدقة على الورقة، ثم قال بابتسامة تعبق بالاحترام:

=حضرتك تحب حاجة إضافية؟

رد علاء الدين:

_ لا تمام كده .

نطق النادل بابتسامة ودية:

=أوكي يا فندم .

غادر النادل مغادرة هادئة، ونظر علاء الدين إلى هايدي وهي تنظر حولها بتركيز جارف، وعلى وجهها بادرة من القلق الخفي، فسأل باستغراب:

_ مالك مش مركزة ليه يا هايدي؟

أجابت هايدي بتوتر:

=لا لا مركزة أهو !

نظرت هايدي بداخل الكتاب، وهي تواصل التصفح بحماس شديد، وأردفت بتمعن:

=هو ده أكل؟

نطق علاء الدين بسخرية:

_ لا عصير .

ردت هايدي بتعجب عميق:

=انت مش قولت اننا هناكل؟

تلفظ علاء الدين بسخرية على وجهه، وألقى نظرة عابرة على هايدي التي كانت تتأمل الصفحات بانبهار:

_ أكيد بتريق يعني ده أكل ايطالي !

أم الديب الجزء الثاني

قالت هايدي بإحراج:

=أه... أكل إيطالي .

بعد أن عادت جميلة، وسيليا إلى المنزل، وغيروا ملابسهم، وأبدوا استعدادهم للخروج مع أحمد، دخل أحمد الغرفة بثقة، وقال بصوتٍ مليء بالحماس:

_ خلاص جهزتوا؟

ردت سيليا بنبرة حازمة:

=بابي أنا هختار المكان على ذوقي !

نطق أحمد بموافقة واثقة:

_ أكيد يا سيليا انتي ذوقك حلو أوي... هتأكلينا فين بقي؟

ضحكت سيليا بابتهاج، وقالت:

=هقولك في العربية .

ضحكت جميلة بابتهاج ممزوج بالفرح، وهي تتلفظ:

_ سيليا شكلها محضرنا مفاجأة .

قهقهت سيليا بلطف، وقالت بابتسامة ودودة:

=أه .

رد أحمد بابتسامة:

_ ماشي ياستي يلا بينا .

حمل أحمد ابنته على كتفه بحنان، وخرجوا من المنزل بحرص، وأوصدوا الباب بعناية، ثم ركبوا المصعد ونزلوا إلى سيارتهم، وبعدما أدار أحمد السيارة، وقفت سيليا في المنتصف، وقالت بسعادة ممزوجة بالتردد:

=بابي أنا ليا طلب !

رد أحمد بلطف وهو يتولى القيادة:

_ اطلبي يا سيليا .

ضحكت سيليا بابتهاج، وقالت بصوتٍ مليء بالبهجة:

=أنا عايزة أسوق !

ضحك أحمد بخفة، وقال باعتراض مرخًا:

_ تسوقى ازاي؟ انتي لسه صغيرة، مش هتعرفي!

ردت سيليا بإصرار، وهي تضحك:

=لا لا هعرف !

مد أحمد يده برقة لسيليا، وحملها فوق ساقيه بلطف، حيث بدأت تحرك مقود السيارة بيدها ببراعة، وثقة، مثلما لو كانت السائقة الماهرة التي تتحكم بكل حركة بأمان، وفي تلك اللحظة، رن هاتف جميلة بنغمة مرحة، وبعد أن ردت بابتسامة واثقة تعكس رضاها، قالت:

_ ألو ازيك يا مامي عاملة ايه؟

نطقت أم قمر الدين بحنان:

=ازيك يا روحي، وازي سيليا، وازي أحمد؟

أم الديب الجزء الثاني

أجابت جميلة بود:

_كلنا كويسين يا حبيبتي، طمئني عليكي .

تلفظت أم قمر الدين باهتمام:

=الحمدلله...قوليلي بقي فاضيين يوم الجمعة؟

نطقت جميلة بتأكيد:

_طبعًا ده اليوم الوحيد اللي احنا فاضيين فيه اصلاً .

ردت أم قمر الدين بعطف ينير الدروب:

=خلاص يا روجي انتوا معزومين عندي يوم الجمعة مع أخواتك، بجد نفسي ألكم حواليا زي

زمان...فاكرة لما كنتوا صغيرين كنتوا كلكم حواليا، وفرحانة بوجودكم .

ضحكت جميلة، وقالت بحنين يمتزج بشجن:

_طبعًا يا حبيبتي، وهنكون أول ناس كمان...بجد انتوا وحشتوني أوي، وبابي، وأخواتي. كلكم

وحشتوني !

ردت أم قمر الدين بإشتياق محمّل بأنغام الوتر:

=هكون في إنتظاركم يا جميلة يا حبيبتي !

تفوهت جميلة باحترام:

_اوكي يا مامي...أشوفك على خير !

وصل أحمد، وجميلة، وسيليا إلى المطعم، وبعد أن جلسوا معًا على الطاولة، مد أحمد بصره فوجد

هايدي في الطاولة التي تحاذيهم، فوقف مصدومًا كالصخرة أمام مد البحر، وذهب إليهم بخطى ترتسم

بثقة في أرض الغرباء، وصاح قائلًا بصوت يرن كنغمة البوق في الهواء الصافي:

=انتي بتعملي ايه هنا يا هايدي؟

في لحظةٍ تجمّد فيها الزمن، ارتفع صوت هايدي مخترقًا صمت المطعم، وكأنه نداء من الأعماق يبحث

عن فرار. وقفت كالصنم، محدقة في الفراغ، وعيناها تشعان بيريق الحيرة. كانت كل حركة منها تنطق

بألف قصة، وكل نظرة من عينيها تحمل أسرار ألف ليلة وليلة. وفي تلك اللحظة، كانت هايدي ليست

مجرد شخصية في الحشد، بل أصبحت محور الأحداث، حيث التفتت الأنظار جميعًا نحوها، معلقة على

شفا حفرة من الأسئلة التي لا إجابة لها. وبوقوفها المفاجئ، خلقت هايدي دائرة من الصمت حولها، وكأن

العالم انقسم إلى قسمين: قسم يقف فيه الزمن مشدوّهًا، وقسم تتسارع فيه القلوب مترقبَةً ما سيفعله أحمد .

يتبع....

أم الديب الجزء الثاني

الفصل السادس

نطقت هايدي بفرع جسيم:

_أنا... أنا هقولك والله أنا... أنا كنت ...

رد أحمد بصياح:

=بتعملي ايه هنا يا هايدي؟

لاحظت جميلة صياح زوجها، فتوقفت على الفور، واتجهت نحوهم بخطى مُتسارعة، بينما علاء الدين بقي واقفاً في مكانه، قائلاً بسعادة غامرة:

Hey_ أحمد أقعد نشرب حاجة سوا !

نطق أحمد بجلبة:

=انت تسكت خالص!

لكن جميلة تملكها موجة من الاحتدام العارم بسبب طريقة حديث زوجها القاسية مع أخيها الأصغر، فتقدمت بخطوات سريعة وثابتة نحوهم، وقالت بصوت حاد، ومليء بالانفعال:

_متكلمش مع علاء الدين بالأسلوب ده!

التف أحمد نحو زوجته ببطء، وقد بدت على وجهه علامات التحدي، ووضع يداً فوق الأخرى بتأنٍ مقصود، ثم هدأت نبرة صوته، وهو يسخر من حديثها بأسلوب لم يخلو من الاستفزاز، قائلاً:

=والمفروض لما أشوف أخوكي قاعد مع أختي من ورانا يبقى ايه رد فعلي؟ أجيبهم اتنين ليمون، وأقولهم هايل كملوا؟

ردت هايدي بانتحاب:

_هفهمك أنا كنت في نفس الجيم اللي علاء الدين فيه، وبالصدفة اتقابلنا...قالي من باب الكرم يعزمني على حاجة بسيطة، وأنا كنت هقولك مكنتش هخبي والله .

تلفظ أحمد بصوت حاد يمزج بين السخط، والإصرار، وهو يشير بيده نحو الباب بعنف، وكأن إشارته تلك كانت تحمل في طياتها تهديداً مبطناً:

=طيب اتفضلي قدامي متخليش الناس تتفرج علينا !

قال علاء الدين بابتسامة:

_متبقاش كده يا مان خلي الحياة easy!

صاحت جميلة بصوت مليء بالانفعال، قائلة:

=اسكت يا علاء خلينا نتصرف!

خرجت هايدي أمام أخيها والدموع تتدفق من عينيها، وهي تبكي خوفاً مما سيحدث لها في المنزل. أما أحمد، فلم يكن يتخيل أنه سيوضع في مثل هذا الموقف يوماً ما، فقد اعتاد دوماً على وجود رابط الثقة المتين بينه وبين أخته. منذ أيام صباهم كانوا دائماً يتشاركون كل شيء، سواء كان إيجابياً أو سلبياً، ويُفضي كل منهما للآخر بأسرار حياته، وحتى الآن، لم يتغير شيء بينهما، وأثناء قيادة أحمد السيارة في الطريق، تحدثت هايدي بصوت متقطع وممزوج بالانتحاب:

_أوعى تتكلم قصاد جلال...جلال بالذات لا انت عارف إن أنا، وهو مفيش كيميا بينا، ومبنتقش بعض! أجاب أحمد بجلبة:

أم الديب الجزء الثاني

=وانتي كل اللي يهملك جلال؟ على أساس جلال هيتكلم، وهيعمل، ويخلي، وأنا أخوكي الغلبان العبيط اللي هيسكت ومش هيعمل حاجة؟

ردت هايدي بانتحاب جارف، يكاد يخنق كلماتها من فرط الألم، قائلة:

_ لا بس انت... انت سهل عنه لكن هو لا!

قال أحمد بصوت حاد:

=مش معني إن أنا عايش العيشة دي دلوقتي يبقى كل حاجة مسموحة، وعادي!

وتغيرت نبرة صوته للأهدأ، وكأنها النسيم العليل بعد عاصفة هوجاء، وأردف بعبارات ملؤها الحنان:

_ هايدي انتي عارفة إني بحبك أكثر واحدة في أخواتي، ومن صغرننا واحنا قريبين من بعض عكس

جلال، ونعمة.... هما أخواتي برضة، وبحبهم بس انتي ليكي معزة أكبر، ومش عايز حد يتكلم عليكي

نص كلمة!

ردت هايدي بانتحاب:

=كلامك صح، وأنا غلطانة بس متعرفش حد باللي حصل، وأوعدك إنه مش هيتكرر ثاني.. أنا عملت كده

بحسن نية .

تلفظ أحمد بغضب عارم، وكلماته تحمل وعيدًا صارمًا كالرعد:

_ لو اللي حصل النهاردة اتكرر ثاني صدقيني أنا هعمل مشاكل أكبر، والموضوع هيوصل لآبانا، وماما،

وجلال!

ردت هايدي ببيكاء مؤثر، وخوف يعكس الضعف، والتوتر القوي في صوتها:

= لا بلاش جلال ده بالذات لا!

تلفظ أحمد بانزعاج:

_ برضة هتقوليلي جلال؟

ردت هايدي بحزن عميق، يتجلى في كلماتها ويعبر عن حالتها النفسية الصعبة:

=جلال عمره ما كان زيك بياخد ويدي، جلال دماغه متقلبة أوي، وكل كلامه زق، وضرب، وصوت

عالي... أنا عمري ما ارتاحت معاه زي ما برتاح معاك!

رد أحمد بغضب جسيم، معبرًا عن استيائه بطريقة ملحوظة:

_ هايدي مش عايز أشوفك هناك ثاني! فاهمة؟

اهتزت رأس هايدي بمعنى سمعًا، وطاعة. بعد مرور ساعتين في المطعم، كانت جميلة تجلس مع أخيها،

وابنتها سيليا على طاولة واحدة، وتحاول الاتصال بزوجها مرارًا وتكرارًا، إلا أنه لم يستجب لمكالماتها.

غضبت جميلة وكان صوتها يحمل بعض الاستياء، والإحباط، حيث قالت:

=أنا بتصل بيه مبيردش، يعني ايه يقولي هنتغدا سوا، ويفضل ساعتين متجاهلني؟

تلفظ علاء الدين، وهو يتناول الطعام، بتركيز على طبقه وبتعبير غير مهتم، كأنه يحاول تجاهل الأجواء

السلبية من حوله:

_ بصراحة جوزك طلع قفل أوي... هو ليه محسني إنه ظبطنا في وضع مش تمام؟ ده أنا كنت عازمها

عادي .

وأشار بيده حوله بحركة متأنية، معبرًا بصمته عن الأمور المحيطة به، وواصل تناول طعامه بتركيز

وهدوء، وهو يردف بلا مبالاة:

أم الديب الجزء الثاني

_مطعم، وناس حوالينا مش جاييها البيت يعني !
نطقت جميلة بعصبية، معبرة عن حالة من الانفعال في كلماتها:
= لا يا علاء مش قفل انت اللي أوبن مايند زيادة عن اللزوم !
ضحك علاء الدين، وقال بسخرية:
_ هو طَبَعَك بطبعه، ولا ايه يا جميلة؟ فين جميلة أختي اللي أعرفها؟
تنهدت جميلة، وهمست بصوتها، كأنها تعبر عن إرهاق داخلي، قائلة:
=موجودة بس جميلة اللي بتتكلم عنها دلوقتي بقيت أم، ووراها مسئولية مش البنات بتاعت زمان .
رد علاء الدين بسخرية:
_ لو طَبَعَك بطبعه عرفيني يا جميلة...ده ناقص ياخدك بلدهم يعيشك وسط الجواميس، والبقر ، ونددهك
ستنا جميلة أم إيشارب .
وقهقه بقوة، فازداد امتعاض جميلة، واندلعت بجلبة قائلة:
=علاء الدين ستوب!
تشبثت جميلة بيد ابنتها بقوة، وحملت حقيبتها بينما كانت تسرع خارج المطعم، وأشارت لتاكسي بحركة
سريعة، ثم عادت إلى منزلها. في الوقت نفسه، لم يكن علاء الدين يهتم بما حدث بل بالعكس، استمر في
تناول طعامه ببطء، متلذذًا بكل لقمة، وهو يقول بصوت مليء بالراحة، والاستمتاع:
_ حلوة أوي الوايت صوص باستا .
بعد مرور ساعة أخرى، وصل أحمد وهايدي إلى منزل أم الديب، وقبل أن تخرج هايدي من السيارة،
أراد أحمد أن يتأكد من اتفاقهما معًا، فقال بصوت ينطلق من عمق الاطمئنان، والثقة:
=اللي حصل ده ميتركروش تاني يا هايدي!
ردت هايدي بتردد:
_ حاضر .
صعدت هايدي إلى شقة أم الديب، ووجدتها تتناول الطعام كالعادة أمام التلفاز، فقالت لها بصوت مباشر،
دون تردد:
=اتأخرتي ليه يا بت؟
ردت هايدي بحيرة، وعبارة تعكس الارتباك وعدم اليقين في صوتها:
_ أولياء الأمور كانوا طالبيني في دروس خصوصية .
تساءلت أم الديب بفضول مازج بين الاستفسار، والاستغراب في صوتها:
=وخدتي حاجة على كده؟
أجابت هايدي بوجه متوتر، معبرة عن حالة من القلق في تعبيرها:
_ لا كنا لسه بنتفق .
عندما دخلت هايدي الغرفة، لم تتأخر أم الديب عن التحدث إليها، حيث قالت بصوت مليء بالاهتمام:
=مش هتاكلي ولا ايه؟
تفوهت هايدي باستياء:
_ مليش نفس .

أم الديب الجزء الثاني

وأوصدت الباب خلفها بحركة تنبعث منها القوة، ثم جلست على سريرها وهي تغوص في أفكارها المتعلقة بفشل علاقتها بعلاء الدين. بعد أن تأملت لحظات، تحدثت بصوت مليء بالحسرة، معبرة عن مشاعرها بكل صراحة:

=كده الموضوع باظ أعمل ايه دلوقتي؟ كل تخطيبي اتخرب.... أعمل ايه أنا بحبه، ومعجبة بيه، ومش شايقة غيره مع إنه حتى بعد ما قعد معايا عمره ما هيفكر يحبني، ولا يتجوزني... عمري ما هبقى حلوة زي بقية البنات اللي بيثوفها... أنا أهلي على قد حالهم لكن هو أهله مستوى عالي، وفلوس، ومناصب . ثم صممت قليلاً، ووقفت إزاء المرأة، حيث تأملت في تفاصيل وجهها بتأن، وتفكير عميق. بعد ذلك، أردفت محاولة للتفكير:

=هبيصلي على ايه؟ ده لا شكل، ولا فلوس، ولا أي حاجة !
بعد مرور ثلاث ساعات، وصل أحمد إلى منزله. قبل أن يدخل، لاحظ من الخارج أن سيليا تجلس مع والدتها على الأريكة، وكانت علامات الاستياء واضحة على وجهها بسبب كذب والدها عليها، وبحزن ملموس في صوتها، قالت:
_بابي ضحك علينا .

نطقت جميلة بكمد، وكلماتها تنبعث منها بحزن، معبرة عن مشاعرها بضيق:
=معلش يا سيليا تتعوض مرة ثانية .
دخل أحمد الشقة، فلم يكن استقبال جميلة ودياً، بل قالت بصوت مليء بالانزعاج، معلنة استيائها بوضوح:

=أدخلي جوا دلوقتي .
ردت سيليا بحزن ملموس، وكلماتها تنطلق من داخلها معبرة عن حالة الإحباط التي تعيشها:
_حاضر .

دخلت سيليا إلى غرفتها بخطوات متثاقلة، يرافقها نهوض جميلة الواصف للسخط الذي يعكسه وجهها. كانت تبدو وكأنها عازمة على التعبير عن استيائها العميق بصوت حاد:
=انت ازاي تتكلم مع أخويا بالأسلوب ده، وتخرجنا وسط الناس، وتخلي شكلي وحش قدامه؟ أنا يتقالي انتي جوزك قفل؟ ايه المشكلة لما علاء خرج مرة مع هايدي أختك؟ هو يعني في بينهم حاجة علشان كل ده؟ وسيبيني أنا، وبنتك مردتش عليا، ولا قولتني هترجعها البيت، ولا حتى هتروح فين !

رد أحمد بانزعاج:
_جميلة الغلط مش من عندي، الغلط من علاء الدين !
نفوحت جميلة بامتعاض مُرّ، كلماتها كالصخب المتموج يعلو صدها في المنزل، وجهها الملائكي يخترن حين الاحتدام:

=طبعا لازم يكون من عنده لكن ازاي يكون من عند هايدي؟
دخل أحمد الغرفة بخطوات صامتة، حيث يراوحو الصمت كخيار لتجنب تصاعد المشكلة. لكن لم تمر لحظات حتى دخلت جميلة وراءه بخطوات سريعة، وصاحت بصوت مرتفع، كلماتها كالصاعقة تهز الجو:

_كلمني زي ما بكلمك...ست ساعات كاملين متجاهلني أنا، والبننت ومابتدش تعرفنا انت فين؟

أم الديب الجزء الثاني

اقتلع أحمد ساعة يده بحركة مُتسارعة، ووضعها على الكومودينو بقسوة، كأنها رمزٌ لزمينٍ متوقفٍ عن الشجار، وقال بصوتٍ هادئٍ: ِ
=خلصني اللي عندك يا جميلة؟

أجابت جميلة باحتدام:

_أها .

خرج زوجها من الغرفة بخطواتٍ هادئة، يتجنب الصراع المحتمل، ودخل غرفة سيليا المبهجة ثم جلس بجانبها على السرير الأبيض الناصع، الذي ينبض بالهدوء. أما سيليا، فقد تبسمت بفرح متزايد، وهمست بصوتٍ ينعكس فيه بريق الحب:

=بابي انت هتنام جنبي؟

أجاب أحمد بضيق:

_أيوه يا سيليا .

ردت سيليا بسعادة:

=ماشني

صمتت سيليا لحظة، كأنها تجمع كلماتها بعناية متناهية، ثم قالت بصوتٍ يرن كنغمة الأمل في الصباح الباكر:

=مممكن تحكي لي حدوتة؟

أجاب أحمد بصوتٍ متقطع، كلماته تتناغم مع همس الزمن المتوقف، وعتاب اللحظات المفقودة:

_ايه رأيك بكرا لما أكون مركز؟

ردت سيليا بتفكير:

=خلاص أوكي .

نامت سيليا في حضن والدها، وهي تسترخي في أمان يغمره الدفء، في حين كانت جميلة تغفو في غرفتها الخاصة، حيث تحلم بأحلامها، وتسبح في بحر أفكارها الرقيقة، وفي اليوم التالي، كانت هايدي تستعد للذهاب إلى المدرسة، وهي تقف حيال المرأة تعدل ملابسها بدقة، محاولةً أن تبدو مرتاحة ومنتعشة ليوم جديد من التدريس. فجأة، دخلت ليالي إلى شقة أم الديب بأبنائها، ووجدت هايدي مستعدة للمغادرة، فابتسمت، وقالت بابتهاج:

_صباح الخير يا هايدي .

ردت هايدي بابتسامة:

=صباح النور .

ابتسمت ليالي بنبرة دافئة، وقالت بود:

_خدي العيال احنا مش هنأمن عليهم إلا، وهما معاكي .

ردت هايدي بصوتٍ مكتوم:

=ماشني يا ليالي .

تحدثت ليالي مع أبنائها بلطفٍ محبب، كلماتها تتسلل كأنغام الحنين إلى قلوبهم:

_كل واحد فيكم له ساندوتشاته .

أم الديب الجزء الثاني

ووجهت حديثها لابنها حمود بحزم، كلماتها كأنها سهم يقطع الهواء بقوة، تعبر عن قلقها بشكل لا لبس فيه:

_إياك ترعل أختك منك !

رد حمود:

=ماشى

تحدثت ليالي بابتسامة تنبعث من دفء الأمومة:

_شاطر، يلا خدوا بالكم من نفسكم .

عانقت ليالي أولادها بحنانٍ غامر، ثم غادرت شقتها لتصعد إلى الطابق العلوي، حيث بادرت هايدي بأخذ أبناء أخيها لمرافقتها إلى المدرسة، وعند وصولها، دخلت إلى مكتب المدير، ووجهت إليه كلماتها بابتسامةٍ تنبعث من داخل قلبها، تنقل روح الثقة، والاحترام:

=صباح الخير يا أستاذ عماد .

رد المدير بابتسامة:

_صباح النور يا أستاذة هايدي .

تحدثت هايدي مع الأطفال بلطف، ودفء:

=كل واحد يطلع على فصله...تقى انتي عارفة فصلك فين؟

ردت تقى بثقة:

_أيوه يا عمتي .

تفوهت هايدي بإعجابٍ شديد، تعبر عن دهشتها الإيجابية تجاه ابنة أخيها:

=شاطرة .

صعد كل طالب إلى فصله، بينما دخلت هايدي الفصل، وفور رؤية الطلاب لها، توقفوا جميعًا في صمت

محترم. ثم قالت بصوتٍ ثابتٍ:

=صباح الخير يا ولاد .

رد الطلاب في آنٍ واحد:

_صباح النور يا أبله هايدي .

قالت هايدي بحزم:

=اللي عمل الواجب يطلعه قدامه، ويقعد، واللي معملهوش يفضل واقف

تركت هايدي حقيبتها وخرجت من الفصل، ثم اتصلت بأخيها أحمد لتعتذر له عما حدث، حيث قالت له بتأنيب واضح:

_أنا أسفة لو عملتكم أي مشكلة .

نطق أحمد بكلمات تسامح، ووداعة:

=خلاص يا هايدي المهم نتعلم من غلطنا .

ردت هايدي بابتسامة مكتومة:

_أنا عارفة أكيد حصلت مشكلة امبارح بسببي .

أعرب أحمد عن غضبه بكلمات حادة:

=جميلة مسكتتش، وأنا مرضتتش أتكلم لأن المشكلة هتكبر .

أم الديب الجزء الثاني

ثم تنهد، وأردف:

=مش عايز سيلييا تشوفنا بنتخانق، أكيد هياثر على نفسيتها .

ردت هايدي بابتسامة تحمل بين طياتها لمعان الأمل:

_ لا متقلش أنا هكلم جميلة، وهتبقوا كويسين، وخلص، ولا كأن في حاجة حصلت !

نطق أحمد بتعبير يعكس القلق وهو يحرق في ساعة يده، حيث ترسم على محياه علامات التفكير:

=ماشني يا هايدي مضطر أقفل، رايح الشركة .

ردت هايدي بابتسامة:

_ ماشني خد بالك من نفسك !

أجاب أحمد بابتسامة وافرة:

=وانتي كمان... سلام .

ردت هايدي:

_ سلام .

مرّ المدير بجوار هايدي، وتوقف أمامها محملاً بعينين تشتعلان غضباً بسبب مكالمتها الهاتفية خلال

الحصة الدراسية، وبصوتٍ يشبه الرعد المخيف في صمت الليل، قال:

=سايبه الحصة، وواقفة تتكلمي في التليفون يا أستاذة هايدي؟

أجابت هايدي بفزع:

_ معلىش يا أستاذ عماد أنا أسفة كانت مكالمة مهمة .

رد المدير بصوت حاد:

=انفضلي على حصتك!

بعد دخول هايدي إلى الفصل، أشارت بنظرةٍ ثابتة لتلاميذها، داعية إياهم إلى الجلوس بصمت. استقرت

على مكتبها بانسجام، ووضعت يدها بحنان على رأسها، متأملة فيما تسببت فيه لأخيها. السكون الذي

أطلقته أثار فضول الطلاب، حتى اندفع أحدهم ليقاطع الصمت، ويقول:

_ أبلّة هايدي انتي مش هتدينا درس جديد؟

أجابت هايدي بعدم تركيز:

=هديكم... هنشرح النهاردة درس بعنوان أوقات غالية .

فتحت هايدي الكتاب بتركيز، مستمتعة بالنصوص التي تتباين بين الصعوبة، والجمال. في الجهة

الأخرى من المنزل، كان المعلم حنفي نائمًا بجانب زوجته، يعاني من صوت شخيرها المتصاعد الذي

أثر بشدة على سلامته النوم. حاول التغيير من وضعيته مرارًا وتكرارًا، لكن دون جدوى. فبعد أن

فشلت، كل محاولاته للحصول على نوم هانئ، اضطر للجلوس وقال بانزعاج متأجج:

_ يارب صبرني، دماغي اتقورت .

خرج المعلم حنفي من الغرفة بخطوات ثقيلة، وفي لحظة صدفة، طرق أحدهم الباب بقوة، فاندلع بصوتٍ

عالٍ:

_ جايلك باللي على الباب .

بعد أن فتح المعلم حنفي الباب بحذر، تحدث جلال بسعادة:

=صباحو يا حاج .

رد المعلم حنفي بابتسامة:

أم الديب الجزء الثاني

_يا أهلاً خش .
دخل جلال الشقة بخطواته المهيبية، وواصل المعلم حنفي حديثه بينما كانت الابتسامة تملو وجهه، مبدئياً سروره واستعداده للمحادثة بحرارة:
_ايه فطرت ولا لسه؟
أجاب جلال بوضوح، بلا تردد في صوته:
=لا هفطر برا أصل ليالي نزلت العيال، وطلعت تنام .
رد المعلم حنفي بفكاهة متقنة، حيث اندفعت كلماته بهزل تام، كأنها تنسجم مع الجو المرح:
_لا مسيطر ياض تقعد تجعزلنا ليل نهار، وتيجي عند مراتك، وتهبط، ولا تقدر تقولها نص كلمة !
تلفظ جلال بامتعاض حار:
=لا مش أنا اللي يتقالي الكلام ده، ده أنا أول امبارح متخايق معاها بعد ما نزلنا من عند نعمة، وبعدين انت بتسخني عليها ولا ايه؟

أجاب المعلم حنفي برهبة:
_لا ياخويا، وهسخنك ليه؟ ده انت مراتك بت أصول، وست الستات .
رد جلال بفضول غامض، بنبرة تكشف عن فضوله الجاد:
=طب مش هتيجي تفرط معايا؟
نفوه المعلم حنفي بتأني، كأنه يختار حركاته بحرص شديد:
_صبرك عليا هدخل أتشطف، وأجيلك .
رد جلال بصبر ملحوظ، بتلقائية تنم عن هدوئه الداخلي:
=على راحة راحتك يا حاج .
دخل المعلم حنفي المرحاض بخطوات هادئة، كأنه يتأمل في عوالم بعيدة أثناء انتظار جلال الذي جلس على الأريكة بانتظار عودته، وفي الفصل، كانت هايدي تتحدث مع جميلة بالهاتف، تنقل وجهات نظرها، وأفكارها كالأنهار الجارية، معبرة عن اهتمامها العميق في كل كلمة تنطلق من شفتيها:
_صباح الخير يا جميلة .
ردت جميلة بابتسامة:
=صباح النور .

نطقت هايدي بإخراج جسيم، حيث ترددت كلماتها كأوراق الخريف المتطايرة في الرياح الخجولة، محاولةً جاهدةً تقديم تفسير لموقفها:
_أنا أسفة على اللي حصل امبارح...صدقيني مفيش حاجة بيني، وبين علاء أخوكي !
ردت جميلة بضيق ملحوظ، كأنها تعبر عن انزعاجها بكلمات مختصرة، تنم عن حالة عاطفية مشددة:
=منتأسفيش أنا مقدره كل اللي قولتيه...بس أخوكي زودها .
نفوهت هايدي بود، وهي تحاول تلطيف الأمور بينهم:
_ولا زودها ولا حاجة احنا أصولنا بتقول مينفعش أقعد مع واحد غريب بدون علم أهلي...احنا عندنا مبادئ وأخلاق، وبعدين المفروض بعد الموقف ده يكبر في نظرك!
ردت جميلة بكمد:
=أحرجني أوي قدام علاء الدين أنا كنت في نص هدومي، فيها ايه لو كان اتكلم بعيد عنه؟
ضحكت هايدي بابتهاج ملفت، وقالت بدهشة تامة، وهي تعبر عن استغرابها الإيجابي:

أم الديب الجزء الثاني

_معقول بقيتي تتكلمي زينا؟

نطقت جميلة:

=طبعا من عاشر القوم بقي .

ضحكت هايدي، وقالت:

_ لا وكمان حافظة أمثال؟ مش معقول اتأكدي إنك جميلة!

ردت جميلة بسخط ملموس، حيث أظهرت تعبيراتها الصوتية، معبرة عن عدم رضاها:

=في حاجات كانت بإيدينا غيرها بس وقعنا فيها .

شعرت هايدي أن جميلة تقصد قول شيء ما، فأدركت بتعجبٍ مُدهشٍ أن هناك رسالةً ما تحملها كلماتها،

تراوحت في الحيرة بين الفهم، والتأمل:

_ قصدك ايه؟

ردت جميلة بوقاحة زائدة، حيث أظهرت جرأة مفاجئة في تعبيراتها، مما يدل على إصرارها على

إبصال رسالتها بوضوح:

=ولا أي حاجة... عن إذلك، مشغولة .

نطقت هايدي بوجه عابس:

_ انفضلي .

انتهت المكالمة الهاتفية وشعرت هايدي بالرغبة الشديدة من المشكلات التي نشأت بين أخيها وزوجته،

فلم تتوقف عن التفكير في أن تتفاهم هذه المشكلات إلى حد لا يمكن السيطرة عليه. باتت تخشى أن

يصلوا إلى مرحلة لا يمكن لأحد منهم التحكم فيها، فاتصلت بأخيها، وفي لحظة مليئة بالقلق، قالت له

بصوتٍ ملتهب بالمشاعر:

_ مراتك متغيرة أوي !

وفي تلك اللحظة الحرجة دخل المدير إلى الفصل، وصوته يرتفع ليعلن بوضوح، وثقة حضوره، مما

أضاف جواً من الترقب إلى الأجواء المشحونة بالمشاكل:

=استأذنيك يا أستاذة هايدي إن شاء الله الخميس الجاي في رحلة مدرسية للأهرامات اللي حابب يشترك

يدفع في المكتبة، ويسجل اسمه، ونتمنى إن أستاذة هايدي تحضر معنا .

وقفت هايدي مكانها بثبات، وبينما تراقب المدير وهو يتحدث، جمعت شجاعتها للتعبير بوضوح، تنتظر

اللحظة المناسبة للكلام بكلمات تنبض بالإيمان:

_ طبعا يا أستاذنا دي حاجة تشرفني إني أكون مع حضرتك .

رد المدير بابتسامة:

=ربنا يباركك .

ثم تابع حديثه مع الطلاب:

=ياريت ناخذ موافقة من الوالد... عن إذلكم .

خرج المدير من الفصل، وهايدي استعادت مكانتها، تجلس مجدداً وتفكر في داخلها بكلمات متأملة، تعبر

عن حالة من الضيق وسط هدوء يعم الفصل:

_ أنا مبقاش ليا خلق للرحلات المدرسية... أنا كل اللي يهمني أخرج من المشكلة اللي وقعت أحمد

فيها... أكيد علاقته بجميلة بدأت تبوظ، وكل ده بسببي أنا .

أم الديب الجزء الثاني

مرت الأيام حتى وصلوا إلى يوم الرحلة المدرسية، وكانت هايدي قد أعدت كل شيء بعناية للرحلة، من الطعام والشراب. ثم خرجت إلى الصالة، وفي لحظة تنبض بالترقب، قالت بصوت ملئ بالتحمس:
_ أنا نازلة عايزين حاجة؟
تفوهت أم الديب بفضول:
=هترجعي امتي؟

أجابت هايدي بتفكير:
_ ممكن ١٢ بالليل .
ردت أم الديب بنواح:
=يا صايعة يا بت الضايعة عايزة الناس تاكل وشنا، وتقولنا ياللي بتكم بترجع بعد انصاص الليالي؟
نطق المعلم حنفي باحتدام جارف، حيث انطلقت كلماته بقوة، وجعلت الجو يملاهُ التوتر:
_ ما جرا ايه يا ولية هي راجعة من الكبارية؟ دي مُدرسة قد الدنيا، وطالعة رحلة مدرسية مع العيال الملايكة .
ردت أم الديب باعتراض:
=ولو...برضة مينفعش!
قالت هايدي بترقب ملحوظ، حيث بدت علامات الاستعداد واضحة على وجهها، معبرة عن انتظارها لما سيحدث بقلق:

_ متقلقيش ممكن نرجع قبل كده .
ردت أم الديب بعجيج:
=ماشى ياختي ترجعي بالسلامة .
نطقت هايدي بتشوش ملحوظ، حيث انعكس الحزن على وجهها، معبرة عن قلقها من الأحداث المحتملة:
_ الله يسلمك.. يلا باي .
رد المعلم حنفي:
=وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

نزلت هايدي من المنزل برفقة أبناء أخواتها، وكانت تحمل في يدها حقيبتها الصغيرة الممتلئة بالضروريات لرحلة المدرسة الشاقة. اتجهت بخطواتها الثابتة نحو موقع المدرسة، حيث وجدت نفسها منتظرة مع الطلاب والمدرسين في صفوفهم، ينتظرون وصول حافلة المدرسة، وبعد لحظات من الترقب، وصلت الحافلة أخيراً، فركبت هايدي ببراعها الصغار، متبوعة بالتلاميذ الآخرين الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر. وفي ذلك الوقت، لاحظت هايدي في النافذة الخلفية للحافلة صورة لسيدة تركض بينما تحاول بجهد اللحاق بها التي كانت بالفعل بدأت بالانطلاق، وبمجرد أن أوقف السائق الحافلة ليسمح لها بالصعود، تفاجأت هايدي بأن هذه السيدة هي والدتها. بدا على وجهها تعبير من الدهشة الممزوجة بالاستغراب، وقالت بتعجب:

_ ايه ده ماما؟ انتي ايه جابك هنا؟

ردت أم الديب بعجيج:

=مالك يا بت اتخضيتي كده ليه؟

أجابت هايدي بانزعاج:

_ انتي مقولتيش إنك جاية معايا !

أم الديب الجزء الثاني

نطقت أم الديب بصوت حاد، صدى كامد يعكس القوة، كأنها تفرض وجودها بكلماتها:
=ايهي أمال أسيبك لواحدك كلاب السكك تنهش في جنتك يا بت؟
ردت هايدي بدهشة:
_ايه اللي بنقوليه ده!

جلست أم الديب بجانب ابنتها، فاستحوذت على حيز كبير من الكرسي، وكان حضورها مهيمًا. بينما كانت هايدي تنظر باحتدام واضح، خرجت كلماتها بشكل مباشر، وحاد، معبرة عن انزعاجها وعدم رضاها عن الوضع:
_وسعيلي شوية!

نطقت أم الديب بسخط، حيث تردد صوتها بشكل قاطع، معبرة عن انزعاجها:
=ما المكان واسع أهو .
ردت هايدي بضيق:
_ماشني يا ماما .

نامت أم الديب على الكرسي، في حين أمسكت هايدي بهاتفها الجوال، وفتحت تطبيق فيس بوك، حيث قامت بالبحث في صفحة علاء الدين، وفي منتصف الطريق، وقعت عينيها على منشور مضحك، ما دفعها للضحك بصوت عالٍ، ومرح. استيقظت أم الديب فجأة على صوت ابنتها، وكانت مفزوعة بسبب الاضطراب المفاجئ، فقالت بصوت غليظ:
=في ايه؟

وتشبثت بعنق هايدي بينما توغلث في زرقة الانفعال، قائلة:
_أوعي يا ماما، مش عارفة أتنفس!
ردت أم الديب بصوت حاد:
=أبوكي جراه حاجة يا بت؟
أجابت هايدي بعصبية:
_هو أنا اتكلمت؟

ردت أم الديب بصوت خشن كصدح مطر الحجارة على النافذة:
=اتصلي بليالي تجهز لنا فراخ، ورز، وطبيخ، وشوربة .
تلفظت هايدي بسخرية:

_ومين قالك إنها هنرضي تعمالك حاجة؟
نفوهدت أم الديب بامتعاض وكأنها تسكب سمومها بحذر، كالسم الذي يتدفق ببطء من العقرب:
=يعني أرجع من برا تعبانة، ومكسحة، وملاقيش حد يخدمني؟

كان صوت هايدي ينطلق بضيق كسيول النار تتدفق من بين الصخور:
_ليالي مش ملزمة بيكي، كفاية عليها بيتها .

صاحت أم الديب في وجه هايدي قائلة باحتدام:
=انتي بتنحازي لمرات أخوكي ؟

ردت هايدي بفزع، كأنها تشاهد شيئًا يلوح في الأفق:
_وأنا قولت حاجة؟ كملني نوم بس .

أم الديب الجزء الثاني

بعد خمس ساعات من الرحلة، وصلت حافلة المدرسة بالطلاب والمعلمين إلى أهرامات الجيزة، حيث استقبلوا المكان بأعين مذهولة، وقلوب متشوقة، ترقبًا لاستكشاف أسرارها القديمة، وجمالها الخالد، وعندما خرج المدير ليستنشق عبق الزمان، انتابته ابتسامة تعبيرًا عن إعجابه بالمشهد الذي يتجلى أمامه، كالخيوط الذهبية التي تنسجها أيادي الأساطير، فقال ببهجة:
==حمدالله على السلامة وصلنا .

ردت هايدي بابتسامة:

_الله يسلمك يا أستاذ عماد .

نطق المدير، وهو يوصي هايدي على الأطفال، كأنه ينثر نصائح حكيمة بلطف على الأرض، مترنحة في تعابير الرعاية:

=خذي معاك خمس عيال، وبيقوا تحت عينيكى !

أجابت هايدي بابتسامة خافتة:

_حاضر متقلّش .

نزل المعلمون من حافلة المدرسة برفقة بعض الطلاب، وأرادت هايدي أن توقظ والدتها بحنان، كأنها تنساب كالنسمة الصباحية إلى عالم اليقظة، قائلة بلطف:

_اصحي يا ماما!

استيقظت أم الديب، وهي تنظر حولها بتعجب، كأنها تفتح عينها على عالم طريف مليء بالألوان، والأصوات، كل لحظة تكشف أمامها لوحة جديدة من حياتها المليئة بالمفاجآت، حيث قالت بترقب:

=مين مات؟

أجابت هايدي بانزعاج:

_يا ماما بقى حرام عليكى...أنا مش فاهمة ايه اللي جابك بس؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=اخرسى يا بت مسمعش صوتك!

نزلت هايدي مع أم الديب من الحافلة مع بقية الطلاب، وهم يفتحون على عالمهم الجديد بحماس، وفضول. بينما في منزل أحمد، كانت جميلة تطهو الطعام بحنان يعكس الاهتمام، وسيليا ترسم بمهارة على الطاولة، كأنها تصاغ الأحلام وتنسج الأمانى بألوانها الزاهية، وخطوطها الرشيقة، وبعد أن أكملت نصف رسمتها، دخلت سيليا المطبخ، حيث كانت والدتها تستعد لإعداد الطعام، وهناك قالت لها بصوت ينبض بالتألم:

_مامى أنا عايزة تتصالحى انتى وبابى !

أجابت جميلة، وهي تقلب البشاميل في القدر، كأنها تعزف سيمفونية من النكهات، والروائح، تتناغم في وعاء الطهي كلما انبعثت أريجًا يعكس الإحترافية في كل حركة تقوم بها:

=سيليا حبيبتي متشغليش بالك بالكلام ده .

ردت سيليا باستياء:

_أنا بحبكم، وبحب أشوف مامى، وبابى مبسوطين .

ضحكت جميلة، وقالت بلطف:

=صح يا سيليا، احنا كمان بنحبك !

أم الديب الجزء الثاني

وعانقتها، وقبلتها من رأسها، وفي هذه اللحظة دخل أحمد المنزل، فسعدت سيليا برؤية والدها، وجرت نحوه كالفراشة تستقبل أول شعاع من الشمس، نفوح منها أشعة الدفء، وتتراقص الأمانى حولها كالنجوم التي تنثر بريقها في ليل الصيف الهادئ، وهي تهتف:

_بابي جه...بابي جه .

نطق أحمد بسعادة، وهو يقبل رأس ابنته بحنان:

=صباح الخير يا سيليا يا قمر .

ردت سيليا بحصافة:

_ازيك يا بابي كل ده في الشغل من إمبراح؟

ضحك أحمد، وقال بتردد، كأنه ينسج أغنية من الضحكات الخفيفة ترقص في الهواء:

=أنا كنت بجيبلك هدية .

ردت سيليا بلهفة:

_بجد يا بابي؟

رد أحمد بابتسامة، كما تنبت الورود في فصل الربيع، تملأ الحديقة بألوانها الزاهية:

=طبعا، استني هوريهالك .

استخرج أحمد من الحقيبة البلاستيكية التي معه علبة عروسة باربي، وأعطاهها لسيليا برفق في يدها، فسعدت بها بلا حدود، وعانقتة مجدداً بفرح يتسع في قلبها كالبلستان المزدهر في فصل الربيع. دخلت بها إلى غرفتها وهي تضحك بفرح يملأ الأجواء، فتعجبت جميلة من الهدية الأخرى التي يحملها بيده. ثم اقترب منها وهو مبتسم بابتسامة تنم عن حبه وتقديره لها، فأدركت جميلة في قلبها حنانه، ورعايته، ولكنها لم تتمكن من إخفاء بعض الحزن في صوتها، وهي تقول:

_خير؟

رد أحمد بابتسامة، وهو يسلمها الهدية، معبراً بذلك عن عشقه، وكأنه يصف باللغة البسيطة عن اعترافه بخطأه:

=دي حاجة بسيطة تقديراً على تعبك معانا في البيت .

توترت جميلة، وقالت بصوت متزعزع، كأنما تتأرجح كلماتها على حافة الخجل:

_خالص فين التعب ده؟ هو أنا بعمل ايه يعني؟

ثم تركت جميلة ما في يدها من طهي الطعام، وخرجت إلى الصالة، حيث مثلت بأنها تعدل مفرش الطاولة ببطء متزايد، وكأنها تخفي خلف تلك الحركات الروتينية توترها. أظهرت جميلة بأن أمر الهدية لا يعني لها شيئاً، مستعرضة بذلك كبريائها مع الموقف. خرجت سيليا من غرفتها بتعجب واضح في عينيها، حيث قالت بدهشة تعبيراً عن استغرابها بالهدية الأخرى:

=هي دي هدية مامي؟

رد أحمد بابتسامة:

_اديها لمامي عشان مش عايزة تاخذها .

أخذت سيليا الهدية من والدها، وأعطتها لوالدتها بين يديها ككنز نفيس، ينبعث منه بريق السعادة، كأنها تقدم باقة من الورود الفاتنة في صباح الربيع، تعبيراً عن محبتها، واعتزازها بأمرها الغالية، وهي تقول:

=خدتها يا مامي دي شكلها فيها لعبة كبيرة .

عانقت جميلة ابنتها بحنان، وقالت بحب:

أم الديب الجزء الثاني

_هاخذها عشان خاطرك بس .

ضحك أحمد، وقال بشك، كأنه ينثر نكهة الدعابة في الهواء، تملأ الصالة بانتعاش:

=عشان خاطر سيليا ولا عشا.....

بترت جميلة حديثه بضحك، ونطقت بدلال:

_معرفش شوف انت بقى .

دخلت جميلة المطبخ محملة بالهدية، وهم الثلاثة يضحكون بصوت عالٍ، وأجواء الفرح تملأ المكان، كانت لحظات من الانسجام في منزلهم الدافئ. في نفس الوقت، بمنزل ليالي، استيقظت من نومها وجدت نفسها بمفردها، بعد أن ذهب أولادها مع عمتهما هايدي في الرحلة، وذهب زوجها إلى عمله. شعرت لحظة بالملل، وقررت أن تطرق باب شقة نعمة، صديقتها المقربة، ليجتمعوا معًا ويملؤوا وقت الفراغ بالحديث والضحكات، والذكريات الجميلة. بعد لحظات، فتحت نعمة الباب بابتسامة دافئة، وقالت ليالي بحنان:

=صباح الخير .

ردت نعمة بترحيب حار، كأنها تفتح أبواب قلبها بسعادة لاستقبال صديقتها العزيزة:

_صباح النور يا ليالي تعالي أدخلني .

دخلت ليالي الشقة، وجلست على الأريكة بتأني، وقالت بفضول:

=جوزك هنا، ولا راح شغله هو الثاني؟

جلست نعمة، وقالت بصوت مليء بالاهتمام والاستعداد للحديث:

_لا نزل، وقاعدة لواحدي زهقانة ده أنا كنت لسه هنزلك .

نفوحت ليالي بتفكير:

=أديني سبتك، وطلعت... ما تيجي نعملنا كيك، وشوية شاي باللبن، ونبعت نجيب لب، وسوداني،

ونشغل فيلم، ولا مسلسل .

ردت نعمة بتأييد، معبرة عن استعدادها التام للمشاركة، والاستمتاع بالوقت مع صديقتها:

_يا سلام يا ليالي على المزاج... طب استني كده ياختي لما أشوف الحاجة عندي ولا لا !

نهضت نعمة، ودخلت المطبخ، حيث انغمست في البحث عن المكونات، والتحضيرات، فقالت ليالي بلا مبالاة:

=ولو مش عندك نبعت نجيب... احنا هنغلب يعني؟

في أحضان الأهرامات القديمة، كانت هايدي تتجول بين الطلاب، وخلفهم تقف أم الديب، وجوارها يعانق جمال الحضارة المصرية القديمة. حيث كانت هايدي تشير بيدها بفخر نحو هرم خوفو، كأنها تكشف عن جوانب من السر، والعظمة التي تعيشها هذه التحفة الهائلة، محاطة بأسرار تاريخية تنبض بالحياة، وهي تتلفظ:

_شايفين اللي هناك ده؟

اقترب حمود من هايدي، وقال بصوت خافت، كأنما يترنح كلماته في الهواء كالأوراق الذهبية التي تهبط بهدوء إلى أرض الخور:

=هي ستي البجرة جات معنا ليه؟

أجابت هايدي بصوت خافت:

_اسكت متتكلمش قدامها، وأنا ايه عرفني؟

أم الديب الجزء الثاني

تحدث محمد بدهشة:

=انت بتكره ستك ليه؟

رد حمود باستهزاء:

_ستي لو قعدت فوق مننا هتفرمنا !

ضحكت تقى بشدة على قول حمود، فأشارت هذه الضحكة إلى سخريتها، لكن لاحظت أم الديب هذا

التفاعل الحيوي، وسألت باستغراب في صوت ينبض بالفضول:

=مالها المزغودة في جنبها بتضحك ليه؟

أجابت هايدي بتردد:

_أصل يا ماما الأهرامات طلعت ضخمة جدًا .

نطقت أم الديب بانبهار، كما لو كانت تفتح عينيها على منظر مدهش:

=أمال ايه؟ أني أول مرة أشوفها، ما تطلعي الساندوتشات يا بت خلينا نطفح !

ردت هايدي بكذب:

_أنا مجيبتش ساندوتشات .

نظرت أم الديب إلى الكيس الذي تحمله هايدي، ولم يمر لحظة حتى أثنت عليه بإعجابٍ شديد، قائلة:

=أمال الكيس دهو فيه ايه؟

ضحك حمود، وقال بسخرية:

_فيه فيل .

ردت أم الديب بسخط:

=تعالى يابن الكلب... أني هطين عيشتك .

ابتعد حمود بسرعة، ونظرات الخوف تتأجج في عينيها، وقال بصوت مرتجف:

_ليه كده يا ستي؟

في تلك اللحظة الدقيقة، وأثناء صمت متوتر، رن هاتف هايدي فجأة، وعندما ألفت نظرة على الشاشة،

اكتشفت أنه رقم علاء الدين، فزادت رعشتها، وقلقتها. بادرت بالابتعاد ببطء عن محيط أم الديب، متخذة

خطوات مترددة، وردت بصوت يحمل التوتر:

=ألو .

رد علاء الدين بابتسامة:

_ازيك يا مزة أخبارك ايه؟

أجابت هايدي بتلعثم:

_أحمد أخويا لو عرف إنك بتكلمني هيعمل مشاكل !

تلفظ علاء الدين بلا مبالاة:

=وايه هيعرفه بس يا هايدي؟ مش كل حاجة تقوليها، وثم إن أنا بتصل أعرف مجيبتش الجيم ليه !

ردت هايدي بصوت مهزوز، وقد ارتجفت أناملها، وعيناها تتجول في كل اتجاه، كأنها تبحث عن مخرج

من الوضع المحرج:

_شكلي مش هعرف آجي تاني أصل أنا مُدرسة، وعندني شغلي فمش دايمًا بكون فاضية .

قال علاء الدين باستهزاء:

أم الديب الجزء الثاني

=مدرسة ايه، وكلام فاضي ايه؟ خلي الحياة حلوة، وتعالى اشتغلي في الـ night club بسعر حلو جدًا .
ردت هايدي بتعجب شديد، وعبير الدهشة يتألق على محياها:
_ هشتغل ايه فيه؟

أجاب علاء الدين بابتسامة:

=هنقفي على البار عملي أجود أنواع المشروبات .
ردت هايدي برفض قاطع، وصدى الاعتراض يرتد في أرجاء المكان:
_ لا لا أنا مستحيل أعمل حاجة حرام...أنا مليش في الخمرة، والبيرة، والكلام ده .

نطق علاء الدين، وكلماته تناسب بلطف، وقناعة:

=انتي مش هتشربي انتي هتعملهم بس .

ردت هايدي بامتعاض:

_ لا لا مستحيل، مش أنا اللي أعمل كده !

تلفظ علاء الدين بجملة مختصرة:

=خلاص أنا هبعثلك، invitation ومنين ما تحبي تروحي هتقدري...أفانك هناك يا هايدي...باي .
انتهت المكالمة بينهما، ثم جاءت أم الديب تتقدم ناحية هايدي، ووقفت تلمم كلماتها بعناية كمن يقوم بالتفكير:

_كنتي بتكلمي مين؟

أجابت هايدي باضطراب:

=أولياء الأمور بيتظمنوا على ولادهم .

ردت أم الديب باشتهاء ملموس في صوتها، وعبير السغب يتألق في عينيها:

_وماله...طلعلي الساندوتشات .

أخرجت هايدي الساندوتشات من الكيس بلطف، وسلمتها لأم الديب بترقب، قائلة بصوت مليء بالاحترام:

=خداهم يارب تكوني ارتاحتي .

وأردفت للطلاب:

=يلا يا ولاد!

غادرت هايدي المكان برفقة طلابها وأبناء أختها، وفي منزل أم قمر الدين، كان علاء الدين يستمتع بالعموم في حوض السباحة، وأمامه كوب من المشروب المتلج يبرد حرارة الصيف. اقتربت والدته بخطوات هادئة، وكانت الابتسامة تنعكس على وجهها، تحمل في طياتها مزيجًا من الحنان، وهي تتلفظ بحب:

_صباح الخير يا علاء .

رد علاء الدين ببشاشة:

=صباح النور .

تفوهت أم قمر الدين بابتسامة طيبة:

_فطرت ولا أخلي توليناز تحضرلك الفطار؟

أم الديب الجزء الثاني

أجاب علاء الدين:

=مليش مزاج .

ردت أم قمر الدين بقلق ملموس ينعكس في تعابير وجهها:

_علاء أنا مابقتش مبسوفة منك انت كل كلامك، وتصرفاتك بقيت مُريبة...أنا حاسة إنك بتضيع مني!

نطق علاء الدين بتعجب عميق:

=ليه كده يا Mom، حصل ايه يخليكي تقولي كده؟

تفوهت أم قمر الدين بعبارة تعبير عن عدم الارتياح:

_مش مطبوط يا علاء .

جاء باسم هو الآخر، وعلى وجهه ابتسامة بهية، ونطق بكلماته بأسلوب ينم عن السرور:

=صباح الخير يا بسملة .

نطقت أم قمر الدين بابتسامة:

_صباح النور يا باسم .

تحدث باسم مع علاء الدين بتعجب في صوته:

pool=على الصبح كده يا علاء؟

أجاب علاء الدين بلا مبالاة:

_وايه المشكلة يا داد؟

نُطِقَ باسم بانزعاج واضح:

=أهو انت كده كل حاجة واخدها ببرود .

جلست أم قمر الدين بأناقة متناهية على الكرسي، وكلماتها تنبعث منها بثقة:

_هتروح الشركة امتي؟

جلس باسم بتألق، وكلماته خرجت بسلاسة:

=نفطر الأول، وبعدين هشوف شغلي .

تحدثت أم قمر الدين بكلمات ينبعث منها سحر نبرتها:

_وأنا هبقى أنزل الشركة أشوف آخر الأخبار ايه .

وصل قمر الدين إلى حيث كانوا، وتوجّه نحوهم بخطوات واثقة، وكانت ابتسامته تنعكس على وجهه

ببريق يعكس السعادة، وألقى كلماته بلغة تنم عن الإحسان:

=صباح الخير .

نطق باسم، وبسملة في أن واحد:

_صباح النور .

تفوه قمر الدين بابتسامة ينطلق منها بريقاً ينعكس على وجهه بالحنان:

=أنا جايلكم في موضوع مهم أوي .

ثم نظر لأخيه وهو يسبح، وضحك بفرح، ثم أردف بكلمات تنم عن قلقه:

=علاء هتغرق !

ضحك علاء الدين هو الآخر، وقال بثقة:

_عيب عليك .

جلس قمر الدين مع والديه، حيث نطق باسم بفضول، وكلماته تنبعث منها العاطفة، وعمق التواصل:

أم الديب الجزء الثاني

=سيبك من علاء الدين، وأدخل في الموضوع المهم .

أجاب قمر الدين بابتسامة:

_هتفرحوا بيا أوي بعد اللي هقوله ده .

ردت أم قمر الدين بابتسامة تعيق بالسعادة:

=اتكلم يا حبيبي في ايه؟

نطق قمر الدين ببهجة:

_أنا قررت أخطب يا ماما!

صرخت أم قمر الدين من شدة فرحها، كلماتها تنبعث منها بحماس، وسرور غامر:

=انت بتتكلم بجد يا قمر؟

أجاب قمر الدين بتأكيد:

_طبعًا، أنا عارف إنني اتأخرت في الموضوع ده بس خلاص جه الوقت المناسب .

تساءل باسم بفضول ينبعث من عينيه بريق الاستفهام، والاستكشاف:

=مين دي؟

أجاب قمر الدين بوضوح ينطلق منه بريق الفهم:

_سارة مدبولي بنت أكبر صاحب معارض عرييات في مصر !

رد باسم بدهشة:

=أو عى تقولي سارة رشدي!

تلفظ قمر الدين بذهول يتجلى في تعابير وجهه، وتفاصيلها الصغيرة:

_ايه ده حضرتك عارفهم؟

أجاب باسم بسعادة:

=طبعًا رشدي ده كان زميلي في نفس الديسك أيام الإعدادية، وبعد ما اتخرجنا كل واحد اتجه لطريقه،

وعمل اسم، وسلطة، ونفوذ بس الحقيقة إنه راجل محترم جدًا .

ردت أم قمر الدين بابتسامة تعيق بالبهجة:

_من الواضح إنك على معرفة كبيرة بيه .

قال باسم بابتسامة ينبعث منها التفاؤل:

=طبعًا يا بسمة، وبعدين حد ميعرفش رشدي مدبولي؟

رد قمر الدين بسعادة:

_خلاص نروحلهم امتي؟

رد باسم بتفكير:

=أنا هتكلم معاه، وناخد ميعاد ونروحلهم .

خرج علاء الدين من حمام السباحة، وكلامه خرج بتعجب يتجلى في تعابير وجهه، وعباراته:

_اللي أنا سامعه ده بجد؟

أجاب قمر الدين ببهجة:

=هخطب يا علاء هخطب!

أم الديب الجزء الثاني

اقترب علاء الدين من أخيه بخطوات وثيقة، وعانقه بحنان ينبع من أعماقه، ونطق بكلمات فرحة تملأ الأجواء بالسرور:

_حبيبي مبروك .

رد قمر الدين:

=الله يبارك فيك .

عانقت أم قمر الدين ابنها بذراعيها الدافئتين، وانطلقت كلماتها بصوت ينطلق منه الحنان، معبرة عن سعادتها العميقة بلحظة المحبة اللا متناهية:

_مبروك ياروح مامي .

رد قمر الدين بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا ماما .

في شقة نعمة الهادئة، والمنعزلة عن صخب الأزواج، والأطفال، كانوا قد صنعوا الكيك الشهى بأيادٍ ماهرة، وسكبوا الشاي الدافئ بحنكة، وأحضروا المقرمشات اللذيذة، وجلسوا مجتمعين أمام التلفاز، الذي عكس صورته مشوقة في راحة بال تامة، وسط أجواء من الهدوء، والانغماس الكامل في اللحظة الحالمية، وبينما أكلت ليالي ببطء قطعة من الكيك الذي امتزجت نكهاته بسحر الفرح، وشربت الشاي بمتعة تغمرها السكينة، أطلقت براحة بال تامة عباراتها، محاولةً أن تحتفظ بتلك اللحظة النادرة في ذاكرتها الدافئة:

_ياختي الرجالة، والعيال بيعملوا وشن، وصداق كان فيها ايه بس لو فضلنا سناجل زي ماحنا .
ضحكت نعمة، وقالت باعتراض:

=أنا بالنسبالي لو كنت فضلت سنجل ياختي كان زماني انتحرت...ده أنا كنت بعد الأيام، والساعات، وبقول امتي يجيلي اللي ينتشني من فقر أمي، وباريته جه على الفقر وبس...ده أنا كنت مطحونة، وأمي قاعدة مبتعلمش حاجة... قال ايه بحجة الست الكبيرة لكن أنا صغيرة، وخفيفة ريشة... اسكتي والنبى!
ردت ليالي، وهي تتلذذ بمذاق الشيبسي الرقيق، وفمها يمتلئ بنكهات متعددة، متأملة في اللحظة بتأن: _بيني وبينك أنا فكرت أعزل خالص، وأجيب شقة برا بس جلال مش مساعدني .
تناولت نعمة قطعة من الكيك بتمعن، وبينما تستمتع بنكهاته اللذيذة، أطلقت قائلة:
=ياختي ده كتر خير، ده شايل جمل تقيل .

تفوهت ليالي بإحباط:

_ماهو ده اللي مهبطني لكن لو الفلوس تهل علينا كنا جيينا شقة في أبعد مكان .
ضحكت نعمة، وقالت بسخرية:

=وبرضة هنتطلك أصلها بتعزك أوي .

ضحكت ليالي بابتسامة عريضة، وألقت كلماتها المليئة بالبغضاء:

_لا يا حبيبتى أنا عايزاها تكرهني...بلا هم قال .

بعد أن انتهت الرحلة المدرسية، وكانت الساعة قد وصلت إلى منتصف الليل، والنساء ينتظرن أطفالهن بفارغ الصبر أمام المنزل، بينما الرجال كانوا مستسلمين لأحضان النوم العميق. وعندما وصلت هايدي بأبناء أخواتها، عانقت كل واحدة منهن أطفالها بحنان غامر، وفي ذلك الوقت، قال حمود بوجه عابس:
=كان يوم وحش ياما .

أم الديب الجزء الثاني

ردت ليالي بدهشة:

_ليه كده يا حمود؟

أجاب حمود بسخط:

=ستي جات معانا .

نفوهت ليالي بذهول:

_جات معاكم ازاي؟

جاءت أم الديب تتقدم نحوهم، وصوتها يرتفع بامتعاض ملتهب، قائلة:

=فين العشا؟

ردت نعمة بدهشة تامة، ووجهها يعبر عن استغراب عميق:

_عشا ايه ياما؟

أجابت أم الديب بصوت حاد:

=مآني لو كنت اشتريت دكرين بط كانوا هيفيدوني عنكم .

ردت ليالي بنبرة جلفة:

_بقولك ايه يا حماتي كل واحد فيه اللي مكفيه !

صعدت كل واحدة منهن بأبنائها إلى شقتها، مستعداتٍ للانغماس في أحضان النوم، بينما كانت أم الديب

تتوعد لليالي بصوت متجهم:

=ماشى يا ليالي هتروحي مني فين؟

وصلت أم الديب إلى شقتها، ودخلت هايدي إلى المرحاض للاستحمام، تاركة هاتفها في غرفتها. لكن

لسوء الحظ، اتصل علاء الدين بينما كانت أم الديب في المطبخ، فسمعت رنين الهاتف وأسرعت إلى

الغرفة. بما أنها أمية ولا تستطيع القراءة أو الكتابة، ضغطت على شاشة الهاتف بأصابعها بقوة، معبرة

عن غضبها بوضوح، وهي تقول بانزعاج:

=يوه المخروب دهو بيشغلوه ازاي؟

وأثناء تحريك أصابعها على شاشة الهاتف بقوة، قبلت أم الديب مكالمة الفيديو الواردة من علاء الدين

دون أن تلاحظ. ثم ذهبت نحو المرحاض وطرقت بابه بقوة، وهي تنادي:

=انتي يا بايرة يا بت الكلب، ما تقوليلي التلافون ده بيشغل ازاي!

تمعنت أم الديب بالهاتف فاكتشفت ظهور علاء الدين على شاشته، فأبدت تعجبًا، وصدمةً:

=يوه مين اللي ظاهر في الكاميرا ده كمان؟

رد علاء الدين بابتسامة عريضة:

_هاي ازيك يا طنط؟

نطقت أم الديب باستغراب:

=ايه ده بيتكلم !

تلفظ علاء الدين بفضول:

أم الديب الجزء الثاني

_هايدي فين؟

ردت أم الديب بنواحٍ مؤثر، صادر من أعماقها المضطربة:
=هايدي؟

سمعت هايدي كل ما دار بين أم الديب وعلاء الدين، فانفجرت فزعاً وأسدلت يديها بشدة على وجهها،
وهي تصرخ بصوت مكتوم من الخرع المتأجج، وهي تنتحب:
_يا لهوي يا لهوي يا لهوي!
يتبع....

الفصل السابع

أمسكت أم الديب الهاتف بيدها المرتجفة، ورفعته ببطء أمام وجهها كمن يرفع سيفاً في معركة، ثم قالت بصوت حاد:

_ أنت مين يا ولا؟ وتعرف هايدي بتي منين؟

رد علاء الدين بابتسامة:

=هايدي Just friend لا أكثر، ولا أقل !

لكن أم الديب، وسط زخم الأفكار المتشابكة، شعرت وكأنها قد رأت هذا المشهد من قبل، فقالت بدهشة ممزوجة بالرغبة:

_ ايهي انت هتعلمهم عليا يا ولا؟ انت ابن مين؟ انت شبه علاء الدين ابن ست هانم... سبحان الله فوله، واتقسمت نصين .

رد علاء الدين بابتسامة ساحرة، وهو يمرر أصابعه برفق بين خصلات شعره، كمن يعزف على أوتار طيش الشباب:

=ياه، أنا ابنها فعلاً ماهو أنا علاء الدين !

طرقت أم الديب باب المرحاض بعنف مرة أخرى، وصاحت بصوت يقطر سخطاً:

_ بت يا هايدي.. افتحي يا بت!

خرجت هايدي من المرحاض بخطوات مترددة، وهي تلتف بالمنشفة حول جسدها المرتجف، وقد بدت على وجهها علامات الخوف العارم، وقالت بصوت مرتعش:

=ماما أنا هفهمك!

صرخت أم الديب قائلة بامتعاض:

_ ايهي تفهمي مين يا بت؟ دلوقتي أنه أبوكي، وأخوكي الكبير، ونشوف الحوار دهو، ولما أخوكي الثاني يسافر لنا يبقى يشوف معانا مفيهاش حاجة برضة .

ألقت هايدي بنفسها تحت أقدام أم الديب، وهي تترجاها بنبرة يائسة، وصوتها يعلو بالصياح الممزوج بالدموع، قائلة:

=أبوس ايدك بلاش جلال... كله إلا جلال علشان خاطري يا ماما!

تشبثت أم الديب بشعر هايدي بقوة، وكأنها تقبض على حبل النجاة في بحر هائج، ثم قالت بصوت حاد كالسيف:

_ مالك، ومال الواد ابن ست هانم عايزة منه ايه؟

أجابت هايدي بانتحاب:

=وطي صوتك متخليش الناس تتفرج علينا !

ردت أم الديب بجلبة:

_ وهما لسه شافوا حاجة يا بت؟

تفوهت هايدي بكلمات متقطعة وسط بكاء مرير:

=علشان خاطري يا ماما .

بعد جدال مرير وتذلل استمر لنصف ساعة، ألقت أم الديب ابنتها في الغرفة بعنف شديد، وصكت الباب في وجهها بقوة جعلت الجدران ترتج، ثم اتجهت إلى فراشها لتغرق في نوم عميق، وفي صباح اليوم

أم الديب الجزء الثاني

التالي، استيقظت هايدي من نومها وهي تشعر بألم في المثانة، محصورة المياه، فبدأت تضرب الباب بقوة مفرطة، وكأنها تستجدي الرحمة من أحد ينفذها من محنتها، وقالت بصوت متحشرج من التألم:
=حد يفتحلي أنا مزنوقة!

جاء المعلم حنفي يسرع خطواته نحو الباب، ووجهه يعبس بالتعجب فقال بدهشة:

_مين اللي قفل عليكي يا هايدي؟

لكن إذا علم المعلم حنفي الحقيقة، سترتسم خطوط الصدمة على وجهه، ربما يرتفع حاجباه ببطء، وقد تعلق عيناه بالقلق، ويصاب جسده بالجلطة؛ لأنها كانت تدرك أن تلك الحقيقة قد تؤثر بشكل سلبي على حياته وصحته، فأرادت هايدي أن تبتكر أي كذبة بريئة تساعد في إخفاء الواقع المؤلم عنه، فنطقت بحيرة:

=الباب شكله بايظ .

رد المعلم حنفي:

_طب اصطبري .

دخل المعلم حنفي الغرفة بخطوات ثقيلة، كأنه يحمل عبءًا ثقيلًا على كتفيه، وعلى وجهه امتزج القلق، والترقب. لم يكن بحثه عن المفتاح مجرد تفتيش عادي، بل كان كشفًا عن أسرار غامضة في ركن مظلم من ذاكرته، وبعد لحظات من التأمل، استعاد الأمل، وبدأ في تفتيش كل زاوية في الغرفة، بحثًا عن ماضٍ تائه، حتى وجد المفتاح مختبئًا تحت ركن منسي، فابتسم النصر بتكتم وهو يتحدث:
=ده كان حد قافله عليكي .

ردت هايدي بتفكير متأمل، كأنما تجتاز متاهات فكرها ببطء:

_أه أنا افكرت أصل ساعات بمشي، وأنا نايمة فقولت لماذا تقفل عليا لحد ما أصحي .

رد المعلم حنفي بتعجب:

=أول مرة أعرف .

اتجهت هايدي إلى المرحاض بخطوات متعجلة، وفي الوقت نفسه أخذ قمر الدين والده، ووالدته، وأخته سامية، حيث اتجهوا نحو منزل العروس سارة ليتقدمون إليها. كان مستوى تلك العائلة يعكس المستوى الاجتماعي والمادي لعائلة أم قمر الدين، مما جعل الزيارة مزيجًا من الفرح، والتوافق الذي يملأ الأجواء، وفي الطريق المؤدي إلى منزل العروس، كانت سامية تقود سيارتها ببراعة وثقة، متحاوره في الهاتف مع جميلة بشكل ملهم، حيث تبادلتا الأخبار والتفاصيل بشكل حميم، ومثير للاهتمام، فأجابت جميلة:

_لا يا بنتي حاجي أكيد في الخطوبة...انتي عارفة الأيام دي مشغوله مع سيليا .

كانت سامية تقود السيارة بكفاءة متناهية، حيث تسلقت منحدرات الطريق بثقة، محاكيةً بها رؤية واضحة للطريق أمامها، بينما كانت ترد على جميلة بكلمات مفعمة بالحيوية، كمن ينقل براعة القيادة إلى النصوص الحوارية، معبرة عن تفاؤلها، واستعدادها للحظات القادمة بكل تفاصيلها:

=أنا قولتلك تجيبي خدامة، وببيي سيتر بس انتي ليه مصممة على التعب؟

تأملت جميلة الشاشة بتركيز عارم، وعيناها تتبع كل تفاصيل الفيلم بدقة، كمن يستنشق جمال اللحظة في كل مشهد يمر أمامه، وفيما تتلقف المشاهدة بالإثارة، كانت تتبادل التعليقات والأفكار مع سامية عبر الهاتف، كأنهما تجتمعان بين فرحة اللقاء إزاء ألوان الشاشة الزاهية:

أم الديب الجزء الثاني

_مش حابة أدخل بيتي حد غريب أنا كده مرتاحة أكثر... صحيح لارا سيبتيتها فين؟
تفوهت سامية بلطف:

=سيبتيتها مع طنط هي بتموت فيها بجد، وكل مرة بتتحايل عليا اسيبهاها، وأكد هكون مطمئنة عليها
وهي معاها .

تلفظت جميلة بالحاح:

_سامية أنا لسه مصممة أنا كمان إنك تيجي يوم نسهر سوا .

ردت سامية بابتسامة تنبعث من داخلها كشعاع من الشمس، مشع بالبهجة:

=أكد يا حياتي بس أكون فاضية .

نطقت جميلة بخب:

_منين ما تكوني فاضية هتيجي... وعد؟

ردت سامية ببشاشة تنبعث من وجهها كالوردة الفاتنة في فصل الربيع:

=وعد .

بينما في غرفة هايدي، كانت تجلس على سريرها بملامح متجهمة، وهي تحاول الاتصال بعلاء الدين لمرات عدة، لكنه لم يستجب لمكالماتها. غطى الاحتدام، والإحباط ملامح وجهها، وتجولت أفكارها بين القلق، والتساؤل حول سبب عدم رده، فقالت بصوت ملئ بالاستياء:

_عملي مشكلة كبيرة امبارح، وكمان مش بيرد .

هنا قررت هايدي أن ترسل رسالة إلى علاء الدين، مليئة بالعتاب، ظنت أنها ستجد ترحيباً وتفهماً، وبعد دخولها إلى المحادثة، تفاجأت بأنه قام بحظرها، فأصابها صدمة بنيسة، غطت ملامح وجهها بالخيبة. ثم قالت بصوت حاد، مليئة بالإصرار، متوعدة له بعواقب أن يتحملها لقراره الساذج:

_بتعملي بلوك؟ يوه ماشي، ماشي .

دخلت هايدي المطبخ، وهي تنفث عن غضبها المكنون بأصوات حانقة، حيث ارتطمت خطواتها بالأرض بقوة، مرتبكة في هدير صوتها كالبركان الذي ينفجر من الداخل، ومجرد أن رأتها أم الديب، وقفت في طريقها بقوة، معبرة عن حيرتها، حتى أنها سألتها بصوت حاد، ملأه الشك:

=مالك، ومال علاء الدين يا بت؟

نطقت هايدي بتلجلج، كأنها تحاول تهدئة نفسها، وترتيب أفكارها في ضوضاء صاخبة، مما أعطى لحظة من التفكير فيما تقوله بعد ذلك:

_مفيش حاجة ده أنا قابلته في المدرسة صدفة كان جاي يخلص أوراق فخد رقمي عشان لو في جديد .

ردت أم الديب بصوت حاد:

=مش مصدفاكي .

وفي تلك اللحظة دخل جلال، مصحوباً بزوجته وأولاده، إلى شقة أم الديب، ووقفوا في مدخلها الضيق، بينما تعالت أصوات الأطفال بفرحة لامعة في أعينهم. ثم قال جلال لها، بصوت ينبض بالود:

_هنتعدا عندك النهاردة ياما .

تلفظت أم الديب بصوت حاد:

=أني معنديش حاجة تتعمل.

جلس جلال على الأريكة بتأن، وراحة، وألقى نظرة حوله بابتسامة دافئة، ثم قال بصوت هادئ:

_لا احنا عاملين حسابنا، وجاييين فرخة ونص.

أم الديب الجزء الثاني

انصدمت أم الديب، وكان الأرض اهتزت تحت قدميها، فهي تظن دومًا أن جلال مبعزق للأموال من تحت رأس زوجته، ما جعل الفرع يلتف حول قلبها كظلام ليلة عميقة، وفي هذا السياق المأساوي، خرج صوتها بتعبير عن الصدمة المؤلمة، حيث قالت بصوت مرتفع:

=إيهي ده كثير أوي...ليه كل ده؟

ردت ليالي بسخرية:

_ كل ده إيه؟ ده احنا مكسوفين من نفسنا، ده يارب تكفى .

نطقت أم الديب باستهزاء:

=وانتي اللي زيك بيخنتشي على دمه؟

أجابت ليالي بسخط:

_ مش عيب الكلام ده يا حماتي يطلع من ست كبيرة زيك؟

صاحت أم الديب في وجه ليالي بصوت مرتفع يتسم بالاستياء، كأنها تفرغ كل امتعاضها في تلك

الكلمات، التي ترتد طاقة الغضب في الهواء كالرياح العاتية:

=ست كبيرة إيه يا بت دباح الحمير؟ ده آني لسه بشبابي وردة مفتحة!

ضحكت ليالي، وقالت بسخرية:

_ أه ماهو باين عليكي .

تحدث جلال بصوت حاد، كأن صوته ينطلق كصاعقة في الهواء، يحمل معه رسالة من القوة:

=خشني يا ليالي جهزي الحاجة عقبال ما نعمة تنزلك .

دخلت ليالي المطبخ، وفي يدها أكياس الدجاج، ثم جلست أم الديب على سيف جلال، وقالت له بتعجب،

بينما تتأمل وجهه بعيون متسائلة بالدهشة:

_ هي نعمة نازلة هي الثانية؟

رد جلال، وهو يتهرش أذنه بحركة خفيفة، معبرًا عن تفاعله مع ما قيل:

=أمال إيه؟ ما احنا قولنا نتجمع عندك النهاردة .

استغلت أم الديب الفرصة المتاحة، واستحوذ عليها الطمع، حيث أدركت فجأة أهمية استغلال زوجة ابنها

لمصلحتها الشخصية. وبسعادة خفية تملأ قلبها، نظرت إلى الجلسة بتحسر محسوس، وقالت بترقب:

_ وماله خلي مراتك تنضفلي الشقة بالمرة .

تلفظ جلال بصوت حاد:

=عندك هايدي ياما تنضفها لك...أنا مراتي مش هتعملك حاجة لا مؤاخدة!

وضعت أم الديب يدها بتبختر على خصرها، وأعوجت فمها بسخرية تنم عن غمزة ساخرة تتربص في

زوايا عينيها، وتفوهت باستهزاء:

_ ليه على راسها ريشة ولا فاكرة نفسها بت بارم ديله؟

خرجت هايدي من الغرفة بخطوات هادئة، وقالت بثقة في صوتها:

=علفكره أسمها بارون ديلون مش فاهمة إيه بارم ديله دي؟

صاحت أم الديب في هايدي قائلة بامتعاض:

_ أقعدي انتي يا بت لما نشوف أخوكي، والسنيورة مراته .

خرجت ليالي من المطبخ بعد أن سمعت حديثهم، ووضعت يدها بهدوء على خصرها، وقالت بصوت

مليء بالحدة:

أم الديب الجزء الثاني

=مش كفاية هتاكلي على الجاهز يا حماتي، وكمان مش عاجبك؟
تلفظت أم الديب بعصبية:

_وانتي هتأكليني من جيب أبوكي، ولا ايه يا بت؟ مش كل دهن من فلوس ابني؟
ردت ليالي ببرود شديد، بدون أدنى اهتمام أو انزعاج واضح:

=خلاص ابقى كلي الفراخ نية بدمها .
صرخت أم الديب قائلة بنواح يخترق الأجواء:

_يا خرابي ده البت بترد عليا كلمة بكلمة!

رد جلال بعصبية، حيث تجلى الغضب واضحًا في تعابير وجهه وطريقة كلامه:

=يلا ياما اركني في أي زاوية عاوز أشرب شيشة أعدل مزاجي قبل الغدا .
ضربت أم الديب يدها بقوة على صدرها، وصدحت بصوت مليء بالصدمة:

_يا خرابي!

دخل جلال البلكونة بخطوات ثقيلة، بينما حمود تحدث مع أم الديب بنبرة حادة هو الآخر، قائلاً بصوت مرتفع:

=وسعي يا ستي هروح أشم الدخان بتاع الشيشة .

وطأت أم الديب يدها بقوة على صدرها للمرة الثانية، وصرخت بصوت ينطلق من أعماقها:
_يا مصيبي!

خرج جلال من البلكونة ممسكًا بالنارجيلة، وقال بصوت مليء بالثبات:

=عيب يا ض أنت لسه صغير على الكلام ده !

بعد مرور ساعتين من الموافقة التي حصل عليها عائلة العريس على هذا الزواج، وبعد الاتفاق الذي تم بين العائلتين على تفاصيل حفل الخطبة، وجد باسم، وأم قمر الدين، وسامية، وأفراد عائلة العروس أنفسهم جالسين معًا في البهو، يتبادلون الحديث بينما يستمتعون بالعصائر ويتذوقون قطعة من الكيك. في تلك اللحظة، كان قمر الدين يتحدث بمشاعر عميقة مع جميلة عبر الهاتف في حديقة قصر والد العروس، حيث كانت كلماته تنطلق بحنان، تعكس الفرح المتوقع في المستقبل القريب:

_معلش يا جميلة العزومة اتأجلت، والموضوع جه بسرعة...ده أنا كان نفسي تيجي تنوريني .
تفوهت جميلة بابتهاج:

=معلش يا حبيبي تتعوض في الخطوبة، وهكون أول الحاضرين...قولي بقى اتفقتوا على ايه؟
رد قمر الدين بابتسامة:

_الشبكة بخمسة مليون، ولسه متفقتناش الخطوبة امتى .

تلفظت جميلة بصدمة، حيث خرجت الكلمات من فمها بتعبير واضح عن الدهشة، والإحساس بالذهول العميق:

=خمسة مليون مرة واحدة؟

رد قمر الدين دون أي مقدمات، بكل جرأة، وصراحة عنيفة:

_أه في ايه؟ مش أحسن ما يجيلها بمية ألف؟

شعرت جميلة أن أحاسنها يقصد شيئاً ما في هذا الحديث، فتحوّلت نبرة سعادتها المتواجدة إلى نبرة متوترة، حيث عبرت قائلة بصوت ينطلق بارتياح:

=قصديك ايه يا قمر الدين؟

أم الديب الجزء الثاني

أجاب قمر الدين بإجراج:
_مش قصدي يا جميلة!. أوعي تفهمي غلط!
ردت جميلة بامتعاض:
=ولا قصدك بقي مش فارقة...عمومًا مبروك .
قال قمر الدين بقلق بعد أن شعر باستياء أخته، حيث أعطى إشارة واضحة لاهتمامه بالموقف:
_جميلة انتي زعلتي ولا ايه؟

أنهت جميلة المكالمة الهاتفية، وألقت هاتفها على السرير بعيدًا، ونزلت دموعها حزنًا على نفسها فهي لم تتصور أن أباها يستهزأ بها في يوم من الأيام، ولسوء الحظ عاد أحمد من عمله على بكاء جميلة، وسرعان ما اقترب منها، وسألها متعجبًا:
=مالك يا جميلة ايه اللي حصل؟
صمتت جميلة، والدموع تنصب من عيناها، فواصل أحمد سؤاله مجددًا:
=جميلة ردي!
نظرت جميلة في وجه أحمد، وقالت بصوت مهزوز مختلط بالبكاء:
_ على آخر الزمن قمر الدين بيعايرني بالشبكة المية ألف قصاد شبكة عروسته اللي بخمسة مليون!
رد أحمد بغضب:
=ازاي قمر الدين يقول كلام زي ده؟ هو مكنش عارف ظروفي وقتها؟
ازداد بكاء جميلة، فحاول أحمد عناقها قائلاً:
=جميلة اسمعيني كويس أنا هكتبلك الشقة، والعربية بإسمك، وانتي زي ما تحبي، تببيعهم تخليهم دي حاجة ترجعلك في النهاية، وأنا هحاول على قدر الإمكان اثبتلهم إنك مش أقل من....

بترت جميلة حديثه، وقالت بصوت حاد:
_إني ايه؟مش أقل منهم صح؟ أنا قلبت من نفسي يوم ما أتجوزتك بقيت أستحمل كلام، ونظرات الناس الصعبة اللي بتقولي خلاص انتي مابقتيش مننا .
لم تشعر جميلة بحديثها الشرس الذي كان كالسكين الحاد يغرز في قلب أحمد، فكانت مشاعر الحزن تغمر حديثها بعبثية مؤلمة. سرعان ما وقف أحمد، مدهوشًا وصدمته تعلوه، إدراكًا لما قالت، وبأنه قليل القيمة في عينيها، لا يمتلك مكانة مهمة. كان واضحًا أن زواجه من ابنة الأثرياء كان خطأ، خيبة أمل ضخمة. تسرع في اتخاذ القرار دون تفكير، حيث سيطر القلق على عقله، فكان قلبه يغلب على عقله في تلك اللحظة المؤلمة، فأعلن بصوت حاد:
=جميلة انتي ط....

قبل أن ينطق كلمة الطلاق، تلعثم أحمد، وتوقف عن نطقها حينما ذكر حبه لجميلة، والذكريات الجميلة التي عاشها معها، والأعوام التي قضوها معًا، والابنة التي ستنمو في أسرة مفككة. في تلك اللحظة، كانت جميلة تنظر إليه نظرات مصدومة، تنتظر بقية الجملة التي ستنتهي كل شيء بينهم في لحظة واحدة، ولكنه صمت بحدة، وخرج من المنزل بأكمله، متوجهًا إلى منزل عائلته في القرية. بعد مرور ثلاث ساعات في منزل أم الديب، كانت تجلس على أرضية الصالة أمام التلفزيون، تأكل حبات اللب، وتنفرها من فمها فيتناثر قشرها على الأرض حولها. نظرت نعمة إليها بضيق، وقالت بصوت ينطلق من أعماقها بالتذمر:

أم الديب الجزء الثاني

_ياما حرام عليكى بتبهدي الدنيا حواليكى ليه؟ وفي الآخر تقوليلي نضفي يا نعمة، وأنا خلاص ياما مابقتش قادرة...أنا هلاحق على بيتي ولا عليكى؟

ردت أم الديب، وهي تأكل اللب، بتعبير من اللامبالاة في نبرة صوتها:
=نضفي انتي، ومرات أخوكى انتوا اسم الله عليكموا لسه في العشرينات مش زي ست كبيرة، وغبانة .
ثم تركت حبات اللب من يدها، وانهمرت دموعها بينما قالت بصوت مكسور:
=يا عيني عليكى يا أم الديب، وعلى بختك المايل .

تعجبت نعمة من التحول المفاجئ الذي حدث في لحظة، وقالت بصوت ينطلق بالاستغراب:
_الله ياما هو حد جه ناحيتك؟

خرجت ليالي من المطبخ، وعبرت قائلة بصوت متألق، ومليء بالثقة:
=سيبها انتي أمك بتحب الدراما .
دخل أحمد شقة أم الديب، وعلى وجهه القهر الواضح، لكن فرحت الوالدة برؤيته، وقالت بابتسامة:
_ابهي تعالى يا حبيب أمك .

وبعد أن تمعنت في ملامح وجه ابنها، صرخت قائلة بصوت مليء بالاهتمام:
_مالك يا منيل وشك مخطوف كده ليه؟ وفين جميلة، والبت الصغيرة؟
رد أحمد بألم نفسي منين، حيث تجلت الحسرة في تعابير وجهه، ونبرة صوته:
=أنا كنت هطلق جميلة .

وطأت أم الديب يدها بعنف على صدرها، ووقفت في الحال، ثم صرخت قائلة بصوت مليء بالفرع:
_يا لهوتي يا خرابي...يا وكستي السوداء... يا مصيبتى المهيبة بهباب أسود في ليلة زرقا !
فرحت ليالي بما سمعته في أعماقها، لكنها اختارت أن تظهر حيال الجميع بمظهر الحزن، وقالت بصوت ينطلق بالاستياء المتكرر:

=يا ساتر يارب ليه كده؟

رد جلال بصوت حاد:

_في ايه ياض انت عبيط تخرب بيتك؟

تحدث المعلم حنفي بصياح:

=في ايه؟ انطق!

خرجت هايدي من غرفتها على هذا الخبر التعيس، ورد أحمد بحيرة ملحوظة، كأنه يتردد في كلماته ولا يجد ما يقوله:

_جميلة ندمانة إنها اتجوزتني عشان الفلوس، مش عاجبها المية ألف قصاد شبكة خطيبة أخوها اللي بخمسة مليون، وبتقطم فيا!

تحدثت ليالي، وداخلها تملأ الفرحة، وأرادت إثارة الفتنة بينهم أكثر، فقالت بحماس واضح في صوتها:
=انت لو راجل بحق، وحقيقي تطلقها، أه كله إلا كرامة الإنسان، وهي اسم الله عليها نافشة ريشها عليك .

نهض جلال مكانه، وصاح في وجه زوجته بصوت ينبعث منه القسوة، قائلاً بكلمات تنطلق بحدة:

_اطلعي منها انتي يا ليالي!

صرخت أم الديب قائلة بنواح:

=تطلق مين يابن العبيطة، والبت الصغيرة دهي تروح فين؟

أم الديب الجزء الثاني

جلس أحمد، وقال باضطراب، كأنه يتردد في كلماته ولا يجد الكلمات المناسبة للتعبير:
_ معنديش مشكلة أخذها أربيها .

تحدثت نعمة بحزن ملحوظ، وهي تحاول بكل تأثير أن تطف الأمر:
=استهدى بالله ياخويا شيطان، ودخل ما بينكم، ده انت والله ما تلاقي زي جميلة... هي بس النسوان
ساعات ببطلع منهم كلام مقصدهوش، اسألني أنا !
شعرت هايدي أن كل ما حدث في الحقيقة هي وراء كواليسه، فرأت في أقوال أحمد مجرد أكاذيب ملفقة
لتحجب الحقيقة المكونة. فبينما تكبت في داخلها خبيتها، خرجت أم الديب عن صمتها، وقالت بصوت
ينبعث منه الحنان:

_ احنا منحش خراب البيوت ارجع لبيتك، ومراتك .
تفوهت ليالي بسخرية:
=أه فعلاً يا حماتي مبتحبش خراب البيوت خالص .

تحدث جلال بعقلانية، بينما كان يبدي وضوحاً في أفكاره، وثقة في كلامه:
_ اهدى يا، ده لعلمك ليالي دي كانت واقفالي على الطلاق مرتين قبل كده !
نطقت ليالي بجلبة:

=خيبيك انت بتطلع أسرارنا ليه؟
رد جلال بوضوح:

_ بعرفه يا بت إن كل البيوت كده .
وسط تجمع العائلة، وبينما كانوا يحاولون حل المشكلة، دخلت هايدي الغرفة، وأمست هانفها بين يديها
بكمد محتجز لداخلها. وبينما كانت تنظر إلى الهاتف، خرجت كلماتها بصوت مُتسارع، تعكس تضاعف
الضغط الذي تعيشه داخلياً:

=ماشى يا علاء مش البلوك هو اللي هيفرق بينا... أنا وراك كده لو هتروح فين .
بمباركة القمر، وتوشيح النجوم، دخلت أم الديب برفقة نعمة إلى الغرفة الأخرى، وصدح صوتها كزقزقة
العصافير في ربيعها، فاتصلت بجميلة من عمق المحبة الذي يرنو إلى السماء، قائلة بصوت يملأ الفضاء
بأنغامه النقية، وكلماته الشفافة:

_ ألو يا جميلة عاملة ايه؟
ردت جميلة بنفور:

=ازيك يا طنط؟
نطقت أم الديب بحنان:

_ بقى يصح اللي عملتیه مع جوزك دهو؟ ورجعتيه مكسور خاطر كدهو؟
أجابت جميلة بكلمات متعبة تنبعث منها الاستياء:

=طنط من فضلك!. محدش فيكم حاسس باللي أنا بمر بيه كل يوم .
تفوهت أم الديب بابتسامة:

_ بلاش الكلام الكبير دهو...صالحي جوزك بلاش الشيطان يدخل بينكم، وخلي البت تتربى وسط أبوها،
وأماها .

كان رد جميلة استنكاراً غاضباً:

أم الديب الجزء الثاني

=يا طنط أنا مش أقل من أخواتي!

نفوحت أم الديب بلين:

_ايهي بت الأصول ميطلعش منها الكلام دهو، وانتى واخداه وهو كدهو، متجيش تقويليه ليه، ومش ليه!

تحدثت نعمة بعبارات مفعمة بالعمق:

=هاتي ياما أكلها أنا .

بينما كانت نعمة تمسك بالهاتف، انطلقت من شفيتها الكلمات:

=ألو يا جميلة بصي ياختي أنا مليش في الكلام المزوق ده...انتى لمي الدنيا متخليهاش تكبر، خراب

البيوت مش سهل، ووقت الجد هتندمي !

أدركت جميلة بعمق، وقالت بثبات:

_عندك حق .

نفوحت نعمة بكلمات مليئة بالحكمة:

=ارجعي لعقلك يا مرات أخويا، ومتخليش بنتكم تتربى في وسط المشاكل، واللى معاهوش النهاردة

بكرا يبقى معاه .

هدأت جميلة من حديث أم الديب ونعمة معها، وأدركت فجأة أنها كانت على خطأ، وأن كل ما قالته

لزوجها لم يكن سوى مصدر للمشكلات، فخيّطت الكلمات بحزن مؤلم:

_أنا فعلاً غلطانة...مش عارفة ازاي ده حصل بس كلام قمر الدين كسرنى، وخالنى مش عارفة بقول

ايه!

ردت نعمة بنبرة عميقة تعبّر عن الود:

=مهما يحصل يا جميلة ياختى متكسريش بخاطر جوزك...ربنا يهديكم، ويبعد عنكم المشاكل .

تحدثت جميلة بكلمات مغمورة بالقلق:

_نعمة أرجوكى متعرفيهوش إن أنا جاية...أنا لازم أصلح غلطتى، وكلامى اللى قولته!

ردت نعمة بسعادة:

=بس كده من عينيا، ده انتى هتنورى الدنيا .

نفوحت جميلة بابتسامة:

_منوره بيكى...باي .

تبسمت نعمة وأعربت عن فرحتها:

=مع ألف سلامة .

دخلت أم الديب الغرفة مرة أخرى، وكانت الكلمات تنساب من شفيتها كأنها أنغام من الفضول تنتسلل إلى

الهواء:

_ايه آخر الأخبار يا بت؟

أجابت نعمة:

=هتيجي تصالحه، بس أوعى تعرفيه ياما !

كان رد أم الديب ينبض بالأسى:

_ده شيطان، ودخل مابينهم...يا عينى عليك يابنى كله من عين ليالى .

كأن قول نعمة يتناغم مع حزنها العميق:

=ولياي ايه دخلها بالموضوع؟

أم الديب الجزء الثاني

تلفظ أم الديب بسخط:

_ هو كده يا بت...يلا خلصوا أنا جعانة!

خرجت أم الديب ونعمة من غرفة النوم، حيث دخلت نعمة عند ليالي في المطبخ لإعداد الطعام، واتجهت أم الديب إلى المرحاض بينما كان المعلم حنفي يوصي أحمد بتوجيهات دقيقة، مسترسلة عن مسار عاطفي في حياته:

=احنا منحش خراب البيوت...حافظ على بيتك!

أجاب أحمد بجوى:

_ أنا محافظ عليه يا بابا بس جميلة كل اللي يهملها إنها متبقاش أقل من أخواتها!

اصطدمت يد المعلم حنفي على ساق أحمد، وانبعثت ضحكته كأنها نسيم منعش يمتلأ بالمرح، قائلاً بصوت يتراقص في الهواء:

=ياض هتبقوا زي السمنة على العسل...انت أدخل غير ده نعمة، وليالي هيعملولنا حنة أكلة إنما ايه!

ضحك أحمد بصوت خافت مليء الحيوية، ثم دخل الغرفة بخطوات واثقة، بينما كانت ليالي تجلس بالمطبخ معقدة، ومتمنية طلاقهم، وكانت تعبر عن استياءها بنبرة حادة تتخللها الغضب المكبوت:

_ ما كان طلقها، وريح نفسه ده ايه ياختي الهم ده؟

ردت نعمة، وهي تقطع الطماطم بحرفية فائقة، وانبعثت منها كلمات بسيطة كنغمة موسيقية تندفق بين حبات الطماطم تعكس رونق الحياة اليومية:

=حرام عليك يا ليالي، والبت الصغيرة تروح لمين؟

قالت ليالي ببغضاء، وصوتها يرتجف مثل أوراق الشجر في الرياح العاتية:

_ تروح بيت جدها ده اسم الله عليهم عندهم قلل، وعربيات، وفلوس زي الهم على القلب...محسساني إنهم هيغلوا يعني!

ردت نعمة بعقلانية:

=يا ليالي مش علي الفلوس أصل الواحد مننا برضة نفسيته بتتعب لما أبوه، وأمه بيتشاكلوا طول الوقت .

تفوهت ليالي بضيق:

_ ياختي ايه الكلام الكبير ده؟ أنا مرارتي مش مستحيلة !

بعد مرور ساعتين ونصف انتهت نعمة وليالي من تحضير الطعام بدقة، واهتمام، وجلست العائلة سويًا حول الطاولة الريفية المزينة بأطباق الطعام الملونة، وفجأة، انقطع الهدوء برنين هاتف هايدي الذي كان

يرن بحثًا عن انتباه الجميع، فتعجب جلال، وقال بصوت يعبق بالفضول:

=مين اللي بيتصل ده يا بت؟

أجابت هايدي بتوتر:

_ عادي يا جلال دي واحدة صاحبتني .

رد جلال بعصبية:

=ما تردي عليها ياما تشيلي المخروب ده بدل ما أكسره !

وقف أحمد، وقال بصوت مليء بالتأمل والجدية، كأنه ينطق بأفكاره العميقة، وتوقعاته المستقبلية بشكل واضح:

أم الديب الجزء الثاني

_تعالى معايا يا هايدي عايزك !

تحدث المعلم حنفي بدهشة:

=ياض، وده وقته؟ أقعدوا كملوا أكلكم !

رد أحمد بامتعاض ملحوظ:

_معلش دقيقة بس .

دخل أحمد مع هايدي إلى الغرفة، وأمسك هاتفها بحركة حازمة، وتأكد من كون رقمه رقم علاء الدين،

ثم انفجر بكمد، كأنه يتنفس نيران الاحتدام ويتناغم معها في تعبيره، وهو يقول بنبرة حادة:

_ردي!

تلفظت هايدي باضطراب:

=هفهمك والله أنا من ساعتها، وقولتله الموضوع انتهى مش عارفة هو ليه مصمم يكلمني .

تحدث أحمد بصوت حاد:

_ردي يا هايدي!

ردت هايدي بخوف مرئي على وجهها، كأنما تتبعث من عينيها الدموع وينطلق صوتها بقلق جسيم:

=حاضر .

استجابت هايدي للمكالمة الهاتفية، وفي صوتها الخافت ترتسم الحيرة، والتوتر:

=هو أنا مش قولتلك متكلمنيش تاني؟

رد علاء الدين باشتياق:

_الصراحه وحشتيني يا هايدي قولت لازم أكلك أتطمئن عليكى .

نفوحت هايدي بتوتر:

=أنا مضطرة أقل أصل ورايا شغل .

ضحك علاء الدين، وقال بدهشة:

_ليه يا مزة؟ ده أنا متصل مخصوص أكلك !

دخل جلال الغرفة، وعبير الدهشة يتعانق مع ملامح وجهه، كمن يتأمل مشهدًا غير متوقعًا:

=هو في ايه؟

في تلك اللحظة العصبية، مثلت هايدي بسرعة وهي تعدل حجابها في كاميرا الهاتف، حيث انعكست

على محياها تعابير الفزع. صدح صوتها بانعكاساته، وقالت بلهجة ناعمة تدخل في دوامة التلعثم:

_بعدل الطرحة... هو في حاجة يا جلال؟

رد جلال بشك:

=غريبة يعني دخلتوا هو في أسرار ما بينكم ولا ايه؟

نطقت هايدي بخشية:

_لا خالص .

الحقيقة أن جلال لم يقتنع بحديث هايدي، فكان ينظر إليها بنظرات شك، وتساؤل. وبعد عودة أحمد إلى

الطاوله وجلسهم معًا، كانت أم الديب تتناول الطعام بينما الأجواء تكاد تكون متوترة، حيث كانت

التساؤلات تلوح في أذهانهم حول ما إذا كان هناك شيء قد حدث بينهم، فقالت الوالدة بفضول:

=في حاجة، ولا ايه يا ولا؟

أم الديب الجزء الثاني

أجاب أحمد:

_ لا يا ماما مفيش حاجة .

ردت أم الديب، وهي تجلس على طاولة مستديرة مغطاة بفوطة متدنسة بالأوساخ، وأمامها طبقٌ منسوج بعناية، وكوبٌ من الشاي الساخن يتصاعد منه بخاره العطر، مستمتعة بكل لقمة تدخل فمها، وعينيها تتلألأ بسعادة مرتبطة بلحظات السكينة:

=طب كمل أكلك انت، وأخوك .

ثم نظرت حولها بابتسامة خفيفة تعكس تفاعلها مع الجو المحيط، وأردفت بصوتٍ ينبض بالحياة:
=أمال هايدي فين؟

خرجت هايدي من الغرفة، وقالت بتلجلج:

_ كنت بعدل الطرحة يا ماما .

وجلست على الأرض، وأردفت بابتسامة تنطلق كشعاع من القمر:

_ تسلم ايدك يا ليالي انتي، ونعمة .

ردت ليالي بابتسامة تتم عن رضاها التام، وهي تتناول الأرز بخوضها في كل حبة كأنها تكشف عن أسرار عميقة، تمزج بين طعم الطعام، والسعادة الداخلية:

=على ايه؟ دي حاجة بسيطة .

تحدثت نعمة، وهي تتناول قطعة البطاطا بالصلصة، بتعابير وجهها تنم عن إعجابها بالنكهة الغنية، والمذاق المثالي:

_ لازم تتعلمي عشان لما تتجوزي تعرفي تسدي في بيتك .

أجابت هايدي، وهي تتناول الطعام بتمهل، حيث اندمجت كلماتها مع مذاق كل لقمة:

=لا مبفكرش في الجواز ده خالص .

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ هتفضلي قاعدة على قلبنا لحد امتي؟

تفوهت هايدي بسخط:

=وأنا مزعلاكي في ايه بس يا ماما؟

بعد مرور خمس دقائق من الزمن، وبينما كانت الدقائق تتدرج ببطء في زمنها المحسوس، صعدت جميلة برفقة سيليا إلى الشقة المعتادة، حيث باتت اللحظات تتسم بالانتظار الملحوظ، وكأن الزمن يجري بسرعة ليعبر عن التوتر الذي انعكس على وجوههما المتلهفة، وفي هذا السياق رغم ما عصف بخوفها المتزايد، تمكنت بشجاعة لا تلين من التغلب على تلك المشاعر السلبية، وابتسامة طافحة بالإيجابية قالت لهم:

_ ازيكم عاملين ايه؟

انصدم أحمد بمجرد أن رآها تظهر أمامه، حيث تجمد للحظات في مكانه، ترقباً لما سيحدث بعد ذلك، وكأن الوقت توقف عن الجري لحظة ليستكشف هذا التغيير المفاجئ في حياته. بينما أم الديب، التي كانت تتفاجأ بظهورها وقفت في مكانها متألمة فيها بكل سعادة تخيم على محياها، وقالت:

=حماتك بتحبك...تعالى كُلي معنا !

تحدث المعلم حنفي بابتسامة:

_ خشي يا جميلة يا بتي..تعالى يا سوليا أدخلي .

أم الديب الجزء الثاني

جريت سيليا بخطواتٍ خفيفة نحو جدها، وعانقته بقوة معبرة عن مشاعرهما العميقة، وبينما كانت تضمه بحنان، قالت بصوتٍ ينطلق كنغمة موسيقية من القلب:

=ازيك يا جدو؟ وحشتني أوي!

بادلها المعلم حنفي نفس العناق، وقال بسعادة غامرة:

_وانتي كمان يا سوليا يا حبيبة قلب جدك .

نظرت جميلة بعينين مليئتين بالحنان، والشوق إلى أحمد، وفي لحظة من الإحراج الممتزج بالترقب، أطلقت كلماتها بخجل:

=انا جاية أعتذر عن اللي حصل...يجد أنا غلطانة جدًا .

تحدث المعلم حنفي بصوت حاد مع أحمد قائلاً بحزم:

_قوم يا ض سلم على مراتك، وبتك .

نهض أحمد في لحظة مليئة بالمشاعر، وعانق ابنته الصغيرة سيليا بحنان يعبر عن الغياب، والشوق الطويلين، وقَبَل جبينها برقة تتم عن الحنان الأبوي العميق. وفي تلك اللحظة الممزوجة بالمحبة، ألقت سيليا بكلماتها بشغف:

=بابي انت روحت فين؟ أنا بدور عليك!

ابتسم أحمد بلطف، ولكنه لم يستطع إيجاد الرد المناسب الذي يُرضي عقل طفلته البريئة. وفي هذه

اللحظة الصعبة، قالت أم الديب بصوت حاد ينطلق كبرق في السماء:

_مراتك جاتلك لحد عندك يا منيل متكبرش الدنيا، وخلينا نطفح اللقمة بنفس.

ثم نظرت لجميلة، وقالت بسعادة:

_اقعدي يا جميلة كُلّي!

تحدثت ليالي بنبرة ساخرة:

=يا أهلاً، وسهلاً .

اقتربت جميلة من زوجها بخطواتٍ هادئة، وألقت بنظرةٍ مليئةٍ بالحب، وانطلقت بكلماتها برقة تعبيراً عن مشاعرهما العميقة:

_ممكن ترجع البيت معانا؟

نظر أحمد لجميلة بتردد، وبعد ذلك أعاد النظر إلى والده، حيث اهتزت رأس المعلم حنفي بمعنى "اذهب

معها". بفعل ذلك، عاد أحمد إلى المنزل مع زوجته وابنته، في حين انشغلت نعمة وليالي بتنظيف

الأواني في المطبخ، ودخلت هايدي الغرفة بغرض صنع مظهر جديد لنفسها، معتمدة على ثقتها الكاملة

بأنها ستنال إعجابه هذه المرة. وبينما ظلت أم الديب تلاحظ تأخر ابنتها داخل الغرفة، قررت أن تطرق

الباب وتقول بصوت متسم بالمراقبة:

=بتعملي ايه جوا يا بت؟

أجابت هايدي، وهي تتلعثم في حديثها:

_بغير هدومي يا ماما .

ردت أم الديب بدهشة:

=ايهي بتغيريها ليه يا بت؟

نطقت هايدي بعصبية:

_هو ايه اللي بتغيريها ليه؟

أم الديب الجزء الثاني

طرقت أم الديب الباب بقسوة، وقالت بصوت حاد:

=افتحي الباب ألا اكسره على نفوذك، ولا تحبي أقول لجلال أخوكي على حوار ابن ست هانم؟
خرجت هايدي من الغرفة في حالة من الذعر، وصرخت بصوت مرتفع ينطلق كصاعقة:

_ لا... أوعي تتكلمي قصاد جلال في حاجة أنا مش ناقصة!

ردت أم الديب بعجيج:

=جاتكم ستين داهية أنا كان مالي، ومال الجواز؟ مش كان زماني قاعدة مع أمي، ولا كنت اتجوزت
الراجل الفقري ده، ولا جييت أربع عيال هيشلونني؟ الكبير، وبيجي على أمه، وبيحرض مراته العقربة
عليها، والصغير مبيسألش في أمه إلا كل كام شهر مرة، ولا هانم عليه يقول لأمه تيجي تقعد عنده
أسبوعين تلاتة، والبت الكبيرة مبتساعدش أمها، ولا بتنزل تخدمني، والصغيرة عمالة تكلملي الشباب
وحاطه راسي في الطين... يا مصيبيتي المنيلة .

ثم لطمت وجهها بقوة، وزاد صراخها حدة:

=راسك بقيت في الطين يا أم الديب، يا خرابي العدوين هيشمتوا فيا... يا لهوتي!

دخل المعلم حنفي الشقة بعدما سمع نواح أم الديب العالي الذي كاد يصدع طبله أذنيه، لكنه على وجهه
ابتسامة عريضة تعكس مدى سعادته، فقال بصوت مرتفع يعبر عن فرحته بتعاستها:

_ في ايه يا ولية؟ مين اللي مات؟ أمك صح؟ اللهم لك الحمد، والشكر .

ردت أم الديب بإعوال:

=مالك، ومال أمي؟ بعد الشر عليها... دي بركتنا .

نطقت هايدي بسخرية:

_ متقلتش يا بابا... الأسطوانة الدرامية اشتغلت مش أكثر .

ردت أم الديب بصياحٍ مدوّ، كأنه صخب البحر في ليلة عاصفة، يتردد في أروقة الشقة ويتدحرج بين
الجدران المتسعة، كموجٍ من الاحتدام الذي لم يجد متنفساً:

=انتي بتتريقي عليا يا بت؟ بتتريقي على أمك بعد ماكبرتك؟

ردت هايدي بفزع:

_ لا وهو أنا أقدر؟ يلا أنا هانام، تصبخوا على خير .

دخلت هايدي غرفتها بخطوات سريعة تعكس انزعاجها، وأوصدت الباب بسرعة كأنها تحاول إبعاد عالم
الضجيج عنها. حينما تشبث المعلم حنفي بأم الديب، طغى صوته الحاد كصخب البرق يفجر السكون،
كان يحاول إيقافها عن النواح:

=خشني يا ولية اتخمني خلينا نرتاح من زك... انتي يا ولية كان نفسك تبقي ممثلة؟

تفوهت أم الديب بضجيج:

_ جاك خشونة في مفاصلك يا بعيد يابن البعداه !

رد المعلم حنفي بصياح:

=احترمي نفسك يا ولية، وإلا هتباتي في حجر أمك النهاردة!

نطقت أم الديب بجلبة قوية كصدى لرعدة البرق في السماء، تملأ الصالة بكلمات حادة تكاد تقطع
الهواء:

_ امي ضوفرها برقبة عيلتك يا راجل يا عرة .

أم الديب الجزء الثاني

خرجت نعمة وليالي من المطبخ على صياحهم، فانبعثت صدمة واضحة على وجه المعلم حنفي، كأنه تعرض لصاعقة غير متوقعة في هدوء اللحظة، فأعرب عن دهشته بعجيج حار:
=راجل عرة؟ قسمًا عظمًا لأوديكي عند أمك دلوقتي حالًا....يلا قدامي !

وأزاحها أمامه نحو باب الشقة بعنف، فردت أم الديب بصياح هائل، كأنه صدى الرعد في أفق السماء:
_متزقش يالي تتزق عليك عربية نقل تجيب أجلك، وأجل عيلتك!
كانت هايدي في الداخل تعاني من صدى نزاعهم الذي ملأ القرية بأكملها، فشعرت بالضيق وعدم القدرة على النوم، فنفتت هواءً من غضبها كأنها تحاول تهدئة عواصف البحر المتلاطمة، وقالت بصوت ينم عن تعبها من الوضع الذي وصلوا إليه:

=أوف ياربي، ده لو متخانقوش، وفرجوا الدنيا علينا مبيقوش أهلي!
بينما في منزل أحمد، بعد أن وصلوا إلى دارهم، عانقت جميلة ابنتها بحضن دافئ، وملىء بالحب.
تملكتها مشاعر الأمومة الفياضة، فانحنت قليلًا لتقبل طفلتها الصغيرة، وكأنها تحاول أن تنقل إليها دفء الأمان. ثم رفعت رأسها برفق وهمست لها بنبرة حنونة مليئة بالعاطفة، وكأنها تغني لحن الأمان:
_أدخلي يا سيليا غيري هدومك، ونامي .
قفلت سيليا خد والدتها بقبلة رقيقة كنسمة صباح عذبة، ثم رفعت عينيها اللامعتين بابتسامة مشرقة كأشعة الشمس في يوم صيفي جميل، وقالت بنبرة طفولية عذبة:
=حاضر يا مامي..تصبحي على خير .
ردت جميلة بابتسامة:

_وانتي من أهله يا روجي .

دخلت سيليا غرفتها، وأغلقت الباب بلطف استعدادًا للنوم، حيث استسلمت أخيرًا لدفء فراشها وأحلامها الوردية. في تلك الأثناء، خطت جميلة بخطوات متثاقلة نحو غرفة النوم، وأوصدت الباب خلفها بهدوء يشوبه ثقل الأيام، ووضعت حقيبتها على الطاولة كأنما تودع حملًا ثقيلًا، ووقفت أمام زوجها وعينيها تفيض بالندم، والتردد، وكأنما كلماتها تحترق على شفثيها، وقالت بصوت يخنقه الحزن:
=سوري أنا عارفة إن كلامي كان صعب...كلام قمر الدين ليا كان كله كلام جارح وأنا...أنا معرفش قولت كل الكلام ده ليه...يجد سوري مش هتكرر تاني!
رد أحمد باستياء:

_أنا رجعت البيت عشان سيليا متحسش بغياي ويكون ناقصها أي حاجة، وأنا بعيد عنها لكن كل حاجة زي ماهي، وكل واحد من النهاردة ينام على الجنب اللي يريحه !
تلفظت جميلة بندم:

=سوري أنا فعلاً زودتها كثير، ورد فعلي كان غير متوقع بس سيليا مينفعش تتربى في أسرة مفككه .

رد أحمد بتعجب:

_وكان فين ده وقت ما قولتي كلامك؟

أجابت جميلة بإحراج:

أم الديب الجزء الثاني

=الشيطان حقيقي وحش، وبيخلي الانسان يعمل تصرفات هو نفسه هيستغربها بعدين...بس كل اللي أعرفه إن مش الخمسة مليون هما اللي هيعيشوني في حياة سعيدة إنما اللي هيعيشني في حياة سعيدة فعلاً إنك تفضل موجود دايماً جنبنا دي أهم حاجة بالنسبالي!

بعد أن وصل المعلم حنفي بزوجته إلى منزل والدتها، وهو يدفعها أمامه بقسوة، استجمعت أم الديب قواها المبعثرة وصرخت في وجهه بسخط مستعر، عيناها تقدحان شرّاً، وقالت بصوت هزّ أركان المكان:

_وسع يا راجل انت!

صرخت خواطر قائلة بامتعاض:

=مالك يا طور ساحب بتي بسمة وراك كدهو ليه، ولا كأنك ساحب جاموسة وراك في قلب الغيظ؟ صاح المعلم حنفي فيها بصوت جهوري يمزق الصمت، وكأنه زئير أسد غاضب، وقال بموجدة لا تعرف الرحمة:

_خلي بتك جنبك تحرسك... بتك متلزمينش، ولية لسانها زفر، وغلاطة، ومن ساعة ماتجوزتها، وهي بتطلع سم من بوقها أكثر ما بتستحمي .

اقتربت خواطر من المعلم حنفي بخطوات واثقة تملؤها الشجاعة، وأزاحت من أمامها بقوة لا تعرف الخوف، عيناها تلمعان بتصميم لا يلين، ثم صرخت به بصوت ملؤه التحدي:

=اطلع برا جاك الهم... بتي بسمة متلاقيش ضوفرها .

عاونت أم الديب والدتها في طرد المعلم حنفي من المنزل، وكأنما تستعيد كرامتها المهذورة، وهي تصيح به بصوت يتدفق منه الكراهية، عيناها تفوحان شرّاً:

_اطلع برا بدل ما أفتحك نفوذك!

بعد أن طردوا المعلم حنفي من المنزل وذكوا الباب في وجهه بشراسة، وكأنما يلقون بكل عداوتهم، وإهانتهم في ضربة واحدة، ظلوا يواصلون سبه بأعظم المسبات، وكانت كلماتهم كالسيات تجلد كيرياه. اشتعل المعلم حنفي ناراً من الغيظ، ووجهه يتلون بحمرة الغضب، فقال بصياح يشعل الأجواء حوله: =مانتي هتطلعي عدلة لمين، وانتي أمك العجوزة ذات نفسها لسانها أطول منها يا عيلة أبط...اتفوه على دي جوازة، كانت جوازة الهم .

عاد المعلم حنفي إلى منزله، وفي اليوم التالي، ذهبت هايدي لمراقبة علاء الدين كعادتها، فوجدته هذه المرة يقف مع فتاة جذابة من نفس مستواه الاجتماعي، والمادي، وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامات عريضة، وضحكات متبادلة، وكأنهما يسترجعان ذكريات قديمة، مما أوضح لهايدي أنهما على معرفة سابقة منذ سنوات. وعندما رأت هذا المشهد، شعرت بدمائها تغلي في رأسها كالبركان الثائر، فلم تتردد لحظة في التوجه نحوهما، وهي تتنسم ابتسامة خبيثة تحمل في طياتها الكثير من المعاني، ثم قالت بصوت يحمل بين طياته مزيجاً من السخرية، والتحدي:

_ايه ده مش معقول ايه الصدفة دي؟

تفاجأ علاء الدين برؤية هايدي، وظهرت الدهشة واضحة على وجهه، فقال بصوت متعجب يعكس استغرابه العميق:

=ايه ده هايدي؟ انتي هنا بتعملي ايه؟

ردت هايدي بابتسامة:

أم الديب الجزء الثاني

_كنت في مشوار قريب من هنا .
ثم نظرت هايدي لتلك الفتاة، ورفعت حاجبها بتعبير من التساؤل، والاستفهام، ثم واصلت بخبث ممزوج
بالتحدي:
_مش هتعرفنا ولا ايه؟

رد علاء الدين بابتسامة خفيفة، وهو يشير بيد متجهة نحو صديقتة:
=دي رودي ماي بيست فريند، بس مقولكيش خطيرة !

التهبت نيران غيرة هايدي، واندلعت كلماتها بسخط مشتعل:
_خطيرة ازاي يعني؟

تحدثت رودي بصوت مُدلل، ووضعت يدها بلطف على كتفه:
=مين دي يا علاء؟

رد علاء الدين بابتسامة:
_دي هايدي أخت جوز جميلة أختي .

نطقت رودي بنبرة مُدللة، وهي تلقي نظرة من الاشمئزاز نحو هايدي:
=معقول تعرف الأشكال دي؟

خرجت هايدي عن شعورها، وقالت بانفعال:
_أشكال؟ أشكال ايه يا ماما؟ ماتبصي على نفسك الأول، وشوفي عاملة ازاي!

ضحكت رودي، وقالت بسخرية:
=أوه دي شبر ونص يا علاء..ولا حاسة الشبر ونص زيادة شوية !

ضحك علاء الدين وأدلى بتعليقه قائلاً:
_بلاش تنمر يا روري!

ردت هايدي باحتدام عارم:
=روري؟ تمام يا علاء الدين .

غادرت هايدي المكان، وهي تتوعد بسخط ملتهب، وصرخت قائلة بصوت ينبض بالتحدي:
=هنشوف مين اللي هيضحك في الآخر!
يتبع....

الفصل الثامن

غادرت هايدي المكان، مترنحة بين غيرة تتسلل إلى قلبها من سخرية علاء الدين وصديقه، وبعد عودتها للمنزل، غمرتها حماقة حديثة للبحث عن الملهى الليلي في أرجاء الإنترنت، وأجرت تقديمًا لطلب توظيفها هناك. ولم يمر يومان حتى أتتها أنباء بقبول طلبها، فاخترعت مبرر كاذب، ثم أتت بحجة واهية حينما كانت في زيارة لجدتها خواطر بالمنزل، حيث كذبت بأنها ستشارك في رحلة مدرسية إلى شرم الشيخ. وعندما فهمت أم الديب بأن هايدي ستغادر، هتفت بصوت ملؤه الاعتراض:

_ انسي يا بت إن دهو يحصل معندناش بنات تبات برا!

ردت هايدي بالحاح:

=يا ماما صدقيني احنا هنكون تحت إشراف المدرسة، ومعانا مدرسين، والمدير، والأخصائي يعني متقلقيش من حاجة!

نطقت أم الديب بكلمات تحمل في طياتها رفضًا قاطعًا، كأنها صدى لتمثيل حياة بلا تمويهات:
_ وأخوكي جلال لما يعرف يقولي سايبه بتك ماشية على حل شعرها، ونقوم ماسكين في بعض، والناس تنفرج علينا؟

خرجت خواطر من ممر الاستحمام بخطوات متأنية، وكأنها ترتدي ثوب الحكمة وتعبث بأشعة الضوء المتسللة من النافذة، وقالت لها بصوت يحمل لون التحذير العميق:

=هتخلي الخلق تاكل وشنا، ووش أمك .

ردت هايدي بانزعاج:

_ اطلعي منها انتي يا تينة !

وأردفت لأم الديب بإصرار:

_ يا ماما هما ثلاث أيام، وليكي حق تخافي لو أنا رايحة لواحدي إنما بقولك معانا المدير، والمدرسين يعني محدش هيجصله أي حاجة، وأوعدك هبقى أجيبك حاجة حلوة معايا، وأنا جاية !

جلست خواطر على الأريكة الريفية، حيث تناغمت راحتها مع ألوان الأقمشة التراثية، والرائحة الزكية للزهرة المُرْتَبَة بعناية. وفي لحظة من السكينة، اخترقت صيحات أم الديب المكثفة كل زاوية من المنزل، وكأنها عاصفة تهبط بلا هوادة:

=حاجة حلوة ايه ياللي تتشكي في جنابك هو انتي فاكرانا يا بت زي ست هانم وبناتها؟ احنا فلاحين، والكلام دهو ميصحش عندنا، والبت من هنا هو متخرجش من بيت أبوها إلا على بيت جوزها عدل! أجابت هايدي بانفعال:

_ هو أنا رايحة أباب عند صاحبتني؟ أنا بقولك إنها رحلة مدرسية!

ثم هدأت نبرة صوتها، وأردفت ببساطة تضمنت وعيًا عميقًا:

_ يا ماما اسمعي كلامي، وشوفي انتي عايزة ايه، وهجيبهولك معايا .

نظرت أم الديب لها بتردد، وكأن عينيها تتساءل عن كلماتها المقبلة، ثم صمتت للحظات قليلة تنقل فيها أفكارها كالسحب الهادئة، وأخيرًا، انطلقت بكلمات مشروطة من شفيتها:

=تروحي بس بشرط تجيبيلي معاكي عبايتين، وطرحتين، وشنطة!

ردت هايدي بدهشة:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنا رايحة رحلة مدرسية مش طالعة أعمل عمره !
تحدثت خواطر بلغة الطمع، كأنها تستشعر رغبات مكبوتة، وكلماتها تنبض بشغف يخترق الهواء المترنم بالسكون:

=تجيبني لسنتك عكاز يسندها، واتنين كيلو كنانة بالقشطة .
نفوهت هايدي بذهول:

_ هو انتوا جايين تحققوا أحلامكم على قفايا؟
ردت أم الديب بصوت حاد:

=ياما عملي كدهو ياما مفيش مرواح!
قالت هايدي، وكانت تغلبها حالة من الاستسلام، كأنها تحمل عبءًا ثقیلاً من التحكيمات الجبارة:
_ خلاص حاضر...أمري لله .

في اليوم التالي، انطلقت هايدي في تجهيز حقيبتها بكل دقة، حملتها خلف ظهرها كأنها تحمل وزرًا من القرارات السرية، واتجهت نحو الملهى الليلي بخطوات مترددة، تنطبق عيناها بالبحث الحذر عن أي علامة تكشف سرّها المدفون، مرتعشة من خوفٍ لاذع من كشف الغطاء. هناك، وجدت نفسها أمام العامل الذي كان بانتظارها، وبينما كانت تتأمل الخطوات المقبلة، لامست كلماته المتوجّهة إليها بنبرة لطيفة:

=هايدي؟

ردت هايدي بقلق ملموس، حيث علت عيناها بحذر متزايد، كأنها تتفحص كل زاوية من حولها بدقة شديدة، متخوفة من أن يكتشف أحد خطتها السرية:
_ أيوه أنا اللي كنت مقدمه على شغل، واتقبلت .

تحدث العامل بحزم، كأنه يسلط الضوء على الواقع بعيون تتجاوز الظلال إلى الجوانب الحساسة:
=تعالى أوريكي أوضتك .

ذهبت هايدي برفقة العامل إلى غرفتها، وطوال الطريق الطويل في تلك الطريقة المظلمة، كانت تعصف بخيالها مخاوف لا تنتهي، تخشى في كل لحظة أن يخونها أو يفضح سرّها المدفون. وبمجرد وصولهم، كان العامل ينتظر، وخرجت كلماته من بين شفثيه بثقة تامة، وكأنها تعلن عن بداية رحلة جديدة لكلاهما:
_ هي دي أوضتك، واجهزي علشان فاضل ساعة، ونبدأ شغل .
ردت هايدي بتوتر:

=حاضر .

غادر العامل الغرفة، فبدأت هايدي بالتجوّل في الفضاء الخاص بها، مُعجبةً بكل زاوية تمسك عيناها بها، وكانت أمنيتها السرية أن تجعل غرفتها يومًا ما تتألق بالمثل. ثم انغمست في عملية وضع المكياج بأسلوبٍ جديدٍ، ومثيرٍ، وأرتدت ملابسًا جريئةً، وجذابة، ووضعت شعرًا اصطناعيًا بلون أصفر. وفي النهاية، نظرت إلى نفسها في المرآة وهي تعبر عن إعجابها العميق بالتغيّرات التي طرأت على ملامحها، وإطلالتها، مُستبشرةً بالتحول الجديد الذي حقّفته، فقالت بذهول:

=مش معقول دي أنا؟ ده أنا هعجبه أوي...المهم ميعرفنيش، ولا حتى يحس إن اللي قدامه دي هايدي .
خرجت هايدي ووقفت إزاء الصالة الكحولية، وبدأت تجهز المشروبات بحرفية فائقة، وفي ذلك الوقت، اقترب شابٌ منها بخطوات ثابتة، وطلب منها بصوت ينبض بالغموض:

_ اديني واحد موخيتو ليمون .

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي:

=أوكي .

أثناء عملها كبارتندر، كانت عينا هايدي تلتف حولها في الصالة الكحولية، تنتظر بفارغ الصبر ظهور علاء الدين، إذ كانت تعلم جيدًا أنه يسهر كل ليلة في هذا المكان. لم تجد سوى هذه المهنة التي تليق بها في هذه البيئة الخاصة، حيث كانت تحتاج إلى أن يبقى علاء الدين تحت رقابتها دون أن يلاحظها، وفي منزل أحمد، بعد أن ظهرت المشكلة الأخيرة بين جميلة، وزوجها، حيث شعرت بالندم على كلماتها التي تأكدت على أنها لا تحمل أي أهمية، والتي أدت فقط إلى نشوب نقاش حاد. دخلت جميلة الغرفة، مترددة في التحدث، حتى جلست قبال زوجها على السرير، وقالت باستياء عميق:

_هنفضل لحد امتى كل واحد بينام في أوضة لواحد؟انت من ساعة مارجعت معانا، وطول اليوم برا، ولما بترجع بتنام في الأوضة الثانية حتى مبتلحقش تفعد معانا !
رد أحمد بابتسامة بائسة:

=معلش يا جميلة، اديني شوية وقت .

نطقت جميلة بفهم:

_أوكي أنا هسيبك على راحتك بس متاخدش على كده أنا وسيليا بجد محتاجينك... احنا ملناش غيرك!
دخلت سيليا الغرفة بخطوات هادئة، وعانقت والدها بحنان يتسم بالدفء، وفي لحظة التلاقي، تحدثت بلهجة مليئة باللهفة، كأنما ترسم قصيدة معبرة عن عمق مشاعرها:
=بابي اجهز خالتو جايه .

رد أحمد باستغراب:

_خالتو مين فيهم؟

أجابت سيليا بسعادة:

=خالتو سامية جاية، وهتجيب لارا معاها !

ردت جميلة بابتسامة واسعة، وهي تمرر أصابعها يرفق في شعر ابنتها، كأنها تلمس خيوطًا من الذهب تنبثق من رأسها الصغير، وفي هذه اللحظة العذبة، تنعكس على وجهها لمسات الحنان:
_سيليا بتحب لارا أوي .

نطق أحمد بتعجب:

=محدث اتكلم يعني !

ردت جميلة بتردد، كأنما تتأمل في أفكار متناقضة تتشابك في عقلها:

_كنت لسه هقولك إن سامية هتيجي تسهر معانا .

تحدث أحمد بابتسامة:

=طيب روحوا اجهزوا زمانها قربت، وأنا هجهز .

وقفت جميلة، وعلى شفيتها ابتسامة تنبض بالود، والدفء، كمنبع ينشر السعادة حولهم، وفي هذه اللحظة الهادئة، قالت:

_أوكي .

ونظرت لابنتها، وأردفت بلطف:

_يلا يا سيليا .

أم الديب الجزء الثاني

خرجت جميلة برفقة ابنتها إلى حجرة الملابس، حيث انغمستا في عالم الألوان والأقمشة، يتلأأ خياراتهما مثل الأحلام المتحققة. وفي منزل جلال، دخل شقة والديه فلم يجد أم الديب، بل وجد المعلم حنفي يجلس على الأريكة، فابتسم والده بفرح عند رؤيته، كمن يستقبل صديقاً عزيزاً يعبر عتبة منزله، وعبر عن سعادته في هذا السياق:
=تعالى يا جلال .

رد جلال، وهو ينظر حوله بتعجب:

_مفيش حد ولا ايه؟

أجاب المعلم حنفي بابتسامة عريضة تملأ الغرفة، كمنبع من الضوء ينبعث من وجهه، معبراً عن سعادته بغياب زوجته العنيدة:

=أمك غورتها عند ستك أهو خيلنا نتفك منها يومين حتى البال يروق .

جلس جلال على سيف والده، وقال بدهشة:

_ليه بابا حصل ايه تاني؟

رد المعلم حنفي بعتاب، كأنما تتمايل كلماته بين خيوط الحنين، والانتقاد اللطيف:

=مانت لو كنت بتعدي على أبوك، وأمك كنت عرفت .

نطق جلال بإرهاق:

_بابا أنا مسحول في الشغل، وبرجع هلكان .

رد المعلم حنفي ببشاشة:

=لا ياوض خلاص ربنا يقويك...أمك هتفضل فيها العادة السوداء دي مش هتتغير منها أبداً...الولية مش

عاملاي اعتبار، وهاتك يا غلط فيا ليل نهار، وأنا خلاص ياوض جيبت أخري .

تلفظ جلال بصوت مكتوم، كأنه يعبر عن حالة من الضيق، تاركاً للتعبير عن حالته النفسية المعقدة:

_مانت عارف بابا إن أمي غلاطة، ولسانها طويل هي لو كانت سالكة زي بقية الحريم كانت هتشاكل فيا أنا، ومراتي كل يوم؟

رد المعلم حنفي بانزعاج:

=على رأيك...ربنا على الظالم، والمفتري .

نظر جلال حوله كمن يبحث عن المجهول، وقال بفضول:

_أمال هايدي فين؟

أجاب المعلم حنفي:

=شكلها راحت عند ستك تبات معاهم .

رد جلال بدهشة:

_وانت قاعد لواحدك بابا؟ قوم اطلع معايا .

أنتهز المعلم حنفي الفرصة، ووقف مكتوف اليدين، ليخرج عباراته باستعداد، وهو يتلفظ:

=كثر خيرك ياوض فيك الخير .

صعد جلال مع والده إلى شقته، فخرجت ليالي من المطبخ، تبتسم بترحيب، ووقفت قبال المعلم حنفي، وهي تمد يدها لتصافحه بتقدير، كمن يستقبل ضيفاً مهماً ويعبر عن احترامه:

أم الديب الجزء الثاني

_ازيك يا حميا عامل ايه؟

رد المعلم حنفي بود:

=الحمد لله كويس .

بعد مرور نصف ساعة انتهى أحمد، وجميلة، وسيليا، من ارتداء ثياب الضيافة التي تناسب المناسبة الخاصة. وفي ذلك الوقت، دخلت سامية برفقة زوجها وابنتهم لارا، محملين بالبهجة، والسعادة التي تتبع من لقاء الأحباب. عانقتها جميلة بابتسامة تملأ الصالة، كأنها تنقل لها عبر الحضن عبارات الحب، والترحيب بزوارها الأعزاء:

_يا روح قلبي تعالي .

قبلت سامية وجنتي جميلة، وهي تنبض بألوان الحب والأمل. وعبرت بابتسامة رقيقة، تتلألأ في عينيها كشمس الصباح تتسلل خلف الغيوم:

=عاملة ايه يا حياتي؟ وحشاني أوي !

بادلتها جميلة قبلتين حانيتين في خديها، وهي تتأمل في عينيها بريق الحب، والإخلاص. وأطلقت ابتسامة تنبض بالسعادة، كما لو أن اللحظة تجلت عبثاً من الفرح الصافي:

_وانتي أكثر .

نظرت سامية إلى سيليا بابتسامة تعبق بالدفع، ثم عانقتها بحنان، وقالت بصوت ينبض بالمحبة:

=ازيك يا سيليا يا روح خالتو؟

ردت سيليا بسعادة:

_خالتو سامية وحشتيني!

تلفظت سامية بعشق يغمر الكون:

=وانتي كمان يا حياتي.. ايه أخبار الـnursery؟

أجابت سيليا بسرور:

_كويسة يا خالتو .

خرج أحمد من غرفة النوم، وبدت على ملامحه ابتسامة تعكس ترحيبه العميق، فعانق معتز بقوة، حيث اندمجت أرواحهما كموجات البحر الهادئة، وقال بصوت يرن كأنغام الفرح:

=ازيك يا مُعتز؟

رد معتز بابتسامة:

_الحمد لله انت أخبارك ايه؟

أجاب أحمد بابتسامة تعبق بالسعادة، وكلمات تنبعث منها روح الحياة:

=الحمد لله .

أشارت جميلة بيدها نحو الأريكة، وقالت بابتسامة:

_اتفضلوا .

وأثناء سيرهم أردفت:

_تشربوا ايه؟

جلس الجميع عدا جميلة. فانطلقت سامية بكلمات تنبعث منها حنين الصداقة، وقالت بصوت يرن كأنغام الاشتياق:

=أي حاجة منك حلوة يا روجي .

أم الديب الجزء الثاني

ردت جميلة بابتسامة:

_حبيبتي يا سامية... مش متأخر عليكم .

دخلت جميلة المطبخ بانسيابية تناغمت مع انسجام المكان، حيث بدأت بتحضير الضيافة باهتمام، تاركة وراءها سيليا التي كانت كالظل ترافقها في كل حركة، تبعث على الاطمئنان بوجودها. في الخارج، كان معتز يتجول بعينه حول المنزل الجديد لأحمد، يستمتع بمنظره الساحر، وبينما كان يتأمل، لمح جميلة وهي تعمل في المطبخ بتركيز، فلم يتمالك نفسه، وقال بإعجاب صادق:

=مبروك على الشقة الجديدة .

رد أحمد بابتسامة:

_الله يبارك فيك .

تحدثت سامية، وعيناها تتجولان حولها بإعجاب متنقلة بين جمال الديكور، وتفاصيل المكان، حيث أرادت أن تعبر عن إعجابها العميق بالأناقة التي تميزت بها كل زاوية من أركان المنزل:
=بجد أحلى بكثير من الشقة القديمة .

رد أحمد بوضوح ينبض بالصدق، كما لو كانت كلماته تنبعث من قلب صافٍ، وعقل واضح:

_جميلة هي اللي اختارت كل حاجة على زوقها .

نطقت سامية بانبهار، وينعكس في عينيها إعجابها العميق بما تراه أمامها:

=جميلة حقيقي زوقها حلو في كل حاجة .

ضحك معتز، وقال بروح فكاهية:

_مين يشهد للعروسة؟

ضحك الجميع بفرح، وانبساط، ومرت خمس دقائق قبل أن تخرج جميلة، وسيليا من المطبخ، وهما يحملان بين أيديهما حوافز مُغرية من الحلويات الممتازة، والعصائر المنعشة. ووضعوا بعناية على الطاولة أمام الجميع، حيث لمعت عيونهم من فرحهم باللقاء. وقالت جميلة بابتسامة تشع بالترحاب:
=منورين الدنيا كلها يا حياتي .

ردت سامية بمحبة:

_ده نورك انتي يا عمري .

وزعت جميلة المشروبات، والحلويات على الجميع، ثم جلست بجانب أختها، حيث بدأوا بالتحدث بحماس. وفي الوقت نفسه، جلست سيليا بجانب زوج خالتها، الذي كان يحمل بين ذراعيه لارا بحنان. وقبل أن يبدأ أحمد بتناول الطعام، تلقى رسالة على هاتفه. بمجرد أن فتحها، اكتشف فيديو لهيدي، وهي تعمل في صالة الخمر، في بداية أمره كان مستعجباً وغير فاهم للأمر، لكن سرعان ما تغلب على التشويش وركز في التفاصيل. وفجأة، اكتشف الحقيقة المدهشة للشخصية التي أمامه. بدا بالتعبير بصدمة عارمة، قائلاً:

=يا نهار أسود دي هايدي أختي!

وقف أحمد في الحال، وهو يرمق الفيديو على هاتفه بعيون مفتونة، فلاحظ الجميع تغييراً فورياً في تعابير وجهه، حيث امتزجت الدهشة، والغموض في نظراته. وفي هذه اللحظة الفارقة، تساءلت جميلة بتعجب لا حدود له:

_في ايه؟

أجاب أحمد، وهو يتلعثم في حديثه:

أم الديب الجزء الثاني

=معلش أنا مضطر أمشي في مشكلة في الشغل هطها، وأرجع .

نطق معنز بلا اكترات:

_على راحتك .

خرج أحمد من المنزل بسرعة كبيرة، وعيناه تلمعان بعزم، وإصرار، فقد كان قد قرر الذهاب إلى العنوان الذي وصله في الرسالة الأخيرة التي تلقاها. وفي الجهة الأخرى، كانت جميلة تقف في الزاوية، تشعر بفيض من الإحراج يغمر وجهها أمام أختها، وزوجها، اللذين كانا يحدقان بها بانتظار تفسير لما يحدث، فقالت بصوت خجول:

=سوري يا سامية انتي، ومعتز هو أكيد هيشوف في ايه وهيرجع...المهم طمني ايه مع لارا؟ ردت سامية:

_بخير .

قد جاءت اللحظة الحاسمة عندما وصل علاء الدين برفقة صديقه رودي، حيث تقدمتا بخطوات واثقة وجلسا معًا على كراسي الحانة التي تعمل عليها هايدي، دون أن يدرك علاء الدين أن صانعة المشروبات هي هايدي ذاتها. كان الموقف يفيض بالتوتر، وكانت الأضواء الخافتة تلعب بظلالها على وجوههم. بينما كان علاء الدين يتحدث بحماس، قال بصوت مفعم بالحيوية:

=انتين بنسولين .

تساءلت رودي بفضول مشوب بالحيرة، وعيناها تتلألآن بوميض الاستفهام الذي انعكس في نظراتها العميقة، فقالت بصوت خافت لكنه مشحون بالاهتمام:

_وقمر هيعمل الـ Engagement Party امتي؟

أجاب علاء الدين، وهو يتناول المكسرات بتلذذ وكأنه يعزف على أوتار خفية، ناظرًا إلى رودي نظرة مليئة بالمشاعر، وقال بصوت هادئ لكنه يحمل في طياته الكثير من الحكايات المخفية:

=قريب أوي متصور ريش أنا فرحان بيه قد ايه...ده طلع عينا لحد ما أخذ الخطوة دي !

ضحكت رودي ضحكة رنانة، تملأ المكان ببهجتها وتضفي عليه جواً من المرح، ثم نظرت إلى علاء الدين بعينيها اللامعتين وقالت، بنبرة تجمع بين الهزل، والجديّة:

_مش يمكن زيك، ومش عاجبه أي حد؟

ضحك علاء الدين ضحكة عميقة، تردد صداها في أرجاء المكان، ثم نظر إلى رودي بابتسامة عريضة، وقال بنبرة مفعمة بالدعابة:

sure=يا روعي، وأنا يعجبني أي حد برضة؟

تحدثت رودي بدلال:

_والبنت اللي قابلتنا دي ايه وضعك معاها؟ معقول هتبصلها؟

رد علاء الدين بسخرية:

=أبصلها ايه يا بنتي؟ ايه جاب لجاب؟ هو علشان جميلة أختي اتنازلت، ووافقت تتجوز أخوها أقوم أنا كمان أندبس في أخته؟ ضربتيني في الرأس بتوجع يا روري، وأنا أهلي هيحصلهم حاجة لو ده حصل ! تفوهت رودي بدلال ناعم، وقد رسمت على شفثيها ابتسامة ساحرة، وقالت بصوت خافت يحمل في طياته لمسة من الإغراء:

_بصراحة مش لايقة عليك خالص انت اللي يليق عليك واحدة زي...مش معقول يعني هتبص لعلبة

الكان دي !

أم الديب الجزء الثاني

كانت هايدي تقف خلف الحانة تستمع بصمت لكل كلمة تدور بينهم، وكلما مر الوقت كانت كلماتهم تشعل في قلبها نار الغيرة أكثر فأكثر، فكتمت أنفاسها بجهد كبير حتى لا تظهر مشاعرهما، وقالت لنفسها بصوت خافت، مشدود بالسخط، كأنها تخشى أن يتسرب غضبها من بين شفثيها:
=بقي أنا علبة كانز؟ ماشي، ماشي!

وبعد أن انتهت من صنع المشروبات، وقفت حياهم بشموخ، وقالت بصوت حاد يشبه خنجرًا يخترق السكون:

=مش أنا علبة كان؟ خدي .

وسكبت المشروبات في وجه عدوتها، فانطلقت قطرات السائل كسهامٍ نارية، وصرخت رودي من صدمتها قائلةً بصوت متهدج:

_ايه ده؟

وقف علاء الدين في مكانه، محاولاً أن يستوعب ما حدث من حوله، وبعد أن دقق نظره جيداً وتمعن في تفاصيل الموقف، اكتشف حقيقة هايدي التي كانت مختبئة خلف قناع من الخداع، فقال بسخطٍ متفجر:

=هايدي؟ ايه ده انتي اتجننتي، ولا حصلك ايه؟ وايه جابك هنا أصلاً؟ انتي هتفضلي ورايا لحد امتي؟ في ايه بيبي، وبينك مخليكي بتلفي ورايا ليل نهار؟

صرخت رودي في وجه هايدي قائلةً بانزعاج مشتعل:

_أنا هوديكي في ستين داهية، ومش هسيبك!

نظرت هايدي في وجه علاء الدين بعينين ممتلئتين بالدموع، وقالت بصوت مُتهدج كأنهار تبكي من شدة القهر:

=أنا عملت كل ده علشان... علشان أنا... أنا... أنا بحبك!

ضحك علاء الدين بصوت عالٍ كأنه صدى في وادٍ مقفر، وقال باستهزاء يمزق الصمت:

_فوقي لنفسك يا هايدي أنا وانتي مش شبه بعض، وأنا عمري مافكرت فيكي، ولا هفكر فيكي... بصي على نفسك في المراية، ولا حتى اعرفي أهلك مين... بقي أنا ابن أكبر راجل أعمال في البلد ابصلك انتي؟ من قلة البنات؟ ده زي مايقولوا لا مال، ولا جمال هبصلك على ايه؟

نزل حديث علاء الدين على قلب هايدي كالسكين الجارح، فانتنفض قلبها محاولاً النجاة في آخر قطرة دماء له، غير مستوعبة كيف يمكنه أن يحقر من شأنها إلى هذا الحد، فنزلت دموعها حزناً، وقهراً على حالها المتدهور، وقبل أن تُبدي أي رد فعل، وجدت أخاها واقفاً أمامها، ينظر إليها نظرات حادة مليئة بالصدمة من الكارثة التي ارتكبتها في هذا المكان الدنيء، فصرخ بها قائلاً بصوت مليء بالامتعاض، وخيبة الأمل:

=قدامي يا هايدي !

أزاح أحمد أخته بقسوة أمامه، ودفعها للخروج من المكان وهي تبكي بحرقة، وقبل أن يلحق بها ليخرج معها، توقف قليلاً، وواصل حديثه مع علاء الدين بصوت حاد كالسيف القاطع، قائلاً بنبرة تفيض التوعد:

=حسابي معاك لواحدنا، وأنا هعرفك كويس ازاى تلعبها من ورايا صح .

رد علاء الدين بلا ميالاة:

_أختك مدلوقة عليا يا حبيبي، وبتلف ورايا في كل حطة، وأنا مطمئنها خالص حتى اسأل رودي !

أم الديب الجزء الثاني

نزل رد علاء الدين على أحمد كالصاعقة المدوية، فلم يدر بنفسه إلا وهو يتشبث بعنقه بقوة، ويخبط رأسه برأس علاء الدين بعنف جسيم، وهو يصيح بأعلى ما فيه من غل، قائلاً بنبرة يهتز منها جدران الملهى الليلي:

=أنا أختي مبتدلقش على حد، وإياك تتكلم نص كلمة على أختي، وأنا كلامي كله مع أبوك، وهو يتصرف!

التفت الجميع لصوت الشجار المدوي الذي اندلع بينهم، فتحدث علاء الدين بصياح عارم: _أوعى إيدك بقولك انت اتجننت ولا ايه؟ أنا هوديك في ستين داهية، وهعرفك ازاي تتكلم مع أسياذك! رد أحمد بصياح:

=على نفسك أنا مليش أسياذ!

وأزاحه إزاءه بعنف، فانفصل عنه بقسوة واندفع نحو الخارج، وهو يُشتعل كالحريق المستعر. في الداخل، كانت رودي تحاول بطريقة مُدلة أن تهدئ علاء الدين، قائلة بصوت ينبعث منه الحنان: _اهدى يا بيبي...ده طلع مجنون أوي.

أزاحها علاء الدين من أمامه بحدة، وصاح بصوت ملتهب قائلاً:

=أوعى مش ناقصك!

بعد أن خرج أحمد من الملهى الليلي، أزاح هايدي أمامه بتصرف حازم، قائل بنبرة ينبعث منها القوة:

_قدامي على البيت!

ردت هايدي بانتحاب:

=حاضر.

ركب أحمد، وهايدي السيارة، وبعد مضي ثلاث ساعات وصلوا إلى منزل العائلة في القرية، وكانت الساعة الخامسة فجرًا، وقد كانت أرواحهما تغلي من الانتظار في الليل الطويل، على أمل أن يجدوا أحدًا يستجيب لنفقاتهم على الباب الثقيل. طرق أحمد الباب بعنف، وكانت دماؤه تندفع بعنف، يتساءل إذا ما كان سيجد أحدًا على استعداد لاستقبالهم. وعندما أدرك أن لا جدوى من هذا التوقع، بدأ يتخبط الباب بقوة عارمة، لدرجة أن جلال وزوجته استيقظوا فجأة على هذا الصخب العنيف. نهضت ليالي من سريرها، ووضعت الحجاب فوق رأسها بحذر شديد، وفي صوت مرتجف من الخوف قالت:

_يا ساتر يارب، في ايه؟

في الأسفل، استيقظ المعلم حنفي من نومه العميق، وخرج من الغرفة بخطوات ثابتة، مُتأكدًا في اعتقاده الثابت أن هذا الصخب المزعج من صنع أم الديب، التي كانت تسبقها شهرتها بالضوضاء، والمشاكل في الحي. فصاح بصوت يُقاوم به الضجيج المتزايد:

=شكلها رجعت الولية الفقر... أنا عارف أنها مش هتسكت غير لما أقتلها هي، وأمها .

نزل المعلم حنفي بسرعة، يليه جلال وليالي، فتفاجئوا بأحمد، وهايدي إزاءهم، وكانت الدهشة ترتسم على وجوههم. قال جلال بصوت عابر للفهم:

_في ايه يا ض؟

نظرت هايدي لأحمد، وصرخت قائلة بصوت ملتهب من الهلع:

=لا متقولهمش...متقولهمش حاجة علشان خاطري!

رد أحمد بعجيج:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنا سترت عليكى كثير، وانتي مصممة، وأنا مش هستنى لما تجيبيلنا مصيبة...الأستاذة هايدي لقيتها سهرانة في الديسكو مع الزبالة علاء الدين اللي مكنتش أتمنى إنه يكون أخو مراتي، وخال بنتي، أنا متوقعتش إنه بالحقارة دي !

برقت عينا جلال، وفي وجهه عبور للدهشة الكبيرة، وقال بصدمة عارمة تعكس صدمته العميقة:
=يعني ايه؟

نطق المعلم حنفي بصدمة:

_ديسكو؟

ضربت ليالي يدها بقوة على وجهها، وقالت بدهشة تتراجع عنها أنغام السكون:

=يا ساتر يارب!

نطقت هايدي بانتحاب:

_ هفهمكم والله انتوا فاهمين غلط .

نظر جلال لوالده، وقال بجلبة:

=هو ده اللي عند ستها يابا؟

ثم أعاد النظر لهايدي، وأردف بصياح:

=بقى بتستغفلينا يا فاجرة يا زبالة؟

تشبث جلال بشعر هايدي بعنف، ووطأها بقوة بأيديه القاسية، وأرجله الثقيلة، فزاد صراخها وتعالق الضجة من حولهم، وكان الجميع يحاولون فض النزاع المتصاعد بينهم بكل الوسائل الممكنة. في الشقة الصغيرة، استيقظت نعمة وزوجها على صراخ العائلة، وعندما سمعت الضجة، اعتقدت أن المعلم حنفي وأم الديب قد اشتبكا مجددًا كالعادة. سرعان ما خرجت من سريرها، ووجهت نظراتها بخوفٍ وقلقٍ شديدين، قائلة بصوت يرتجف من الفزع:

_ في ايه؟

وفي الأسفل كانت ليالي تحاول بكل جهدها فض النزاع بينهم بشتى الطرق، وكانت تصرخ قائلة:

=سيبها يا جلال... يا جلال أوعى، أوعى!

صاح جلال في وجهها، وهو يوطئها بعنف، فأكد حدته:

_ فاجرة، وناقصة رباية !

بعد ساعة كاملة من النواح الذي استيقظ عليه أهل المنطقة، نجح المعلم حنفي في إقصاء جلال بعيدًا عن هايدي، وصعد معه هو، وأحمد، وحامد إلى شقة ليالي. لكن جلال لن ينسى ما حدث، فكانت نيران الاحتياج تشتعل في داخله كلما تذكر الخزي الذي تسببت فيه هايدي لهم. صدح في أخيه بصوت يعبر عن اللوم:

=انت مش راجل يا ض بقى بتستر على أختك الصايعة، وجاي دلوقتي تتكلم؟ كنت مستنتي أنها ترجعلنا

بفضيحة عشان تتكلم؟

رد أحمد بعصبية:

_ احترم نفسك يا جلال، وانت بتكلمني .

نطق جلال بضجيج:

أم الديب الجزء الثاني

= هو ده ياض النسب اللي يشرف؟ مش دول اللي كرشونا يوم شبكتك عشان مش عاجبهم مناظرنا، والواد ابنهم نفسه صايع كبير، ومش لاقى اللي يلمه؟
رد أحمد بعصبية:

_ حوار الخطوبة ده اتفقل، ومش هينفتح تاني، وأنا سكت مرة، واتنين عشان المشاكل إنما خلاص جيببت أخري... أنا مكنتش هستنى لما تعمل مصيبة .
تلفظ جلال بجلبة:
=ده إن معملتش... أنا ايه ضمنى أنها معملتش حاجة؟

رد المعلم حنفي بصياح ملتهب:

_ اسكتوا بقى اسكتوا!! انت ازاي ياض تتكلم على أختك بالشكل ده؟
نطق جلال بصخب، وهو يضرب يده بقوة على الطاولة الموازية له، وصدى صوته يملأ المنزل بالضجيج المدوي:
=بتك مش لاقية اللي يلمها... البت دي لازم تتجوز، وتتستر يإما هتعملنا فضيحة، ولا فضيحة ايه أكثر من اللي عملتها؟

في شقة أم الديب، كانت نعمة وليالي يجلسون على سيف هايدي بالأريكة، وهي تعول بحرقة، وقهر عميق. قالت نعمة بصوت ممتزج بين الاستياء، والتعاطف:
_ ليه كده يا هايدي ليه تخلي راس أبوكي في الطين؟
أجابت هايدي بأعوال:

= عملت كل ده علشان بحبه، وهو مكنش حاسس بيبا، ولا بوجودي، وعلشان عارفة إن عمره ماهيفكر يبصلي، أصل مش أنا اللي حد يبصلها، واللي حصل ده هيجصل تاني، وتالت، ومليون عارفين ليه؟ عشان محدش هيرضى يتجوز واحدة أهلها غلابة، وإن كان على الفقر فهنقول ماشي، بس المشاكل، والسيرة اللي زي الزفت؟ اللي هيجي يتقدملي أول مايعرف إن أمي بسمة، وأبويا المعلم حنفي، وأخويا الكبير جلال هيصرف نظر، وهيدور على واحدة أهلها كويسين .
تفوهت نعمة بتأثر:

_ متقوليش كده يا هايدي...إياكي تقولي كده! مين قال هيصرف نظر؟ عندك أنا أهو جالي حمو، وخطبني، واتجوزنا .
ردت هايدي بانتحاب:

=ومين قالك إن حماتك بتحبك؟ مانتي دايماً بتشتكي منها، وإن كل ما تروحي تزوريها بتقابلك أسوأ استقبال لأنها؛ رافضاكى تكوني مرات ابنها، وعارفة ده ليه علشان ماما، وجلال بتوع مشاكل، وسيرتهم سابقاهم .

تلفظت ليالي باستياء ملحوظ:

_ ملكيش حق يا هايدي..ده جلال قلبه أبيض، وحنية الدنيا فيه بس اللي يفهمه...هو بس عصبي، ومبيحبش حد يجي عليه انتي بس اللي فاهماه غلط !
ردت هايدي ببيكاء مؤثر، تنهمر دموعها كأموح الحزن:
=مش هتعرفي أخويا أكثر مني .

أم الديب الجزء الثاني

تفوهت ليالي بعقلانية شديدة:

_بس أنا الأقربله منك، وأنا اللي في وشه ليل نهار .

نطقت نعمة بحزن جسيم، وهي تواسي أختها بكلام ينبع من القلب:

=اهدي بس يا هايدي وتهتدي ده كل حاجة بتعدي والله المهم ياختي متعلميش اللي عملتية ده تاني .

تحدثت هايدي، وهي مصدومة في أخيها أحمد بكلمات تنبع من دهشتها العميقة:

_معقول أخويا يفضحني؟ بدل ما يستر عليا؟

ردت نعمة بجزع:

=معلش يا هايدي مش هتلاقي حد يحبك أكثر من أخواتك هو من كتره خوفه عليكي قال يوقف

الموضوع عند حده...هو احنا حيلتنا كام هايدي؟

تفوهت ليالي بتبرم:

_استهدوا بالله، وأنا هبات هنا لحد الصبح .

بعد ساعة من مواساة ليالي، ونعمة لهايدي، نامت ليالي بجانب هايدي، وانصرفت نعمة لتنام في غرفة

أم الديب. بينما غادر أحمد البلدة، وبعد مرور ساعتين، وصل إلى منزله، ودخل مستعدًا لمواجهة جميلة.

لكن حالما دخل المنزل، وجد جميلة في انتظاره، تشد يديها ببعضها، وترفع حاجبها بحنق لم يرحب به.

دخل الغرفة بصمت، فرأت جميلة السخط يملأ عينيه، فقالت بصوت متمسم بالعتاب:

=معقول راجع البيت تمانية ونص الصبح؟ انت أخرجتني قدام سامية، وجوزها!

رد أحمد باضطراب، وهو يقوم بتغيير ملابسه بحركات مُتسارعة، وعابرة من الاستعداد:

_جميلة أنا مش عايز أسمع أي كلمة!

انصدمت جميلة من طريقة حديث أحمد معها، فردت بصوت ينبع منه الاستياء:

=نعم؟ انت أكيد اتجننت ازاي ده بقى كلامك معايا؟

وقف أحمد إزاء جميلة، وقال بحفيظة مليئة بالحدة:

_علاء الدين .

ردت جميلة بفضول:

=ماله؟

أجاب أحمد بعجيج:

_البيه قابل هايدي في الديسكو...أنا أختي تسهر في ديسكوهات؟ وأنا أختي هي اللي بتجري وراه كمان؟

نظرت جميلة نحو الباب، وهي تخشى أن تستيقظ ابنتها على صياح والدها، فقالت بخوف متدفق :

=تاني؟ علاء الدين عملها تاني؟ أنا هروح لبابي، وهتكلم معاه .

تلفظ أحمد بضيق:

_من غير ما تقولي أنا كده كده هروحله .

ردت جميلة بنبرة هادئة، و متماسكة:

=طيب بليز نروح سوا احنا لينا كلام معاه .

في تمام الساعة العاشرة صباحًا، عادت أم الديب إلى المنزل وهي تحمل أكياس الخضار في يدها،

فتعجبت من رؤية ليالي نائمة بجانب هايدي، ونوم نعمة بمفردها في الغرفة الأخرى. وضعت الأكياس

في المطبخ، وبينما كانت تقوم بذلك، قالت بتعبير يعكس دهشتها، وتفاجؤها:

_ايهي هو في ايه؟ ايه اللي منيمهم هناهو؟ لا يكون الراجل مات .

أم الديب الجزء الثاني

عندما دخلت أم الديب إلى غرفتها، انبعث صدى صوتها بحدة في الأجواء، كلماتها تعكس حالة من الدهول المتكاثر داخلها:
_ انتي يا بت نايمة هنا هو ليه؟

استيقظت نعمة من نومها، وفجأة تفتحت عيناها على واقع مختلف، حيث اجتاحتها الحيرة لتتقلب حالتها من السكون إلى اليقظة المفاجئة، فقالت بنبرة خافتة:
=صباح الخير ياما... انتي رجعتي؟
ضحكت أم الديب، وقالت بسخرية:
_ لا لسة شوية يا بت .

ردت نعمة بحزن بسذاجة:
=اسكتي ياما على اللي حصل امبارح... كنا نايمين وفجأة ألقيلك زعيق، وصويت تحت .
ضربت أم الديب يدها بقوة على صدرها، وانطلق صراخها في الهواء، كلماتها تنبعث منها كالبركان المتفجر، وهي تنطق:
_ يا مصيبيتي !

واصلت نعمة حديثها:
=نزلنا على ملى وشنا والله لقينا أحمد، وهايدي بيتخانقوا، وصوتهم مسمع في البلد كلها اسألهم في ايه؟
يقولك هايدي كانت في الديسكو مع علاء ابن ست هانم قام جلال جاييها من شعرها، ونازل ضرب فيها، واحنا نسلك ما بينهم لحد ما سابها بالعافية، ومن ساعتها، واحنا نايمين هنا نونسها لحد ما لمشكلة تتحل من عند ربنا .

صرخت أم الديب قائلة بإعوال:
_ يا لهوتي... الفاجرة ضحكت عليا، وقالتي رايحة رحلة تبع المدرسة، وفي الآخر تطلع في الكبارية وسط الشاممين، والسكرانين؟ يا خرابي... يا خرابي!
ردت نعمة بجلبة:

=اسكتي ياما انتي هتولعي الدنيا، واحنا ما صدقنا أنها هديت؟
تفوهت أم الديب بصياح عالٍ، وهي تلتفت بعيون متوترة حولها، كأنها تبحث عن دليل:
_ دي لسه هتتشعل يا بت... هي فين الفاجرة دهية؟
دخلت أم الديب بغرفة هايدي واندفعت كلماتها بصوت عالٍ كصفعة مؤلمة:
_ نايمالنا في العسل يا بت، وولا همك؟
ردت ليالي بصياح:

=اسكتي يا حماتي، تعالي معايا !
نشبت ليالي بيد أم الديب بقوة، وهمت بسحبها خارج الغرفة. ارتفع الحنق على وجه أم الديب كأنه جبل من الضغينة ينمو داخلها، وفجأة انفجرت بصوت يملأ الفضاء، وكأنها تحاول بكلامها أن تنسف كل الجروح التي كانت تحملها في داخلها:
_ بتدخلي بيبي، وبين عيالي ليه يا مقصوفة الرقبة؟

أم الديب الجزء الثاني

رفعت ليالي حاجبها، وقالت بصوت حاد:

=وفيهما ايه ده بدل ما تشكريني؟ ده لولايما كان زمان هايدي جثة هامدة دلوقتي .
ردت نعمة برهبة تامة، كأنها تشعر بوزن اللحظة الكبيرة التي تتجلى فيها المخاوف، والترقبات المتوترة:

_والله ياما ليالي كانت بتحوش بينهم على آخرها... هايدي كانت هتموت في ايد جلال مانتي مشوفتيش اللي حصل .

صرخت أم الديب، وهي تندب حظها قائلة ببيكاء:

=يا عيني عليكي يا أم الديب بختك مايل في عيالك يادي الهم، والغم اللي حط علينا .

ردت ليالي بخبث مُلتهب، وهي تتمتع بالفرحة في سماع مشاكلهم، وتتفنن في تحقيق الفوضى:

_يا حماتي أنا ستر، وغطا عليكم، وعُمر ما سركم يطلع برا أبدًا!

هنا يظهر التناقض بوضوح عندما رويت ليالي كلُّما حدث لأختها هبة في نفس اليوم، وهي في زيارة عائلية عندهم في شقة أم أشرف. وقد تصاعدت الأحداث كالأموح المتلاطمة في بحر الصراعات، حيث عكست ليالي على وجهها ابتسامة من زجاج، تُظلل سطوعها الخافت مع كل كلمة تصدر من شفتيها:
_دي فضحتهم فضيحة... ده جلال يا عيني عليه تعبان أخته هدت حيله، ولا حمايا بقى الله يكون في عونك .

نطقت هبة بشماتة:

=خلي الست القادرة دي تنهد شوية ألا أنا بصراحة شايفاها فاردة عضلاتها، ومش هاممها حد .

ردت أم أشرف بصدمة:

_بقى معقول يا ليالي كل ده يطلع من هايدي؟

نفوحت ليالي بكلمات تتبعث منها روح التشويق. بينما تستعد لإلقاء الضوء على أسرارهم المظلمة:

=أه وحياتك عندي ده احنا كنا فاكرينها الحمل الوديع .

نطقت أم أشرف بسخرية:

_ده نسب يشرف أوي ياريتني ما أدبت ابني حامد لنعمة بنتها... أنا مكنتش موافقة على الجوزة دي من

الأول ده ياريتها كانت جوزة زي جوزة أشرف حبيبي من هبة نور عيني .

ردت هبة بابتسامة تتم عن الود المتجدد:

=ربنا يخليكي ليا يا حماتي .

تلفظت ليالي بابتسامة:

_ربنا يديم المحبة بينكم .

بعد أن استيقظ أحمد، وجميلة، وسيليا من نومهم، ذهبوا مباشرة إلى منزل أم قمر الدين. جلسوا مع باسم

وبسملة في المكتب الريحيب الذي يعتبر مركزًا للتواصل، والمناقشات العائلية. بدأوا في سرد كل ما

حدث خلال الفترة الماضية، وتداولوا الأحداث بشكل مفصل، كأنهم يعيدون بناء سياق الأحداث

وتفاصيلها بدقة. فجأة، انصدم باسم بما سمعه عن ابنه، وشعر بصدمة جسيمة تخترق قلبه، وعقله، حتى

أنه لم يتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة في اللحظة الأولى، حيث قال بصوت يعبر عن التأثر العميق:

=كله من دلعنا فيه، وأنا معترف بس خلاص الولد ده لازم يتحكم عليه، ونعرف خط سيره من النهاردة .

ردت أم قمر الدين بصوت حنون يعكس الدفء:

أم الديب الجزء الثاني

_أهم حاجة يا حبايبي متخلوش المشكلة اللي حصلت تأثر على حياتكم مع بعض...تربيتنا لجميلة، وبقية أخواتها تنعكس تمامًا عن تربيتنا لعلاء الدين !
تلفظ باسم بخيبة أمل:

=جميلة بنتنا، وبقيت أخواتها اتربوا أحسن تربية...بس مش عارف علاء الدين طالع كده لمين!
رد أحمد باستياء:

_بيني وبينك يا عمي أنا اتصدمت في علاء الدين صدمة عمري، أنا كنت فاكروا غير كده خالص .
نطقت أم قمر الدين بتأثر ملموس، كلماتها كانت كلؤلؤ من الحكمة تتساقط بلطف:
=علاء الدين شاب طايش زي باقية الشباب، وبكرا يعقل، ويعرف إن اللي بيعمله ده أكبر غلط!
رد باسم بثقة عظيمة في النفس، منطلق من قلب متمرس، وعقل واثق، كلامه يتسم بالقوة، معبر عن استعداداه لمواجهة أي تحديات قد تواجهه بثبات:
_متفلقش ده ابني، وأنا أعرف كويس جدًا أوقفه عند حده...أنا هنا كبير البيت، والكلمة كلمتي .

رد أحمد بامتنان:

=متشكر يا عمي لحسن تفهيمك الموضوع .
تحدث باسم بجدية:

_أنا إنسان عادل جدًا، ولا يمكن أقبل بالظلم، وحق هايدي أختك فوق دماغي .
بينما رد أحمد بإحراج، كان يشعر بالخجل، وكلماته تتناغم مع حالة من الحرج:
=مش عارف أقول لحضرتك ايه بجد .

نظرت جميلة لزوجها بابتسامة خافتة في عينيها، وقالت برقة تعبر عن مشاعرها المحبة:
_خلاص مبسوط كده؟

أجاب أحمد بارتياح:

=مبسوط .

عندما دخل علاء الدين إلى المكتب، ورأى أحمد، وجميلة، بدأ صوته يعلو بشكل تدريجي، وظهرت علامات الكيد على وجهه، كأنها عواصف من الغيظ تتجمع في عينيه. ثم بدأ يتحدث بأسلوب ينم عن أخلاقه الوضيعة:

_انت هنا بتعمل ايه؟

نهض باسم مكانه، وكأنه جدار من الثبات في وجه العاصفة، وصاح فيه، قائل بتحكم:

=انت تحترم نفسك، ومن الواضح إن احنا معرفناش نربيك كويس زي بقية اخواتك!

وقف البقية، وفي لحظة من الصمت المتوتر، انكشفت عبارة من بين شفتي أم قمر الدين، بوضوح تام لكن بخوف يعكسها تلك العيون المرتعشة:

_جميلة خدي جوزك، وامشوا، واحنا هنعرف نتصرف كويس .

ردت جميلة باستياء:

=أوكي يا مامي .

غادر أحمد، وجميلة، وسيليا منزل باسم، كما لو أن الهواء نفضَ بمشاعرهم القلقة خارج أبوابه. وفي تلك اللحظة التي اتسمت بالصمت المشحون بالتوتر، وقف علاء الدين أمام والده، كما يقف الجبل الشامخ في وجه عواصف الحياة، وصاح به بصوت يرتد في أروقة الوجدان قائلًا:

أم الديب الجزء الثاني

_بقي بتيجي على ابنك عشان واحد غريب؟

رد باسم بصياح:

=أولاً جوز أختك مش غريب ده بقي واحد مننا، ثانياً آجي عليك دي لما تبقي انت الصح، وغيرك هما

اللي غلط لكن انت كل تصرفاتك غلط في غلط، ومحتاج تتربي من الأول، وجديد !

نطق علاء الدين بكلمات مترنمة بالفسق، كأنها نبوءة فاسدة تخترق جدران القصر:

_دي مشكلتك انت مش مشكلتي !

رد باسم بصوت يتخلله العجيج المتوحش، وهو يجوب وجهه بصفعة جلفة:

=اخرس !

انصدم علاء الدين بما فعله به والده، فوضع يده بتردد مهتز على خذه، وتعانقت خيوط الألم في عينيه،

وهو ينطق بصوت يرن في أرجاء المكتب:

_تمام... لا تمام أوي .

وسرعان ما هرول حتى خرج من المنزل، وكان الأرض تحت أقدامه تنفجر في رعب صامت، ووالدته

خلفه تلاحقه بنواح متجرد من الأمل، صرخاتها كالصاعقة تتلاطم في كل ركن من ركني القصر:

=استنى يا علاء الدين...استنى !

في منزل أحمد وجميلة، بعد أن عادوا وهم يحملون عبء المشاكل، تحدثت سيليا بحزن يتراقص في

كلماتها كأنها نغمة تسربت من أوتار قلبها المكسور:

_مامي انتوا كل يوم بنتخانقوا ليه؟ وليه جدو كان بيزعق لخالو علاء؟

ضغطت جميلة على أعصابها بقوة، كمن تتماسك على حدود الانفجار لتحمي مشاعر ابنتها من الضرر،

وفي لحظة من الرصانة، أطلقت كلماتها بنبرة هادئة كنسمة خفيفة تعبر عن الصبر اللامتناهي:

=أدخلي جوا يا سيليا دلوقتي .

دخلت سيليا الغرفة وهي تحمل على كتفيها وقع ألم لا يمكن إخفاؤه، وأوصدت الباب خلفها بحركة تنبض

بالكآبة، والانغماس في بؤس الذات. فتحدثت أحمد بعصبية، تعكس حنقه المتقد:

_لازم تنسي إن ليكي أخ اسمه علاء الدين!

ردت جميلة بصدمة عارمة:

=يعني ايه؟ ده أخويا!

نطق أحمد بجلبة:

_أخوكي هيكون سبب دمار علاقتنا !

تفوهت جميلة بسخط:

=وليه متقولش إن هايدي هي اللي هتكون السبب؟

رد أحمد بانزعاج يعكس شكل من التوتر، كأنه كشهقة من الروح تنبعث من الضيق:

_هايدي غلطانة زي علاء الدين ماهو غلطان !

تفوهت جميلة بعبارة اعتراضية تنبعث منها بثبات، كأنها صوت العدل يترنم في أروقة الشقة:

=مش معقول تحكم عليا أنسى أخويا علاء الدين أنا مقدرش!. ده في الأول، والآخر أخويا !

رد أحمد بعبارة مليئة بالشحناء المكبوتة، وهو ينظر إليها نظرات حادة كالسيوف المسلطة على صدر

الحقيقة المرة:

_يبقى ده اختيارك يا جميلة .

أم الديب الجزء الثاني

جمع أحمد ملابسه بعجلة داخل الحقيبة، وسافر خارج المدينة، ترافقت خطواته مع صدى صياح المعلم حنفي كصخب يملأ الهواء، كأنها دعوة تطلب الانتباه لقضية مهمة:
=انت عبيط في مخك يا ض؟ أخوها ايه اللي تنساه ماتبطل شغل المتخلفين ده... ده أنا قولت إنك كبرت، واتجوزت، وخلص بقيت عاقل هو في حد يستغنى عن أخواته؟
ردت نعمة بصوت ينبض بالحسرة، وهي تتأمل في الأحداث بعيون مليئة بالتأثر:
_لو نفترض ياخويا إنك وحش، وفيك كل العبر ينفع لما جوزي يقولي أقطعي علاقتك بأخوكي أعملها؟
نطق المعلم حنفي بنبرة حادة:
=انت تحط مشاكل هايدي على جنب، وعلاقتك بمراتك في جنب تاني هي اللي ليها تاخذ موقف إنما متقطعش علاقتها بيه...ياض اللي مالوش خير في أهله مالوش خير في حد، ولو هي النهاردة خسرت أخوها اللي أقرب ليها منك يبقى بكره هتخسرك !

اقتنع أحمد بحديث والده بكلمات تتم عن تأمل عميق وفهم واع، كأنها نقطة تحول في فهمه للأمور، تنبعث منها روح الحكمة، فقال بحيرة:
_أعمل ايه يا جماعة؟ أنا خلاص دماغي وقفت عن التفكير، وكل ده بسبب هايدي... ده أنا قولت إنها أقرب واحدة ليا، مكنتش متخيل إنها ممكن تعمل كل ده .
خرجت هايدي من غرفتها وهي تحني رأسها باستياء يعكس وقوع الدموع المتغلغلة في عينيها، كأنما تتلون الكلمات بألوان الحزن المكبوت، وقالت بندم:
=أنا عارفة إن أنا اتسببتلكم في مشاكل، وإن الدنيا قامت مقعدتش من ساعة اللي حصل بس خلاص أنا ندمانة...أنا مش عارفة ليه رخصت نفسي أوي كده وعلشان ايه؟ أنا دلوقتي بتمنى الأرض تنشق، وتبلعني .
يتبع....

الفصل التاسع

ردت نعمة بصوت ينضح بالحزن، وكل كلمة تتساقط منها كنغمة عميقة من أوتار قلب مكسور:
_ استهدوا بالله يا جماعة، وبعدين انت مش كل ما تحصل مشكلة تلم هدمك وتجري على هنا... احنا
عايزينك يوم ما تيجي هنا ياخويا تيجي مع مراتك وبتك، وانتوا الابتسامة من الخد ده للخد ده .
تحدث المعلم حنفي باستياء، وكلماته تخترق الهواء بحدة، تحمل في طياتها أسى عميقاً، تصدح في
الأرجاء كتنهيدة طويلة تثقل كاهل المكان:
=ربك هيلها... كان مستخبي كل ده فين بس؟
نطقت هايدي بصوت يملؤه الإحراج، وجسدها يرتعش كأوراق شجرة في مهب الريح، تنساب بحسرة
وتحمل في طياتها وجعاً صامتاً:
_ أنا أسفة .

في منزل جميلة، كانت جالسة على الأريكة كأنها محاطة بهالة من التوتر، تتحدث مع أختها سامية في
الهاتف، وصوتها يتخلله سخط واضح:
=أنا خلاص مابقتش قادرة أستحمل يا سامية، دي تاني مرة يحصل خلاف ما بينا فياخذ حاجته، ويمشي،
تصوري إنه بيطلب مني أقطع علاقتي بعلاء الدين؟، ولما رفضت سابني ومشى... طب وبنته مش عامل
حسابها ليه؟
تنهدت سامية تنهيدة عميقة، كأنها تحاول إخراج أثقال الزمن من صدرها، وقالت باعتراض ينبض في
صوتها:
_ الجوازة دي من بدايتها كانت غلط يا جميلة، وكلنا كنا رافضين... عاجبك دلوقتي، وهو مش سائل
فيكي، ولا في بنتك؟

تفوهت جميلة بعيون باكية:
=لا طبعا أكيد مش عاجبني، ودي حاجة مش مريحاني .
نطقت سامية بتأثر:
_ مش هقدر أقول حاجة غير إن ربنا يهلها... المهم يا حبيبتي خطوبة قمر الدين بعد بكرنا إن شاء الله،
تعالى انتي، وسيليا، ومتستسلميش للي انتي فيه!
ردت جميلة، محاولة أن تبتسم على الرغم من الصعوبة التي تجتاحها، فكلماتها خرجت ممزوجة بمرارة
الصبر، وشفتاها ترتسمان على وجهها بنغمة من الحنان، تعكس إرادتها القوية في تجاوز الصعاب:
=هحاول .

في فيلا علاء الدين الفاخرة، جلس مع صديقه رودي في بهو المنزل المزدهر بالفخامة، حيث تجتمع
الأرواح في خضم مؤامرة غارقة في الظلال. كان الاثنان يخططون سوياً للانتقام من هايدي، وأحمد،
وكان الضلال يتراقص في أعينهما. فقالت رودي برغبة ملتهبة في الشر، وكلماتها تنساب كسم زعاف:
_ متسكتش بقي حنة بنت زباله زي دي تعمل فينا ده كله؟
نطق علاء الدين بنظرات انتقامية حادة، كانت عينيه تشعان بلهيب الاغتيال، وكان ناراً مستعرة تتأجج
في أعماق روحه، تفصح عن عزم لا يلين وعن إرادة لا تنكسر:
=سواء هي أو اخوها فأنا خلاص حطتهم في دماغى أوي!

أم الديب الجزء الثاني

ردت رودي بفضول:

_ ناوي على ايه؟

أجاب علاء الدين بابتسامة شريرة، كانت تلك الابتسامة كالقمر الغائم يتلألأ في ليلة مظلمة، تكشف عن أسنانه البيضاء كأنها أنياب الذئب الجائع:

=هتبقى مفاجأة من العيار الثقيل بس الصبر .

في منزل أم الديب، بعد أن علمت بما حدث بين أحمد وجميلة، صاحت بصوت يملأ الصالة كالرعد في أفق السماء المظلمة:

_ هو انت كل يومين ناطلنا هنا؟ ما تركح في بيتك احنا مش قد ست بسملة، ولا مشاكلهم... انت لو

ضيعت جميلة مش هتلاقي ربعها دي كتيرة أوي عليك !

رد أحمد بصوت حاد:

=انتي بتقللي مني ليه يا ماما؟ مانا الحمدلله بقيت آخذ مرتبات عالية، واشتريت شقة، وبقي عندي عربية

تمليك ده غير إن أنا مؤهل عالي... ده أنا، وهايدي الوحيديين فيكم اللي معانا كليات !

نطق أم الديب بنبرة جلفة:

_ هو انت يوم ما تتشطر ياخويا تتشطر على اللي جابوك؟ ثم إن يا ولا كل دهو برضة ميحيش حاجة في

اللي عندهم...يا ولا ده عندهم فلل، وقصور في كل حنة ده غير الشركات، والعربيات، والحرس اللي

برا، وجوا، ولا الخدامين اللي عندهم .

تحدث المعلم حنفي بقلق:

=ربنا يستر زمان الحريقة بدأت .

صرخت أم الديب في وجهه، كلماتها كانت كالصاعقة الرعدية تنفجر في الهواء:

_ ايهي قصدك ايه يا رجل انت؟

أجاب المعلم حنفي برهبة:

=ولا حاجة.

في الغرفة، كانت هايدي جالسة على سريرها، تتأمل في الظلام الذي يغمر الزوايا وتجلد ذاتها بكل ما

تسببت فيه من مشاكل لأخيها وزوجته، تتداعى أفكارها التي سببت لها همومًا عميقة تحتقر فيها نفسها،

مُرَدِّدة كلماتها بحزنٍ واسع، كمن يحاول استيعاب الأسى الذي خلفته تلك الأفعال الخاطئة:

_ عملتلهم مشاكل كتير أوي... ما كان كله عايش، ومبسوط ايه اللي خلاني اتجننت؟ وبعدين ده مش حب،

ده إعجاب، والإعجاب حاجة، والحب حاجة تانية... الإعجاب مجرد انبهار بشكل أو شخصية الطرف

التاني إنما الحب عشرة، ومواقف كتير حلوة، ومواقف صعبة، وضغوطات، وتضحية، ومليون حاجة

في بعض... أنا عمري ما مريت بأي حاجة من دي مع علاء الدين، وده اللي مخليني متأكدة إنه إعجاب،

وبس!

بينما في الصالة تلفظت أم الديب بفضول:

=مجيبنتش سوليا معاك ليه؟

رد أحمد بنبرة حزينة، ووجه يملؤه التعاسة:

_ مكنش في مزاج يا ماما، وبعدين هو أنا جاي أنفسح؟

نطق المعلم حنفي بتمني:

أم الديب الجزء الثاني

=دي لو كانت جات كان زمانها فرحت أوي بولاد عمها جلال، وعمتهم نعمة، ولعبوا مع بعض أصل البت زمانها حاسة بوحده اكمنا لواحدها.. لكن العيال هنا كل يوم ينزلوا لستهم، ويلعبوا مع بعض .
تحدثت أم الديب بتطفل، تنساب كلماتها بحذر كأنها تبحث عن أصغر التفاصيل في حياة الآخرين:
_وجميلة مش عاوزة تخاوي سوليا ولا ايه؟

رد المعلم حنفي بدهشة:

=تخاويها ايه يا ولية هي البعيدة مفيش فهم؟ يا ولية مانتى عارفة إن بسبب هايدي بتك عاملة مشاكل هما في ايه ولا ايه؟

تلفظت أم الديب بنبرة عنيفة:

_جرا ايه يا راجل انت بتترد ليه ياللي جاك ضربه في مصارينك هو آني بكلم ابني، ولا بكلمك انت؟
بتحشر نفسك في اللي ملكش فيه ليه؟

أجاب المعلم حنفي بامتعاض:

=طلاق تلاتة، ووقتي يا ولية إن ما عدلتى لسانك لا على بيت أمك عدل، وعلى الله أشوف وشك، ولا وشها !

دخل جلال وسط هذا النزاع، ومعه اثنان من الرجال الذين تألقت أزيأؤهم بلمعة السيادة، كأنهما رمز للنجاة المنتظرة في زمن الفوضى. وجه جلال كان ينبعث منه الهدوء، وعيناه تلمعان ببريق يوحي بالاستعداد لحل الخلافات، فقال لهم بصوت يتسم بالسلطة:
_خش يا عمهم يا أهلاً، وسهلاً .

نهض المعلم حنفي بسرعة، وقال بدهشة:

=مين دول يااض؟

دخل الرجال إلى المنزل بخطوات ثابتة، وكانت أبصارهم تجوب كل زاوية بحذر متقدمين في مشهد ينطوي على الغموض، فقال جلال بأسلوب يعبق بالقوة:

_ده عريس هايدي .

خرجت هايدي من غرفتها بعد أن سمعت ما جرى، وقلبها ينتفض غيضاً كالبركان المتفجر، حيث اندلعت بصراخ:

=انت بتقول ايه؟

رد جلال، وهو يحاول إقناعها بذلك العريس بكلمات بسيطة، وصريحة، تعبر عن إيمانه بأن هذا العريس يمكن أن يكون شريكاً موثقاً، ومناسباً لها:

_عريسك ممدوح عنده ٣٢ سنة بس إنما ايه ناس مبسوطين، وزى الفل عندهم مصنع، وعاشيين في فيلا، وحواليها أراضي زراعية بتاعتهم برضة...مش بقولك أغنيا؟

صرخت هايدي بصوت عالٍ، قائلة باعتراض:

=وأنا مش هتجوز...مش هتجوز!

دخلت هايدي غرفتها وصكت الباب في وجوههم، وفوق أحمد بوجه عابس، وعينيه ينبعث منها حرارة الانفعال:

_ايه يا جلال اللي بتعمله ده؟

نطق المعلم حنفي بصدمة:

=عريس ايه يااض؟

أم الديب الجزء الثاني

صاحت أم الديب بصوت غليظ:

_ ايهي خد الرجالة اللي معاك، وشقوا طريقكم بدل ما أشق دماغك انت وهما!

صرخ جلال بصوت يدوي في الهواء، كأنه صدى لانفجار سخط دفين:

=جرا ايه ياما انتي شايفاني راس كرنبه؟ ده الراجل جاهز، وشاري هايدي .

خرجت هايدي من غرفتها، وقالت بنواح:

_ اطلع برا مش عايزة أتجوز... مش عايزة بقولكم!

نطق جلال بجلبية:

=أقعدني يا بت أنا قولت كلمة، وتتسمع!

اقتربت أم الديب من جلال، وصاحت به بصوت مرتفع: ِ

_ كلمتك دي تبليها، وتشرب مايتها يا ولا...يلا خد الرجالة اللي معاك، والسكة اللي تودي .

وطأت أم الديب الرجلين بضربات موجعة، وأزاحتهم أمامها كالزوابع الجارفة تتلاطم في مسارها، حتى

خرج الجميع من الشقة باضطراب. وعندما وصلت إلى الباب، صكته بقسوة لتُغلقه بوجههم بلا رحمة،

مما أثار دهشة المعلم حنفي الذي وقف ينظر حوله بتعجب، وقال بصوت مليء بالدهشة:

=هو الواد فاكربي مت ولا ايه؟

مرت الأيام حتى وصلت إلى يوم حفل خطبة قمر الدين، وبما أن أم قمر الدين تفقه في الأصول جيدًا،

دعت عائلة أم الديب إلى ذلك الحفل. لكن، نظرًا لسوء الظروف التي ألمت ببقية العائلة، اكتفت أم الديب

بالحضور مع أحمد فقط. وبعد أن نزلت جميلة بابنتها من المنزل وركبوا السيارة، كانت سيليا تلاحظ

غياب والدها المستمر الذي كان يعد رمزًا للقوة في حياتها، فتكلمت بحزن عميق، كأنها تنطق بأسرار

الحنين، والألم المكبوتين في قلبها:

_مامي !

ردت جميلة بلطف:

=نعم؟

تساءلت سيليا بتأثر، وعيناها تعبران عن الحيرة، وهي تبحث عن إجابات على أسئلة حاضرة محيرة:

_ليه بابي مش معنا هنا؟

ردت جميلة بابتسامة، وهي تُدير ماتور السيارة:

=معلش يا حبيبتني عنده شغل، ومسافر برا، ولما يخلص هيرجع .

تفوهت سيليا بلهفة:

_يعني بابي هيرجع قريب؟

أجابت جميلة بابتسامة متفائلة، وهي تقود السيارة، ووجهها ينبعث منه بريق الثقة، معبرة عن استعدادها

لمواجهة التحديات بكل إيمان بالمستقبل المشرق:

=أكيد يا روعي .

بعد مرور عشر دقائق، وصلت جميلة، وسيليا إلى الحفل، وكانت المناسبة ضخمة، ومضيئة بحضور

أناس من ذوي المستويات الرفيعة، يرتدون أرقى الثياب ويحملون أغلى الهواتف، والساعات الذكية، مما

أضفى على الجو بهجة وتألّفًا لافتًا. كانت الموسيقى الأجنبية الهادئة تعزف في الخلفية، فامتألت الأجواء

بالضحكات، والحديث بين الضيوف المتباينين في همماتهم وتفاعلاتهم، مما جعل الحفل ينبض بالحياة

أم الديب الجزء الثاني

والنشاط. وعندما رأت أم قمر الدين ابنتها وحفيدتها وهما يقتربان من بعيد، ابتسمت بسعادة غامرة تتدفق من قلبها، فقالت بصوتٍ يمتزج فيه الحنين، والبهجة، ينطق بنفاؤها بالمستقبل:
_حياتي تعالي .

عانقت جميلة والدتها بحنان، وفي عبير اللحظة الرائعة، قالت بصوتٍ ينبض بالمحبة:
=ألف ميروك يا مامي عقبال ماتجوزي منى، ونالا .

ردت أم قمر الدين بسعادة:

_الله يبارك فيكي يا روعي، ازيك يا روح نانا؟

عانقت سيليا جدتها بحنان، وفي لحظة الاحتفال، والفرح، قالت بسعادة طفولية متألئة:
=ازيك انتي يا نانا بسملة؟

ردت أم قمر الدين ببهجة غامرة:

_بخير يا روعي طول مانتي بخير .

جاءت نرمين وعانقت جميلة بحميمية، وقالت بابتسامة ودية:

=وحناني موت !

أجابت جميلة ببشاشة:

_وانتي أكثر !

تعجبت نرمين من غياب أحمد. فكانت تلوح بيدها تعبيرًا عن رغبتها لمعرفة عذره، وبينما تبتسم بلطف، قالت بصوتٍ ينطلق من بين شفثيها كنغمة من الاهتمام:

=جوزك مجاش ليه؟

كانت جميلة في حيرة ما بين أن تقول الحقيقة التي تثقل كاهلها بالأسى، أم أن تخفيها في أعماقها، مرتعبة من تداعيات إفشاء تلك الحقيقة المخفية على الآخرين. لكنها بينما تعصف بها دوامات التفكير، قررت أخيرًا أن تنطق بالكلمات الجريئة، وتقول بصوت هامس يرتجف من التردد:

_مسافر في شغل مهم .

ردت نرمين بود:

=يرجعلكم بألف سلامة .

تفوهت جميلة بابتسامة:

_الله يسلمك .

عانقت نرمين سيليا بحنان، وفي تلك اللحظة الدافئة، قالت أم قمر الدين بحماس ملؤه التشوق:

=زمان العريس وصل، بجد متحمسة لليوم ده من زمان أوي .

تحدثت نرمين بسعادة:

_كلنا يا مامي كان نفسنا نشوف قمر الدين وهو عريس .

عانقت سامية والدتها بغرام، وفي تلك اللحظة المميزة، قالت بفرحة مفعمة:

=أبوة بقي كبرنا، وبقينا .groom's mother.

ضحكت أم قمر الدين، وقالت بذهول:

_كده يا سامية بقي أنا كبرت؟

ضحكت سامية بفكاهة، وكأنها نقشت لوحة بالضحك، وقالت:

=بهزر يا ماما مبتهز ريش؟

أم الديب الجزء الثاني

ضحك الجميع بفرح، ثم ذهبوا سوياً إلى الطاولة وجلسوا، وبعد نصف ساعة وصل العريس والعروس إلى الحفل في جو ممتلئ بزغاريد النساء وهتاف الحضور. كانت تلك اللحظة التي انتظرتها أم قمر الدين لسنوات طويلة، فكان قلبها يهتف بالسرور لمجرد رؤية ابنها الأكبر وهو يرتدي البدل ويمسك بيد عروسته الخلاب، والابتسامة تغمر وجوههم. بعد أن جلس العريس والعروس على الكوشة، ذهبت والدته وأخواته ليعانقوه، ويصافحوه، وقالت جميلة بسعادة بالغة:

_مبروك يا قمر الدين... مبروك يا سارة.

رد قمر الدين، وسارة في آنٍ واحد:

=الله يبارك فيكي.

تحدثت أم قمر الدين بسعادة غامرة، وقد حَلَّتْ أفراحها كأنها ألفت لحناً من السعادة، وهي تعانق سارة بقلب ينبض بالفرح المتوهج:

_ماشاء الله عروستك زي القمر.

ردت سارة بسعادة لا توصف، وهي تقبل خدّ والدتها بإحسان ينبع من أعماق القلب:

=ميرسي يا حياتي انتي اللي قمر .

عاد الجميع لأماكنهم بعد أن صافحوا العريس والعروس، فكانت جميلة تقف مع والدتها، والسعادة تغمر شفثاهم بهذه المناسبة البديعة. وفجأة، تفاجأت جميلة بدخول أم الديب وأحمد لحفل الخطبة، فلم تكن تعلم أنهم تلقوا دعوة من والدتها، فأصابتها الصدمة، وانتابها الارتباك. ووسط الحاضرين، كانت أم الديب تسير بينهم، وهي تزغرد قائلة:

_يا ألف مبروك عقبال ياختي ما تجوزي باقية عيالك، وتشيلي أحفادك .

ردت أم قمر الدين ببهجة، وهي تعانقها:

=ميرسي يا أم الديب .

ثم نظرت لأحمد، وواصلت بلطف:

=هاي أحمد ازيك؟

مدّ أحمد يده وصافح والده زوجته باحترام، وقال بابتسامة تعيق بالود:

_ازيك يا طنط بسملة؟

أجابت أم قمر الدين بتبسم:

=أنا كويسة...اتفضلوا .

تحدثت جميلة بصوت خافت معبرة عن دهشتها:

_ايه ده؟

جرت سيليا بسرعة متناغمة نحو والدها، وصدحت بصوت ينبع من أعماق العشق:

=بابي...بابي...بابي!

عانق أحمد ابنته وقبّلها من وجنتيها، أما أم قمر الدين فقالت لابنتها بصوت خافتٍ، تعبر عن الأصول الواجبة:

_مينف عش يا جميلة كان لازم نعزمهم .

ردت جميلة بتعجب:

=بس انتي مقولتيش .

اقتربت أم الديب من جميلة، وهي تعبر عن نيتها لعناقها، وقالت بحنان:

أم الديب الجزء الثاني

_ ايهي مش تيجي تسلمي على حماتك؟

ردت جميلة باشمنزاز:

=ازيك يا طنط بسمه؟

حاولت أم الديب عناق جميلة، لكنها ابتعدت بحذر، واكتفت بلامسة وجهها من بعيد، حيث رسمت لمحة من التقزز على محياها. فقالت أم الديب بسعادة مفعمة بالرضا:

_ نحمد، ونشكر ربنا .

تحدثت أم قمر الدين باحترام شديد، حيث انبثقت كلماتها كأنغام هادئة، تعبر عن وجدانها بأعذب العبارات:

=هسيبكم مع بعض .

ثم تشبثت بيد سيليا، وأردفت لها:

=تعالى يا سيليا نسلم على خالو .

غادرت أم قمر الدين المكان برفقة حفيدتها، واتجهوا إلى مقعد قمر الدين، حيث امتزجت الذكريات بالأمل في أيام قادمة مشرقة. نظرت أم الديب حولها، كأنها تبحث عن شيء ما مجهول، متسائلة عن شيء ربما يخفي الكثير من الأسرار التي قد تكون في انتظارها:

_ هو دار الراحة فين؟

أجابت جميلة بفضول:

=يعنى ايه؟

ردت أم الديب، وهي تجز على أسنانها، وتتألم بشدة، حيث انعكست ملامح الازدراء على وجهها:

_ الكوبانية .

تفوهت جميلة بتقزز:

=كوبانية ايه يا طنط؟

أشار أحمد بيده نحو المرحاض، وقال بإحراج:

_ الحمام هناك أهو .

ردت أم الديب، وهي تتألم:

=معلش يا عيال أصل أنى محصورة من ساعتها، وقولت لجوزك يوقفنا في أي حطة أفك زنقتي بس مرضاش .

نطق أحمد بكلمات تعبر عن إحساسه بالإحراج، حيث انتابته ملامح الخجل، وكأنه حاول أن يخفي تلك الأحاسيس خلف بسمه ملتوية:

_ طيب روجي يا ماما قبل ما حد تانى يروح!

تحدثت جميلة بابتسامة:

=طيب هستأذن أنا .

أتجهت أم الديب إلى المرحاض، بينما ذهبت جميلة لتلتقي بأخواتها، متجنبة التعامل مع زوجها بعد الموقف الأخير الذي حدث بينهما، حيث كانت يغمرها الاستياء. لقد تركهم دون أن يسأل عنهم لمدة يومين، دون أن يعرض عليهم أي خدمة، مما جعلها تشعر بأن جرح مشاعرهما لم يكن صعبًا عليه. ومع ذلك، شعر بالندم على تصرفه، وكان بداخله النية الصادقة لإصلاح ما أفسده. في غرفة المرحاض،

أم الديب الجزء الثاني

كانت أم الديب تبحث عن القاعدة البلدي، ومن شدة فقدان صبرها، صرخت بصوت مليء بالتألم، وقالت:

_ هو السوفون اللي بيشدوا بيه الماية فين؟ لا بقولكم ايه أني على أخري، وشوية وهفجرلكم المكان .
خرجت أم الديب من المرحاض بعد أن أنهت مهمتها بأعجوبة، فوجدت نرمين واقفة إزاءها، تبتسم بابتسامة تنطق بالود، حيث بادرت نرمين لتقول بلطف:
=هاي يا طنط، عاملة ايه؟
نطقت أم الديب بتبجيل:
_ ازيك يا نرمين؟

حينما نظرت أم الديب، لاحظت أن حجم بطنها كان أكبر من المعتاد، فأردفت بدهشة:
_ ايه ده ياختي اسم الله عليك مال بطنك عندك انتفاخ ولا ايه؟
ضحكت نرمين، وهي تلاحق أنفاسها، قائلة بين ضحكات الصافية، والمرحة:
=لا خالص يا طنط، ده أنا هجيب بيبي قريب إن شاء الله .
ردت أم الديب بسخرية:

_ ماتقولي عيل، وبعدين محدش قالنا ليه، ومالكم زي النافورة اللي اتفتحت، وشغالين واحدة ورا الثانية... دي تولد من هنا هو الثانية تحمل من هنا هو .
وضعت نرمين يدها برقة فوق بطنها، وهي تتألم، وخرج صوت منها يعبر عن ألمها الشديد، كأنها تحاول تهدئة نفسها في الوقت نفسه:
=أه بطني!

انفزعت أم الديب في الحال، واقتربت منها بحذر، قائلة بترقب:
_ ألف سلامة يا ست نرمين... ارتاحي طب .
ردت نرمين، وهي تتألم بكلمات بسيطة تعبر عن مدى شدة الألم الذي تعاني منه:
=مانا كنت كويسة .
دخلت سامية المرحاض ولاحظت تعب أختها، فقالت بخوف ملتصق بصوتها:
_ مالك يا نرمين؟

نطقت نرمين بإرهاق:
=في عين رشقت فيا تعبتني أوي .
تشبثت سامية بيد أختها برفق، وخرجوا من المرحاض وهم يمشون بجانب بعضهم البعض. فقالت أم الديب بتعجب، وهي تحاول فهم مقصدها، بينما كانت تحاول قراءة ملامح وجهها المشدودة:
_ مش يمكن قصدها إن أني عيني وحشة؟
ها قد جاءت لحظة تبادل ارتداء خواتم العروسين، وكان الحاضرون مجتمعين حولهم، كل وجه يعبر عن ترقب لهذه اللحظة الحاسمة. أمسك قمر الدين بيد عروسته بأنامل مغمورة بالحنان، وببراعة أدخل الخاتم في إصبعها، فانطلقت زغاريد النساء كفراشات مهاجرة نحو النور، تعبيراً عن الفرحة العارمة التي انتابتهم. ثم أمسكت العروس بيد قمر الدين، وقامت بنفس الفعل، مكملةً لمسلسل الحب، والتآلف الذي يخيم على هذه اللحظات العظيمة، وبعد أن انتهوا من ارتداء الخواتم وتمت عملية التبادل بكل شرف، ورسمية، عانقهم الحاضرون بما فيهم أخواتهم، كل منهم يعبر عن سعادته، واحتفاله بهذه اللحظة

أم الديب الجزء الثاني

الفريدة. فقالت نالا بسعادة غامرة، بينما تتساقط الورود من حولهم كأنها تحتفل بما يحدث في هذا الزمان المبارك:

=مبروك يا روح أختك .

رد قمر الدين بسرور:

_الله يبارك فيكي يا نالا، وعقبالك .

في الوقت الذي كانت جميلة تشاهد هذا الحدث العظيم، وقف أحمد جانبها، حيث كانت المشاعر تتقاطع في دواخلهما، والكلمات تبحث عن مخرج للتعبير عن ما يدور في أعماقهما. كانت نظراتهما تتبادل مع الحكايات الصامتة. بينما أحمد كان يتردد في البدء بحديثه معها، نطق بنبرة هادئة تعكس توتره الخفي، وحرصه على تقديم كلماته بأبجديات الاعتذار:

=جميلة أنا راجعت نفسي، واكتشفت إن اللي قولته مش صح و

بترت جميلة حديثه في الحال، وقالت بقلّة نوق بينما تتقاطع الأفكار في عقلها، كأنها تبحث عن طريقة للفرار:

_بليز مش وقت الكلام ده !

تتنح أحمد بصوته، وهو محرج من زوجته، وقبل أن يتحدث بكلمة جديدة، وقف علاء الدين حياهم من بعيد، محملاً في قبضته مسدساً. دون سابق إنذار، أطلق النار، وبدلاً من أن تصيب أحمد، أصابت الرصاصة جميلة، فسقطت مصابة، تصرخ بينما تنغمر الدماء من جسدها الهزيل. في لحظات، توقفت الموسيقى المبهجة، والحاضرون التفتوا جميعاً نحو صراخها المؤلم. جرى نحوها باقي أفراد عائلتها، وهم يصرخون بالفزع. قالت جميلة بصراخ ينبع من عمق الألم:

_آه .

صرخت أم قمر الدين بصوت يملأ الفضاء، معبرةً عن فزعها:

=جميلة!

صاح باسم، وقد احتضن يد ابنته بقوة، كأنما يناجي القدر ليمنحها لحظة أخرى بالحياة:

_جميلة!

صرخ أخوات جميلة بصراخٍ مُنهكٍ، وجلس باسم على الأرض، يتشبث في جسد ابنته بينما يندفع الإعوال القهري من حنجرته، وفيما أمامهم يقف أحمد مصدوماً لا ينطق حرفاً، ولا يستوعب ما حدث لزوجته، وبعد دقائق، كانت العائلة بأكملها في المستشفى إزاء باب غرفة العمليات، في انتظار جميلة، فكانت أم قمر الدين، بلا وعي، تُرسي لها حزناً، وصراخاً مُتكديساً، وبكاءً مستمراً، وحولها بناتها يبكين ويحاولن مواساتها، وفي لحظة من الضعف، همست بصراخ مكسور، تستنجد بزوجها:

=بنتي يا باسم... بنتي هاتوها... بنتي... منك الله يا علاء الدين... منك الله ضيعت أختك... بنتي هتروح من ايدي... بنتي جميلة... آه!

نطق قمر الدين بصياح:

_ابنك ده لازم يتربى من أول وجديد، وأنا مش هسيبه إلا لما أعرف مكانه فين، وليه عمل كده!

تحدث باسم في هاتفه بصياح متوتر، يعبر عن مشاعر القلق، حيث ترنحت الكلمات على لسانه كالأمواج المتلاطمة في بحر من الضياع:

=تطلعولي علاء الدين من تحت الأرض... لو مجاش النهاردة أنا هرفدكم كلكم، وملكوش شغل عندي

تاني فاهمين؟

أم الديب الجزء الثاني

نطقت سامية، وهي في حالة صدمة عميقة، بكلمات متقطعة تنبع من داخلها نبضات قلبٌ متسارعة، حيث اهتز صوتها بينما تحاول التعبير عن التفاجؤ الشديد الذي ألمّ بهم:
_ أكيد علاء الدين اتجنن... ازاي هان عليه يعمل حاجة زي دي؟ وعلشان ايه؟
ردت نرمين بانتحاب:

=يارب، ايه اللي بيحصلنا ده بس؟
صرخت أم قمر الدين، وهي تخطب يدها على صدرها بقوة، تعبيرًا عن الألم، وصراخها ينطلق كالرعد في ليل مظلم:
_ بنتي جميلة... آه يا بنتي... آه !

عانقت منى والدتها بحنان، وفي عينيها بريق من الدموع، وقالت بصوت مكسور بالبكاء:
=حاولي تهدي أعصابك يا مامي!
سيليا، الطفلة التي لا تفهم شيئًا من هذا الضجيج العاصف، كانت تشبه الأصم في حفل زفاف مزدحم، حيث لا تستطيع فهم أو تفسير الأحداث المحيطة بها. تنظر إلى والدها وهو يتألم، وتشعر بالفزع مما يحدث لوالدتها جميلة. فاقتربت منه، وتشبثت ببنطاله بينما تقول بصوت هامس ممزوج بالجوى:
_ مامي حصلها ايه؟ مامي ماتت؟ أنا مش هقدر أعيش من غيرها، أنا بحبها أوي !
وإزداد بكاء سيليا، فأثني أحمد ركبتيه وجلس عليهما، وعانق ابنته بحنان، ومرر يده بلطف على رأسها، وقال بنبرة مستاءة:
=بعد الشر، متقوليش عليها كده !
تلفظت سيليا ببكاء:

_ خلي جدو يجييلي مامي .
بعد أن نزلت دموع أحمد حزنًا على زوجته، وعانق ابنته بقلق يملأ صدره، حاول أن يطمئنهما. لم يكن يعرف ما هي نهاية جميلة داخل هذا المبنى المرعب، الذي يبدو كأنه يحمل بين جنباته الحياة والموت، وكان يخشى بشدة فقدانها، وهي تنزف داخل الغرفة. شاجنها منه، تاركة لهما وحيدان في هذه المحنة. كان يتمنى لو يستطيع إعادة الزمن للوراء، ليعيد النظر في كل ما حدث والتفكير في خلافهم، فكان يعتبر نفسه على خطأ، لكنه تيقن بأنه قد أضل. ولم يكن يريد أن يشعر لوهلة واحدة أن حزن زوجته كان السبب في كل ما حدث. وبعد مرور نصف ساعة طويلة، خرج الطبيب أخيرًا من غرفة العمليات، وعندما رآته العائلة، فروا نحوه مُسرعين، وكانت أم قمر الدين تتأوه بخوفٍ جسيم، وهي تستنجد به بترقب:

=بنتي مالها؟

رد الطبيب بأمل:

_ الحمدلله بفضل الله لحقناها، ومتقلقوش الجنين بخير .

نطق الجميع في آنٍ واحد بصدمة:

=جميلة حامل؟

أجاب الطبيب بتأكيد:

_ طبعًا بس محتاجة راحة لأن الجرح كان عميق .

رد باسم براحة قلب، وطمأنينة متناسقة قائلًا:

=الحمدلله...متشكر يا دكتور .

أم الديب الجزء الثاني

تلفظ الطبيب بابتسامة خافتة:

_حمدالله على السلامة .

ضمت أم قمر الدين أيديها إلى صدرها، ونظرت إلى السماء بعيون تنم عن فرحة عميقة، وكأنما كانت تتوسل للسماء بأن تظل مشاعرها العظيمة آمنة، وهي تقول بفرحة:
=الحمدلله يارب .

رد باسم بنية الإنتقام:

_ابنك لازم يتعاقب عقاب كبير على اللي عمله!

بعد خروج الممرضين بجميلة من غرفة العمليات ونقلها إلى غرفتها، وبينما خلفها بقية العائلة، اقترب أحمد بخطوات هادئة ومتعثرة من إحدى الممرضات الذين تركوا الغرفة، وألقى بنظرة متوترة، يحاول تماسك أعصابه، وقد تدفقت الأفكار في عقله كالأمواج في عاصفة ليلية، لينطق بتساؤله المرتجف:
=لو سمحتي أنا عايز أدخل !
اعترضت الممرضة، وقالت برفض:
_مينفعش يا فندم...الحالة محتاجة راحة، وأقل حاجة هتأذيها .

نطق أحمد بإلحاح:

=معلش أنا مش هطول، وصدقيني مش هتأذي في أي حاجة !

تفوهت الممرضة برفض قاطع، مما جعل القلق يتعاظم في قلب أحمد، فقد تعجب من تلك الردة:
_صدقني يا فندم مينفعش .

رد أحمد بإصرار:

=أرجوكي ساعديني، أنا محتاج أطمئن!

وبعد تفكير من الممرضة، قالت بتردد:

_طيب متطولش من فضلك كل ده خطر عليا !

نطق أحمد بلهفة، وتسلفت كلماته خارج حدود الزمان والمكان، تحمل عباراته القلق المتناغم مع نبضات قلبه المُتسارعة:

=متفلقيش .

دخل أحمد، وأم قمر الدين، وسامية إلى غرفة جميلة بعد أن فاقت من العملية الجراحية، فوجدتهم يجلسون على الأريكة أمامها، وهي مستلقية على السرير بينما زوجها يجلس بجانبها، يشبك يده في يدها بتعبير من التضامن، والدعم العميق. وفي تلك اللحظة المؤثرة، نطقت أم قمر الدين ببكاء هامس يعكس الحب الصادق التي تشعر به تجاه حالة جميلة العليّة:

_حمدالله على سلامتك يا روح مامي .

قالت سامية بتأثر:

=شدي حيلك يا جميلة علشان ترجعي لبيتك، وولادك .

ردت جميلة بصوت خافت، تعبيرًا عن الاستغراب من حديثها، محاولةً استيعاب ما يحدث في زمن الانكسار، والتعب:

_ولادي؟

قَبَل أحمد يد جميلة بحُب، وقال بابتسامة:

أم الديب الجزء الثاني

=مبروك يا جميلة .

ردت جميلة بتعجب، وهمس الألم يتراقص على أطراف كلماتها:

_مبروك؟ مبروك على ايه؟

جففت أم قمر الدين دموعها، وصوتها يتمزق بين حبات البكاء، كأنها تحاول استعادة هدوءها في عتمة

الحسرة، وقالت ببكاء مؤثر يكشف عن سعادتها المكنونة:

=هتبقى مامي لتاني مرة !

ثم ضحكت، وتماسكت، وواصلت بصوت منقطع وملء بالعواطف المتناقضة:

=كده عندنا اتنين محتاجين اهتمام، ورعاية... شدي حيلك انتي، وأختك عايزين نفرح بيكم .

تلفظت جميلة بانتحاب، وهي مندهشة:

_بجد يا مامي؟

أجابت أم قمر الدين بسرور:

=طبعا يا روح مامي...جه اليوم اللي أشوفك فيه أم لطفلين.... عمري ما هنسى انتي، وأخواتك لما كنتوا

صغيرين وبتجروا حواليا...فاكرة لما كنتي دايمًا بتتخانقي مع منى، ونالا؟

ضحكت سامية بابتسامة ينبعث منها الدفء:

_وأنا اللي كنت بصالحكم على بعض !

دخلت سيليا الغرفة، ويدها متشابكة بيد قمر الدين كالأفق الذي يجمع بين الأرواح المترابطة:

=مامي، مامي هو بجد انتي هتجيبيلي أخ؟

ضحك أحمد، وقال ببهجة:

_ايه رأيك إنك انتي اللي هتسميه على مزاجك؟

ضحكت سيليا بابتسامة تنبعث منها السعادة، ونطقت:

=هيبه، أنا هختار اسم جميل أوي يا بابي .

ضحكت سامية بابتسامة تملؤها الحيوية، وتفوهت بكلمات مشبعة بالنتيم:

_وهو في حاجة في الدنيا أحلي منك يا سيليا؟

غادر قمر الدين المستشفى، واتجه نحو باسم بعد أن استدعى الحراس علاء الدين وربطوه في إحدى

العمدان الموجودة بالمبنى المهجور، ولأن باسم رجل قوي الشخصية وعادل لا يقبل الظلم، قرر أن يلحق

ابنه درسًا لن ينساه طوال حياته، فوقف أمام ابنه، حيث بدأ بنبرة حادة تنبعث منها صراحة الأب الذي

يحمل في قلبه خيبات، وألم الخيانة:

=عندك حل من الاتنين يا تتربط هنا شهرين تلاتة، وأعاملك معاملة الكلاب، إيما أسلمك للشرطة،

وتأخذلك كام سنة سجن... ما هو أصل ده شروع في قتل!

صرخ علاء الدين قائلًا بهلع:

_بقي تعمل كده في ابنك علشان شوية ناس زبالة؟ مش ده اللي انت كنت رافضه زمان؟ دلوقتي بقي

حبيبك، وبتيجي على اللي منك علشانه؟

رد باسم بصياح:

أم الديب الجزء الثاني

=جوز أختك مأناش في حاجة، ولا عمره طلعت منه العيبة.. سبع سنين مشوفناش منه غلطة لكن الدور ، والباقي على اللي أنا معرفتش أربييه... مش كفاية إنك صايغ، وكل يومين بايت مع واحدة شكل؟ فاكروني غافل عن مصاييك؟

ثم ارتفعت نبرة صوته لدرجة كبيرة، وأردف بكلمات ينبعث منها امتعاض واضح:
=ده أنا عيني في وسط راسي كويس أوي، ومصصح لكل واحد فيكم... عايز تقتل جوز أختك ليه؟
علشان اعترض إنك تصاحب أخته؟ ما حقه بس شكل دلغ والدتك فيك هو اللي وصلنا لكل ده!
تأوه علاء الدين حينما وجد أنه ليس هناك جدوى من تعاطف والده معه، فكان يستعجبه في هذه اللحظة، حيث اعتاد دومًا من والده على المعاملة الطيبة والحنو، ولأول مرة يقسو عليه بهذه الدرجة الجارفة، وعلى وجهه بادرة من الاستفهام المتسائل عن سبب هذا التغير الكبير في سلوك والده، وفي هذا الوقت العصيب، أخذ يتأمل في معنى الحدث، وتأثيره العميق على علاقتهما، وهو يتلطف بتوسل:
_ طب فكني، وأوعدك مش هيحصل مني حاجة تاني!
تلفظ باسم بعجيج:

=ولا هيحصل... لو كنت غلطت زمان، ومعرفتش أربيك فأنا دلوقتي لازم أربيك، وكويس أوي... ذنبها ايه أختك؟ أختك كانت هتموت، كنت هتدمر أسرة علشان طيشك، وتخلفك .

كان قمر الدين يسمع كل شيء في صمت، فهو مؤيد بشدة رد فعل والده اتجاه أخيه الطائش، وعلى وجهه تعبير من الاستحسان الصامت، يعكس تفهمه العميق للظروف، والأسباب وراء هذا العقاب القاسي. وفي هذا السياق العاطفي، اندمجت الدموع في عيني علاء الدين، وبدأ ينطق بكلمات ممزوجة بالأسى:

_ فكني يا بابا ده أنا ابنك... حته منك!

نفوه باسم بموجدة:

=تتربى الأول، وبعدين هفكر .

غادر باسم، وخلفه البقية، فزاد صراخ علاء الدين بشدة، وهو يحاول بكل جهده فك قيده، كانت كلماته تتدفق مع كل ضربة تحاول فك الرباط المشدود حول يديه، حيث نطق بضجيج:

_ يا بابا، متسيينيش هنا... يا بابا !

في اليوم التالي، داخل غرفة المستشفى التي امتلأت بأجواء هادئة تملؤها رائحة الأدوية، وسكون المكان، كان أحمد مستغرماً في نوم عميق على الأريكة التي بدت كأنها ملاذ الوحيد من تعب الأيام، بينما ليلة أمس عادت سيليا برفقة خالاتها إلى منزل جدتها أم قمر الدين حيث دفء العائلة، وذكريات الطفولة. دخلت الممرضة بعد أن طرقت الباب برفق وكأنها تحاول ألا تزعج من في الداخل، حاملة صينية الطعام التي تحتوي على وجبة صحية مُعدة بعناية، اتجهت بخطواتها الواثقة نحو سرير جميلة التي كانت مستلقية بسلام، ووضعت الصينية بعناية على الطاولة المجاورة لسريرها، ثم قالت بنبرة هادئة مملوءة بالعطف، وكأنها تواسي جميلة، وتطمئننها في آن واحد:

=الأكل .

نهض أحمد من على الأريكة بخفة، محاولاً ألا يصدر أي ضجيج قد يزعج زوجته، واقترب ببطء من سرير جميلة، حيث كانت تتأمل السقف بعيون مليئة بالتساؤلات، ثم قال بصوت منخفض، وهادئ، يعبر عن مشاعر دفيئة ومشوبة بالاهتمام:

_ سيبيه أنا اللي هأكلها .

أم الديب الجزء الثاني

ردت الممرضة بتبجيل:

=انفضل .

بعد أن خرجت الممرضة من الغرفة وأوصدت الباب بهدوء، جلس أحمد بجانب زوجته الرقيقة على سريرها، وهو يحاول بعناية، وحب أن يطعمها الطعام، ولكنها أزاحت الطعام بيدها المتعبة، ونظرت إليه بعينين مرهقتين، وقالت بصوت خافت ينبض بالإرهاق:

_ لا لا مش هقدر .

قرب أحمد يده من فمها بلطف وهو يحمل الملعقة برفق، وقال بصوت حنون يتدفق منه الحب:
=طيب لو مش علشانك فعلشان البيبي...مينفعش نقعد كل ده من امبارح، ومن غير أكل...يلا يا جميلة
علشان خاطري!

نزلت دموع جميلة، وقالت باستياء:

_ أنا مش مصدقة إن علاء الدين يفكر بإذينا بالشكل ده!. معملش حساب ليا، ومفكرش إنه كان هيدمر
حياتنا!

رد أحمد بحصافة، وهدوء، وكان كلماته كانت تحمل الحكمة:

=علاء الدين من أول يوم شوفته عرفت إنه مش متحمل أي مسؤولية. هو كل اللي يهمله ازاي يستمتع
بحياته حتى لو على حساب غيره .

تفوهت جميلة بجوى:

_ أكيد بابي مسكتش...أكيد حبسه...أنا عارفة بابي كويس مستحيل يظلم حد...مامي دايمًا كانت مدلعة
علاء الدين، وتبديله كل حاجة من غير حساب غير قمر الدين خالص .
ثم تنهدت، وأردفت:

_ تعرف كان نفسي علاء الدين يكون زي قمر الدين !

طُرق الباب برفق، وفي تلك اللحظة، انفتح ليكشفوا عن دخول قمر الدين، ووالدته، وأخته سامية، وسيليا
حاملين بين أيديهم علبة الحلوى التي تملأ الغرفة برائحة السكر، والفانيليا. تقدم قمر الدين بخطوات
واثقة، وابتسامة عريضة على وجهه، وقال وهو يضحك بصوت مليء بالمرح:
=أنا سمعت حاجة فيها قمر الدين كنتوا بتتكلموا عني صح؟

ضحك أحمد من قلبه، وقال بابتسامة مشرقة:

_ احنا كنا جايبين سيرتك بالخير .

اقتربت أم قمر الدين من جميلة بخطوات ملؤها الحنان، وعانقتها بحرارة، ثم قبلت رأسها برفق، وقالت
بابتسامة دافئة:

=صباح الخير يا روعي...عاملة ايه دلوقتي؟

ردت جميلة بابتسامة:

_ الحمد لله يا حبيبي .

عانقت سامية جميلة بشدة، وقالت بصوت مليء بالحنان:

=ها شدي حيلك كده عايزينك أقوى من الأول، ومتقلقيش خالص علاء الدين بابا عمل معاه الصح،
وهيعاقبه عقاب شديد مكنش يتخيله !

أم الديب الجزء الثاني

في منزل أم الديب، كانت جالسة على سريرها في غرفتها المعتادة، وهي تتصل بأحمد بينما يخيم القلق على وجهها المتعب، مشدوهة بالخوف العميق على حالة جميلة، فقالت لنفسها بصوت مسموع، وبرهبة تنبض بالانتظار:

_يا ساتر يارب...يا مصيبيتي يأتي .

بعد أن استجاب أحمد للمكالمة، تحدثت أم الديب بصوت مغمور بالتوتر:
_مراتك عاملة ايه دلوقتي؟ حصلها حاجة؟ ماتطمنا ياخويا!

تلفظ أحمد بدهشة:

=وهو انتي مدياني فرصة أتكلم؟

خرج أحمد من غرفة جميلة، تاركًا إياها بين أيدي والدتها، وأخواتها في منزلية الاحتضان والدعم. ووقف وحيدًا في طريقة المستشفى، وهو يتنهد بحزن عميق يعكس حالة من التأمل، ومع ذلك، واصل حديثه بابتسامة خافتة تعكس التفاؤل المستمر:

=اتطمني جميلة بقيت أحسن، وعندي ليكي خبر حلو .

نطقت أم الديب بخوف:

_استرها يارب...اتكلم خبر ايه؟

رد أحمد بابتسامة واسعة، وهو يمرر أصابعه برقة في شعره، كأنه يحاول تهدئة نفسه:

=أحفادك كام؟

طغى الغباء على عقل أم الديب، وبسبب فهمها الخاطئ للوضع، ظنت أن ابنها يختبر ثقافتها ويستهزئ بها بسبب؛ كونها أمية، فانفجرت به باهتياج، محاولة الدفاع عن ذاتها، وإظهار قوتها أمام ما اعتبرتها إساءة واضحة:

_ايهي هو احنا في درس حساب ولا ايه؟ انت يا ولا بتصعبها عليا اكمني ست جاهلة؟ بقى بتعاير أمك بعد ما كبرتك؟ ده أبوك دفع دم قلبه عشان يعلمك، ويخليك تاخذ الشهادة الكبيرة تقوم تعاير أمك عشان عارفها مابنفهمش في الكلام دهو؟

خرج أحمد عن شعوره بعد أن أفسدت والدته هذه المفاجأة البهيجة، فقال بصوت مليء بالإحباط:

=ايه يا ماما كل ده؟ أنا بسألك سؤال عملتيلي مسلسل دراما!

نطقت أم الديب بانزعاج:

_ايهي أما انت عيل مش متربي، وناقص تربية...بقي يطلعك صوت يا ولا؟ أني واخدة بالي إنك بعد ما اتجوزت، وبقي صوتك يطلع ليه فاكر محدش اتجوز غيرك ولا ايه، و.....

بتر أحمد حديثها، وهو يشعر بالاختناق من ثرثرتها اللامتناهية، فانفجر بسخط، قائلاً بصوت حاد:

=يا ماما...يا ماما ارحميني!

نشب المعلم حنفي الهاتف بدلاً من زوجته، وقال بفضول:

_أمك ولية زنانة، ووجعتلي نفوخي...في ايه ياض طمنا؟

أجاب أحمد بابتسامة:

=هنتبقي جد لخامس مرة!

رد المعلم حنفي بغباء، بتعبير يعكس عدم فهمه الوضع أو بسبب نقص في التعبير:

أم الديب الجزء الثاني

_يا ألف بركة بس نعمة أختك مش ناوية على خلفه دلوقتي...ده الواد ابنها متعفرت كأن لابسه جنيه .
تلفظ أحمد بعصبية:

=أنا بتكلم على جميلة مش على نعمة أختي !
أمسكت هايدي الهاتف، وردت بدلاً من المعلم حنفي، محاولة إصلاح كل ما حدث لتخفف من النزاع
الذي طال جميلة وأحمد، متسلحة بالرغبة في استعادة هدوء الأمور وإنهاء الصورة الجريرة التي
انطبعت في عقولهما:
_أنا عارفة إنك مش عايز تسمع صوتي بس سامحني ده أنا أختك حبيبتك، وعارفة كل اللي حصل ده
بسببي بس، والله ماهيحصل ثاني أنا عقلت، وعرفت إن اللي عملته أكبر غلط .

رد أحمد بعتاب وهو يبدو متأثراً بالأحداث:
=انتي اتسببتلينا في مشاكل كثيرة يا هايدي...جميلة كانت هتروح مني بسببك انتي، والزبالة اللي مش
قادر أنطق اسمه!
نطقت هايدي بخوف:
_في حاجة حصلت ثاني، ولا ايه؟
تنهد أحمد، وقال بإرهاق:
=هحكيلك بعدين ده إن كنتي ناوية تعقلي!
ردت هايدي بحماس واضح في عينيها، وهي مليئة بالعزم أن الوقت قد حان للتغيير نحو الأفضل، قائلة
بنبرة مليئة بالأمل:
_لا ده أنا عقلت، وعقلت أوي كمان المهم بس متدخلش انت وجميلة في مشاكل ثاني، وطلعوا نفسكم برا
اللي حصل... انتوا حياتكم كانت هادية قبل مانا أعمل كل ده .
نطق أحمد بتأكيد:
=وعد يا هايدي إنك متتعاملش معاه ثاني؟

ردت هايدي بابتسامة:

_وعد .

تقوه أحمد بكلمات تحمل معها ابتسامة عريضة كأنها شمس مشرقة تنثر دفئها في الأرجاء:

=أبقي تعالي عندي ليكي خبر حلو .

نطقت هايدي بفضول:

_خبر ايه طمني؟

في المستشفى، كانت أم قمر الدين تجلس على الأريكة الموجودة في زاوية الغرفة، ودموعها تتساقط
على خديها كحبات المطر، وهي تمسك هاتفها المحمول بيد مرتجفة، تتحدث بصوت خافت مملوء
بالرجاء مع زوجها الذي كان على الطرف الآخر من الخط، متوسلة إليه بدموعها وأملها الأخير، أن
يمنح ابنهما فرصة أخيرة، قائلة بصوت مرتعش:

=لا يا باسم ده ابننا مينفعش نأذيه هو غلط غلطة كبيرة أنا عارفة بس في الأول، والآخر ده ابنك !

تلفظ باسم بانفعال:

_ابنك مش متربي يا هانم...ابنك كان هيضيع أخته، أنا مش فاهم هو ليه مطلعش زي قمر الدين؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم قمر الدين بتوسلٍ مغمور باليأس، ودموعها تنساب على وجهها، قائلة بصوتٍ متهدجٍ مليء بالرجاء:

= لا يا باسم أرجوك أوعى تاذيه... أنا مش هستحمل أشوف فيه حاجة وحشة... عاقبه بأي حاجة ثانية !
تلفظ باسم باستياء:

_وانتي فكرك إن أنا مرتاح، وأنا بعمل كل ده؟ أنا أب، وعارف قيمة الولاد، ويكون متحسر بس مغلوب على أمري...يا بسملة أنا لو معملتش كده يبقى هيجي يوم، ويحصل فيه الأسود من كده!
نطقت أم قمر الدين بحزنٍ عميق، وصوتها يشوبه الأسى، كأن كل كلمة تخرج من شفتيها تنقل قلبها المتقل بالأوجاع، قائلة:

=خرج علاء الدين، وخليه يعتذر لأخته، وجوزها، ويوعدنا إنه ميتهورش ثاني مهما حصل !

في شقة ليالي، كانت تجلس مع زوجها على الأريكة في الصالة المضيئة بضوء المصابيح الخافت، وهما يتحدثان بجدية بعد أن علموا بكل ما حدث مع أحمد، وجميلة، وكانت العيون تتبادل نظرات مليئة بالتعاطف، ثم تنهدت ليالي بعمق، وقالت بتأثر:

_يا حول الله يارب كله من هايدي لو ست هايدي مكنتش عرفت اللي ما يتسمى مكنش راح، وضرب نار على أحمد، وجميلة .

رد جلال بسخط:

=هايدي دي ناقصة رباية، ودايرة على حل شعرها، واللي أنا عملته فيها يوم المشكلة مكنش كفاية...أمي هي اللي لاغيه شخصيتنا، وعايزة تعمل راجل البيت ده حتى أبويا بيخاف منها .
تفوهت ليالي بدهاء:

_بصراحة يا جلال أختك متمردة أوي، وطول عمرها عايزة تعمل نفسها زي الناس بتوع مصر اللي دايرين على حل شعرهم .

تلفظ جلال بامتعاض:

=دي آخر فرصة ليها، وأنا بعد كده مش هسكت، وأنا يا أمي في البيت ده !
ردت ليالي بابتسامة مأكرة ترسم على شفتيها بينما عيناها تتلألآن ببريق من التخطيط، قائلة بنبرة تحمل في طياتها مزيجًا من الدهاء:

_عندك حق ده انت أخوهم الكبير، والأخ الكبير له كلمته، والمفروض كله يسمع كلامه بس أمك مابتحناش ياخويا، ومش طايقالي، ولا طايقالك نص كلمة .

نطق جلال بعصبية:

=هي أمي فإكراني عيل بشخه عدم اللا مؤاخذه ولا ايه؟
أرادت ليالي أن تشحن جلال ناحية والدته كي يتشاجر معها، ويسترجع جزءًا بسيطًا من حقوقها التي سلبتها وتعدت عليها، فقالت بدهاء:

_أه أمك شايفاك كده، والمفروض تاخذ موقف ياخويا .

بعد ربع ساعة من مشاحنة ليالي لزوجها بالأحاديث الثعبانية اللادغة، امتلأ جلال بجرعة الشجار، واستعد للمواجهة، نزل من الشقة، والسخط يتطاير من عينيه بسبب والدته المتسلطة، وفي تلك الأثناء، قالت أم الديب بسعادة غامرة وكأنها انتصرت في معركة صغيرة:

أم الديب الجزء الثاني

=مش تبارك لأخوك؟

رد جلال بتعجب:

_أباركله على ايه؟

أجابت أم الديب بسعادة:

=جميلة حيلة، والمرة دهني هتجيب الواد .

يتبع...

الفصل العاشر

تلفظ جلال بضغينة:

_بقولك ابيه ياما فكك من الحوارات دي، أنا هنا الكلمة كلمتي، وأتخن تخين ميقدرش يمشي كلامه عليا!
اقتربت أم الديب من جلال بخطوات سريعة، وصاحت به بصوت مرتفع مليء بالشكاسة، مستنكرة تصرفه، وملامحه الساخطة، محاولة إظهار سيطرتها المعتادة عليه، وعيناها تقفحان بالنيران، بينما تتابع كلماتها الهجومية:

=جرا ايه يابن الجزمة هو انت حد داسلك على طرف؟

رد جلال بامتعاض جارف، وعيناه تشتعلان بالاحتقان، وصوته يرتفع بشدة ليقابل حدة صوت والدته، موجهاً كلامه بنبرة تائفة:

_ماهو متجيش النسوان تمشي كلامها على الرجالة... أنا كلمتي تتسمع من أول مرة معيدهاش تاني !
تشبثت أم الديب في جلال بقوة، ووطأته بيدها الجلفة، قائلة بلهجة لا تخلو من الجهامة، محاولة السيطرة على زمام الأمور مجددًا:

=تعالى يابن الكلب...بقى بتقول الكلام ده لأمك؟

نزعت أم الديب نعلها من قدمها بسرعة، وضربت به جلال فوق رأسه، مما أثار حنق المعلم حنفي بشدة من تصرفها الوقح، فقال بجلبة:

_أنا كلب يا ولية يا بت الجزمة؟

تشبثت المعلم حنفي في ثياب أم الديب بكل قسوة، فسقطا على الأرض سويًا، وهما يتقلبان تارة فوق وتارة أسفل، حيث ووطأته أم الديب على وجهه بيدها وطأة صلدة، وسرعان ما أمسك شعرها فانخلع في قبضته وهي تصرخ بألم، ومن شدة انفعاله تغير لون وجهه إلى الأحمر كالدماء. وسط هذا الشجار العنيف، كان الحفدة يضحكون عليهم ويشيرون بأصابعهم نحوهم، وكأنهم يشاهدون فيلمًا كوميدياً وليس معركة حقيقية. أما جلال، فوقف ينفذ ثيابه بيده بهدوء غريب، مشاهدًا ما يحدث أمامه. من شدة امتعاض المعلم حنفي، وغضبه العارم، نال لحم جسدها بأسنانه الحادة، ثم صرخ في وجهها قائلاً بحدة:
_يا بت الجزمة ده انتي أمك شبه الراجل...يا ولية ده أنا فيا أنوثة عنك انتي، وأمك بياعة الجزر .
وطأته أم الديب على وجهه بصلابة، وكأنها تحاول أن تسحقه تحت قدمها، ثم رفعت رأسها عاليًا، وبصوت مملوء بالعنفوان، صاحت:

=حافظ أمي في دماغك ليه يا عرة الرجالة؟ مالك ومالها، وكل ما يحصل مصيبة تجيب سيرتها؟

رد المعلم حنفي لها نفس الوطأة، ثم أطلق صياحًا قويًا:

_بكرها هي اللي بلتني بيكي .

ضحك حمود، وتقى في وقت واحد، مما أثار دهشة الحاضرين، وبينما كانا يضحكان، قال حمود:

=ستي بتضرب جدي .

دوى جلال في أولاده بصوت ينبض بالقوة:

_اطلعوا فوق... اطلعوا !

فيما صعد أبناؤه بسرعة إلى شقتهم، كان المعلم حنفي، وأم الديب مازالوا في معركة شرسة، تصاحبها حركات متقنة من القتال. وفي المستشفى، أحضر باسم علاء الدين بالإكراه، وهو مُنْهَك تمامًا، ويعكس

أم الديب الجزء الثاني

وجبهه، وجسده علامات الجروح الناتجة عن الاشتباك. قبل أن يدخل إلى غرفة جميلة ليعتذر لها، همست أم قمر الدين بخوف عارم، تعبر عن رغبتها في أن تستأذن ابنتها في دخول أخيها الغرفة:

=أرجوكي يا جميلة أوعي تنفعلي !

شعر أحمد بما تريد أم قمر الدين فعله، فنهض مكانه بملامح كامدة تتجلى على وجهه:

_طنط بسملة أنا مش هسمح باللي في دماغي إنه يحصل!

ردت أم قمر الدين بابتسامة خجولة:

=معلش يا حبايبي...معلش هو حس بالندم .

نطقت جميلة بانتحاب مؤثر:

_مش قادرة أبص في وشه مش قادرة!

اقترب أحمد من زوجته بخطى ثقيلة وعانقها برفق، وفي الوقت نفسه دخل باسم إلى الغرفة ووقف يحدق حيال الباب بنظرات حادة، وجاء صوته محملاً بالجبروت، وهو يقول:

=أدخل!

دخل علاء الدين الغرفة، ووجهه مصوب نحو الأرض، وهو يسير بخطوات بطيئة، مترددة، ينبعث منها التراجع، حتى وقف إزاء سرير أخته وظل صامتاً، ثم خرج صوت باسم بنبرة حادة:

=اعتذر لأختك، وجوزها وبوس على راسها!

صرخت جميلة قائلة بصوت متجهم:

_ابعدوه عني، ابعدوه...يا مامي بقى!

تحدث علاء الدين بإحراج، وهو يثني رأسه لأسفل كشخص يعبر عن ندمه بأبسط الحركات، تاركاً الصمت يعبر عن خيبتة:

=أنا آسف يا جميلة .

واقترب منها، وقبل رأسها بلطف، ثم واصل كلامه بصوت هامس، وملىء بالندم:

=آسف .

دخلت رودي الغرفة في تلك اللحظة، فسألها باسم بتعجب ممزوج بالدهشة:

_انتي مين؟

وقفت رودي بجانب فراش جميلة، ونظرت إلى باسم بابتسامة عميقة تعبر عن الدعم، وجمعت يديها بثقة، ثم همست برقة:

=رودي حبيبة علاء الدين ابنكم .

نطق باسم بتعجب:

_وجايه هنا تعملي ايه؟

أجابت رودي بدلال:

=سمعت إن جميلة عملت حادثة فجيت مخصوص أطمئن عليها بنفسي، أصل أنا اتصلت بيه مردش . ونظرت لعلاء الدين، وواصلت بدهاء:

=معرفش مبيردش ليه !

رد علاء الدين بارتباك:

_انتي كدابة...احنا صحاب، ومفيش حاجة بينا .

تفوهت رودي بثقة:

أم الديب الجزء الثاني

= لا في هنتكر يا علاء ولا ايه؟ ولا أطلعهم قسيمة جوازنا؟
برقت عينا باسم، وكأنها تعبر عن مشاعر متناقضة من الدهشة، والتأمل، وقال بصدمة تعبيرية تكشف
عن العجب في كلماته:
_جوازكم؟
ثم نظر لعلاء الدين بنظرة تحمل في طياتها الكثير من التساؤلات، ثم أردف بصوت حاد مليء بالترقب:
_انت متجوز في السر؟
اقترب علاء الدين من والده بخوف ملحوظ في عينيه، وقال بتلجلج:
= لا يا بابا دي كدابة، أنا معرفش حاجة عن الموضوع ده .
استخرجت رودي القسيمة من حقيبتها بحذر، وسلمتها بيد حازمة لوالده. في البداية، كان باسم يخشى أن
ينظر إلى القسيمة ويكتشف شيئاً يصدمه بشأن ابنه، ومع ذلك، بدأ بالتدرج في قراءة محتوى الورقة
بتركيز متزايد، وعندما تأكد من صحة حديث رودي، صخب بصوت مليء بالمؤاخذه:
_حقير... انت عيل قدر .
ووطأه بالقلم بقوة على وجهه، وتشبث في ملابسه بينما كان يصرخ بنبرة ملتهبة:
_تربية زبالة .

وسحبه بالإكراه معه خارج المستشفى، وخلفهم قمر الدين في حالة صدمة جسيمة، حيث أقصت الكلمات
صدى قوي من داخله:
=انت ازاي تتجوز في السر؟ انت اتجننت؟
رد علاء الدين ببكاء:
_صدقني في سوء تفاهم...دي عيلة كدابة أنا معملتش حاجة ده احنا صحاب مش أكثر!
فجأة، وبلا سابق إنذار، فقد باسم توازنه، وسقط على الأرض بعد أن أصابته ذبحة صدرية فتاكة، كأن
الزمان توقف فجأة في تلك اللحظة المأساوية. هاجمه قمر الدين كالبرق المشعل، وأطلق صرخته العنيفة
التي ارتفع صداها في الهواء المشحون بالفرع:
=بابا!

تم نقل باسم إلى العمليات بالمستشفى، وحينها عبّرت أم قمر الدين عن ارتياحها بصوت مرتفع إزاء
القسم، حيث اهتز صداها في أروقة المكان المليء بالفرع. وخلال هذا الوقت العصيب، فقدت توازنها
وسقطت بألم، لكن أولادها كانوا هناك جاهزين، لمساعدتها في النهوض مجددًا، مُظهرين تضامنهم
ورعايتهم العميقة. وفي الوقت نفسه، صرخت سامية بصوت عالٍ يعبر عن حزنها، وحاولت موااساة
والدتها، قائلة بانتحاب:
_اهدي يا ماما حرام عليكى نفسك .
انهمرت الدموع من عيون نرمين، وهي تلامس برفق كتف والدتها، وصوتها يرتفع بشدة من التأثر:
=اهدي أبوس ايدك متعمليش في نفسك كده !
صات قمر الدين في منتصف طرقة المستشفى. كان صداها يغمر الهواء الزاخر بالتوتر:
_وديني ما هسكتلك يا علاء الدين !
صرخت أم قمر الدين، وهي مُنهارَة، وصوتها يندلع بالحزن الدفين:

أم الديب الجزء الثاني

=أختك امبارح تضرب بالنار، و باباكي النهاردة يقع من طولها، ويدخل العمليات...يارب ده كثير أوي عليا أنا مش قادرة!

دخل أحمد الغرفة، وهو شاجن مما حدث لوالد زوجته، فقالت جميلة بنشيح متأثر:
_بابي ماله؟

أجاب أحمد باستياء، وهو ينشب بيد زوجته بقوة، عبارة عن رد فعل يعكس اللين في وجه الأحداث المُفزعَة:

=اهدي يا جميلة، أي حاجة هتعملها هتكون غلط عليكي...أنا عارف إن المصابيح كلها جات مرة واحدة بس إن شاء الله عمي هيقوم بالسلامة .

نطقت جميلة بشجن:

_كرهتك يا علاء الدين...ليه يا علاء تاذينا؟

رد أحمد، وهو يحاول مواساتها:

=خلاص يا جميلة علشان أعصابك .

بعد أن خرج الطبيب من غرفة العمليات، نظر إليهم بابتسامة تعكس الاطمئنان، وقال بهدوء:

_الحالة صعبة، ودخلت في غيبوبة، ومفيش حاجة في ايدينا غير الدعاء .

أقبل قمر الدين نحوه، وهو مصدوم تمامًا، وتفوه بصوت متأثر:

=مفيش أمل يا دكتور؟

أجاب الطبيب بابتسامة:

_في أمل أكيد، ولكن احنا بنحاول، والباقي على ربنا .

غادر الطبيب إلى مكتبه بلا مقدمات، وفجأة، دون أي تفكير، تشبث قمر الدين في ثياب أخيه علاء الدين، وجلجل في وجهه بصوت محمّل بالانفعال:

=قدامي!

رد علاء الدين ببيكاء فعال، صوته يتأجج بالحسرة، والضعف:

_أنا معملتش حاجة .

تحدثت أم قمر الدين بصرخة تنطلق من أعماقها، صوتها يرتفع معبر عن الاستياء:

=متعلموش في بعض كده، انتوا أخوات...أخوات والله حرام اللي بيحصل ده كله...يارب قويني!

في منزل أم الديب بعد المشاجرة العنيفة بينهم، قالت نعمة بانزعاج مشدد، صوتها يرن في الهواء معبرًا عن التضايق العارم :

_ياما اتطلقوا، وريحونا بقى دي مابقتش عيشة ده انتوا كل يوم تتخانقوا، وتضربوا بعض، ولا أجدعها

اتنين مصارعين...ياما حرام عليكي أنا تعبت من صداكم...لا عارفة أنام، ولا عارفة أعيش، وجوزي، وابني طهقوا!

تفوهت أم الديب بغیظ:

=بقى عامله كل الفيلم ده يا بت عشان تسيبي أمك، وتاخديك شقة برا؟ عايزه تبعدي عن أمك يا نعمة؟

ردت نعمة بانزعاج:

أم الديب الجزء الثاني

_مقدرش ياما مانتي عارفة اللي فيها حمو على قده... ده يا سلام لو كان زي أشرف أخوه كسيب،
وبيعرف يطلع الجنيه من تحت الأرض... كان نفسي ياما أعيش في شقة فخمة زي شقة هبة... شقة كبيرة،
وحلوة، ده يابختها حماتها بتحبها، ومعتبراها بنتها إنما أنا بت البطة السوداء، وبختي أسود!
تلفظت أم الديب بصداح فظ:
=انشالله عنها ما حبتك يا بت، وأنا اللي ميحبش عيالي محبوش... هي بس عاملة رباطية مع أنوبوة
الغاز أم ليالي .

قالت نعمة بانفعال:

_يوه، ما جرا ايه ياما لازمتها ايه التريقة دي؟
ردت أم الديب بصوت جلف يعكس الحزم في كلماتها:
=اسمعي يا بت أنا أحبك الخير محبوش لمرات ابني... انتي اللي هنتشيليني مش هي !
تلفظت نعمة، وهي تضحك بسخرية:
_مفبيش صحة أشيلك ياما .
وطأت أم الديب نعمة على كتفها بعنف، وقالت لها بصياح مليء بالتوبيخ:
=اطلعي فوق يا بت... عيلة مشافتش رباية!
بينما في الطابق العلوي عند ليالي، أخبرها أولادها بما حدث وهم يضحكون بفرح، فقالت تقى بابتسامه
مرتسمه على شفثيها وهي تنظر إليها بتأمل:
_ستي ضربت أبويا، وجدي .

نظرت ليالي لابنتها بنظرة حادة تعبر عن التبكيت:

=خيبيك أوعي تتكلمي قدام أبوكي، ولا تقولي الكلام ده!
ضحك حمود بلا توقف، وأثناء ارتسام ابتسامته العريضة، قال بمرح تام، وهو يضع يده على فمه كما
يفعل دائماً عندما يكون ممتلئاً بالفكاهة:
_دي بططت جدي تحت منها ياما .
ضحكت ليالي بصوتها العذب الذي ملأ المنزل بالبهجة، ثم قالت بابتسامه تكشف عن بريق عينيها
اللامعتين:

=والنبي جدك ده غلبان، وبخته أسود... هو ازاي بعد ده كله مطلقهاش، وخلص منها؟
دخل جلال الشقة وهو يبدو متضايقاً، وعبارة الامتعاض تتسلل من شفثيه بينما يلقي نظرة حوله إلى
الفوضى التي تسود المنزل:

_أنا هدور على شقة برا... يغور البيت باللي فيه .

رفعت ليالي حاجبها بتعجب واضح، وصدح صوتها بحدة يكشف عن استيائها العميق، كأنها تحاول
إبصال رسالة واضحة بكلمات رصينة:

=ليه ياخويا انت اتجننت في عقلك؟ علشان أمك تدي الشقة لأخوك يستنفع بيها؟
رد جلال بسخرية وهو مسترخٍ، حيث تجلى ذلك في نبرة صوته المستهزئة:
_وانتي مين قالك يا ليالي إن مراته هتوافق تقعد فيها؟ دي باصه لفوق أوي... يعني هيسيبوا العيشة الفل،
وهيبصوا لشقتنا؟

أم الديب الجزء الثاني

فكرت ليالي بعمق فيما قاله جلال، وبعد تأمل دقيق، وتحليل شامل، أدركت صحة كلامه، فأجابت باقتناع تام:

=عندك حق...طيب، وانت هتلاقي حد يشتريها، ولا أمك هتقفلنا زي اللقمة في الزور؟
أجاب جلال بتفكير:

_أمي مينفعش تعرف حاجة غير بعد مانبيعها .

بعد أن مضى يومين من الألم الموجه الذي عاناه باسم، قدموا أبناءه إلى زيارته اليومية المعتادة، حيث كانوا يأتون ليطمئنوا عليه ويغادرون لأعمالهم، ثم يتبادلون الأدوار بينهم. وفي حضور العائلة برمتها، وقف علاء الدين أمام سرير والده، بدت علامات الندم واضحة على وجهه، وهو ينتحب بسبب ما تعرض له والده بسببه. بكى بشدة، وبصوت مكسور قال:

=أنا أسف يا بابا حقك على دماغي .

وصوب نظره على والدته، التي كانت تجلس على الكرسي بجانب أخته، وواصل حديثه بينما لاحظ التبرم الباسل في ملامحها:

=وأسف يا ماما .

ونظر لبقية أخواته الذين كانوا يجلسون حول السرير، وتابع حديثه بصوت مترع بالندم:

=وأسف ليكم كلكم .

وأحنى رأسه لأسفل، معبرًا عن شجنه العميق، وواصل حديثه بينما كانت دموعه تنهمر بحرية:

=أنا غلطان غلط كبير، وحاسس بالذنب ناحيتكم سامحوني أنا مليش غيركم ده أنا ابنكم حنة منكم

هتسيبوني لمين؟

ثم اقترب من والدته، وأثنى ركبتيه حيالها، وهو يمسك بيدها بكل حنان، وتوسل إليها قائلاً:

=اضربيني يا ماما اعلمي اللي انتي عايزاه بس متبعدونيش عنكم...أنا عارف إن نفسكم أبطل طيش

الشباب اللي أنا فيه ده، وأبقى راجل قد المسؤولية زي قمر الدين، أخلي بالي من مستقبلي، وحياتي...أنا

هتغير علشانكم، وهكون واحد ثاني أحسن بكتير...أوعدكم!

ثم قَبِلَ قدم والدته، ورأسها، وهما الاثنان ينتحبان، وفجأة وقف قمر الدين أمامهم، وصاح بصوت صارم، كلامه يتناغم مع صدى الألم الذي يعتري الغرفة:

_انشف، وبطل لعب العيال ده، ومن بكرة هتنزل الشركة، وتشتغل، وأي غلطة في الشغل مش هسمح !

وقف علاء الدين تجاه أخيه، وهو يتأمل في عينيه بدموع تنهمر، وقال بصوت مكسور، ومليء بالأسى:

=أنا تحت أمركم في اللي تقولوه .

نطقت أم قمر الدين بحزن ناء، وصدى قهرها انعكس في كلماتها بينما ترقبها الجميع بقلق:

_باباكم مالوش غيركم بتكسروا ضهره ليه؟ ده ياما تعب عشان بس يعيشكم في المستوى ده، وكل الناس

تحلف بيكم، ويتمنوا ببقوا في ربع اللي انتوا فيه .

اقترب علاء الدين من والدته بخطوات هادئة، وعانقها برقة، وفي لحظة الانسجام العميق بينهما، قال

بصوت ينبع من القلب المتألم:

=حقك عليا يا ماما...أنا أسف والله .

أم الديب الجزء الثاني

بعد كل هذه المشاعر الفياضة، قبلت أم قمر الدين اعتذار ابنها بقلب مفتوح، ودخلت غرفة ابنتها بنفس المستشفى، حيث اقتربت من سريرها ببطء، وألقت عليها نظرة مليئة بالحنان، ثم قالت بابتسامة تنم عن قوة الروح:

_عاملة ايه دلوقتي يا حبيبتي؟

أجابت جميلة بإعياء:

=الحمد لله يا مامي .

عانقت أم قمر الدين ابنتها بحذب متجسد، وقبّلت رأسها بلطف، ثم قالت بصوت ينبع من عمق الحنان:

_هتكوني أحسن .

ثم تنهدت، وأردفت:

_أنا جيت أكلكم كلمتين...حافظوا على بيتكم علشان خاطر سيليا، والبيبي اللي جاي، وبليز أي مشكلة متدخلوش نفسك فيها نهائي...علاء الدين متهور وعقله لسه منضجش .

ونظرت لأحمد على الأريكة، وواصلت:

_وهايدي أختك لسه صغيرة، ويمكن مش عارفة ايه الصح، وايه الغلط، وكلنا غلطنا لما كنا شباب بس المهم نتعلم من غلطنا...هايدي، وعلاء الدين أخوات، ومينفعش يكونوا حاجة غير كده .

وأعدت نظرها لابنتها، وتابعت:

_سامحي أخوكي، ونبدأ صفحة جديدة، وكل واحد يرجع لحياته .

نطقت جميلة بجوى عميق، وصوتها ينعكس بأسى:

=صعب يا مامي!

قالت أم قمر الدين بابتسامة تنبعث من النفاؤل، تعكس رغبتها في نشر السلام بين أفراد عائلتها:

_كل حاجة بتكون في بدايتها صغيرة، وبتكبر إلا الزعل بيكون كبير أوي، ومع الوقت بيقل .

دخلت سامية الغرفة، وهي تشد يديها بقوة، والتألم يعبق بلامح وجهها لتتنطق بحرفياتٍ جريحة:

=ايه الأخبار ؟

ردت أم قمر الدين:

_كله تمام .

نظرت سامية بعينين مليئتين بالتردد إلى أحمد، ثم حولت نظرها إلى جميلة، متحيرة في الحديث، وكأنها

تبحث في عينيها عن تأكيد. بعد لحظات من الصمت المشوب بالارتباك، تنهدت سامية بعمق، وقالت

بصوت خافت:

=علاء الدين عايز يتكلم معاكم...مممكن؟

أجابت جميلة برفض قاطع، شامخة حاجبها في تعبير صارم بينما تقاطع وجهها تعبير عن عدم القبول،

قائلة بصوت مليء بالإصرار:

_مش هقدر .

ردت سامية بصوت مُرتجف يجمع بين خيبة الأمل، والاستفهام:

=كلمتين مش أكثر .

ثم حولت نظرها ببطء نحو الباب وكأنها تبحث عن مخرج من هذا النقاش المؤلم، واستجمعت قوتها

لتواصل حديثها بصوت مسموع:

أم الديب الجزء الثاني

=أدخل يا علاء!

دخل علاء الدين الغرفة بخطوات متأنية، مثقلًا بأعباء الندم، وهو يثني رأسه لأسفل تجنبًا لمواجهة نظرات جميلة، وزوجها. الذي كان يعرف تمامًا أنها لن تكون مليئة بغير الاحتقار. كان يدرك بعمق أنه في عيونهما لم يعد سوى شخص مشوه من الداخل، والخارج، بعد أن انساق وراء طيشه واندفاعه بلا تفكير. ومع ذلك، كانت تتأجج داخله رغبة عارمة في إصلاح ما أفسده، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، كما كانت في بداية الأمر قبل أن تتعقد الأمور. وقف في منتصف الغرفة، مستجمعًا شجاعته، وقال بصوت مليء بالانكسار:

_حُكم عليا أنا أسف...متز عليش يا جميلة أنا معرفش ازاي ده كله حصل...بس أنا فعلاً ندمان جدًا، ومستحيل اللي عملته ده يتكرر تاني .

ثم تقدم ببطء حتى وقف قبال أحمد، ورفع رأسه قليلاً ليواجه عينيه، كانت تعابير وجهه ممتزجة بالترح، والأسف العميق، وواصل كلامه بصوت متهدج يكاد يختنق بالحزن :
_وانت أنا بعذرلك...هايدي أختي، وهفضل أختي مش أكثر .

نطق أحمد بصوت حاد:

=وده اللي أنا عايزوا .

تفوهت أم قمر الدين بارتياح:

_خلاص يا ولاد صفحة جديدة!

قررت العائلة، بعد نقاش طويل ومضن، أن تفتح صفحة جديدة في حياتها، أو ربما يشتركون كتابًا جديدًا أفضل، حيث يمكنهم كتابة فصل جديد يتجنب الأخطاء السابقة، أي نعم، لقد قبل أحمد، وجميلة اعتذار علاء الدين بعد أن أبدى ندمه الصادق، ولكن لم يصفوا تجاهه قلبًا، فجرح الخيانة لا يندمل بسهولة، ولن يستطيعوا ببساطة تجاوز ما حدث. في نياتهم العميقة، يرون علاء الدين مجرد خال لسيليا، وفيما يتعلق بعلاقة الأخوة التي تربطه بجميلة، فقد أصبحت مجرد اسم بلا روح، حيث طُمس الحب والعشم الذي كان يجمعهما تحت وطأة الأحداث المريرة. في مكان آخر، في المحل الصغير المضاء بأضواء خافتة، كان جلال يجلس مقابل المعلم حنفي بعد أن أثار موضوع بيع الشقة. المعلم حنفي، المعروف بشخصيته الضعيفة أمام سطوة أم الديب المتسلطة، وجد نفسه منذ سنوات ماضية أمام اختيارين عسيرين، الخيار الأول هو أن يكتب المنزل بأكمله بإسم أم الديب، ليكون تحت رضاها الكامل، أو أن يواجه مصيره المحتوم بالقتل على يد ضايح، الرجل الغامض الذي يهدد حياته. بسبب قلة حيلته، وافق المعلم حنفي على الخيار الأول حفاظًا على ما تبقى من عمره ولتجنب المصير الأسوأ. في تلك اللحظة، انفجر جلال في وجه أبيه، وصرخ بنبرة يملؤها الإحباط:

=يعني ايه يابا كاتبلها البيت بإسمها؟ يعني البيت من أوله لآخره بإسمها، وأنا اتضربت على قفايا؟ قولي هبيع الشقة ازاي دلوقتي؟ ويفرض انت حصلك حاجة محدش هيطول جنيه منها، وهنتذل فينا!
رد المعلم حنفي برهبة:

_خالك ضايح الله يباركله موجب معايا...ياض ده هددني بالسلاح زي ماهددني علشان أندبس في أمك...
ده كان يوم أسود يوم ماخذت منه بضاعة، ومسددتش تمنها .

نطق جلال بصوت مرتفع، مملوء بالاحتقان، ووجهه يتلون بحمرة الغيظ:

=أنا دلوقتي عاوز أبيع أم الشقة، وأشوف شقة برا !

أم الديب الجزء الثاني

تلفظ المعلم حنفي بحالة من الهلع:
_وكلكم تخلعوا، وتسيبوني أنا في وشها؟
ضرب جلال يده على المكتب بقوة، مما أحدث صوتًا مدويًا ارتجت له جدران المكان، وصاح بصوت متهدج يفيض باليأس:
=ماليش فيه يابا أنا عاوز أبيع الشقة... لا أنا مرتاح، ولا ليالي مرتاحة... ده حتى نعمة، وجوزها مش مرتاحين .
تحدث المعلم حنفي بتفكير عميق، وهو يحاول تحليل الوضع والخيارات المتاحة أمامه، حيث تعكس ملامح وجهه التردد، بينما تتأرجح عيناه بين اليسار واليمين، كأنه يحاول اتخاذ قرار صعب في زمن غير مواتٍ:
_ خلاص يا ض احنا ناخذ العقد منها، ونلعب فيه .

رد جلال بسخرية:
=ده اللي هو ازاى يعني؟ هي أمي عبيطة تشيله في أي حنة؟ ده مش بعيد تكون دافناه تحت التراب!
نطق المعلم حنفي:
_ نحاول يا ض مش هنخسر حاجة .
عاد جلال إلى المنزل، وقلبه ينبض بالإثارة والتخطيط لخطوة استعراضية مبتكرة للتلاعب بأم الديب، عازمًا على البحث عن أوراق المنزل التي قد تكشف له أسرارًا مهمة. دخل الشقة بخطوات ثقيلة، ووجهه يشع الذعر المتزايد، وفجأة، انطلقت صرخته:
=ليالي تعبانة أوي ياما الحقيها عبال ما أروح أجيبيلها الدكتور.

تفوهت أم الديب بلا مبالاة:
_ ما تولع أني مالي؟
قال جلال بسخط:
=ياما حرام عليكى اعتبريها بتك!
نطقت أم الديب ببغضاء:
_ أني مليش غير بتين نعمة، وهايدي .
رد جلال بصياح:
=أبوس على ايدك تلحقها عقبال ما أجيبيلها الدكتور!
عجّت أم الديب في وجهه بصوت مرتفع ينبعث منه الاستياء، ووجهها يتألم من الانزعاج المضطرم، قائلة:
_ يوه، ده انت صدعتني!

ثم انتصبت مكانها، تتأمل الوضع بتركيز، ثم أخذت تقول بصوت متمهل:
_ مالها بت دباح الحمير؟
صعدت أم الديب إلى شقة ليالي، حيث كانت ليالي تنام على أرضية الصالة، وعلى وجهها علامات التعب الواضحة. اقتربت منها بخطوات هادئة، ووجهها يبرز الاهتمام، وقالت بصوت ملأن بالعاطفة:
_ مالك يا منيلة؟
ردت ليالي بتمثيل مؤثر، وهي تضع يدها بتمويه على بطنها العلية، وصوتها ينطلق بقوة وهي تصدح:

أم الديب الجزء الثاني

=تعبانة يا حماتي في سكاكين بتقطع في بطني .
في الأسفل، كان جلال يبحث في كل أرجاء الشقة عن عقد البيع، محاولاً بكل جهده التحقق من الوثائق،
وفي غرفة أخرى، شعرت أم الديب بأن ليالي تتدلل، فأطلقت عليها بكمد متدققاً:
_ انتي بتدليعي؟ أني هنزل بيقى جوزك يتصرف .
وقفت أم الديب عند باب الشقة، وقبل أن تبادر إلى النزول، قفزت ليالي مكانها، وزاد نواحاها طرباً،
وإثارةً قائلة بتألم:
=آه يا حماتي آه... الحقيني بموت!
عادت أم الديب لتواجه ليالي، وغلب عليها الامتعاض المتأجج، حيث قالت بصوت ينبض بالنفور:
_ يوه يادي الهباب .
ثم نظرت لحفيدها بنظرة ممتلئة بالقلق، وواصلت قائلة:
_ خش يا واد هاتلها شوية مائة، ومتكترش ألا الفاتورة بتيجي غالية .
رد حمود بخبث:
=من عينيا يا ستي .
بعدما دخل، مثل أنه شاهد فأراً يتسلل بين أخشاب المطبخ، وألقى صيحة فزع، وأشار بيده بانتقام، قائلاً:
=ايه ده الحقي في فار في المطبخ!
دخلت أم الديب إلى المطبخ، وصاحت، قائلة بفزع:
_ بنفتحوا الشبايبك ليه؟ وترجعوا تشتكوا؟

نظرت أم الديب حولها بسطوة، تمامًا كما الصقر الجراح يبحث عن فريسته المفقودة في أرجاء المطبخ
المظلم. في تلك الأثناء، أطلقت ليالي نظرة طاغية تعكس اطمئنانها لابنها، وأشارت بيدها بلطف لتهديئة
أعصابه، مؤكدة بأن الأمور تسير بشكل سليم حتى الآن. بينما كان جلال يبحث بقلق متصاعد عن عقد
البيع، يشبه البحارة الذين ينتظرون وصول العاصفة، مترقباً قدوم أم الديب في أي وقت. وفي لحظة من
الرغبة الغامرة، صاح بيأس:
=حاطاه فين... مش يمكن في الأوضة الثانية؟

عندما دخل جلال غرفة هايدي وبدأ في البحث في الخزانة، لفت انتباهه وجود أم الديب خلفه، وهي
تضع يدها بثبات على خصرها وتتنظر إليه بنظرات صارمة كسيف مسلط. شعر جلال بالخرع ينساب
في جسده، وابتلع ريقه بصعوبة، وزادت نبضات قلبه في تسارع ملحوظ، وقال بقلق:
=ايه ياما في ايه؟
ردت أم الديب بنكاء متقن، حيث أخذت تنظر إليه بعيون تنطق بالرصانة، وقالت بصوت هادئ، معبرة
عن ذكائها، وسيطرتها على الموقف:
_ مش هتلاقيه .
نطق جلال بترقب:
=هو ايه؟
ضحكت أم الديب بابتسامة هزلية تعكس ذكائها اللافت، وبينما تلتمع عيناها بالخبث، أضافت بسخرية
محايدة:
_ عقد البيت .

أم الديب الجزء الثاني

ثم اقتربت منه، وواصلت بخيلاء:

_ليه هو انت فاكرنى مضروبة على قفايا؟ مآني سمعتك، وانت بتكلم أبوك في الدكان، وبتتفقوا عليا .
تلفظ جلال بفظاظه:

=جرا ايه انتي بتتصنتي علينا؟

أجابت أم الديب بخشونة، معبرة عن استياءها بشكل لافت، حيث تتردد كلماتها في الهواء مثل صواعق تنبض بالسخط، مما يجعل الجو يتعكر ويصبح مشحوناً بالمرج:

=ده أنا اتغدا بيكم قبل ماتتعثوا بيا يا ولا !

تفوه جلال برهبة، وجهه يعكس الذعر، والقلق بوضوح، حيث ترتجف أصابعه وتتمايل خطواته بلا ثبات، وتتلاشى كلماته في صمت مريب يكاد يعلو الأجواء، وتنبعث من عينيه تعابير الخوف الملتهبة بالشك:

_طب السلامو عليكو ياما .

وترك ما في يده بسرعة، وفر هارباً قبل أن تشتبك أم الديب معه، محاولاً الابتعاد بأقصى سرعة ممكنة لتفادي النزاع. فقالت أم الديب بصياح يكاد يثقل الجو من حولهم:
=داهية لما تاخذك .

بعد مرور سبعة شهور، أنجبت جميلة بنتاً كالملاك، وأسمتها أسيل. ويوم حفل السبوع، كان في منزل أحمد وجميلة، والحاضرون كانوا أفراد أسرتهم المقربة. رُين منزلهم بالبالونات التي ترمز للمولودة الجديدة، وتزينت بديكورات فاتنة في جو موسيقي هادئ. وكان أحمد ينتظر عائلته بفارغ الصبر أمام باب الشقة، حتى وصلوا وانطلقت النساء بالزغاريد الفرحة. وقالت أم الديب بسعادة متألقة، تعبر عن فرحتها الصادقة ورغبتها في مشاركة الجميع في هذه المناسبة المميزة:
=يا ألف بركة .

عانقت هايدي أخيها بحنان لا متناهٍ، وفي عينيها بريق الفرح المشرق، وقالت بسعادة تفيض بالدفء:
_ألف ميروك .

رد أحمد ببهجة:

=الله يبارك فيكم .

صافح أحمد بقية أفراد عائلته باحترام، بينما اقتربت أم قمر الدين من أم الديب بخطوات هادئة، وعانقتها برقة، وفي عبارة مفعمة بالمشاعر، قالت:

_يا أهلاً، منورة الدنيا يا أم الديب !

تفوهت أم الديب بسعادة:

=ده بنورك يا ست بسملة .

بعد أن صافح الجميع بعضهم البعض بود، جلست أم قمر الدين بجانب أم الديب على الأريكة، وبينما تتمايل الأضواء المليئة بالدفء حولهما، قالت بسعادة تنبض بالمحبة:

_بجد فرحانة بلمة ولادي حواليا .

أم الديب الجزء الثاني

كان الحاضرون متنوعين ومتميزين؛ كانت هناك سامية وزوجها، وابنتهما لارا، ونرمين، وزوجها، وابنها الصغير البالغ من العمر ستة أشهر، وقمر الدين مع خطيبته، وأم قمر الدين مع باسم، وبناتها نالا، ومنى، باستثناء علاء الدين. كان الحفل بوجود أحمد، وجميلة، وسيليا، إضافة إلى المولود، وأم الديب، وهايدي، والمعلم حنفي مع جلال، وزوجته، وأولادهما، ونعمة مع زوجها، وابنها، وغيرهم من الأقارب، والأصدقاء المقربين. وفي هذا الجو المليء بالفرح، والاحتفال، لم تستطع أم الديب إلا أن تعبر عن سعادتها بكلمات تتدفق بالحب، معبرة عن تقديرها العميق للحضور، واللحظات الجميلة التي تجمعها بأحبائها:

=ماهو اسم الله علينا البيت مليون ناس من أوله لآخره، تعيشي يا ست هانم، وتتجمعوا في الأفراح .
ردت أم قمر الدين ببهجة:
_يارب يا أم الديب يارب .

في غرفة المعيشة، كان المعلم حنفي يجلس مع باسم، وهما يتبادلان الحديث بنأى وود. بعد حديث طويل يملؤه الود، والتقدير المتبادل، قال المعلم حنفي بسعادة مشرقة:
=ده شرف ليا يا حاج باسم .
ضحك باسم بابتسامة تعكس السعادة الصادقة، وقال بتواضع:
_الحقيقة أنا لسه محجتش بس ادعيلي يمكن ربنا يكرمنا ونطلعها قريب !
ضحك المعلم حنفي بابتسامة مريحة، وقال بتمنياته بأمل:
=ربنا ينولهاالك، وينولها لنا .
رد باسم:
_يارب .

بينما في طرقة الشقة، كانت هايدي تتحدث مع منى بحماس، وفي لحظة من الود، والتقارب، قالت لها بسعادة مشرقة:
=أنا ارتاحت في الكلام معاكي أوي .
الحقيقة أن منى، أخت جميلة، تتمتع بشخصية متواضعة لا تُضاهى، فهي خفيفة الروح ونقية القلب، حتى النفوس ترتاح لها عندما تحدثها، وتثير رغبة كل من يعرفها في التعرف عليها بعمق أكبر من السابق. حيث قالت منى بكل حبور:
_وأنا أكثر، واعتبريني أختك من النهاردة، ولو احتاجتي أي حاجة أنا عندي جاليري هدايا هيعجبك أوي !
تلفظت هايدي ببهجة:

=شكرًا مانا شوفت البيدج بتاعتك، وعجبني شغلك .
أما في الصالة، كان الرُباعي يجلسون سويًا: جلال، وليالي، ونعمة، وحامد، فتعجبت ليالي من تأخر ظهور جميلة بالمولودة الجديدة، وفي تعبير مبهم ينم عن التفكير، والتساؤل، قالت بحيرة:
_وهي ست جميلة مجاتش لحد دلوقتي ليه؟

رد جلال بتعجب:
_أنا ايه عرفني؟

أم الديب الجزء الثاني

نظرت ليالي حولها، وكانت مندهشة من امتداد الشقة الجميلة ونظامها المتناسق، وألوانها الفاتنة التي أضفت لها جاذبية خاصة. كانت تتأمل الأمور من الداخل، مشتاقة، وتحلم بامتلاك شقة تحتوي على نصف هذه المميزات، فقالت بإعجاب:

=بس الشقة بتاعتها ايه واسعة ياخويا، وحلوة ده ياريت نعرف نجيب شقة زيها .
نطق جلال بسخرية:

_واحنا هيتشدلنا حزام بعد اللي أمي عملته؟

ردت ليالي بغضب ملحوظ، حيث توضح ملامحها الإحباط:

=ليه كده يا جلال بتقلها في وشي ليه؟

تفوه جلال بصراحة:

_أضحك عليك يعني؟

خرجت جميلة من غرفتها بفستان زهري مُبهج ينسجم مع بشرتها النقية وشعرها الحريري الطويل، وكان وجهها مزينًا بلمسات خفيفة من المكياج الذي أبرز جمالها الطبيعي، ورائحتها كانت فواحة كالمسك، تعكس أنوثتها وأناقتها. وعلى ذراعها حملت ابنتها الرضيعة التي كانت ترتدي نفس فستانها الزهري، مما أضفى على المشهد لمسة من الجمال والرقّة الفائقة. تعجبت أم الديب بغرابة رؤية المولود الذكر يرتدي فستانًا، وفي لحظة من الدعابة الدافئة قالت بابتسامة مرحة:

=هي مراتك ملبسه الواد فستان ليه؟

ضحك أحمد، وقال بصراحة:

_دي بنت يا ماما، وجميلة سميتها أسيل .

وطأت أم الديب يدها بقوة على صدرها، لما أصابها من صدمة عارمة، إذ كانت تعتقد أن جميلة قد أنجبت ولدًا بدلًا من فتاة. وفي لحظة من الصراخ الحاد، والانكسار، خرجت الكلمات من بين أسنانها المضغوطة:

=ايه معاك بتين؟

تحدثت أم قمر الدين بتعجب:

_في مشكلة، ولا ايه يا أم الديب؟

صخبت أم الديب، قائلة بنبرة مُرتفعة بالدهشة:

=يا لهوتي، جايب بتين؟ يا خرابي هقع من طولي حد يلحقني!

صاح أحمد في وجه والدته بانزعاج، قائلاً:

_وطي صوتك يا ماما...ايه المشكلة؟

تعلقت أم الديب بيدها في جدار المنزل بعد أن أصابها دوار حاد، وفي حالة من الإرهاق، قالت بصوت مُنهك:

=جايب بتين؟ يادي الفضايح، يا مصيبيتي يآني !

نظر أخوات جميلة لأم الديب باشمزاز، إذ كانوا يعتبرونها امرأة جاهلة لا تفقه شيئًا في الحياة، وبعد أن

وصل نواح أم الديب للمعلم حنفي، خرج إليها وصخب في وجهها قائلاً:

_احترمي نفسك يا ولية، واعلمي حساب للموجودين متفضحيناش!

نطقت نعمة بإحراج:

أم الديب الجزء الثاني

=استهدي بالله ياما مش عايزين فضايح بالله عليكي .
وسط إحوال أم الديب، أصدر حامد ضحكته الساذجة، مما أثار غضباً في قلب نعمة التي نظرت إليه
بعين حادة، وفي لحظة من السخرية الملتهبة، قالت:
_ أنت بتضحك على ايه انت كمان؟

قهقه حامد بشدة، مظهر الضحك المتفجر، وهو يتفوه بشكل مرح، ومفعم بالحيوية:
=أمك ممثلة فظيعة .

تحدثت أم الديب بحسرة:
_ قولنا بت مرة مفياش إشكال ياخويا، واللي بعدها يجي الواد، لكن الاتنين بنات؟ يادي الهباب اللي حل
فوق نفوخي!

خرجت أم قمر الدين عن شعورها، وفي حالة من الاستشاطاة، قالت بصوت حاد:
=أم الديب اطلعي برا!

أخرج جلال أم الديب من شقة أحمد، لكنها عادت إليهم مجدداً، وهي تمتلئ غيظاً لما حدث، فقالت
بكلمات تنبض بالاستفزاز:
_ نسيت أقولك حاجة مهمة يا منيل .

رد أحمد بفضول:

=حاجة ايه يا ماما؟

تحدثت أم الديب بغلاظة:

_ مع السلامة يا أبو البتين .

أراح المعلم حنفي زوجته بقسوة، وقال باحتدام:

=يلا من هنا يا ولية... انتي بتعايريه ولا ايه؟

وقفت نعمة إزاء أخيها، وقالت بإحراج:

_ معلش ياخويا متدايقش نفسك... هو في أحسن من خلفه البنات؟ ده كلهم حنية، وطيبة!

استقرت أم قمر الدين بمنصف الصالة، وابتسمت ببرودة، وهي تقول بلطف:

=انجوي يا جماعة، ولا كان حاجة حصلت !

بدأت العائلة في الاحتفال بحفل السبوع وسط خلفية من أغاني سبوع المولود، حيث كانت جميلة تأخذ
بعض الصور التذكارية مع أسرتها الصغيرة والكبيرة، ومع عائلة أحمد في جو أسري ممتع. تلقت بعض
الهدايا الجميلة من أخواتها؛ فمنهم من أهداها بثياب أسيل، ومنهم من أهداها بمنتجات العناية بالبشرة
والعطور، ومنهم من أهداها بالحلوى الفرنسية. في الوقت نفسه، جلست أم الديب على درج المنزل،
كظيمة من أصوات الموسيقى، وضحكاتهم بالداخل بكل غيرة وحقد، حتى انتهى اليوم في سعادة وهناء،
وبعد مرور شهرين، هلت ليالي رمضان المباركة، حيث بدأت العائلة تستعد لاستقباله بفرح وترقب، كما
هي العادة كل عام. وفي منزل ليالي، كانت تجلس، مفكرة في ماذا ستصنع على طاولة فطور أول يوم
رمضان، وفي لحظات من التفكير العميق والتخطيط الدقيق، قالت:

_ هعمل ايه بقى؟ ربنا يحلها!

دخلت ليالي غرفتها بخطوات هادئة، وارتدت ملابسها بعناية فائقة، حيث اختارت فستاناً أزرق اللون
يناسبها، ونعلًا من الجلد الناعم. أمسكت حقيبتها الكبيرة بيد واحدة بينما كانت تضع النقود في يدها
الأخرى، وخرجت من غرفتها بنظرة متجهة نحو مهمتها التالية، وهي التسوق مع صديقتها نعمة. بعدما

أم الديب الجزء الثاني

اتفقتا على قائمة المشتريات، انطلقنا إلى المتجر القريب لشراء مفروشات جديدة تناسب ديكور منزلهما وزينة رمضان، وفي شوارع القرية المزدهمة، كانت ليالي ونعمة يتجولان سويًا بين أزقتها الضيقة، حاملين أكياس المشتريات بفخر في أيديهما. تأثرت ليالي بالإرهاق الطبيعي الذي تعانيه بعد ساعات من التجول، والتسوق، فتوقفت عن السير لحظة بجانب سيارة قديمة، حيث انغمست في أفكارها بينما تراقب سحر الغروب الذي يتدفق في سماء القرية بألوانه الرقيقة وأشعته الدافئة. وفي لحظة السكون تلك، قالت: _تعبت من المشي مابقتش قادرة يا نعمة!

ردت نعمة:

= خلاص آخر محل... انتي عارفة رمضان بكرا، ولازم نشترى شوية مفروشات للشقة .
نطقت ليالي، وهي تلاحق أنفاسها، بابتسامة ترسم على شفثيها خيوطاً من الإنهاك حاملة في عينيها بريقاً من التعب:

_ يا نعمة مانا قولتلك من عشر أيام كنا لحقنا نشترى اللي عايزينه... انتي مش شايقة الدنيا زحمة ازاي؟
تفوهت نعمة بفرح:

= خلاص هانت أهو... المهم ياختي ايه رأيك في مفرش السرير مش بدمتك حلو؟
ردت ليالي بتفكير:

_ من ناحية حلو فهو حلو، ولا لونه لايق مع لون أوضة نومك... تصدقي كان ناقصنا سفرة بس هقول ايه الشقة حُق ياختي يادوب كفت الانترية بالعافية .
تفوهت نعمة بابتسامة:

= بكرا ربنا يكرمنا يا ليالي، وكل واحدة فينا تقعد في شقة كبيرة... ده احنا اجوازتنا ربنا يعينهم .
ردت ليالي بإرهاق:

_ يلا أهو نصيب، ومكتوبلنا .

بينما في منزل أم الديب، خرجت لهم من المطبخ وسألتهن بصوت حاد، مما جعلهم ينتبهون فوراً ويركزون على كلماتها التي تنطلق بحزم، ووضوح، كأنها صاحبة رأي قوي:
= هتطفحوا ايه النهاردة في السحور؟

رد المعلم حنفي بجلبة:

_ ماتحسني ملافظك يا ولية !

نادت أم الديب حفيدها، وقالت بتجاهل:

= واد يا حمود خد محمد ابن عمك، وروحوا هاتولي الطلبات اللي هقولهاكم .
ودخلت غرفة هايدي، ونادتها:

= انتي يا بت يا هايدي... يا هايدي!

أجابت هايدي:

_ ايه يا ماما؟

قالت أم الديب:

= انتي عارفة إن آني مبعرفش أكتب... اكتبني انتي مكاني .

أم الديب الجزء الثاني

وقفت هايدي، واستخرجت الورقة والقلم من خزانة الثياب بحركة منظمة، حيث أظهرت تحضيرًا واضحًا للمهمة المرتقبة. ثم أردفت أم الديب بصوت حازم، وهي تنوي إيصال رسالة قوية ومؤثرة إلى من حولها:

=علبة زبادي، وكيس عيش، وربع كيلو طماطم، وخيار... وحتة جبنة .

قالت هايدي باستجابة:

_كتبت .

ثم نظرت بتعجب للطلبات، حيث تأملتها لحظة بعمق، وتفوهت بدهشة وهي تعبر عن استغرابها:

_هي الحاجات دي لينا؟

أجابت أم الديب باستهزاء:

=أمال للجيران يا بت؟

ردت هايدي بحيرة، حيث بدت مترددة، ومتفكرة في كيفية التعامل مع الوضع الذي أثار استنهامها:

_الأكل ده مستحيل يكفيننا كلنا .

نطق أم الديب بابتسامة مأكرة:

=سمي الله قبل ما تاكلي، والأكل هيكفي .

تفوهت هايدي، حيث انعكست على وجهها ابتسامة ساخرة تعبر عن استغرابها:

_انتي عايزة تقنعينا إن احنا كلنا هناكل علبة زبادي؟

دخل حمود الغرفة، وقال بتفاس:

=أنا مش رايح في حتة يا ستي...أبويا هيجيب كل حاجة وهو جاي .

ردت أم الديب:

_وفرخوا ده أني كنت هدف من جيبي شئ، وشويات .

وقف المعلم حنفي على باب غرفة هايدي، وقال بتعجب، حيث ظهرت على وجهه تعبيرات الاستغراب،

مما يدل على أنه مفاجأ بشيء غير متوقع:

=شئ، وشويات ايه يا ولية اللي كنتي هتدفعيهم؟ علبة الزبادي، وحتة الجبنة يعملوا ايه في الزمن ده؟

نطق أم الديب بعجيج:

_مش عاجبك متاكلش !

في تلك اللحظة دخل جلال وحامد بأكياس المشتريات لرمضان، وسرعان ما فتحت أم الديب الأكياس

بيدها لتفحص محتوياتها، حيث بدأت تفحص كل قطعة طعام بانتباه. فقال جلال بصوت حاسم، معبرًا

عن اعتراضه:

=أو عى ايدك ياما...متخليش شيطانك يخيلك إن الأكل ده جايبهولك...الحاجات دي هتطلع فوق عشان

السحور، والفتار !

ردت أم الديب بطمع، وهي تدس يدها في الكيس بحماس، معبرة عن رغبتها في استكشاف محتوياته

بشغف:

_نام خفيف يا ولا عشان متفرقعش..ده أني ست كبيرة، وغلبانة، والدنيا جاية عليا، ده أني بقالي كام يوم

مكلتش .

أزاح جلال يد أم الديب عن الأكياس، وقال بصوت متحدّي، وجهًا لوجه معها:

أم الديب الجزء الثاني

= لا ياما ماهو علشان أنا ابن أصول فهنزل ناكل مع بعض .

ونظر لمحمد، وحمود، وتقى، ثم أردف بتساؤل:

=ايه يا عيال مش هتطلعوا؟

أجاب حمود:

_ احنا مستنين أمي، وعمتي يرجعوا .

تحدث حامد بتعجب:

=هما كل ده مرجعوش؟

وفي الحين سمعوا صوت فتح الباب، فقال جلال بصوت مندهش:

_ شكلهم جم .

صعدت نعمة، وليالي على الدرج، وهم يحملون حقائب المشتريات، فقالت نعمة بصوت مُبتهج:

=الحمد لله لحقنا .

ردت ليالي، وهي تصعد على الدرج:

_ ده كان في شوية محلات ورا حلوة بشكل، بس الحاجات اللي جيبناها حلوة برضة... بس الراجل

أسعاره غالية يا نعمة .

نطقت نعمة، وهي تصعد على الدرج بخطوات واثقة:

=خلي العيال تحس بالتغيير، أهو أي حاجة عدلة في البيت ده .

خرج جلال، وحامد على الدرج، وخلفهم أولادهم، ثم قال جلال بتعجب:

_ ايه ياما منك ليها اتأخرتوا ليه؟

أجابت نعمة بابتسامة:

=اشترينا شوية حاجات حلوة أوي .

رد جلال بصوت حاد:

_ وانتوا جايين قبلها بيوم تلفوا؟ أنا مش عاوزكم تدخلوا في الزحمة يا نعمة انتي، وليالي...ده لو حد

بصلكم أنا هدفنه حي!

نطقت ليالي بابتسامة تتم عن فخر، وامتنان، وهي تضرب يدها برفق على صدر زوجها:

=وهو حد يقدر يحط عينه في عني، ولا يقولنا نص كلمة؟

زادت ثقة جلال في نفسه، فأعاد ثيابه بانتباه، وقال بغرور:

_ ولا يقدر ده أنا جلال، والكل عارف يعني ايه جلال !

خرجت أم الديب من شقتها بخطوات ثابتة، وتفوهت بصوت محموم:

=يلا حطولنا السحور خلونا ناكل، ونتخمد .

ردت ليالي بسخرية:

_ سحور ايه يا حماتي اللي هيبقى الساعة تسعة بالليل؟

قالت أم الديب بكرهية:

=وانتي مالك؟ دي فلوس ابني... انتي دافعة حاجة من جيبك يا بت؟

نظرت ليالي لزوجها بغضب متجسد على وجهها، وقالت باهتياج:

_ ما تقول حاجة يا جلال !

أم الديب الجزء الثاني

أراد جلال أن يتفادى مشاكل أم الديب، فقال بحنكة:

=أقعد ياما، وقبل الفجر بساعتين هنبقى ننزلك .

ردت أم الديب بامتعاض:

_وآني ايه هيصحيني لحد الفجر؟ أفضل مذلوالكم لحد ما تحنوا عليا بشوية الأكل اللي هتنزلوهم؟

نطقت نعمة بلين:

=نامي ياما، واحنا هنبقى نصحيكي !

قالت أم الديب بعجيج:

_ايهي تصحوني من أحلاها نومه عشان أكل؟

صاح جلال في وجه أم الديب قائلاً، بصوت مرتفع ينبعث منه الضيق:

=انتي عاوزة ايه ياما في سننك دي؟

ردت أم الديب بصياح:

_مش عاوزة حاجة...ده آني لو كنت جيبت دكر بط كنت استنفعت منه عنكم !

يتبع....

الفصل الحادي عشر

توقف جلال عن السير على الدرج فجأة، وكأن قوة غير مرئية أوقفته في منتصف الطريق، ثم أدار رأسه ببطء وعيناه تشعان ببرود قاتم، وقال بنبرة حادة تخترق الهواء:

_بتبرطمي بإيه ياما؟

أجابت أم الديب بامتعاض متفجر، وملامح وجهها مشدودة كوتر مشدود على وشك الانقطاع، حيث كانت عينها تلتمعان بلهيب من الحنق المكتوم، وقالت بانفعال:

=اطلع ياخويا اطلع .

تحدث المعلم حنفي بغضب محتدم، وصوته يجلجل كالرعد، وملامح وجهه تكتسي بحمرة حادة تعكس حدة انفعاله، وقال بكلمات تخرج كحمم البركان:

_خشى نامي يا ولية !

اتجه المعلم حنفي إلى الشقة، وأم الديب تلاحقه، بينما دخلت ليالي الغرفة لتزينها بأجمل المفروشات حيث ارتسمت على وجهها ابتسامة ساحرة تشع منها أشعة السعادة، وعندما وضعت زينة رمضان، بدأت الأجواء تتلألأ بألوانها الساحرة، وأصبح المنزل معمورًا بالبهجة، ولتكملة السعادة، وضعت المفروش الجديد على طاولة الأريكة، فاحتفلت قلوبهم بفرحة لا توصف، وفي تلك اللحظة السعيدة، نظرت ليالي لجلال بعيون مليئة بالحب، وقالت:

=ايه رأيك يا جلال؟

رد جلال بابتسامة خفية، وعيناه تلمعان بمكر لا يخفى على أحد، وقال بصوت ناعم يحمل في طياته غموضًا:

_ده غير شكل الشقة خالص يا ليالي، ويا ترى الهوليلة دي عملت كام؟

أجابت ليالي برصانة:

٤٠٠ = جنيه مانت عارف البلد هنا حاجتها رخيصة... بس أوعى تجيب سيرة قدام أمك لا يحصلها حاجة !

جلس جلال على الأريكة، متكئًا على ذراعه بضيق وكأنه يملك كل الشجوات في العالم، ثم قال بصوت هادئ يحمل في نبراته استخسار لا يتزعزع:

_ماهو كتير برضه يا ليالي، وانت عارفة الحال عامل ازاي!

نطقت ليالي بسعادة:

=معلش ياخويا هو رمضان بيجي كام مرة في السنة؟ ده هي مرة... خلي العيال تفرح، وتحس بطعمه !
خرج حمود من الغرفة بخطوات مفعمة بالحوية، ونظر بعينين متألفتين إلى زينة رمضان البراقة المعلقة على جدران منزلهم، التي تضيء المكان بألوانها الزاهية، وقال بفرحة تنبعث من أعماق قلبه:
_الله ياما ده شكله حلو أوي !

واقترب من الزينة، وهو ينوي فصمها بيده، وسرعان ما أمسك جلال يده، وأزاحها بعيدًا بعنف، وصاح فيه قائلًا:

=أقعد ياض هنا... أمك تعبانة فيهم، وانت عايز تقطع، وتبهدل؟

أم الديب الجزء الثاني

جلس حمود على الأريكة بسرعة، وثقل العالم يضغط على كتفيه، ثم نطق بخوف واضح في صوته المرتجف، وعيناه تجولان في المكان بقلق:
_ ماشي .

نطقت ليالي بكمَد:

=مبيخافش غير منك لكن أنا بيتنبج صوتي علشان يسمع الكلام، ويارينه في الآخر بيسمعه...برضة بيعمل اللي في دماغه .

نظر جلال لابنه بامتعاض، وقال بفظاظة:

_ اسمع كلام أمك !

رد حمود بخرع:

=ماشي بابا

بينما في الأعلى عند نعمة بعدما تزينت شقتها بأجواء رمضان الرائعة، وجُهّزت بأجمل المفروشات، كان حامد يعقب بالسرور حينما قال بابتسامة تشع من وجهه:

_ اللهم صلي على النبي...ايه الحلاوة دي يا نعمة؟ ده أنا حاسس إنني قاعد في مائدة رحمن .

تفوهت نعمة بسعادة غامرة، ووجهها يشع بهجة لا تُوصف، وعيناها تلمعان، وقالت بصوت مليء بالأمل:

=كل سنة، وانتوا طيبين .

نطق حامد بهجة مفرطة، ووجهه ينبض بالسرور الصافي، وعيناها تبرقان ببريق الفرح، وصوته ينطلق بحماس متواصل، وهو يقول:

_وانتي طيبة يا نعومي .

تحدث محمد، وهو يبدو ناعسًا للغاية، صوته يخرج بثقل من بين شفثيه المتعبتين:

=نيميني ياما .

نظرت نعمة لزوجها بابتسامة دافئة تنعكس على وجهها المضيء بالرعاية، وقالت بصوت ملآن بالحنان:

_ هروح أنيم الواد...يا دوب ننام شوية، ونصحى نجهز السحور .

تحدث حامد بإغفاء:

=روحى يا نعومي، وأنا هسببكم، وأنام .

دخلت نعمة الغرفة بابنها حتى يخلد للنوم، وبعد أن وضعت الغطاء فوقه بعناية، خرجت بصمت لتغلق الباب خلفها، وتوجهت إلى غرفتها، حيث لامست سريرها برفق واستلقت للراحة. كان منزل أم الديب بجميع طوابقه ينبض بالسكون، وسرعان ما غطت أصوات الليل الهادئة المكان بسحرها. في تمام الساعة الثالثة من الصباح، استيقظت ليالي ببطء متنقلة بين حلمها وواقعها، ومررت يدها برفق على كتف زوجها حتى يستفيق. راقبته لحظات، ثم قالت بصوت هامس:

_ اصحى يا جلال...اصحى...الساعة ثلاثة فاضل ساعتين على الفجر !

أجاب جلال، وهو سابح في أعماق نومه العميق، وشفثاه تلمحان حركة خفيفة كرد فعل غير مدرك، وصدوره يرتفع ببطء مع كل نفس عميقة يتنفسها في غفلة من الوعي:

أم الديب الجزء الثاني

=لما الأكل يخلص صحوني .

نطقت ليالي:

_طيب .

خرجت ليالي من الغرفة في وقت متأخر من الليل، حيث وجدت نعمة تطرق بابها بحذر، وعندما فتحت لها، وجدت ناعسة، تحمل أكياس الخضار بين يديها، الأكياس التي كانت تبدو ثقيلة، ومليئة بالخضراوات المتنوعة والطازجة، فقالت نعمة:
=جيبناك معايا شوية خضار .

ردت ليالي:

_ماشى أدخلني المطبخ، وأنا هدخل أغسل وشي .

دخلت ليالي المرحاض لتجذف وجهها بالماء الدافئ والصابون، بينما استخرجت نعمة الطماطم، والخيار، والليمون من الكيس، وقامت بشطفهم تحت صنوبر المياه. بعد خروج ليالي وجفاف وجهها بالمنشفة، دخلت لتبدأ في تجهيز السحور معها، حيث حضرت الخضار، والفواكه، والمكونات الأخرى بتركيز واضح. كان المنزل برمته في حالة نوم عميقة، ما عدا ليالي، ونعمة اللتان توليان مسؤولية تحضير الطعام. بعد دقائق، استيقظت أم الديب من نومها، ونادت المعلم حنفي بصوت مرتفع يحمل في طياته الجهامة، مطالبة بتجميع الأسرة للسحور:

=حنفي اصحى!

أجاب المعلم حنفي بنعاس:

_اسكتي يا ولية!

نطقت أم الديب بغلظة:

=بقولك اصحى...الفجر هياذن !

نهض المعلم حنفي مُسرِعاً، وهو يلتف حول نفسه بسرعة كالذباب، حركاته تنبض بالفزع، وفي لحظة من الحيرة، قال بصياح يعبر عن توتره الجارف:

_يا نهار أبيض...وسعي!

حينما نظر في ساعة هاتفه، تيقن من أنها ما زالت الثالثة وربع صباحاً. فقال لها بضجر، وبصوت محتقر:

_بنشتغليني يا ولية؟

نفوحت أم الديب بأناة:

=أمال أنصف الأوضة ازاي ياخويا؟

رد المعلم حنفي بعجيج:

_يعني انتي بتصحيني من عز النوم عشان تنصفي أم المخروبة فوق دماغك انتي، وأمك؟

أم الديب كأس الصبر الممتلى، تستطيع تحمل الصعاب، والظلم، لكنها لا تتحمل أي تجاوزات أو إهانات تطال والدتها المشاكسة، فهي تعتبر هذا الأمر خطأ أحمر لا يمكن تجاوزه، ومن يتجرأ على تجاوزه فإنه يقرر نهايته بنفسه، وبصوت عالٍ، صاحت قائلة:

=ايه رأيك ياخويا إن أمي اللي انت بتكرها دي هتفطر عندنا أول يوم؟

نطق المعلم حنفي بضجيج:

أم الديب الجزء الثاني

_محدث هيفطر عندنا...خليها تروح عند أي حد من أخواتك!
تلفظت أم الديب بصياح:
=هتيجي غصب عنك يا حنفي!
تساءلت هايدي وهي تخرج بخطوات كامدة من غرفتها، حيث انكشفت ملامح الاستياء على وجهها
المُنزعج:
_بتتخانقوا ليه تاني؟ أنا مش عارفة أنا!
تحدث المعلم حنفي بصياح:
=أنا سايبهاكم مخضرة .
ثم صعد إلى شقة جلال، فقالت أم الديب بضوضاء:
_وانتي تنامي ليه يا بت؟ ده اللي في سنك زمانهم واقفين على حيلهم في قلب المطبخ بيعملوا السحور .
ردت هايدي بعصبية:
=يوه، وأنا أعمل ليه؟ نعمة، وليالي هيعملوا .
نظرت أم الديب لهايدي بنظرة حادة تعكس شجبها، وقالت بصوت جلف:
_خشي جوا يا بت!
غطرت هايدي بفمها من انفعالها، ثم دخلت الغرفة بخطوات سريعة، وهي تصيح بصوت مرتفع:
=يوه بقي، يوه .
وصكت الباب خلفها بقوة، مما أثار صدح في الغرفة، فقالت أم الديب بصياح مغمور بالوعيد:
_مترز عيهوش يا بت ألا آجي أرزك علكة! بت ناقصة رباية، مآني اللي معرفتش أربيها .
بينما في شقة جلال، بعد أن سرد المعلم حنفي لابنته تفاصيل ما حدث، عبّرت نعمة بابتسامة مؤثرة:
=طب أقعد ارتاح يابا، وسيبك منها .
جلس المعلم حنفي على الأريكة، وتحدث بصوتٍ خجول:
_معلش بقي هتقل عليكم .
ثم استلقى فوقها، يغمض عينيه برهة، وأكمل نومه بسلام. وبعد نصف ساعة، كانت الساعة الرابعة إلا
عشر دقائق. دخلت ليالي الغرفة، ورجت جلال بيدها بلطف، وقالت بحنان:
=اصحى يا جلال الأكل خلص .
استيقظ جلال من نومه ببطء، وهو يوحد عينه الثقيلة، ثم يفتحها بحذر، وقال بنعاس يمزج بين الحلم،
والواقع:
_الساعة كام؟
ردت ليالي:
=الساعة أربعة إلا عشر دقائق فوق كده عبال ما أصحي العيال .
خرجت ليالي من الغرفة، وخلفها زوجها، فتفاجأ جلال بمعلم حنفي نائمًا على أريكة صالته. فقال بتعجب
مختلط بالدهشة:
_ايه ده؟ انت ايه منيمك هنا يابا؟
استيقظ المعلم حنفي من نومه، ووجهه يعبر عن الضيق، وقال بصوتٍ متلعثم بين النعاس، والكمد:
=أمك اشتغلتي في النكد قومت طالع .

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال:

_طب قوم عشان تاكل .

دخل جلال المرحاض بينما المعلم حنفي جلس بتأمل عميق على الأريكة. وبعد استيقاظ الجميع، نزلوا لتناول الطعام في شقة أم الديب، حيث وضعوا الطعام على المنضدة الريفية البسيطة. جلسوا حولها بفرح، وكان الطعام بسيطاً جداً، كأى طعام مصري أصيل يجمع بين النكهات الغنية، والتقاليد العميقة. وفي لحظة من الهدوء، قال المعلم حنفي بامتنان:

=تسلم أيديكم .

وأشار بيده نحو المياه، وواصل:

=ناولوني المايه يا عيال .

مد حمود يده بضرورة المياه إلى المعلم حنفي، وبادئ الأمر شرب منها ببطء، ثم بدأ في تناول الطعام بشهية، وفي نفس الوقت، في منزل أم قمر الدين، كانت تجلس هي، وزوجها، وأولادها أمام طاولة شهية محاطة بكل ما هو لذيذ وطيب. الطعام كان من أفخم وأجود أنواع الأطعمة، يتناغم مع جمال الطاولة، والترتيب الدقيق للصحون. ورغم أن أم قمر الدين كانت ترتدي الثياب المنزلية، إلا أنها برزت في كامل أناقتها الطبيعية، وسحرها الأخاذ، ممزوجة بأسلوبها الراقى في التعامل، وخلفهم، يقف الخادمت بانتظار فرصتهم لخدمتهم بكل حرفية. بابتسامة دافئة، قالت أم قمر الدين بلباقة تامة في التعبير عن شعورها:

_كل سنة، وانتوا طيبين يا روح قلبي .

ردت منى، ونالا في آنٍ واحد:

=وانتي طيبة يا مامي .

تلفظ باسم بابتسامة:

_وانتي طيبة يا بسملة .

نطق قمر الدين، وعلاء الدين في آنٍ واحد بحُب:

=وانتي طيبة يا ماما .

قالت أم قمر الدين بهجة:

_نعيش، ونتجمع على ترابيزة واحدة يا حبايبي، والسنة الجاية إن شاء الله يكون قمر الدين مع عروسته .

رد قمر الدين بتتيم:

=حبيبتي يا ماما ربنا يخليكي لينا .

نطقت أم قمر الدين ببشاشة:

_ويخليكوا ليا يا روح قلبي...زي ماتفقنا تاني يوم أخواتكم البنات جاينين...أنا كلمت الخادمت يجهزولنا أطول، وأكبر ترابيزة بحيث تجمعنا كلنا برا .

قال باسم بابتسامة:

=الحقيقة أنا هكون سعيد جداً بلمة ولادي، وأحفادي حواليا .

تفوهت أم قمر الدين بابتسامة:

_طبعًا يا باسم..ربنا يخليك ليهم، ويتجمعوا دايمًا حواليك .

أم الديب الجزء الثاني

بدأ الجميع في تناول الطعام، وهم يرسمون الابتسامة على وجوههم بتجمعهم سويًا، وبعد نصف ساعة في منزل أم الديب، كان أول من انتهى من تناول الطعام هو المعلم حنفي، فوقف مكانه بحركة بطيئة، يتحسس بطنه الزاخر، ثم اتبعه جلال بنفس الحركة، حتى ظلوا يقلون تدريجيًا حتى انتهى الجميع من الطعام. وبدأت النساء في جمع بقايا الطعام من الأطباق بحرص، ثم وضعوها في الحوض وشطفوها بالماء والصابون، ولكن أم الديب كانت تنهش الأطباق جوعًا حتى مسحت بقاياها بإحساس من الاشمئزاز:

=الأكل ماسخ، ومالوش طعم، انتوا حاطينله ايه؟

في أول ليالي رمضان، تتسلل الحرارة إلى المطبخ، حيث تقف ليالي بسخرية على حافة الحوض. ترتدي منزرًا، وتبدأ في غسل الأطباق بأناملها الرطبة. تتراقص قطرات الماء على الصحن. نظرت ليالي إليهم بعيون متأملة، حين كانت تغسلهم بأكمام ملفوفة حول معصمها، والبخار يتصاعد من براد الشاي، وتشعر بالدفء يملأ المطبخ رغم نسمة البرد الخافتة خارج النافذة. وهكذا استمرت في غسل الأطباق، تحت ضوء القمر، وصوت الرياح الهادئة، وقالت باستهزاء:

_أمال لو كان له طعم كنتي كلتي الأطباق ذات نفسها؟

ردت أم الديب بانفعال:

=ما تلمي نفسك يا بت، ولا انتي بتدوري على المشاكل بمقاط؟

ووقفت مكانها، وواصلت بجلبة:

=لو عايزة تتخانقي عرفيني، وأني هتخانق معاكي !

خرجت نعمة من المطبخ، وأسرت رائحة النعناع العطرة التي تنشرت خلفها، وقالت بلين:

_استهدوا بالله ده احنا في أيام مفترجة...متبدأوش الأيام دي بالمشاكل!

تلفظت هايدي، وهي تنظر لأم الديب بعيون تتبعث منها السخط كأواج متلاطمة في بحر هادي.

=معلش يا ليالي متدايقيش نفسك...انتى، ونعمة تعبتوا أوي في الأكل، كفاية وقفتم .

نظرت أم الديب لها بعيون تتم عن الاغتياب، ونطقت بنبرة حادة:

_انتى بتتحازي لمرات أخوكي يا بت؟

أجابت هايدي بجبن:

=لا، هو أنا قوت حاجة؟

تحدثت ليالي بحنق ملحوظ، حيث تردد صوتها في المطبخ كصدى لانفعالها المتصاعد:

_أنا مش هتكلم علشانك يا هايدي انتى، ونعمة مش أكثر !

رد جلال بابتسامة وهو يتأمل التلفاز، حيث لمحت البهجة في عينيه بينما يتابع البرنامج على الشاشة:

=أصيلة يا ليالي .

تحدث المعلم حنفي بأشتهاء، وهو يشاهد التلفاز:

_ولعلونا على الشاي نحبس .

أجابت نعمة:

=ماهو على النار يابا .

دخلت نعمة المطبخ، وأعدت الشاي بأناقة للجميع، ثم خرجت به ووزعت الأكواب بينهم ببراعة. كانت كل يد تمسك بكوب من الشاي، بينما تهتم ليالي بتنظيف كل الأواني والأكواب بدقة. ثم خرجت لتشرب

أم الديب الجزء الثاني

الشاي معهم، حيث كان بينهم من شرب المياه ومنهم من دخل للتوضؤ استعدادًا لصلاة الفجر. وبعد ربع ساعة، أذن المؤذن بالأذان من منبر المسجد، فانطلق المعلم حنفي، وجلال، وحامد نحو المسجد لأداء صلاة الفجر، في حين عادت النساء إلى شققهن برفقة أطفالهن. في اليوم التالي عند الساعة العاشرة صباحًا، استيقظت ليالي من نومها على اتصال هاتفي من تباهي فأعدلت جسدها بسرعة، وردت على المكالمة بابتسامة، وقلب مليء بالفرح، فقالت الوالدة برثاء:

_ صباح الخير يا ليالي يا بتي .

ردت ليالي بإحسان:

=صباح النور ياما... كل سنه وانتى طيبة .

قالت تباهي ببهجة:

_وانتى طيبة، وبخير يا بتي تنعاد عليكى الأيام بالخير، والسعادة، والهنا .

ردت ليالي بسعادة:

=اللهم آمين...أبويا، وأخواتي عاملين ايه؟

نطقت تباهي بابتسامة:

_بخير الحمدلله...تالت يوم انتوا معزومين عندي، تيجي من بدري الله يخليكي ده اليوم بيعدي هوا .

أجابت ليالي بتهلل:

=من عينيا ياما .

في محفل الصغار، حيث تتلاسن الأرواح الصغيرة على مصابيح رمضان، كان اليوم مشحون بالمنافسة. حمود، الصبي ذو العيون الحادة والشعر الأسود الكثيف، كان يمسك بدلالة المصباح بعنف. كانت اللمسة الباردة للمعدن تنساب في يده، تذكيرًا بالمسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتقه. تقى، الفتاة ذات العيون الكبيرة والشعر الأسود المموج، كانت تجلس بجواره. كانت تراقبه بثبات، وكأنها تحاول جذب المصباح نحوها بقوة خفية. كانت تعلم أنه يحمل في داخله أكثر من مجرد ضوء، إنه رمز للأمل، وهو ما يجعله أكثر من مجرد قطعة معدنية. في لحظة سخط، انفجر حمود، وصرخ بصوت عالٍ يهز الجدران لكن تقى لم تتراجع. وهكذا تحول اللهب إلى شجار:

_الفانوس ده بتاعي!

ردت تقى بعناد:

=لا بتاعي أنا !

استمر النزاع بين حمود، وتقى، فكانت الكلمات تتداول بينهما بسرعة، كل منهما يحاول أن يثبت أحقيته في حمل المصباح. حمود يصدح، في لحظة من الغضب العارم، سقط المصباح على الأرض. اندحر حمود خلفه، وتقى تنظر إليه بعيون مليئة بالتفكير. كانت اللحظة مليئة بالصمت، وكان الزمن توقف. استيقظ جلال على صخب المصباح. كان مفزوعًا، يحاول تجميع أفكاره. كان المصباح مكسورًا، والضوء الذي كان ينبعث منه قد انطفأ، فقالت تباهي بفرع:

_يانهار أسود ايه اللي حصل؟

كان قلب ليالي ينبض بسرعة. الظلام يلتف حولها كالثوب الثقيل، وتشعر بأن هناك شيئًا مخيفًا يترقب في غرفة الأطفال. صوتها ارتجف، وهي تقول بترقب:

=استنى ياما خليكى معايا.

أم الديب الجزء الثاني

في لحظة مفاجئة، دخل جلال وزوجته الغرفة. عيونهما واسعة من الصدمة، وقلوبهما ينبضان بالخوف. أمامهما، كان المشهد مروّعاً: الأثاث مبعثر، والأرض ملطخة بشظايا المصباح. بينما ابنتهما تقى كانت تجلس على الأرض، تبكي بحرقة، وتحتضن بقايا المصباح بقوة. كانت الكارثة قد حلت، والحياة لم تعد كما كانت. لم يكن هناك حوار، فقط دموع، وصرخات تعبيراً عن فقدان، وهي تقول:

_ضربني يا ماما...ضربني، وكسر الفانوس بتاعي .
صرخت ليالي قائلة بذهول:

=ايه اللي انتوا عملتوه ده؟ انتوا عارفين الفانوس ده بكام دلوقتي؟
تحدث جلال بعجيب:

_انتوا شوية عيال متخلفة ياض انت، وأختك !

وخرج من الغرفة، وواصل بوعيد:

_أنا هربيكم، وهعلمكم الأدب!

جرى حمود خلف والده بسرعة، صوته يرتفع بينما يصرخ قائلاً:

=خلاص بابا والله آخر مرة !

ثم انقض نحو والدته، دموعه تنهمر بغزارة، وواصل بانتحاب مؤثر:

=ما تقولي حاجة ياما!

عاد جلال بالحزام اللاسع إلى أبنائه بقرار جاد بمعاقتهم على خطئهم، لكن قلب الأم الحنون انحنى أمام رؤية أبنائها المذنبين. تراجعت في لحظة الخوف عن تنفيذ العقاب، وفي حالة من الترقب قالت:

_خلاص يا جلال متمدش ايدك على العيال الله يسترك...تمشمتش فينا الأعداء... عيال صغيرة، وغلطوا ياخويا.

رد جلال بصياح:

=ده كل يومين يتخانقوا، ويضربوا بعض يا ليالي!

وقفت ليالي إزاء تهديد جلال بالعقاب، متفادياً لأبنائها بكل ما أوتيت من حنان، قائلة بروح مترددة:

_خلاص أدخل انت متعكرش مزاجك .

أزاحت ليالي زوجها بعيداً، وبعدها غادر دخلت إلى أولادها مجدداً، ونطقت بصوت مؤثر:

_لو اللي عملتوه ده اكرر تاني هسيبكم منكم لأبوكم... وسمعش صوتكم تقعدوا زي فردة الجزمة!

رد حمود بخوف:

=ماشى .

تشبثت ليالي بيد ابنتها بينما جلستا معاً على الأريكة، وهي تواصل حديثها في الهاتف مع والدتها، وكانت تباهي تظن أن المشكلة كانت بينها وبين جلال، وليس بين أبنائها، فقالت بصوت محمل بالقلق:

_ألو يا ليالي...ايه اللي جرا؟

ردت ليالي بضيق:

=العيال اتخانقوا، وضربوا بعض .

في هذا الوقت، كانت سيليا تبلغ خمسة أعوام بينما كانت أسيل تبلغ شهرين فقط، وفي منزل أحمد، وجميلة، وقفت سيليا قبال سرير أختها الصغيرة، تفكر كطفلة بريئة في سبب امتناع أسيل عن الصيام، بينما هي تمتثل بذلك بمفردها. وفي حالة من الفضول البريء، قالت برقة:

_اشمعنا انتي لسه صغيرة، ومش هتصومي؟

أم الديب الجزء الثاني

كظمت قليلاً، وأردفت:

_تعرفي أنا هصوم لحد الضهر... أنا أكبر منك بشوية صغنين لكن انتي صغنة خالص فمش هينفع تصومي !

دخلت جميلة وحملت أسيل بين ذراعيها لتغير ملابسها المُتسخة، وفي لحظة من الفرح ابتسمت، وقالت بدهشة:

=انتي بتكلمي أسيل كأنها فاهمة بتقولي ايه؟
أجابت سيليا بتفكير:

_مامي هو ليه أنا هصوم، وهي لا؟

ضحكت جميلة بصوت عذب، وفي لحظة من البراءة، قالت بكلمات تعبر عن عقلها الصغير، ونقائه:
=علشان انتي أكبر منها .

ردت سيليا بإرهاق:

_بس أنا مش هينفع أصوم كتير يا مامي .

قهقهت جميلة بضحكة تتبع من داخلها، وقالت بسعادة بالغة:

=أبوة يا روجي لحد الضهر، وبعدين افطري علشان لما تكبري تكوني اتعودتي، ومنتعيش .
استيقظ أحمد من نومه، ودخل غرفة الفتيات بابتسامة تملأ وجهه، وقال:

_صباح الخير .

ردت جميلة، وسيليا في آنٍ واحد:

=صباح النور .

اقترب أحمد من جميلة، وهي تحمل أسيل، ومد يده لها، ونطق برفق:

_هاتي عنك .

حمل أحمد ابنته وخرج بها إلى الصالة، حيث جلس على الأريكة وجلست سيليا بجانبه، تداعب وجه أختها بينما دخلت جميلة المرحاض. بالرغم من صغرها، شعرت سيليا بالغيرة تجاهها، واستغربت من حب واهتمام والديها المفاجئ لهذا الكائن الصغير المسمى أسيل، وهمست بانزعاج:

=انت ليه مش شيلتني، وأنا صغيرة زيها؟

ضحك أحمد، وقال باستغراب:

_مين قالك كده يا سيليا؟ بالعكس ده أنا كنت بشيلك أكثر من أسيل...ده احنا دلعناكي دلع .

باعدت سيليا يدا أسيل التي كانت على كتف أحمد، ووضعتها على كتفها بتعبير واضح عن الغيرة، وقالت بصوت هامس بالانزعاج:

=متشيلهاش يا بابي...شيلني أنا بس !

حمل أحمد ابنتيه، سيليا على ساقه اليمنى وأسيل على ساقه اليسرى، وبدأ بتوزيع قبلاته بالتساوي على كل منهما، حرصاً على عدم زيادة إباء سيليا تجاه أسيل. وفي لحظة من النظر المحب، قال لها بابتسامة:

_سيليا مينفعش تغيري من أختك...هي بتحبك جدًّا علفكرة .

ردت سيليا:

=مانا بحبها برضة يا بابي .

أم الديب الجزء الثاني

في الحين رن هاتف أحمد فقام مكانه، ووضع ابنتيه برفق على الأريكة، ثم نظر إليه بتعجب ممزوج بالفضول، وقال:
_دي ماما !

بعد أن استجاب للمكالمة، أردف:
_ألو يا ماما عاملة ايه؟
ردت أم الديب بسعادة ملموسة، حيث انبعثت البهجة من عينيها وانعكست على محياها:
=نشكر ربنا...متأخرش انت، ومراتك، والبنات .
نطق أحمد بابتسامة:
_حاضر...بابا، وجلال، وكله عامل ايه؟
أجابت أم الديب بسماحة:
=كويسين، أهو متلفح على الكنبة بالفانلة البيضاء .

نسيت أم الديب المكالمة، وصبت تركيزها بكامله على المعلم حنفي، حيث صاغت به بصوت مرتفع قائلة:

=انت يا راجل انت مترفعش رجلك على الكنبة هتوسخها!
رد المعلم حنفي بسخط جارف، وسخر منها بابتسامة مستهزئة:
_ليه كلب جربان قاعد عليها؟ ولا يكونش قاعد على كرسي الملكة؟
صاغت أم الديب قائلة:
=نزل رجلك بقولك !
تحدث أحمد باختناق وكأنما كانت كلماته تتسرب بصعوبة:
_خلاص يا ماما هو ميحلاش المشاكل غير لما تكلميني؟
ردت أم الديب باستعجال ملموس:
=سلم على مراتك...متدخلش ايدك فاضية...سلام .
نظر أحمد للهاتف بارتباك، وقال بضيق:
_أتبرى منهم، ولا أروح منهم فين بس؟
أنهت أم الديب المكالمة بسرعة لتواصل نزاها المستعجل مع المعلم حنفي. ارتفعت من مكانها باستشاطة، واقتربت منه بخطوات ثابتة، وكانت عيناها مشرقتين كشریط من الضوء الأحمر، وبينما كانت تتوجه نحوه، هتفت بصوت يعبق بالقوة:
=الكنبة لسه منضفينها، ده أني مطلعته منها كمية قرف .
جلس المعلم حنفي ببرودة متمائلة، وأعاد ترتيب وضعيته بانسجام. ثم أطلق صيحة مليئة بالاستفزاز:
_القرف ده تلاقية منك يا ولية...على الأقل أنا بستحمي كل يومين مش كل شهرين مرة
خرجت هايدي من غرفتها بسرعة، مستجابةً لصياحهم المتقاطع، واندمجت في النقاش بلا تردد، حيث شاركتهم بجلبة متمرد قائلة:
=يوه ارحموني دماغي صدعت....أنا زهقت... قرفت اتهدوا بقى!

أم الديب الجزء الثاني

في رحاب شقة نعمة، كانت تتوشح بروح التقوى، والخشوع، وتستقر على ربوة السرير، حيث تتلو الآيات القرآنية المجيدة بانتباه شديد من بين صفحات المصحف المفتوح أمامها. وبعد أن اكتملت قراءتها، تَلَفَظَتْ:

_ صدق الله العظيم .

دخل حامد الغرفة، ونظر إليها بفضول متقدِّمًا:

=هتعملوا أكل ايه النهاردة؟

وضعت نعمة المصحف برفق على التسريحة، ووقفت في المكان، لتأمل لحظات:

_ والله احنا لسه بنفكر يا حامد...نعمل صينية فراخ، ورز، وملوخية، ورقاق، ومكرونه .

رد حامد:

=زودوا شوية، ده أول يوم رمضان لازم الطبلية تكون مليانة أكل أشكال، وألوان، ولا الحلويات بقى .

نطقت نعمة برُشد:

_ سبحان الله ياخويا مع إن رمضان هدفه نحس بالغلابة، وعيشتهم الصعبة مش نملى الطبلية أكل أشكال،

وألوان .

تَلَفَظَ حامد بتمني:

=فكك يا نعومي من الكلام ده... احنا عايزين نعوض الحرمان اللي شوفناه، وبعدين ما احنا غلابة حد قالك

إننا أغنيا؟

ردت نعمة بابتسامة تنبض بالرضا، والسكينة:

_ على رأيك بس احنا هنعمل كده علشان نفرح العيال .

تَلَفَظَ حامد بابتسامة:

=طب قومي شوفي دنيتك فيها ايه، ولا انزلي لليالي، وقرروا مع بعض عبال مانا أدخل أتوضى،

وأصلي .

قالت نعمة بهدوء:

_ ماشي ياخويا .

خرجت نعمة من شقتها بقرار ثابت للنزول إلى شقة أخيها، في حين دخل حامد المرحاض ليتوضأ

ويستعد لأداء الصلاة. وبعدما طرقت نعمة الباب، فتحت لها ليالي باب الشقة بابتسامة تنم عن الاستقبال

الحر، وقالت بلُطف:

=تعالى يا نعمة...خشي .

دخلت نعمة عقب ليالي، فتألأت وجوهها في أنوار الصالة، فنطقت نعمة بتساؤل:

_ هنعمل أكل ايه النهاردة؟

اتجهت ليالي إلى المطبخ، وجاءت وراءها نعمة، وقالت:

=زي ماتقنا امبارح، بس يلا همتهك معايا عشان نلحق نخلص .

ردت نعمة:

_ حاضر .

بعد أن استخرجت ليالي الخضروات من الخزانة ووضعت الأرز في طبق عميق، بدأوا في تقطيع

البطاطا وشطف أعواد الملوخية. بينما في منزل أحمد، بعد أن ارتدوا ملابسهم وأصبحوا جاهزين للسفر،

أم الديب الجزء الثاني

كانت جميلة تقف مع ابنتها سيليا في حجرة الثياب، معبرة عن اهتمامها الدائم بنظافة بناتها، تمامًا كما كانت والدتها تهتم بهم في الصغر. وكانت حريصة جدًا على ظهورهم بأبهى حلة، فقالت لابنتها بابتسامة تتبعث من دفء الرعاية:
=الله يا سيليا حلو أوي، الأوت فيت ده يجنن !

عانقت سيليا جميلة بحنان، وأسرتهها بين ذراعيها براحة، وقالت بابتسامة يملؤها العشق:
_ميرسي يا مامي .

وقف أحمد على باب الغرفة، وبدأ يتحدث بتعجل:

=جميلة أنا هنزل أستناكم في العربية .

ردت جميلة بابتسامة:

_أوكي، احنا جايين وراك .

نزل أحمد من المنزل وركب سيارته، حيث كان ينتظر زوجته، وبناته. في الوقت نفسه، كانت جميلة تنتظر لابنتها أسيل وهي تلبس حذاءً فارهاً، ثم نزلت مع فتياتها من المنزل وركبن السيارة جميعاً، استعدادًا للانطلاق إلى القرية. وبينما كانت ليالي تقطع البطاطا، سألت نعمة بحيرة:

=هنعمل عصير ايه صحيح؟

أجابت نعمة بينما هي تقطع أعواد الملوخية بدقة، وعيناها توضح الانتقاء:

_نعمل خروب، ومانجا، ولا انتي ايه رأيك؟

ردت ليالي بإعجاب:

=حلو كله فضل، ونعمة من عند ربنا .

تركت نعمة ما في يدها، وألقت نظرة على المكان بتأمل عميق، ونطقت بتفكير:

_طيب هطلع أجيب الحاجة من فوق .

ردت ليالي بابتسامة طويلة، وهي تقترب من حوض المطبخ بخطوات منتظمة:

=ماشى .

صعدت نعمة بصمت إلى شقتها، واستمعت بتأنٍ لزوجها وهو يتحدث بجدية في الهاتف:

_وحشتيني بشكل... لا ده أنا عمري ما أنساكي...جواز ايه اللي يخليني أنساكي بس؟

كانت كالصاعقة تضرب قلبها، كيف استطاع أن يخونها بعد كل التضحيات والجهود الكبيرة التي بذلتها من أجله؟ لم تشعر نعمة بنفسها سوى وهي تنظر إليه بعينين مليئتين بالعتاب، وانطلقت بصوت ينطلق من أعماقها، صارخة في وجهه بكل أسى:

=يا نهارك أسود يا حامد!

نشبت نعمة في الهاتف كالنمر الشكس الذي ذاق المسعبة ليالي غديقة، وصرخت صراخ عَضِل قائلة:

_ألو انتي مين يا خطافة الرجالة؟ بقي عاوزة تخطفي جوزي مني؟ ما هو كان متلقح قدامك، ولا هو اخلو

في عينك بعد ما اتجوزني؟

ضحك حامد ضحكًا شديدًا، وضرب كفيه ببعضهما، مما أثار سخطًا أعمق في نعمة نحو استهتار زوجها بمشاعرها المتقلبة. فانفجرت بصياح مَنين:

=انت بتضحك على ايه انت كمان؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم أشرف بذهول:
_ ألو يا نعمة، كلام ايه اللي بتقوليه ده؟
بعد أن استمعت نعمة لصوت حماتها، شعرت برغبة شديدة في أن تنشق الأرض وتبتلعها، وكلما زادت صدمتها، قالت في نفسها بخجل:
=ايه؟ يخبيني !
ونظرت لزوجها بعيون متأملة، وبينما كانت تفكر في كلماتها، نطقت بهدوء:
=هو انت بتكلم أمك؟
قهقه حامد، وقال بذهول:
_ نيتك وحشة يا نعمة .

أمسكت نعمة الهاتف بين يديها بإحراج جسيم، وتلفظت بتوتر:
=أنا أسفة يا حماتي فكرته بيكلم حد ثاني .
ردت أم أشرف بعجيج حار:
_ بقى بتشكي في ابني؟ ليه شايفاه عينه زايفة، ولا ناقص رباية؟ أنا ابني طالع من بيت محترم!
نطقت نعمة بحروف ملأنة بالإحراج:
=والله ما أقصد أصل أنا دخلت عليه، وهو بيقول كلام يخلي أي واحدة تشد في شعرها، وتتجنن...حقك عليا يا حماتي.
ردت أم أشرف بنبرة عرمة محملة بالكراهية:
_ هاتي ابني أنا كلامي معاه مش معاكي .

أعدت نعمة الهاتف لزوجها بحركة مبالية، ثم دخلت المطبخ دون أن تلتفت، وفي هذا الوقت، قال حامد بصوت يحمل نبرة من الدهشة:
=ألو ياما...حقك عليا مانتي عارفة نعمة طيبة، وعلى نياتها، وأول مرة يحصل منها كده !
فتحت نعمة المثلج، وقالت لنفسها بإرتباك، وتفكير:
_ اتشقي يا أرض، وابلعيني...ايه اللي أنا هببته ده بس ما طلع مظلوم أهو...مالي كده في ايه؟
نزلت نعمة بالمانجو، والخروب، وكان أصيب وجهها بمائة لخرة، وفي حالة من الإحراج، قالت:
=ده أنا حصل معايا حتت موقف مقولكيش يا ليالي.
ردت ليالي بفضول:
_ موقف ايه؟

وضعت نعمة شرائح المانجو بدقة في الطبق، وأبدت اهتمامًا في ترتيبها، وهي تقول بامتعاض:
=دخلت ياختي لقيتلك حامد جوزي بيكلم واحدة بيقولها وحشتيني، ومنستكيش، وأصل، وفصل، وبعد ما مسحت بكرامتها الأرض طلعت حماتي !

ضحكت ليالي بشدة، وكانت ضحكتها كالنسيم العليل يعبر حقول الربيع، فأعلنت عن دهشتها في هذا السياق:

_ يخربيتك بقى شكلك وحش أوي...ده زمان حماتك ما صدقت تمسك عليكي غلطة.

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة باستياء:

=ماهو كده حبيبك ييلعلك الزلط، وعدوك يتمنالكَ الغلط.
دخلت أم الديب الشقة بعيسة واسعة، فالباب كان مفتوحًا للجميع. وحينما استمعت لحكايات نعمة وليالي معًا، انعكست على وجهها تعابير الاستياء، وفجأة انفجرت، قائلة بصوت ساخط:
_ساييين اللي وراكم، وقاعدين تتساهروا؟

ردت نعمة بترقب:

=لا ياما ده أنا كنت فوق بجيب المانجا، والخروب، ولسه نازلة.
وصفت أم الديب الوضع بنكتة طريفة وهي تعبر عن مزاجها الفكاهي، وحبها للتسلية، حيث قالت بابتسامة واسعة على شفيتها:
_مانجا، وخروب بس يا بت؟ اعمليلنا سوبيا، وتمر.

نفوحت ليالي بشحناء:

=طبعا يا حماتي ماهو أبو بلاش كتر منه...إنما لو انتي اللي هتدفعي كان زمانك مقسمانا كلنا في كوابية عصير واحدة.

ردت أم الديب بكمد ساحق، حيث انطلقت كلماتها بقوة، معبرة عن استيائها من الوضع:

_وأنا أَدفع ليه يا محروسة؟ هأكلكم كمان؟ مانتوا طمعانيين فيا، وفي فلوسي...مانتي اللي بتبخي السم في ودان ابني، وبتقويه عليا.

نطقت ليالي بدهاء، فتجسد حديثها بذكاء، معبرة عن ردها بطريقة ماهرة:

=ولا حصل يا حماتي ده أنا كل يوم أقوله خد بالك من أمك...متزعلش أمك..ده انت ملكش غير أمك.
ضحكت أم الديب بشكل ساخر، فقالت بشك:
_ابهي مصدقكيش ده انتي حية يا بت.

ردت ليالي بهدوء ملحوظ، حيث انطلقت بجرأة، فانعكست ملامحها بعبوسية، مما أضفى على ردود

أفعالها بعدًا عاطفيًا عميقًا يعبر عن مشاعرهما الداخلية المتقلبة:

=الله يسامحك يا حماتي...أنا مش هرد عليكى علشان انتي في بيتي.

صرخت أم الديب قائلة بعجيج:

_بيت مين يا أم بيت؟ ده داري أني، وانتي، وجوزك قاعدين ضيوف هنا!

نطقت ليالي بسخط:

=ضيوف مين؟ دي شفتي، وكل حاجة فيها بتاعتي، ولا أجييلك القايمة من الدولاب؟

تركت نعمة ما في يدها، ووقفت في المنتصف، وقالت بهجس:

_لا إله إلا الله...يا جماعة مش كده، ده انتوا كل يوم لازم مشكلة جديدة... ياما اعتبريها بنتك!

ردت أم الديب بجهامة:

=أني مليش غير بتين...انتني، وأختك هايدي.

خرجت أم الديب من الشقة، فأشعلت قلب ليالي نارًا داخل صدرها. بعد ذلك، عادت لعملها بانزعاج،

وفي حالة من التدليس، قالت بتوعد:

_ماشني يا حماتي.

أم الديب الجزء الثاني

بعد ثلاث ساعات وصل أحمد، وجميلة مع بناتهم إلى قرية أبو حلاوة. حيث نزلوا من السيارة، فكان أحمد يحمل أسيل على ذراعه، وفي الذراع الآخر كان يحمل علبة كبيرة من حلوى رمضان. جميلة كانت تمسك يد ابنتها سيليا بينما كانوا يدخلون منزل أم الديب. صعدوا الدرج، ودخلوا الشقة، حيث كان المعلم حنفي مستلقيًا على الأريكة، مرتديًا فانلة بيضاء وسروالًا مهلهلًا في وقت القيلولة. لم يلاحظ وجودهم إلا بعد أن فتح عينيه، فاندھش، وقال بخجل:
=مش تقول احم؟

أدارت جميلة وجهها ووجه سيليا في زاوية أخرى، مبديتين عدم انتباههما للموقف. في هذا الوقت، قال أحمد بإحراج:
_ أدخل غير يا بابا، وبعدين اطلعنا.

دخل المعلم حنفي الغرفة، وصك بابها برفق، في حين جلس أحمد، وزوجته، وبناتهم في انتظاره، وفي لحظة من الصمت، نطق أحمد باستحياء:
=معلش يا جميلة أصل انتي عارفة الجو حر، وكده.
أخرجت جميلة هوايتها الخاصة من الحقيبة، ورفعتها بلطف نحو وجهها، فتلاشى حر المنزل أمام برودة ذلك المشهد. بعدها، قالت بابتسامة بهيجة:
_ خلاص أنا اتعودت على أونكل، وطنط.

في بداية رحلة الزواج، كانت جميلة تتعجب لكل ما يحدث من أحداث في عالم أسرة أحمد، حيث كانت الأيام تملأها الدهشة بكل تجربة جديدة، وبعد مرور سنوات عديدة، تأقلمت وعلمت نظام حياتهم، فأصبحت الأمور واقعًا لا بد من قبوله، وتجسدت تلك التجربة بمرونة، وحكمة تامة في استيعاب التغييرات والتحديات. عندما دخلت أم الديب الشقة، وجدت سعادتها في رؤية جميلة، وأحفادها الأعراء، فابتسمت، وقالت بفرح:
=يا أهلاً، وسهلاً يا ألف مرحب.

تشبثت أم الديب بجميلة بحذب، وأعطتها إحدى عشرة قبلة، تعبيرًا عن حبها الصادق لها كإبنة، لكن جميلة استقبلت هذه اللحظة بغرور، وفي هذا الوقت، وجهت كلماتها بنظرات متعالية:
_ ازيك يا طنط بسمه؟

ابتعدت جميلة بحذر عن أم الديب، واختنقت من رائحتها الوخيمة، فظهر على ملامحها التقزز. لاحظ أحمد هذا التغيير في زوجته، لكن أم الديب لم تتوقف عن التعبير عن مشاعرها بالحب، فحملت أسيل بقوة، وعانقتها بشدة، ثم قبلتها بعنف معبرة عن فرحتها الكبيرة برؤية حفيدتها. في تلك اللحظة، وجدت أم الديب السعادة تملأ قلبها، وبينما كانت تحتضن أسيل بين ذراعيها، قالت بصوت مترع بالمحبة:
=اسم الله عليها شبهك يا جميلة.

ردت جميلة بتعبير ممزوج بالاشمزاز، حيث انعكس على ملامحها ذلك الانزعاج، وكلماتها خرجت بتغريض ملحوظ، ما يوضح موقفها المتقزز من الوضع:
_ أه يا طنط كلهم بيقولولي كده.

جلست أم الديب بأسيل على الأريكة، وعبرت بدهشة عن مشاعرهما، حيث انعكست على وجهها لمحات من الاستغراب المبهج. أسيل كانت تتأمل حولها ببراءة، والتفت أعينهما في لحظة من الفهم المشترك، ما أضفى على الجو جاذبية، فقالت أم الديب بذهول:
=هي البت مابتكبرش ليه؟ حجمها قد النملة!

أم الديب الجزء الثاني

أجابت جميلة بتعجرف:

_ ايه يا طنط؟ أسيل لسه عندها شهرين، ده طبيعي!

ردت أم الديب بعفوية:

=احنا عندنا العيل، وهو عنده شهر كان يبقى قد العجل.

تعجبت جميلة من مصطلحات أم الديب الدميمة، وانعكس ذلك على وجهها بتعبير ممزوج بالاشمئزاز. صوتها كان يحمل لمسات من الغطرسة الواضحة، وكلماتها خرجت بتنغيص ملحوظ، مما يعكس رد فعلها الرفض للتعبيرات الغريبة:

_ عجل؟

خرجت هايدي من غرفتها بخطوات خفيفة، وعانقت جميلة بسعادة غامرة، معبرة عن فرحتها بلقاءها، وكانت الكلمات تتقاطر من شفتيها بمودة:

=ازيك يا جميلة؟ وحشاني أوي.

ردت جميلة بابتسامة خافتة:

_وانتي كمان يا هايدي.

تبادل الجميع القبلات، والأحضان بفرح، وكانت هايدي سعيدة برؤية بنات أخيها، وجلست على سيف أحمد، وجميلة، حيث كانت تلاعب أسيل بغرام، مما أثار ضحكاتها البريئة التي أضفت على الأجواء بهجة، وسرورًا. طيلة جلوسهم، لاحظت أم الديب بقوة تلك العلبة وكانت تتطلع بشوق لمعرفة ما بداخلها، فنظرت إليها، وقالت بحماس:

=هاتوا العلبة دي أشيلهاكم .

نشبت أم الديب في علبة الحلوى، وهرولت إلى المطبخ بخطوات مستعجلة، وفتحت العلبة بترقب شديد لتتظر إلى محتوياتها. وإن كانت أم الديب على عقيدة أخرى غير الإسلام، لكانت التهمت تلك الحلوى الشهية التي لم تشهدها طوال حياتها، فهنا في الريف، اعتادوا على كل ما يسد الجوع، ولكن البعض، وليس الكل، لا يتذوق ولا يدرك حاسة التذوق سوى بأنها شيء سكري المذاق، ولكن هناك في أفخم وأرقى المستويات، يصنعون الحلوى بحب ويبدلون قصارى جهدهم في جعل المحتوى والشكل مثاليين، وإن لم يفعلوا فإنهم يجب عليهم الاستعداد لتلقي الشكاوى قبل ليلة إغلاق المتجر. خرج المعلم حنفي من الغرفة بعد أن غير ثيابه، وارتدي الجلباب، وعانق ابنه بحنان، مبدئيًا فرحته برؤيتهم:

_يا ألف مليون مرحب، معلش يا ض كنت قاعد مرحرح .

رد أحمد بإحراج:

=لا ولا يهملك يا بابا .

صافح المعلم حنفي زوجة ابنه وحفدته، وفيما كان يتبقى ساعتان فقط على موعد الإفطار، شعرت جميلة بالضيق من حرارة المنزل المتزايدة، لذا سعدت إلى شقة ليالي برفقة هايدي، وسيليا، وأسيل، بينما نزل جلال مع أبنائه، وابن أخيه إلى شقة أم الديب. وفي هذا الوقت، وفي أثناء تبادل التحيات والسلام، صافح أخاه بود، وبالأعلى قالت جميلة بابتسامة لامعة تعبر عن راحتها النفسية:

_ كل سنة، وانتوا طيبين.

نطقت نعمة، وليالي بابتسامة دافئة، تزين وجوههما بتعابير الترحيب، وكأنهما تشاركان جميلة نفس الشعور بالحبور. كانت تلك اللحظة تعبر عن تواصل عميق، ومودة صادقة:

=وانتي طيبة.

أم الديب الجزء الثاني

تبادلت النساء القبلات، والأحضان بحرارة، مجسدت مشاعر الحب التي تربطهن ببعضهن. في الصلاة، جلست جميلة مع بناتها برفقة هايدي على الأريكة، حيث كانت الابتسامات تعلو وجوههن وتعبر عن سعادة اللقاء. وبعد لحظات قليلة، خرجت نعمة إليهن بابتسامة مشرقة تضي نوراً على المكان، وقالت بصوت مليء بالترحاب :
_ الدنيا منورة والله يا جميلة.

ردت جميلة بابتسامة:

=منورة بيكي يا روجي انتي، وليالي، وهايدي.

خرجت ليالي من المطبخ بخطوات مليئة بالحيوية، وحملت أسيل بين ذراعيها بحنان واضح. لمعت عيناها بالسعادة التي تغمرها، وقالت بصوت مليء بالسرور :
_ الله يخليكي يا جميلة، ماشاء الله... الله أكبر سكرة أوي.

تحدثت نعمة بسعادة غامرة، وهي تتأمل في ملامح أسيل البريئة، وكأنها ترى انعكاساً لمستقبل مشرق مليء بالأمل. كانت عيناها تتلألأ بفرح لا يوصف، وشفتاها ترسمان ابتسامة دافئة، وبينما تتحدث، كانت نغماتها تتدفق بنعومة:

=ماشاء الله كلها جميلة... أصل العيال، وهي صغيرة مش ببيانلهم ملامح لكن لما بيكبروا بيتشكلوا.
ردت جميلة بابتسامة:

_ ده حقيقي.

خرجت تقى من غرفتها بخطوات مشرقة تضيء وجهها. صافحت جميلة بحرارة، وقالت بنبرة مليئة بالود:

=ازيك يا مرات عمي؟

نطقت جميلة بابتسامة خافتة:

_ هاي يا تقى، عاملة ايه انتي؟

أجابت تقى بسعادة غامرة:

=الحمد لله .

دخلت جميلة المطبخ برفقة ليالي، ونعمة، وقررت لأول مرة في حياتها أن تساعدن في إعداد الطعام. بينما كانت هايدي في الصلاة، تحمل أسيل وتداعبها بفرح لا يوصف، كانت ضحكات الطفلة تغمر المكان بالسعادة. بينما سيليا وتقى كانتا تلعبان معاً، تملؤهما البراءة، والحيوية، وفي شقة أم الديب، كان الرجال يجلسون سويًا في الصلاة، يتبادلون الأحاديث، والذكريات. قال المعلم حنفي بلامح وجهه الهادئة، وابتسامة تعلو شفتيه:

_ منور الدنيا.

رد أحمد ببشاشة:

=ده نورك .

أم الديب الجزء الثاني

عندما كانت أصوات الأطفال تملأ الأرجاء بضحكاتهم، وصخبهم الطفولي البريء، ضاق صدر جلال بتلك الجلبة التي لم تهدأ، فتجهم وجهه واحتدت ملامحه، وخرج صوته بأعلى درجاته، وهتف بقوة تشوبها نبرة الانزعاج:

_متعملوش دوشة يا عيال أنا نفوخي مش ناقص... الواحد مصدع، والجو حر، وجعان، وعطشان، وبصوا على أخري!
نفوه المعلم حنفي بتعجب:

=ماتسيبهم يلعبوا ياض...مانت ياما صدعتنا انت، وأخواتك، ولا حد كان بيتكلم!
في منزل أم قمر الدين، دخلت المطبخ بخطوات متأنية لتطمئن بنفسها على مدى تقدم الخادما في تجهيز الطعام استعدادًا للوليمة المنتظرة احتفالاً بخطيبة ابنها قمر الدين وعائلتها. كان المشهد داخل المطبخ يعكس جهدًا كبيرًا وتحضيرًا دقيقًا، حيث كانت الخادما يعملن بجد واجتهاد، يضعن الديك الرومي العملاق في صينية ضخمة تزينها الألوان، والنكهات، محاطًا باللحوم المشوية التي تفوح منها رائحة تأسر القلوب، والحمام المحشو الذي ينضح باللذة، والمكسرات التي تزين الأطباق بشكل جذاب، وأوراق العنب الملفوفة بعناية بجانب أصناف كثيرة تشتهيها الأنفوس وتغري الحواس. وفي هذه اللحظة، تأملت أم قمر الدين هذا المنظر البهيج وقالت بصوت مليء بالفخر، مشيدة بجهودهم، وإتقانهم في التحضير:

_توليناز...وصلتوا لفين؟

أجابت الخادمة، وهي تغلف الصينية المزينة بألوان الطعام اللامعة، والتي قد وضعت فيها الأطعمة الشهية والمغرية، فبدأت بوضع ورق القصدير حولها بحرفية عالية واهتمام دقيق. كانت كل خطوة تُعكس تفانيها، وحرصها على ضمان حفظ الطعام، وحفظ مظهره الجذاب حتى لحظة التقديم:
=الديك الرومي في الفرن ست هانم...محشي ورق عنب، وحمام محشي أرز، وفريك، ومكسرات...
المكرونة بشاميل حجم عائلي في الفرن ست هانم، والكباب، والكفتة، والبوفتيك برا في الحديقة بيتشوا على الفحم ست هانم.

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_هايل، ظبطوا الأكل كويس جدًا...خطيبة قمر الدين، وأهلها معزومين عندي، وأقل غلطة في الأكل مش هقبل!

نفوهت الخادمة ببشاشة:

=لا يا ست هانم هنشرفك قدامهم.

نطقت أم قمر الدين:

_أوكي هنشوف.

خرجت أم قمر الدين متلألئة كالنجمة من المطبخ، وصعدت إلى غرفتها كأنها تحلق في سماء الجمال، واستعادت رونقها بارتداء البكيني الذي يشع بريق الشمس، ثم هبطت إلى حمام السباحة كأنها تغوص في

أم الديب الجزء الثاني

بحر الأناقة، وسبحت بكل ثقة وهي تطلق أشعة البهاء في كل اتجاه، وفي لحظة من الاستمتاع، همست
بجاذبية:
_انتعاش جدا!
يتبع....

الفصل الثاني عشر

في المطبخ، حيث كان العبير الزكي يتسلل من القدر، ويرتفع لينساب في أرجاء المنزل، كانت النساء يتكاتفن ويتعاونن وكأنهن نحلات في خلية واحدة، كل واحدة منهن تساهم بجزء من جهدها لإتمام الوليمة. وسط هذا التعاون المفعم بالدفء، وبينما كانت الأيدي تعمل بانسجام، التفتت ليالي نحو جميلة بابتسامة مشرقة، وقالت لها بنبرة مليئة بالدهاء:

_وانتي بتعرفي تطبخي؟

أجابت جميلة، بينما كانت يدها تتحرك برشاقة وهي تقلب العصير بملعقة خشبية كبيرة، وعيناها تلمعان بلمحة من الحماس، وقالت بصوت ملؤه الحيوية، والابتسامة ترتسم على شفثتها:

=أكيد بس الأكل المصري مش أوي.

نطقت ليالي بتعجب، وقد ارتفع حاجباها قليلاً وظهرت على وجهها علامات الدهشة، وقالت بصوت مليء بالتساؤل:

_أمال بتطبخي في بيتك ايه؟

نطقت جميلة ببطنة، وعيناها تشعان بحنكة، حيث اختارت كلماتها بعناية، وقالت بلهجة واثقة:

=لا دي حاجات انتي مش هتعرفيها.

ردت ليالي بكمد:

_ومعرفهاش ليه؟ شايفاني جاهلة؟

نطقت جميلة:

=لا خالص بس الأكلات دي مش مصرية.

خرجت نعمة من المطبخ، حيث كانت ترتدي مئزرها المُلطخ ببعض آثار الطهي، وتوقفت عند الباب، وسألت بنبرة تجمع بين الفضول، والاستفهام:

_باقي قد ايه يا عيال؟

صوبت نعمة نظرها سريعاً نحو الصالة فلم تجد أحداً، وكأنما كانت تبحث عن إجابة لشكوكها العالقة في الهواء، فواصلت بنبرة يملؤها الشك:

_العيال شكلهم نزلوا عند جدهم.

دخلت نعمة غرفة النوم بخطوات حثيثة، ونظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار لتكتشف بقلق أن

الوقت المتبقي حتى أذان المغرب لم يعد بالكثير، فاستدارت بسرعة وعادت إلى المطبخ بخطوات

سريعة، حيث اندفعت نحو النساء العاملات، وقالت بعجلة ونبرة تنم عن قلقها من اقتراب موعد الإفطار:

_يلا همتكم معايا ده مفيش وقت.

قبل موعد الإفطار بربع ساعة، تدفق الجميع نحو شقة أم الديب، حيث كانت الأجواء تعج بالنشاط

والتعاون، فالنساء، والأطفال كانوا منهمكين في مساعدة بعضهم البعض بكل همة، ونشاط؛ بعضهم

يسكب المشروبات العطرة في الأكواب البلورية، والبعض الآخر يرتب الأطعمة الشهية في الأطباق

المزخرفة، وآخرون يسيرون بخطى وشيكة حاملين هذه الأطباق نحو المنضدة الريفية المزينة ببساطة.

أما الرجال، فقد كانوا يجلسون في زاوية، يراقبون في صمت هذه الحركات الدؤوبة، وكأنهم يشاهدون

أم الديب الجزء الثاني

لوحة حية من العمل الجماعي. وفي هذه الأثناء، نظر المعلم حنفي إلى ساعة هاتفه، ثم رفع رأسه بدهشة، وقد ارتسمت على وجهه علامات الاستغراب، وقال:

=بياه ده مش باقي غير عشر دقائق!

ردت ليالي بصوت عالٍ، وقد ارتفع صدى كلماتها ليملاً المكان، وهي تتحني برشاقة لتضع طبق الأرز المعمر، الذي كان يتصاعد منه البخار محملاً برائحة سائغة تفتح الشهية، في الطبق المزخرف، وقالت بنبرة تحمل في طياتها مزيجاً من العجلة:

_ خلاص يا حمايا قربنا نخلص.

بعد أن انتهوا من أول مرحلة من تجهيز أطباق الطعام، حيث جلسوا جميعاً برمتهم أمام المنضدة الريفية في تشكيلة دائرية، وكان بعضهم يجلسون على الأرض فوق المفروش البلاستيكي المُبطن بأطباق الطعام، والمشروبات مرتبة إزاء التلفاز، انتظاراً للأذان المبارك للإفطار. وفي هذا الوقت، خفض أحمد صوت التلفاز، ممهداً الطريق لسماع النداء الديني، والآن، كانت العائلة بأكملها في حالة من الترقب المتوتر للحظة الفارقة عندما يُعلن المؤذن "الله أكبر". كان الشوق يسيطر على كل واحد منهم، وكان الطعام الشهوي الذي يعطي من رائحته النفاذة والمغرية يثير اشتهاً منين لالتهامه بمجرد وقت الإفطار، وأخيراً، جاءت اللحظة الحاسمة عندما أذن المؤذن بتلاوة عبارة "الله أكبر"، فقد ذكر بعضهم دعاء الإفطار بتضرع، في حين انقضى صبر البعض الآخر الذي طالهم الجوع. وفي هذا السياق، قال المعلم حنفي بصوت يتسم بالإيمان:

=اللهم لك صومت، وعلى رزقك أفطرت.

تحدثت أم الديب:

_ كلوا يا عيال.

بدأ الجميع في تناول الطعام، وكانت حنية قلب الأمهات تطغى على شعورهن بالجوع، حيث اهتموا بتنظيف قطع الدجاج من الجلد والدهون قبل أن يضعوها في أفواه أطفالهم. كانت كل واحدة منهن تحمل طفلها على ساقها أو على حافتها، وكانت الأمهات دائماً على استعداد لتلبية احتياجات أطفالهن بكل حنان، واهتمام. بينما، لم يكن الرجال يولون اهتماماً كبيراً لأمر أطفالهم، بل كانوا مستمتعين بشكل كبير في تناول الطعام المغذي، وبعد نصف ساعة، انتهى الجميع من تناول الطعام، حيث جمعت النساء الأطباق، والأكواب، والملاعق وحملوها إلى المطبخ للتنظيف، في حين جلس الرجال على الأريكة مشاهدين المسلسلات التلفزيونية بعد أن غسلوا أيديهم بالمرحاض، وفي هذا الوقت، أعرب المعلم حنفي عن سعادته بمنظر العائلة المجتمعة بعد هذا اللقاء الرمضاني الدافئ:

=تسلم الأيادي ده أنا مدوقتش أكل بالحلاوة دي.

رد جلال بسعادة:

_ بالهنا والشفاء يابا.

ثم نادى زوجته:

_ فين الحلويات يا ليالي؟

أجابت ليالي بصوت عالٍ:

=هايدي هتجيبها أهو ياخويا.

كانتا جميلة، وهايدي يقمن بتوزيع الكنافة المغطاة بالمكسرات اللذيذة، والقشدة الطازجة، وكذلك البسبوسة المغموسة في الشيرة الساخنة داخل الأطباق، بتوزيع مُتساوٍ يعكس اهتمامهما بالتفاصيل،

أم الديب الجزء الثاني

وجمالية العرض. في الخارج، زاد وزن أم الديب بعدما استمتعت بتلك الوجبة اللذيذة حتى لم تعد قادرة على الوقوف بشكل مستقيم، وفي هذا السياق، بينما تحاول أم الديب التعامل مع هذا الثقل الجديد الذي أصبحت تشعر به، قالت بنبرة معبرة عن الحالة البدنية:

_حد يشدني أني مش قادرة أتحرك!

سحبها أحفادها الأربعة: حمود، وسيليا، وتقى، ومحمد، ولكن قوتهم الجماعية لم تكن بمثل ربع قوة أم الديب، ففي لحظة من عدم التوازن، فقدوا السيطرة عليها، وتحولوا إلى أربعة رجال نحفاء يحاولون سحب سيارة نقل ثقيلة على طريق مُحطم. وفي هذه اللحظة المأساوية، سقطت أم الديب فوقهم بينما كانوا يحاولون سحبها، مما أدى إلى صراخهم في آن واحد. سرعان ما وقف الآباء باستثناء المعلم حنفي الذي لم يتصدى للوضع لسحب أم الديب بعيداً عنهم، وفي هذه اللحظة التوتيرية، صاح جلال بصوت مرتفع، وكانت نبرته تعبر عن الاستغراب، والقلق في آن واحد:

=يا نهار أسود...أوعي ياما!

نجح جلال في سحب أم الديب، وعندما استقرت الأمور، وقف حمود، ومحمد هادئين كما لو أن شيئاً لم يحدث، في حين دخلت الفتيات المطبخ، وهن يبكين بكاءً عميقاً وبأسلاً، وكل واحدة منهن تتشبث في ثياب والدتها بينما تتساقط الدموع بغزارة. وفي هذا السياق العاصف، صرخت تقى بصوت مليء بالألم:

_يا ماما!

نطقت سيليا بصراخ:

=مامي!

صدح انتحاب ابنتها أصاب قلب جميلة بصدمة عميقة، فأسرعت بترك كل شيء وركضت لتحتضنها بين ذراعيها، وفي تلك اللحظات الحرجة، عبرت عن خوفها بكلمات مؤثرة، قائلة بنبرة تعبق بالحنان:

_بتعيطوا ليه؟

حملت ليالي ابنتها بفرع، وفي لحظة من القلق العميق، تلفظت بحديث ينبع من القلب:

=مالك يا تقى بتعيطي ليه انتي، وبت عمك؟

ردت تقى ببكاء:

_ستي وقعت علينا.

صرخت ليالي، قائلة بتوجس:

=يا لهوي، وربي جسمك !

فحصت ليالي جسد ابنتها بدقة لتتأكد من خلوها من أي كسور قد تعرضت لها، وعندما اطمأنت على سلامتها، أحتضنتها برفق وقُبَلتْها برأفة من رأسها. في هذه الأثناء، خرجت تقى، وسيليا من المطبخ وبدأوا في نسيان ما حدث لهم، حيث استمتعوا باللهو مع بعضهم البعض، ثم خرجت جميلة، وهايدي حاملتين أطباق الحلوى اللذيذة، وبدأوا في توزيعها بين الجالسين. بعدما استلم المعلم حنفي طبقه، لم يتمالك نفسه وابتسم براحة، وسعادة، وأعرب بنبرة تعبر عن فرحته:

_تسلم ايدك يا جميلة يا بتي.

ردت جميلة بابتسامة:

=بألف هنا يا أونكل.

تناول المعلم حنفي البسبوسة المغموسة بالمكسرات بلذة، وبينما كان يستمتع بها، أطلق ابتسامة بهيجة تعبيراً عن رضاه التام عن الطعم اللذيذ، وقال:

أم الديب الجزء الثاني

_طبق الحلويات إنما ايه عظمة على عظمة.

تلفظ جلال، وهو يأكل الحلوى:

=ناولوني كوباية عصير.

ردت أم الديب بنبرة حادة:

_مانت لسه شارب!

نطق جلال بعصبية:

=وانتي مالك ياما، ما أشرب تاني، وتالت هو انتي دافعة جنبه من جيبك؟

تفوهت أم الديب بصخب:

_احترم نفسك بدل ما أفلع اللي في رجلي، وعلى نفوخك!

وضع جلال الطبق جانبًا بعد أن انتهى من تناوله، ثم وقف مكانه، وصاح بصوت مرتفع، يعبر عن

شعوره الداخلي بألفاظ تنطق بالاندفاع:

=ما جرا ايه ياما الكلام ده انتي شايفاني عيل صغير، ولا ايه؟

خرجت نعمة من المطبخ مهرولة، وتبدو على وجهها آثار القلق، وقد امتلأت عيناها بالذعر، كما لو أنها

شاهدت شيئًا مخيفًا هناك، وتفوهت:

_أحب على ايديكم نفر نفر... استهدوا بالله.

تحدث المعلم حنفي بعصبية، صوته يرتفع بينما يحاول التفوق على الضجيج الذي يلتف حوله كالضباب،

محاوًلاً إيصال رسالته رغم الانزعاج الواضح في ملامحه:

=ماتتهدي يا ولية، وتسيبي الواد يشرب !

وأردف بنداء ليالي:

=هاتيله كوباية عصير يا ليالي.

أجابت ليالي بصوت عالٍ:

_حاضر يا حمايا.

في قصر أم قمر الدين، بعد أن تناولت العائلة الطعام، جلسوا في الصالون. فقالت "دينا هانم"، والددة

سارة، خطيبة قمر الدين، بابتسامة تملأ البهو بالدفء:

=الأكل يجنن يا بسملة.

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_بألف هنا يا دودي.

كان القمران يتأملان بعضهما البعض، وهما يجلسان على الأريكة نفسها. حينها، أطلَّ قمر الدين

بابتسامة مُشرقة تنعكس في عيونه، وألقى بكلماته الرقيقة كأنها نسيم لطيف يعانق الهواء:

=مش هنخرج بعد الأكل يا سارة؟

ردت سارة بتردد:

_مش عارفة يا قمر الدين بس اسأل بابي.

ضحك قمر الدين بابتسامة تتم عن سعادته الغامرة، ثم قال بصوتٍ مليء بالحب:

أم الديب الجزء الثاني

=أسأله؟ أكيد طبعًا هيرفض... انتي عارفة بقالنا كثير مش فاضيين، وكل مانتي تفضي يكون أنا عندي شغل فبصراحة حاسس أنها فرصة هائلة بما إننا فاضيين النهاردة.
ردت سارة بتفكير:
_ خلاص أنا هقول لبابي، وأتمنى إنه يوافق.

لاحظت أم قمر الدين حديث قمر الدين، وسارة، وسمعت صوتهما وهما يتحدثان بهوى، فظنت أن بينهما أسرارًا مكنونة. فابتسمت بحب، وقالت بصوت واضح مليء بالتفهم:
=بتتكلّموا بصوت واطي بتقولوا ايه؟
ضحك قمر الدين، وقال:

_ لا ده موضوع كده متدخليش نفسك فيه يا ماما!
ضحكت أم قمر الدين بابتسامة تعبق بالدعابة، ثم قالت بمزاح:
=من أولها كده بتخبي على مامي؟
ضحكت سارة، وقالت بخجل:
_ لا خالص يا طنط هنقول لحضرتك بعدين.
نظر باسم لرشدي والد سارة، بعقريّة لا مثيل لها، ثم بفرحة تتجلى في عينيه وهو يبتسم، قال:
=منورين الدنيا... سعيد بوجودكم.
نطق رشدي بابتسامة:
_ متشكر يا باسم ده نورك انت، وبسملّة هانم.

ردت أم قمر الدين بتبجيل:
=ميرسي.

في منزل أم الديب، بعدما انتهت النساء من غسل الأواني والأكواب، تجمعوا متراصين أمام التلفاز، وبين أيديهم أكوابهم الممتلئة بالعصير، وأطباقهم المحملة بالحلوى، ولم يكن هناك إلا لحظة من الصمت البهيج يملأ الصالة، حيث لم يستطع أحد إلا أن يعبر عن سعادته بابتسامة لا توصف، وفي هذا الجو الدافئ، والمليء بالمشاعر، قالت أم الديب بفرح:
_ منورة الدنيا يا جميلة يا مرات ابني يا غالية.
ردت جميلة بابتسامة:

=ده نورك انتي يا طنط.
قالت أم الديب، وهي تتلذذ بطعم الحلوى اللذيذة التي تذوب ببطء في فمها، وابتسامة الرضا تزين وجهها كلما انطلق صوتها بكلام ينبعث منه دفء الأمومة:
_ حلوة ياختي الحاجات اللي انتوا جايينها دي... طعمها حلو أوي انتوا جايينها منين؟
غضبت ليالي من كثرة إشادة أم الديب لجميلة، وزوجها، فاستفاضت بالكلمات كأنها نهر من الحقد المتدفق:

=ايه يا حماتي؟ ما حنا بنجيبك برضة... ده الحلواني اللي على أول الشارع حلو، وكل الناس بتشكر فيه .
ردت أم الديب بشحناء:
_ حاجته ماسخة ملهاش طعم زي أكلك.
تفوهت ليالي بعصبية:

أم الديب الجزء الثاني

=أنا أكلي ماسخ مالوش طعم يا حماتي؟

أجابت أم الديب بكراهية:

_أمال ايه؟ ده أني اللقمة وقفت في زوري من كتر ما أكلك ناشف، ومالوش طعم.

سرعان ما تدخل المعلم حنفي في الحديث، وقصف جبهة أم الديب بكلمات حادة كأنها صاعقة من الاحتدام:

=لا يا ولية هي وقفت في زورك علشان بتاكلي بسرعة، والأكل مش ملاحق يعدي من كتر الحش اللي بتحشيه .

صاحت أم الديب قائلة بامتعاض:

_لم نفسك ياللي تضرب في جنابك!

ردت نعمة بروح العدالة:

=ملكيش حق ياما مانا مساعداها في الأكل.

تفاجأت أم الديب من مساعدة ابنتها لليالي، فقالت بدهشة:

_أيهي انتي ساعدتيها يا بت؟

أجابت نعمة، وهي تستمتع بمذاق الكنافة:

=أيوه ياما ده هي عملت حاجات بسيطة بس تعبت برضة.

تراجعت أم الديب عن رأيها في الحال عندما علمت بمساعدة نعمة لليالي، إذ تعتقد بأن ابنتها تختلف عن

زوجة ابنها من وجهة نظرها. فابتسمت بلطف، وقالت بامتداح:

_الأكل زي العسل يا نعمة طول عمرك بتعرفي تطبخي يا بت.

ردت ليالي بسخط:

=هو مش كان ماسخ، ومالوش طعم من شوية؟ دلوقتي بقى زي العسل؟

دخل المعلم حنفي في نوبة ضحك لم يستطع خلالها ملاحقة أنفاسه، ثم قال بابتسامة واسعة:

_أمك عليها حاجات.

ضحك الجميع، بما فيهم جلال، ثم قال بصوت مرح:

=ماتهدي اللعب ياما مع ليالي.

قال أحمد بضحك:

_أنا عايز أفهم بس انتي بتقيمي الأكل على حسب مين اللي عامله؟

امتزجت ضحكات الجميع في بعضها، فلم تستطع عيون أم الديب أن تستقر على أحدهم. كانت تنظر

لزوجها تارة، وأبناءها تارة، وهي تشرذ نار الكراهية، والغل من عينيها، كأنما تتسرب السموم من

دواخلها في كلماتها المعبرة بصوت حاد:

=أيهي انتوا بتضحكوا على ايه؟ لو وشي مكتوب عليه نكتة عرفوني!

ضحكت نعمة، وقالت بدهشة:

_ربنا يهديكي ياما.

عندما بلغت الساعة الثامنة، انتهى الجميع من ليلتهم السعيدة، وحان وقت الإياب إلى المنزل. وقف أحمد

ونطق بكلمات تنبعث منها حنين الفراق، ولحظات السعادة التي عاشها مع الأبناء:

=يلا يا جميلة.

أم الديب الجزء الثاني

حمل أحمد ابنته أسيل على ذراعه، ووقفت جميلة في مكانها، تمسك بيد ابنتها سيليا، وفي لحظة مليئة بالتآلف، قالت برقة:

_ احنا هنمشي بقى يا طنط.

نهضت نعمة، وردت بتعجب:

= هو انتوا لحقتوا يا جميلة؟

عانقت جميلة نعمة بود، ووجهت لها قبلة تعبر عن محبتها العميقة، وأجابت:

_ الطريق بياخد وقت، علشان نلحق نوصل، ونرتاح.

وقف الجميع بما فيهم المعلم حنفي، فقال بإلحاح:

= ما تباتوا، وتقضوا معانا يوم تاني كمان!

عانق أحمد والده بحنان ينبع من القلب، ثم صافحه بيد معتزة، وقال بابتسامة:

_ لا مانتوا ليكوا يوم عندنا ان شاء الله.

تحدثت أم الديب بإصرار:

= بات ياخويا، وقضوا معانا يومين كمان.

ردت جميلة باعتراض:

_ سوري يا طنط مش هينفع خالص، لازم تيجوا عندنا قريب !

عانقت أم الديب جميلة بإحسان ينبع من عمق العلاقة بينهما، وتبادلوا القبلات بينما تعبر كلماتهما عن الرابطة العائلية القوية، والمحبة الصادقة، فقالت:

= وماله ده احنا هنجي من صباحية ربنا.

ضم جلال أحمد لخصه بشدة، ثم صافحه بيدٍ ممتلئة بالاعتزاز:

_ خد بالك من نفسك ياض، ولو حد دايقك كلمني، وأنا هاجي أعمل معاه الصح !

ضحك أحمد، وقال بسخرية:

= هو أنا عيل صغير يا جلال؟

رد جلال بنبرة حادة:

_ اسمع اللي بقولك عليه !

أهزق أحمد، وقال:

= ماشي يا عم.

تبادل الجميع العناق والمصافحة، ونزلت العائلة بأكملها خلف أحمد، وجميلة، وابنتيهما، وهم يتتبعونهم حتى وصلوا إلى السيارة. ركب أحمد، وجميلة سيارتهما، وغادروا برفقة أطفالهم. في ذلك الوقت، نزلت دموع أم الديب حزنًا على مغادرة ابنها وأسرته، وفي لحظة تعبير عن الأسى، والحنين العميقين، قالت بانتحاب:

_ الواد معاه بتين صغيرين هيتهدلوا على الطريق، ما كان سابهم هما حمل بهدله؟

رد جلال بدهشة:

= جرا ايه ياما هو مركبهم على جمل، ومسافر بيهم في الصحرا؟ ما هو معاه عربية، وقاعدين فيها

معززين مكرمين!

نطقت نعمة بدهشة:

_ ايه ياما الأفورة دي بس؟ متخافيش عليهم !

أم الديب الجزء الثاني

تفوهت أم الديب بعجيج:

=انتي بتشتميني يا نعمة؟

تعجبت هايدي من بلاهة أم الديب، ولكنها في الحال قررت التدخل، وهي تتلفظ باستهزاء:

_ هي جات جنبك؟

عندما استشعر جلال بداية نشوب المشاكل، صاح فيهم بصوت ينطلق بالقوة:

=يلا اطلعوا، وبلاش مشاكل!

غادر جلال مُتجهًا نحو المنزل، وفي تلك اللحظة ناداه المعلم حنفي بصوت ينطلق عبر الهواء:

_ خدني معاك يا جلال !

غادر الجميع المكان عدا أم الديب. طغى الشح في هذه اللحظة على أمانتها، حينما نظرت بعينيها وجدت

كلبًا هامدًا في حالة من الاندثار، وقد ودع حياته منذ أيام. اقتربت أم الديب منه بحذر شديد، وقررت

تفريزه في المنتج ليحل محل لحوم الأبقار. وفي لحظة من التأمل الحزين، قالت لنفسها بخنكة:

=اللحمة غالية هو أني معايا فلوس أشترى، وأعمل أهي لحمة ببلاش تكفيننا شهر رمضان، والعيد كمان.

قبل أن تصعدا نعمة، وهايدي، لاحظتا تأخر أم الديب، فعبرت نعمة بتعجب ينطوي على اهتمامها، وهي

تستفهم:

_ هي أمك مجاتش؟

نظرت هايدي بتعجب، وكانت كلماتها تتبع من فضول مُلتهب، حينما أجابت:

=لا... هي مجاتش ليه؟

خرجت نعمة من مدخل المنزل، ونبرتها تتناغم مع هدوء المكان، فنطقت:

_ مش عارفة، تعالي نجيبها.

ذهبت نعمة، وهايدي لإحضارها، وأثناء مرورهما شاهدها من بعيد، وهي تسحب الكلب وتمشي به

اتجاه الحظيرة. نظرت نعمة لهايدي بصدمة، ومشوا في صمت مُتجهين نحو الحظيرة، حيث وضعت أم

الديب الكلب على الأرض ودخلت لتحضر السكين. عادت بسرعة، وقبل أن تتقمص دور الجزار، دخلت

نعمة، وهايدي فجأة، وهم يصرخون من تلك الكارثة التي كانت ستحدث، وفي صدى الفزع، قالت نعمة

بصوتٍ مليء بالذهول:

=انتي بتعملي ايه ياما؟

ارتبكت أم الديب بمجرد رؤيتهم، وكانت كلماتها تنبعث منها بتردد:

_ انتوا ايه اللي جابكوا هنا؟

اقتربت نعمة من أم الديب، وصدحت باستفهام:

=بتعملي ايه ياما؟

نطقت هايدي بأشمزاز:

_ انتي هتدبحي الكلب؟

صاحت أم الديب في وجههم، وهي تتلعثم في حديثها، وكلماتها تنطلق بتلجلج:

=أدبحة ايه يا بت؟ ده كان... ده هو ...

ردت نعمة بضجيج:

_ هو ايه؟

أجابت أم الديب باستياء:

أم الديب الجزء الثاني

=الكب طالعه حاجة في ضهره كنت هشيلاه...ده يا عيني بيتعذب، وكل يوم أسمع صوته، ومحدث من أهل المنطقة هابن عليه يوديه للداكتور.

نطقت نعمة بصياح مُفزع، وهي تُحاول كبت الرعب الذي ينتابها، وتشك في كل شيء حولها:
_بقولك ايه ياما أنا مش مصدقاكي، بقي عاوزة تأكلينا لحمة كلاب؟ احنا للدرجادي بنهون عليكِي؟
انفجرت أم الديب في وجه نعمة بكمد لاذع، وصاحت بصوت يهز الأرض:
=لحمة كلاب ايه يا بت هو أني جيت ناحيته؟ انتي هتلبسيني مصيبة؟

خرجت هايدي من الحظيرة، وعلى شفيتها القليل من الأوجاع المتجمدة، وهي تتقيأ بشكل متكرر، وصوتها يندلق بصرخة مفزعة تمزق الصمت:
_آه، مش قادرة.

خرجت نعمة بسرعة مذهلة لتتقدها، وبمجرد أن أمسكت بها بين يديها بقوة، تحدثت بارتجاف:
=مالك يا هايدي؟
أجابت هايدي بأشمزاز:
_قرفانة.

بوجود هايدي في الصيدلية، ونعمة تحملها بين يديها لاستلام العلاج المناسب بعد مرحلة تقبؤ متواصلة، وبعد أن تناولت هايدي الدواء، قالت نعمة للطبيب بإحراج:
=هعدي عليك الفلوس مع حمو جوزي انت عارفنا ده احنا جيرانك.
رد الطبيب بابتسامة:
_مفيش مشكلة يا نعمة.

نشبت نعمة يدها في ذراع هايدي، وهي تسندها بحنان، وكلماتها تتدفق برفق:
=يلا يا هايدي !

بعد انكفائهم إلى المنزل، استلقت هايدي على سريرها، تضع يدها بحنان على بطنها، ونعمة جالسة بجوارها تطمئن عليها بحب، ثم قالت لها بتأثر:
_عاملة ايه دلوقتي يا هايدي؟
أجابت هايدي بإعياء:

=زي مانتي شايفة كده، ماما خلاص اتجننت...في حد عاقل يعمل اللي هي بتعمله ده؟
ردت نعمة بركة، وصوتها يندمج مع صوت أختها بإحسان:
_بيني، وبينك أنا هيحصلي حاجة من عمائل أمي دي عليها حاجات تشل ده أنا بحمد ربنا إني مطلعتش زيها .

نفوحت هايدي بإنفعال:

=محدث فينا طالعلها...جلال الوحيد اللي زيها في كام حاجة كده.
قالت نعمة باستياء:

_جلال طيب، وجدع انتوا بس اللي مش فاهمينه، ومش باصين غير للوحش اللي فيه.
ردت هايدي بيغضاء:

=ده كل ما فيه زي الزفت، شاوري لي على حاجة واحدة كويسة بس!
نفوحت نعمة:

_لا انتي غلطانة يا هايدي في اللي بتقوليه ده !

أم الديب الجزء الثاني

بعد ساعة، عندما سكن المعلم حنفي في متجر المشروبات الخاص به، كان يُغمر نفسه في أعماق الدفعة الخامسة عشر من طبق الحلويات، حيث كان يتذوقها بلذة وكأنه يجرب الحلوى لأول مرة في حياته، وكانت ابتسامته تعكس البهجة العميقة، وفي هذا الوقت دخل جلال برفقة ابنه حمود، وعندما وصلوا إلى المكان، قال جلال بتأمل:

=خش ياض أقعد جنب جدك.

جلس حمود على الكرسي المجاور له بشغب متأماً حوله بابتسامة تنطق بالضجيج:

_ازيك يا جدي؟

وصوب نظره المتلهف نحو طبق الحلوى المزين بألوانه الزاهية، ونكهاته المُغرية، وواصل حديثه بشغف ظاهر في عينيه:

_انت بتاكل ايه؟

جلس جلال على الكرسي حيالهم، مستشعراً عيون الجميع مركزة عليه، ثم نطق المعلم حنفي بصوت جهوري، كأنما يخترق به جدار الصمت المحيط:

=عم إسماعيل كان معدي الله يباركله دخل سلم عليا، واداني الطبق ده.

رد جلال بتعجب:

_انت فيك صحة تاكل يابا؟ ده انت ضارب طبقين كبار عدم اللا مؤاخذة، وشارب كوبايتين عصير ده غير طبق الحلويات!

تلفظ المعلم حنفي بكلام يشبه السيف عندما يلمع في ضوء الشمس، مخاطباً الجميع بنبرة تحمل في طياتها القوة:

=جرا ايه ياض يا خسع؟ بقى باصص لأبوك في لقمته؟

رد جلال:

_لا بس خف يابا، واعمل ريجيم عشان صحتك.

نطق المعلم حنفي بغرابة:

=يعني ايه ياض؟

أجاب جلال بحصافة:

_نظام غذائي يا حاج عشان تخس.

تفوه المعلم حنفي، وهو يتناول الكنافة بلذة واضحة على وجهه:

=قول لأمك الكلام ده هي الأولى بيه، دي مسحت الأطباق في السحور، والفطار...ده أنا كان في دبوس فرخة هموت عليه راحت ساحباه مني بت المهبوشة!

ضحك جلال، وقال:

_معلش يابا تتعوض يوم تاني.

حك جلال فروة رأسه بحركة مترددة، وكان أصابعه تبحث بين خصلات شعره عن شجاعة مفقودة، وفي النهاية أُردف بنبرة تجمع بين التردد، والرغبة في الحديث:

_المهم ليالي قرفاني ليل نهار عاوزه شقة جديدة، وأنا حالي على قده.

رد المعلم حنفي برزانة:

=هي تلاقيها باصه لجميلة.

أم الديب الجزء الثاني

أجاب جلال بضيق:

_أيوه يابا من ساعة ماراحت هناك، وهي عماله تزن ليل نهار فوق دماغي، وإلا عاوزة شقة جديدة.
نطق المعلم حنفي، وهو يأكل بشهية واضحة تعكس استمتاعه بالطعام، متحدثاً بحزم:
=غيرلها نظام الشقة يا جلال يمكن ترتاح شوية.
تلفظ جلال بكمد:

_ماهو هيجتاج فلوس برضة أمال انت فكرك ايه؟ هو في حاجة ببلاش؟
منذ أن دخلت جميلة حياتهم، عاشت ليالي في حالة من الغيرة الحارقة التي تأكل قلبها كالنار في الهشيم،
فهي دومًا تشعر في أعماقها بأن جميلة الأفضل في كل شيء، إلا أنها أمام الناس كانت ترتدي ببراعة
ثوب الثقة بالنفس، وتُظهر رضاءً تامًا ولا مبالاة مصطنعة تُجاه جميلة. لو كانت نار البركان حارقة
لمحيطه، فإن نار غيرة ليالي كانت أشد بغيضًا وأذع بغداقة. بعد مرور ثلاث ساعات وصل أحمد
وأسرته الصغيرة إلى منزلهم، وبدت على وجوههم علامات الإرهاق. دخل أحمد الغرفة بخطوات ثقيلة،
ووضع ابنته أسيل بحنان على سريرها، ثم خرج من الغرفة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة دافئة،
وسأل سيليا برقة وعينيه تلمعان بالتعب:
=ايه رأيك يا سيليا في يومنا النهاردة؟
أجابت سيليا بسرور:

_جميل أوي أنا لعبت كثير مع تقي، ومحمد، وحمود، لعينا استغماية، وفتحي يا وردة.
عانق أحمد ابنته بدفء، كأنه يضم العالم بأسره بين ذراعيه، وقال بسعادة غامرة:
=ايه رأيك زي ما حنا روحناهم، هما يجوا عندنا يوم؟
ردت سيليا بلهفة:

_بجد يا بابي؟ ده أنا عايزة أوريهم أوضتي، والعرايس بتوعي.
قال أحمد بابتسامة تتسم بلون الأمل، كأنها شروق شمس تنير وجهه المضيء بالحب:
=كمان كام يوم هنعزمهم، وهيجوا يلعبوا معاكي هنا.
قفزت سيليا في الهواء مثل فراشة ترقص على ألوان قوس قزح، قفزاتها كانت متتالية كأنها تتلاعب
بالبجاذبية، وهتفت بصوت مرتفع ينبعث من داخلها بشغف:
_هيبه أخيراً؟

ضحكت جميلة ضحكة ينعكس فيها شموخها، وقالت بنبرة تنبض بالحياة:
=طيب يلا يا سيليا غيري هدومك...متنسيش إن احنا رايعين لجدو باسم، ونانا بسملة بكر!!
ردت سيليا بسعادة غامرة تتلألأ في عينيها كالنجوم في السماء الصافية، وكلماتها خرجت معبرة عن
فرحها:

_يعني هلعب مع لارا؟
عانقتها جميلة بحنان يتدفق كنهر هادر، وكانت الابتسامة تتسلل إلى وجهها كالشمس تنير كل زاوية من
وجودها، وقالت بلهجة ممتزجة بالبهجة:
=أيوه طبعًا...أدخلي غيري هدومك!
ردت سيليا بفرحة:
_حاضر.

أم الديب الجزء الثاني

دخلت سيليا إلى غرفتها بخطوات هادئة، وغيرت ملابسها بعناية متناغمة، تتلاشى تدريجيًا في ألوان الليل المهدئة. خلال لحظات، خلدت للنوم براحة تامة، وفي الوقت نفسه، دخل أحمد وجميلة إلى غرفتهما، يبodon متأملين في جمال الهدوء المسائي، واستعدوا للنوم بعد يوم حافل بالأحداث. في الساعة الثالثة من منتصف الليل، استيقظ جلال فجأة من نومه، وكأنه استدعي بواسطة أحلام مضطربة. حاول بجدية إيقاظ زوجته بلطف، يبحث عن تناول الطعام، وهو يقول:
=قومي يا ليالي جهزينا لقمة ناكلها قبل ما الفجر يأذن !
ردت ليالي بنعاس:
_حاضر ياخويا.

قاومت ليالي نعاسها بصرامة، ووقفت وهي تحاول مغالبة نومها الذي يغمرها كل ليلة، ودخلت المطبخ بخطوات هادئة لتحضير السحور، وفي الوقت نفسه، خرج جلال إلى الصالة وجلس على الأريكة أمام التلفاز بنظرة تراقبية تمتزج فيها بين الاسترخاء والانتظار. بينما في شقة نعمة، كانت تنظم الطعام بدقة فوق المنضدة الريفية، وكانوا جميعًا يتجمعون أمام التلفاز كأسرة واحدة. مد حامد يده باتجاه الطبق المليء بقطع الباذنجان المقلي المغموس بنكهات الخبز المحمص، وكانت كلماته تنبعث من بين شفثيه كمن يعبر عن لذة لحظات التلاحم بين الأحباء:
=تسلم إيدك يا نعمة.

ردت نعمة، وهي تتناول البطاطا المقلية ببساطة، كأنها تغمرها ذكريات الطفولة، وكانت تتنفس بين كل لقمة وأخرى نسيماً من الرضا:
_بالهنا، والشفا ياخويا.

قال حامد، وهو يتناول الطعام بتركيز، كأنه يستمتع بكل قطعة بطعمها المشبع، تاركًا انطباعًا من الراحة في وجهه:

=مش هتصحي محمد ياكل؟

أجابت نعمة، وهي تأكل:

_لا هو كده مبيصومش... الواد لسه صغير.

رد حامد، وهو يأكل بتركيز، مُبدئًا بهدوء تام استمتاعه الكامل بكل لقمة:

=لما يكبر يبقى يصوم... بس أحسن حاجة إننا مش هناكل عند أمك النهارده.

تفوهت نعمة بذهول:

_مين قالك ياخويا؟ ما حنا هنفطر عندها زي امبارح.

وضع حامد رغيف الخبز جانبًا بحركة مفاجئة، وكأنه يرمز بذلك إلى استياء عميق، وقال بصوت

محموم ينطلق كصخب العواصف:

=مابقولك ايه يا نعومي بلاش أمك أنا مباحدش راحتي... دي كانت ضاربة عينها في طبقي أنا حاسس

إنني كنت قاعد قدام رادار !

توقفت نعمة عن تناول الطعام، وكانت ابتسامتها الدافئة قد تلاشت، بدلًا من ذلك، قد ظهرت علامات

الامتعاض على وجهها، وكان صوتها ينطلق بحدة واضحة، وهي تعبر عن مشاعرها بكل جرأة:

_جرا ايه يا حمو قصدك ان أمي عينها وحشة ولا ايه؟

أجاب حامد بضيق:

=أمك مستخسره فينا اللقمة اللي احنا دافعين حقها... ده إن كان عليها عايزة تستولى على الجمل بما

حمل، واحنا ناخذ على قفانا بأكبر فردة شبشب فيكي يا مصر.

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة بصدمة:

_ ايه الكلام اللي بتقوله ده ياخويا؟ بقى أمي هتبصلك في لقمته؟ ده ان كان عليها تطلع اللقمة من بؤها
عشان احنا ناكل!

تلفظ حامد باشمنزاز:

=مابلاش الكلام ده يا نعومي، أنا بطني هتقلب !

وقفت نعمة مكانها، وردت بعجيج:

_ طب، والنعمة دي مانا واكله معاك... كل لواحدك !

ملاً الاحتدام صدر نعمة، ودخلت غرفتها ساخطة، وجلست على سريرها، والكمد يشرد من عينيها،

فدخل حامد الغرفة، وجلس على سيفها، وقال بابتسامه:

=متبقيش كده يا نعمة أنا مقصدش ده أمك الخير، والبركة.

بكت نعمة حزناً على والدتها، وقالت بعصبية:

_ نقطنا بسكاتك.. ده أنا أمي زي النسمة.

شَرَق حامد، وهو يضحك على كذب زوجته فنظرت له نظرة حادة فتوقف عن الهزل في الحال. بينما

في شقة أم الديب، وفي لحظة من الكوميديا السوداء، كانت تتناول الطعام برفقة زوجها على المنضدة

الريفية، المعروفة بالطبليّة البلدي، وكانت الكراهية تسكن بينهما ككيان غامض، حتى حينما ألقى المعلم

حنفي قشور اللب في طبق أم الديب بشحناء غير مبررة، صرخت في وجهه، قائلة بجلبة:

=يا راجل يا عرة بقى بترمي قشر اللب في طبقى؟ مانت كلت، وشبعت، ومليت كرشك... لكن أني أولع

بجاز... مانت هاین عليك تولع فيا عشان تخلص مني، وتاخذ الدار ليك لواحدك!

رد المعلم حنفي بصياح:

_ احترمي نفسك يا ولية ألا أقوم أدغدغ الطبليّة باللي عليها فوق نفوذك!

وقفت أم الديب مكانها، واقتربت بخطوات ثقيلة من المعلم حنفي، وحركت يديها بحركة مُتسارعة نحو

الأعلى، كأنها تمهّد لضربة قاضية تطاله. تفاجأ المعلم بتصرفها المفاجئ، فتجنب ضربها، ولكنها بقيت

مصرة على إظهار احتدامها بوضوح، مُعبّرة بصوت غليظ عن استيائها من تصرفاته الغير مقبولة:

=تدغدغها على مين؟

احتدى المعلم حنفي في ذراعه كالأسد المنهزم، وابتلع ريقه بصعوبة كأنه يخاف من سخطها المشتعل

كالنار في القش:

_ لا يا ولية هو حد يقدر يكلمك نص كلمة؟ ده انتي الخير، والبركة... أقعدي كملتي لقمته!

ردت أم الديب بصياح:

=مش قاعدة سديت نفسي.

في غرفة هايدي، كانت المشاكل المستمرة بين والديها تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهلها، حيث كانت تُسبب

لها الألم العميق، بل وصلت إلى درجة أنها كانت تضرب رأسها بيديها بشكل عصبي، وتتمنى في أحيان

كثيرة أن تجد الراحة النهائية في الموت، لتفلت من هذا الجحيم الذي يحيط بها، فنطقت:

أم الديب الجزء الثاني

_ ياربي بقي... ده حرفياً كل يوم، يخربيت كده أنا تعبت منهم... ربنا يريحني منهم بقي دي عيشة قرف!
دخلت أم الديب إلى غرفتها بعد يوم مُزعج، فاستلقت على الفور وغمرتها أهات الإرهاق، وفي ذات
اليوم، عندما فاق الجميع من نومهم عند الساعة الثالثة وقت العصر، نزلت نعمة كعادتها حتى يتم الاتفاق
على كيفية إعداد طاولة الإفطار لهذا اليوم. وقالت ليالي بنبرة متعبة، ومحتاجة للتفكير:

=متبقاش أكل من امبارح يا نعمة؟

أجابت نعمة بإجراج:

_ لا... أمي الله يباركلها خلصت الأكل.

ردت ليالي بتفكير:

=ده احنا كده هنضطر نعمل أكل جديد.

تفوهت نعمة:

_ خلينا نغير بقي... احنا نعمل شوية محشي، وفرختين، ولسان عصفور، وحلة رز كبيرة، وصينية
بطاطس.

نطقت ليالي:

=طب بقولك انتي جهزي المحشي عبال مانا أحبيب القطايف، وأحشيتها.

دخل حمود إلى الغرفة محملاً بكيس القطايف، والكنافة، فلما رآته ليالي، عبرت عن دهشتها بنبرة من
الاستغراب:

_ اتأخرت ليه؟

أجاب حمود:

=الدنيا زحمة مش كفاية إن أنا روحت؟

سحبت ليالي الأكياس من يد حمود بقوة مفاجئة، وأعربت عن امتعاضها بصوت مرتفع قائلة:

_ عيل لمض... هات.

بدأت ليالي في حشو القطايف، معبرة عن براعتها في التحضير. وعلى جهة أخرى، بعد أن جهزت
أسرة جميلة للخروج، توجهوا إلى منزل أم قمر الدين حيث كانوا ينتظرون نرمين، وزوجها وائل،
وطفلهما، وسادت أجواء الفرح، والانسجام حينما تبادل الجميع العناقات، والقبلات بحرارة، وفي هذه
الأجواء الودية، قالت جميلة بابتسامة تعكس السعادة الصادقة:

=وحشاني أوي يا نرمين.

ردت نرمين، وهي تحتضن وتقبل أختها بحنان، كأنها تعبر عن مشاعر الأخوة، والصدقة التي

تربطهما منذ زمن بعيد:

_ وانتني أكثر يا حياتي.

مدت نرمين يدها، وصافحت أحمد بابتسامة دافئة، تعكس تقديرها له:

=ازيك يا أحمد؟

أجاب أحمد ببشاشة:

_ الحمد لله، انتي عامله ايه يا نرمين؟

ردت نرمين بابتسامة:

=بخير.

أم الديب الجزء الثاني

نزلت أم قمر الدين، وباسم من الطابق العلوي، حيث انعقد اللقاء العائلي، فانعم بين الرجال الأحضان، وبين النساء تبادلن القبلات، وفي هذه الأجواء الدافئة، والمفعمة بالمحبة، لم تتمالك جميلة نفسها، وقالت بسعادة غامرة:

_مامي وحشتيني أوي!

قالت أم قمر الدين باشتياق، وهي تضم ابنتها بقوة إلى حضنها الدافئ، كأنها تحتضن الأمان في تلك اللحظة المميزة:

=وانتي أكثر يا جميلتي!

عانق باسم ابنته جميلة بدفء، في حين مدت أم قمر الدين يدها نحو أحمد، وهي تبتسم ببهجة:

=هاي يا حبيبي أخبارك ايه؟

رد أحمد بابتسامة:

_الحمدلله يا طنط.

تحدث باسم في تلك اللحظة بكل ود:

=ازيك يا جميلة؟

أجابت جميلة بابتسامة تتم عن حبها الصادق:

_الحمدلله يابابي

عانقت أم قمر الدين حفيدتها سيليا برقة، وقالت بلين:

=سيليا روح قلب نانا من جوا.

ردت سيليا بابتسامة مليئة بالحنين لجدتها:

_نانا بسلمة...ليه خالتو سامية مجاش هي، ولارا؟

مررت أم قمر الدين يدها اللطيفة على شعر حفيدتها الحريري، وضحكت بابتسامة توضح حنانها العميق:

=متقلقيش يا عمري انتي..شوية وهيجوا.

جلست العائلة في الصالون الفاخر، تنتظر بشغف سامية، ومعترز، وابنتهما لارا، في حين كانت أم الديب تعود إلى المنزل من الحظيرة، بعد أن قطعت لحم الكلب، وسلخته، ووضعته بدقة داخل الأكياس. عادت دون أن تخفي آثار جريماتها، وفي تلك اللحظة، تعجبت هايدي من رؤية أم الديب تحمل أكياس

المشتريات، علمًا بأنها لم تكن تشتري أي شيء عادةً، فقالت بارتياح:

_ايه ده يا ماما؟

ردت أم الديب بتكيل:

=دي فضلة خيري...لحمة بقري إنما ايه زي الزبده.

لكن هايدي ليست مغفلة، فلا يمكن لأم الديب أن تكذب عليها بسهولة، وتخفي أمامها حقيقة تلك الجريمة المكشوفة بشكل واضح. فصاحت هايدي بصوت ينبض بالحق:

_انتي عملتي اللي في دماغك برضة؟ أنا مستحيل أكل من اللحمة دي... دي لحمة كلاب!

ردت أم الديب بجلبة ملأنة بالضيق، متوقدة بأنها لن تتسامح مع أي محاولة لكشفها:

=وطي صوتك يا بت...لحمة كلاب ايه؟ ده أني لسه شاريها من عند الجزار دلوقتي.

تفوهت هايدي بذكاء:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنا مستعدة آجي معاكي دلوقتي حالاً عند الجزار اللي اشترיתי منه اللحمه!

نطقت أم الديب بدهاء:

=قفل ومشى... ده آني لحفته على آخر لحظة.

قالت هايدي بصخب:

_ انتي بتكديبي، وأنا مش مصدفاكي!

ردت أم الديب بصياح مدوي، وهي تنذر بأنها لن تتردد في إيذاء من أسأؤوا إليها، كان صوتها يتعالى كالعاصفة المهولة، معبرة عن قوة الانزعاج:

=اتكلمي يا قليلة الرباية بدل ما أدكي علفة سخنة... عدي يومك يا هايدي!

دخلت أم الديب المطبخ بخطوات ثقيلة، ووضعت الأكياس بحذر داخل الثلج، في حين أصرت هايدي بسخط على إثبات صحة إحساسها أمام نفسها، وأمام الآخرين، لذا قالت:

_ ماشي يا ماما بس أنا مش هسكت على اللي عملتيه ده!

خرجت هايدي من المنزل بثبات، واتجهت نحو الحظيرة، ولسوء الحظ وجدت الباب مغلقاً بإحكام، لكن هذا لم يكن عائقاً عن اكتشاف الحقيقة المروعة التي كانت تشعر بها بداخلها. استحكمت عقلها ونظرت عيناها حولها ببحث شديد، حيث لاحظت قالب الطوب الذي بدا وكأنه يناديها. ذهبت هايدي بخطوات مُتسارعة، وأحضرت القالب، وباستخدامه كسرت النافذة بشكل متهور وقفزت داخل الحظيرة بحذر، وما لبثت أن واجهت صدمة كبيرة عندما وجدت بقايا الكلب المتناثرة في كل مكان حولها، مما جعلها تعول بصوت عالٍ من شدة الفزع. أدارت وجهها نحو الجانب الآخر من الحظيرة بصمت، ووضعت يدها المرتجفة على فمها، كادت أن تستفرغ من تعاسة المنظر الذي ظهر حيالها. فقالت بتلجلج:

=أنا مش مصدقة اللي أنا شايفاه ده بجد مش مصدقة!

أثناء موعد الإفطار، كانت العائلة مجتمعة حول المنضدة الكبيرة التي كانت تنتثر عليها أطباق الطعام المتنوعة، والشهية. نظرت أم الديب بدهشة إلى كمية الأصناف الموجودة، حيث امتزجت الألوان والنكهات لتشكل لوحة طعام مبهرة تعكس جهودهم الكبيرة في التحضير، فنطقت بشح:

_ ايه كل الأكل ده؟

أجابت نعمة ببشاشة:

=معلش ياما احنا في رمضان، ورمضان ميحلاش غير باللمة، والأكل الحلو.

نطقت أم الديب باستخسار:

_ عمالين تصرفوا، وولا هاممكم حاجة، وبعدين تيجوا تشتكوا من الفقر.

تلفظ جلال بامتعاض:

=لما تبقي تصرفي أبقى اتكلمي!

ردت أم الديب بضيق:

_ الكلام ده ميرضيش ربنا، ولا يرضي حد.. شيلوا الأكل ده، وسيبوا نصه ليوم تاني.

تفوهت ليالي بعناد:

=مفيش حاجة هنتشال يا حماتي، الأكل هيكفيينا، ومش هيفييض منه حاجة... ربنا مايكتب على حد البخل.

وطأت أم الديب يدها بقوة على صدرها، وصاحت بصوت ينبض بالإستغراب:

_ انتي بتقحي عليا بالكلام يا بت؟ قصدك إن آني بخيلة؟

ردت ليالي بلا مبالاة:

أم الديب الجزء الثاني

=وأنا اتكلمت، ولا قولت حاجة يا حماتي؟

قالت نعمة بكمد:

_وربنا مانا متكلمة أنا تعبت منكم.

تلفظ جلال بعجيج:

=قسمًا بالله ياما إن ماسكتي لا نلم الطفح ده من هنا، وهنطلع فوق، وخليكي انتي هنا تاكلي تراب!

تفوهت أم الديب بصياح:

_لم نفسك مانت عيل صايح مش لاقى اللي يربيك آني اللي غلطانه إني قعدتكم في بيتي، ونسيت عميلكم السوداء.

ازداد العناد في داخل جلال حتى نهض، وأطلق صياحًا بصوت مرتفع، قائلاً باحتدام:

=قومي يا ليالي انتي ونعمة، وربنا ماحنا طافحين عندك، وشوفي مين هيطفح عندك تاني!

وقفت نعمة بسخط عارم، وألقت كلماتها بصوت مليء بالانزعاج، قائلة:

_يا جماعة مش كده أنا اعصابي تعبت منكم.

جمع الجميع أطباق الطعام من على المنضدة بتعاون، ورتبوا بدقة فوق أيديهم قبل أن يصعدوا بها إلى

شقة جلال. وعندما وصلوا، جلسوا في صمت، كأنهم يحاولون تجاهل ما حدث وإخفاء الكمد المتبادل،

وفي هذا الجو المتوتر، قال المعلم حنفي بتأني:

=أنا شكلي هطلق أمكم قريب، دي ولية غم بشكل...ده كل يوم على الله تعمل مشكلة!

تمنى جلال أن تنتهي هذه العلاقة المعقدة، ليتمكنوا أخيرًا من الراحة، والابتعاد عن المشاكل المتكررة،

فنطق بتأجج:

_والله يابا أنا لو منك كنت طلقته من أول اسبوع ده انت يتعملك تمثال على صبرك عليها.

رد المعلم حنفي برهبة:

=خايف من خالك ضايح لا يتجنن في نفوخته، ويخلص عليا.

تلفظت نعمة باعتراض:

_حرام عليك يابا بقى تطلقها بعد كل اللي استحملته معاك؟ ماهي ياما عاشت معاك أيام فقر، وتكشف.

قال المعلم حنفي بعصية:

=ده هي وش الفقر كله مانا لو متجوز ست بحق، وحقيقي كانت وقفت في ضهري إنما دي واخدة مالي،

وتعبي أول بأول، ومش مدياني فرصة!

تحدثت ليالي بافترار:

_معلش يا حمايا أبقى بات عندنا ده انت هتنور الدنيا.

رد المعلم حنفي برضا:

=الله يخليكي يا ليالي انتي بت أصول، وجدعة.

عندما أذن الشيخ في الجامع، تمددت الأيدي نحو الملاعق والأطباق، وكل فرد يردد دعاء الإفطار بما

فيهم المعلم حنفي الذي قال بتعبد:

_اللهم لك صومت، وعلى رزقك أفطرت.

أم الديب الجزء الثاني

في محفل أم قمر الدين، استقرت العائلة كلها حول مائدة طويلة تتألق في رحاب حديقة القصر، وخلفهم الأضواء المبهرة والزينة الرمضانية المشرقة. قبل أن يبدأوا في استهلاك الطعام، نطق باسم بكامل سعادته، معبرًا عن الفرحة العارمة التي تغمرهم جميعًا:

=كل سنة، وانتوا طيبين.

رد الجميع بابتسامة:

_وحضرتك طيب.

أردف باسم بألفة:

=وإن شاء الله السنه الجاية يكون قمر الدين اتجوز، وقاعد معاكم هو، ومراته، وأولاده...كل سنة، وانتوا بألف خير.... أنا سعيد جدًا بوجودكم حواليا، وأتمنى إننا نفضل دايمًا متجمعين في الخير.

ردت سامية بإعزاز:

_ربنا يخليك لنا يا بابا، وميحرمناش من وجودك.

نطقت جميلة بصبو:

=حبيبي يا بابي.

تحدثت أم قمر الدين مع الجميع برثاء:

_كلوا يا ولاد...الأكل هيعجبكم جدًا.

نطق علاء الدين باشتهاء:

=الكتاب باين من عنوانه.

تحدثت سيليا بسعادة متفائلة، ووجهها ينبض بالحيوية:

_الله يا مامي الأكل جميل أوي !

نفوحت جميلة بابتسامة:

=بالهنا، والشفا يا روجي.

تحدثت أم قمر الدين مع الجميع بلباقة، كالنجمة التي تنير سماء الليل، تنبعث منها أفكار تجذب الآخرين وتلهمهم، فتملأ الأجواء بروح الود:

_كلوا كويس يا ولاد...أوعوا حد يقوم، وهو طبقه فاضي!

ضحك قمر الدين بابتسامة تملأ الحديقة المضيئة بالبهجة، وقال بصوتٍ مغمور بالدفع:

=متقلقيش أنا همسح الطبق ده دلوقتي حالًا!

بدأت العائلة في الاستمتاع بوجبة الطعام الشهية، وفي منزل أم الديب، كانت تجلس على أريكة صالحتها، تستمع بانتباه متزايد إلى صوت الملاعق المرنة التي تتداعى على أطباقهم الشاهقة في الطابق الأعلى، وفي قلبها، كانت تلمح تفاصيل دقيقة لخططها الخفية لهم، معتدية بمشاعر معقدة من الكراهية المكبوتة، وحلمت بفرصة لإيذائهم. لكن مع تصاعد الامتعاض داخلها، فجرت سخطًا عارمًا، مخرجة كلمات ملتبهة تعبر عن مشاعرهما المقهورة:

_بقى أني يتعمل فيا كدهو؟ يطلعوا كلهم، ويسيبوني قاعدة لواحدي، ولا حد معبرني؟ ماشي يا جلال!

يتبع

أم الديب الجزء الثاني

الفصل الثالث عشر

في تلك اللحظة المثيرة للفضول، فتحت هايدي الباب، ودخلت إلى الصالة حيث كانت أم الديب تجلس وحدها، محادثة نفسها بهمسات متقطعة وكأنها فقدت صوابها، فشعرت هايدي بموجة من الدهشة تعتربها، وقالت بتعجب، وملامح وجهها تعبر عن الاستغراب:

_ انتي بتكلمي نفسك ولا ايه يا ماما؟

أجابت أم الديب بصوت فظ: َ

=جاية تهبيي ايه يا بت؟

ردت هايدي بنظرات ماقتة:

_ نزلت أغير عشان هنروح نصلي التراويح...مش هتيجي معنا؟

نفوحت أم الديب بسطوة:

=روحوا انتوا.

ردت هايدي بجزع:

_ ماشي.

عادت هايدي إلى غرفتها بخطوات هادئة، تسحب الباب خلفها برفق لتستعد لأداء صلاة التراويح، حيث ارتدت إسدال الصلاة الأزرق الذي يعكس طهرانية اللحظة الروحانية، بينما في شقة جلال كان المعلم حنفي يجلس على الأريكة، وهو يتناول القطائف اللذيذة بنهم ظاهر، وبسعادة تغمر وجهه، قال بحماس واضح، وصوت مليء بالرضا:

=القطايف دي جواها ايه؟

ردت ليالي برقة، وقد ارتسمت على شفثيها ابتسامة دافئة، وعينيها تتلألأان بنظرة تشي بالحنان:

_ محشية مكسرات يا حمايا.

تحدث المعلم حنفي بتلذذ واضح، وكأنه يستمتع بكل لقمة من القطائف وكأنها قطعة من الجنة، قائلاً بنبرة مفعمة بالمتعة، وهو يمسح بقايا الشرابات عن شفثيه بابتسامة عريضة:

=لا حاجة حلوة أوي تفتح النفس...تسلم ايدك.

نفوحت ليالي بابتسامة ناعمة، وتألفت عيناها بوميض من الفرح الصادق، قائلة بصوت ملؤه الاطمئنان:

_ بألف هنا يا حمايا.

وأردفت لزوجها بهدوء، بعد أن رسمت ابتسامة رقيقة على شفثيها:

_ هدخل ألبس أنا، والعيال عشان نروح نصلي التراويح...مش هتصلي معنا يا جلال؟

نهض جلال بثبات، وقد ارتسمت على ملامحه علامات الجدبة، ثم قال بانشغال:

=لا روحوا انتوا، أنا ورايا مشوار.

تحدث حامد بتطفل واضح، مقاطعاً الحديث الجاري، وعينه تتنقلان بفضول بين الحاضرين، قائلاً باندفاع:

_ رايح فين؟

رد جلال بعصبية:

=وانت مالك يا عم بتحشر نفسك في اللي ملكش فيه ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

وقف حامد فجأة، وقد تفجرت من ملامحه علامات السُخط العارم، وصوته يرتجف من فرط الانفعال، ثم قال بصوت جهوري:

_جرا ايه يا عم؟ بس مكنش سؤال.

رد جلال بغلاظة تنطلق من دواخله بشكل مفاجئ:

=خليك في حالك...أروح مطرح ما أروح ميخصكش !

نهضت نعمة في مكانها، وشبكت يدها في يد ابنها محمد بلطف، قائلة بحنان:

_يلا يا محمد عشان نطلع نلبس، ونروح نصلي التراويح.

صعدت نعمة بابنها إلى شقتها بخطوات هادئة، استعدادًا لقضاء صلاة التراويح برفقة ليالي، وأبنائها، وهايدي. في المقابل بمنزل أم قمر الدين، بعد تناول وجبات الطعام، اجتمعوا في الحديقة على كرسي مرتبة حيال شاشة عرض ضخمة، حيث تمتعوا بمشاهدة المسلسلات المحببة لهم. تحيطهم الحلويات الشهية، والعصائر الطازجة، والمكسرات اللذيذة، مما أضفى على الجو طابعًا من الراحة، والتأمل. في البعد الآخر من البيت، كانت سيليا تلهو بحماس مع خالاتها منى، ونالا، يملأن البيت بضحكاتهن، وأصواتهن البريئة، وفي هذا السياق، وبينما كانوا جميعًا مستمتعين بلحظاتهم الجميلة، وقف علاء الدين فجأة، فأثارت كلمات أم قمر الدين بتعجبها تفاعلاً مفاجئاً:

=رايح فين يا حبيبي مش هتقعد معنا؟

أجاب علاء الدين بعجلة، وعبر عن استعداده للخروج:

_لا يا Mom أنا هخرج مع صحابي، مش عايزة حاجة؟

ردت أم قمر الدين ببشاشة مليئة بالفهم:

=لا يا حبيبي خد بالك من نفسك، ومتأخرش.

رد علاء الدين بابتسامة:

_حاضر...باي.

نطقت سامية، ونرمين بحُب:

=باي.

غادر علاء الدين السهرة العائلية، واتجه إلى سهرة أخرى مع أصدقائه، حيث انعقدت بجو من البهجة. في الأثناء، كان باسم يتحدث بشكل مستمر، ملفتًا الأنظار بحديثه الشيق، محاولاً إضافة لمسات من الفكاهة إلى الجو المحيط بالحضور:

_بقى معقول متعرفوش آخر إنجازاتي؟

ردت نرمين بفضول مفعم، محاولة استيضاح المعلومة بتساؤل واضح، مبدية استعدادها لاستكمال

الحوار بشكل نشط:

=إنجازات ايه يا بابي؟

قالت جميلة بتعجب:

_ايه يا بابي طمنا!

أجاب باسم بابتسامة تشذا بالتفاؤل، وبمتابعته لردود أفعالهم، وهو ينتظر بفارغ الصبر تفاعلهم الإيجابي تجاه هذا الخبر المُبهج:

=أنا فتحت قناة تليفزيون...الأوبنينج كمان كام يوم.

أم الديب الجزء الثاني

تفاجأ الجميع عند سماع هذا الخبر، بما فيهم قمر الدين، الذي نهض من مكانه بسرعة، وبادر بالتعبير عن سروره بابتسامة تعكس انبهاره، فقال بذهول:

_ بجد والله؟

ضحك باسم، وهو يجيب بابتسامة صادقة تعبر عن فرحته، معبرًا عن ردة فعله الإيجابية وابتهاجه بشكل مباشر ومرح:

=طبعًا.

عانق قمر الدين والده بمودة، ومن داخله يتمنى له كل خير، وسعادة، ثم قال بنبرة عالية غنية بالتقدير:

_ ألف مبروك يا حبيبي.

تحدث أحمد بفرحة:

=ألف مبروك يا عمي.

رد باسم بسعادة مفعمة بالتواضع، مُعلن فرحته:

_ الله يبارك فيكم.

ضحكت سامية بابتسامة تتبعث من دواخلها تعكس روحها المرحية:

=طب ايه يا بابي مش هتشغل بنتك حبيبتك معاك؟

ضحكت أم قمر الدين بابتسامة مشرقة تنم عن دهشتها، حيث أعربت عن حالة الذهول التي أثرت فيها، وقالت بتعجب:

_ مانتي بتشتغلي يا بنتي عايزة ايه تاني؟

نظر باسم لجميلة بابتسامة تعبق بالود، وقال بترقب:

=جميلة هي اللي هتشغل فيها !

وقفت جميلة في موقعها، وسط جو من الفرح الذي انتابها بشدة، حيث أدركت بكامل وعيها وامتنانها مدى الجهود الجبارة التي بذلها والدها من أجلها على مدار السنوات. في لحظة غير متوقعة، اقتربت منه بخطى ثابتة، وانطلقت بتعبير عن سعادتها الكبيرة بصوت مرتفع، ومغمور بالعاطفة:

_ بجد يا بابي؟ قول إنك بتهزرا!

تضاحك باسم بابتسامة تنطلق من قلبه، وواصل حديثه بلغة واضحة، ومفهومة:

=لا مش كده، وبس... مدير القناة مش حد غريب.

تحدثت نرمين بفضول عارم، حيث بدت علامات الاستفهام تلوح في عينيها وصوتها، تسعى لاستكشاف المزيد، وفهم التفاصيل بدقة:

_ مين يا بابي؟

نظر باسم لأحمد، وقال:

=أحمد جوز جميلة.

تعرّضت روح أحمد لصدمة عنيفة عند مواجهته لهذا الخبر الصادم، حيث تجاوزت مشاعر الصدمة والدهشة حدودها الطبيعية. لم يجد أحمد لسانه الكلمات المناسبة للتعبير عن مشاعره المتداخلة، لكنه تمكن ببراعة من التعبير عن دهشته العارمة بكلمات ملونة، معبرًا عن حالة الاستغراب التي تسيطر عليه بشكل لافت:

_ حضرتك ببتكلم بجد؟

أجاب باسم بتأكيد:

أم الديب الجزء الثاني

=طبعًا.

تحدث أحمد بتعجب منين، حيث أظهرت ملامح وجهه الدهشة الواضحة، وكأنه لم يصدق ما سمع أو رأى، مما جعله يفتح فمه قليلاً ويعبر عن استغرابه بطريقة لافتة للنظر:

_طب، والشركة؟

رد باسم بثباتة:

=لا لا سيبك من موضوع الشركة ده خالص... اللي انت داخل عليه هينقلك نقله تانية... أنا حابب علاء الدين يمسك مكانك.

تلفظ أحمد بفرحة غامرة، وابتسامة عريضة تملأ وجهه، حيث انبعثت البهجة من عينيه وعباراته:

_مش عارف أقول لحضرتك ايه بجد! بس كل ده كتير عليا!

رد باسم بإنعام:

=ولا كتير ولا حاجة أنتوا أولى من الغريب... مش كده، ولا ايه؟

عانقت جميلة والدها بعمق من شدة سعادتها، وفي لحظة الاحتضان، قالت بصوت ملآن بالامتنان:

_ميرسي يا بابي... بجد ربنا يخليك لينا.

نهضت سامية مكانها، وعانقت أختها عنق حار ينم عن مشاعرها الصادقة، وفي لحظة الاحتضان،

قالت بسعادة مُفرحة:

=مبروك يا جميلة.

ثم نظرت لأحمد، وواصلت بكل تقدير:

=مبروك يا أحمد.

ردت جميلة، وأحمد في آنٍ واحد:

_الله يبارك فيكي.

لكن أم قمر الدين تعلم تمامًا أن علاء الدين، الشاب المتهور، لا يمكنه تحمل المسؤولية، إذ يعيش حياته بلا هموم ويستمتع بكل لحظة، وبقلق عميق، قالت تعبيرًا عن مخاوفها المتزايدة:

=بس علاء الدين انت عارف إنه مالوش في الشغل!

كان باسم مصممًا بقوة على أن ينقش في قلب ابنه الأصغر تلك القيم النبيلة، ليتخلص من تلك الأخطاء

الدينية التي انتقلت إليه من أصدقائه، مؤكدًا بأنه لا بد له من تشكيل شخصيته بشكل صحيح ورفع

مستوى تفكيره، متأملًا في المستقبل بتفاؤل وثقة كبيرة في قدرته على توجيهه نحو السلوك الصحيح

والنجاح في الحياة حيث قال:

_علاء الدين مباحش صغير، ولازم يتحمل المسؤولية زي أخوه.

رد قمر الدين، وهو يضم رأيه إلى رأي والده، بتأكيد متزايد، وثقة دفيئة في الحاجة إلى توجيه أخيه نحو

اتخاذ القرارات الصائبة، معلنًا عن اتفاقه معه بالكامل، واستعداده لدعم هذا النهج التربوي الهام:

=عندك حق يا بابا... هو فعلاً مباحش صغير، ولازم يشتغل، ويشارك معنا.

رد باسم بعقلانية الأبوة، مؤكدًا على أهمية فهم وتقدير آراء الأبناء، ومبديًا استعداده لتبني النصائح،

والتوجيهات من أولاده:

_أولادي يا بسملة هما اللي هيشيلوني مش الغريب... ابني مش هيهون عليه يخدعني أو يضربني في

ضهري لأن مصلحتنا في الأول، والآخر واحدة!

تتهدت أم قمر الدين بقلق رحيب، وقالت بلهجة مليئة بالتأمل:

أم الديب الجزء الثاني

=عين العقل يا باسم ده التفكير السليم...أتمنى إن علاء الدين يوافق.
في منزل أم الديب، بعد أن جهزت ليالي، ونعمة، وأبناءهم، نزلوا برفقة هايدي لقضاء صلاة التراويح في المسجد. وأثناء مرورهم في مدخل المنزل، تفاجئوا بوجود أم الديب على عتبتها، محجبة عنهم الطريق. فقالت نعمة، بتعجب على وجهها، تعبيرًا عن استغرابها:
_ انتي ايه اللي مقعدك هنا ياما؟
ردت أم الديب بنظرات شرسة، كأنها سهم من الانتقام يخترق الهواء، وكلماتها الحادة كانت كالصخب الذي يعلو في ليلة هادئة، مستعدة للصراع، وهي تتأمل بشكاسة:
=مزاجي كدهو.
نطقت نعمة بعجلة:
_ طب عدينا ياما عشان متأخرش.

صاح حمود في وجه جدته بحديث يمزج بين التربية البذيئة، والوعيد:
=وسعي يا ستي بدل ما أخبطك بالطوبة!
جلجلت ليالي في وجه ابنها بكلام ينطلق كالبركان المتجهم، تصف استيائها بوضوح، وموضحة موقفها بكل قوة، وحزم، وهي تنظر إليه بعيون تعكس التوتر:
_ اسكت يا حمود انت دلوقتي!
وصوبت ليالي نظرها باتجاه أم الديب، وواصلت بكل ثقة:
_ وسعي يا حماتي...عدينا!
أشارت أم الديب بيدها بتعنت أمامهم في ذلك المكان المحجوب، كأنها ترسم خطأ غير قابل للتجاوز بينهم وبين ما وراءها. وقالت بعناد:
=ما تعدوا هو حد حايشكم؟

نطقت نعمة باستعجال:
_ ياما الله يسترك عدينا الصلاة هتفوتنا!
تحدثت أم الديب بنظرات متأججة:
=كلتوا، وشبعتوا يا بت منك ليها؟
صوبت نعمة نظرها نحو الأرض، حيث انبلجت الرهبة على محياها، وقالت بصوت يتردد في أرجاء المدخل:

_ مانتي ياما اللي بتعملي مشاكل، ولو كنتي زودتي فيها كانت المشكلة كبرت أكثر.
ردت أم الديب بنبرة جلفة:
=محدث فيكم هيطلع من باب الدار دهو النهاردة!
تفوهت ليالي بصياح يفوح بالشجن، كأنها تجسدت في تلك اللحظة كل المشاعر المكبوتة:
_ بقولك ايه يا حماتي عديها على خير، أنا خلاص جيبت أخري منك...ده انتي مفيش يوم يعدي معاكي إلا، وانتي عاملنا مشكلة جديدة!

حاولت نعمة التلاعب بأم الديب، حيث انتابتها ردود أفعال متضاربة من التخطيط. أدركت في تلك اللحظة الفارقة أن عقل أم الديب يشبه عقل النملة، فعلى الرغم من تقدمها في السن وخبراتها المكتسبة، إلا أن عقلها الصغير يبدو أنه لا يتجاوزها، كما لو أنه يفتقر في دقائقه البسيطة وتواضعه الكبير دروسًا

أم الديب الجزء الثاني

للحياة، وحكمة غامرة. ومع كل هذا، لم تكن نعمة تخلو من الاستياء، فبينما تراودها أفكارها المتشابكة، أبتت على ابتسامة مستترة بين الشفتين، وهي تقول بثُرة:
=عدينا بس ياما، وأنا أوعدك هجيبك الأكلة اللي بتحبيها، وأنا راجعة لا، ومش بس كده هجيبك العصير اللي بتموتي فيه!

ردت أم الديب بابتسامة فرح تغمر الغرفة بنورها الدافئ، كأنها تعبر عن فرحة عميقة لا توصف، مشعة بالأمل، تنطق بلغة القلوب قبل الألسنة، وتعكس روحًا متفائلة:
_هتجيبلي عصير الجرجير يا بت؟
أجابت نعمة بابتسامة:
=أه ياما، وهنالك طبق محشي كبير.

ردت أم الديب بابتسامة فرح:
_عدي انتي، وابنك، وأختك هايدي.
وضعت ليالي يدها بعنف على خصرها، وهي تعبر عن اعتراضها على قول أم الديب، حيث انتقلت من حالة الهدوء إلى العصبية في لحظة من الزمن. تبدلت ملامح وجهها، وارتفع حاجبها بتعبير عن استنكارها، بينما تلقت نظرات حادة من أعينها تتوجه باتجاه أم الديب، لم تتردد ليالي في التعبير بصياح قاطع:

=يعني ايه تعدي هي، وابنها؟ طب وأنا وعيالي نظامنا ايه؟
تلفظت أم الديب بصخب:

_صوتك ميعلاش يا بت دباح الحمير!
أدركت نعمة نشوب المشكلة بينهم حتى تتضخم، خاصةً وأن ليالي لن تبقى صامتة هذه المرة، ولن تتسامح أو تتأني. كانت الأمور تتزايد في تعقيدها، وفي هذا الوقت الحرج، وفي لحظة فاجأها القدر بفكرة مباغته وجديدة تمامًا. أفاضت نعمة بصرخة من السعادة المفاجئة، حيث أعلنت ببهجة غامرة:
=اسكتي ياما مش ليالي عاملالك حاجة حلوة مخصوص ليكي انتي بس، وكمان كل ما حد يطلب منها تقولهم لا دي بتاعة حماتي.
انصدمت ليالي بشدة لدى سماعها كلمات كاذبة تنبعث من نعمة، فردت أم الديب بصوت يحمل لوتًا من الاستفزاز:

_نز لو هالي، وبعدين هفكر.

ردت ليالي بصياح:

=يوه يا نعمة... ده مفيش وقت أنا لسه هطلع، وأعمل؟

أقربت نعمة من أذن ليالي، وقالت بنبرة خافتة:

_معلش يا ليالي خديها على قد عقلها مانتي عارفة أمي!

صعدت ليالي الدرج ببطء متنقلة بين الدرجات للوصول إلى شقتها، وعلى الرغم من تعبها المنهك، وإرهاقها الشديد، إلا أنها لم تتردد في أن تجهز وجبة الطعام اللذيذة، مع إعداد طبق من الحلويات الشهية، وكوب عصير منعش لتعويض حماتها بعد يوم شاق. وبعد الانتهاء من واجباتها، نزلت من الشقة بخطوات ثابتة، وكانت تظهر على وجهها ملامح الاستياء، وقالت بانزعاج:
=خدي.

أم الديب الجزء الثاني

نسيت أم الديب كل ما حدث بمجرد أن بدأت في تناول أول إصبع من محشي الباذنجان، حيث أدخلت الطعام إلى فمها ببطء وانتباه، متجاهلة تمامًا الأحداث السابقة، وصرحت بتجاهل تام:
_ عدي يا بت منك ليها.

سحبت ليالي ملابسها بيدها بعنف، وهي تنفخ بفمها باحتدام ملحوظ، مستاءة، ومعانية من الضيق النفسي، فقالت بجلبة حارة:
=ايه الهم اللي اتحط علينا ده!

تحدثت أم الديب بصياح:

_ بتقولي ايه ياللي تضربي في جنابك؟

مرت ليالي بأولادها، وخلفها هايدي من جانب أم الديب، وسط صمت ملحوظ يعكس التوتر، وفي تلك اللحظة الحرجة، تشبثت نعمة بولدها بحنان، حيث انعكس القلق والحذر على وجهها، وبدأت تتحدث بصوت هادئ مليء بالرهبة:

=دي بتقولك يارب الأكل يعجبك.

ردت أم الديب بصياح:

_ غوروا من وشي!

غادر الجميع، مشعرين بالتعكر في المزاج بسبب الشجار الذي نشب بينهم وبين أم الديب، واتجهوا إلى مسجد السيدات. بينما في منزل عم سلامة، كانت تقف تباهي في المطبخ بعد الإفطار، حيث كانت تستعد لتجهيزات وليمة اليوم الثالث من شهر رمضان المبارك. كان من المقرر حضور ليالي، وجمال، وأطفالهما، بالإضافة إلى هبة، وزوجها، وابنتهما، وفي هذا الوقت الحساس، دخل عم سلامة إلى المطبخ بخطوات متهملة، ووجه بشوش، وقال بتبجيل:

=الله ينور يا أم ليالي.

ردت تباهي بابتسامة، وهي تشكل أصابع الكفتة بحرفية:

_ هو أنا حيلتي كام سلامة؟

تحدثت عم سلامة:

=جهزينا الشاي... أخواتي جايين، اجهزي.

ردت تباهي:

_ ماشي يا سلامة.

عم سلامة هو رمز للتناقضات، فقد يبدو وجهه عابسًا ولكنه في الحقيقة يحمل داخله الفرحة العميقة، والحزن الصادق. تكاد تكون مشاعره غامضة، فلا يمكن لأحد أن يعرف بالتحديد إذا كان يشعر بالسعادة أم الحزن. إنه رجل ذو ملامح قاسية، فنادراً ما يبتسم أو يضحك، وحتى حديثه يكون جافاً. هذا هو الطابع الذي اعتاد عليه منذ صغره، والذي يجعله فريداً من نوعه، وبعد أن انتهت تباهي من تجهيز أصابع الكفتة، رن هاتفها فذهبت غرفتها، وأمسكت به، واستجابت للمكالمة لكن كانت الصدمة حينما سمعت بكاء ابنتها، وهي تقول:

_ تعبت منها ياما دي مررت عيشتنا حتى الأيام اللي بنسنتها من السنة للسنة مسوداها علينا، وكل يوم

ياما لازم تتشاكل معايا بأي شكل المهم تتخانق، وخلص!

غضبت تباهي من أجل ابنتها، فخرجت كلماتها بتأثر:

=دي ست قادرة، ومفترية، وتستهال كل اللي بيحصل لبنتها مع أم أشرف...يا بتي ده كله سلف، ودين.

أم الديب الجزء الثاني

تُعتبر هبة أخت ليالي، سلفة نعمة، إلا أنها تشهد معاملة أفضل بكثير من حماتهم أم أشرف بالمقارنة مع طريقة تعاملها مع نعمة، التي تكون أفسى وأكثر صرامة. وفي هذا السياق المؤلم، بدأت ليالي بالانتحاب، وهي تعبر عن آلامها:

_ نعمة غلبانة، وغلب الدنيا كله فيها... أمها هي اللي زي العقربة... أنا تعبت ياما، وكل يوم أتحايل على جلال يشوفلنا شقة بعيدة، وهو ظروفه منيلة بستين نيلة، ورغم كل ده صابرة، وبقول استحملها يمكن ربنا يهدي.

ردت تباهي بكمد:

=تعالى يا بت أقعدي عند أمك، واقفلي شقتك، وولا تعبريها دي ست حرباية، وشكالة، ولسانها عايز ينقطع من لغوغه.

تفوهت ليالي بانتحاب:

_ أنا مش هسكت ياما، وهفضل ورا جلال لحد ما يشوفلنا حل ده محدش في البيت ده قادر عليها.

ردت تباهي بنبرة حنونة:

=اصبري يا بتي لحد سواد الليل، وانتوا كده كده جايبين بكرأ ساعتها نتكلم براحتنا، ونشوفلك حل، وربنا ينتقم منها، ويوقعها في شر أعمالها .

بعد انتهاء الوقت، وبلوغ الساعة الحادية عشر منتصف الليل، عاد أحمد وجميلة إلى المنزل مصحوبين بابنتيهما، وكانوا ينبضون بالسعادة، والبهجة لهذا الخبر المفرح. فور وصولهم، أَلقت جميلة بكلماتها بنبرة ممثلة بالفرح:

_ مش مصدقة إن أخيراً بابي هيشغلنا مع بعض في نفس القناة !

رد أحمد بسعادة:

=ولا أنا... ده أكثر خبر فرحني في حياتي.

تحدثت سيليا ببراءة:

_مامي هو انتي هنتقي مذبة زي خالتو سامية؟

ضحكت جميلة، وقالت برقة:

=أبوة يا روجي بس خالتو سامية مذبة كبيرة، ومشهورة، لكن مامي لسه في بداية المشوار.

ردت سيليا بسعادة غامرة تتجلى في ابتسامتها الساحرة، وكأنها ترقص على أنغام فرح داخلي لا يمكن كبتة:

_ينفع أظهر معاكي يا مامي، وأعمل باي لصحابي؟

داعت جميلة وجه ابنتها بلطف، وبينت حنانها العميق بلمسة خفيفة تعكس الرعاية الأمومية الطبيعية. حيث نظرت إلى زوجها بعيون مليئة بالحب، وبينما كانت تضحك، أَلقت بكلماتها التي تنم عن المحبة الدائمة:

=مممكن بس لو مدير القناة وافق !

ردت سيليا بذكاء:

_ خلاص قوليله يا مامي، وممكن يوافق !

ضحك أحمد، وقال باستجابة:

=وأنا موافق يا سيليا إنك تظهري !

أم الديب الجزء الثاني

ضحكت الفتاة بابتسامة جميلة تنعكس على محياها، وخرجت من شفيتها بلطف كأنها تترقب مفاجأة مليئة بالألوان الزاهية. ثم فتحت فمها ببطء، وبينما كانت ترفع عينيها لتلتقط نظرة من حولها، نطقت بكلماتها بأناقة مفعمة بالرغبة في مشاركة الفرحة:

_ هو انت مدير يا بابي؟

ضحك أحمد، وقال بفرحة:

=أبوة آمال احنا فرحانين ليه؟

كانت سعادتهم بالمهنة الجديدة كالنيران المشتعلة التي طغت على كل شيء، حتى تلاشت ذكرياتهم بأسيل كالظلال في الظهيرة. تحول وجه جميلة إلى خريطة مندهشة مفاجئة، وخرجت كلماتها:

_ احنا نسينا حاجة مهمة!... أسيل هنسيبها مع مين؟

انفجر صرح أحمد في الهواء كالبرق، والضربة التي وُجّهت إلى جبينه ترنحت كأواج البحر. ثم خرجت كلماته بصدمة مفاجئة:

=ازاي نسينا حاجة زي دي؟ كده هنضطر حد يستني الثاني يخلص، ويرجع.

ردت جميلة بتفكير:

_ صح مفيش حل غير كده.

كانت ليالي تجلس في المنزل على أريكة صالتها، وحزن الكون يتلاشى من بين قلوب البشر، ولكنه اجتمع بأكمله في قلبها. كلما حاولت نسيان الماضي ودفنه، قامت أم الديب بحفر حفرة أوجاع جديدة في نفسها. وكلما قررت تجاوز النزاعات، بدأت أم الديب بإثارتها من جديد. شعرت ليالي بأن والدة زوجها تشكل الكابوس الأكبر في حياتها، والمصدر الأول والأخير لحزنها. كيف يمكنها الهروب من هذه الأوجاع بعد أن أنجبت طفلين وارتبطت عن قرب بزوجها؟ دخل جلال إلى الشقة ولاحظ وجه زوجته المكتئب. ووقف أمامها، وقال بتعجب في صوته، يبحث عن السبب وراء حالتها النفسية السيئة:

=مالك يا بت لاوية بوزك ليه؟

ردت ليالي بصوت حاد:

_ مفيش حاجة ياخويا .

جلس جلال على سيف زوجته، وقال بصوت حاد:

=بقولك ايه يا ليالي اتكلمي عالطول!

أجابت ليالي بامتعاض:

_ أمك يا جلال مش سايباني في حالي.

رد جلال بتعجب، مبدئياً استغرابه العميق، وقال بصوت هادئ:

=عملت ايه تاني؟

نطقت ليالي بنبرة صوت مختنقة، وكأنها أوشكت على البكاء، وقالت بصوت متقطع من التأثر:

_ نازلة ياخويا، أنا وأخواتك، والعيال، ودي قاعدلنا على باب البيت، وحالفة ما حد فينا يعدي، وعمالة تشتري، وتبيع فينا لحد ما أختك نعمة خلتنى أطلع متغصبة أجيبها الأكل، وأنزل بيه، وخذته مننا وعدتنا بعد طلوع الروح !

صوب جلال نظره بعيداً، حيث تمرکز تفكيره، وأخذ يتأمل لحظة طويلة قبل أن يقول بتردد:

=أمي عايزة واقفة جامدة يا ليالي علشان تبطل شغل الحموات ده.

ردت ليالي بانتحاب:

أم الديب الجزء الثاني

_أمانة عليك ياخويا تشوفلنا حل في موضوع الشقة، وخلينا نخرج من البيت ده على خير قبل ما حد فينا يتجنن، ولا يموت بقهرته !
نفوه جلال باختناق:
=مانتي عارفة الظروف يا ليالي...بس ربك يسهلها.

ردت ليالي بنهم:
_ما تكلم ست بسملة دي ست غنية أوي، ومعها فلوس كتير...كانت تشوفلنا صرفة، وتبيعلنا الشقة، وناخذ شقة في حطة تانية.
نطق جلال بإحباط:
=بس احنا ملناش كلام معاه، ومش جلال اللي يجري ورا الناس...أنا هبقى أشوف خالي ضايع.
صرخت ليالي بصوت مرتفع، قائلة بحنق واضح في كلماتها:
_لا خالك ضايع لا...ده فلوسه كلها حرام.
رد جلال:

=مش أحسن من قعدتنا مع أمي؟
تلفظت ليالي ببكاء، حيث تأثرت وتعبت من الأحداث المؤلمة التي مرت بها، وهمست بين الدموع بإنكسار:
_اعمل أي حاجة إلا خالك ضايع ده...احنا عايزين ربنا يباركلنا.
نطق جلال باحتدام:

=خلاص يا ليالي خليك مع أمي، ومتبقيش تشتكي!
دخل جلال الغرفة، فرأت ليالي وضعه المستفز، فزادت نارها، وهي تعول بصوت مرتفع، وتضرب يديها في فخذها بعنف، قائلة:
_ماشي يا جلال متبقاش تزعل لما أبدأ الحرب مع أمك!
بينما في اليوم التالي، في تمام الساعة الثانية عشر ظهرًا، ذهبت ليالي بأبنائها إلى منزل عائلتها، بينما ذهب جلال إلى عمله، عدا نعمة، وحامد، وأبناءهما سيتناولون الإفطار مع أم الديب هذا اليوم. وفي صالة منزل عم سلامة، كانت الأسرة تجلس مع بعضها، وقال الوالد بصوته الحنون:
=حماتك دي أنا مشوفتش زيها طول حياتي..إنسانة عجيبة أنا لو مكان المعلم حنفي كنت طختها بالنار، وارتاحت منها.

ردت ليالي رد متأجج:
_أه والله يابا هي غريبة بعقل؟ البت هايدي حكيتلي في السر أنها لقيتها قال ايه ماسكة السكينة، وعاوزة تدبح الكلب علشان توفر الفلوس...هو في حد عاقل يعمل اللي بتعمله؟
اتسعت أعين تباهي من صدمتها، فتأملت لحظة في وجه ابنتها، ثم نطقت بصوت مرتفع مليء بالدهشة، وكأنها تحاول فهم الحالة التي وصلت إليها أم الديب:
=اللهم احفظنا يارب...تأكل عيالها لحمة كلاب؟

أجابت ليالي ببغضاء، وصدح صوتها بحسرة:

_دي بخيلة بخل السنين ياما، وقلبها ميت.

تحدث صابر باستعراب:

أم الديب الجزء الثاني

=وانتي ايه اللي مصبرك على كده يا ليالي ياختي؟

ردت ليالي بشجن:

_ جلال ظروفه منيلة...أعمل ايه بس؟

دخلت هبة، وأشرف، وأثناء دخولهما بابنتهما، وقف عم سلامة في الحال، وعانق زوج ابنته بحنان، قائلاً بترحيب:

=يا ألف مرحب يا أشرف يا بني.

رد أشرف، وهو يعانق حماه، بابتسامة دافئة تصف الفرحة الكبيرة في قلبه، وقال بهمس مليء بالمحبة:

_ازيك يا حمايا؟ واحشني!

تفوه عم سلامة بابتسامة واسعة:

=الحمدلله.

وعانق ابنته بحنان، وواصل بصوت مليء بالاشتياق:

=ازيك يا هبة؟

أجابت هبة ببشاشة:

_الحمدلله بابا.

تحدثت تباهي باستياء، وعبرت عن مشاعرها بشكل حاد:

=تعالى يا بتي أقعدي جنب أختك، وشاركها همها مع حماتها الفقرية !

جلست هبة بجانب ليالي، وأبدت تعجبها بتعابير وجهها، وقالت بصوت متسائل:

_ ايه اللي حصل يا ليالي؟

نهضت ليالي من مكانها، وتنهدت ببطء، قائلة بتأثر:

=احكيلها انتي ياما، وأنا هدخل أشوف الأكل.

دخلت ليالي المطبخ، وفي نفس الوقت، رويت والدتها ما حدث للبقية. بينما في منزل أم الديب استحضرت والدتها خواطر، ثم دخلت الشقة بصحبتها. عندما رأى المعلم حنفي، والدة زوجته، اعتقد أنها جان، وليست مجرد إنسانة بشرية، ومع وجود خواطر، كان المعلم حنفي ساخطاً، ومتجهم الوجه. بينما أم الديب، تغمرها السعادة وتنير حياتها، حيث قالت بصوت ينبع من الفرح، والاعتزاز:

_ أدخل ياما، منورة الدنيا كلها.

أم الديب، عكاز ووالدتها العجوز التي لا تستطيع صلب مقامها بدونه، وفي هذا السياق، خرجت خواطر بابتسامة رضا تعبر عن تقديرها، واحترامها العميقين، وقالت بصوت ينم عن الافتخار:

=الله يسترك، ويطعمك مايجرمك.

رد المعلم حنفي بكآبة:

_ ايه ده انتي هنا يا حاجة؟

أجابت أم الديب بترقب:

=أمي هتفطر معنا النهاردة.

نطق المعلم حنفي بضيق:

_وماله.

وأردف بصوت خافت لنفسه:

_ده يوم أغبر من أوله.

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت أم الديب بصخب:
=انت بتبرطم بإيه يا حنفي؟
رد المعلم حنفي باختناق:
_مبيرطمش... أنا رايح الدكان يا ولية وهبقى أرجع قبل المغرب بنص ساعة.
رفعت أم الديب حاجبها بتعبير من الدهشة، وقالت:
=مانت مش فالح غير في كده... هو انت تعبان في ايه؟
خرج المعلم حنفي من المنزل، وقال بخَرَع:
_طب السلامو عليكو.
جلست أم الديب، ووالدها العجوز على الأريكة، وبمجرد خروج المعلم حنفي من المنزل، دخلت نعمة الشقة، وهي تحمل أكياس الخضروات، ووراءها ابنها محمد. مدت نعمة يدها بحنان، وقالت بابتسامة تكشف عن الترحيب:
=ازيك يا ستي عاملة ايه؟
ردت خواطر بابتسامة:
_عال العال... ازي جوزك حمو يا بت؟
ضحكت نعمة، وبينما تبتسم قالت بمرح:
=بيسلم عليكى.
دخلت نعمة المطبخ لتحضير طعام الإفطار، بينما كان محمد يلهو مع نفسه على أرضية الصالة. وهنا بدأت الألاعيب والأفكار الشيطانية تنبعث من فم خواطر، وتغزو أذن أم الديب. فقالت بنبرة خناسة:
_جوزك شكله مبيحبكيش يا بسمة!
ردت أم الديب بشنائة:
=وهو يعني اللي يتحب؟
قالت خواطر، وهي تشرذ الكراهية من أعماق قلبها تجاه المعلم حنفي:
_ده راجل مخه تعبان يا بسمة !
ضحكت أم الديب، وبينما تبتسم، قالت بصوت ينبع من السخرية:
=منورة الدنيا ياما.
ونادت نعمة قائلة:
=هاتي لستك كوباية مائة يا بت !
صخب نعمة، وخرجت من المطبخ في الحال، قائلة باعتراض:
_يوه مايه ايه... هي مش صايمة؟
ردت خواطر بثقة:
=أنا مبصومش زي ابني ضايح... قالي متصوميش انتي بقيتي عضمة كبيرة... قولتله اللي تشوفه يا ضنايا يا حبيبي.
كانت هايدي تسمع كل ما يدور في الخارج، وهي على سريرها، وفورًا قالت بأشمئزاز:
_عيلة زبالة... بختي الأسود إن أنا اتولدت وسطهم!
تحدثت نعمة بعجيج:
=حرام يا ستي انتي مش عيلة صغيرة عشان عملي كده!

أم الديب الجزء الثاني

نهضت أم الديب من مكانها، وصاحت بصخب:

_ انتي مالك يا بت؟ ستك تعمل اللي هي عايزاه!

ردت نعمة بفرع:

=أنا غطانة.

التفتت نعمة نحو الناحية الأخرى، ونادت أختها بصوت مرتفع:

=يا هايدي تعالي ساعديني.

خرجت هايدي من غرفتها، وقالت باستجابة:

_ حاضر.

دخلت هايدي المطبخ، وساعدت أختها في التحضيرات، وبالقرب من أذن نعمة، قالت بصوت خافت:

_ تصدقي بالله أنا قرفت والله.

ردت نعمة بنبرة خافتة، كمن يهمس في الظلام الدامس، بلطف يشبه لحن الرياح الهادئة في ليلة هادئة،

وكأنما تمنح كل كلمة وقتها لتتأمل فيها قبل أن تتردد في الهواء:

=هو انتي لواحدك؟ مانا كمان قرفت، وطهقت... ليالي معزومة عند أهلها النهاردة، وسابتنني في الهم ده

لواحدني !

تفوهت هايدي بضيق وهي تتنهد، كموجة من الأنين الخافت تتزايد في دواخلها، وهي تحمل في صدرها

أعباء الزمن، وأحزان الأيام، تاركة كلماتها تتساقط كأوراق الخريف المتناثرة في الرياح الباردة:

_ ده يا بختها والله أهي ارتاحت منها يوم.

نادت أم الديب نعمة بصياح:

=كوباية الماية يا نعمة.

ردت نعمة بصوت عالٍ:

_ حاضر أهو.

هذا اليوم الأول من وجبة الإفطار لأسرة أحمد في منزلهم بمفردهم حيث كان أحمد مشغولاً في عمله،

وفي الوقت نفسه، قامت جميلة برعاية ابنتها أسيل، فغيرت ثيابها المتدنسة، ثم دخلت المطبخ لتجهيز

الطعام للمرة الأولى بمفردها، ولم يفوتها لحظة حتى حضرت سيليا لتقدم المساعدة لوالدتها، فأعلنت

بصوت مغمور بالحماس:

=مامي انتي هتعمليلنا أكل ايع النهارده؟

استخرجت جميلة العجان من الخزانة، وهي تتأمله بابتسامة رقيقة تعكس فرحتها باللحظة، وقالت

بصوتٍ ينبض بالتركيز:

_ هنعمل بيتزا بيبروني، وفرانز... ايه رأيك؟

وضعت سيليا يدها برفق على شعرها الناعم، وهي تفكر بانغماس، كأنها تتأمل في أفق الأفكار، حيث

تترنح بين خيوط الأمل، وأضواء القرارات المستقبلية:

=الله حلو أوي يا مامي... أنا عايزة أساعدك !

ردت جميلة بابتسامة:

_ روحي هاتي الفلور من التلاجة.

نطقت سيليا:

أم الديب الجزء الثاني

=حاضر.

استخرجت سيليا عبوة الطحين الباردة من المبرد، وبدأوا بتجهيز العجين في عجان البيتزا بإتقان، حيث امتزجت روائح الدقيق بالماء، والخميرة الفورية لتشكل سيمفونية الخليط المثالي. ثم قطعوا الخضار بمهارة فائقة، وفي هذه اللحظة، تجلّت بسمة دافئة تنبض بالسعادة، والرضا، وجميلة تقول بلطف ينبعث من قلبها:

_شابوه يا سيليا... أنا مبسوفة بيكي بجد.

قالت سيليا بتمني:

=امتي أسيل تكبر بقى عشان تساعدنا!

ضحكت جميلة، وفي عينيها بريق يعكس فرحة لا توصف، وقالت ببساطة متواضعة:

_لا لسه بدري أوي عليها.

ردت سيليا:

=أوكي... نانا بسمة هتيجي امتي؟

أجابت جميلة وهي تقطع الفلفل الأخضر، بينما تتأمل في الألوان الزاهية، والنكهات الطازجة التي تملأ المطبخ، وينعكس على وجهها النقاء:

_لسه محددناش بس هتيجي قريب أوي.

نطقت سيليا باشتياق:

=أوكي يا مامي ياريت في أقرب وقت !

ضحكت جميلة، وقالت بحذب:

_متقلقيش!

بعد أن انتهت جميلة من تقطيع الخضروات بدقة، تركت العجين يختمر ببطء في زاوية المطبخ الدافئ، ثم بدأوا في صنع البيتزا سوياً بتناغم. مضت الساعات وعاد المعلم حنفي إلى المنزل، متجهماً الحاجبين، ومعه يرافقه ترقب الأمل الميت في قلبه، يتمنى أن تتلاشى همومه وأن يتبدل الظل السائد بنور الأمل كسحابة تذوب في أفق السماء، وفي لحظات الانزعاج، كانت نعمة قد صنعت الفتة بالصلصة، والبط بأناملها الحانية. نطق المعلم حنفي بصوت ساخط، معبراً عن كراهيته:

=السلامو عليكم.

رد حامد بابتسامة دافئة أثناء جلوسه على الأريكة، وكأنما تتساقط أشعة غروب الشمس الدافئة على وجهه، مما يصف راحة البال، والسعادة الداخلية التي يشعر بها في هذه اللحظة المريحة:

_وعليكم السلام يا حمايا... تعالى!

جلس المعلم حنفي بجانب زوج ابنته، وقال بصوت خافت:

=هي الولية لسه لازقة؟

رد حامد بتعجب:

_ولية مين؟

قال المعلم حنفي بضيق، مظهر غضبه بعبارات صارمة، ونبرة صوت مشحونة بالاستياء، مما ألقى بظلال من الهم:

=لا متاخذش في بالك.

خرجت أم الديب من المطبخ، وفي لحظة من التأمل العميق، عبّرت قائلة:

أم الديب الجزء الثاني

_منورة الدنيا ياما.

ردت خواطر بوجه عابس، حيث تأتي عبارتها محملة بالشحناء:
=منور بيكي انتي لواحدك يا بسمة.

تلفظ المعلم حنفي بصياحٍ كامد، صدح صوته في الصالة كالرعد في السماء:
_هي لواحدها ليه؟ هو مينفعش ينور بيا آني كمان؟

أجابت خواطر بنبرة حادة، كأنما تمزقت كلماتها من بين شفتيها بقوة:
=آني مبحبش غير بسمة بتي !

وقف المعلم حنفي مكانه، وصاح فيها بصوت يتراقص على حدود الاهتياج :
_ياختي ربنا ياخذك، ويريحنا منك!

اقتربت أم الديب منه، وهي تشرذ نار الغل من عينيها، كأنها تتصاعد من جسمها المشدود. يبدو أن المشكلة ستكبر بينهم، وتتفاقم بمرور كل كلمة تتبادلانها، وسينتهي مطاف المعلم حنفي في مائدة الإفطار.
يتبع....

الفصل الرابع عشر

انكمش المعلم حنفي كالسهم المتجه للوراء، وانزاح هارباً إلى محرابه. بينما في منزل أحمد، حيث عاد بعد غياب، فوجد زوجته جميلة تحضر الطعام بمهارة فائقة، جنباً إلى جنب مع ابنتهما الصغيرة سيليا التي كانت تلهو في الصالة. فاستغرب وأصابته دهشة عميقة من ذلك المشهد الذي رسمته اللحظة أمامه. قبل أن يتقدم نحو المطبخ ليسلم على زوجته بعد الإياب، انقضت سيليا نحوه بشوق، فرحة لعودة والدها بعد وقت طويل في العمل، فقالت بضجة:

_بابي اقل عينيك، انت كده هتنبوظ المفاجأة!
صك أحمد جفنيه، وضحك قائلاً:
=حاضر...مفاجأة ايه دي يا سيليا؟

تحدثت جميلة بنبرة ضاحكة:
_سيليا عاملالك مفاجأة..مش هتصدق عامله ايه!
كانت سيليا تجذب والدها نحو المائدة المليئة بالبيتزا الشهية، والبطاطا المقرمشة، حتى جلسوا معاً لتناول الطعام. ثم قالت بابتسامة تعبق بالبراءة:
=فتح.

فتح أحمد جفنيه، وتفاجأ بالمفاجأة التي صنعتها له زوجته وابنته. ثم قال بدهشة ملموسة في صوته:
_ايه ده مش معقول يا سيليا.
وقبل رأس ابنته بحنان، وأردف بصوت مليء بالمحبة:
_تسلم ايديكي...انتي اللي عملتيها لواحدك؟
ضحكت سيليا، وقالت بخفة:
=أه...بس هقولك حاجة سر.
اقتربت سيليا من أذن والدها، وهمست برفق، قائلة:
=مامي ساعدتني.

عانق أحمد ابنته، ورد بابتهاج:
_تسلم ايديكي يا حبيبتني.
ضحكت جميلة، وقالت بفخر:
=سيليا طلعت شاطرة أوي.
ردت سيليا بسعادة:
_انتي أشطر مني يا مامي!

وقف أحمد مكانه، وعانق زوجته، وقبل رأسها مثلما فعل مع ابنته. ضحكت جميلة، وبادلته نفس العناق، ثم توجه إلى الغرفة ليغير ملابسه، ويستعد لتناول الطعام. في هذه الأثناء في قرية أبو حلاوة، وقف المؤذن على المنبر وأطلق تكبيراته، وبدأ صوته يصل إلى جميع أهل القرية الذين بدأوا في تناول الإفطار، بما في ذلك عائلة أم الديب التي كانت تجتمع على الأرض في الصالة حول الطاولة. مالت خواطر رأسها نحو طبق المعلم حنفي الممتلئ بأشهى أنواع الطعام، والذي كانت تتصاعد منه روائح تجذب الأنفاس، وصوبت نظرها نحو ذلك الطبق البراق بنظرة طويلة ومليئة بالتأمل، وفي تلك الأثناء،

أم الديب الجزء الثاني

لاحظ المعلم حنفي بحدسه المرهف تركيز خواطر المتواصل عليه دون غيره من الجالسين حول المائدة الكبيرة، فانفعل بشكل مفاجئ وقال بغضب:

=في حاجة، ولا ايه يا حاجة؟

ردت خواطر بنبرة متحيرة:

_ انتوا مدينله طبق كبير ليه يا نعمة؟

نطقت نعمة بدهشة:

=في ايه يا ستي؟ ما كله واخذ زي بعضه!

تفوهت خواطر بشح:

_ فضيله الطبق... كفاية عليه معلقتين.

قالت أم الديب بلا مبالاة، وهي تلتهم لحم البط بشهية واضحة:

=سيبك منه ياما... كملّي أكلك!

خرج المعلم حنفي عن صمته المفاجئ، وصرخ بصوت يملؤه الانفعال:

_ ماتحترمي سنك يا ولية!. مش كفاية قاعدة في بيتي وكمان باصالي في لقمتي؟ ده أنا راجل تعبان،

وشقيان، وطول النهار قاعد في الدكان أجيب لبتك الطفح اللي بتطفحه، وياريتة عاجب!

ردت أم الديب بضجيج، وهي تمضغ لحم البط بنهم:

=احترم نفسك يا راجل يا قليل الرباية بدل ما أفلع اللي في رجلي، وأنزل بيه على نفوخك!

برزت عروق عنق المعلم حنفي بشكل أبلج، وتلون وجهه بلون الدماء الحمراء، مما أضفى على ملامحه

تعبيرًا مخيفًا، ثم قال بنبرة عالية تحمل في طياتها توبيخًا واضحًا:

_ تنزلي بيه على دماغ مين؟ هي حصلت يا ولية تضربي جوزك بالشبشب؟

ضحك حامد ضحكة مَنيّة، وأطلق سراح ضحكاته البلهاء التي تردد صداها في المكان، قائلاً بسخرية

واضحة:

=لا إله إلا الله... اهدى يا حمايا... اهدى يا حماتي!

ردت نعمة بانفعال:

_ ياما ميصحش اللي بتقوليه ده!. انتي شايبة أبويا شاب؟ ده راجل كبير... ده جد، وعنده أحفاد!

قال المعلم حنفي بصياح، وقد اشتد توتر أعصابه:

=يعني لو مكنتش جد كان عادي؟

صاحت أم الديب قائلة بضغينة:

_ ابهي لم نفسك متسوقش فيها!

انهمرت دموع التماسيح من عيون خواطر بغزارة، ووقفت في الحال وسط الجموع، وهي تتحب بصوت

متهدج، بعدما كسر المعلم حنفي قلبها الثعباني، الذي كان يخفي في أعماقه لدغات مميتة خلف مظهره

الوديع. وبعينين تلمعان بالدموع، وبصوت يرتجف من الحزن، قالت:

=منكوا الله يا كفره... انتوا ناس معندكوش دم كسرتوا بنفس ست عجوزة منكوا الله.

اتجهت العجوز إلى باب الشقة، وفي تلك اللحظة نادتها أم الديب باعتناء، قائلة:

_ استني ياما، والله مانتي ماشية من هنا!

تحدث المعلم حنفي بصياح عالٍ، مما أثار التوتر في الجو حوله:

أم الديب الجزء الثاني

=طلاق ثلاثة لا أمك تمشي من هنا، وماهي طافحة معنا!
وقفت نعمة، وصرخت قائلة:

_يا لهوي ياما... ما تقولي حاجة يا هايدي!
نطقت هايدي بلا مبالاة على الأمر الموجه لها، وهي تجلس على طاولة مزدحمة بأطباق الطعام المتنوعة:

=هقول ايه؟ ده خلاص بقى العادي عندنا.
خرجت نعمة خلف جدتها بخطواتٍ واسعة، وهي تناديها بصوتٍ واضح يحمل بين الكلمات بريق من الاحترام:
_استني يا ستي متمشيش زعلانة!

تحدث المعلم حنفي بصخب قوي، وصوته يرتفع مع كل كلمة كان يعبر عنها، محاولاً جذب انتباه أخصامه:

=سببها تمشي... كنا خدنا منها ايه؟
وقفت أم الديب في مكانها، وهي تحمل طبق الطعام الخاص بها، وخرجت خلف والدتها، وهي تناديها بنبرة ملأنة بالاهتمام. على الرغم من نشوب المشاكل، إلا أن أم الديب ما زالت متمسكة بطعامها بثبات. حين وجدت نعمة أنه لا جدوى من نداء الجدة، جلست على الطاولة مجددًا، وخرجت عبارة ساخطة منها:

_وأنا اللي قولت ليالي مشيت، ومش هتحصل مشاكل.
ضحكت هايدي، وقالت بسخرية:
=ليه هي المشكلة في ليالي؟ المشكلة في ماما نفسها!

خرج المعلم حنفي من المنزل، وكانت ملامح وجهه تعكس عدم استقراره النفسي، ثم ذهب إلى متجره لمواصلة عمله، بينما استمرت هايدي، ونعمة، وحامد في تناول طعامهم برغم الجوع الذي يخيم على الجو. أما جلال، فقد غادر منزل عم سلامة بعد الإفطار، وفي طريقه وهو يقود التوكتوك الخاص به بالقرب من المنزل، فاجأته الصدمة حين شاهد خاله بمظهر غير عادي، يمسك المسدس ويتجه نحو منزل أم الديب بنية ثأرية. وقف جلال على الفور، ونزل من التوكتوك بخطواتٍ سريعة، وجرى باتجاه خاله بأسرع ما يمكن، حيث أمسك به بقوة وحاول إيقافه عن فعلته المتهورة. بينما كانت عباراته تنطلق بصدمة حيث حاول أن يقنع خاله بخطورة ما ينوي القيام به، معبراً استنكاره لما يحدث:
_ايه يا خالي مالك في ايه؟

رد ضايح بضجيج:
=مش أمي اللي يتعمل فيها كده، وهي ست كبيرة، وفي آخر أيامها... بقى أنا أمي تيجي، وتمشي مكسورة خاطر؟

نطق جلال بتعجب:
_أنا مش فاهم حاجة... انت بتتكلم عن ايه؟

أراح ضايح يد جلال من أمامه بقسوة، وصعد بسرعة على درج المنزل حتى دخل وهو يحمل المسدس في يده. خلفه، كان جلال يتبعه بقلق. صرخت نعمة بصوتٍ مرتفع حين رأت خالها في هذا الشكل المروع، وقالت بذعر:

أم الديب الجزء الثاني

=استهدى بالله يا خالي ضايح... أقعد بس اشربلك أي حاجة تروق دمك، واحنا هنفهمك اللي حصل!

قال ضايح بعجيج:

_ أنا مش جاي أتضايح عندكم يا بت أختي... أبوكوا حنفي فين؟

أجابت نعمة برهبة:

=أبويا مشى منعرفش راح فين.

رد جلال بصياح: ِ

_ انت عاوز ايه من أبويا يا خالي؟

تلفظ ضايح بصياح عاتب محاط بالتهديد:

=وسع ياض أنا دلوقتي مش شايف قدامي ، فابعد من وشي يا جلال لحد ما نشوف أبوك راح فين عشان

أنا النهاردة مش ساكت على حق أمي!

نطق جلال بجلبة:

_ جرا ايه يا خالي ماتتكم عدل... هو انت شايفني من العيال التوتو؟ ده أنا جلال ابن أختك يعني تلميذك

يا جدع!

تحدثت نعمة بتلجلج:

=أقعد بس يا خالي أحب على رجلك، وأنا هفهمك كل حاجة.

صوب ضايح المسدس نحو رأس نعمة، وصدح صوته بصياحٍ يحمل في طياته رعب متزايد:

_ مش قاعد يا نعمة... انطقي أبوكوا فين؟

ردت نعمة برهبة:

=الله يسترك يا خالي أقعد بس... ده هما كلمتين، ورد غطاهم مش هناخد من وقتك كثير.

وأردفت بصوتٍ مرتعش، وهي تناشد زوجها المرتجف:

=أدخل يا حمو ولع على الشاي.

رد حامد، وهو يرتجف بقوة:

_ أحلى كوباية شاي لخال مراتي.

دخل حامد المطبخ ليظهر براعته في صنع الشاي، الممتزج بقطرات الذعر التي تراوحت بين الأواني.

كان كلما وضع مكوّنًا، نظر إلى ضايح برهبة، وهو يجلس بجانب جلال، ونعمة على الأريكة. قالت

نعمة بصوت ينبض بالحذر:

=يا خالي انت فاهم غلط، وجاي على الحامي، وانت مش فاهم الحقيقة!

رد ضايح بنبرة حادة:

_ فهميني يا بت أختي لما نشوف أخرتها معاكم ايه!

في منزل عم سلامة، كانت العائلة تجلس سوياً في الصالة الدافئة، وتباهي تحضر الشاي ببراعة،

ممزوجة بالطمأنينة. قالت ليالي بصوتٍ ينطلق بسلاسة:

=كل سنة، وانتي طيبة ياما... تنعاد عليكي الأيام بالخير.

ردت تباهي بحبور، وهي تضع السكر في الشاي:

_ وانتي طيبة، وبخير يا ليالي يا بتي.

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت هبة بصوت خافت:

=قلبي عندك يا ليالي...ده انتي مستحلمة كثير.

تهتدت ليالي باستياء عميق من فقدان حيلتها، ونظرت إلى أصابعها التي كانت تلعب بها بتأن، وقالت بصوتٍ نَعَس:

_ أه وحياتك يا هبة ياختي، قايدالها صوابعي العشرة شمع، وبرضة مش عاجب.
ردت هبة باستشاشة:

=ده من أول يوم جواز، وهي دابحالك القطة.

تفوهت ليالي باستياء:

_ أعمل ايه بس يا هبة؟ أنا أول ما اتجوزت كنت زي القطة المغمضة مش فاهماها...بس لما عاشرتها عرفت معدنها الواطي، حماتي دي زي القطط تاكل وتتكسر، مفيش حاجة بتطمر فيها.
ردت هبة بذكاء:

=مادام عملتي زي معملتيش يبقى متعمليش خالص، والأيام الجاية اقلبي عليها الترابيزة، ورديلها كل اللي عملته...عرفيها غلطها...خليها تخاف منك، وتعملك حساب يا خايبة!
قالت ليالي بأزمة:

_ عندك حق يا هبة أنا خلاص مش هسكتلها، وهلبسلها الوش الخشب خليها تخاف مني شوية بدل ماهي مطلعته عيني، ومش راحماني!
ردت هبة بابتساماة طالحة:

=يبقى اعلمي اللي هقولك عليه!

بعدما شرحت نعمة لخالها ما حدث أمام عينيها، قال ضايح بصوتٍ ملتهب بالانفعال:
_ أنا أمي مبتكدبش...دي ست طاهرة.

رد جلال بنبرة جلفة:

=يا خالي تلاقيها ناسية، ولا حلمت حلم، وفكرته حقيقة مانت عارف دماغ الناس العواجيز.
وقف ضايح، وأطلق نبرة من التأمل:

_ ممكن برضة...على العموم أنا همشي ورايا مصلحة مهمة بس ايه هتخليني مليونير.
نهض جلال، وعبر عن تعجبه بصوتٍ مليء بالفضول:

=مصلحة ايه يا خالي؟ ماتشاركني فيها مانا عاوز أبقى مليونير برضة...ده أنا مراتي ليالي كل يوم تزن عليا عاوزة شقة جديدة، وانت عارف الحال عامل ازاي!
ابتسم ضايح ابتساماة مربكة، وتلفظ:

_ خلاص تعالي يا جلجل مش خسارة فيك.

عائق جلال خاله بحنان عميق، وعبر بصوت خامل بالسعادة:
=تسلملي يا خالي.

اتجه الاثنان سوياً نحو الباب بخطى ثابتة، وفي تلك اللحظة، وقفت نعمة مشدوهة:
_ طب والشاي يا خالي؟

رد ضايح بنبرة وضيعة:

=مرة تانية...يلا سلامو عليكو.

تفوهت نعمة بقلق:

أم الديب الجزء الثاني

_وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته.
خرج ضايح، وجلال من المنزل برمته، وبهذا انتهى الضجيج الذي أثر على وجدان نعمة، حيث استقبلت نفسها عميقاً لتهدأ. خرجت هايدي من غرفتها بعد أن استمعت إلى كل ما دار بينهم، وعبرت نعمة بابتسامة من الارتياح:
=أوف ده أنا جتتي اتلبشت من دخلته.
قالت هايدي بتعجب:
_هو كان عايز ايه من بابا؟
ردت نعمة، وهي تضع يدها بلطف على قلبها المتناغم مع نبضات الذعر، حيث ارتسمت على محياها ابتسامة تعبق بالسلام:
=خالك كان جاي وناوي على خناقة، وأنا مقولكيش على خناقات خالك ضايح بتكون عامله ازاي.

نفوحت هايدي:
_انتى هتقوليلي؟ مانا عارفة.
في منزل خواطر، كانت أم الديب تواسي والدتها بكلمات تنبع من القلب المتألم، حيث أخذت تروي لها ببساطة كيف أنها ستظل بجانبها، كالجبل الصامد في وجه العواصف:
=خلاص بقى ياما... أنى لما أرجع البيت هطين عيشته.
ردت خواطر باستياء:
_زمان ضايح قلب أمه راح يجييلي حقي.
قالت أم الديب بصدمة، وقد انعكست تعابير وجهها بتساؤل، كما لو أنها لم تتوقع هذا الرد:
=ابيهي هو انتى قولتيله؟
ردت خواطر بشؤم:
_أمال ايه ده مش هيسيب جوزك إلا، وهو جثة!
قالت أم الديب بلا اكتراث:
=ياختي كبروا دماغكم منه ده راجل عبيط، ولاسع.
ردت خواطر بتعجب، وهي تبدي استغرابها بتعابير وجهها التي تعكس مدى دهشتها:
_انتى مستحمله على ايه يا بسمة؟
أجابت أم الديب:
=ومين قالك يا حاجة إن أنى مستحمله؟ هو ده حد يطيقه؟
ثم نهضت مكانها، وواصلت:
=هبعنالك نابتك مع حمو.
ردت خواطر، وهي تشتتهي الطعام بشوق واضح، حيث بدت عيناها تلمعان بالرغبة، مظهرة رغبته الجارفة في تذوق طعم الأطباق اللذيذة:
_مستنية يا بسمة متأخريش عليا!
عادت أم الديب منزلها فكانت نعمة تغسل الأواني في المطبخ، حيث قالت أم الديب بفضول:
=أبوكي راح فين يا بت؟

ردت نعمة بضيق:

أم الديب الجزء الثاني

_مشى ياما...والنبي ولا داق لقمة من اللي على الطبلية.

قالت أم الديب بحدة:

=انشالله عنه ماطفح...املي طبق لستك، وابعته مع حمو.

ردت نعمة بخوف:

_حاضر ياما.

تلاقى انتهاء حديث أم الديب مع نعمة، وهي تغسل الأواني في المطبخ بمكالمة هاتفية صادرة من أحمد. دخلت أم الديب غرفتها بخطوات متأنية، حيث استجابت لأنغمت الهاتف بابتسامة خفية تعكس الفضول، ورفعت السماعة، وقالت:

=ألو.

رد أحمد بابتسامة تنطلق من عمق قلبه، تعكس سروره بالحديث مع أم الديب:

_ازيك يا ماما عاملة ايه؟

تلفظت أم الديب بسعادة، وهي تعبق بابتسامة تملأ وجهها بالبهجة:

=نحمد ونشكر ربنا...البتين عاملين ايه؟

رد أحمد ببشاشة:

_كويسين...بقولك انتوا فاضيين بكرة؟

أجابت أم الديب:

=أمال ايه يا ولا؟ ولو مش فاضيين نفصى.

رد أحمد بابتسامة:

_خلاصانتوا ان شاء الله معزومين عندنا بكرة.

قالت أم الديب بسعادة مشرقة تعبق بالرضا، وكأنها تنعكس على وجهها أشعة الشمس في صباح مشرق:

=يا حلاوة يا ولاد...طب رن على أخواتك عرفهم.

نطق أحمد:

_ماشى...مستتيكم بكرة متأخروش !

قالت أم الديب:

=وماله ياخويا مع ألف سلامة.

رد أحمد:

_سلام.

دخلت أم الديب المطبخ الضئيل، الممتلئ برائحة الصابون الذي يبرز حب نعمة الكبير للنظافة، وقالت:

=أحمد أخوكي عازمنا كلنا بكرة عنده.

ردت نعمة:

_طب مقولتوش من بدري ليه ياما؟

تلفظت أم الديب:

=ده لسه مكلمني دلوقتي يا بت.

قالت نعمة بانشغال:

_طيب أنا هخلص المواعين، وهطلع أغسل الهدوم.

تفوهت أم الديب بتوصية:

=ماشى ياخوتي متنسيش الأكل بتاع سنك...أنى داخله أنام!

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة ببشاشة:

_ ماشي ياما تصبحي على خير.

دخلت أم الديب غرفتها بعد يوم حافل، وانغمست في أعماق النوم العميق. في الوقت نفسه، كان جلال، وضايح يجلسان في إحدى الملاهي الليلية، حيث كانت الأغاني تملأ والأضواء تلمع، والراقصات تملأ الأجواء بإثارتهم، ولكي يتمكن جلال من الاستماع بوضوح للمكالمة الهاتفية التي تلقاها، خرج من الملهى إلى الهواء الطلق، حيث استمع بانتباه إلى كل كلمة وصوت في الهاتف، موفرًا لنفسه الهدوء اللازم للتركيز:

=ألو...ازيك يااض؟

رد أحمد بابتسامة:

_ الحمدلله...ليالي، والعيال عاملين ايه؟

أجاب جلال بابتسامة واسعة توضح سعادته الغامرة:

=فل الفل.

تحدث أحمد بتساؤل:

_ انت فاضي بكرا، ولا عندك حاجة؟

وقف جلال أمام إحدى السيارات المستقرة، مشدوفاً بابتسامة متفائلة تصف طابعه الحيوي:

=والله على حسب ايه الكلام... بس احنا مورناش حاجة غير الشغل.

انتزه أحمد الفرصة ليبلغ جلال خبر دعوتهم لزيارة منزلهم غدًا، فابتسم بفرح، وقال:

_ أنا مستنيكم كلكم بكرا...عازمكم عندي على الفطار.

رد جلال:

=اشطا هتلاقينا عندك بكرا من النجمة.

حضر الخال ضايح عقب ظهره، وعبر عن تعجبه قائلاً:

_ انت روحت فين يا جلال؟

أردف جلال في الهاتف:

=طيب أشوفك بكرا...سلام.

ووضع هاتفه في جيب بنطاله بابتسامة خفيفة على شفثيه، ثم قال بصوت واثق:

=ايه يا خالي؟

رد ضايح بنظرة حادة، كأنه يعبر عن استياءه:

_ بقى بتخلع مني يا جلال يابن أختي؟

أجاب جلال بتعجب، وعبر عن ذلك بتعبير ملامحه المندهشة:

=وأنا خلعت منك فين؟ أنا كنت بتكلم في التلفون.

قال ضايح بتشوش:

_ طب قدامي ده المصلحة هتضيع.

رد جلال:

=يلا بينا.

أم الديب الجزء الثاني

دخل جلال، وضايح إلى الملهى مجددًا، حيث استمتعا بأجواء الحياة الليلية والموسيقى الصاخبة. وبعدما دقت الساعة العاشرة، عادت ليالي بأبنائها إلى المنزل، مغمورة بشعور الراحة بعد يوم طويل. وفي صدفه غير متوقعة، تقابلت مع نعمة على الدرج، فعانقتها بحنان ينبع من القلب، وقالت بصوتٍ مفعم بالحب:

_حظك إن أنا لسه مخلصه، وطالعه... ليكي واحشة ياختي.

عانقتها ليالي بسعادة غامرة، وأبدت فرحتها قائلة:

=وربنا وانتى كمان يا نعمة... عملتى ايه من غيرى النهارده؟
تفوهت نعمة بهزل:

_مقولكيش على اللي حصل ده انتى فاتك نص عمرك.

ضحكت ليالي بابتسامه تغمر المكان بالدفء، وقالت بتطفل:

=اطلعي اطلعي... أنا مش نايمه غير لما تحكيلى كل حاجة!

صعدت نعمة، وليالي إلى الشقة بخطوات هادئة، حيث كانت الأضواء الدافئة تضيء جواً من السكينة في كل زاوية. دخلوا الشقة وجلسوا على الأريكة، متأملين المنظر الجميل للريف من خلال نوافذ الصالة، في حين اندمج الأطفال في غرفة النوم، يتفاعلون مع بعضهم البعض بنشاط. فتحت نعمة فمها بابتسامه، وقالت بصوتٍ ينبع من القلب:

_ستي الله يسامحها اتخانقت مع أبويا خناقة لرب السما وقت الفطار.

ردت ليالي بذهول، وعبرت عن ذلك بتعبيرات وجهها المتلألئة بالدهشة السارة:

=هي ستكم كانت بتفطر معاكم النهارده؟

أجابت نعمة:

_أيوه أمال ايه؟ ما أمى جابتها، وشدوا مع بعض، راحت ستي ماشية، وحلفت ماهي واكله، وأبويا مشى مرضاش ياكل، وخدي الكبيرة بقى يا ليالي.

ضحكت ليالي، وقالت بنبرة شامته:

=ايه يا نعمة؟ ضحكيني!

ردت نعمة وهي تضحك من الغموض الذي يحيط بهم، مستدلة على المثل الشائع الذي يصف التناقضات في الحياة (هم يُضحك، وهم يُيكي:).

_خالي ضايح جه بالسلاح، وكان جاي متعبى على آخره، وحالف لأبويا، وناويله نية سوده بس جلال

جه لحقه، وقعدناه بالعافية، وحكينا له لحد ماصدق وشوية، وخذ جلال في ايده ومشى.

قهقهت ليالي بقوة، وقالت بسخرية:

=سبحان الله ماهي حماتي طالعه لستكم، وأنا أقول طالعه كده لمين؟ ده أقلب القدرة على فمها تطلع بسمة لأمها.

ضحكت نعمة، وهي تعبر عن استغرابها بالموقف، وقالت بصوتٍ يركض من بين شفثيها بكل حماس:

_أه والله يا ليالي ده الاتنين دول ربنا يهديهم... المهم احنا معزومين بكرنا كلنا ببربطه المعلم عند أحمد

أخويا.

تلفظت ليالي بتعجب:

=وجلجل مقاليش ليه؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة:

_ أنا معرفش هو كلمه ولا لا... بس أهو كلم أمي وعرفنا.

نهضت ليالي مكانها، ودخلت الغرفة، وقالت لأبنائها:

=قوموا يا عيال عشان هتستحموا يلا!

أجاب حمود بعناد:

_ مش مستحمي!

نشبت ليالي في ذراع ابنها، وبينما كان يتوجه للابتعاد، أمسكت به بقوة عارمة، وخرجت كلماتها بحدة:

=قوم أنا قولت كلمة، ومش هعيدها... أمال تخلي مرات عمكم تشوف نفسها علينا، وتبصلنا بقرف؟ يلا منك له.

وأمسكت بأبنائها الاثنين، ودخلت بهم في المرحاض بالإجبار، حيث حاولوا الهروب والصراخ ولكنها ظلت تصر على إنهاء مهمتها بأي ثمن. وفي تمام الساعة الثانية عشر من منتصف الليل، عاد المعلم حنفي للمنزل، وهو ساخط من أم الديب، ودخل غرفة ابنته هايدي أثناء نومها، وقال بنبرة خافتة، كأنه يحاول التعامل مع الوضع برفق:

_ وسعي يا هايدي.

استيقظت هايدي من نومها، وعلى وجهها بادرة القلق التي لاحظها المعلم حنفي فور دخوله إلى الغرفة، ورفعت عينيها بحيرة نحوه، وقالت بصوت مرتجف:

=ايه ده بابا؟

رد المعلم حنفي بنعاس:

_ وسعي... أني مش طابق خلفة الولية البومة دي!

شعرت هايدي بالإحراج أمام والدها، فالنتفت نحو الجدار، وفتحت فمها لتقول بتردد، وهي تبحث عن الكلمات المناسبة في اللحظة:

=طب يا بابا أنا هانام برا على الكنبة.

تلفظ المعلم حنفي باستغراب:

_ جرا ايه يا هايدي هو أني هاكلك؟ ده أني أبوكي، ولا انتي كبرتي على أبوكي، وبتتكسفي منه؟

ردت هايدي بإحراج:

=لا يا بابا تعالى نام في حته أهو.

أساعت هايدي مكاناً في السرير لوالدها حيث استلقى بجانبها، وكان العالم بأسره قد نام، وصوت شخير أم الديب يتردد في كل ركن من أركان المنزل. وفي اليوم التالي في تمام الساعة الحادية عشر قبل الظهر، استفاقت جميلة من سباتها، لتجد أحمد متربعاً أمام شاشة التلفاز، وهو يحمل أسيل بين يديه، حيث كان قد أخذ إجازة في ذلك اليوم المشرق. فابتسمت جميلة وقالت بلطف:

_ صباح الخير.

رد أحمد بابتسامة:

=صباح النور.

جلست جميلة جانب زوجها، ونظرت إليه بتعجب، حيث بدت علامات الدهشة واضحة على وجهها، وقالت:

_ معقول أسيل لسه نايمة؟

أم الديب الجزء الثاني

رد أحمد:

= لا صحيت، وأكلتها، ونامت ثاني.

نظرت جميلة حولها، وعبرت عن شعورها بالتساؤل، حيث بدت عيناها تتجولان في كل زاوية من الصالة، وتساءلت بصوت هادئ:

_ طب وسيليا فين صحيح؟

أجاب أحمد بسكينة:

= سيليا بترتب الألعاب في أوضتها... أصلها فرحانة أوي .

ضحكت جميلة، وقالت:

_ كل يوم لازم تسألني على طنط بسمة، وأونكل حنفي .

خرجت سيليا من غرفتها، محملةً الدمية في يدها، وبدا عليها الإرهاق الواضح. وهي تلتفت حولها بحذر، وقالت بصوت متعب:

= تعبت أوي يا مامي... انا برتب الألعاب من بدري!

وقفت جميلة، وقالت بتبرم:

_ خلاص يا سيليا كفاية كده... يلا علشان تاخدي شاور.

دخلت جميلة بابنتها سيليا إلى المرحاض استعدادًا للتحمم، وعلى وجه الصغيرة التي تحمل دميتها الحبيبة، بدت علامات الإرهاق تتسلل إلى ملامحها البريئة. في الوقت نفسه، في شقة جلال، كان يجلس على الأريكة، وكانت أمواله تمتد أمامه كموجات البحر في الساحة المرصوفة بالرخام. وفيما هو ينظر إليها بتأمل عميق، تساءلت ليالي بغرابة:

= ايه الفلوس دي يا جلال جيبتها منين؟

أجاب جلال بتبذخ:

_ دخلت مع خالي ضايح في مصلحة بس إنما ايه حاجة جامدة آخر جمدان يا ليالي.

سلم جلال الأموال لزوجته في يدها، وقال بفخر، وكأنه يعلن عن إنجاز عظيم في حياتهما المشتركة:

_ بصي الفلوس قد ايه !

لكن ليالي كانت تقلق من مصدر تلك الأموال، فأبدت بتعبير يعكس حيرتها، وقلقها، قائلة بصوت مغمور التأملات:

= أوعى ياخويا تكون عملت حاجة غلط!

رد جلال:

_ لا وأنا أقدر؟ متخافيش يا ليالي كله في السليم.

استخرج جلال ثلثمائة جنيه من وسط بقية المال، وواصل بحزم:

_ يلا البسي انتي، والعيال.

وقفت ليالي مكانها، ونظرت إلى جلال بنظرات شك، ثم دخلت غرفة أبنائها، وقالت بصوت ينطوي على مزيج من الاستعجال:

= يلا يا عيال اصحوا !

دخل جلال المرحاض بينما كانت ليالي تحاول إيقاظ حمود، وتقى، حيث كانت تخرج حمود تارة بيدها، وترجع تقى تارة أخرى، وواصلت منادية، محاولةً جلب انتباههما:

= اصحوا يلا... اصحى يا حمود... اصحى يا تقى... اصحوا !

أم الديب الجزء الثاني

في الطابق الأدنى، كان المعلم حنفي جالسًا على كرسي في مدخل المنزل، وكانت أم الديب في المرحاض، بينما كانت هايدي تقوم بارتداء ملابسها وتضع ماكياجها. بعد ساعة ونصف تقريبًا، وفي تمام الساعة الثانية عشر ونصف، كانوا قد انتهوا جميعًا من التجهيزات. ثم ركبوا السيارة، وفي هذه اللحظة، قال جلال بينما يدير مفتاح السيارة:

_توكلنا على الله.

تحدث المعلم حنفي، وكان حديثه ينطلق بتساؤل:

=هتجيب ايه لأخوك، واحنا داخلين؟

رد جلال بابتسامة:

_كنافة، وبسبوسة بابا...بقى ده سؤال ده احنا في رمضان حتى.

نطق المعلم حنفي:

=اختار حلواني حلو...انت عارف مرات أخوك مش أي حاجة بتعجبها.

غاصت ليالي في الحوار، وحاولت إبراز ناراها من خلال تلك الردود القاسية، فقالت بصوتٍ ينطلق بقوة:

_هو ده اللي عندنا يا حمايا إن كان عاجب، وكل واحد بيحبيب على قده...مش أحسن ماندخل إيدينا فاضية؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=ايهي وانتي مالك يابت؟ احنا بنجيب اللي يناسب مقامها، وهي اسم الله عليها مقامها عالي مش زي ناس .

قالت ليالي بسخط:

_انتي أدري بنفسك يا حماتي...ماهو كل واحد عارف مقامه كويس أوي!

ردت نعمة:

=معلش احنا بندخل بمقامنا برضة.

بعد مرور ثلاث ساعات من الانتظار المحموم، وصلت العائلة أخيرًا إلى المنزل الذي يقطن فيه أحمد، هو وأسرته الصغيرة المحبة. بدأت العائلة بتبادل العناقات والمصافحات، وسط أجواء من الفرح بعد فترة الغياب الطويلة. وفي لحظة من الود، أطلق أحمد ابتسامته البراقة، معبرًا عن مشاعر التقدير للحظة الجميلة التي جمعتهم مجددًا:

_يا أهلاً، وسهلاً منورين الدنيا كلها والله.

عانقت جميلة نعمة، وقالت بإعزاز:

=هاي يا نعمة أخبارك ايه؟

ردت نعمة بسرور:

_الحمدلله.

عانقت جميلة ليالي بكل دفاء، وقالت بقلب مفتوح:

=هاي يا ليالي ازيك؟

بينما ردت ليالي بنبرة سوداء حاقدة، قائلة بلسان حاد وعينين تشعان بالغيرة:
_كويسة.

أم الديب الجزء الثاني

عانقت أم الديب زوجة ابنها بحنان مليء بالمشاعر الصادقة، وقالت بسعادة غامرة، تعبر عن فرحتها الكبيرة بلقاءها، وتجدد روابط العائلة:

=اسم الله عليها مرات ابني الغالية زي البدر المنور.

رجت زغاريد أم الديب جدران منزل أحمد، فقالت هايدي لنفسها بدهشة ممزوجة بالإعجاب:

_هي بتزگرد ليه؟

عانق أحمد هايدي بكل اشتياق، وقال بحنين في كلماته:

=وحشاني يا هايدي.

ردت هايدي بسعادة:

_وانت أكثر.

تبادل الجميع المصافحات بود وترحاب، ثم جلسوا معاً ليسترخوا ويتبادلوا الأحاديث. وفي تلك اللحظة

الهائلة، دخلت سيليا وأخذت أولاد عمها، وعمتها لترهيم غرفتها، وهناك كانت جميلة تحمل ابنتها

الصغيرة أسيل، بينما كان المعلم حنفي يلوح عينيه بدهشة نحو التفاصيل الفنية الرائعة في منزل أحمد،

متأملاً جمال الديكور، والترتيب بشغف ممزوج بالإعجاب، فقال:

=المكان فخم أوي... ماتجيب شقة هنا يا جلال.

رد جلال:

_لا يايا أنا مقدرش على تمناها... لما ربنا يكرم بقى.

قال المعلم حنفي ببراءة:

=ربنا يدريك انت، وكل أخواتك.

نهضت جميلة، وهي تبسّم بود، وقالت للجميع بلباقة:

_طيب عن إينكم.

دخلت جميلة إلى المطبخ، حاملةً ابنتها الصغيرة أسيل، بينما شعرت هايدي بالخجل في تلك اللحظة إذا

ما استمرت في الجلوس في مكانها، فقررت أن تعرض المساعدة على زوجة أخيها. وقفت هايدي

بتصميم، وكانت كلماتها تتسلل برقة:

=أنا داخلة جوا.

دخلت المطبخ هي الأخرى، وفي هذه الأثناء، قالت نعمة لليالي بصوت خافت، ينم عن الإحراج:

_قومي يا ليالي نساعدها بدل ماحنا قاعدين كده!

ردت ليالي بغیظ:

=هو احنا منعرفش نرتاح يوم؟ لازم نعمل أي حاجة، وخلص؟

أجابت نعمة بعدالة:

_ماهي لما جات عندنا قامت، وساعدت... قومي بس!

دخل الاثنان إلى المطبخ، وعرضوا المساعدة على جميلة بكل إخلاص. في تلك اللحظة، قالت ليالي

بصوت متردد، وهي مضطرة لذلك:

=مش عايزة أي مساعدة يا جميلة؟

ردت جميلة:

_لا ميرسي... الأكل هيجي جاهز من برا.

نطقت ليالي بصدمة:

أم الديب الجزء الثاني

=جاهز؟ هو انتي مبتعرفيش تعملي حاجة خالص؟
نظرت نعمة لليالي بنظرة جلفة، وتحدثت بدلاً منها، بينما تحدثت بابتسامه خجولة:
_كثر ألف خيركم يا جميلة يا حبيبتي... ده احنا كلفناكم كده.
ردت جميلة بابتسامه:

=لا ولا أي حاجة احنا أهل يعني مفيش فرق بينا.
تحدثت ليالي بابتسامه ماكرة:

_يعني مش عاوزة مساعدة خالص؟
أجابت جميلة باستغناء:

=لا أقعدوا انتوا ارتاحوا.

اقتربت ليالي من نعمة، وهمست في أذنها برفق:

_أهو مش عايزة مساعدة أمال قومتينا ليه؟
تلفظت نعمة بصوت واهن:

=اسكتي يا ليالي أهو الأسم عزمنا عليها!

أطلقت أم الديب الزغاريد من فرحتها بتواجدها في منزل أحمد. حيث جميلة في عيون أم الديب، تظل شخصاً غير عادي، فهي ليست مجرد زوجة لابنها، بل هي كالنجمه الساطعه في السماء، لا يستطيع أحد الوصول إليها، ولو حاول الآخرون مراراً وتكراراً. كيف يمكن لامرأة بهذا المستوى العالي من الجمال، والتعليم، والثقافة، والمستوى المادي الرفيع أن تتساوى بأي امرأة أخرى في العالم؟. تعجب المعلم حنفي من زغاريد أم الديب، فترددت كلماته بالتعجب:

_جرا ايه يا ولية حد قالك إننا في فرح؟

تحدثت جلال بسخط، وهو يضع يديه فوق أذنيه بانزعاج:

=براحه ياما أنا وداني اتخرمت... انتي بتزغردى على ايه؟

أجابت أم الديب بابتهاج:

_بقى دهو سؤال؟ أني فرحانة ببيت ابني.

خرجت ليالي، ونعمة على حديثهم، فرفعت ليالي حاجبيها اعتراضاً على مدحها لأحمد، وزوجته، وقالت بكلمات تنبع من عمق الغيرة:

=ربنا يباركلهم يا حماتي، ويديهم كمان وكمان.

تحدثت أم الديب بسعادة، وهي تتفاخر بابنها:

_ده الوحيد اللي فلح في أخواته... طب تعرف يا ولا أني حاسه إن محدش من عيالي اتجوز غيرك... ده أني مفرحتش غير يوم جوازك من جميلة.

رد أحمد بسرور:

=ربنا يخليكي لينا يا ماما، ويباركلك في عمرك.

اشتعلت نار ليالي في التو والحال، وهي تقول بحرارة:

_ليه ان شاء الله يا حماتي... أمال جلال راح فين؟

هزت أم الديب فمها باستهزاء، ونظرت نظرات مليئة بالكراهية نحو ليالي، وقالت بكلمات تنم عن امتعاضها:

أم الديب الجزء الثاني

=جلال؟ حوسة على جلال وسنينه.

رد جلال بصخب:

_جرا ايه ياما؟ ماتلمي الدور مش على الملاء كده!

قالت أم الديب بسخط:

=كان يوم أسود، ومهيب بستين قطران.

نهض جلال، وتفوه بعجيج حار:

_هو ايه ياما؟

ضحك المعلم حنفي، وهو يستشعر بدء المشكلة، وقال بدهاء:

=هيكون ايه يعني ياض؟ أكيد يوم ما اتجوزتها.

وقف أحمد، وأجلس جلال مكانه بالإكراه، ثم قال بثبات:

_لا بقولكم ايه اهدوا، خدوا بريك شوية من المشاكل !

رد جلال بنظرات متأججة:

=أنا هسكت عشانك انت.

جلس أحمد بصفاء في قلبه حين دخلت زوجته وسلمته أسيل، واحتضنها بدفء، فتوقفت كل المشاكل التي نشأت بين العائلة، وعند اقتراب وقت الإفطار، دخلت ليالي، ونعمة، وهايدي المطبخ للمساعدة في وضع الأطباق على المائدة، بينما كان الأطفال يلهمون في الغرفة ويتشاجرون على لعبة سيليا المفضلة، فأعرب حموده عن عدم إعجابه:

_اللعبة دي مش عاجباني.

كسر حمود لعبة سيليا المفضلة، فانكسر قلبها معها من الحزن، فصاحت بكلمات تعبيرية:

=عروستي!

اكتفت سيليا بإطلاق نظراتها نحو تلك الأجزاء المهشمة أمامها. في كل نظرة على كل جزء مكسور كان يلاحقها دمة منهمة حتى تحدثت بنبرة باكية:

=انت كسرت عروستي، صلحها... أنا بحبها أوي !

ونادت والدتها بأعلى صوت:

=يا مامي !

لم تلتفت جميلة لنداء ابنتها لكن من التفت للأمر كانت أم الديب، وهايدي، وهم يلاحقون خطواتهم

مندفعين للأمام اتجاه غرفة سيليا، فقالت أم الديب بتعجب:

_ايه اللي جرا يا عيال؟

تشبثت سيليا في جلباب أم الديب، وهي تنتحب قائلة:

=يا نانا...حمود كسرلي عروستي!

رد حمود بلا ميالة:

_وايه يعني؟ مش عاجباني !

تشبثت أم الديب في رأس حمود، وهي توطئه بيدها فوق رأسه بقسوة، قائلة بصخب:

=تعالى يا كلب يابن الكلب أني هربيك، وهعلمك الأدب ماننت أمك معرفتش تربيك.

أم الديب الجزء الثاني

فرت تقي هاربة في المطبخ، وصدحت بصوتها تنادي والدتها بصراخ ملتهب، كأن صوتها يتراقص على أوتار الخوف المترعة:

_يا ماما...يا ماما...ستي بتضرب أخويا.

تركت النساء ما في أيديهن، وتوجهن إلى غرفة سيليا ليشاهدن ما حدث. كان المشهد عرضًا مبهمًا، حينما كانت أم الديب تستعمل يديها وأرجلها وهي توطأ حمود بقوة، ناطقة بإعوال:
=بدل ماتقعد في مكانك عمال تتشاقى، وتكسر، وتعمل مانت أبوك مش تعبان فيها، ولا دافع فيها ساخ!
تصارعت ليالي مع أم الديب كصراع الدببة، وهي تدفعها بعيدًا عن ابنها لتحميه وتفاديه أذيتها.
فصرخت في وجهها بقوة، كلماتها تنبعث منها كالبرق في ليلة مظلمة، تحمل في طياتها نبرة من الالتهياج:

_أوعي ايدك يا حماتي...ايدك دي متمدش على عيالي، ولا ليكي دعوة بيهم !

تشبثت جميلة بيد ابنتها، ووجهت لها تساؤلًا بفرع:

=في ايه؟

أجابت سيليا بانتحاب:

_كسرلي لعبتي يا مامي.

عانقت جميلة ابنتها، وقالت بلطف:

=معلش يا حبيبي هخلي باباكي يجيبلك واحدة غيرها.

صاحت أم الديب في وجه ليالي، متحدثة بصخب:

_تتمد ونص لما تربى عيالك كويس مبقاش أمد ايدي عليهم...إنما انتي مدلعاهم، وسايباهم يعملوا

مابدالهم!

ضاق صدر جميلة من صياحهم، حتى أنها لم تتحمل نصف كلمة واحدة من حديثهم الفظ. فاندلعت بكل سخطها، تتماثل كلماتها مع ارتفاع نبرة صوتها، كأنها تعزف سيمفونية من الانزعاج المتراكم على أوتار الحجر:

=لو سمحتوا اتفضلوا معايا في الريسيشن.

خرج الجميع، وأوصدت جميلة الغرفة خلفهم، ثم ذهبت بابنتها إلى المطبخ، بينما جلست ليالي على الأريكة، وحملت ابنها فوق ساقها، وهي تشحنه بجرعة من حنان الأم، وكأنها تنقله إلى عالم آخر مليء بالأمان:

_متزعلش يا قلب أمك.

نطق حمود بانتحاب:

=بكرهك يا ستي!

عانقت ليالي ابنها، وقالت بهدوء:

_خلاص اهدى !

دخل المعلم حنفي، وجلال، وأحمد، وحامد من البلكونة، وهم مندهشون. فعبر المعلم حنفي بتعجب:

=في ايه؟

نطق جلال بتساؤل:

_الواد مفتوح في العياط ليه؟

أجابت ليالي بسخط:

أم الديب الجزء الثاني

=سته ضربته يا جلال.
تحدثت أم الديب بصوت شكس:
_ عيل قليل الرباية.
رفعت ليالي حاجبها، وظهر على وجهها عبوس وتعبير جاد، قائلة بصوت ملآن بالضيق:
=أنا ابني متربي كويس يا حماتي.
اقترب المعلم حنفي من حفيده، وقال بحنان:
_ معلش ياوض، تعالى لجدك!
وقف حمود إزاء جده، فأحنى المعلم حنفي جسده بلطف نحو حفيده، وابتسم وجهه بدفع، وقال له:
=سيبك من ستك دي خالص...آني هراضيك، وهجيبك عربية لعبة تركب فيها انت، وأختك، وابن عمك.
بينما في المطبخ، كانت جميلة تحاول إرضاء ابنتها، وهي تعانقها بعشق، وتهمس في أذنها الصغيرة بصوتها الناعم، قائلة بكل حنانها:
_ خلاص يا سيليا حقك عليا أنا...هجيبك واحدة أحسن منها بكتير بس مترعليش نفسك!
تحدثت هايدي بابتسامة:
=معلش يا لولي حقك علينا احنا !

نطقت نعمة:

_ العيال بيتشاكلوا، وفي ساعتها بيتصالحوا مش عايزين ناخذ على عمايلهم دول عيال صغيرة مش فاهمين حاجة!
تحدثت هايدي بابتسامة:
=معلش يا جميلة أنا عارفة إنك مدايقة... هو بصراحة حمود شقي أوي حتى مغلب ليالي معاه.
ردت جميلة بجسارة:
_ أوكي يا هايدي.
خطى أحمد إلى المطبخ بخطوات هادئة، وعندما رأى ابنته، انفتحت أذرعها ليعانقها بلطف، وفي لحظة من الهدوء، قال بصوت هادئ:
=مالك يا سيليا بتعيطي ليه؟

أجابت سيليا بانتحاب:

_ كسرلي عروستي يا بابي !
عانقها أحمد، وقال بحنو:
=طيب ايه رأيك تيجي معايا، وأنا بجيب الأكل، وبالمره نعدني نجيبك عروسة زيها؟
مسحت سيليا دموعها الدافئة بيديها الصغيرتين، وأخذت تنظر إلى والدها بعينين مليئتين بالحب، ثم قالت:
_ ماشي يا بابي .

حمل أحمد ابنته، وقال:

=أنا هاخذ سيليا، وهنروح نجيب الأكل.

ردت جميلة:

أم الديب الجزء الثاني

_أوكي خد بالك منها!

خرج أحمد من المنزل مع ابنته، واتجهوا نحو المطعم لاستلام الطعام وشراء عروسة جديدة لسيليا، وفي طريقهم، بدت هايدي تعبر عن تفاؤلها باللحظات القادمة، وقالت:

=خلاص بقى يا جميلة روقي شوية !

في الصالة الواسعة بالهواء الطلق، صاح جلال في أم الديب بصوت يملأ الفضاء، كأنه ينادي بكلماته على أرض الواقع بين الناس، وهم منتبهون لسماعه، فجاء صوته كالصخب الذي يمزج بين الأصوات المتفاعلة:

_ على الله تمدي إيدك على عيل من عيالي تاني !

ردت أم الديب بصياح:

=اسيبهم يعملوا الغلط، واسكت، ولا ايه يا ولا؟

نطق جلال بصخب:

_ أنا قولت كلمة، ومش هتنيها ياما!

تحدث حامد بأسلوب ينبعث منه الحكمة، وهو يبذل جهده في تلطيف المشكلة المعقدة التي تواجههم، كأنه ينسج خيوط الأمل، محاولاً استعادة الهدوء للوضع الحالي:

=معلش يا جماعة دول عيال صغيرة... هو حد ياخذ على حركات العيال؟ ده شوية وهيبقوا زي السمنة على العسل.

جلست نعمة بجانب زوجها، وابتسمت ببراعة تعكس سعادتها الدائمة، كأنها ترسم لوحة من الألوان الزاهية في الجو، ثم قالت:

_ قولهم ياخويا، وبعدين عدوها على خير متخلوش الناس تدايق مننا.

نطقت أم الديب بصوت حاد:

=ناس مين يا بت؟ ابني ومراته بقوا ناس؟ ايهي لو ابني ميستحملنيش أمال مين هيستحملني؟ ردت نعمة بجزالة:

_ ياما ده ابنك منك وعليكي، وكل حاجة لكن مراته مش بتك، ومش هتستحلمكم!

نظرت ليالي بعبوسية لزوجها، وكأنما ترسم الغيوم المظلمة في سماء اللحظة، وهي تتلعثم في كلماتها بعض الشيء، وفي لحظة من الانقسام، قالت:

=أنا دمي اتعكر يا جلال!

رد جلال بلا مبالاة:

_ خلاص يا ليالي اللي حصل عدوا اليوم بقى.

ذهب أحمد وابنته إلى المطعم لاستلام الطلبات، وكان عليه دفع مبلغٍ ضخمٍ بالنسبة لمستواه المادي، فأخرج أربعة آلاف جنيه من محفظته بحذر. ثم توجهها إلى محل ألعاب الأطفال، حيث تجولا بداخله وهو يحمل ابنته الصغيرة على ذراعيه، ونظر حوله بعين مشرقة تبحث عن لعبة تناسب ذوقها. بعد لحظاتٍ من البحث الملهم، وجدوا أخيراً اللعبة المثالية التي كانوا يبحثون عنها. فابتهج أحمد، وقال ببهجة تغمره:

=ايه رأيك يا لولي؟

ردت سيليا بفرحة:

_ جميلة أوي دي أحسن من العروسة القديمة يا بابي !

أم الديب الجزء الثاني

نطق أحمد بسعادة:

=خلاص هناخد دي ليكي.

على الرغم من صغر سن سيليا، إلا أنها تظهر وعياً، وعقلاً متفتحين، مما يعكس جودة التربية الإيجابية التي يمنحها أحمد لابنته، وفي لحظة تعبر فيها عن تلك الحكمة البالغة، قالت:

_بابي ممكن تحيب لتقى عروسة هي كمان علشان متزعلش!

قبل أحمد جنة ابنته بحنان، وفي لحظة من الانسجام العميق بينهما، قال:

=أنا هعمل كده من غير ماتقولي بس براقو عليكي إنك عايزة تفرحيها !

ردت سيليا بنبرة رقيقة:

_أنا بحبها، هي طيبة لكن أخوها لا.

نطق أحمد بحصافة:

=هو أكيد مش قصده...بس احنا ملناش دعوة بيه.

تفوهت سيليا:

_أوكي.

عاد أحمد وابنته إلى المنزل عندما دقت الساعة الخامسة قبل المغرب، وبينما كانا يخطوان داخل الشقة،

أبدى المعلم حنفي فرحته الكبيرة بوجودهما، حيث انعكست سعادته على محياه، فقال بصياحة:

=حمدالله على السلامة... تعالي يا حبيبة جدك !

اقترب المعلم حنفي من سيليا بعطفٍ بالغ، وحملها برفق على ذراعه الأسيب، فابتسمت له ببراعة، ثم

أمسكت دميته المحببة إلى قلبها، وأرتها لجدها الذي كان يراقبها بعينين مليئتين بالحب، وقالت بصوت

طفولي، مغمور بالفرحة:

_جدو جدو...شوف بابي جابلي ايه؟

رد المعلم حنفي بانبهار:

=يا سلام دي لعبة عال العال.

نزلت سيليا برشاقة من على ذراع جدها العجوز، الذي كانت عيناه تلمعان برثاء، وحب لا حدود لهما،

وقالت بصوتها الناعم الذي يحمل في طياته مزيجاً من البراعة، وكأنها تهمس بأسرارٍ لا يفشيها إلا قلب

طفل صغير لا يعرف إلا الصدق:

_تقى تعالي معايا !

دخلت الفتيات غرفة سيليا بخطوات متحمسة، تتحدثن وتضحكن بأصوات مرحة، بينما كانت أم الديب

تقف في الصالة، تراقب بعينيها الفضوليتين أكياس الطعام المكدسة على الطاولة، والتي تنبعث منها

روائح شهية، ثم قالت بتعجب لا يخلو من التساؤل، وعيناها تتسعان بالدهشة:

=ايه يا ولا كل الأكياس دي؟

ضحك أحمد، وقال بنفانٍ:

_ده الفطار يا ماما...ده احنا ماشاء الله عددنا كبير.

ردت أم الديب بسعادة:

أم الديب الجزء الثاني

=انشالله تتستر ياخويا، ويكرمك.

دخل أحمد المطبخ بخطوات واثقة، يحمل في يديه أكياس المشتريات المليئة بالأطعمة، وأعطاهما لزوجته التي استقبلته بابتسامة دافئة، وواضحة في عينيها، ثم خرج من المطبخ متوجّهاً إلى غرفة المعيشة، حيث جلس على الأريكة ليأخذ قسطاً من الراحة، فارتفع صوت نعمة بسعادة غامرة، تقول وهي تملأها الحيوية:

_ كل سنة، وانت طيب ياخويا، والسنين الجاية نفضل متجمعين زي ماحنّا.

رد أحمد بوداد:

=وانتي طيبة يا نعمة، وبخير.

دخلت أم الديب المطبخ بخطوات مسرعة، تجتاحها رغبة قوية لاكتشاف ما تحويه المشتريات، وبدأت تبحث بفضول عارم بين الأكياس، تلتقط كل غرض بعناية وتفحصه بعين خبيرة، ثم قالت بتلقائية وعفوية، يملؤها الحماس:

_ ده ريحة الأكل مفحفة بشكل يا عيال!

تعجبت جميلة لسماعها كلام أم الديب البغيض الذي اخترق أذنيها كخنجر مسموم، فتجمدت في مكانها للحظة، ثم قالت باشمئزاز، وملامح وجهها تعبر عن صدمة عميقة، ونفور شديد:

=مفحفة؟

يتبع.....

الفصل الخامس عشر

كانت جميلة تشعر بالاشمئزاز البالغ من الطريقة التي استخدمتها أم الديب في استكشاف الأكياس بيدها المتجولة بعشوائية، فكأن تلك الأيدي تتفحص محتوياتها كما لو كانت تبحث عن كنز مفقود، مما دفع جميلة إلى إلقاء نظراتها المنزعجة التي تناثرت في كل مكان، كأنها سهام مسمومة، وفي تلك اللحظة، كانت أم الديب تبتسم ابتسامة وديعة، وكأنها لم تلاحظ أي شيء من سخط جميلة، ثم عبرت بمرح قائلة:

_ريحتها حلوة...ايه اللي جوا ده؟

نظرت جميلة إليها نظرة مفعمة بالاشمئزاز، تحمل في طياتها استياءً عميقاً لا يمكن إخفاؤه، ثم قالت بصوت متهدج يكاد يقطر بالازدراء:

=سيبي الأكل يا طنط...خلاص المغرب قرب أوي !

ردت أم الديب باشتياق ملحوظ في صوتها:

_استعجلوا عم الشيخ ألا آني على أخري.

تعجبت هايدي من الاستعجال الذي بدا على أم الديب، وعبرت قائلة بصوت متسائلاً:

=نعمله ايه يعني يا ماما هو بمزاجه؟ ده كل حاجة بميعاد.

خرجت أم الديب من حجرة الطهي وجلست بجوار أفراد عائلتها، وبعد دقائق من تجمع العائلة على طاولة الطعام، سمعوا صوت المؤذن يُعلن أذان المغرب. في هذه اللحظة، أطلق المعلم حنفي كلامه بتقوى:

_ اللهم لك صوم، وعلى رزقك أفطرت.

أشارت أم الديب بيدها نحو طبق اللحم، وقالت ببساطة متناهية:

=ناولوني الأكل بسرعة.

اشترى أحمد لحومًا مشوية مليئة بالنكهات المغرية، حيث تضمنت الأطباق الفراخ المشوية، والكباب الشهي، والكفتة المميزة. ولكن لم تكتف الوليمة بذلك فقط، بل امتدت لتشمل الحمام المحشي بتوابله الغنية، والملوخية الشهية المطبوخة بإتقان، والمكرونه البشاميل التي تذوب في الفم، وعلى الطاولة، وجدنا طواجن من الأرز المنمق بالتوابل والبهارات الشرقية، وطواجن من الخضار الطازج المصنوع بحنكة فائقة. إنها وليمة رائعة تحمل في طياتها الكثير من اللذة والتميز، حيث تمتزج الأصوات والألوان والنكهات في مداها الفني لتخلق تجربة غنية، ومثيرة للحواس. وفيما كان المعلم حنفي يتناول طعامه بهجة، قال:

_براحة يا ولية الأكل هيقف في زورك !

كانت أم الديب تلتهم الطعام بشهية جائعة، كأنها تعتقد أن هذه الفرصة لن تتكرر لها في حياتها مرة أخرى. كانت تنقض على الأطباق بنهم، وتنزلق قطع الطعام من فمها كالمطر المتساقط وتتناثر في طبق المعلم حنفي الذي كان يجلس بجوارها. وصوت بلعها كان يعلو ويملاً الهواء المحيط، معبرة بصوت غليظ عن امتنانها لمذاق الطعام الممتاز، فنطقت بفرح:

=ده الأكل طعم أوي يا عيال.

تحدثت جميلة باشمئزاز:

_بألف هنا يا طنط.

أم الديب الجزء الثاني

نطق جلال، وهو يتلذذ بحلاوة مذاق الطعام:

=يا سلام يا سلام أهو ده الكلام الصح.

بعد مضي ساعة وقليل، انتهت العائلة من تناول الطعام وتنظيف الأطباق من شدة الجوع الذي كان ينخر بأعماقهم. وفي لحظة من الضيق الناتج عن الشبع الجسيم، وضعت أم الديب يدها المريحة على بطنها الممتلئ، وقالت بإرهاق:

_الأكل كيس على نفسي يا عيال...حد يشدني.

سحبت نعمة أم الديب نحوها بكل قوتها، وقالت بصوت مليء بالاعتراض:

=انتي مكنتيش راحة نفسك ياما!

جلس جلال على الأريكة، وقال بإنهاك:

_تسلملي ياخويا...ياريت نحبس بالعصير الله يكرمك.

نهض أحمد في مكانه، ثم ألقى بنظرة متأملة في الفضاء، وبصوت متأنى قال:

=أه طبعًا اديني خمس دقائق.

دخل أحمد المطبخ برفقة زوجته جميلة، وأخته هايدي، حيث بدأوا بتحضير العصير في الكؤوس بروح من التعاون، وفي لحظة ما، عندما نظرت جميلة إلى الحلوى التي اشتراها جلال، وجدتها تشبه العجين وتبدو غير مناسبة للتقديم. فعبرت عن انزعاجها بينما قالت:

_مش معقول هما جايبين الحاجات دي منين؟

نظر أحمد باشمئزاز للحلوى، وقال:

=هو جلال اللي جايبها؟

ردت هايدي بسخرية:

_أه أمال ايه، ولو كنت قولتله آجي معاك كان زعق وعمل مشكلة...أصل محدش بيْفهم غيره.

تحدثت جميلة بغثيان:

=بقولك ايه شيل الحاجات دي...في دوناتس من امبارح.

نطق أحمد بتعجب:

_دوناتس ايه يا جميلة؟ مانتي عارفة أنهم ميعرفوش الكلام ده.

تفوهت جميلة باشمئزاز، وتعبير يدل على عدم رضاها:

=بليز خدهم بس وأنا هبقى أنزل الحاجات دي لأي حد محتاج.

خرج أحمد بالكعك المحلاة ووزعه بين أفراد العائلة، وعندما وصل الدور إلى جلال، قال بابتسامة:

_حلوه القرص المخرومة دي... انت جايبها من أنهو فرن؟

رد أحمد بصدمة:

=قرص مخرومة؟

تناول جلال كعكة اللوتس بلذة، وعبر قائلاً بصوت ملآن بالإعجاب:

_لا بس طعمها ايه زي العسل.

وواصل مع أبنائه:

=خذ يا حمود انت، وأختك.

فر الأطفال نحو جلال لتناول الكعكة المحلاة، وفي هذا الوقت، قالت ليالي بغیظ:

_احنا عندنا من البتاعة دي كتير في الفرن اللي على أول الشارع.

أم الديب الجزء الثاني

خرجت جميلة من المطبخ، ووجهت كلامها بأسلوب حيوي، قائلة:

=دي دوناتس يا ليالي مش قرص، والكلام الغريب ده!

تناولت أم الديب الكعكة المحلاة بلذة، وابتسمت وهي تقول برضا تام:

_تسلم ايديكي يا جميلة... هاتولي منها كيس.

قررت هايدي أن تلقي بنفسها في معركة الحديث، متعدهة بإنقاذ ما يبدو أنه لا يمكن إنقاذه في مظهرهم

قبال جميلة، بغية تصحيح الأوضاع وإلقاء الضوء على الأمور بشكل دقيق:

=عفكرة يا ماما دي مش قرص ومبتحطش في أكياس!

ردت أم الديب، بينما كانت تتناول قطعًا من الكعكة بهدوء، مستمتعة بقوامها الناعم الذي يذوب في الفم:

_اسكتي انتي يا بت، هو آني هتوه عن القرص؟ ده هتلاقيها في بلدنا الواحدة بجنيه ونص.

شعر أحمد بإحراج شديد أمام زوجته، حيث اجتاحتها موجة من الخجل جعلت وجنتيه تكتسيان بحمرة

خفيفة، فابتسم ابتسامة خجولة، محاولاً إخفاء توتره، وجرّ على أسنانه بملامح مترددة، وهو يقول

بصوت منقطع:

=منورين يا ماما.

نطقت أم الديب بحُب:

_منور بيك انت وجميلة.

بعدما انتهت العائلة من شرب العصير المنعش الذي أعدته جميلة بمهارة فائقة، خرجت جميلة، وليالي،

ونعمة، وهايدي إلى البلكونة الفسيحة المزينة بأبهى الزهور، وأروع النباتات التي تروي النفس وتبث في

الأرجاء شعورًا بالانتعاش، فقد كان المشهد بديعًا، حيث تتعانق الألوان الزاهية، وتتناغم في لوحة

طبيعية أخاذة. وبينما كانت النسائم العليلة تداعب وجوههن وتبعث فيهن إحساسًا بالسلام، عبّرت نعمة

عن رغبتها العميقة في أن تحظى بفرصة للعيش في مكان يمتاز بهذا الرونق البديع، قائلة بشغف

واضح:

=يا سلام يا جميلة ياختي ده ياريتني عايشة في مكان زي ده كانت نفسياتي اتحسننت كثير... ده أنا

مقولكيش كفاية أمي بس ومشاكلها اللي تفقع المرارة.

اختصرت جميلة كل ما كان يجول في خاطرها من أفكار، ومعانٍ في كلمتين بسيطتين، فقالت برقة:

_أها ربنا يديكي حاجة أحسن من كده.

تحدثت ليالي ببغضاء:

=متفكرنيش بأمك يا نعمة!

ضحكت نعمة ضحكة صافية تتم عن سرور لا يوصف، ثم قالت بنبرة مرحة، وعينين تلمعان بالفرح:

_معلش ياختي... المؤمن دايمًا مصاب.

نطقت هايدي، وقد غمرتها مشاعر الامتنان، وهي تتذكر الوليمة الفاخرة التي أعدها أخوها وزوجته بكل

حب، فقالت بتقدير:

=شكرًا يا جميلة، بجد اليوم كان حلو أوي.

ردت جميلة بابتسامة عريضة، تعكس دفء قلبها وصفاء نيتها، وقالت بصوت هادئ مفعم بالود:

_العفو يا روعي، حلو بيكوا انتوا.

قالت ليالي بدهاء:

=شكرًا ياختي ده من ذوقك.

أم الديب الجزء الثاني

في منزل عائلة حامد، حضرت هبة وهي تحمل ابنتها بين ذراعيها بحنان، ونزلت إلى شقة أم أشرف، حيث قابلتها بابتسامة دافئة، فقالت لها بنبرة مفعمة بالتقدير:

_أقعدني ارتاحي يا هبة.

ردت هبة:

=حاضر يا ماما.

جلست هبة بتأنٍ على الأريكة المريحة، وهي تحتضن ابنتها الصغيرة برفق، ثم بدأت أم أشرف تتحدث بصوت حميمي، مملوء بالخبرة، محاولة مشاركة أفكارها، وقصصها:

_حامد مطنشنني بدل مايفطر عندي يوم، رايح عند أخو نعمة.

تحدث عبد الغني بصوته الثقيل المليء بالحكمة، ووجهه ينبعث منه السكينة، وقد كانت كلماته محملة بالتوجيه، وهو يشارك أفكاره وتجاربه بأسلوب ملهم، ليساعد الآخرين في فهم الحياة:

=اعزميهم يوم يا أم أشرف.

تحدثت أم أشرف:

_ناولني التليفون يا أشرف يا بني.

أحضر أشرف الهاتف وسلمه لوالدته، التي استخدمته للاتصال بحامد، ثم قالت بابتسامة:

=ألو يا حامد...ازيك؟

رد حامد ببشاشة وجهه المنيرة، وهو يجلس بين أفراد العائلة بأجواء من الألفة:

_الحمدلله، انتي و أبويا وأشرف عاملين ايه؟

وجهت أم أشرف كلماتها بصوت حاد:

=بخير يا حمو...مش ناوي تيجي يوم عندنا؟

أجاب حامد:

_وأنا أقدر آجي من غير إنذك ياما؟

ردت أم أشرف، وعلى وجهها عبوس:

=ليه هو انت محتاج عزومة؟ أنا عازماك بكرة عندي انت وابنك.

نطق حامد بتعجب:

_طب ونعمة؟

أجابت أم أشرف بنظرات متجهة بكراهية صوب نعمة، كأنها ترسل إليها رسالة صامتة بأنها لا ترحب بوجودها في هذا المكان:

=خليها عند أهلها هما أولى بيها...أصل الأكل على القد.

رد حامد بصوت خافت، وعيناه ترمق أفراد عائلة نعمة بالقلق، حذرًا من أن يلاحظ حديثه من قبل أحد منهم، كما لو كان يخشى اندفاع ردود فعلهم إذا سمعوا ما يقول:

_بس كده نعمة هتزعل مننا!

تفوهت أم أشرف بتدليس:

=قولها إنك معزوم عند واحد صاحبك.

رد حامد بصوت خافت، كأنه يرغب في أن يكون ملاحظة لدرجة أقل من قبل الآخرين، مما يدل على توتره في اللحظة الحالية:

أم الديب الجزء الثاني

_ ماشي ياما...سلميلي على الحاج والموجودين.

تحدثت أم أشرف:

=طيب يا حامد مع السلامة.

قال حامد بابتسامة:

_ مع ألف سلامة.

بعد مضي ساعتين من الزمن، وبينما كانت العائلة تتجه خارج منزل أحمد، قاطعت خطواتهم سكون المبنى المحيط، معبرين عن سعادة يملؤون بهما قلوبهم. فاحتضن المعلم حنفي ابنه بحنان عميق، وكانت الابتسامة تتفتح على وجهه، معبرًا بحرارة قائلاً:

=نبقى نشوفك أول يوم العيد.

رد أحمد بلطف:

_ حاضر يا بابا ربنا يسهل.

عانقت جميلة أم الديب، وقالت بإحسان:

=نورتونا يا طنط انتي، وأونكل، وكلكم بجد نورتونا!

تفوهت أم الديب بهجة:

_ انشالله تنستري يا جميلة يا غالية.

عانقت نعمة جميلة، وقالت بابتسامة تعبق بالدفء:

=الله يخليكي ده نورك انتي.

تحدثت سيليا بزهوة:

_ هشوفك تاني ياتقى!

ردت تقى بضحكة بريئة:

=أنا هجيب عروسة نلعب بيها عندي.

قالت سيليا ببراعة:

_ أوكي وأنا هجيب معايا بقية العرايس.

نادت ليالي ابنتها بصوتٍ ينطلق بمزيج من الاستعجال، قائلة:

=يلا يا تقى !

أجابت تقى:

_ حاضر يا ماما.

وأشارت بيدها لسيليا بلطف، وواصلت بكلماتها بلا تردد:

_ باي يا سيليا.

أشارت سيليا بكف يديها في الهواء، وقالت بصوتٍ واثق:

=باي يا تقى.

تحدثت أحمد باكتفاء:

_ مع ألف سلامة.

رد المعلم حنفي ببشاشة:

=الله يسلمك.

أم الديب الجزء الثاني

نزلت العائلة في المصعد الكهربائي، وركبوا سيارتهم حيث وجدوا مكاناً واسع للجلوس، ثم قالت ليالي بدهشة:

_هما محطوش ليه من علبة الحلويات اللي جيبناها؟
أجاب جلال بسخرية، وهو يدير مفتاح السيارة باتجاه الماتور، معبراً بنبرة مستهزئة:
=تلاقيها مش قد المقام ولا يمكن شالوها تتاكل يوم تاني.
ردت هايدي بوضوح:
_هي بصراحة كان شكلها مقرف أوي.

صاحت أم الديب قائلة بانفعال:
=انت جايب لأخوك حلويات بايظة ولا ايه يا ولا؟
رد جلال بعصبية جارفة، وهو يقود السيارة، حيث تفاعلت عضلات وجهه مع كلماته كالبركان المتجه نحو الانفجار، معبراً بلسان الحال عن غضبه اللافت:
_وربنا ما حصل ده حتى كان شكلها يفتح النفس.
ظهر بوز ليالي الملتوي من على بعد كالللال المنير في سماء الغضب، وقالت بنبرة ساخطة تتردد في الأفق كالرعد الجارف:

=حوسة علينا عمالين نصرف ونبعزق وبرضة مش عاجب.
تحدثت أم الديب بصياح يُفرد في الفضاء، كلماتها كالصاعقة المنفجرة في السماء السوداء:
_لمى نفسك يا بت، ولا انتي مستخسرة فيهم شوية الحاجات اللي جيبتوها؟
ردت نعمة بعدالة:

=ملكيش حق يا ليالي..ده أحمد الله يباركله كان صارف، وجايب حاجات كتير وكلها الله أكبر عليها
طلعت زي السكر.
نطقت أم الديب بامتعاض:
_ايهي قوليلها يا نعمة.
خرج جلال عن شعوره بعدما ضربت الدماء رأسه، فصاح بكلماتٍ تنبض بالإحساس، كأنها نبعث من أعماقه المضطربة:
=خلاص مش عاوز نص كلمة!
تحدث المعلم حنفي:

_آني هانام ياض، ولما يخلصوا خناقة أبقى صحنيني.
ذاب المعلم حنفي في نومه العميق، وبعد مضي ثلاث ساعات على الطريق المتعب، وصلت العائلة إلى منزلهم البسيط في القرية الهادئة، حيث انتشرت السكينة بين جدرانها المتهالكة. تفرق أفراد العائلة ببطء ليتوجهوا إلى شققهم، تاركين وراءهم أصوات الكلام الودي في الهواء الطلق، وفي شقة نعمة، شعر حامد ببعض التردد يتسلل إلى قلبه مثل الغيوم المتشكلة في سماء الصيف الحارة. لم تكن وليمة والدته غداً مجرد حدث عابر، بل كانت محطة تجمع العائلة بأكملها، تلك العائلة التي تمثل له عالمه وأساس حياته، لذا قال بتلجلج:
=بقولك يا نعمومي...أنا معزوم بكرة عند واحد صاحبي، وبفكر آخذ محمد معايا أصلها عزومة رجالي وكل واحد هيجيب عياله.

أم الديب الجزء الثاني

دخلت نعمة الغرفة، وعبّرت بتعجب واضح في صوتها، وتعابير وجهها:

_صاحبك مين ده؟

دخل حامد الغرفة عقب زوجته، وقال بتردد كأنما يترقب رد فعلها بانتباه واضح:

=لا ده واحد انتي متعرفيهوش.

ردت نعمة بذكاء:

_طب روح انت...عايز تاخذ محمد معاك ليه؟

تلفظ حامد بتردد:

=مانا بقولك يا نعمة كلهم هيجيبوا عيالهم علشان العيال تلعب مع بعض.

لم يتغلغل حديث حامد في عقل نعمة، فهي تخشى على ولدها كأنها تحاول حمايته من كل ذرة هواء،

ولذا، بينما تتأمل وجهه الهائم بالتردد، وعيناه الملتفتتين بحذر حول الغرفة، قالت:

_تلعب مع بعض؟ انت بتقول ايه ياخويا؟ أنا الكلام ده مش داخل دماغي...سيب الواد هنا ماهو بيلعب

مع ولاد خاله جلال!

نطق حامد بإحباط:

=خلاص بشوقك يا نعمة أنا بس كان قصدي خير أصل صاحبي ده ربنا يزيد من فضله عنده فيلا إنما

ايه حاجة من الآخر، وعامل حنة في الجنينة مليانة ألعاب من اللي قلبك يحبها.

ردت نعمة برهبة:

_لا أنا ابني ميبعدش عني، والحنة اللي يروحها رجلي على رجله...روح انت وسيب محمد هنا!

شعر حامد أنه ليس هناك جدوى في إقناع نعمة بتلك الحجج الفارغة، فألقى كلماته بثقل كالصخرة الثقيلة

في بحر الصمت:

=بشوقك يا نعمة، هعمل ايه طيب؟ اللي تحبيه!

استفاقت ليالي في اليوم الثاني، وبينما خرجت من غرفتها، وجدت جلال يجلس بلا حراك على الأريكة،

لم يغادر بعد إلى عمله المعتاد. رسمت ابتسامة طاغية تملأ شفثيها المتوشحة بالفرح، وهمست له بصوتٍ

ينبض بالحب:

_صباح الخير يا جلال.

رد جلال بابتسامة:

=صباح الفل.

نطقت ليالي بصراحة:

_العيال نفسهم يغيروا جو برا.

أجاب جلال بدهشة:

=يغيروا جو ليه احنا مش امبارح كنا عند عمهم؟

ردت ليالي بأمل:

_لا ياخويا نخرج نتفصح ونفطر في حنة حلوة.

تحدث جلال بحيرة:

=مو عدكيش النهاردة يا ليالي ده أنا امبارح دافع مبلغ يدبج خليها يوم تاني.

نطقت ليالي بابتسامة:

_طيب ياخويا متنساش!

أم الديب الجزء الثاني

عندما خرج جلال من الشقة، وأوصدت ليالي الباب ورائه، نزل جلال ببطء على الدرجات، يفكر في أحلامه الضائعة، وأماله المتلاشية. فجأة، جاءت نعمة مع ابنها، ووقفوا أمام باب الشقة. لحظة التواجد هذه كانت غير متوقعة بالنسبة لليالي، التي فتحت الباب بتردد، وأبدت اندهاشها الخفي برؤية ضيوفها. بينما كانت تتأملهم بلا حرف، أخذت نعمة تبتسم بلطف وتقول بصوت ودي:
=صباح الفل يا ليالي.

عانقتها ليالي بقوة، وابتسمت وهي تقول:

_ صباح الهنا...أدخلي !

وقبلت وجنة محمد بحنان، ثم واصلت بابتسامة تمتزج فيها الفرحة:

_ازيك يا محمد؟

رد محمد:

=الحمدلله.

تحدثت نعمة:

_حمو هيفطر برا النهاردة مع جماعة صحابه وكان عايز ياخذ الواد معاه بس أنا مرضتتش.

ردت ليالي بابتسامة خافتة:

=أقعدني نفطر مع بعض النهاردة...ده أنا مقولكيش بقى ده جلال مجهزلنا حتة خروجة إنما ايه هتعجبك أوي.

جلست نعمة على الأريكة برفقة ابنها، وعبرت عن فرحتها:

_بجد يا ليالي؟

جلست ليالي على كرسي الأريكة، وبينما كانت تحتضن ابنتها، قالت بابتسامة تمتزج فيها الامتنان:

=أيوه أمال ايه...بس مش النهارده.

تبدلت ملامح ليالي فجأة إلى الاستياء، وأردفت بصوت مكسور:

_ده يا عيني صرف اللي في جيبه على شوية الحاجات اللي جابهم.

ردت نعمة:

=لا ده ربنا يعينه...يلا مش مهم كده كده الأيام جاية كثير.

وضعت ليالي يدها برفق على خدها، وفي لحظة تأمل عميقة، قالت بصوت هادئ:

_هنعمل أكل ايه؟ ده احنا أول كام يوم قضيناهم مصاريف لحد ماخلصنا اللي معانا.

ردت نعمة:

=نعمل أي حاجة يا ليالي وخلص انشالله نقضيها فول وطعمية وشوية بطاطس.

ردت ليالي بمكر:

_لا ياختي متبقاش السنيورة هناك بتاكل كل ما لذ وطاب واحنا هنا مقضيناها فول وطعمية...متقلقيش

عندي كيس لحمة في التلاجة هطلعه نعمل عليه شوية خضار.

تذكرت نعمة في الحال ما تملكه في مبردها، وقالت بانتباه ملموس:

=حلو أوي يا ليالي وأنا عندي فوق صدر فرخة نقطعه رفيع ياختي، ونعمله بانينة جنب شوية مكرونة

وبطاطس.

ضحكت ليالي بابتهاج، وقالت بهزل:

_ده احنا ليلتنا حلوة.

أم الديب الجزء الثاني

ونهضت، وواصلت:

_ قومي قومي خيلنا نلحق نخلص قبل ما أمك تطب علينا زي القضا المستعجل.
قهقهت نعمة هي الأخرى بشدة، ومضت بخطوات خفيفة نحو المطبخ، حيث انضمت إليها ليالي استعدادًا
لتجهيزات طعام إفطار اليوم. أما جلال، فقد غادر برفقة خاله ضايغ، الذي كان في حالة من الاستعداد
الملحوظ بسبب قرارهما المفاجئ بزيارة إحدى منازل الشباب. وفي لحظة من الفكاهة، قال ضايغ:
=جاهز يا بن أختي؟

أجاب جلال بحماس:

_ جاهز يا خالي.

انقض جلال، وضايع إلى المنزل كأنهما قد نهشا الأرض بطريقة الأسود المفترسة تجاه فريستها، حيث
انكسر الباب إلى شقين تحت يد ضايغ القوية، مثنياً الأسلحة نحو الشباب الجالسين في منزلهم بحذر.
تحدث ضايغ بصوت مليء بالقوة:
=اطلع يا ضايغ باللي معاك انت وهو!
تحدث جلال بصوت ينفر القلوب، مطلقاً صياحه بينما يوجه الأسلحة باتجاه وجوههم:

_ يلا يا شوية رمم خلصوا !

انشده صابر عندما خرج من المرحاض وواجه ضايغ، وجلال وهما يحملان الأسلحة، فقال بصدمة
ملموسة:

=جلال؟

في هذه اللحظة العسيرة، كان جلال في حيرة شديدة، وكانت الشكوك تلف حوله، وهو يجد نفسه أمام
واقع صادم. رؤية أخو زوجته برفقة الشباب. فتحدث بكلمات متقطعة:

_ انت بتعمل ايه هنا؟

وقف صابر ثابتاً أمام جلال، ولا يتوقع أبداً أن جلال سيكون لصاً في يوم من الأيام. تأمل صابر للحظة،
ثم صرخ بدهشة هائلة، صدحت أصداؤها في الغرفة المظلمة، وكأنها تكونت من حروف نار ترتفع في
الهواء الملبد بالظلام:

=انت اللي بتعمل ايه هنا يا جلال؟

تحدث ضايغ بتخمين:

_ مش ده أخو مراتك يا جلال؟

أجاب جلال بتردد:

=أه يا خالي.

غمز ضايغ بعينه بشكل مريب، وقال بنبرة فاسقة:

_ طب جدعنة مني أنا مش هعملكم حاجة... بينا يا جلال على بيت تاني !

وقبل أن يغادر، واصل بتوعد:

_ اللي هينطق حرف أنا همسحه من على وش الدنيا فاهمين؟

رد الجميع برهبة شديدة، وأعينهم تتجه نحو سلاح ضايغ الشرس الذي لا يتهاون، حيث انطلق الصمت
المرعب يملأ الصالة، وكأنهم يتأملون في وجه الخطر الذي يتجسد أمامهم بكل قسوة:

أم الديب الجزء الثاني

=فاهمين.

اندمجت نظرات جلال وصابر معاً، حيث كانت عين صابر تعبر عن صدمته العارمة من المشهد الذي وجده أمامه، وتعكس تساؤلاته وخوفه من ما قد يحدث بعد ذلك. بينما كان جلال يحاول تقديم تفسير لما حدث، ويتردد في خطواته خلف خاله ضايح، الذي يمثل تهديداً مستمراً. في الوقت نفسه، اتجه صابر بسرعة نحو الهاتف المحمول، حيث بدأ بالاتصال بعم سلامة في محاولة يائسة لإيجاد حلاً للموقف المتوتر، ووجهه يعبر عن الاضطراب العميق:

_ألو يا حاج...الحقني!

بعد أن خرج ضايح من المنزل، انبهر بالشباب الجبناء وهو يضحك بلا انقطاع. وفي تلك اللحظة، قال بابتسامة تحمل السخرية:

=بس شكل أخو ليالي عيل طري.

نطق جلال بتفان:

_لا يا خالي هو بس مالوش في الحوارات دي.

وقف ضايح إزاء إحدى المنازل، ليتأمل في واجهتها البيضاء المشرقة بألوانها الزاهية التي تعكس أشعة الشمس بشكل مدهش:

=أنا هدخل البيت، وانت تعالي ورايا.

رد جلال:

_تمام يا خالي.

كانت أم الديب جالسة في صالة شقتها، وهي تقشر الجزر ببطء على الأرض، حيث كانت أضواء الشمس تتسلل من خلال النوافذ الكبيرة، مما يمنح المكان أجواءً مشرقة. فجأة، خرجت هايدي من غرفتها المجاورة بخطى خفيفة ووقفت تحتجب بصمت معبرة عن اشمزازها من هذا النوع من الطعام، حيث عبرت بلسان ضاحك عن استيائها من رائحة الجزر ومظهره المبعثر على الأرض:

=انتي هتعمليلنا سلطة ولا ايه؟

ردت أم الديب بتعجب:

_سلطة ايه يا بت؟ آني هسلقلكم شوية جزر تاكلوه في ساندوتشات.

نطقت هايدي بسخط:

=ايه العك ده يا ماما هو حد قالك إننا أرانب؟

تفوهت أم الديب بضجيج مفرع، يمزج بين صوت الاستغراب والصخب المتقطع، معبرة عن دهشتها من ردة فعل هايدي تجاه الجزر:

_ده اللي عندي إن كان عاجب يا بت!

قالت هايدي بصياح عالٍ، ينطلق من عمق استيائها مظهرة رفضها لرؤية والدتها تقشر الجزر على الأرض:

=أنا مستحيل أفطر معاكي...أنا لو كلت من اللي بتعمليه ده هروح على المستشفى بعدها عالطول.

أمسكت أم الديب نعلها بيدها بقسوة، وانطلق الصياح من حنجرتها بنغمة تحمل في طياتها انزعاجاً شديداً واستياءً لا يمكن إخفاؤه:

_امشي يا بت الكلب!

أم الديب الجزء الثاني

وجهت أم الديب ضربة قوية بالنعل نحو ابنتها، وبسرعة هائلة اندفعت هايدي في وقتها دون تردد للصعود إلى الطابق العلوي، حيث حاولت الابتعاد عن شر أمها المفاجئ، وفي حين كانت أم الديب تقشر الجزرة باندفاع، جلجلت باستياء من سلوك هايدي:
_ البت مش عاجبها حاجة وحاطة راسها في العالي، حد يقولها إننا غلابة على قد حالنا!

في الأعلى، قالت ليالي لهايدي حينما وجدتھا خائفة، بصوت زاهر بالتعاطف، محاولة تقديم الدعم في وقت الضيق:

=أدخلي ياهايدي...تعالى!

دخلت هايدي شقة أخيها، وقالت بعصبية:

_ أنا مش هفطر مع ماما شوفولي حل معاها !

خرجت نعمة من المطبخ، وهي تحمل طبقاً من الطعام، وقالت بابتسامة ودية تنعكس على وجهها المضيء:

=مانتي لو كنتي تتجوزي وتنستري في بيت جوزك كان زمانك مرتاحة منها لكن انتي اللي عاجبك كل ده.

تفوهت هايدي بكمد:

_ وأنا علشان أهرب من ماما أقوم أتجوز وأندبس في بيت، ومسئولية؟

جلست النساء على الأريكة، وبينما كانت الأجواء مليئة بالهدوء، قالت ليالي بحكمة:

=اسكتي يا نعمة والنبى...أختك هايدي عندها حق أهي على الأقل بطولها ومرتاحة...مش وراها بيت، وعيال وكل يوم تصحى على صوت اللي عايز ياكل، واللي عايز يشرب، واللي عايز يستحمى، ده غير المسح والكنس...ده انتي في نعمة يا هايدي !

ردت هايدي بحنق:

_ قوليلها، وأنا عليا بابه ده كله؟

تحدثت نعمة:

=انتي حرة اللي بياكل على ضرسه بينفع نفسه.

تحدثت ليالي بابتسامة واسعة تعكس تقديرها:

_ كلي معانا ده الأكل بإذن الله هيكفي وزياده.

ردت هايدي بخجل:

=هساعدكم...خلي ماما تاكل ساندوتشات الجزر اللي بتعملها !

ضحكت نعمة، وقالت بذهول:

_ هي أمي لسه فيها العادة المنيلة بستين نيلة دي؟

أجابت هايدي بصفو متعكر، حيث تجسدت التعبيرات الحزينة على محياها، وتناغمت مع حالة الجو المغيمة التي تلف المكان:

=أمال ايه؟ لأ وبتتكلم كأنها لحمة!

ضحكت ليالي، وقالت باستهزاء:

_ سيبك منها دي كبرت وخرفت.

أم الديب الجزء الثاني

في منزل عم سلامة، عندما اتصل ابنه به وهو في العمل، قال له بصدق ووضوح ما حدث بينه وبين جلال، ثم عاد إلى المنزل، وهو في صدمة جسيمة لم يتخيل أبداً أن زوج ابنته يصبح لصاً في يوم من الأيام. خرجت تباهي من المطبخ حينما سمعت صوت زوجها، وقالت بترحيب:
=انت جيت يا سلامة؟

لكن الصمت كان يحيق بعم سلامة وهو يجلس على أريكة منزله، مستغرقاً في أفكاره العميقة، التي كانت تتراقص في ذهنه مثل شظايا ضوء القمر على سطح الماء، فلم يكن ثمة صوت يُسمع سوى تنفسه البطيء، وإيقاع قلبه الهادئ، حتى قطعت تباهي بصوتها الناعم، قائلة بتعجب:
_مالك ما بتردش ليه؟

تردد عم سلامة في بداية الأمر أن يخبرها بالحقيقة المستعصية، فكتم أنفاسه لبضع لحظات، محاولاً أن يجد الكلمات المناسبة التي تستطيع أن تعبر عن تلك المشاعر المتلاطمة في صدره، ومع ذلك، وجد نفسه غير قادر على الاحتفاظ بهذا العبء الثقيل أكثر، فقرر أخيراً قول الحقيقة، وانطلقت كلماته بنبرة حادة تحمل في طياتها الكثير من الحنق:
=جلال جوز بتك.

نطقت تباهي بفضول:

_ماله؟

رد عم سلامة بصياح:

=البية ضحك علينا، وفهمنا إنه شغال على التوكتوك وفي الآخر داخل يتهجم على ابنك، وصحابه هو، وخاله ضايح قتال القتلة!

ارتاع قلب تباهي بصوتها المرتفع الذي كان كجرس إنذار يتردد صداه في أرجاء الصالة، وقد تفاقم التعجب على وجهها، وتحول كلامها إلى صراخ حاد يشبه نحيب الأم المكلومة. تساءلت تباهي بصوت مخنوق عن مصير ابنها الغالي، واشتعل قلبها بنيران الخوف من فكرة تعرضه للأذى على يد جلال، وخاله الضال الذي لا يعرف الرحمة، وبدأت تتلوى الكلمات من خلال صوتها المذعور:
_ابني جراه حاجة يا سلامة؟

رد عم سلامة بضجيج، وكأنه بركان قد انفجر بعد صمت طويل، وبدت في صوته نبرة الندم على زواج ابنته من جلال، الذي اعتقد يوماً أنه سيكون لها الملاذ الآمن. فقال بلهجة يختلط فيها الغضب بالاستياء العميق:

=متخافيش يا أم ليالي، متخافيش ابنك كويس وصاغ سليم... أنا بتي ليالي ضاعت كانت تتقطع ايدي قبل ماتمسك في ايد جلال...كانت جوازة الشوم، والندامة!

نزلت دموع تباهي كالشلال، متدفقة بحرقة، وهي تقول بصوت متهدج، ومفعم بالأسى:

_يا حبيبتى يا ليالي يا قلب أمك...مش كان زمانك عايشة متعززة، ومتجوزة جوازة تشرف؟ مش كفاية أمه؟ يطلع جلال هو كمان كده... يا بختك المايل يا ليالي يا بتي.

وضع عم سلامة يده فوق رأسه التي كادت أن تحترق من بركان الأفكار السامة التي تتصاعد في ذهنه بلا هوادة، وأخذ نفساً عميقاً وكأنه يحاول أن يستجمع شتات نفسه، ثم قال بصوت مختنق يحمل بين ثناياه أوجاع السنين :

=ده اللي عرفناه...أمال اللي مستخبي؟ ده زمانه عامل بلاوي أكثر ده احنا لسه ياما هنشوف من عيلة الديب.

أم الديب الجزء الثاني

ردت تباهي بنواح:

_ أنا هكلم بتي أقولها... أطمئن عليها !

تلفظ عم سلامة بصياح:

= أقعدي متروحيش في حطة بدل مايعمل حاجة في ابنيك... ده احنا محيلتناش غير حطة واد واحد!
جلست تباهي حيال زوجها، وهي تضرب يدها على ساقها من فقدان حيلتها، وقد غلبتها دموعها التي انهمرت كالمطر في ليلة عاصفة، وقالت بصوت متألم من البكاء :

_ أمال أعمل ايه يا سلامة؟ قولي ياخويا أعمل ايه بس؟

رد عم سلامة بحصافة:

= سيبينا نخطط بشويش.

دائرة العجائب في منزل عائلة الديب حيث دخلت أم الديب المطبخ بخفة، وهي تسلق الجزر بأناملها الماهرة التي تتحرك كالراقصة على حبال مشدودة، تتلاعب بالخضراوات ببراعة فائقة. فتحت باب الثلاجة بمهارة، واستخرجت الجرجير الأخضر الفاسد، الذي لم تتردد في التخلص من فساده بقبضة ثابتة، تظهر فيها علامات التوفير. بدأت في عصر الجرجير بحرفية، ملاحظة كل تفصيلة لتحضير عصير لذيذ يتناغم فيه نكهات الطبيعة مع بعضها البعض. كل هذا الجهد لم يكن سوى جزء من جهودها الدؤوبة لتوفير المال، والصحة الأفضل لأسرتها، فكانت تعرف قيمة كل قرش تنفقه، وكيف يمكن أن تجعل كل وجبة تحمل بصمة العناية. لكن لم تكن تدرك أن زوجها الذي يحمل اسم المعلم حنفي، المعروف بحسه الشديد بالنظافة، يصل إلى مستوى الاشمئزاز من الروائح الكريهة التي تنبعث من المكان، بينما هو يستنشق الهواء بانزعاج واضح. فبعد أن شاهد مشهدًا فوضوي من تجهيز العصير، لم يتمكن من إخفاء استياءه، حيث أعرب بصوت ينطلق من بين شفثيه بغثيان:

_ ايه الريحة دي يا ولية؟

أجابت أم الديب بصوت غليظ كالرعد يزلزل أرجاء الدار، وقد بدت في نبرتها قوة:

= بسلق جزر.

رد المعلم حنفي بدهشة:

_ وانتي بتخيلي صوتك ليه يا ولية؟ ماتردي زي ما بكلمك!

وصوب نظره على الخضروات المصفوفة بعناية أمامه، وكأنها تحمل نجاسة بين أوراقها الخضراء، وواصل حديثه بنبرة حازمة تتخللها لمسات من الفضول:

_ وياه ده انتي عاملانا سلطة على الفطار؟

ردت أم الديب بسخرية:

= أه ياخويا عاملاك سلطة... عاجبك كُـل مش عاجبك اشرب من الترة اللي قصادنا.

رد المعلم حنفي بخوف:

_ لا وعلى ايه؟ أني ألحق نفسي قبل مايجيلي تسمم.

صعد المعلم حنفي هو الآخر إلى شقة جلال. فتعجبت هايدي حينما رأته، وقالت بشك:

= أو عى تقول إن حصلك زي ما حصلني!

أم الديب الجزء الثاني

رد المعلم حنفي بوجه عابس:

_وآني ايه عرفني باللي حصلك؟ أمك الله يكرمها عاملانا سلطة على الفطار... لا صرفت وكلفت النهاردة.

ضحكت ليالي، وقالت بشفقة:

=الله يكون في عونك يا حمايا من اللي انت شايفه.

جلس المعلم حنفي على الأريكة، ونطق بضيق:

_ده أنا شوفت، وبشوف اللي محدش شافه... الولية دي ابتلاء من عند ربنا عشان يختبر صبري، وآني استحملت ثلاثين سنة، وآني متغصب ويا عالم باقيلي قد ايه من عمري لما لسه هستحمله! خرجت نعمة من المطبخ، حاملة في يديها طبقاً مليئاً بأطيب الأطعمة التي أعدتها بإتقان، ووجهها مشرق بالسعادة، معبراً عن رضاها التام عما صنعتته:
=متقولش كده بابا...ده ربنا يطول في عمرك.

تحدثت ليالي بابتسامة:

_ربنا يخليك ليانا يا حمايا، وعقبال ماتشوف أحفادك في الزفة وتوصل تقى لعريسها كمان.

رد المعلم حنفي بحزن عميق، ويأس شديد في الحياة:

=أبوها يوصلها...ده آني كبرت، وعجزت، ورجلي مابقتش شايلاني.

نطقت ليالي بابتسامة:

_ربنا يديك الصحة يا حمايا...أقعد ارتاح بس دهانتوا هتاكلوا أكل هتحلفوا بيه طول حياتكم.

رد المعلم حنفي بمحبة:

=الله يخليكي يا ليالي.. ليالي بت جدعة.

في منزل عائلة حامد، تعجبت أم أشرف من مجيء حامد دون ابنه، كما كانوا قد اتفقوا مسبقاً على مجيئهم معاً. بينما تتأمل وجه حامد المتفاجئ، عبرت بقولها الحاد:

_مجيببتش محمد معاك ليه؟

رد حامد بإحباط:

=نعمة مرضتتش وفضلت أحور وأألفها حوارات مصدقتنيش وقالتلي رجلي على رجل ابني.

تحدثت أم أشرف بكمد:

_ليه ان شاء الله هي مش مأمنة على الواد مع أبوه؟ ليه هتاكله ولا هتخطفه؟ ده احنا اللي نخاف منها هي وأمها!

جلس حامد على الأريكة، وقال بتثبيط:

=أنا سيبتها براحتها وبعدين لو كنت خدته كان زمانها مش مبطله إتصالات، أصلك انتي متعرفيش هي بتخاف عليه ازاي!

جلست أم أشرف على الأريكة، وجسدت كل كلمة من كلامها ببرودة شديدة:

_فضها سيرة بلا نعمة بلا زفت...انت عامل ايه يا حامد؟

أجاب حامد:

=الحمدلله كله تمام.

خرجت هبة من المطبخ، وتفاجأت بوجود حامد، فابتسمت ببهجة، وقالت بترحيب:

أم الديب الجزء الثاني

_ ايه ده ازيك عامل ايه؟

نطق حامد بسرور:

=الحمد لله.

ردت هبة بفضول:

_ أمال نعمة مجاتش ليه؟

لم تمهل أم أشرف حامد للرد، بل سرعان ما نطقت بدلاً منه، قائلة بلغة تعبير جلفة:

=نعمة تعبانة!

ردت هبة بتعجب:

_ غريبة مع إن أنا مكلماها امبارح كانت كويسة يعني.

تفوه حامد بانسراح:

=لينا زيارة تانية عندكم أصلك وحشتيها وعايزة تقعد معاكي شوية.

ردت هبة:

_ تنور، مانت عارف غلاوة نعمة عندي عاملة ازاى !

رد حامد بابتسامة:

=وانتي غالية عندها دي بتعزك أوي !

جزت أم أشرف على أنيابها، وتعبير حاد قالت:

_ اطلعي ارتاحي يا هبة وأنا هشوف الأكل.

ردت هبة:

=لا يا حماتي أنا داخلة أشوف.

دخلت هبة إلى المطبخ مستمرة في تتبع الطعام الموجود على الموقد، بينما قال حامد بسخرية تامة، كأنه

ينتقدها:

_ بتحبي تريحها أوي يا حاجة.

ردت أم أشرف بنبرة حادة، منطلقة بشكل لاذع:

=هبة مرات أخوك بعترها زي بتي وأكثر.

قال حامد:

_ ربنا يزيد المحبة.

في منزل أم الديب، لم يحضر جلال بعد، وكان الجميع مجتمعين في شقة ليالي حول الطاولة، باستثناء أم

الديب التي كانت تنتظر تناول وجبة الإفطار بمفردها في شقتها. وفي هذا السياق، صرّح المعلم حنفي

بأسلوبه المعهود بتعبيراته العميقة، حيث قال ما يلي:

=بأقي قد ايه يا عيال؟

نظر حمود في الساعة، وبتأمل عميق عبّر قائلاً:

_ باقي عشر دقائق يا جدي.

تحدثت تقى بأوام :

=ماما هاتيلي أشرب !

صبت ليالي المياه الباردة في الكوب برفق، وسلمته لابنتها معبرةً بحديثها:

أم الديب الجزء الثاني

_خدي !

وواصلت مع المعلم حنفي بتضايق:

_جلال اتأخر أوي يا حمايا، أنا قلبي واكلمي عليه !

أجاب المعلم حنفي بأهكومة:

=متخافيش جلال يتخاف منه ميتخافش عليه.

ردت نعمة، وهي تحرك الملاعة أمامها بانسيابية فائقة:

_لا انتي اطمني...جلال محدش يقدر عليه غير اللي خلقه.

دخل جلال الشقة، محملاً معه كيساً من الحلويات، فأدركت ليالي الفرصة، وقالت بلهفة:

=كده يا جلال اتأخرت علينا كده ليه؟

تلفظ جلال بارهاق:

_كنت بشتريلكم شوية حاجات...دخلوها جوا!

أخذت نعمة الحلويات من أخيها ودخلت بها إلى المطبخ، حيث كانت تنتقل بين الرفوف والأدراج بحثاً عن مكان مناسب لتخزينها. وفي هذه الأثناء، أظهر المعلم حنفي فضوله الطبيعي الذي لا يُخفى، حيث نطق:

=ايه أخبار الشغل؟

جلس جلال بجانب والده، وأعرب عن أفكاره بشكل عميق:

_لا الشغل اليومين دول حاجة تمام أوي... ده يارب يفضل كده عالطول.

رد المعلم حنفي بوجه متهلل:

=أصل أنا راجل لماح جلال ميدخلش باللي في ايده ده غير وربنا كارمه.

ضحك جلال، وتفوه بافترار:

_أمال هبخل عليكم؟

وواصل، وهو ينظر حوله بفضول:

_أمال أمي فين؟

أجابت نعمة:

=أمك هتفطر لواحدها تحت.

فرح جلال عندما علم باختفاء والدته، وابتسم بفرح غامر يعكس سعادته وارتياحه في غيابها:

_أحسن برضة... جهزوا نفسكم بكرة ده أنا هاخذكم في خروجة...هنفطر برا يا عيال!

عادت نعمة من المطبخ، وجلست بجانبهم، في حين أعربت ليالي بسعادة عارمة، ونبرة صوتها تنطلق بكامل البهجة:

=بجد ياخويا؟

أجاب جلال بسعادة:

_أيوه أمال ايه؟

تلفظت ليالي بسرور:

=يخليك لينا ياخويا وميحر مناش منك.

تحدث حمود:

أم الديب الجزء الثاني

_جدي انت مش قولتلي هتجيبلي عربية لعبة؟
رد المعلم حنفي بتشتت:
=متفلقش يا ض هبقى أشوفهالك بكام وأجيبهالك.
نفوه جلال، وهو متعجب من غياب حامد، وفي كلماته تنساب لمسات الاستفهام، تعكس حيرته من
الوضع المفاجئ:
_أمال جوزك فين يا نعمة؟ مش شايفه يعني !
أجابت نعمة ببلاهة:
=معزوم عند واحد صاحبه.
ضحك جلال، وقال بمجانة:
_ارتاح منك يوم.
قالت نعمة بانفعال:
=بقى كده يا جلال؟ ليه ياخويا هو أنا بعمله ايه بس؟
رد جلال بوضوح:
_النسوان زن ووجع دماغ.

تحدثت ليالي بتعجب، وفي صوتها انعكست لمسات الدهشة، معبرة عن تساؤلاتها بكلام مغمور بالعجب:
=ايه الكلام ده يا جلال؟ انت بتلقح عليا بالكلام؟
قال جلال باستبانة:
_لا يا بت بس النسوان كلهم شبه بعض...كلامهم كتير.
ردت ليالي بانزعاج:
=رد انت يا حمايا واتكلم قوله حاجة !
ضحك المعلم حنفي، وبينما يمتدح الوضع، قال:
_لا يا ض مفيش حد كلامه كتير غير أمك ده انت مراتك، وأختك نسوان جدعة، ومتربية بتفهم في
الأصول...ده ياريت كنت اتجوزت واحدة زيهم ده أني متجوز راجل.
ردت ليالي بتأثر:
=معلش يا حمايا، ربنا مش بيدي كل حاجة.
وقف المؤذن على المنبر، وأطلق تكبيراته ببهاء، كأنها نسيم منعش يعبق برائحة الإيمان ويملاً الأفئدة
بالسكينة الروحية. وفي تلك اللحظة المهمة، كانت الأسر في القرية تنتظر استماع الأذان كما تنتظر
الأزهار عناق الشمس في صباح الربيع، وكانت ترتسم على وجوههم علامات التأمل في كلمات الأذان
التي تحمل معاني الطمأنينة، فقالت ليالي:
_كلوا بسم الله.
نطق المعلم حنفي بصوت خافت، كأنه ينبعث من داخل بؤرة عميقة من التقوى:
=اللهم لك صوتت وعلى رزقك أفطرت...بسم الله.
بدأت العائلة بتناول الطعام، أما في منزل عائلة حامد، فكانت أم أشرف تستضيف ابنها حامد، وأخيه
أشرف، وزوجة أخيه هبة، ووالدهم. قامت الأم بوضع قطعة الدجاج أمام حامد، وفي لحظة من التهكم
اللطيف قالت:
_كل يا حامد يا بني تلاقي مراتك مايتعرفش تطبخ.

أم الديب الجزء الثاني

مد حامد يده، وهو ينزع جلد قطعة الدجاج، وقال:
=مين قالك يا حاجة بس؟ نعمة بتطبخ وبدأت تطبط أكلها.
ردت أم أشرف بسخرية:
_وهي هتطلع شاطرة لمين؟ ده أمها بسمة كل الدنيا عارفه إنها ست عكاكة وبتاكل أي حاجة تيجي في طريقها.
أجابت هبة، وهي تتناول الملوخية بمتعة:
=لا يا حماتي متخافيش... نعمة، وليالي أختي صحاب، وليالي ماشاء الله بتعرف تطبخ فنعمة بتتعلم منها.
ردت أم أشرف، وهي تأكل الأرز بتركيز واضح:
_كويس ما الحاجة عندكم شاطرة عشان كدهانتوا الاتنين طالعين زيها... دي كانت تبقى مصيبة لو طلعتي زي نعمة.

تحدثت أم أشرف بثقة:
=لا يا أمي متخافيش مانتي عارفه هبة كويس.
ردت أم أشرف بابتسامة خافتة:
_هبة بتي غنية عن التعريف.
قالت هبة بابتسامة:
=حبيبتي يا ماما.
بعد مرور نصف ساعة من انتهاء المعلم حنفي من تناول طعامه وقف مكانه، وأمسك بكوب الشاي بين يديه، وبدت علامات التعب واضحة على محياه، فبان حينها أنه قد قضى يومًا شاقًا في العمل، حيث قال بمدح:
_تسلم الأيادي.
ردت ليالي:
=بالهنا، والشفا يا حمايا.
أما أم الديب، فكانت تتناول الطعام بمفردها، حيث انتهت من تناول خمسة عشر جزرة مسلوقة بنكهة ممتازة، فكانت معجبة بطعم الطهي، وعبرت عن إعجابها قائلة:
_يا سلام على الحلاوة...مش فاهمة الأكل ده مش عاجبهم في ايه؟ خليهم يتبطروا على النعمة لحد ماتغور من وشهم.
فجأة دخل المعلم حنفي إلى الشقة محملاً بالتحلية، ووجهه عابس ينبعث منه البغضاء. بدا وكأنه يحمل أعباء اليوم الطويل الذي قضاه، فنطق بترقب:
=خدي يا ولية ياكش يطمر في جنتك.
ردت أم الديب بفضول:
_ايه دهو يا راجل يا مخلع؟
أجاب المعلم حنفي بضغينة:
=تمر باللبن.

أم الديب الجزء الثاني

أحتضنت أم الديب طبق التمر المغمور بالحليب، وكأنها تحتضن ذكريات الأيام الجميلة التي مرت بها. نظرت إليه بعيون تنبعث منها عشق لا يوصف، وفي لحظة من الانسجام مع الذوق الرفيع، همست بصوت متعطش، كما يهمس الساحر بأسراره الجميلة:

_مين اللي عامله؟

رد المعلم حنفي:

=وآني ايه دراني؟ يلا السلامو عليكو.

اتجه المعلم حنفي إلى عمله فيما كانت أم الديب تتلذذ بتناول التمر بالحليب، وفي شقة جلال، قالت ليالي بصوت خافت يتغلغل في الهدوء المحيط، وهي تقترب بخجل محبوبس من زوجها:

_بقولك ايه ياخويا أوعى تجيب أمك معانا في خروجة بكرة...ده احنا بنستناها من السنة للسنة وأنا مش ناقصة أمك تبوظهالنا!

أجاب جلال، وهو يلتهم التمر بالحليب، بتعابير وجه تنم عن استرخاء مطلق، وكأنه يعيش لحظة من النعيم في غمرة النكهات اللذيذة التي تمتزج في فمه:
=مينفعش تقعد لواحدها يا ليالي...يعني كلنا نخرج وهي قاعدة في البيت لواحدها؟ ده بسببك هتعملنا فيلم دراما.

ردت ليالي باستشاطة:

_ده ايه الحظ المنيل ده؟ هو يعني إيما تيجي معانا وتبوظلنا أم الخروجة، إيما تعملنا مشكلة عشان مجاتش معانا؟

تحدث جلال، وهو يحتسي الحليب من الطبق بتركيز يشبه تركيز الفنان أمام لوحته، حيث ينغمس في كل قطرة تملأ فمه بالذادة:

=كبري دماغك منها اعتبريها مش موجوده يا ليالي.

تفوهت ليالي بسخط:

_ماتسببها لواحدها هي يعني العفريت هياكلها؟ أمك ميتخافش عليها دي يتخاف منها.

رد جلال بلا مبالاة:

=تلاشبيها خالص، ولا كأنها قدامك.

قالت ليالي بامتعاض:

_برضة اللي فيك فيك مش هتغيره!

خرجت نعمة من المطبخ، وأبدت على وجهها بسمه تعكس رضاها بالطعام الذي أعدته، وبينما تلمع عيناها ببريق الاعتزاز، قالت بصوت ينم عن الاستعجال:

=أنا نازلة مشوار على السريع.

ردت ليالي:

_ماشني يا نعمة، خدي بالك من نفسك!

قالت نعمة بابتسامة:

=حاضر يا ليالي، يلا سلام.

تفوهت ليالي ببشاشة:

_مع السلامة.

أم الديب الجزء الثاني

فيما خرجت هايدي، ونعمة مع ابنها من الشقة، أغلقوا الباب وراءهم. أما ليالي، فدخلت غرفتها لتأخذ قسطاً من الراحة بعدما غسلت الأطباق ورتبت المطبخ. بينما دخلت هايدي شقة أم الديب. انطلقت نعمة برفقة ابنها في طريقهما لشراء حجاب جديد، وفي منتصف الطريق، بادرت نعمة بالقول لابنها بصوت ينم عن الاهتمام العميق:

=هنروح نسلم على ستك ومرات عمك.

رد محمد بألم:

_أنا مزنوق ياما.

نطقت نعمة، وهي تسير بطفلها في الطريق:

=أدخل عند ستك... احنا قربنا أهو... بس مش عايزين نطول علشان لما أبوك يرجع البيت يلاقينا

وميقفش، بس لو اتأخرنا شوية هرن عليه أعرفه.

وصلت نعمة إلى منزل عائلة زوجها، وطرقت الباب، ففتح لها حماها الباب بينما يتألق وجهه بابتسامة تعبيرية. ابتسمت نعمة بودّ، وقالت:

_ازيك يا حمايا؟

رد عبد الغني بإباء:

=يا أهلاً وسهلاً... خشي انتي ومحمد عقبال ما أصلي، وأرجع.

قالت نعمة بابتسامة:

_ماشي يا حمايا.

خرج عبد الغني من المنزل لقضاء الصلاة في المسجد القريب منهم، وفي غيابه، واصلت نعمة حديثها وهي تحتفظ بالسكينة في صوتها:

_أدخل يا محمد.

دخلت نعمة، وتقدمت لتحية حماتها، إلا أنها وجدت حامد متجلجلاً يجلس في الصلاة. عزم زوجها على الوقوف فوراً، وبادر بتعبيراته المذهولة، وتملكت وجهه التعبيرات التي تنم عن التوتر بعد لحظات من الصمت المحموم، نطق قائلاً بصوت ينطلق من داخله بكل تردد:

=انتي ايه جابك هنا يا نعمة؟

يتبع.....

الفصل السادس عشر

لم يكن في حسابان نعمة على الإطلاق أن تجد زوجها في منزل حماتها، فقد كانت متأكدة أنه لن يكون هناك، ولكن عندما رأت وجهه المألوف جالساً في تلك الصالة المليئة بالذكريات، شعرت بصاعقة الدهشة تتخلل كيائها بالكامل. تملكته شكوك خبيثة مزعجة تسللت إلى قلبها لتورق هدوءه؛ إذ كيف يمكن له أن يكون هنا بعدما ادعى عليها بالكذب؟ كل هذه الأفكار تنازعت في ذهنها حين قالت له باستفهام: _ أنت اللي بتعمل ايه هنا؟ انت مش قولتلي إنك معزوم عند واحد صاحبك؟
أجاب حامد بتلعثم:

= لا يا نعمة مانا بعد ماخلصت قولت أعود على أمي أسلم عليها.
رفعت نعمة حاجبها في استنكار واضح، وعينيها تشعان بمزيج من الدهشة، والاستياء، وردت بصوت يحمل في طياته نبرة الارتياب:
_ أه ياخويا بحسب.

اقتربت نعمة بخطوات وثيدة من حماتها، مدفوعة بالمودة، وعندما وصلت إليها، فتحت ذراعيها وعانقتها بحرارة. ثم قالت بصوت ناعم تغلب عليه نبرة حزن مكتوم:
_ ازيك يا حماتي؟ وحشاني!
تفوهت أم أشرف بوجه متجهم يشع منه رفض واضح، وعينيها تتفادى التواصل المباشر مع نعمة، قائلة بنبرة جافة تفتقر إلى الدفء:
= يا أهلاً.

نظرت أم أشرف إلى حفيدها بعينين تفيض حناناً، واقتربت منه بخطوات بطيئة لكنها مغمورة بالحب، ثم انحنت لتقبله على جبينه برفق قائلة:
= ازيك يا محمد؟

حينما نزلت هبة من شقتها، لم تكن تتوقع أن ترى نعمة تنتظر عند الصالة، فتملكتها مفاجأة سارة دفعتها للإسراع نحوها. اقتربت منها وفتحت ذراعيها لتعانقها بود، قائلة بصوت مفعم بالاشتياق:
_ ازيك يا نعمة؟ ليكي واحشة... أنا مش مصدقة إنك جيتي.
بادلتها نعمة العناق بحرارة، محاولة أن تخفي ما بداخلها من اضطراب، ثم قالت بحب:
= أنا كنت رايحة أشترى شوية حاجات قولت أعدي أسلم عليكم.

رد حامد بقلق واضح في عينيه، وصوته يخرج متوتراً:
_ طب ماتقعدي يا نعومي !

جلست نعمة على الأريكة تحتضن ابنها بحنان، بينما جلست أم أشرف وهبة على الجهة المقابلة، تراقبان المشهد بصمت. شعرت هبة بضرورة التعبير عن مشاعرهما، فنظرت إلى نعمة بعينين مملوءتين بالتقدير، وقالت بدفء:
= عاملة ايه يا نعمة؟ طمنيبي عليكي !
ردت نعمة بابتسامة محبة، تعكس امتنانها لهبة، ولل كلمات الرقيقة التي قالتها، معبرة برجاحة:
_ الحمد لله... انتي عاملة ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

نطقت هبة ببشاشة:

=بخير.

فجأة دون أي مقدمات قالت أم أشرف بنبرة حادة:

_هنفضل في وصلة السلامة دي كتير ولا ايه؟ ماتلعي شفتك يا هبة ارتاحي ده انتي من الصبح وانتي تعبانة مرة في المطبخ، ومرة تمسحي، وتكنسي وأنا يا بتي مش عاوزة أتعبك كفاية عليكي كده النهاردة !

رفعت نعمة حاجبها، وتفحصت حركات أم أشرف الاصطناعية عن قصد، وعبرت بدهشة:

=في ايه يا أم أشرف هي كانت اشتكيتلك ولا اتكلمت؟ ماهي قاعدة معايا شوية، ولا انتي بتعملي كده علشان أمشي؟

أجابت أم أشرف بصوت حاد، كأنها تتطلق بصاعقة:

_انتي هتقوليني كلام مقولتوش ولا ايه؟

ردت هبة:

=خلاص يا ماما أنا هطلع بس هاخذ نعمة معايا.

فجأة، تجمدت نعمة في مكانها، وخرج صوتها محملاً بالانزعاج:

_لا اطلعي لواحدك أنا كده كده ماشية.

ثم أمسكت بيد ابنها بثبات، وواصلت بقولها:

_يلا يا محمد !

خرجت نعمة من دارهم وهي تبكي، وكان نهرًا من الدموع يتدفق من عينيها، وذلك بسبب كراهية حمايتها الشديدة لها، وفي حين كانت تعاني من هذا الألم العميق، لم تتأثر أم أشرف بما قيل لها، بل ظلت صامدة كالصخرة أمام الصدمة التي تعرضت لها زوجة ابنها. وكان حامد، زوج نعمة، يتبعها بشكل متواصل، يصرخ باسمها، ولكنها لم تكثر لذلك بأي شكل:

=اصبري يا نعمة هنروح مع بعض !

وقفت أم أشرف مكانها، وهمست بسخرية:

_مع ألف سلامة.

بادر حامد بالجري نحو زوجته، وابنه، وأعلن بصوت مُتسارع:

=ماتستني يا نعمة انتي بتجري ليه؟

لكن نعمة كانت تنتحب في صمت، حيث تكتفي بتذرعها الحزينة، وفي هذا الوقت، عاد حامد ليكرر حديثه من جديد، كما لو كان النهر الجاري يندفع من بين شفتيه، قائلاً:

_الله... جرا ايه يا نعمة ما تصبري شوية!

بقدر ما كان حامد يتحدث مع نعمة وهي تتجنبه، واصلت خطواتها حتى وصلت إلى شقة أم الديب، ودخلت بسُخْط مشتعل. كانت أم الديب تتناول وجبة العشاء للمرة الثانية، وفجأة انفجرت في وجه والدتها بغضب منقد، قائلة بعتاب:

=ليه كده ياما ليه؟

قالت أم الديب بتعجب:

_هو ايه اللي ليه يا بت؟ انتي بتتكلمي عن ايه؟ حد فيكم يفهمني!

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة بعجيج:

=ليه ياما متفتيش ربنا في ليالي وعاملتيها إنها بتك وواحدة مننا؟ عاجبك دلوقتي وبتك بتدفع التمن غالي؟ زي ماعلمتي في ليالي أنا بيتعمل فيا... كنت صابرة، وساكنة وبقول بلاش تتكلمي يا نعمة ده انتي طيبة وقلبك أبيض متزعلش حد منك.. لكن ليه؟ أنا عملتلها ايه عشان تعاملني المعاملة دي؟ ده أنا بقيت أشوف الكرة في عينيها، من كتر كرهها ليا مابقتش قادرة تخبي ولا حتى تجمل من نفسها شوية. استقويتي على الغريبة، وجيتي عليها، ونسيتي إن ربنا موجود وهي جيب حقها... بس جاب حقها من مين؟ من بتك أعلى الناس ليكي !

نهضت أم الديب مكانها، وهمست بتعجب ملحوظ في صوتها:

_ ايهي مالك يا بت زي الحنفية اللي اتفتحت؟

ونظرت لحامد، ثم أردفت بذهول:

_ حصل ايه يا ولا؟

نطق حامد بملامح مُضطربة:

=انتي فاهمة غلط يا نعمة، أنا أمي متقصدش هي بس ك...-

بترت نعمة حديثه قبل أن يكمله، وصاحت بصوت مرتفع:

_ أسكت يا حامد، نقطنا بسكاتك ياخويا !

وأردفت بجلبة لوالدتها، معبرة عن امتعاضها:

_ أنا كرهت نفسي بسببك ياما... كل الناس بتكرهك، ومحدش بيحبك حتى عيالك بينفروا منك بسبب

عمايك، بقيت أتكسف أقول إنك أمي !

صعدت نعمة إلى شقتها كالصاروخ المنطلق في الفضاء، وزوجها حامد خلفها يلاحقها بسرعة، ويناديها

بنبرة حثيثة قائلاً:

=استني يا نعمة!

صدمت أم الديب بما قالته لها ابنتها، وعبرت عن دهشتها بتلك الكلمات، قائلة:

_ ايهي هو آني دخلت فيلم ولا مسلسل؟ ايه الكلام الكبير اللي البت بتقولهولي ده؟ البت بتستعر مني... يا

مصيبتني!

بعد أن دخلت نعمة، وابنها، وزوجها شقتهم بعجلة، انقضت نحو غرفتها، وما زال زوجها يلاحقها

بنظرات متلهفة، مثلما يفعل الرّجال الشغوف أول يوم رؤيته لما يرغب في استكشافه:

=وربنا أمي ماتقصد انتي فاهمة غلط !

ردت نعمة بصياح:

_ امشي من وشي يا حامد !

أوصدت نعمة باب الغرفة بقوة، وصدى بكائها الصاخب يملأ الأجواء، بينما كان زوجها يطرق الباب

بحرارة، صوته يتسلل خلف الأبواب كالموسيقى التي تحاول إيصال دعوته إليها، كشغف مؤمن بقدرته

على إعادة السلام إلى قلبها المضطرب، وهو يقول:

=افتحي يا نعومي متعمليش في نفسك كده !

كانت نعمة تحادث نفسها في داخلها، قائلة بحسرة:

أم الديب الجزء الثاني

_أذيتينا زمان ولسه بتأذينا ياما...خليتي وشنا في الأرض من عمايلك...مخوفتيش من ربنا ولا خوفتي علينا من عقابه، وأهو جه اليوم اللي أنا دفعت فيه التمن غالي.
عندما أدرك حامد أنه لا جدوى من رد زوجته عليه، قرر الذهاب إلى شقة ليالي المظلمة حيث طرق بابها بأصابع مرتعشة، كأنه ينقر على أوتار قلبه المتشنت. وعندما فتحت له، كانت تشعر بأن هناك شيئاً يحدث، كموجة متلاطمة من التوتر تتلاطم في أعماقها، فراحت تقول:
=في ايه؟

رد حامد باستياء:

_نعمة عمالة تعيط على آخرها يا ليالي، وقفلت على نفسها ومش عايزة تفتح.
صعقت ليالي عندما علمت بشجن نعمة، فمرت الكلمات بشفتيها كسراجٍ ضعيفٍ يحاول إخفاء ليلٍ ساحقٍ، وقالت بخوف متردد:

=ليه؟ ايه اللي جرا؟

أجاب حامد ببهتان:

_اتخانقت مع حماتي.

نطقت ليالي برهبة:

=يارب جيب العواقب سليمة.

دخلت ليالي غرفة أبنائها، ووقفت لحظة تفكر فيما ستقوله، ثم بدأت تتحدث بنبرةٍ ترتجف قليلاً:

=واد يا حمود خد بالك من أختك أنا هطلع أشوف عمك مالها ونازلة !

رد حمود:

_ماشى.

صعدت ليالي عقب حامد على درج المنزل، وكانت كل خطوة تجعلها تشعر بالثقل الذي يعترى قلبها المضطرب. وصلوا إلى شقة نعمة، ودخلوها بحذر، ووقفوا أمام باب غرفتها الذي كان يبدو كحاجز بينهم، وبين مشاعرها الداخلة. بعد لحظات من الصمت، قالت ليالي بهدوء مترقب:

=افتحي يا نعمة افتحي...مالك ياختي ايه اللي حصل؟

وأردفت لحامد:

=دي كانت نازلة كويسة، وزى الفل.

تحدث حامد بصوت عالٍ وهو يطالب بإعادة انتباه زوجته نعمة:

_افتحي يا نعمة...ليالي جاية تظمن عليكى.

أطلقت نعمة الباب واحتضنت صديقتها ليالي بحرارة، فقالت ليالي بدهشة:

=مالك يا نعمة؟

تحدثت نعمة بانتحاب، وصدى صوتها ينعكس في الغرفة كالنغمة المؤثرة في سيمفونية الألم، وهي تطلب مسامحة ليالي لهم، بكلمات مؤثرة تحمل في طياتها الندم:

_حقك عليا يا ليالي...أمي لو عملت أي حاجة وحشة هاتيها فيا أنا، هي متقصدش أنا أمي طيبة بس

ساعات يبطلع منها عمايل تخنق وتزعج...سامحيني يا ليالي!

قالت ليالي بتساؤل:

=طيب ماتفهميني ايه اللي حصل!

أم الديب الجزء الثاني

تحدث حامد:

_ أمي بتحبك يا نعمة... انتي فاهمة غلط.

نفو هت ليالي بدهشة:

= ماتتكلموا يا جماعة بدل مانا زي الأطرش في الزفة كده!

في منزل عم سلامة، عاد صابر إلى عائلته بعد يوم شاق، حيث كانوا يجلسون سويًا في بهو المنزل، يرتقبون عودته بشغف وانتظار. وفي لحظة لمعان الفرحة على وجه الوالدة، أرادت تباهي أن تطمئن على ولدها الوحيد، فقالت حديث ينبض بالهواجس، وكأنها تسرد قصة قلق عميقة من خلال كلماتها:

_ انت كويس يا بني؟

تنهد صابر، وقال بهدوء:

= الحمد لله... أنا كنت بكذب عينيًا ياما لما شوفت جلال بشحمه، ولحمه واقف قدامي، وبيهجم على البيت هو وخاله... ده بياكل أختي من فلوس حرام... ياما ضايع ده من ساعة مانا وعيت على الدنيا وبلدنا واللي حوالها عارفين إنه مسجل خطر، وقتال قتله.

ثم واصل بصدمة:

= أنا بعد ماشوفته قدامي قولت بس، أنا حاجة من الاتنين يا هتقتل في البيت، يا هتقتل في الشارع!

ضربت تباهي يديها الاتنين على وجهها، وقالت بنواح يملأ الغرفة وكأنه يترنح بين جدرانها:

_ أسكت بعد الشر عليك... يارب اللي يكرهك يا ضنايا، كان يوم أغبر يوم ما ناسبناهم ومن يومها واحنا كل يوم في حرقة دم.

قال عم سلامة بحكمة:

= بتك مينفعش تطلق دي معاها عيلين.

ردت أم ليالي بخوف:

= بعد الشر يا سلامة... أنا بتي متطلقش وتشمتم فينا الأعداء... جلال عايزله واقفة احنا عايزينه يمشي جنب الحيط.

نطق عم سلامة باستسلام:

_ هنعمل ايه؟ آدي الله وآدي حكمته.

في منزل أم قمر الدين، بعدما استمتعت بوجبة الإفطار المليئة بالحب مع ابنتيها اللتين تنثران الضحكات كالنسيم، وقمر الدين الذي كان ينظر إليهما بعيون ممتلئة بالفرح، وعلاء الدين الذي كان يتذوق كل لحظة بلهو الشباب، استدعت الخادمة التي دخلت بخطى خفيفة ووقفت أمامها، وقالت لها بصوت ينبض بالاهتمام:

= توليناز جهزي المكسرات، والفاكهة في الجنية!

ردت الخادمة:

_ حاضر ست هانم.

نهض باسم من على كرسي الطاولة بحركة سريعة، وعلى وجهه عبارة من الاستعداد للخطوة التالية،

حيث تجلى في عينيه بريق القرار، وقال:

= أنا مش هقدر أكل حاجة تاني.

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ خلاص يا حبيبي منين ماتحب.

أم الديب الجزء الثاني

تلقي باسم مكالمة هاتفية فور جلوسه على الأريكة، وقد انعكس الانتباه على وجهه، واستجاب للمكالمة بسرعة، وقال باكتراث:

=ألو يا حسام أخبارك ايه؟

رد حسام مدير أعماله:

_ الحمد لله يا باسم باشا خلاص ان شاء الله افتتاح القناة ليلة وقفة العيد.

انبسطت الابتسامة على وجهه باسم، ولمعت عيناه ببريق من السرور، ثم قال بلهجة متفائلة:

=تمام يا حبيبي تسلمني... كل سنة وانت طيب.

رد حسام بابتسامة:

_ وحضرتك طيب.

استقام علاء الدين مكانه بنظرة متعجلة تعبر عن استعداده للانضمام إلى صُحبته، ثم قال بصوتٍ

متحمسٍ:

=مامي أنا خارج، عايزة حاجة؟

نفوخت أم قمر الدين بشجب:

_ يا بني حرام عليك من أول يوم رمضان وانت كل يوم بعد الفطار بتخرج مبلحّش تقعد مع بعض!

رد علاء الدين بابتسامة:

=خلاص يا حبيبي أنا هقعد علشانك خصوصاً لو دي حاجه بتدايقك.

نطقت أم قمر الدين بفطنة:

_ لا يا علاء أنا مش قصدي أقيد حرّيتك! أنا بس برتاح وانتوا حواليا!

أجاب علاء الدين ببشاشة:

=لا خلاص أنا قاعد معاكي يا حبيبي.

تحدث باسم مع الجميع بحماس، مشاركاً أفكاره وآرائه بطريقة تتم عن تفاعله الإيجابي، واهتمامه العميق بالمحادثة:

_ عندي ليكم خير حلو.

رد الجميع في صوت واحد بتعبيرات متفاوتة من الاهتمام:

=ايه هو؟

وقف باسم إزاء أفراد أسرته، ووجهه ينبض بالسعادة، متوقعاً ردود أفعالهم المبهجة، وقال:

_ افتتاح القناة ليلة وقفة العيد.

عانقت أم قمر الدين زوجها من سعادتها بنجاحه، وبينما تستمتع بلحظة الفرح، قالت بصوت يحجبه

الفخر:

=ألف مبروك يا حبيبي.

عانق قمر الدين والده، وقال بسرور:

_ مبروك يا بابا وعقبال ماتحقق نجاحات أكثر وأكثر.

تحدثت منى، ونالا بفرح:

=مبروك يا بابي.

أم الديب الجزء الثاني

رد باسم بسعادة غامرة:

_الله يبارك فيكم.

في مسكن أم الديب، كانت جالسة على الأريكة، وما زالت تعانق الصدمة العميقة التي سببها لها حديث نعمة، حيث تجلى على وجهها مزيج من الحزن، والدهشة الشديدة. انطلقت كلماتها الكامدة بنبرة تتراقص كالبرق في السماء، تعبيرًا عن تلك العواطف المتضاربة، قائلة بانزعاج:

=البت بتتكسف مني بعد ماريبتها وكبرتها وبقيت عروسة، واتجوزت، وخلفت وأنا شايلها على راسي، نسيت كل ده وبقيت تستعر مني؟ يا مصيبيتي يآني، مين اللي لعب في دماغها؟ أيوه تلاقىها ليالي هي اللي لعبت في دماغها ماهي بتكرهني، وعاوزة تكره كل الناس فيا.

صمتت أم الديب قليلًا، وواصلت دهشة، حيث بدت عباراتها كما لو كانت تتساقط ببطء من شفيتها:

=بس ازاي والبت نازلة قدام مني كويسة وراجعة متعفرتة ومش على بعضها؟ يبقى أم ليالي...أيوه هي أم ليالي مفيش غيرها.

دخلت هايدي الشقة بعد أن استمعت لحديث أم الديب مع نفسها، ووقفت تتأمل في الغرفة كمن يقرأ قصة معقدة ومليئة بالتشويق. ثم قالت بتعجب يتخلله الدهشة، كأنها تتأمل لغزًا لم تكن تعرف الجواب عليه:

_انتي بتكلمي نفسك؟

ردت أم الديب بحدة:

=كنتي فين يا بت؟

قالت هايدي بترقب:

_كنت على السطح بشم شوية هوا.

لم تلتفت أم الديب لحديث هايدي، فقط كانت تتذكر حديث نعمة لها كموجات عاتية تجتاح شاطئ عقلها، كل كلمة منه كانت كعصا حديدية تغرز في خلايا مخها وتثير فيها عواصف من الشكوك، وصاحت بأعلى ما فيها، صوتها يعلو كالرعد، قائلة بلحن من الحزن المتزايد:

=يا خرابي عليا العيال بيكرهوني حتى جوزي اللي ما يتسمى مايبحبنيش، ومش طايقني...يا بختك المايل في عيالك يا أم الديب...يا خراب بيتك يا أم الديب!

ضحكت هايدي على نواح أم الديب، وكانت ابتسامتها تنطلق كالشمس في صباح مشرق، ثم قالت بسخرية طافحة بالاستهجان:

_أنا بجد مستغرباكي أوي يا ماما!. انتي مش هتبطلي تسمعي مسلسلات بقي؟ ده انتي كل يومين تطلعينا بفيلم شكل!

غضبت أم الديب من استخفاف هايدي بمشاعرها فاندفعت إليها كالعاصفة، وتمسكت بشعرها بقوة مطحنة، وهي تهزمها بقوة قاهرة قائلة:

=تعاليلي يا بت الكلب...بقي بتضحكي على أمك بدل ماتواسيها؟

صرخت هايدي صراخ حار، قائلة بألم:

_أه شعري !

دخل المعلم حنفي إلى ساحة معركة أم الديب، وهايدي الفتاة، حيث اندلع الشجار كالنيران، وبينما كانت يد أم الديب تلتفت حول شعر هايدي، استطاع معلم حنفي ببراعة فائقة أن يحرر شعر ابنته من قبضة يد أم الديب فقال بصياح:

=ايه ده يا ولية؟ انتي اتعبطتي في مخك ولا ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

نهضت هايدي، واختبأت خلف والدها بحذر. صوتها يعبر بشكل تعبيرى عن حاجتها الملحة إلى المساعدة. تطلب من والدها أن يمد لها يد العون في هذه اللحظة:

_ أنا كرهتك انتي مابترحميش حد، ولا عندك رحمة، ولا عمري حسيت معاكي بحنان الأم !
دخلت هايدي غرفتها، وأغلقت الباب على نفسها، فانفجر صوت المعلم حنفي بصياح يحمل نبرة السخط:
=عاجبك كده أهو محدش طايق خلقتك، لسانك زفر وايدك طويلة، مانتى ولىة لبط هتطلعي عدلة لمين؟
خرج المعلم حنفي من المنزل وهو حانق أما في منزل أم أشرف كانت هبة تأنب سريرة حماتها، وتلومها على ما فعلته مع نعمة حيث قالت بتأثر:
_ مكنش له لزوم تتكلمي معاها كده !

ردت أم أشرف بقلب قاسٍ:

=أنا لحد دلوقتي مش موافقة على الجوازة دي وياريت ابني يطلقها ونخلص!
قالت هبة باستياء:

_ نعمة طيبة متاخديهاش بذنب أمها!

نطق أم أشرف، وقد تجمدت ملامحها وتصلبت نظراتها، بقلب يملؤه الجفاء، قائلة:
=كفاية بس إنها من ريحتها.

تنهدت هبة بعمق، وكأنها تحاول تنفيس ثقل الأفكار المتراكمة في ذهنها، ثم قالت بوضوح:
_ هو بصراحة محدش في أهل البلد بيحب أم الديب، بس نعمة بتها طيبة، ومخدتش منها أي حاجة... غيري معاملتك معاها يا ماما، أنا حاسة إن نعمة مجروحة من اللي حصل.

ردت أم أشرف بفظاظة:

=تتجرح، ولا تولع ولا يشغلني، احنا كنا خدنا منها ايه؟

وقفت هبة ببطء، وكان وزن الجوى الذي يثقل قلبها انعكس على حركاتها، وقالت بنبرة حزينة مليئة بالشجن:

_ ربنا يهدي الجميع يا ماما.

نطق أم أشرف:

=يارب.

ردت هبة بابتسامة خافتة:

_ أنا هطلع.. تصبحي على خير.

أجابت أم أشرف، وعيناها تلمعان ببرود يخفي وراءه الكثير من المشاعر المكبوتة، قائلة:
=وانتي من أهله.

صعدت هبة إلى شقتها برفقة ابنتها في حين كانت ليالي تجلس مع نعمة على سرير غرفتها . بينما تواسيها، تتجلى ليالي بوصفها القلب الحنون، والطيب الذي ينبض بالرعاية تجاه نعمة. وفي تقاطع العواطف. حيث تظهر الصداقة بأرقى صورها، أعلنت بأنها أقرب إلى نعمة من هايدي. وبينما تصف معاملتها مع أم الديب بأنها كالتعامل مع الثعلب المكار، ظهرت قوة شخصيتها في التعامل العادل، والمنطقي حسب معاملة الآخرين لها، فقالت:

أم الديب الجزء الثاني

_سيبك من أمك خالص، المهم انتي يا نعمة... ده أنا بعترك أختي ده انتي أقرب ليا منها على الأقل كل يوم في وش بعض... أنا لو هاخذك بذنب أمك يبقى مش هتعامل معاكي تاني، وبعدين أم أشرف طبعها صعب.

ثم نظرت لحامد نظرة تعكس ارتباكها، وواصلت حديثها بصوت خافت يغمره الإحراج:
_ لا مؤاخذة يعني يا حامد.

رد حامد بتفان:

=أنا أمي طبعها ولا صعب ولا حاجة هي بس مكنتش موافقة على الجواز فاحنا ناخدها براحة لحد ماترضى عننا.

وضعت ليالي يدها برفق على فخذ نعمة، محاولة أن تبعث في قلبها بعضًا من الطمأنينة، ثم قالت بهدوء مفعم بالتعاطف:

_ اكسبها يا نعمة، وخليها في صفك، وصدقيني هتحبك !

تفوهت نعمة بأسى:

=ولا هكسبها، ولا هخسرها، هي مابتحبنيش ومش عاوزاني يبقى ليه أخليها تشوف وشي؟ ده من خرج من داره اتقل مقداره... فخليني في بيتي معززة مكرمة يا ليالي.

تحدثت ليالي بابتسامه:

_ ماتروح يا حامد تعملنا كوبايتين شاي حلوين من إيدك !

رد حامد ببشاشة:

=من عينيا... كام معلقة سكر؟

تحدثت ليالي بابتسامه دافئة، تتسلل منها مشاعر الود، قائلة بكلمات مليئة بالحيوية:

_ حظلي تلاتة.

نطق حامد بابتسامه:

=دهانتوا تؤمروا.

غادر حامد الغرفة بخطوات هادئة، متجهًا نحو المطبخ لصنع الشاي، وما إن اختفى حتى انفتحت أبواب الحوار على مصراعها بين ليالي ونعمة، حيث بدأت ليالي تتحدث بحرية متزايدة، قائلة بنبرة حيوية:

_ صدقيني يا نعمة مهما الواحد يلف، ويشوف مش هيشوف أصعب من أمك... أمك ملهاش مثيل.

ردت نعمة بامتعاض:

=وأنا ذنبي ايه يطلع عليا اللي أمي بتعمله في الناس؟

ضحكت ليالي بمرح واضح، وتلألأت عينها بلمعان السرور، ثم قالت بتفاؤل:

_ سيبك من أمك، وروقي دمك ده احنا في أيام مُفترجة... قومي ياختي صلي ركعتين وادعي ربنا

يهديها، وبعدين ده جلال مجهزلنا بكرا خروجة جامدة .

أجابت نعمة برفض:

=مش عاوزة أروح في حنة... مليش نفس!

ردت ليالي بحسم يصف قوة إصرارها، مما يبرز ثققتها في موقفها، وقناعتها العميقة:

_ لا هتروحي، هي الخروجة تبقى خروجة من غيرك؟

ازداد تعلق ليالي في قلب نعمة، وتيقنت من أن أختها اختار الزوجة المثالية لها، فأجابت بكل حب:

أم الديب الجزء الثاني

=ربنا يخليكي ليا يا ليالي ربنا العالم بحبك ازاي !

عانقت ليالي نعمة، وقالت بصباغة:

_ويخليكي ليا يا نعمة ياختي.

في اليوم الثاني، وعند الساعة الثالثة عصرًا، جهزت العائلة تجهيزاتها للسفر بحماس، فقال جلال بنبرة مليئة بالقسوة لزوجته وأبنائه:

=يلا خلصوا أنا هستناكم في العربية تحت محدش يتأخر ألا وربنا أطلع بالعربية، وماهستنى حد فيكم!
ردت ليالي، وهي تلف الحجاب بحركات متأنية، تشرح تفانيها في تحضيراتها الشخصية:
_لا متخافش عشر دقائق بالكثير ونخلص.

تلفظ جلال بإسراع:

=تمام... يلا سلامو عليكمو.

ردت ليالي بانشغال:

_وعليكم السلام.

نزلت نعمة وابنها من شقتهم بعد أن جهزوا، ودخلوا شقة ليالي. عندما رأتهم، أرادت ليالي أن توصيها ببعض النصائح، فبدأت بلطف:

=أمانة عليكى ماتشدي مع أمك وكبري دماغك منها!

لكن نعمة لم تجرؤ على النظر في وجه أم الديب، فقالت بتحفظ:

_أنا مقفولة منها، ومش قادرة أبص في وشها.

ردت ليالي:

=معلش هنقول ايه بقى؟ هي اللي اضطرتك لكده.

بينما في الشارع، كان جلال جاهزًا برفقة المعلم حنفي، وحامد، وبعد دقائق نزلت أم الديب متبوعة بابنتها هايدي، وبعدهما اتبعتهن نعمة وليالي مع أطفالهما. اكتملت العائلة، وركبوا السيارة معًا، حيث أدار جلال مفتاح السيارة بسعادة متناغمة، معبرًا بابتسامة:

_توكلنا على الله... ده أنا هوديكم في مكان الناس بتجيله من آخر الدنيا.

قال حمود بفضول:

=هنفطر ايه ياابا؟

ضحك جلال بابتسامة واسعة تملأ وجهه، ثم قال بهزل:

_فول، وطعمية.

رد حامد بصدمة:

=انت منزلنا مخصوص عشان ناكل فول، وطعمية؟

نطق جلال، وهو يقود السيارة بثقة:

_معاك كام؟

أجاب حامد بشظف:

=متين جنيه بالتمام، والكمال.

رد جلال بابتسامة عريضة، معبرًا عن فرحته بكلمات قليلة:

=خلاص هتاكلوا أحلى كفتة مشوية.

تحدثت هايدي بنفور:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنا مبحبش الكفتة.

رد جلال باختناق:

= لا ده انتي كده سكتك غيرنا وهنتعيبنا... ماتشوفي حل مع بتك ياما!

نطقت أم الديب بإذعان:

_ أعملها ايه؟ أهي مش عاجبها حاجة.

تفوهت هايدي بتمني:

= أنا عايزة مكرونة، وهدفع من معايا.

رد جلال:

_ إذا كان كده تمام.

أضربت نعمة، وليالي عن الحديث مع أم الديب، وظلوا صامتين حتى وصلوا بعد مرور ساعتين

ونصف. عندما توقف جلال عن القيادة، فصل محرك السيارة، وبينما يشعر باللهفة، قال بحماس:

= يلا انزلوا !

فتح المعلم حنفي باب السيارة بإقدام، وعبر عن تشوقه بكلماته:

_ يا مسهل الحال يارب.

نزلت العائلة برمتها من السيارة، واستقروا في مطعم شعبي، حيث امتزجت رائحة الأكلات التقليدية

لترسم لوحة تشويقية في الهواء. كانت هايدي تتخيل مطعمًا معقولاً نوعًا ما، لكنها واجهت العصيان

المعلقة، والكوارع أمام المطعم، وبينما هي تلمح هذا المشهد بصدمة، لاحظت باشمئزاز التشوهات التي

لا تليق بالبيئة المحيطة:

= ايه ده؟ أنا لا يمكن أكل هنا!

لكن المعلم حنفي كان منبهراً بذلك المشهد الذي يرضي نوقه، فأعرب عن إعجابه قائلاً بانبهار:

_ الله يكرمك يا جلال ويرضى عنك.

تحدثت ليالي مع نعمة بسعادة:

= ايه رأيك يا نعمة؟

أجابت نعمة بإحباط:

_ انتي عارفة رأيي أهو أي حاجة وخلص.

تحدث جلال بسعادة بالغة خصوصاً لأنه كان من الأشخاص الذين اختاروا المكان بدقة، وتمحور:

= ده مسمط إنما ايه بيعمل شوية حاجات عنب.

تحدثت هايدي باشمئزاز:

_ أنا عايزة مكرونة مش القرف اللي بيتعمل ده.

رد جلال بغلاظة صوت:

= مابقولك ايه يا بت! اتهدى كده، وخلي اليوم يعدي!

نظرت هايدي لوالدها بعبوس، وقالت بانزعاج:

_ ماتقول حاجة يا بابا... أنا مبحبش الأكل ده!

رد المعلم حنفي بمسألمة:

= خلاص يا هايدي روجي اشترى اللي انتي عايزاه.

ذهبت هايدي إلى نعمة، ونظرت إليها بابتسامة دافئة وقالت:

أم الديب الجزء الثاني

_تعالى معايا يا نعمة.

ردت نعمة بغم:

=طيب.

كانت نعمة ترى الحياة كشاشة سوداء منذ ليلة أمس، ولكنها قررت مرافقة هايدي لاختيار طعامها المفضل من مطعم آخر، بينما اجتمعت بقية العائلة حول الطاولة، وفي هذه اللحظة البهيجة، كان المعلم حنفي يستمتع بسحر الأجواء الرمضانية المليئة بالأنوار حولهم، فقال بابتسامة ود:
_بس الأجواء جميلة... الواحد ميحسش بطعم رمضان غير لما يجي الأماكن دي.
بينما كان جلال منشغلاً بتصفح قائمة الطعام، قال بتركيز:

=أيوه بابا... هتاكل ايه؟

رد المعلم حنفي باشتهاء:

_هاتلي كوارع، وكرشة، ولحمة راس.

قال جلال بابتسامة:

=يا سلام بابا ده انت مزاجك عالي.

وأردف لوالدته:

=وانتي ياما عايزة ايه؟

تفوهت أم الديب بوجه عابس:

_هات اللي تحببه.

رد جلال بتعجب:

=غريبة يعني ياما ساكنة من ساعة ماركبنا العربية ودي مش عوايدك، ده احنا مش متعودين منك على كده!

ضحك المعلم حنفي ضحكة عفوية، ثم قال بسخرية في صوته:

_أمك عامله ريجيم من ناحية المشاكل ياض.

ضحك جلال، وقال بمزاح:

=طب يارب دايمًا.

وأردف لحامد بفضول:

=وانت يا حامد هتاكل ايه؟

رد حامد، وهو يلقي نظرة على قائمة الطعام، بتعبير هادئ وتفكير عميق:

_هات كبدة، وممبار.

تلفظ جلال بابتسامة:

=حلو الكلام.

وواصل لزوجته باكثرات:

=وانتي يا ليالي تاكلي ايه انتي والعيال؟

أجابت ليالي بتأكيد:

_هاتلنا زيهم.

قال حمود باعتراض:

أم الديب الجزء الثاني

=أنا مش عايز الأكل ده يابا...أنا عاوز محشي !

رد جلال:

_ لا ده مسمط مفيهوش الكلام ده.

ونادى كاتب الطلبات:

_انت يا عمنا.

جاء الرجل بالورقة والقلم، وبينما يمسك بهما في يديه، قال بثبات:

=أؤمرني!

قال جلال بتفكير:

_نوعلنا يابا شوية كوارع على لحمة راس على كرشة على شوية مبار، وكبدة.

وبعد أن دَوَّنَ الرجل طلباتهم في الورقة، أعلن بصوت واثق قائلاً:

=عايزين حاجة ثاني؟

رد جلال بتأمل:

_ادينا العصاير بقى، ببسيهات على كانزات.

كتب الرجل الطلبات بينما يتحدث قائلاً:

=تمام.

بعد مرور عشر دقائق، عادت نعمة وهايدي إلى المطعم، وهما يحملان طعام هايدي، وانضموا إلى

العائلة في الجلوس، وفي هذه اللحظة المميزة، قالت نعمة ببساطة في صوتها:

_ طلبتوا ايه؟

رد جلال بابتسامة:

=طلبنا كل اللي قلبك يحبه... ما أختك وش فقر حد يسيب حلويات المديح، ويبص للمكرونة؟

نطقت هايدي باشمئزاز:

_كل واحد ياكل الحاجة اللي تعجبه... أنا مستحيل أدوق من الأكل ده، ده كفاية ريحته بس!

قال جلال ببغضاء:

=ملكيش في الطيب نصيب.

بعد نصف ساعة، فشا أذان الصلاة ووصل كل فرد بطعامه المفضل. وكالمعتاد، أدلى المعلم حنفي

بتضرعه حينما قال بروح الإيمان:

_ اللهم لك صومت وعلى رزقك أفطرت.

قالت ليالي لأبنائها بحنو:

=قولوا بسم الله يا عيال.

نطق حمود، وتقى:

_ بسم الله.

نشب جلال بطبق العصبان المقلية، وعبر عن شهيته بشغف قائلاً:

=أوعى الجمدان... ده أنا هنط في الطبق ده دلوقتي.

كادت هايدي أن تتقياً من رائحة حلويات المديح، وعبرت عن اشمئزازها بكلماتها الصادقة:

_ريحة قذرة !

تحدثت نعمة:

أم الديب الجزء الثاني

=معلش يا هايدي... احنا بناكل الأكل ده عادي انتي بس علشان ملكيش فيه فمش متعودة وقرفانة.

نطقت أم الديب بتعجب وهي تتناول الكوارع، وقالت بدهشة:

_ حد يكره نعمة ربنا؟

تلفظ المعلم حنفي وهو يزوب في طبق الكرشة، وعبر عن إعجابه به بكلام ملآن بالشهية:

=يا سلام يا سلام.

قرب جلال يده بقطعة من الكُراع بالقرب من فم والده، وابتسم ببهجة وقال بسعادة غامرة:

_ دوق الكوارع بابا.

بينما المعلم حنفي يستمتع بالتذوق الفريد للكُراع، وهايدي تتأمل اللحظة المقرزة من بعيد، صارت يدها

الملتفة حول فمها حائرةً لأنفاسها، ترسم لوحة من الاشمزاز الذي طغى عليها هذه اللحظة، فقالت:

=كفاية بجد أنا هرجع!

رفع جلال ذراعه في الهواء، وهو يشير لها بيده بكل سخط معبر عن كمدته منها قائلاً:

_ بلا دلع بنات ماسخ.

ونظر لابنته، وواصل:

_ أوعي يا بت يا تقى تطلعي زي عمك!

ردت تقى بعفوية:

=لا يا بابا أنا بحب الأكل المعفن ده.

قالت ليالي بامتعاض:

_ إخص عليك يا تقى متقوليش كده على نعمة ربنا لا تزول من وشك!

تحدث جلال، وهو يغوص في لذاذة العصبان:

=خلي العيال بيقوا مزاج زي أبوهم، وجدهم، طب ده أنا مجهزلكم أكلة فسيخ، ورنجة أول يوم العيد.

بسطت هايدي يدها برهة على بطنها، وعبرت بأسى، وألم شديدين، قائلة:

_ آه بطني!

تفوه جلال بصياح:

=ماجرا ايه بابا ماتشوف بتك الفافي دي !

وقفت نعمة في مكانها، واتجهت نحو أختها بحنان، لتطمئن عليها وتعبر عن قلقها قائلة:

_ انتي كويسة يا هايدي؟

وضعت هايدي يدها على بطنها، وقالت بألم:

=مش مستحيلة بجد.

بينما في منزل عم سلامة أثناء وقت الإفطار، كانت تباهي تتناول الطعام بتشتت، وتعجز عن نسيان ما

جرى أمس، محاولةً في الوقت ذاته تجنب تحذير ابنتها من زوجها. لاحظ عم سلامة تقصيرها في

الانتباه إلى الطعام، فوجه إليها تذكيرًا حكيماً:

_ ماتاكلي يا أم ليالي...مالك؟

حاولت تباهي بإخفاء مشاعرها الحزينة، وقالت بتماسك:

=الكحة ماسكة في صدري مانت عارف يا سلامة دور البرد عامل فيا ايه.

رد عم سلامة بحنان:

أم الديب الجزء الثاني

_ طب كلي يا أم ليالي ونبقى نشوفك علاج.

قالت تباهي باضطراب:

=ماشى.

في المطعم، بعد أن انتهت العائلة من تناول الطعام، واحتساء العصائر المثلجة التي زادت من انسجامهم، مرت نصف ساعة. في هذا السياق، حيث قال المعلم حنفي برزانة:

_ لا بس ايه أكلة متينة... بس تستاهل.

رد جلال بابتسامة:

=بالهنا والشفاء يابا... ده أنا شوية وهجيلكم كنافه هتاكلوا صوابكم وراها.

قال المعلم حنفي، وهو يشعر بثقل في جسده:

_ اتوصى، وزود شوية قطايف.

نطق جلال بطاعة:

=حاضر يابا ده انت تؤمر، واحنا ننفذ.

فجأة، تلقت ليالي مكالمة هاتفية من والدتها، فأخذت هاتفها بسرور بالغ، وابتسمت وهي بعيدة عن العائلة، وقالت بفرحة:

_ ألو ياما وحشاني والله... ازيك وازي أبويا، وأخواتي؟

ردت تباهي بصوت هزيل:

=كلنا بخير.

لاحظت ليالي تغيير نبرة والدتها، فعبرت بدهشة:

_ مالك ياما صوتك متغير ليه؟

أجابت تباهي بشجن:

=مفيش حاجة يا بتي أنا قولت أتطمئن عليكى، وعلى العيال.

ضحكت ليالي بابتهاج، وقالت بسرور:

_ بقى أنا أتوه عنك برضة؟ قوليلي بس مالك... أوعى يكون أبويا زعلك!

تفوهت تباهي بحزن:

=لا أبوكى حاططني جوا عيونيه.

ردت ليالي بقلق:

_ أمال في ايه بس؟ متخوفنيش!

كانت تباهي تتردد في نار الحيرة بين القول والصمت، إلا أن الكلمات غلبت على صمتها في النهاية، فأدلت بتردد:

=امبارح جلال وخاله ضايح... اتهموا على بيت صحاب أخوكى، وأخوكى كان معزوم عندهم... كان داخل يسرقهم هو وخاله يا ليالي... جوزك حرامى، وايدته طويلة!

شعرت ليالي وكأنها عالقة في حلم مرسوم بألوان الخيبة، أو كأن والدتها تلعب بخيوط الوهم. في هذه اللحظة المدهشة، كانت تتمنى أن تكون قد سمعت شيئاً مختلفاً، وكلماتها خرجت بصدمة كالبرق فقالت:

_ انتى بتقولى ايه ياما؟

ردت تباهي بقلق:

أم الديب الجزء الثاني

=زي مابقولك كده يا ليالي... بس أمانة عليكي ماتتكلمي قدام جوزك، ولا تعرفيه اللي قولتهولك.
قالت ليالي بتعاسة:

_ ماشي ياما.

لكن لدى المعلم حنفي قال لجلال:

=روح يا جلال هاتلنا الكنافة... قاعد ليه؟
قال جلال:

_ أصبر يابا احنا هنروح مكان تاني نغير فيه جو، وهجيبلكم اللي انتوا عايزينه.
ثم نهض، وأردف:

=أنا هروح أحاسب.

تحدث حامد بود:

_ خدني معاك.

ذهب جلال، وحامد لدفع الحساب، أما ليالي، فعادت من المكاملة الصادمة، وبقيت واقفة كأنها شهدت عرضًا فنيًا غير متوقع. ظلت تحمل في عينيها تلك الدهشة الصامتة، وفي قلبها تتساءل كيف يمكن للزمن أن يقلب النوايا بسرعة مذهلة. رصدت نعمة وقوفها، ولم تستطع إلا أن تعبر بدهشة منقوشة بين كلماتها:

=ايه يا ليالي ماتتقدي واقفة ليه؟

شبكت ليالي يديها في بعض، وقالت بصوت حاد:

_ ودوني بيت أبويا.

أثناء الحديث، رفعت أم الديب صوتها بطريقة تدل على انفعال جسيم، حيث أعربت عن استيائها بوضوح، قائلة بصوت مرتفع مما جذب انتباه السامعين:
=وانتي حد كان مانعك يا بت؟ ماتروحي احنا مالنا؟

ردت ليالي بعجيج:

_ انتي خلاص عيارك فلت، وأنا من النهارده معتش ساكتالك، وأنا يا انتي في البيت ده.

عندما نهضت أم الديب، لاحظ الحضور فورًا ارتفاع أصواتهم المفاجئ، حيث بدأوا يتبادلون النظرات بينهم بتعبيرات مندهشة ومشاعر مختلطة من الاستغراب. بعد لحظات من الصمت المتوتر، خرجت أم الديب بذهول. انعكس على وجهها الملامح المشددة، والعيون المتسعة، فنطقت:

=ايهي انتي بتكلميني أني يا بت؟

بلا تردد، ردت ليالي بقلب جريء، حيث تفاعلت مع الوضع بأسلوب ينم عن ثقة كبيرة بالنفس. واضحًا على وجهها التعبير القوي الذي يعكس حزمها وقوة إرادتها، مما جعل الحضور يتجاهلون التوتر المحيط ويتزقون كلامها بتركيز شديد:

_ أه بكلمك انتي، ولمي الدور!

وقف الجميع، لا سيما هايدي التي بدت متألمة بعمق، حيث تركزت عيونها على ليالي بتربق واضح، تعبر عن استعدادها لاستقبال كلماتها بانتباه متميز، حيث قالت:

=هو في ايه؟

تحدث المعلم حنفي بدهشة، حيث انبهر بالمشهد الغير متوقع الذي جرى أمام عينيهِ:

أم الديب الجزء الثاني

_مالك يا ليالي؟ ايه اللي جرا؟

جاء جلال، وحامد إلى المكان حيث دفعوا الحساب بعد أن انتهوا من تناول طعامهم، وفجأة اشتبكا في شجار حاد، وفي لحظة الفوضى والصخب، أعرب جلال بتعجب واضح، حيث تجلى ذلك من لهجته المفاجئة والتعابير الفموية التي تكشف عن تفاجؤه العميق:
=في ايه يا بت صوتك عالي ليه؟ هتفرجي علينا الناس!
ردت ليالي بصياح:
_الناس كده هتتفرج.

قال جلال بصخب مفاجئ، صدحت كلماته في الهواء مثل صاعقة، حاملاً في صوته نبرة من التهديد:
=ماتتلمي يا ليالي، وعدي ليلتك بدل ما أخليها سودة عليكي!
صفت ليالي وجهها بقوة، وصوتها العالي اخترق الصمت المحيط، فتلفظت بنواح:
_صغرتني قدام أهلي، وختنتني في نص هدومي، يا لهوي يا ليالي...يا بختك المايل!
نشب جلال في ذراع زوجته بعنف، وصوته العالي اخترق الهواء مع كلماته المليئة بالانزعاج، وكانت عباراته تنبعث منها غضباً:
=وطي صوتك يا بت...بقى على آخر الزمن تيجي واحدة تعمل فيا كده؟
نطقت أم الديب بصياح:
_ايهي هو ده أخرك؟ بدل ماتلطشها قلمين؟

استقرت نعمة في المنتصف بينهم، وقالت بخوف:
=الله يهديكم بلاش مشاكل...تعالى يا ليالي معايا!
تشبثت نعمة بذراع ليالي بقوة وكأنها تسعى لمنع انفجار بركان قد بدأ بالثوران، محاولة إبعادها عن جلال بكل ما أوتيت من قوة لتجنب تفاقم المشكلة وتضخمها إلى ما لا يُحمد عقباه. ومع ذلك، كانت ليالي مُصرّة على المواجهة، وصرخت بغضب دفين، وتصميماً لا يتزعزع، قائلة:
=مش جاية في حته...مانتوا متعرفوش ابنكم عمل ايه... البيه كان رايح يسرق مع خاله ضايع!
صاحت أم الديب بنبرة جهورية تمزج بين القوة والدفاع، كأنما أرادت أن تسمعها الجبال وتردها الأودية، قائلة:
_انتى بت كدابة، وحوار تجية، أنى أخويا ضايع ضوفره برقبة عيلتك!

اجتمع الناس حولهم بشكل سريع، محاولين فض النزاع قبل أن يتفاقم ويتحول إلى مشهد درامي أمامهم، وفي تلك اللحظة المحتدمة، صرخ جلال في وجه زوجته بصوت يحمل في طياته الاستياء، قائلاً:
=بقولك ايه لمي نفسك ألا وديني هرنك علقه!

ردت ليالي بصياح:
_انت ليك عين تتكلم يا حرامي؟ طب قولنا نسرق أمك علشان منشفاها علينا، ومبتراضاش تدينا جنيه
إنما الحوار وسع منك، وطلعت حرامي كبير!

في لحظة اشتعلت فيها المشاعر وتصاعدت فيها حدة التوتر إلى أقصى درجاتها، فضحت ليالي زوجها أمام عائلته وجموع الناس، ممزقة بذلك ستار الاحترام والمودة الذي كان يخفي ما بينهما. لم يشعر جلال

أم الديب الجزء الثاني

بنفسه حينها إلا وهو يهجم على زوجته بقوة غاضبة، وقد امتلأت عيناه بلهيب السخط المستعر، ووطأها
بقدميه بوحشية، صارخًا بأعلى صوته حتى ترددت أصداؤه في كل زاوية، قائلاً:

=انتي ملكيش قعاد في البيت ده تاني!

بدأ جلال يكيل لها أعظم الشتائم، كلماته تفيض حقداً، وتعكس فساد أخلاقه العميقة، حتى أن ألفاظه كانت
تدينه أمام الجميع بلا رحمة، وبينما كانت ليالي تعول تحت وطأته، ممزقةً بين الألم والمهانة، واصل
جلال حديثه المشين دون تردد، وكأنه يجد لذة مريضة في إهانتها، قائلاً بألفاظ جارحة تقطر سمًا، مما
كشف عن سواد روحه، وعمق انحداره الأخلاقي:

=وربنا ماهرحمك يا ليالي، ولا هسيبك!

ردت ليالي بإعوال:

_ طلقني وريحني منك، ومن قرفك!

كانت نعمة، وهايدي، وحامد، وحتى المعلم حنفي يسعون جاهدين لفض النزاع المشتعل، تتسابق
خطواتهم وكلماتهم لتهدئة الوضع المتفاقم، بينما كانت الجموع تحتشد حولهم كالموج الضاح، تندافع،
وتتهامس، وتتعالى أصواتها، مضيضةً إلى المشهد مزيداً من الصخب. في وسط هذا الضجيج البشري،
وما زال صوت ليالي يرتفع بقوة، صرخت بصوت يهز أركان المكان، قائلة:

_ طلقني...بقولك طلقني!

تلفظ جلال بصياح:

=مش هطلقك هخليكي زي البيت الوقف يا ليالي!

يتبع....

الفصل السابع عشر

نشبت المعلم حنفي في ذراع ابنه في الحال، وهو يزيحه أمامه ويصيح فيه قائلاً:
_ أنت اتجننت ولا ايه يابن الكلب؟ بتمد ايدك على مراتك؟ لو متربتش أني هربيك.
اجتمعت النساء حول ليالي، يعبرن عن تضامنهن ودعمهن بكلمات مليئة بالدفء، والراحة، وبينما كانت
نعمة وهايدي تقدمان لها العون الصادق. أما الرجال، فاجتمعوا حول جلال كالعواصف المحمومة. غلب
على جلال غضب شديد، وصدح صوته يعلو ويهتف قائلاً:
=وربنا مانا ساكت يابا... مش جلال اللي يتعمل فيه كده!
أزاح المعلم حنفي ابنه أمامه بغضب متقد، وهمس السخف في صوته متسللاً خلف كلماته. يصيح قائل
بلهجة مليئة بالاهتزاز:

_ تعالي معايا... بقولك تعالي!
حتى وصل به إلى السيارة. لكن أم الديب كانت تشمت في نزاع جلال وزوجته، وكلماتها كانت كاللهب
تشتعل في حديث ناري يزيد التعقيدات بينهم. وفي لحظة من الغضب العارم، صاحت بوجه غاضب
قائلة:

=روحوها على دار أبوها بلا وجع دماغ... قلبي راضي عليك يا جلال، أول مرة أحبك يا ولا.
ذهبت أم الديب لجلال، والمعلم حنفي أما حامد قال لزوجته بنبرة متأثرة:
_ يلا يا نعمة هنوصلها بيت أبوها!
عانقت نعمة ليالي، وهي تبذل جهداً في محاولة لمواساتها. وفي حين كانت الأنظار تتجه نحوهم بدهشة،
قالت بحزن عميق:

=متعمليش في نفسك كده يا ليالي! اهدي ياختي!
ردت ليالي بنواح:
_ ودوني بيت أبويا يا نعمة.
بالفعل، انطلقت نعمة وحامد بصحبة ليالي في ميكروباص. وخلال الرحلة، كان المعلم حنفي يصيح في
جلال في السيارة، قائلاً:

=ده انت ياض معندكش دم! بقى انت اللي غلطان، وكمان بتمد ايدك عليها يابن الكلب؟
ردَّ جلال بصياح عالٍ يحمل بين طياته الانفعال، بينما كانت يديه المتشبثتين بعجلة القيادة تلتفان عليها
بقوة، وكأنتهما تحاولان السيطرة ليس فقط على السيارة، بل على أفكاره المتزايدة في ذهنه أيضاً:
_ مش عاوز نص كلمة يابا... سييني في اللي أنا فيه!

انهمرت دموع حمود بغزارة، فاضحةً حزنه الدفين، ثم نطق بتهدج، حاملاً بين كلماته حزناً لا يوصف:
=أنا عاوز أمي!

انصبت دموع تقى بهدوء، لتنتسلل إلى وجنتيها برقة، ثم نظرت إلى الأفق بعيونٍ مليئة بالشجن العميق،
قائلة بصوتٍ خافتٍ ينساب من بين شفتاتها:
_ ودوني لماما... أنا بحب ماما!

كانت هايدي جالسة بجانب الأطفال، محاطةً بنفحات الصخب التي تحاول قدر الإمكان أن تبعدهم عنها،
بينما كانت عيونها تعكس مدى قلقها عليهم. همست بصوت خافت مغمور بالرهبة:
=متخافوش هتروحولها بس استنوا ألا يعمل فينا حاجة ده زي المجنون مش شايف قدامه!

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت أم الديب بسعادةٍ عارمة، التي بدت تتلألأ في عينيها وتضيء وجهها بابتسامة دافئة، وكأنها تنقل إلى من حولها شعورًا طيبًا لا يمكن تجاهله، وقالت بفرح صادق:
_ جدد يا ولا... بقى سايبها تغلط فيك وفي خالك ضايح؟ ده احنا أحسن من اللي جابوها... ده احنا ناس شريفة!

نظر المعلم حنفي إلى الورا بامتعاظٍ جسيم بينما كان يجلس بجانب جلال الذي يقود السيارة، وبدت معالم وجهه متجهمة وهو يصرخ بصوتٍ مرتفع:
= عندك كلمة حلوة قولها... معندكيش اتكتمي بدل مانتي عمالة تسخني فيه!
تفوهت أم الديب بصياحٍ عالٍ، يحمل نبرة الاحتدام، وكأنها تحاول أن تجابه الموقف بكل قوتها، قائلة بلهجة حادة:

_ انت مالك يا راجل انت؟ أني بكلم ابني انت ايه حشرك مايبينا؟
رد المعلم حنفي بصياح:

= جلال ابني زي ماهو ابنك!

قال جلال بضجيجٍ متصاعد، يعبر عن سخطه العارم وضغط اللحظة، وملامح وجهه مشدودة وكأنه يحاول جاهدًا كبح انفجار مشاعره:

_ اسكتوا مش عاوز أسمع حاجة منكم اللي هيتكلم نص كلمة أنا هحدفه من أم العربية، وما هيفرقلي!
بعد مرور ساعتين ونصف من السير المتواصل، وصلت العائلة إلى القرية، حيث كان القلق يتصارع في قلوبهم، وفي تلك الأثناء، توجهت نعمة وحامد إلى منزل أهل ليالي، ووفقا على عتبة الباب، حيث طرقا عليه بقلقٍ لا يُخفى. فتحت تباهي لهم الباب، وهي تتألق بابتسامة عريضة، غافلة عن أحداث اليوم الصاخبة وما مرّت به ابنتها، وقالت بفرحٍ مفعم بالجهل بما يجري:
= حاضر يا اللي على الباب، أنا جاية أهو.

فتحت تباهي الباب، وكأنما تأملت عتمة المجهول، وإذا بابنتها ليالي تظهر أمامها، وجهها مغطى بالظلام وملامحها متخبطة، كأنما تقرأ كلمات الحزن في سطورها. انتابتها رعشة الصدمة، وصدحت بصوت يخرق الصمت، وهي تحتضنها بحنان يمزج بين الحب، والألم، قائلة:
_ يا لهوتي ليالي!

صرخت ليالي بصوتٍ مملوث بالقهر، حيث انطلقت الكلمات من شفيتها كالسهم، تعبيرًا عن صدمة لم تستطع استيعابها في تلك اللحظة الحرجة، قائلة:

= ضربني في وسط الشارع ياما، فرج عليا الناس وقل مني..أنا عايزة أتطلق!

صخببت تباهي بنواح، وهي تحمل في كلماتها أوجاع العالم بأسره، حيث انطلقت صيحاتها المفعمة بالصدمة، قائلة بنبرة تملأها الشجن:

_ يا لهوي يا بتي... يا لهوي!

خرج عم سلامة بسرعة على إعوالم زوجته وابنته، وكأنه يستعد لخوض معركة، وفي لحظة اندفاع، قال بصوت يحمل طيات الاستعداد:

= في ايه؟ حد يتكلم!

أجاب حامد بحيرة:

_ جلال ضرب ليالي.

أم الديب الجزء الثاني

صاح عم سلامة من صدمته، وقد ارتجف جسده بين الفرع، والرعب، وملامحه تعكس مدى الهول الذي اجتاعه، قائلاً بصوتٍ متقطع:

=يا كلب يا زبالة... أنا مش هسيبك يا جلال!

خرج صابر هو الآخر على إثر صياح الجميع، وعيناه تنتسعان في دهشة عارمة، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الصدمة العميقة، وقال بصوتٍ متحشرج:

_ضربها؟ يعني ايه ضربها؟

أجاب حامد بإجراج:

=زي مابقولكم كده، وكانت فضيحة، وأمة لا إله إلا الله اتلمت علينا في قلب الشارع.

تحدثت نعمة بيكاه متواصل، تتخلله شهقات الحزن، وقد انسكبت دموعها بحرقة على وجنتيها، وكأن كلماتها تحمل ثقلاً لا يقوى قلبها على تحمله، قائلة بخنقةٍ:

_حقكم على راسي هاتوها فيا أنا... ده جلال طيب و...

صاح صابر في وجه نعمة بسخطٍ عارم، وكلماته كانت كالسياط تلهب الجو المشحون بالأحزان، وقد اشتدت ملامحه قسوةً، قائلاً بفظاظة:

=طيب ايه بعد اللي عمله ده؟

ازداد تدفق الدماء في رأس عم سلامة، حتى احمر وجهه بشدة من شدة الانفعال، ثم انفجر بالصياح، قائلاً بنية انتقامية:

_أدخل هات النبوت من جوا يلا !

دخل صابر ليحضر النبوت، وتباهي دخلت بابنتها ليالي في الداخل. خرج صابر وهو يحمل نبوتين، وكانهما درعاً جاهزاً لحمايتهم. وعندما رأتهم نعمة، صرخت بهلع، وعبرت عن قلقها على أخيها

بحروف مليئة بالرعب، قائلة:

=أحب على ايديكم، ورجليكم بلاش تعملوا حاجة في جلال... جلال مكنش في وعيه ومش حاسس باللي عمله!

تحدث حامد، وهو مذعور من ذلك المشهد الذي بدا له ككابوس لا ينتهي، وقد ارتجفت كلماته بين شفثيه، وعيناه تجولان بقلق بين الحاضرين، قائلاً بارتباكٍ:

_استهدوا بالله ده شيطان ودخل مابينهم، ده انت لو هتلف الدنيا كلها مش هتلاقي حد أحسن من جلال. نطق عم سلامة بصياح:

=أنا مش هضيع حق بتي.

وأردف لصابر:

=يلا بينا!

انقض عم سلامة وابنه إلى منزل أم الديب، في حين أخرجت نعمة هاتفها في التو والحال، واتصلت بأخيها لتخبره بما سيحدث، كأنها رسولة تنبئ بعاصفة قادمة، محملة بالشجار، تهمس بالخطر الذي ينتظرهم قائلة:

_ألو يا جلال، عم سلامة وابنه جايبين عليك وناويينك على نية سودة... انفد بجلدك!

قال جلال بصخب:

=طب وربنا مانا متحرك من مكاني مش جلال اللي يهرب... جلال أخوكي أسد يا بت... اقفلي!

ردت نعمة بصياحٍ يحمل في نبراته كل معاني الخوف:

أم الديب الجزء الثاني

_يا جلال اهرب بدل ما يعملوا فيد ...
قبل أن تنهي نعمة حديثها، أغلق جلال المكالمة في وجهها بحدّة مفاجئة، مما جعلها تتوقف في منتصف الكلام، وقالت بتعجبٍ، وكأنها لا تصدق ما حدث:
_ده قفل!

تحدث حامد بقلق عميق، وعيناه تبحثان عن الأمل في وسط بحر من الشكوك، محاولاً أن يتغلب على مخاوفه المتصاعدة:
=خلاص يا نعمة خلينا برا دلوقتي لحد مالخناقة تخلص.
ردت نعمة بنواح:

_أنا مش هسيب أخويا...خد محمد وديه عند هبة لحد مانا أتصرف.
تحدث حامد بتعجب شديد، حيث ارتفعت حواجب دهشته إلى أقصى حد، وجاءت كلماته مشبعة بالذهول:
=وانتي مالك يا نعمة بالمشاكل؟ تعالي بس نقعد في أي حنة دلوقتي.
ردت نعمة بصياح مدوي، حيث ارتفعت نبرة صوتها بشكل مباغت، وكأنها صرخت بكل ما في جعبتها من مشاعر مضطربة:

_أنا مش هستنى لما جلال أخويا يحصله حاجة.
تركت نعمة ابنها لوالده، وانطلقت نحو منزلهم، حاملةً معها القلق. وعند وصول عم سلامة وابنه إلى منطقة أم الديب، اندلع لديهم مشهد غريب، حيث وجدوا جلال ينتظرهم في منتصف الشارع، وهو يحمل سلاحه الحاد، ويقتلع التيشرت الخاص به، وتحوم في الهواء كلماته الصارخة، حيث نطق:
=هخاف منكم ولا ايه؟

حاول المعلم حنفي مرارًا وتكرارًا إبعاد ابنه، وأن يزيحه لداخل المنزل، وفي تلك اللحظات الحارة، صاح به بصوت يهز الهواء، كأنما كان يحاول إيقاف عاصفة نارية تتصاعد، قائلاً:
_خش جوا يابن الكلب... خش جوا!
أجاب جلال بصياح:

=مش داخل يابا... اصحي يا منطقة ده أنا جلال الشبح وكل الناس بتعملي ألف حساب... الشويتين بتوعك انت وابنك مدخلوش عليا.

خرج جميع الجيران من نوافذ منازلهم، ليتجمعوا كحشود متلهفة لمتابعة تفاصيل الشجار الذي كان يجري في الشارع. ارتفعت أصواتهم وتداخلت مع صرخات المتورطين في النزاع، بينما تأرجحت الهمسات والتعليقات بين الحاضرين. في خضم هذا الفوضى، صرخ المعلم حنفي بصوت جهوري يملأ الأفق ويتسلل إلى كل ركن من أركان الحي، كأن صوته قد تحول إلى صدى يرتد عبر الجدران، ينقل معه طابعًا من الحزم، محاولاً استعادة النظام وفرض سلطة الهدوء وسط هذه الفوضى العارمة:
_بقولك خش جوا يا بني أبوك، والكلمة كلمتي... ده اللي مالوش كبير بيشتريه كبير!
خرجت أم الديب من شرفة منزلها كسفيرة للكلمات النارية، حيث طرحتها كألسنة متلهفة للجدال. فتزايد العناد في رأس ابنها كالعاصفة الهائجة، وفي هذا السياق، قالت بصوت مرتفع:
=ارزعه يا جلال... علمه وعرفه مين احنا، مناقش غير دباحين الحمير هما اللي يتكلموا!

صاح عم سلامة بانفعال:

_يلا يا عقربة... أنا مش هرد عليك يا كلامي مع الرجالة مش مع النسوان، ولو إنني أشك إنك ست.

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم الديب بصياح يتردد في أركان الحي، وكأن صرخاتها قد تحولت إلى أمواج ثائرة تصطدم بالجدران وتملأ الفضاء بصدى متواصل:

=أني ست غصب عنك، وعن اللي يتشددولك يا دباح الحمير!
صخب المعلم حنفي، قائلاً بحزم:

_خشي جوا يا ولية ألا أطلع أكسرلك عضمك!

قهقهت أم الديب، وارتسمت على شفيتها ابتسامة ساخرة، بنبرة ملؤها الاستهزاء. كان صوتها مغموراً بالتهكم، وهي تعبر عن استهتار عميق تجاه محاولات ضبط الوضع:
=حنفي المخلع بيتكلم؟ أما انت عليك حاجات تضحك بشكل ياخويا.
رد المعلم حنفي بامتعاض:

_حسابي معاكي بعدين.

ثم اقترب من عم سلامة، وأردف بتفهم، معبر عن حرصه على معالجة الأمور بحكمة وحرص على مشاعر الآخرين وسط الفتنة الراهنة:
_أقعد يا عم سلامة نتكلم كلمتين ونحل الموضوع ودي.

أجاب عم سلامة بصداح:

=أخذ حق بتي ليالي، وبعدين نتكلم.

وصلت نعمة إلى المنزل في هذه اللحظة، وهي تعول قائلة بلهجة تشرح قمة الاستياء. كان صوتها يتعالى، حاملاً في طياته التوجس:

_أمانة عليك يا عم سلامة ماتعملنا حاجة ده احنا أهل ونسايب، متخليش العيال يشوفوكم وانتوا بنتخانقوا ويفضلوا فاكربنها... أقعدوا بس وأبويا هيحلها... استهدوا بالله متخليش القلوب تشيل من بعض!
رد صابر بصياح:

=وحق أختي ليالي نعمل فيه ايه؟

قالت أم الديب بجلجلة عالية تفجر الشجو الذي يعتمل في صدرها، كان صراخها يملأ الأرجاء بنبرة مفعمة بالتحدي:

_حق مين يا أبو حق؟ هي ليالي البابرة ليها حق؟ هي كانت لاقية حد يبص في خلقتها غير ابني؟ دي ما صدقت حد عبرها... هي كانت لاقية؟

أراد عم سلامة رد اعتبار ابنته، فتقدم بعجيج قوي، كأن صوته يقطع الهواء بحزم، متسلحاً بالشجاعة ليدافع عن كرامة ليالي في وجه الاتهامات:

=أنا ليالي بتي ست السنات، وعلى الله أسمع سيرتها تيجي على لسانك... ليالي بتي كان العرسان واقفينها طوابير ومن غبائها سابت كل دول واختارت ابنك.

تحدث جلال بجلبة، وهو يوجه سلاحه في وجه عم سلامة وصابر، ونبرات صوته تحمل مشقة التهديد، مشبهاً بالتحدي:

_اتكل على الله متخليش أتهور، وجلال لما بيتهور بيقلب وأنا قلبتي وحشة !

قال عم سلامة بضجيج:

=هخاف منك أنا ولا ايه؟

رد المعلم حنفي برصانة:

_تعالى بس يا عم سلامة نتكلم كلمتين !

أم الديب الجزء الثاني

بعد نصف ساعة من المحاولات المجهدة التي بذلها المعلم حنفي في محاولة تهدئة الأوضاع والتوصل إلى حل مع عم سلامة وصابر، قرر الثلاثة أخيراً الجلوس معاً في أحد أركان المنزل بعيداً عن ضجيج النزاع، في محاولة يائسة لإيجاد حل وسط يرضي الجميع، وفي هذا الوقت، صعدت نعمة إلى شقة أم الديب وهي تبدو حزينة، تعكس مشاعر الفلق التي تتملكها، وفي هذا السياق، كان قلب أم الديب يفيض بالتمنيات، حيث قالت بمرارة:
=خليه يطلقها ونخلص من همها.

ردت نعمة بانفعال:

_ انتي مفيش فايده فيكي؟ هتفضلي كده لحد امتي؟

تحدثت أم الديب بنبرة حادة:

=لمي نفسك يا بت، ولسانك ميخاطبش لساني!

قالت نعمة بحزن:

_ ماشي ياما زي ماتحبي.

صعدت نعمة إلى شقتها، وكان حمود وتقى متواجدين مع هايدي في غرفتها، وفي الوقت نفسه، وصل أبو محمد، وخال، وعم ليالي. وعندما دخل أبو محمد، الخال الملم بفنون تسوية الأوضاع، قال بحكمة:
=السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد الجميع بمهابة:

_ وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته.

جلس أبو محمد، وقال بعقل رشيد:

=ايه اللي حصل؟

تحدث خال ليالي بنبرة جلفة:

_ احنا بتنا غالية واللي ابنكم عمله ده ميصحش.

قال جلال بصياح:

=وأنا مش غلطان، ومعملتش حاجة تديني!

تفوه عم سلامة بصخب:

_ حق ليالي يرجع... أنا مش هسكت عن حقها!

نطق المعلم حنفي بصرامة:

=استهدوا بالله، واللي اتكسر يتصلح!

تلفظ صابر بضجيج:

_ اللي اتكسر عمره ما يتصلح يا حاج... انت ترضاها لبت من بناتك؟

قال المعلم حنفي بانصاف:

=لا مرضاش وإن جيتوا للحق فجلال غلطان!

رد جلال بصياح مرتفع، وصراخه مشحوناً بالإصرار، يعبر عن رفضه القاطع للضغوط الممارسة عليه، ورفضه لأي محاولة للتدخل في تصرفاته الشخصية:

_ وأنا مش غلطان بابا... بتكم فضحتني في قلب الشارع، الناس تقول ايه لما يسمعوا إني حرامي؟

وقف صابر مكانه، وصاح قائلاً بصوت عالٍ ينم عن رفضه لتلك الأفعال الخنوعة:

=أنا شايفك بعينيا الإثنين دول وانت داخل تسرق انت، وخالك ولما لقيتني معاهم خلعت انت وهو!

أم الديب الجزء الثاني

قال جلال بجلبة:

_أنا مكنتش داخل أسرق انت اللي فهمت غلط، وكل ده ميخصنيش...بتكم غلطانة وجرستني في قلب الشارع!

في منزل عم سلامة، كانت ليالي تشعر بثقل شديد داخلها، ويجتاح قلبها حزناً عميقاً لما مرّت به، وهي مستلقية على ساق أمها. فكانت والدتها تراقبها باستياء، وهمست:
=طب وبعد ما تطلقي يا ليالي؟ مفكر تيش في عيالك هيروحوا فين؟
أجابت ليالي بانتحاب:

_يجوا هنا ولو قعدتي معاكم هتدايكم فأنا هدور على شغل وهاخد عيالي أصرف عليهم...أنا مقدرش أسيبه العيال، لا هو ولا أمه هيربوهم كويس بالعكس هيتعلموا حاجات كتير زي الزفت منهم... يعني أنا كنت مخنوقة منها أخلي عيالي نسخة تانية منها؟
قالت تباهي بشجن:

=ايه الكلام اللي بتقوليه ده يا ليالي؟ ده انتي لو مشالتكيش الأرض نشيلك احنا فوق دماغنا... ده انتي أول فرحتنا أول ماجيتي من هنا ربنا كرمننا، ووسعها علينا...متشيليش هم يا ليالي والحاجة اللي هتريحك اعملها.

عدلت ليالي نومتها بحركة متأنية، وسرعان ما تسببت تعبيرات وجهها في إظهار مشاعر الألم التي كانت تساورها. كانت عيناها تلمعان بتوتر، وكأنها تستعد لمواجهة ما لم يكن في الحسبان. عندما تكلمت، كان صوتها يعبر عن الإنهاك، في محاولة للتعبير عن مشاعرها وإيجاد بعض الراحة وسط الأوضاع المضطربة:

_أنا عايزة أرتاح جوا ياما.

نهضت تباهي، والتقطت أنفاسها بصعوبة، ثم قالت بصوت هادئ لكنه مليء بالتحدي:
=ماشني يا ليالي قومي معايا.

وسانددت ابنتها برفق، بينما كانا يتجهان نحو الغرفة، أردفت بحزن ساحق في حروفها:
=تتشل ايده قبل ما كان مدها عليكي...سلامتك يا ضنايا.

في مجلس الرجال، وبعد سلسلة من الاقتراحات العديدة التي قدمها المعلم حنفي وحامد، توصلوا في نهاية المطاف إلى حلول مقبولة لتسوية المشكلة. عند هذه النقطة، طلب خال ليالي من الحاضرين أن يقوموا بدفع غرامة مالية تعويضاً عن التصرفات غير اللائقة التي قام بها جلال تجاه ابنته، فرد بصوت حاد يغمره الإصرار:

_لو عاوز الموضوع ده يتحل ودي هتدفعوا غرامة خمسين ألف... لو مش عاجبكم احنا هنروح نعمل محضر باللي حصل!

رد المعلم حنفي بصدمة:

=بس يا حاج خمسين ألف كتير وانتوا عارفين حالتنا عاملة ازاي... ده احنا عايشين اليوم بيومه!
نطق خال ليالي بحدة، تعبر عن حزم واضح:

_ميخصناش يا حاج وده اللي عندنا.

قال عم سلامة بسخط، مشددًا على نبرته:

=وانت شايف ليالي بتي بعد ما اتضربت في قلب الشارع وانتقل منها الفلوس هي اللي هتعوضها؟

أم الديب الجزء الثاني

رد خال ليالي بثباتة:

_ ده لو انتوا عاوزين الموضوع ودي.

نفوه المعلم حنفي بتخيب:

=شوفولنا حل تاني الله يكرمك مانتوا عارفين اللي فيها ثم إن أني قولتكم جلال غلطان بس احنا عيلة، ونسايب وبيننا أيام حلوة يا عم سلامة... بلاش ننسى كل ده بطيش عيل!
نهض جلال مكانه، وبدأ يتحوّل إلى شخصية مريبة، فتغيّرت ملامح وجهه فجأة إلى الغضب، وأطلق صيحة قوية قائلاً:

_ جرا ايه بابا؟ هو مين ده اللي عيل؟ انت بتصغرنى قدامهم؟

رد المعلم حنفي بصياح:

=أسكت انت مسمعش صوتك... هو في واحد عاقل يعمل اللي انت هببته ده؟

ثم وقف، واقترب من عم سلامة، وقبّل رأسه، وواصل:

=حقك على راسي يا عم سلامة وأنا مستعد أخلي جلال يروح يحب على إيديها وراسها بس ارضوا عننا!

بعد جدال مستمر بين الرجال استمر حتى الساعة الثانية صباحًا، توصلوا في النهاية إلى اتفاق مفاده أن جلال سيدفع غرامة قدرها ثلاثون ألفًا لتسوية الوضع القائم. حين خرج المعلم حنفي وجلال من المجلس، وعندما رأتهم أم الديب، التي كانت تنتظر بفضول لمعرفة نتائج النقاش، سألتهم بشماتة واضحة في صوتها، وبسمة خفيفة على شفيتها، قائلة:

_ ايه ياخويا كل ده انت كنت بتحكيهم قصة حياتك؟

رد المعلم حنفي بتعجب، وعلامات الاستفهام واضحة على وجهه، وهو يستشعر غموض الموقف:

=انتي ايه اللي مصحكي لحد دلوقتي؟

أجابت أم الديب:

_ صحيت أكل... ده أي جعانة جوع ياخويا.

تساءل جلال بقلق ملحوظ، وعينه تتجولان بحثًا عن إجابة، كأنما كان يحاول فهم كل تفاصيل الموقف المعقد:

=العيال فين؟

تحدثت أم الديب بلهجة شبيعة بالوضوح:

_ نايمين عند نعمة.

خرج جلال من الشقة، وقال بإنهاك:

=طيب أنا طالع... سلام.

صعد جلال إلى شقته متعبًا، وتخلّى عن همومه عند سريره وهو وحده، غارقًا في أفكاره وأوجاعه. وفي صباح اليوم التالي، استفاق ليجد الشقة خاويةً وباردة، خالية من أصوات الحياة التي كان يألفها كل صباح، حيث اعتاد على رؤية زوجته وهي منهمة في تنظيف المكان أو أطفاله يملؤون الصالة باللعب والضجيج. حاول جلال أن يقنع نفسه بأن غياب عائلته ليس سوى مسألة طبيعية عابرة، فحاول التماسك في مواجهة الحقيقة التي كانت تزعجه أكثر من أي وقت مضى، جعلته يبدي تجاه هذا الوضع بلا اهتمام ظاهري، بينما كان في أعماقه يواجه شعورًا متزايدًا بالوحدة:

_ عادي ده حتى كانوا مصدعيني وعاملينلي وش...أهو أرتاح منهم شوية.

أم الديب الجزء الثاني

في شقة نعمة، ارتدت ثوبها بهدوء، ثم أخذت ترافق أولاد أخيها إلى منزل عم سلامة، حيث كانت خطواتها مليئة بالتفاني. عند وصولهم، استقبلتهم الجدة بعناق حار ومؤثر، كأنها كانت تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر. بينما كان وجهها يتألق بالابتسامة الدافئة، كانت عيونها تحمل خفايا حزن عميق، كأنها تروي قصة لا تُحكى بالكلمات، فتلك الابتسامة، رغم أنها بدت مليئة بالود، كانت محملة بالأسى الذي كانت تحاول إخفاءه بقدر المستطاع:

=تعالوا يا حبايبي، تعالوا!
تحدث حمود بفضول:
_أمي فين؟

ردت تباهي بابتسامة:
=أمكم جوا في الأوضة أدخلولها.
دخل حمود وتقى إلى والدتهم في الغرفة، فاستغربت ليالي لرؤيتهم معًا في هذا التوقيت، مما أثار في نفسها مشاعر من الاستفهام والفرح المفاجئ. وعندما رأتهم، فتحت ذراعها بحب عميق، واحتضنتهم بحرارة، كأنها تريد أن تعبر عن مدى اشتياقها لهم وبعدهم عنها، بينما كانت مشاعر السعادة تملأ قلبها، وتفيض من عينيها بتأثير لم تستطع كبحه، قالت:

_عيالي... تعالوا في حضني!
انقض الأطفال في حضن والدتهم على السرير، حيث تجمعت مشاعرهم الطفولية في هذا اللقاء العاطفي الحميم. بينما كانت ليالي تغمرهم بحبها، نظرت تقى إلى والدتها باستياء، وعبرت عن مشاعرها بصوت يحمل الاشتياق، قائلة:
=أنا عايزة أعيش معاكي يا ماما!
ردت ليالي بترح:
_أنا كده كده مقدرش أستغنى عنك انتي وأخوكي... مقدرش أبعد عنكم يوم.
في الخارج، وقفت نعمة بوجه شاحب، تصف نظراتها الحزن الذي يعتل في قلبها، وقالت:
=أنا همشي يا أم ليالي... سلميلي على ليالي وقوليلها إنها هتوحشني.
ردت تباهي بسطوة:
_يوصل.

خرجت نعمة من منزل عم سلامة، وتوجهت إلى منزلها بوجه مفكر، في حين أخذت ليالي أولادها لتنام معهم بجوارها، محاولة أن تمنحهم الأمان بعد يوم متعب. أما في منزل أم الديب، فكانت سعيدة بغياب ليالي وقضاء وقتها في منزل أهلها، حيث استمتعت بتشغيل الموسيقى الشعبية التي ملأت الأرجاء بألحانها المريحة، وجلست على الأرض في الصالة بتأنٍ، بينما كانت تقطع الجزر بأناقة. دخلت هايدي فجأة، وعبرت عن دهشتها بتعبير وجهها ونبرتها، قائلة بذهول:
=ايه السعادة اللي انتي فيها دي؟ بقى كل ده علشان ليالي مشيت؟
ردت أم الديب بسعادة غامرة:

_أمال ايه؟ ده يا بت طول ماهي موجودة كان قلبي بينقبض، والدنيا بتسود في عيني... النهاردة حاسة إن الجو حلو حلاوة، والحياة وردي... عايزة أزگرد يا بت!
أطلقت أم الديب الزغاريد بحماس، مفسرة فرحتها البارزة بغياب ليالي وأولادها، بينما كانت تنتقل برشاقة في صالة منزلها. في ذات اللحظة، دخلت هايدي وراقبت المشهد باشمئزاز، قائلة بعبوس:

=خلاص!

صوبت هايدي نظرها على الجزر الذي كانت أم الديب تفشره، فاستنتجت على الفور طبيعة الطعام السيء الذي سيكون على مائدة الإفطار، مما أثار في نفسها مشاعر الاستياء من جودة الوجبة التي سنُقدم، ومع تزايد إحباطها، واصلت بحمق قائلة بمرارة:
=انتي بتعملي جزر تاني... هو مفيش فايده؟

ردت أم الديب بسعادة:

_تاني، وتالت، ومليون يا بت... ده طعمه زي العسل، أحطهولك في رغيف عيش مع شوية ملح وفلفل؟

قالت هايدي بانفعال:

=هو صوباع كفتة؟ يا ماما حرام بقى أنا بطني نشفت من أكلك ماتغيري وتعملينا أي حاجة تانية! تفوهت أم الديب، وهي تقطع الجزر بتركيز، بينما كانت تعبيرات وجهها تظهر صمودها:
_ستك كانت باعة حتة جينة حطيتها في رغيف وخديلك نص طماطماية.

غضبت هايدي بشدة، وارتفعت نبرة صوتها في مواجهة ما اعتبرته تهاونًا واضحًا:

=يعني أنا صايمة طول اليوم وفي الآخر أكل جينة، وطماطم؟

خرجت أم الديب عن شعورها، وصاتت بصوت مرتفع، تعبر عن استيائها العميق من الانتقادات:

_بقولك ايه يا بت حلي عن نفوخي... روعي افطري عند أي حد من أخواتك متصدعنيش!

ردت هايدي باستياء:

=أنا كنت عارفة إن كل ده هيحصل!

دخلت هايدي إلى غرفتها، تاركَةً أم الديب تستمر في عملها، بينما كانت أم الديب تواصل تقطيع الجزر بانزعاج واضح. أما في منزل عم سلامة، فقد أخذت تباهي أحفادها، وجلست معهم في الحديقة الخلفية للمنزل لبعض الوقت، مستمتعةً بلحظات اللعب والمرح التي تبث الحياة في الأجواء. بعد ذلك، انتقلت إلى المطبخ لتراقبهم من النافذة، حيث كان مشهد الأطفال وهم يلعبون في الحديقة يعكس صورة من الهدوء، وفي تلك الأثناء، تفجر حمود غضبًا تجاه أخته، قائلاً:

_أنا هضربك لو مسمعتنيش كلامي!

تحدثت تقى بصياح:

=هقول لماما!

اقترب حمود من أخته، وعزم على توجيه عنفه بشكل حاسم، ثم قال بغلاظة تتسم بالصلابة:

_أنا مبخافش من حد!

خرجت تباهي لهم، وعبرت عن مشاعر المنهكة، قائلة بانزعاج:

=بس يا عيال بطلوا خناق مع بعض... أما أروح أشوف ليالي أخليها تطلع تشملها شوية هوا، ده يا عيني عليها يا قلب أمها من امبارح وهي متمرمة.

دخلت تباهي إلى غرفة ابنتها، فوجدت ليالي ممددة على الأرض، فتسارعت خطواتها نحوها، وبينت

فزعها بشكل عميق، وهي تعول قائلة:

=ليالي بتي!

حاولت تباهي إيقاظ ابنتها بكل الوسائل الممكنة، فصاحت بشدة وهي تتخبط وجهها، قائلة بفزع:

أم الديب الجزء الثاني

_ ردي عليا يا بتي...يا ليالي مالك؟

دخل حمود الغرفة، فوجد جدته تصرخ وهي ترج والدته بقلق، فتملكته حالة من الذعر. حيث قال بخوف، وهو يحاول السيطرة على مشاعره:

=أمي مالها؟

تحدثت ليالي بنواح:

_ اجري هات كوباية مايه بسرعة !

قال حمود بخوف:

=حاضر يا ستي.

ذهب حمود وجلب كوبًا من الماء بسرعة، وعاد به إلى الغرفة. رشّت تباهي الماء على وجه ليالي، التي بدأت تدريجيًا تستفيق من حالة الإغماء، وبخوف منين، قالت تباهي وهي ترفع ابنتها برفق إلى السرير:

_ حصلك ايه بس؟

أجابت ليالي بضعف:

=دوخت أوي ياما محستش بنفسي غير وأنا على الأرض.

ردت تباهي بخوف:

_ افطري يا ليالي ده انتي وشك أصفر، وجسمك ضعفان.

نطقت ليالي بتعب:

=مش هينفع... غطيني بس ووقت الفطار أبقى هاتيلي الأكل وشوية فيتامينات.

قالت تباهي باعتراض:

_وده يرضي ربنا بس؟ هتفضلي كده لحد المغرب؟

ردت ليالي بإرهاق نفسي واضح، بينما بدا التعب جسديًا على ملامحها:

=أيوه... غطيني، وأقفلني الباب.

عانقت تقى والدتها بعمق، واحتضنتها بحب عارم، وقالت بلهجة ملأنة بالحنان:

_ هانام جنب ماما.

تحدثت تباهي بتأثر:

=ربنا يشفيكي يا بتي ويراضي قلبك.

صكت تباهي الباب خلفها وخرجت من الغرفة، تاركة وراءها مشهدًا من الاضطراب. مضت الأيام واستمرت الأمور على حالها، حيث كانت ليالي مصممة على الطلاق، وجلال قد اقتنع بالأمر، ليصبح

الجميع في حالة من القهر، عدا أم الديب التي لم تتمالك نفسها من فرحتها. في يوم الطلاق، كان عم سلامة وأبناؤه حاضرين إلى جانب بعض الأقارب، وقد انتاب عم سلامة شعور من الاستغراب عندما

لاحظ تأخر جلال، وهو يراقب الساعة بترقب، محاولاً أن يسيطر على مشاعره التي كانت تتأرجح بين التوتر، والحيرة:

_ جلال اتأخر ليه؟

رد صابر، وهو ينظر في ساعة اليد بتجاويد وجهه التي تعكس قلقه المتزايد، في محاولة للتخفيف من

توتر اللحظة. كانت نظراته تنتقل بين الساعة وأفق الانتظار:

أم الديب الجزء الثاني

=زمانه جاي.

في السيارة، بينما كان جلال يقودها بصمت، وكأبة، جلست نعمة بجانبه، يظهر على وجهها الشجن من خبر طلاق أخيها وزوجته. كان الألم يعتصر قلبها، وهي تحاول بكل جهدها وبكل وسيلة ممكنة أن تجد حلاً يصلح ما يمكن إصلاحه بينهما، وتعيد الأمور إلى نصابها قبل أن تنتهي علاقتهم التي كانت مليئة بالذكريات والتجارب المشتركة. نظرت إلى الخارج، محاولةً أن تجد بعض الأمل في المشهد الذي يتغير من حولها، فقالت:

_راجع نفسك يا جلال احنا مش عايزين خراب بيوت... العيال هيتشردوا ومش هيلاقوا اللي يراعيهم! لكن المعلم حنفي كان يعلم أنه أصبح أمر واقع ولا بد منه فقال بنيرة تعيسة:

=خلاص يا نعمة ده أمر الله... ليالي مابقتش قادرة وأخوكي مش عاوز فسيبي كل واحد على راحته. قالت نعمة بحزن:

_بابا ماهو خراب البيوت مش سهل برضة... دي حاجة تقطع القلب خصوصاً إن بينهم عيال! رد جلال باهتياج، متفجراً بكلمات حادة كالكساكين، عكست شدة استيائه وتراكم المشاعر المكبوتة في صدره:

=خلاص يا نعمة أنا ادبتهم كلمة ومش هرجع فيها!

تفوهت نعمة بحسرة، وكأن الكلمات كانت تتدفق من قلب مثقل بالألام والأحزان المتراكمة، تعبر عن شعور عميق بالفقد، والخسارة، وصوتها كان متهدجاً ينم عن الدموع المكبوتة التي توشك على الانفجار في أي لحظة:

_يا جلال اسمع كلامي!

رد جلال بعصبية، حيث كانت كلماته تخرج متقطعة، وعيناه تلمعان بوميض الغضب الذي اشتعل في صدره، محاولاً السيطرة على انفعالاته التي بدأت تخرج عن نطاق السيطرة:

=كبري دماغك يا نعمة!

لكن أم الديب، رغم كل ما حدث، ظلت مغمورة بسعادة كبيرة بخبر طلاقهم، حيث قالت بلهجة مفعمة بالارتياح، وكأن كل هموم الدنيا قد زالت عن كاهلها في تلك اللحظة:

_والله والكابوس ده هيتشال من على قلبي... ده اليوم اللي آني بتمناه من زمان.

ردت هايدي بحزن:

=حرام عليك يا ماما، انتي شمتانة فيهم؟ أنا بجد مش قادرة أصدق إن جلال هيطلق ليالي... احنا مهما كان اتعودنا عليها... رغم إنها سوسة ومش سهلة بس فيها شوية جدعنة... أنا ز علانة أوي!

قالت أم الديب بصياح:

_تزعلي على مين يا بت الهيلة! على ليالي بت سلامة؟ ده ياريتته كان طلقها من زمان وريحنا.

تفوهت هايدي باستياء:

=خلاص بقى يا ماما أهو اللي نفسك فيه هيحصل.

تحدثت أم الديب بشماتة:

_أول ما أسمع إن جلال طلقها يا بت تنزلي معايا نوزع شربات على شارعنا من أوله لآخره!

قالت هايدي بصياح:

=وأنا مش هعمل كده، احنا معندناش فرح علشان نوزع شربات... ابنك هيطلق مراته، دي مصيبة!

ردت أم الديب بعجيج:

أم الديب الجزء الثاني

_ انشالله عنك ما وزعتي، آني هوزع آني وخالتيك هو احنا هنغلب يعني...يا ألف بركة، يارب كتر من الأفرح.

اندلعت زغاريدُها، مُرتَعِشَةً في أرجاءِ الحيّ! بعد وصول جلال وعائلته إلى منزل عم سلامة كانت ليالي تُحاول جاهدةً أن تتماسك، ولا تُضعف، وتُواسيها أختها ونعمة، والمأذون حاضر، وهي تُبكي من داخلها بحزنٍ عميق على فراق زوجها بعد عشرة سنوات من الحب والمودة بينهما. قالت في صمتها الحزين:

= خلاص كده يا جلال؟ كل واحد هيروح لحاله؟ بعد ما اتجوزنا وخلفنا يعني مش هشوفك تاني؟ ولو شوفتك هتبقى صدفة... مش هصحى من النوم تاني لأقبيك جنبي بنشخر؟ طب والنبى كان على قلبي زي العسل، بس هعمل ايه انت هديت كل اللي بينا بعمايك انت، وأمك... يارب تكون فرحانة دلوقتي، ومرتاحة، أنا عارفة إن ده اللي كان نفسها فيه من زمان... أنا مش صعبان عليا غير عيالي هيعملوا ايه من بعد ما أبوهم وأمهم يتطلقوا، وكل واحد يمشي من طريق!
تحدثت المأذون بمُعاودة:

_ راجعوا نفسكم لعل وعسى حد فيكم يتغير للأفضل!
ردت ليالي بتماسك واضح، وهي تقاوم نزول دموعها بصعوبة بالغة، متشبثة ببقايا كرامتها وكبريائها، وقالت بصوت خافت لكنه مليء بالعزيمة:
= أنا راجعت نفسي يا عم الشيخ وخلاص مش هرجع في كلامي... اتكل على الله.
نظر المأذون إلى جلال بنظرة حازمة، وقال بصوت هادئ لكنه يحمل في طياته ثقل المسؤولية وجدية الموقف:

_ وانت رأيك ايه يا أستاذ؟
نظر جلال لزوجته، وقال بانكسار:
= ومين قالك يا ليالي إن أنا جاي أطلقك؟ أنا جاي أهدك نرجع بيتنا!
بالطبع، لم يكن أحدًا منهم مستعدًا لهذا الخبر، ولكن الصدمة كانت أعظم على وجه نعمة، حيث كانت تحاول بإصرار أن تقنعه بعدم فك العقد الزوجي، ولكنه رفض. في رد فعل طبيعي، قال عم سلامة:
_ خدي قرارك يا ليالي.

ردت ليالي بتماسك:
= أنا خدت القرار يابا... اتكل على الله يا شيخنا!
وقف جلال فجأة، وصاح بنبرة جهورية تخترق السكون المحيط، وقد امتلأت نبراته بالإصرار:
_ وربنا ما هطلقها... ماتقول حاجة يا حمايا!
قالت ليالي بتعجب:

=أمال انت جاي ليه؟
أجاب جلال بنظرات حزينة:
_ أنا جاي أرجع الماية لمجاريها.

تغيرت نبرة جلال بشكل مفاجئ من الحزن العميق إلى الصياح الكامد، عندما نظر للحاضرين بعينين مشتعلة، وقال بغلاظة:

_ يلا يا جدعان كل واحد يشوف أشغاله، وأنا طلاق مش هطلق، ليالي هتفضل على ذمتي لحد ما ربنا ياخذني!

أم الديب الجزء الثاني

تفوهت نعمة بغضب:

=بعد الشر يا جلال ماتفتكر حاجة حلوة !

أمسك جلال يد زوجته برفق، وقال بحنان، وكان نظراته تحمل صبابة السنوات، والتجارب التي مرا بها معًا:

_قومي يا ليالي لمي هدمك، وارجعي بيتك... ده انتي اللي مهونة عليا الدنيا واللي فيها... كانت تتقطع ايدي قبل ماتتمد عليكي يا ليالي... أنا قدامك أهو اعلمي اللي تعمله بس يا ليالي أنا مقدرش أطلقك!

لقد شعرت ليالي بضعفٍ نادرٍ في حديث زوجها، حيث أظهر ضعفه لأول مرة أمامها وأمام الحضور. على الرغم من أنها كانت تتمنى هذا الرد منه، كانت تكابر وتُعبر بنبرة حادة قائلة:

=لا شوف حالك يا جلال.

اقتربت نعمة من ليالي، وعانقتها بشدة وكأنها ترغب في نقل كل مشاعرها عبر تلك اللمسة الحنونة، ثم قالت بصوت ملؤه الدفء:

_جلال بيحبك ده قلبه أبيض، وطيب بس هو كان متعفرت وقتها... ده حتى هو قالي مش هيعمل كده تاني وقالي إنك غالية عليه !

ردت ليالي بإصرار ثابت على قرار الطلاق، وقالت بتماسك يحمل في طياته عزيمة قوية:

=ولو برضة يا نعمة، أنا بت ناس وليا قيمتي!

تحدث المعلم حنفي بابتسامة عارمة:

_أنا دلوقتي اتأكدت إن جلال بيحبك أصل الواد جلال عمره ما يطلع منه كلام زي ده. ثم ضحك، وأردف بمزاح:

_انت جلال ابني ياض ولا ايه نظامك؟

تضاحك جلال، وأجاب بمرح:

=ابنك أمال هكون مين يعني؟

تحدث عم سلامة بوجه عابس، وقد تجلت على ملامحه تجاعيد القلق، وقال بتشدد:

_ليالي هترجع بشروط!

رد جلال:

=قول يا حمايا أنا سامعك!

تحدث عم سلامة بصوت حاد:

_تمشي جنب الحيط لا سرقة، ولا مشاكل، ولا بتاع!. أنا بتي لازم تعيش في أمان وتاكل هي وعيالها بالحلال !

أجاب جلال بموالاتة:

=موافقك يا حمايا.

وأردف لتباهي:

=ما تقولي حاجة يا حماتي !

ردت تباهي بحسم:

_أنا كلامي زي كلام سلامة، وزود عليه ايديك متمدش على ليالي مهما يحصل !

رد جلال بسعادة:

أم الديب الجزء الثاني

=موافق يا حماتي.

وواصل لزوجته باشتياق:

=يلا يا ليالي ارجعي بيتك.

تحدثت نعمة بفرحة عارمة:

_ ارجعي يا ليالي ده انتي وحشتيني... ده البيت كئيب من غيرك ومالوش طعم!

نطقت ليالي بصوت حاد:

=هتفد شروط أبويا، وأمي؟

أجاب جلال بابتسامة:

_ هنفذها ولو لقيتي غير كده ليكي الحق تتكلمي ساعتها.

ردت ليالي:

=ماشني يا جلال هديك فرصة.

عائق جلال المأذون، وقال له بصوت مختلط بين الامتتان والوداع:

_ يلا يا عم الشيخ مش عايزين نشوفك غير في الأفراح وبس.

وصافح الحاضرين واحدًا تلو الآخر، وهو يواصل حديثه بنبرة يملؤها التقدير:

_ يلا يا عم انت وهو كل واحد يشوف أشغاله.

غادر الناس منزل عم سلامة برفقة المأذون، بينما دخلت ليالي غرفتها لتعد حقيبتها، متأهبة للعودة إلى

منزلها برفقة زوجها وأبنائها، وعلى الرغم من استعدادها للعودة إلى حياتها اليومية، لم تكن أم الديب

على علم بعودة ليالي، الأمر الذي سيؤثر سلبيًا على مزاجها الممتع في تلك اللحظة. خرجت أم الديب من

المطبخ، وهي تحمل صينية الشربات التي أعدتها بعناية فائقة، وتبدو السعادة والتفاؤل مشعين على

وجهها لأول مرة، حيث تزينت بابتسامة عريضة تفسر فرحتها بالوضع الحالي، فقالت بحبور:

=أني هنزل أوزع شربات ده النهاردة عيد.

ردت هايدي بلا مبالاة:

_ براحتك.

نزلت أم الديب إلى الشارع بفرح عارم، وهي تحمل صينية الشربات بيدين ترتعشان من الحماس،

وكأنها تحمل كنزًا ثمينًا ترغب في مشاركته مع الجميع. كان وقع خطواتها على الرصيف ينم عن حيوية

وشعور بالاحتفال، وأخذت تطلق الزغاريد التي ملأت الأجواء بنغمة مبهجة، تعبيرًا عن سعادتها

الغامرة. اقتربت من جارتها، ووجهها يشع بالإشراق، بينما قدّمت الكوب الذي يحمل الشربات بكل

لطف، ونطقت:

=خدي يا أم فتحي خدي.

ردت جارتها بتعجب:

_ هايدي اتخطبت ولا ايه؟

أجابت أم الديب ببهجة:

=هايدي مش عايزة تتجوز... جلال هيطلق ليالي دي كانت زي الهم على القلب!

صرخت جارتها، وقالت بصدمة:

أم الديب الجزء الثاني

_يا ساتر يارب، ومالك فرحانة كده ليه؟

تفوهت أم الديب بعجيج:

=ايه يا ولية انتي مابنفهميش؟ مآني بقولك كانت زي الهم على القلب... دي كانت كل يوم تتخانق معايا، وكنت مستحلاها وبقول عليها زي بتي يلا ربنا ينتقم من الظالم و المفتري.

أطلقت أم الديب الزغاريد مجددًا، وهي تقدم كوب الشربات لسعاد أختها، في لحظة الفرح والاحتفال. تخللت الزغاريد أجواء الحارة بنغمات ملونة، بينما كانت عينيها تتلألأ بالسرور، قالت:

=خدي يا سعاد ياختي!

ردت سعاد بفرح:

=ألف مبروك يا أم الديب عقبال الفرح.

نطقت أم الديب بصياح:

_فرح مين يا ولية ياللي تنتشكي في بطنك؟ جلال هيطلق ليالي!

صرخت سعاد هي الأخرى، وقد امتلأ صوتها بالفزع، وبدت كلماتها مفعمة بالحزن، وهي تقول:

=لا إله إلا الله ليه كده بس؟

أجابت أم الديب بصخب:

_وهي اللي زي دي حد يطيقها؟ الواد اتخنق منها ومن همها، بعد ما يطلقها هنشوفله عروسة حلوة على مزاجي.

حزنت سعاد لما سمعته من خبر مقيت، فقالت:

=ربنا يعوض عليه يا أم الديب.

ردت أم الديب بسعادة:

_يارب ياختي.

أثناء توزيع أم الديب للشربات، إذا بالسيارة التمنائية تقترب، يقودها جلال ويجلس إلى جانبه المعلم حنفي، بينما كانت نعمة، وليالي، والأطفال يجلسون في المقاعد الخلفية. فجأة، توقفت السيارة فجأة، وخرج جلال برأسه من النافذة، وقد علت ملامحه الدهشة، وهو ينظر إلى المشهد أمامه وكأنما يتأكد من صحة ما يراه، ثم تلفظ:

=بتوزعي ايه ياما؟

ردت أم الديب ببهجة:

_بوزع حلوة الطلاق يا ولا.

قال جلال بتعجب:

=طلاق ايه ياما؟

أجابت أم الديب بسعادة:

_انت مش طلقت لـ....

لاحظت أم الديب وجود ليالي في المقعد الخلفي من السيارة، فبدا وجهها فجأة شاحبًا وقد انعكست الصدمة على ملامحها. في لحظة من الذهول، صرخت بأعلى صوتها، وألقت بصينية الشربات على الأرض، فتناثرت المشروبات في كل الاتجاهات، بينما كانت كلماتها تصدح بوضوح بين هول المفاجأة، كأنما تعبر عن صدمتها العميقة بما رأته بقولها الهالك:

أم الديب الجزء الثاني

=ايهي هي ايه اللي رجعتها معاكو؟

رد جلال بوضوح:

_أنا مطلقتهاش، ومش هطلقها... هي هايدي مقالتكيش؟

نطقت أم الديب بصياح:

=هي هايدي عارفة؟

رد جلال بصدق:

_أمال ايه ده الأخبار واصلالها أول بأول !

انزعجت أم الديب من ابنتها هايدي حين اكتشفت أنها كانت على علم بأمر جلال وليالي، لكنها أخفته عنها. انتفخت عروقها وتورد وجهها من الغضب، وهي تقول بصوت يتصاعد كبركان ثائر:

=يا بت الكلب يا هايدي!

طارت أم الديب إلى شقتها، وكان جناحي السخط يرفرفان بها بسرعة لم تعهدها من قبل، وهي توبخ ابنتها بنبرة شديدة، وصوتها يرتفع بصياح مدوي يعبر عن عمق مشاعرهما الممزوجة بالاحتقار، قائلة:
=بقي سايباني أنزل، وأوزع الشربات على أهل المنطقة، وانت عارفة إنه مطلقتهاش يا بت الجزمة؟
تحدثت هايدي بصراخ مدوي، وقد كادت أن تسقط تحت وطأة سخط أم الديب المتفجر:

_أنا لقبتيك مصممة قولت أسيبك !

واصلت أم الديب تعنيف ابنتها بشدة، وعيونها تشتعل كالجمر، وهي تصرخ بصوتها الممزق :

=واطية زي أبوكي... يا خسارة الفلوس اللي دفعتها على الشربات !

ردت هايدي بنواح:

_سيبيني بقي... آه!

تحدثت أم الديب بصياح:

=هو انتي لسه شوفتي حاجة يا بت؟

صعدت العائلة إلى شقة أم الديب، وقد ارتفعت أصوات الشجار إلى عنان السماء. كانت نعمة هي أول من وقفت في وسط الفوضى، مستميتة في محاولة الفصل بين الأم وابنتها. بدأت تنزع بأيديها القوية من بين أصابع أم الديب الممسكة بشعر هايدي، بينما كان غضبها يتصاعد ويشتعل، قائلة بثوران:

_اتهدي بقي ياما!

صاح المعلم حنفي قائلاً:

=جرا ايه يا ولية انتي مبتتهديش، ده من أول يوم رمضان وانت ركبنانا لهم !

تحدثت جلال بسعادة غامرة، وقد كان قلبه يغمره شعور بالفرح لا يُضاهى، وهو يعانق زوجته برفق، كانت ابتسامته تتسع، وكان صوته يعبر عن تألق مشاعره، قائلاً:

_كل سنة، وانتوا طيبين، أول يوم العيد بكرة.

وطأت هايدي فخذها بيدها، كأنها تحاول كبح جماح ألم داخلي يشدها بقوة، وبينما كانت صرخاتها تتعالى، كأنها تستنجد بالعالم من حولها، قالت بلهجة يائسة:

=ده عيد أسود فوق دماغي !

يتبع....

الفصل الثامن عشر

في مكان شاسع وفاخر يفيض بالجمال والروعة، حيث تألقت الزينة بألوانها الزاهية والأنوار المتلألئة، جرى افتتاح القناة الجديدة، وهو الحدث الذي جلب معه الفرح والتوقعات الكبيرة. تجمع أفراد العائلة بأكملهم في هذا الحدث البهيج، حيث كانت وجوههم تشرق بالفخر. اقتربت سامية من والدها، مستعرضة ابتسامتها الواسعة التي تصف فرحها العميق، وعانقته بحنان يشع من قلبها. ثم نطقت، وقد تخلل كلماتها سرور لا يوصف:

_ألف مبروك يا حبيبي.

نطق باسم بفرحة عارمة، وقد تجسدت سعادته في كل حرف من كلماته، حيث أضاف إلى الكلمات نغمة من الحماس:

=الله يبارك فيكي يا سامية.

تحدثت أم قمر الذين بسعادة غامرة، فانسجت نبرات صوتها بالافتخار، مما أضفى عليها لمسة من السرور. قالت، وهي تلوح بيدها برفق كما لو كانت تداعب لحظات الفرح:

_بجد أخبار تفرح خصوصاً إن بكر العيد... كل سنة وانتوا طيبين يا ولاد!

رد الجميع بابتسامة مشرقة، تُعبر عن عمق سرورهم للحظة المميزة. كانت الابتسامات تتبادل بين الحضور كأنها رسالة صامتة من الفرح، تعكس السعادة التي ملأت القلوب: =وحضرتك طيبة.

باستخدام المقص بمهارة، قام باسم بفتح الشريط الأحمر، وسط هتافات حماسية وتصفيق حار من الحضور الذين كانوا يعبرون عن دعمهم للحدث، وفيما اجتمع الجميع على الكراسي المرتبة بشكل أنيق، وقف باسم بثقة، وألقى كلمته بحضور قوي، وشخصية جذابة، قائلاً:

_الحقيقة أنا سعيد جداً بوجودكم حواليا النهاردة ودي قولتها وهفضل أقولها كل ما نتجمع، لأن وجودكم جنبي دي الحاجة الوحيدة اللي بتفرحني، والنهاردة الفرحة تلاتة مش اتنين، فرحة افتتاح القناة، فرحة وجودكم جنبي، فرحة العيد، كل عام وانتم بألف خير أتمنالكم دايماً أفضل حال، وأحب أرحب بمدير القناة اللي هيكون ماسك كل حاجة بعد مني وهو اللي هيتابع كل حاجة أول بأول، هو حد مش غريب إطلاقاً، بالعكس هو حد قريب جداً .

ثم ارتفعت نبرة صوته بحماس متقد، تعبيراً عن الامتنان الذي يشعر به. وهو يواصل حديثه، أضاف: _زوج بنتي جميلة...انفضل يا أستاذ أحمد!

بينما كان الجميع متأثرين بالمشهد، دخل أحمد ببساطة، كمن يتنقل بين ألوان الربيع في هدوء مهيب. صافح باسم بحرارة، ثم توجه إلى الميكروفون بثقة، وبابتسامة مشرقة تتلألأ على وجهه، أعلن أحمد قائلاً:

=شكراً ليكم جداً...أنا اللي مبسوط بجد إن أنا مع أستاذ باسم، أنا بعتبره في مقام والدي حتى بقيت أستشيريه في كل حاجة وليا الشرف إن أنا بستفيد من خبرات حد في المقام الكبير ده وهو فعلاً مثلي الأعلى اللي بتمني أكون زيه في يوم من الأيام، وإن شاء الله هنكون عيلة واحدة، وإيد واحدة في القناة محدش أبداً هيحس بالعربة... أشكركم !

أم الديب الجزء الثاني

استمر الجميع في التأمل، مستغرقين في الأجواء الاحتفالية واللحظة السعيدة. ثم عاد باسم ليخاطبهم من جديد، معبراً عن سعادته العميقة، وبيد ممتدة برفق على كتف أحمد، أشار إليه باعتزاز، وقال بفخر: _حقيقي ولد محترم، وكل يوم بيثبتلي إنه قد الأمانة، والأمانة هنا مش القناة لا خالص... الأمانة هي وجود بنتي معاه.

عانق أحمد والد جميلة مرة أخرى عناق قوي، محملاً إياه بمشاعر الاحترام والتقدير. ثم جلس في مكانه وسط الحضور، حيث كانت الأضواء تلقي بريقها على وجهه المضيء. ومع ابتسامة مشرقة، واصل خطابه قائلاً:

_أحب أعرفكم بمذبة المستقبل اللي هنتورنا هنا، وهتكون معنا كل يوم بإستمرار... ألف مبروك يا جميلة.

بفرحة غامرة، دخلت جميلة إلى المكان، حيث عانقت والدها بشغف، وسط هتافات الحضور المتجمعين حولهم، الذين عبروا عن تقديرهم للمناسبة، وعندما وقفت لتلقى كلمتها، شعرت بنبض الفرح يملأ قلبها، وأعربت بسعادة قائلة:

=ميرسي يا بابي... إن شاء الله هكون متواجدة معاكم كل يوم هنتكلم في قضايا عامة... الفاشون، المشاكل بأنواعها، وأنا متأكدة إننا دايمًا هنوصل للقامة طول ما بابي في ضهرنا... ربنا يخليك ليا يا حبيبي.

عندما انتهت جميلة من حديثها، عانقت والدها مرة أخرى بشغف، وسط التهاني والتبريكات التي انطلقت بينهم من كل حذب وصوب، مما أعطى اللحظة طابعًا من السرور. في منزل أم الديب، في تمام الساعة التاسعة مساءً، وبعد أن انتهت العائلة من وجبة الإفطار التي كانت مليئة بالمحبة، بدأت نعمة في التحضير لأول أيام العيد. جلست بتركيز، وبدأت بكتابة طلبات الكعك، والبسكويت، والبيتيفور، محاطة بروائح التوابل التي تملأ الصالة. ثم التفتت إلى حمود، وقالت بحرص:

_انزل يا حمود هاتلنا تسعة كيلو دقيق، وخمسة كيلو سمنة، وأربع أكياس بيكينج باودر، وسبع أكياس فانيليا، وكرتونة بيض، وأربعة كيلو لبن، وكيسين خميرة، وريحة كحك، وكيلو سمس، واثنين كيلو ملبن، وأه متنساش ريحة البرتقان عشان البسكوت.

صرخت أم الديب من كثرة الطلبات، وقد بدا الاستياء على وجهها، قائلة: َ
=يا لهوتي، كل دهو يا بت؟
ردت نعمة بدهشة:

_ايه ياما بس؟ ما حنا هنعمل كحك، وبسكوت وبيتيفور.

نطقت أم الديب بعجيج:

=يخيبك يا بت، ده كتير أوي!

وواصلت لحفيدها:

=هات نص كيلو دقيق يا ولا، ونص لبن متزودش!

خرجت نعمة عن شعورها، وارتفع صوتها بشكل غير متوقع، وكأنها تدفع بكل ما تخزنه من مشاعر مكبوتة. حيث صاحت في أم الديب بحدة، قائلة: َ

_جرا ايه ياما؟ ده ميعملش كيلو كحك!

وقفت أم الديب في وجه نعمة، ووجهها يشتعل بالامتعاض، كأنها جدار صامد يواجه العاصفة. تبادلت معها نفس الصياح، قائلة: َ

أم الديب الجزء الثاني

=بس يا بت يا قليلة الرباية وطي صوتك مآني اللي معرفتش أربيكي انتي وأخواتك!
تحول وجه نعمة إلى بركان يغلي من الضيق، وارتفعت نبرتها كالصاعقة التي تخترق السكون،
وصاحت قائلة: ُ

_سيبك منها يا حمود، وانزل هاتلنا الطلبات دي.

صاح حمود بصوت مهيب، كأنما يقطع سكون الليل بصرخة حازمة، قائلاً:
=انتوا وجعتوا دماغي يا عمتي!

مدت نعمة يدها إلى حمود، وهي تقدم له مفاتيح كل التحديات، حيث كانت الورقة الصغيرة المحملة
بالطلبات والمال تتلألأ بين أصابعها. قالت، وهي تعبر عن رغبتها القوية:

_خد بس، أنا كتبتهملك أهو علشان متنساش وأوعى تضيع الفلوس...امسكها كويس!

استلم حمود الورقة، والمال من عمته، وهو يتلقى بين يديه رمز التطلعات، وألقى نظرة عميقة على ما
في يديه، ثم قال بإحسان:

=ماشني يا عمتي.

بينما خرج حمود من المنزل لشراء الطلبات، نزلت ليالي مع ابنتها، حاملةً صواني كثيرة من أجل صنع
الكعك، والبسكويت، كأنها تحمل كنوزًا من الاحتفالات. ضحكت نعمة، وقد شعرت بفيض من الفرح،
وعلقت قائلة: ُ

_أيوه بقى على الطقم الجديد يا تقى.

ضحكت ليالي بغبطة، كأن ضحكتها تملأ الأجواء بنغمة من الحبور، وقالت:

=قولت أفرحها يا نعمة، ده الود ودي أجيبهم الدنيا كلها.

تحدثت نعمة بابتسامة:

_ربنا يخليكي ليهم يا ليالي.

خرجت هايدي من البلكونة بخفة، وكأنها راقصة تستعرض مهارتها على أنغام نغمة رنين الهاتف
المتردد في الأفق. بتأنٍ وأناقة لافتين، أمسكته بيدها برشاقة وانسلت به إلى الصالة، بينما كان صوتها
يتعالى في المكان، ينادي بحماس:
=الموبايل بيرن يا ماما.

ردت أم الديب وهي جالسة على الأريكة. كانت محاطة بقيود مرئية تكبل جسدها، فتمنعها من الحركة،
وتعوقها عن النهوض:

_هاتيه يا بت أي مش قادرة أتحرك.

استلمت أم الديب الهاتف بحركة هادئة، ورفعت سماعته إلى أذنها، لترد بترقب. على الجانب الآخر،
تعالى صوت أحمد بسعادة واضحة، حيث قال بانسراح:

=ازيك يا ماما؟

أجابت أم الديب بسعادة:

_ألو أني كويسة... ازيك انت يا ولا عامل ايه؟

رد أحمد بتهلل:

=الحمدلله... أنا النهارده كنت في افتتاح القناة.

قالت أم الديب بفضول:

أم الديب الجزء الثاني

_قناة ايه؟

دخلت أم الديب إلى الغرفة الثانية بحذر بالغ، متجنباً أي صوت قد يُسمع في الصالة المجاورة حيث كانت ليالي تتواجد. وعندما تأكدت من عدم وجود أي آذان للتجسس، ارتسمت ابتسامة على وجهها. في هذه الأثناء، انفجر أحمد في فرحة عارمة، قائلاً بسعادة:
=عمي اشترى قناة تليفزيون وعيني مدير القناة، ده حتى جميلة خلاص اتعينت مذيعة، وبقينا شغالين مع بعض!

تفوهت أم الديب بفرحة عارمة:

_يا ألف بركة، مبروك ياخويا... يعني هشوفك على التلازيون يا ولا؟
ضحك أحمد، وقال:

=لا مش بالطبط كده... بس هتشوفي جميلة.

أطلقت أم الديب زغاريد ملؤها الجذل، وكان صدى أصواتها يغمر الأجواء بنغمة احتفالية. ثم قالت:
_فرحتني ياخويا.

في الخارج، تعجبت ليالي عندما سرت في الأفق نغمات الزغاريد العالية التي أطلقتها أم الديب، ما أثار في نفسها شكوكاً وتكهنات حول السبب وراء هذا الاحتفال. اعتقدت ببراءة أن جميلة قد تكون في طريقها لاستقبال مولود جديد. فتوجهت إلى نعمة، وسألته بدهشة ملحوظة:

=هي أمك بتزغرد ليه؟

ردت نعمة ببلاهة:

_وأنا ايه عرفني؟

تحدثت هايدي بتعجب:

=هو في ايه بجد؟

بعد لحظات من الانتظار المشحون بالفضول، خرجت أم الديب إلى الخارج، حيث تجمعت العائلة، لتعلن لهم بخبر هائل يسرد الكثير من التوقعات بأن تم تعيين أحمد مديرًا للقناة، وجميلة مذيعة رئيسية، وبينما كانت الأجواء تعج بالتهاني، اشتعلت نار الغيرة في قلب ليالي، التي شعرت بأن جميلة قد أصبحت تتقدم بخطوات ثابتة نحو الازدهار، في حين أنها هي نفسها بدأت تشعر بأن حياتها تأخذ مسارًا عكسيًا، وأنها تنن تحت وطأة تأثير أم الديب. وفي خضم هذه الغيرة المتصاعدة، انفجرت ليالي قائلة بحدة:

_مذيعة مرة واحدة؟ وابنك سبحان الله بعد ما كان مش لاقى يتجوز بقى دلوقتي مدير قناة مرة واحدة.

الواقع هو أن أم الديب تحمل في قلبها كراهية عميقة حتى لأبسط الإشارات التي قد تشير إلى أحمد، وجميلة يعتبران بالنسبة لها الخط الأحمر الذي لا يمكن تجاوزه بأي شكل من الأشكال، ومع تصاعد مشاعر الغل في داخلها، قالت بانديفاع:

=حصوة ملح في عينك يا ليالي.

دخلت أم الديب المطبخ بخطوات مُتسارعة، ووجهها يعبر عن العبوس، بينما كانت تبحث بعصبية عن جرة الملح. كانت تبحث بانديفاع، وفي لحظة من الانفعال، صاحت قائلة:

_راح فين؟ ماهو كان هنا.

دخلت نعمة إلى المطبخ، وقد تجلت على وجهها ملامح التعجب من المشهد المتوتر الذي كانت تشهده، وقالت باندهاش:

=بتدوري على ايه ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

أجابت أم الديب وهي تتفحص المطبخ بحثاً عن الجرة، يتناغم صداها مع سخط اللحظة:
_مرات أخوكي عينها صفرا تندب فيها رصاصه...آني هحشرلها الملح في عينها!
ردت ليالي بصياح:

=ملح ايه اللي تحشريهولي في عيني يا حماتي؟ انتي اتجننتي ولا ايه؟
بدأت أم الديب بالتحدث بصوت مرتفع، وهي لا تزال تفتش في كل زاوية من أركان المطبخ، صوتها يصدح في الهواء مع كل كلمة تنطلق من شفتيها، وهي تواصل البحث عن الجرة قائلة:
_ هو فين يا بت؟
ضحكت نعمة، وقالت بهزل:

=مش قادرة منكم...أقعدي ياما الله يهديكي!
عندما عثرت أم الديب أخيراً على جرة الملح، صرخت ليالي فجأة، وسارعت الحماة بالاقتراب منها بسرعة، وكأنها تسعى لاسترداد الموقف قبل أن يزداد تعقيداً. في تلك اللحظة، اعتقدت أم الديب، بلهجة شديدة اليأس، أن عيون ليالي كالسمك المملح أو ما يعرف في اللهجة المصرية بالفسيح، الأمر الذي زاد من توترها. وفي غُباب هذا الصراع، صاحت ليالي بخوف:
_الحقي يا نعمة!

نشبت أم الديب في رأس ليالي، في مشهد درامي يعكس شدة انفعالها، وهي تصرخ في نعمة، وهايدي بتسرع، قائلة:

=امسكيها يا بت منك ليها!
صخبث ليالي بصوت عالٍ، وابتعدت عن أم الديب، تحاول الهروب من قبضتها الساخطة، وكأن صوتها يحمل نداء الحرية من إمساك المواجهة، فقالت:

_هتبوظلي عيني يا ناس، الحقوني!
تشبثت أم الديب بها بقوة وبشكل مُلح، رشت ملحاً في عينها. وفجأة، استفاقت ليالي من النوم وهي تعاني، وكانت مخضوضة في أثناء تكبيرات العيد. فقال جلال بدهشة:
=مالك يا ليالي؟

يبدو أن إرهاق ليالي كان نتيجة؛ صنع حلويات العيد بمساعدة نعمة، وهايدي حيث تسبب لها في كابوس قوي أتلف أعصابها، وفي حالة من التعب، كانت تلاحق أنفاسها وهي متعبة، وتمرر يدها على قلبها، ثم قالت بنبرة متعبة:

_كابوس كاتم على نفسي... هي الساعة كام؟
نزل جلال من على السرير، وقد بدا عليه الارتباك من الفوضى التي اجتاحت الغرفة، وقال بقلق:
=الساعة خمسة وربع... يلا قومي البسي ولبسي العيال نلحق الصلاة.

في الواقع، نسقت الأسرة ملابسهم، ثم خرجوا من المنزل، وهم يتوجهون جميعاً لأداء صلاة العيد في جو ديني بهيج، يخترقه صدى تكبيرات العيد، وكان أهل القرية يرتدون الإسدال والقفطان، يتجهون بهجة لمشاركتهم في هذه اللحظة المميزة التي تجمع أفراد الأسرة. أما جلال، فاستخرج هاتفه المحمول ليوثق هذه اللحظة الجميلة بين أفراد العائلة، وعبر عن سعادته بكلمات مفعمة بالبهجة، قائلاً:
=يلا يا عيال مدوا شوية عايزين نلحق.

نشبت ليالي بيد ابنتها برفق، بينما كانت تتحدث بحنان، وقالت:
_حاضر ياخويا... ده امبارح كان يوم صعب يا نعمة ده احنا منمناش غير ساعتين.

أم الديب الجزء الثاني

ردت نعمة بحبور:

=معلش بس أهو فرحنا العيال بطلويات العيد.

نطقت ليالي، بينما كانوا يتوجهون نحو المسجد بخطوات سريعة، وقد سكنت على وجهها ملامح التأمل،
قائلة:

_ على رأيك.

نظرًا لعدم فهم جلال لكيفية استخدام الهواتف بشكل صحيح، حيث لم يكن يفهم سوى كيفية فتح الكاميرا فقط، لامس إصبعه خيار المشاركة على اليوتيوب بطريقة غير مقصودة، ونتيجة لذلك، انتشر الفيديو عن طريق الخطأ، وبعد خمس دقائق تلقى جلال إشعارًا يفيد بأن الفيديو الذي قام برفعه قد حصد ثلاثمائة مشاهدة. نظر بدهشة، وقال:

=الحقوا!

أجاب الجميع بترقب:

_ ايه؟

ردت ليالي بدهشة واضحة، بينما كانت عيناها تتسعان من الاستغراب:

=طب والعمل ايه يا جلال؟

تلفظ جلال بحيرة:

_ مش عارف.

تحدثت نعمة، وهي تسير بخطوات متعجلة، وكأنها تسعى للوصول إلى هدف محدد قبل أن يتأخروا على صلاة العيد:

=مدوا بس خلونا نلحق الصلاة.

تلفظت أم الديب بغبطة:

_ كل سنة، وانتوا طيبين يا عيال.

ردت ابنة أختها سعاد:

=وانتي طيبة يا خالة أم الديب... ينعاد عليكى العيد وانتي بالصحة والسلامة.

بعد وصولهم إلى المسجد، دخل الرجال والنساء كلٌ إلى مسجده الخاص، حيث قاموا بأداء صلاة العيد في أجواء ملؤها الإيمان، وسط أهل القرية الذين تجمعوا بأعداد غفيرة. أضفى الحشد الجميل رونقًا على المشهد، حيث كانت البالونات تتناثر في السماء كرموز للفرح، بينما كانت النساء يوزعن الشوكولاتة على الحضور بسخاء، وعند عودتهم من الصلاة، كان جلال وأسرته يحملون بالونات ملونة بأيديهم، بينما كان الجميع يرتدي القفطانات، والإسدالات، والعباءات التي تعكس أجواء العيد وتقاليده. أما جلال، فقد اختار الاحتفاظ بمظهره السرسجي التقليدي، الذي ميزه عن باقي الحضور، وعندما دخلوا المنزل، نظرت نعمة إلى العائلة بابتسامة ملأنة بالهدوء، وقالت:

_ كل سنة وانتوا طيبين وبألف خير.

ردت أم الديب بسرور:

=وانتي طيبة يا نعمة... مش ناوية يا بت تخاوي ابنك؟

قالت نعمة بانفعال:

_ يوه ياما، احنا مش هنخلص من الحوار ده بقى؟

تفوهت أم الديب بالحاح:

أم الديب الجزء الثاني

=وهنفضل نعيد ونزيد فيه لحد ماتسمعي الكلام... مفيش حد غيرك في أخواتك اللي معاه حته واد واحد .

ردت نعمة بضيق:

_ربنا يخيله ولاد خاله... بيلعب معاهم ومبسوط، مكنش اشتكالك!

تلفظت ليالي بنبرة خبيثة، مشبعة بالسخرية، قائلة:

=سببها براحتها يا حماتي، ومش من أولها كده طيب افكريلنا حاجة عدلة !

ردت أم الديب بجلبة:

_وانتي فاكراني هسيك انتي كمان يا بت؟ هاتي حته واد كمان بدل مانتي معاكي واد وبت بس!

قالت ليالي باعتراض، وقد تجلت على وجهها ملامح الدهشة:

=هو انتي خلصتي من نعمة، ومسكتي فيا أنا؟ ثلاث عيال كثير عليا يا حماتي ومش هقدر عليهم!

ردت أم الديب ببغضاء:

_مستخسرة في ابني حته عيل كمان؟

ضحكت نعمة، وقالت بهزل:

=ياما ياما... ناقص جميلة مقولتيهاش هي كمان !

تفوهت أم الديب بشجن:

_ايهي مآني هكلمها وأقولها، يا عيني عليك يابني، بدل ما مراتك تجيبلك الواد جايالك بتين... طب كفاية

واحدة إنما اتنين ليه؟

تحدثت هايدي بسخط:

=انتوا صدعتوني وكرهتوني في الجواز وسيرته.

بعد أن وصلت العائلة إلى شقة أم الديب، حيث استقبلتهم أجواء المنزل التي كانت تعكس التقاليد، قال

المعلم حنفي بصوت ملؤه الرجاء:

_يلا يا نسوان جهزولنا الفطار.

تحدث جلال بحماس، وقد ارتسمت على وجهه علامات الإشراق، قائلاً:

=طلعوه فوق السطح... خلينا ناكل ونشم شوية هوا.

جلست أم الديب على الأريكة بجانب زوجها، وابنها، وقد تظاهرت بالهدوء، ووجهت حديثها بتوجيه،

قائلة:

_اتشملي يا بت منك ليها واعملولنا أكلة ترم عضمننا.

دخلت نعمة، وليالي المطبخ لتحضير فطور أول أيام العيد. كانت كل واحدة منهن تبرز براعتها في

تقشير الفسيخ، والرنجة، فكانت ليالي تتألق في إزالة القشور، وتنظيف باطن السمك، وبراعة تقطيع

الليمون. أما نعمة، فكانت تتألق في شواء الرنجة، حيث تعبق رائحتها وتملأ المنزل بأكمله. ثم يقومون

بتقطيع البصل الأخضر، والطماطم إلى حلقات، يضيفونها إلى الأطعمة ببراعة، مما أضاف على الجو

طابعاً لذيذاً، وبعد ربع ساعة، خرجت هايدي من غرفتها وانغمست في رائحة كريهة تدب في أنفها.

فوضعت يدها فوق أنفها بانزعاج، وقالت بتعبير يعكس اشمئزازها:

=ايه الريحة المنتنة دي؟

أم الديب الجزء الثاني

كان جلال مستلقي على الكنبة، يستمتع بمشاهدة المسرحية الشهيرة لأول أيام العيد بعنوان "العيال كبرت"، وبينما يشاهد، ينطق قائلًا:
_ دي أكلة مزاج فسيخ، ورنجة.
ونادي أخته بصوت عالٍ:
_ زودي بصل يا نعمة.

تحدثت هايدي باشمئزاز:

= أنا بطني هتقلب، انتوا ازاي بتاكلوا الأكل ده؟ دهانتوا ريحتكم هتبقى مُقرفة كمان شوية... أروح فين أنا دلوقتي؟

رد جلال بلا مبالاة حينما حجبت هايدي رؤيته لشاشة التلفاز:

_ طب وسعي ياما بس كده عشان مش شايف المسرحية!

في هذه اللحظة، كانت هايدي مُزعجة للغاية بسبب تصرفات جلال وعدم اكتراثه، مما زاد من استياءها. دخلت المطبخ حيث كانت نعمة، وليالي يواصلون تجهيز الطعام، وقامت بحجب أنفها بيديها وكأنها تحاول منع تأثير الروائح التي تعكر مزاجها. عبّرت عن استيائها من تصرفات جلال بتعبير وجهها الممتعض، قائلة:

= طبانتوا هتاكلوا من الأكل ده... أنا هاكل ايه بقي؟

ردت نعمة بحدب:

_ خدي مفتاح شقتي واطلعي سخنيك كوباية لبن، وخدي شوية كحك، وبسكوت وافطري.

قالت هايدي برفض:

= لا طبعا ده ميعتبرش فطار، انتي عندك بطاطس فوق؟

أجابت نعمة، وهي تطهر الخص تحت المياه، وقد كانت مشغولة بحركة اليدين التي تدل على التركيز، قائلة:

_ أه عندي.

أخذت هايدي مفتاح شقة أختها نعمة وصعدت إلى هناك لتقوم بإعداد البطاطا لنفسها، في محاولة للابتعاد عن الأجواء المُزعجة التي كانت تحيط بها. في هذا السياق، قالت أم الديب باهتمام:

= أحمد وجميلة جايبين النهاردة.

تحدث المعلم حنفي بإرشاد:

_ طب روقوا الصالة يا ولية، دي مليانة عفرة من كحك امبارح.

وأردف حديثه لجلال، الذي كان مستلقيًا فوق ذرات الدقيق دون أن يشعر بما حوله، بنبرة تنم عن التوجيه:

_ قوم يا جلال انت دايس على الدقيق!

نهض جلال من مكانه على الفور، وقد بدت عليه علامات الكمد، وقال بصوت منزعج:

= ايه ده ياما؟ أنا بنطلوني اتبهدل!

ردت أم الديب بغلاظة:

_ ايهي لوم مراتك متلومنيش آني... هو آني اللي كنت بعجن هنا ولا مراتك، وأخواتك اللي كانوا

بيعجنوا؟

أم الديب الجزء الثاني

خرجت ليالي من المطبخ بسرعة، وكأنها تتعقب شبح القلق الذي يراودها، وعلت على وجهها ملامح الفزع، والتوتر، وقالت:

= خلاص يا جلال نفص هدمك مش حوار هو.

نطقت أم الديب بامتعاض:

_ أمال، مانتي مش دافعة حق البنطلون من جيبك.

ردت ليالي ببرود يشبه قسوة الصخر، وقلبها كالجليد المتجمد، فأطلقت كلماتها بموجة برود تملأ الجو بالصقيع:

= مش دافعة حقه أه... لكن أنا اللي بغسل الهدوم على إيديا وبيتقطع نفسي.

وأردفت لزوجها ببرود، وهي ترغب في مضايقة أم الديب:

= ماتجيبيلنا غسالة أوتوماتيك يا جلال !

ردت أم الديب بسخرية:

_ هيجيبلك منين هو حيلته حاجة؟ ده انتي مقششاه أول بأول.

قال جلال برصانة:

= اهدي ياما!

وأردف لزوجته بهدوء:

= ربك يسهلها يا ليالي، وهجيبلك واحدة.

اطلعت ليالي على إشعارات هاتفها المحمول، وأمسكت به بين يديها بيدين ترتجفان من الدهشة، عندما اكتشفت أن الفيديو الذي تم رفعه بالخطأ قد حقق نسب مشاهدة عالية بشكل غير متوقع. وقد عبّرت عن صدمتها بوضوح، قائلة:

_ يالهوي يا جلال الحق احنا نسينا موضوع الفيديو.

وجهت ليالي الشاشة نحو وجه زوجها، وهي تحمل في عينيها نظرات من الاستفهام، كأنها تعتقد أن هذا المشهد سيفاجئه تمامًا كما فاجأها، وواصلت حديثها بدهشة، قائلة:

_ بص جايب كام مشاهدة!

قرأ جلال نسب المشاهدة المرتفعة على الشاشة بتمعن، وقد تجلت على وجهه ملامح الدهشة، وكأنما يرى أمرًا غير متوقع. ثم قال بتفاجؤ:

= يالهوي يا بت ده جايب ألف مشاهدة مرة واحدة!

تحدث المعلم حنفي بفضول:

_ فيديو ايه يا جلال؟

رد جلال، وهو غارق في قراءة التعليقات التي تتوالى على الشاشة، كانت عيناه تنتقلان بين السطور بسرعة، وكأنه يبحث عن تفسير لهذا الاهتمام المفاجئ:

= استني هقولك... ده في واحد بيقولي ينفع تعملولنا مقالب، وتحديات... هي هايدي راحت فين؟ قالت ليالي:

_ هايدي في شقة نعمة.

رد جلال ببلاهة:

= أنا مبفهمش في حوار النت والكلام ده حد يفهمنا.

أم الديب الجزء الثاني

سحبت ليالي الهاتف من يد جلال بقوة، وكانت تحاول بتركيز فائق قراءة الآراء. في هذا السياق، قالت وهي تقرأ أحد التعليقات بتعبير مليء بالفضول:
_ انتوا مسخرة... احنا مسخرة يا جلال؟
نطق جلال بعصبية واضحة، وقد ارتسمت على وجهه تجاعيد الغضب:
=مين ابن الجزمة اللي قال كده؟

ردت ليالي بانزعاج:

_ مش عارفة مش مكتوبله اسم... سيبك من الكلام ده دلوقتي.
دخلت ليالي إلى المطبخ لاستكمال عملية الطهي، ومع مرور نصف ساعة، أنهوا جميع التحضيرات بنجاح. ثم صعدوا إلى السطح لفرش السجادة، حيث أفضى المكان لمسة من الروحانية. في هذه الأثناء، دخلت نعمة إلى شقتها، حيث وجدت هايدي منهمة في ترتيب بعض الأشياء، وقالت بلهجة ملؤها الحماس:

=خلصني يا هايدي ولا لسه؟

وضعت هايدي البطاطا المقلية برفق داخل الخبز، وقد بدت يديها وهي تنفذ الحركة كأنها تُحضّر وجبة مميزة بنكهة الحب. ثم قالت برضا:
_ أه خلصت.

بينما في الأسفل على درج المنزل كانت أم الديب تقاوم ثقل جسدها، متسندة على جلال. فقالت بإرهاق، كأن نعمات الكلمات ترسم لحناً من الشقاء:
=اسدني يا جلال آني مش قادرة أطلع.

رد جلال وهو يعاونها، وقد بدت عليه علامات التألم:

_ مانتني لو تبطلني أكل ياما مكنش كل ده حصلك.

قالت أم الديب، وهي تلاحق أنفاسها بصعوبة بعد الجهد الذي بذلته، وقد برزت على وجهها ملامح التعب:

=ده آني أكلتي خفيفة... هو آني باكل حاجة يا ولا؟

رد جلال بسخرية:

_ لا ده انتي تتحسدي من قلة أكلك... أصل أنا اللي مخلص على أكل البيت أول بأول.

تفوهت أم الديب بصوت منهك:

=لا وانت الصادق، مراتك ليالي هي اللي بتحش كثير شكلها مكنش بتاكل في بيت أهلها... جايلنا جعانة من عندهم!

على سطح المنزل، بعد أن سعدت العائلة وهم يحملون الطعام بأيديهم وضعوا الطعام بعناية على السجادة، حيث جلسوا بشغف لتناوله. أما أم الديب، وهي تشير إلى البصل بابتسامة، أضافت لمسة من الفكاهة:

_ ناوليني البصل اللي قدامك يا نعمة.

وضعت نعمة البصل أمام والدتها، وقالت:

=خدي ياما بألف هنا وشفا.

أم الديب الجزء الثاني

كان جلال يسبح في ذوبان قطعة لحم السمكة المملحة، ويتلذذ بتناولها، وهو غارق في جمالها، حيث عبّر قائلاً:

_الفسيح زي الزبدة !

وضعت ليالي قطعة من الرنجة أمام أطفالها، بعد أن قامت بتنظيفها بعناية، وأزالت الشوك منها بدقة، قائلة بلهجة محاطة العناية:

=دوقوا الرنجة يا عيال.

لكن هايدي كانت تقف بعيداً، حرصاً على تجنب الرائحة، ورغم بُعدها، إلا أن الرائحة استمرت في التسلل إلى أنفها. فعبرت بتعبير يعكس انزعاجها قائلة بتقرز:

_الريحة دي قذرة... مش مستحلاها!

أرادت أم الديب إثارة اشمزاز هايدي أكثر من الأول، فأمسكت بقطعة من الرنجة مع البصل الأخضر، وبنبرة مستفزة، وابتسامة شريرة تنظر إليها كأنها تلعب بمشاعرها، قالت:

=تاخدي حنة الرنجة على حنة البصل وتاكلي.

طفى المعلم حنفي في أعماق غمرة السمك المملح، ويشعر بأنه قد أطل في عالم آخر، ممتلئ بالسعادة، وابتسامة كبيرة تملأ شفثيه، يغلق عينيه، وينطق بكلمات تتدفق كالنسيم:

_أكله تعدل المزاج.

ثم فتح عينيه ببطء، وكأنما يستعيد وعيه من حالة من التأمل، وقال بابتهاج:

_أبقوا جهزولنا عصير لموناتا أصل الأكلة دي تحب عصير الليمون.

أشارت ليالي إلى موضع المشروب المثلج، بيدين تشيران بتفاصيل دقيقة، ووجهها مليء بالحرص، قائلة بدفء:

=ماحنا عاملين في الشفشق أهو يا حمايا !

رد المعلم حنفي باسترضاء:

_لاانتوا الصراحة بتفهموا... ياه على الحلاوة.

قربت نعمة يدها من فم زوجها بقطعة من لحم السمكة الذائبة، فرفض بابتسامة خفيفة، وقال بلطف:

=أنا מבحبش الفسيخ... هو ايه اللي هناك ده؟

ردت نعمة، وهي تأكل:

_دي سلطة رنجة ليالي هي اللي عاملاها.

قال حامد باشتهاء:

=ناوليني الطبق!

أعطت نعمة الطبق لزوجها، وقالت:

_خد أهو!

كان أفراد العائلة مستمتعين تماماً، ومندمجين بشدة في لحظات تناول الطعام، حيث تعالت ضحكاتهم واحتدم الحديث بينهم، في أجواء من الانسجام. بينما كانت هايدي تقف على بُعد، تتناول ساندويتش البطاطا الخاص بها ببطء، وقد غمرها إحساس عميق بالوحدة، والفجوة التي تفرقها عن اللحظات الاجتماعية المحيطة بها، وبدون مقدمات، خرج صوت المعلم حنفي من بين حواراتهم المفعمة بالحياة، قائلاً:

=وانتوا هتقابلوا أحمد وجميلة بالريحة دي؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم الديب، وهي تأكل ببطء وتستمتع بكل قضة، وقد ارتسم على وجهها الهدوء، والرضا، قائلة باستمتاع منين بالوجبة:
_ لا ياخويا أبقوا انتشطفوا بس منكروش في الماية عشان الفاتورة.

قالت نعمة لزوجها بينما كانت تتناول الطعام بتأني:
=جرب يا حمو الفسيخ هيعجبك أوي.
تلفظ حامد برفض:

_ لا مليش فيه يا نعومي...سلطة الرنجة متظبطة!
تحدثت ليالي بابتسامه:
=بالهنا والشفاء.

في منزل أم قمر الدين، اجتمعت مع زوجها، وأبنائها حول الطاولة المزينة بألوان العيد الزاهية، والتي كانت تتلألأ بحلول العيد الفاخرة، والمشروبات الساخنة التي تعبق برائحة الثراء. كان الجو مفعماً بالسعادة، والتجمع الأسري، وقد نُقشت ابتسامه مشرقة على وجهها، وهي تستمتع باللحظة وتحتفل بفرحة العيد. وفي لحظة من السرور العميق، قالت برقة:
_ كل سنة وانتوا طيبين.

رد باسم بابتسامه:
=وانتي طيبة يا بسملة.
نطقت منى، ونالا ببشاشة:
_ وحضرتك طيب.
تلفظ قمر الدين، وعلاء الدين بحُب:
=وانتي طيبة.

تحدث باسم، وهو يتناول الكوكيز الشهية ببطء، وكأن كل قضة هي لحظة من الاستمتاع الخالص:
_ منتصوريش يا بسملة قد ايه الفطار ده خفيف.
ردت أم قمر الدين بابتسامه حارة، بينما كانت ترفع كوب القهوة إلى شفثيها، وتستمتع بنكهتها الغنية:
=طبعا ده بيدي باور رهيبه!
تحدث قمر الدين بسكينة، وهو يحتسي النسكافية:
_ بصراحة أنا الأكل ده مش عاجبني... أنا نفسي أجرب أكل الناس الغلابة... عالطول أسمع عن الفول، والفلفل والبطاطس المقلية، والمخلل، والبادنجان... ماتعزمننا مرة على الأكلة دي يا بابا!
ضحك باسم، وقال بانجلاء:
=يابني الأكل ده ثقيل جداً على معدتك وكمان غير صحي... كله زيوت، بس أنا عارف إن الأكل بيحب التجديد وأوعدك إن أنا هعزمك على أكلة مصرية أصيلة قريب أوي!

تضحك قمر الدين، وقال بلهفة:
_ شكرًا يا بابا... وأنا مستنيك توفي بوعدك.
قهقهت أم قمر الدين بضحكة عذبة، تنم عن الانسجام، ثم قالت بمودة:
=بتموتوا في الفقر.

أم الديب الجزء الثاني

تحدث باسم، وهو يشرب الحليب الساخن ببطء، وقد بدت عليه علامات الاستمتاع من كل رشفة دافئة،
قائلًا:

_إطلاقًا يا بسملة، بس مرة من نفسنا.

نطقت منى بفضول:

=صحيح يا مامي سامية، ونرمين، وجميلة هيجوا امتي؟

ردت أم قمر الدين بدلال:

_جميلة، وسامية جايين النهاردة... يا دوب أعمل شعري.

صعدت أم قمر الدين إلى الطابق العلوي لتأخذ حمامًا، وتستخدم الشوار لتصفيف شعرها، كانت تنغمس
في لحظات من العناية الذاتية. أما في المقابل في منزل أم الديب بعد الانتهاء من وجبة الطعام، طرح
جلال سؤالًا حول موضوع اليوتيوب على هايدي، فقال:

=أما صحيح يا بت يا هايدي، احنا مش عارفين نمسح الفيديو اللي نزل بالغلط، والناس عمالة تتريق
علينا، وأنا وربنا لو أطول واحد منهم لأكسره هو وعيلته كلهم!

ردت هايدي باكتراث:

_وريني كده.

حينما أمسكت هايدي هاتف ليالي وراجعت التعليقات، صُدِمَت بشدة عندما اكتشفت العدد الهائل من
التفاعلات والإعجابات، وكأنما تواجه سيلاً غير متوقع من الاهتمام. قالت بدهشة واضحة:

=ده جايب ألفين مشاهدة، وميتين لايك!

قال جلال، وهو يجترع الليمون المثلج، مستمتع بكل قطرة من نكهته المنعشة، وقد تجلى على وجهه
مزيج من الاسترخاء:

_امسحيه، وده هيفيدنا بايه؟ أنا كنت بجرب أتصور معرفش ايه اللي نزله على اليورنامج ده!

نطقت هايدي حروف تعكس الترغيب:

=انت متعرفش إن اليوتيوب ممكن تاخد منه فلوس كتير أوي؟

رد جلال وليالي في آن واحد:

_ازاي؟

أجابت هايدي، وهي تشرب المشروب المثلج بانتعاش:

=كل ما تنزل فيديوهات كل ما هيجيلك فلوس أكثر وأكثر بس اختاروا حاجة حلوة تعجب الناس... يعني
ممكن ليالي تنزل وصفات طبخ، وانت تعمل مقالب.

رد جلال بصوت حاد:

_لا أنا مراتي متظهرش في البتاع ده، وأخلي كل من هب ودب يشوفها...ليه شايفاني ***؟

فقد انزلت كلمات غير لائقة من لسان جلال، مما أثار توترًا غير مبرر في الأجواء، بينما كانت ليالي
مُصممة على إيجاد حلول فعالة لزيادة دخلهم المادي. رغم كل التحديات، كانت عازمة على استكشاف
المزيد من الفرص والإمكانات لتحقيق استقرار مالي أفضل. وبحماس متقد وإصرار لا يلين، قالت
بعزيمة:

=ماتصبر يا جلال ومنتسر عش ياخويا، دي بتقولك بيحبيب فلوس، وبعدين هو أنا هظهر لو احدي؟ مانتي

كمان هتظهر معايا، ثم إن انت جلال وكل الناس بتخاف منك وبتعملك ألف حساب يعني محدش

هيستجراً يتكلم معايا ربع كلمة!

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت نعمة، وهي ترتشف المشروب المثلج بجمام:
_ ياختي أي حاجة فيها فلوس امشوا فيها، مش عايزة تغيري شقتك وتجيبي شقة تانية؟ جربوا ويا تصيب
يا تخيب.

قال جلال بحدة:

=وأنا ايه ضمني إن أنا مش هيتضحك عليا مع إن محدش يقدر يضحك عليا؟
أجابت هايدي:

_ اللي ماسكين اليوتيوب دول شركة كبيرة مش شوية ناس من البلد عندنا، وبعدين ده في ناس غيرت
بيوتها واشترت فلل من دخل اليوتيوب!
بدأت عيون جلال تلمع بالتفكير العميق، وهو يتأمل الفكرة التي طرحتها هايدي، فتسللت إليه إشارات
الأمل، مما جعله يشعر بأن هذه الفكرة قد تكون هي الحل المنشود. بعد لحظات من التأمل، قال بتفاؤل:
=استعنا على الشقا بالله.

سعدت ليالي بعمق عندما وافق زوجها على هذه الفكرة، حيث ارتسمت على وجهها ملامح الارتياح،
وشعرت بطمأنينة تدفئ قلبها تجاه هايدي، وكان عبئاً ثقيلاً قد زال. بابتسامة مليئة بالامتنان، قالت:
_ مش عارفة أشكرك ازاي يا هايدي، ده انتي نجدتينا من وقعتنا... ده يارب كلامك يطلع صح وساعتها
أغير الشقة، ومحدش يبقى أحسن مني وأجيب كل اللي نفسي فيه!

تحدثت نعمة بابتسامة:

=أوعوا لما تنتشهروا تنسوني!

ضحكت ليالي، وقالت بمزاح:

_ يا عبيطة حد ينسى أخته! مانا معتبراكي أختي مش أخت جوزي، وبعدين لو الحوار نفع، امشي انتي
كمان فيه.

رد حامد باعتراض قاطع:

=لا أنا مراتي متدخلش في الحوارات دي... بيتها وابنها أولالها من الناس الغريبة!

قالت نعمة بحسرة عميقة، وقد تجلت على وجهها ملامح الاستياء:

_ ليه كده يا حمو مانجرب احنا كمان هو احنا خسرانين ايه؟

نطق حامد بممانعة:

=لا يا نعمة... أنا الكلام ده مش داخل دماغي.

نهض جلال، وقال بحماس:

_ يلا يا ليالي نجرب.

وأردف لهايدي:

_ تعالي يا بت يا هايدي شغلينا التلافون ده نعمل مقلب في أمك.

لكن هايدي كانت تخشى رد فعل أم الديب العنيف، مما جعلها تتحدث بتردد، وقد بدت على ملامحها

علامات الاضطراب، قائلة بنبرة ملؤها الحذر:

=بس ماما هتعملنا مشكلة وهتفضل تصوت!

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بلا مبالاة تامة، وقد برز على وجهه البرود، وكان الأمر لا يعنيه بشكل كبير، قائلاً بجشع:
_بس في الآخر هيجيلنا فلوس... يلا يا هايدي!

نزل جلال، وهايدي، وليالي إلى شقة أم الديب، حيث كانت أم الديب مشغولة بمرافقة والدتها العجوز لقضاء اليوم الأول من العيد، وتفاصيل الاحتفال بهذا اليوم المبارك. قاموا بتثبيت الكاميرا في مكان خفي وغير ملحوظ، لا يمكن لأحد أن يلاحظ وجودها، بحيث تلتقط الأحداث دون أن تثير الانتباه، وبعد لحظات، نزل المعلم حنفي، الذي كان يقف بعيداً أثناء المحادثات، ولم يكن على دراية بأي من التفاصيل التي دارت، وقد أطلّ عليهم بسؤاله:

=أمك لسه مجاتش هي، وستك؟

أجاب جلال بترقب:

_لا يابا.

رد المعلم حنفي:

=طيب.

ودخل المرحاض، ثم بعد لحظات قليلة، بدأ جلال في تنفيذ المقلب بحذر، فأطلق صرخات بصوت حزين، وكأنه يؤدي دوراً درامياً يتطلب إقناعاً كاملاً، وقد برز على وجهه الشجن، كأنما يعيش اللحظة بكل تفاصيلها، قائلاً بصراخ:

_خالي ضايح مات؟ لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... يا حول الله يارب.

اشتركت ليالي في العرض المسرحي، حيث اندلعت صيحاتها بقوة، وتوجهت بضربة قوية إلى وجهها، معبرة بكلمات مشحونة بالحزن:

=يا لهوي... يا لهوي!

صخب جلال بقهر:

_لا إله إلا الله، يا حول الله أنا مش مصدق!

خرج المعلم حنفي على نواح ليالي، وقد بدت عليه الصدمة من الفوضى التي أحدثها الصوت، فقال بقلق:
=في ايه ياض؟

أجاب جلال باستياء:

_خالي ضايح مات يابا!

رد المعلم حنفي باستغراب عميق:

=مات ازاي؟

قال جلال بصياح:

_مات مقتول يابا... يا عيني عليك يا خالي ده انت اللي كنت شايلني... ده أنا كنت بتعلم منك كل حاجة. دخلت أم الديب، والجدّة العجوز الشقة، وهي تشعر بدفء رعايتها، وقالت لها بحنان:

=خشني ياما!

وواصلت لأبنائها:

=سلموا على ستكم.

عندما لاحظت أم الديب نواح أبنائها، عبّرت بصياح مؤثر عن قلقها، ورغبتها في مساعدتهم، فقالت:

=ابهي مالكم في ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

أجاب جلال بضجيج:

_خالي ضايح مات ياما!

صرخت أم الديب بقوة، ووجهها كالزهرة التي تنكسر تحت ثقل الأمطار، وقفزت في الهواء كطائر شاردي يبحث عن وطنه المفقود، قائلة:

=يا لهوي أخويا ضايح...يا خرابي!

وطأت خواطر وجهها بيدها، وتلفظت بتأوه:

_ابني ضايح... هاتولي ضايح... ده آني ملحققتش أفرح بيه... هاتي الصبارة وادفني يا بسمه... ادفني معاه... أه يا ضايح أه.

الوحيد الذي سعد بهذا الخبر كان المعلم حنفي، الذي صبر سنوات طويلة على ضغوط وأذى كبير من شخص كان يعتقد أنه قد غاب إلى الأبد، فرغم كل المعاناة، كان المعلم حنفي يشعر بشعور من الفرح العميق، حتى وإن كان الواقع الصادم في انتظار أن ينكشف، حيث ستدركه الصدمة الحقيقية عندما يكتشف أن الشخص الذي اعتقد أنه قد فارق الحياة لا يزال على قيد الحياة. فقال بسعادة عارمة:

=أهو مات وريحنا منه... أخيراً هخلص من الجواز الللي متدبس فيها بقالي ثلاثين سنة؟

صرخت خواطر قائلة بألم:

_يا ضايح يابني...يابني يا ضايح!

تلفظت أم الديب بصراخ، وقد تجلى على وجهها الفزع:

=روحت وسيبتنا يا ضايح ياخويا!

تحدث جلال بترح ساحق:

_اجهزي ياما عشان النسوان الللي جاية تعزي!

سقطت أم الديب فوق والدتها وهي تصفع ذاتها، وكانت هايدي مفتونة بالضحك، حتى أصبحت عاجزة عن السيطرة على نفسها عندما دخلت الغرفة. انبعث صوت خواطر بإعوال، يحمل معه ألماً من ثقل أم الديب:

=ضهري يا بسمه... أخوكي ضايح مات... مات في عز شبابه... ضهري يا بت الكلب!

صرخت أم الديب، وقد اختلط في صوتها نبرة الصدمة، وهي تقول:

_يا حبيبي يا ضايح... يا كبد أختك.

تفوه جلال بتمثيل:

=هتوحشني يا خالي.

تحدثت ليالي بحزن عميق، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الخيبة، وصوتها يعنت الحنين:

_البقاء لله... يلا ميعزش على اللي خلقه.

خرجت هايدي من الغرفة وانهارت على الأرض من شدة الضحك بسبب رد فعلهم. وسرعان ما أمسكت أم الديب هايدي وقامت بوطأها، وصرخت فيها، قائلة:

=شمتانه في خالك يا بت الخسع؟

ضحك جلال، وأشار ناحية الكاميرا التي كانت تخفي التفاصيل وراءها، قائلاً بمرح:

_بصي للكاميرا ياما!

أم الديب الجزء الثاني

نظرت أم الديب حولها بتعجب واضح، وكأنها تحاول فهم ما يجري حولها، وقالت باستفهام:
=كاميرا ايه؟

نهضت أم الديب ووالدتها، وقد انقشعت على وجهيهما ملامح الاستفهام، بينما كان جلال يراقب الموقف بضحك عالٍ، فقال بلهجة مفعمة بالترسالية:
_ أنا عامل فيكي مقلب ياما... يلا بالهنا والشفاف على قلبكم.

الوحيد الذي انبهر بخبر تمثيلية جلال هو المعلم حنفي، فأراد أن تكون الأمور حقيقية، فعبر عن ذلك بانزعاج قائلاً:
=كده تفرحني وبعدين تقفلني؟

ضحك جلال، وقال بمرح:
_ اضحكوا للكاميرا!

طارت أم الديب نحو جلال، وقد امتلأ وجهها بالانتقام، وأمسكت برقبته بقوة، وكأنما تسعى لتأكيد هيمنتها، ثم وطأته بشدة، ملمحة إلى أنها ليست في مزاج يسمح بالتساهل. ثم نطقت بحنق:
=بتضحك عليا يا واطي يابن الواطي؟
يتبع....

الفصل التاسع عشر

في لحظة مشحونة بالاضطراب، أزاح جلال يد والدته بحركة حادة، كأنه يزيح ثقلًا من على كتفيه، وصاح بصوت مرتفع يكاد يهتز له المكان:

_ أوعي ايدك ياما... هو انتي شايفاني عيل صغير عشان تمدي ايدك عليا وأنا في السن ده؟
صرخت أم الديب بضغينة تعصر قلبها، وهي تقول له بشحناء:
=ولما انت مش عيل صغير بتعمل معايا كدهو ليه؟

وضعت خواطر يدها بلطف على قلبها العتيق، فانسكبت دموعها الرقيقة كأنها حبات لؤلؤ تسقط من عقد مهترئ، وتحدثت بصوت مغمور بالحسرة، قائلة:

_ قلبي... بقى ست كبيرة على آخر الزمن يتعمل فيها مقالب؟ بتقول على خالك ضايح؟
رد جلال بنبرة جلفة:
=جرا ايه يا ستي؟ ميقاش قلبك ضعيف كده !

جلست أم الديب على الأريكة كأنها تلتقط أنفاسها بصعوبة من شدة الصدمة، تشبه الرياح العاتية التي تتسابق في سباقٍ محتدم، وعبرت بارتباك، قائلة:

_ أقعدي ياما أقعدي... ماشي يا جلال.
ونظرت إليه نظرة مليئة بالانتقام، كأن عينيها تشتعلان بنار لا تهدأ، وواصلت حديثها بصوت يحمل في طياته وعيدًا لا لبس فيه:
=آني هوريك وهعلمك الأدب.

تحدث المعلم حنفي بتضايق، كأن الكلمات تخرج من فمه بصعوبة تحت وطأة ثقل الهموم، قائلاً:

_ أنا داخل أتخمد.

نطق جلال بتعجب:

=استنى يابا أمال أنا هشرب الشاي مع مين؟

رد المعلم حنفي بانزعاج، كأن كلماته تحمل أنقلاً من الضجر:

_ اشربه مع أمك وستك !

ضحكت ليالي بمرح، وكأن ضحكتها تملأ الأجواء بسحر خاص، ثم التفتت إلى خواطر، وقالت بحيوية:
=انتى اتخضيتي؟

ردت خواطر بامتعاض مكبوت، وهي تجلس على الأريكة، وكأنها تحاول السيطرة على أعصابها المتوترة:

_ ومتخضش ليه حد قالك يا بت إن آني محسش؟

ضحكت ليالي بقوة، ثم واصلت حديثها مع أم الديب بحيوية، وكان كل كلمة تتفجر من حماسها:

=ايه رأيك يا حماتي في المقلب؟

صخبنت أم الديب بصوت عالٍ، وكان نواحها يحاول اختراق جدران الصالة، قائلة:

_ غوروا من وشي انتي وجوزك!

رفع جلال حاجبه بتعبير مندهش، وهناك شرارة من الاستفهام تتراقص على وجهه، ثم قال بتساؤل:

أم الديب الجزء الثاني

=ماشي ياما... أنا كده كده طالع بس ده مش آخر مقلب لا ده اللي جاي كثير !
جلجلت أم الديب بحدة مليونة بالغضب، وصرخاتها تتردد في أرجاء المكان، قائلة بوعيد:
_ شيل المخروب دهو من قدامي بدل ما أكسر هولاك!
تحدثت ليالي بخبت:

=يلا يا جلال... احنا ملناش حظ مع أمك.
استلم جلال الهاتف المحمول، ثم صعد إلى السطح برفقة زوجته، حيث شرع في مساعدتها، جنبًا إلى جنب مع نعمة، في نقل الضروريات بشكل متناسق وملآن بروح التعاون، وبعد أن انتهوا من مهمتهم بنجاح، عاد جلال إلى شفته، ليجد ليالي قد أكملت تنظيف الأواني التي عبق منها رائحة السمك، ثم دخلت إلى غرفتها بهدوء، وخلعت نعليها بعناية من قدميها، وجلست بجوار زوجها الذي كان غارقًا في انشغاله بهاتفه. التفتت إليه ليالي، وأطلقت كلماتها بصوت محاط بالحنو، قائلة:
_ العيال ناموا ولا ايه؟
أجاب جلال بلا مبالاة:
=أه .

استلقت ليالي على السرير بنعومة، وهي تبحث عن راحة بعد يوم طويل، ثم التفتت إلى زوجها، وقالت بهدوء يعبر عن إرهاقها:
_ أنا هانام.
رد جلال بتجاهل:
=نامي.

في اللحظة التي انغمست فيها ليالي في النوم، محاطة بالراحة بعد يوم متعب، حدثت المفاجأة غير المتوقعة، حيث رفع جلال مقطع فيديو على هاتفه، وكان مدونًا عليه "خالي ضايع مات" معبرًا عن سعادة وفخر كبيرين، واحتوى الفيديو على مشاهد تبرز فرحته الواضحة، وعندما تأمل جلال الفيديو بملامح مليئة بالسرور، ابتسم برضا، وقال:
_ حلو الكلام... أما أنا كمان.

بعد أن شارك جلال مقلبه على منصة اليوتيوب، وقد أسدل الغروب ستائره على المدينة، قرر الانطلاق للنوم، متوجهًا برأسه إلى وسادته بعد يوم مليء بالأحداث، وعندما وضع رأسه على الوسادة، وكاد أن يستسلم لنعاسه، سمع فجأة صرخات مدوية قادمة من أسفل، أعقبها هتافات جماعية مصحوبة بنواح أم الديب الذي كان يعبر عن حالة من الفوضى، حيث كانت تقول بنواح:
=أمي ماتت!

بعد أن نزل جلال، وليالي، ونعمة، وحامد بسرعة، اكتشفوا الجدة ملقاة على الأرض في وضعية غير طبيعية، هرعت أم الديب نحوها بوجه يفيض باليأس، وهي تتوسل بصرخات مؤثرة تخترق أجواء الفزع. اندفع جلال نحو جدته العجوز بخطى مُتسارعة وكأن الزمن يتباطأ حوله، وفي لحظة من الذعر العميق، صرخ قائلاً بقلق، وعيونه تجوب وجه جدته بحسرة لا توصف:
_ ستي مالها؟

تحدثت أم الديب بصراخ متقطع، وكان صوتها ينساب من أعماق بحر مضطرب، وهي تحرك والدتها برفق وبمزيج من الذعر، والأمل في أن يكون هناك ما يمكن فعله. كانت كلماتها تنتثر بين الحيرة:

أم الديب الجزء الثاني

=آه ياما...ستكم ماتت!

خرج المعلم حنفي من الغرفة بلا مبالاة، بينما صاح جلال بصوت ينبض دعر:
_وسعي ياما!

كان الجميع مجتمعين حولها مصدومين يراقبون جدتهم بقلق جسيم، وبمجرد أن وضع جلال يده برقة على جبينها، اكتشف الصمت العميق الذي لا يُبدي أي رد فعل، ولا نبض يحملها، وبوجه ينعكس عليه الخوف، نطق بقوله:
=دي قاطعة النفس!

مالت نعمة نحو جدتها، وصوتها يملؤه الصرخات المضطربة التي تصف حجم الخوف الذي يعصف بها، قائلة بصوت مفعم بالأسى:
_أه والله.

حينما وضعت يدها على جسد جدتها، شعرت وكأنها لامست كرة من الثلج البارد، تأسرها برودتها القاسية التي تخترق الأعماق، فواصلت بصدمة عميقة، وقلبا يكاد يتوقف من الفزع، قائلة:
_يا نهار أسود دي جنتها مثلجة!
صفعت أم الديب وجهها بيدها بقوة، وهي تحاول إخفاء مشاعرها الممزقة، ثم صرخت فيهم بإحباط، قائلة:

=هاتولها الداكتور بسرعة!

رد جلال بصياح:

_داكتور ايه ياما؟ ماهي باينة زي الشمس!

تحدثت ليالي بينما هي متأثرة، وكان كل كلمة تتبع من أعماق قلبها الحزين:
=خذها يا جلال وديها المستشفى.

صخب نعمة، وصوتها يتخلله قلق عميق، وقالت:

_يا عيني عليك يا ستي.

نزل حامد على الأرض يحمل جدة زوجته مع جلال، وهم يتحركون بعناية، وفي هذا السياق، أعلن المعلم حنفي بابتسامة سعيدة، كأنه كان ينتظر هذه اللحظة منذ سنوات، وكأنها لحظة تحقيق أمانيه المنتظرة:

=يلا في داهية انتي وابنك ضايع... منكدة علينا وانت عايشة وانت مية...سايبة الأيام كلها وجاية

تعمليةا فينا أول يوم العيد، ما هقول ايه حنفي بخته أسود من ساعة ما ناسب العيلة السو دي... ولا حاجة تدايقك ولا تعصبك يا حنفي، وبالعدن فيكي انتي وبتك أني هعدل مزاجي!

جلست نعمه على الأريكة، ووضعت يديها برفق على رأسها، بينما كانت أم الديب تلاحق جلال، وحامد بسرعة، وفي لحظة صفاء، نطقت نعمة بحزن دفين على رحيل جدتها، قائلة:

=والله لسه صغيرة احنا ملحقناش نشبع منك... يارب يطلع فيكي نفس وميكونش جراك حاجة!
رد المعلم حنفي بسخرية:

_هي مين دي اللي لسه صغيرة؟ سنك اللي عندها ثلاثة وثمانين سنة؟

تلفظت نعمة بشجن، وقتما كانت تتساقط دموعها:

=أيوه يابا دي اتخطفت مننا بدري بدري.

أم الديب الجزء الثاني

انرسمت الابتسامة على وجه المعلم حنفي، وكان إشراقه البهجة قد لامست تعبيره، ثم قال بسرور:
_طب ده أني هصلي ركعتين شكر لله، وهرفع ايدي لفوق وهقول أحمدك يارب إنها اتخطفت مننا بدري
بدري، ده اليوم اللي أني بتمناه من زمان!
تحدثت نعمة بانتحاب:
=خلاص بقي يابا متوجعش قلبنا.

دخل المعلم حنفي المطبخ، حيث أمسك بقليل من الكعك ورفع فوق البسكويت بيديه، وأعد فنجاناً من الشاي بعناية تامة، ثم انتقل إلى البلكونة، حيث جلس في مكان مريح واستمتع بغروب الشمس، واستمع إلى مقطوعات أم كلثوم الكلاسيكية التي تملأ الأجواء بجمالها الساحر، وابتسم، ثم أعلن بسعادة غامرة:
_يارب كتر من أفرحنا.

جاءت هايدي إلى نعمة، وهي جالسة على الأريكة، وقد برز الحزن على وجهها، حيث اقتربت منها بوجه مغطى بالصدمة التي لا توصف، وصرحت بأسى، قائلة:

=بابا مشغل أغاني برا.

ردت نعمة بنبرة باكية:

_أبوكي فرحان أوي، وأنا زعلانة أوي.

همست هايدي بصوت خافت:

=بصراحة له حق يفرح دي كانت كل ما تيجي بتتخانق معاه وبيمسكوا في بعض.

تلفظت نعمة بانتحاب:

_ادعيلها يا هايدي يمكن ربنا يرد فيها الروح.

نظرت هايدي إلى أختها بلا اكتر، وهي تتساءل عن سبب تأثرها بوفاة جدتهم سليطة اللسان التي كانت تضيء المنزل بشخصيتها القوية. ثم خرجت إلى البلكونة لدى المعلم حنفي، وبصوت يعبر عن الدهشة، قالت:

=انت مش زعلان عليها بجد؟

أجاب المعلم حنفي بلا مبالاة، وهو يتناول الكعك المزين بالسكر ببطء، وكأن طعمه اللذيذ يخفف من اهتمامه بالمسألة:

_أقعدي يا هايدي كُلي كحك!

جلست هايدي جنب المعلم حنفي وشاركته في اللا مبالاة، فيما كان جلال، وحامد في المستشفى. ذهبوا بالجدّة خواطر للطبيب، وكانت أم الديب قلقة على والدتها، حيث ارتفعت صيحاتها المذعورة، تعمّ الوحدة الصحية بأكملها. صاح جلال بصوت يكاد يكسر:

=الحقنا يا دكتور الست العجوزة دي وقعت فجأه واتخشبت.

رد الطبيب بهدوء:

_ودوها على سرير الكشف.

تحدثت أم الديب بنواح:

=يارب اللي يكرهك ياما... استرها عليها ده أني مليش غيرها.

بعد أن نقل جلال، وحامد العجوز برفق إلى السرير، اقترب الطبيب بحذر ليفحص حالتها، وكان جسمها بارداً وجافاً كخشب قديم متروك في الهواء الطلق، مما جعل مشهدها يعكس مدى هشاشتها. وعلى الرغم

أم الديب الجزء الثاني

من تردد الطبيب في البداية، بسبب نواح أم الديب الذي كان يتردد في أذنه وكأنه يخترق طبلة الأذن، فقد قرر أخيرًا أن يتجاوز مخاوفه ويدلي بالحقيقة، قائلاً:
_ الحاجة تعيش انت.

عندما توقع الطبيب رد فعلها، اندلعت صرخة قوية من أم الديب هزت القرية بأكملها، وهي تسارع نحو جسد والدتها الذي فارق الحياة. بينما كانت تجري، نطقت بكلمات مؤثرة:
=ياما... ياما.

أماطت أم الديب جلال، وحامد جانبًا، فانهمرا على الأرض معًا، بينما كانت تجذب جسد والدتها بقوة، تحاول بجدية استعادة وعيها وتثبت لنفسها أنها تعيش حلمًا زائلًا. صرخت بقوة قائلة:
_ فوق ياما... اهئ اهئ روحتي وسبيتينا بدري ياما... يا حرقه قلبي عليك ياما.

وقف جلال، وحامد ينظران ثيابهما، ثم اقترب حامد بحذر من أم الديب، ممدًا يده نحوها بلطف، وقال:
=اهدي يا حماتي... تعالي معنا!

تحدث جلال بتأثر عميق، وكلمات قلبه تنساب من أعماق حزنه، وصوته يرتجف من وقع الموقف، قائلاً:

_ تعالي ياما هنعمل ايه يعني؟ الله يرحمها بقى.

كلما حاولوا سحبها بعيدًا، كانت تعود مجددًا إلى حضن أمها مرة أخرى، صارخة بقهر، فنطقت:
=يا خرابي، اصحي ياما... انت السبب يا جلال انت اللي موتها!

قفزت أم الديب فوق جلال بحركة مفاجئة، ويدها تثبتت بعنقه بقوة، كأنها تسعى للسيطرة على كل ما تبقى من قوتها في تلك اللحظة الحرجة. تعبيرًا عن كل الاستياء الذي يتدفق منها، قائلة:
_ قتلت ستك يا كلب يابن الكلب؟

رد جلال بصياح مكتوم، يحاول قدر الإمكان تفادي أذيتها، ويتحرك بتوتر، محاول للتملص من قبضة يديها:

=وربنا ما جيت ناحيتها، انتي هتلبسيني مصيبة؟
تحدث حامد بتعجب:

_ قتلها فين يا حماتي وهو كان في شقته!
قال الطبيب بعدالة:

=سبب الوفاة طبيعي وانا مش شايف أي جروح في جسمها.

تركت أم الديب جلال، وانتقلت بتوتر إلى الطبيب، حيث تثبتت بعنقه، وصوتها المغمور بالاحتجاج يغمر الأجواء. صرخت في وجهه، وكأن كل كلمة منها تخرج من أعماق عذابها، قائلة:

_ ايهي دكتور ايه انت يا خويا؟ دكتور الحمير؟ انت ايه دراك ماتت ازاي؟ جلال ابني هو اللي قتلها
وأنى مش هسيب حقها!

عادت أم الديب إلى والدتها، وهي تحركها بيدين يرتجف فيهما الألم، وكل حركة تنم عن يأسها المتزايد حيث تلفظت:

_ ياما اصحي!

تحدث جلال بعجيب:

=وانتي هتفهمي أكثر من الدكتور ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

رد الطبيب باختناق، وكان كل كلمة يلفظها تتعثر في حلقه تحت وطأة القلق، فكان يحاول جاهدًا التعبير عن موقفه دون أن يؤثر عليه الانزعاج، قائلاً:

_شكل الحاجة والدنكم حالتها صعبة... ادوها حقنة مهدئة.

في شقة ليالي الهادئة، حيث كان أطفالها نائمين في غرفهم، جلست هي على الأريكة تتحدث مع والدتها، وتنقل لها الأخبار بسرعة دون توقف، وهي تسعى لمشاركة كل تفاصيل الأحداث التي مرت بها، وبينما كانت تتحدث بحماس قالت تباهي باستفهام:

=يعني ماتت ولا مماتت؟

تنهدت ليالي، وقالت بحيرة:

_لسه مش عارفين... ماهو ده اللي احنا كنا ناقصينه، فرحتي دايمًا ناقصه في البيت ده... مفيش مناسبة ولا عيد بيجي هنا إلا وتحصل فيه كارثة أسود من اللي قبلها... أنا ابتديت أشك ان البيت ده ملعون.

ردت تباهي بتأييد:

=طبعا ملعون... انتي عاوزة تعيش فيه واحدة زي بسمة ويبقى بيت حلو؟ طب دي تحصل ازاي؟ ده هي أساس كل حاجة وحشة... نفسي ألقيلها حاجة واحدة حلوة!

نطقت ليالي بضيق:

_على رأيك بس خلاص أنا قلبي بيقولي الفقر ده نهايته قربت... نفسي أسيب البيت المنيل ده ياما وأعيش في شقة حلوة مانا مش عاوزة حد يكون أحسن مني!

قالت تباهي بفضول:

=وهو بحق وحققي سلفتك بقيت مذبة؟

ازدادت نار ليالي حين سُمعت خبر سلفتها، فاندلعت باهتياج وغيره محترقة، كلماتها كاللهب تحترق بالحرارة المشتعلة، قائلة:

_أه ياما ماهي كوسة... أهي اتعينت علشان القناة بتاعت أبوها ده بكرأ يعين كل بناته بس اصبري.

ردت تباهي:

=أي والله يا بتي مفيش حاجة في الزمن ده بقيت بتعب ومجهود الواحد كلها ماشية بالواسطة دلوقتي. تلفظت ليالي بحقد ظاهر، وغيرتها تتدفق من أعماق قلب مليء بالاستياء، وصوتها يحمل طابع النعمة، قائلة:

_اتعينت مذبة بس ايه فاكرة نفسها خلاص كده بقيت أحسن مني؟ ده أنا اللي هبقى أحسن منها هي وعيلتها كلها.

ردت تباهي بابتسامة:

=جدعة يا ليالي، انتي متنقصيش حاجة عنها وبكرأ يشوفوا انتي هتبعي فين يا بت.

تفوهت ليالي بثقة:

_حماتي تبعد عن سكتي بس وهيشوفوا اللي عمرهم ما شافوه.

اتصل جلال بليالي في الوقت الذي كانت تتحدث فيه مع والدتها، فأثار فضولها الشديد لمعرفة ما حدث للجدة، فواصلت بسرعة هائلة، كأنما كانت تسابق الزمن نحو كشف الغموض، قائلة:

_بقولك ايه اقلبي انتي دلوقتي... جلال بيتصل.

ردت تباهي بحنان:

=ماشية يا بتي مع ألف سلامة.

أم الديب الجزء الثاني

انتهت المحادثة الهاتفية بين ليالي، ووالدتها، وفي لحظات قليلة لم تتردد في الرد على اتصال جلال بكل انسيابية، كأنها كانت في حالة ترقب دائم لهذا الاتصال الذي يتيح لها فرصة أن تشاركه في لحظاته الصعبة وتدعمه في أوقات الشدة. كان ردها سريعاً، قائلة بفضول:
_ ألو يا جلال ستكم مالها؟

رد جلال باستياء حار، وكان مشاعره المليئة بالغصة تتسرب من كل حرف ينطق به، وصوته يحمل في عطفته نغمة من الحزن:

=ستي ماتت، وأمي عمالة تصوت وترمي نفسها على الأرض... دي قطعت هدموها يا ليالي!
في لحظات صادمة بوفاة الجدة، فجأة شقت أم الديب ثيابها، صارخة بألم يفسر حالة الصدمة، وفي أوقات الحزن العميق، قالت بكل ألم:
_ أمي!

ردت ليالي بشماتة:

=مانا سامعة أهو... طيب افقل انت أكون أنا لبست... أه صحيح هتعملوا العزا فين؟
أجاب جلال باستعجال، بينما كان يحاول اختصار الوقت بسرعة:
_ في بيت ستي... يلا سلام.

بعد انتهاء ليالي من المكالمات مع جلال، دخلت لترتدي العباة السوداء. رغم التحديات الصعبة، أظهرت حرصاً فائقاً على الظهور بمظهر لائق، إذ كانت ترى أن الظهور بجمال، وراقي عامل مهم أمام جميلة، ووالدتها. أما نعمة، فعندما علمت الخبر، ظهر عليها الفزع، وهي تلمم وجهها ببيكاء مؤثر:
=يا ستي... مش هشوفك تاني يا ستي... قطعتي بينا يا ستي!

وسط هذا العويل الذي كان يحاط بالأرجاء، خرج المعلم حنفي من البلكونة بعد أن قضى على طبق حلوى العيد بمتعة، وكأنه يخلص نفسه من عبء ثقيل، وهو يحمل عبارة من الأمل في قلبه. كان يتمنى في أعماقه أن يسمع خبراً يرضي روحه ويعيد إليه شيئاً من السكينة، وبوجه مشرق، أعلن بتفاؤل:
_ الولية شكلها ماتت!

صرخت هايدي، وقالت بصدمة:

=يا نهار أسود!

دخل الاثنين داخلًا ليجدوا نعمة، وهي تتعثر من كثرة الانهيار. صدحت صرختها بوجع، قائلة:
_ ستك ماتت يا هايدي!

قالت هايدي، وهي في حالة صعبة، شعرت بالخوف من رد فعل أختها الذي بدا مرعباً:

=الله يرحمها، متعمليش كده... انتي كده بتعذيبها!

وطأت نعمة وجهها بقسوة، وهي تسعى لإظهار مشاعرها الجياشة تحت عباءة من الألم، وصوتها يعلو بصرخات آسية، وهي تحاول أن تعبر عن عمق معاناتها:
_ أه يا ستي.

سقطت نعمة على الأرض، فسرعان ما أمسكت هايدي بها، وبحزن رفعتها للأعلى، كما لو أنها تحمل قطعة من السماء المفقودة، فقالت:

=خلاص يا نعمة ربنا يرحمها ده نصيبها، هي أكيد في مكان أحسن دلوقتني.

رد المعلم حنفي بعجيج:

أم الديب الجزء الثاني

_مكان أحسن؟ بعد كل المرار اللي شوفته منها وفي الآخر في مكان أحسن؟ ده آني كل يوم هحسبن عليها خليها تتعذب بعمائلها السوداء معايا.

نطقت هايدي بترح:

=معلش يا بابا... اذكروا محاسن موتاكم.

تلفظ المعلم حنفي بصياح:

_وهي دي فيها حسنة واحدة علشان أفكر هالها؟ دي كلها سيئات وذنوب.

صرخت نعمة مجددًا، وهي تصفع وجهها بكل قوة، وتسعى بكل جهدها لوصف ألمها، قائلة:

=يا عيني عليكي يا ستي.

في منزل خواطر، انطلقت العائلة بما في ذلك أم الديب، وفي كل لحظة تقوم أم الديب بالتلطيخ، والصراخ، تنقلب وتعود للجلوس. كانت هذه الأثناء أيضًا تتسابق هي وأختها في النواح، وفيما كان جلال، وحامد، وبقية الرجال يشيعون الجثمان في جو من الشجو، أثناء حمل النعش والتوجه إلى المقابر، هتف أبو محمد بصوت عالٍ، قائلاً:

_إنا لله وإنا إليه راجعون... لا نقول إلا ما يرضي الله... أمي كانت ست طيبة وكل الناس بتحبها.

سخر المعلم حنفي من حديثه، وتلفظ في وجدانه:

=أه أوي ماشاء الله عليها.

نطق أبو محمد باستياء:

_كانت ست فاضلة، تطلع اللقمة من بؤها علشان احنا ناكل... عمرها ما زعلت حد منها ولا كسرت بخاطره!

تلفظ المعلم حنفي بسخرية:

=أوي.

واصل أبو محمد حديثه الصاخب، وكأن كل احساس يجأ منه يشبه انفجارات من القهر، تتسارع نبراته ويعلو صوته، مما يضفي على حديثه طابعًا من اليأس:

_كانت تعمل أعمال خيرية في الخفاء، مستحيل كانت تعملها في العلن... الله يرحمك يا أمي ويغفرلك.

تحدث جلال بتأثر:

=شد حيلك يا خالي.

بعد وصول الرجال بجثمان خواطر إلى المقابر، تجمع البعض في دائرة حول أبو محمد، بينما كان آخرون ينهمكون في تحضير القبر لفتح أبوابه. في تلك اللحظة، رفع أبو محمد يديه الاثنيتين إلى الأعلى، كأنه يستجدي السماء ببركة ورحمة، وباستياء عميق ينطلق من أعماق صدره، قال بأسى:

_اللهم اغفر لها ذنوبها وارحمها واجعل مئواها الجنة... اللهم اجعل قبرها روضة من رياض الجنة.

نطق الجميع في آنٍ واحد عدا المعلم حنفي:

=أمين.

بعد لحظات، دخل ضايح مصحوبًا بشلته السرسجية الفاسدة، ويظهر أنه غير واعٍ وقد تناول شيئًا ضارًا.

بدأ يصرخ عبر الميكروفون بهمس مكسور:

_أمي يا حبيبتي يا غالية الله يرحمك... أمي ست طاهرة، شريفة، محترمة، عفيفة ميطلعش منها العيبة.

أم الديب الجزء الثاني

نطق المعلم حنفي بانزعاج في سره المكنون:

=ربنا على الظالم والمفتري.

تحدث ضايح بابتئاس:

_ غنوا معايا... يا ست الحبايب يا حبيبة يا أغلي من روجي وعمري يا حنينة وكلك طيبة .

عندما توقف ضايح عن الغناء واستسلم صوته العذب للبكاء، وملأت أجواء الحزن نبرات شجنه العميق، كانت روح أبو محمد التقية ترفض هذا الحال بشدة. ففي تلك اللحظة، ظهرت جوانب دينية بارزة في شخصيته، كأن إيمانه واعتقاده يتجسدان في كل حركة من حركاته. اقترب من ضايح بنية صافية، وصاح في وجهه برفض ينبع من أعماق قلبه الملآن بالتقوى، قائلاً:

=أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم يا أخي احترم حرمة المكان، وحرمة الأموات بلاش تكفر

بربنا... شيل الحاجات دي وقرالها شوية قرآن ينفعوها !

رد ضايح بانتحاب ساحق، كأن كل دمعته تتحدر من عينيه تحمل معها الندم، وصوته يرتجف من شدة

القهر، بينما كان يحاول التعبير عن مشاعره المتناقضة، قائلاً:

_ أمي كانت غالية عليا يا أبو محمد.

تلفظ أبو محمد بصياح:

=كانت غالية علينا كلنا مش انت لواحدك... يلا شيل الحاجات دي واحترم حرمة المكان... أستغفر الله العظيم.

في منزل خواطر المُتهالك، حضرت ليالي، وأبنائها، ووالدتها، وأختها هبة، وابنتها، جميعهم مرتدين العباءات السوداء، وكان المنزل مليئاً بالنواح. تتسلل أصوات النساء في العتمة، وكان صدح أم الديب يرجرج الدار العتيق مع توجيهها لكلماتها الرنانة:

_ قطعتي بينا ياما... طول عمرك بختك ماييل وملكيش حظ في حاجة.

ردت سعاد بنشيج:

=ربنا يرحمها ويغفر لها دي كانت مالية علينا الدار... ده آني كنت كل يوم أطل عليها وأبعثها أكل مع العيال أقولها انتي كويسة يا حاجة؟ تقولي أه ربنا يسترك.

تحدثت نعمة بإعوال:

_ ربنا يرحمها أهي ارتاحت من تعب الدنيا.

نطقت أم الديب بصراخ مدوي، وهي تضرب يدها على صدرها بقوة، ساعية لتحرير كل مشاعرها المكبوتة، قائلة:

=هتوحشينا ياما... حياتنا هتفضى من بعدك.

أما ليالي، التي كانت لا تشعر بنفس درجة الألم التي تعاني منها أم الديب، وسعاد، ونعمة، حيث بدا وكأن مشاعرهم تتجاوز قدرتها على التفاعل، فقد اختارت أن تتحدث بلا مبالاة وكأنها تطمح لتبسيط الأمور. قالت ببرود واضح، والترح المحييط بها لا يؤثر على مزاجها:

_ ربنا يرحمها.

همست هبة في أذن ليالي، وصوتها مكتظ بالسخرية التي لا تخلو من الخبث، وكل همسة تحمل شكل من الاستهزاء، قائلة:

=ايه اللي حماتك عاملاه في نفسها ده؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت ليالي بصوت خافت:

_حماتي مخها فوت... ربنا يشفيها.

تحدثت تباهي بخفوت:

=احنا مش هنطول يا ليالي بدل ما تتجنن في مخها وتدب معنا خناقة، وأنا على آخري منها!

ردت ليالي بنبرة هادئة، محاولة ردم مشاعرها تحت طبقة من السكون:

_لا ياما نصاية، وامشوا عشان بس محدش يمस्क عليكم نص غلطة ويقولك مجوش يعزوا.

قالت تباهي بصوت باهت:

=ماشى يا بتي.

بينما كان الرجال يجتمعون في شادر العزاء، حيث عمت الأجواء بحالة من التعاسة، وقف جلال إلى

جانب خاله أبو محمد، بينما كان ضايح، وحامد يقفان على حافة الحشد. في هذا السياق العاطفي، كانوا

يتلقون مصافحات تعبر عن التعازي من أفراد العائلة، والأصدقاء، والمعارف، وفي هذه الأثناء، قال

أحدهم بكلمات مؤثرة تنبع من عمق الشجن، قائلاً:

_البقاء لله.

نطق أبو محمد بوجه حزين:

=ونعم بالله... شكر الله سعيكم.

جاء الآخر ليوجه مواساته لجلال، وصافحه بكل حزن، وكل لمسة تتعاطف معه. بينما كان وجهه مغشى

بمشاعر الأسى، قال بترح عميق:

=البقاء لله.

رد جلال بجَزَع:

_الله يخليك.

جاء أحد أقارب جلال وصافحه بحرارة، بينما كانت نظراته تظهر التعاطف، وبصوت حنون، قال:

_البقاء لله.

تحدث ضايح بصخب:

=اشرب حاجة يا عمهم... شاي، قهوة، ده انت لو عاوز نص بييرة أجيبلك ده أنا أدفع من جيبى عشان

خاطر أمى الطاهرة الله يرحمها.

نطق أبو محمد بامتعاض:

_استغفر الله العظيم... لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... يارب توب علينا وارحمنا.

دخل المعلم حنفي بفرقة رقص، فكانوا يؤديون عروضهم، ثم قاموا بتوزيع مشروبات على الحاضرين.

بفرح متألق، أعلن المعلم حنفي بابتسامة منيرة بفضل هذا الخبر السار بيان السعادة، كما لو أنه يرقص

بالكلمات لنقل فرحته للجميع، قائلاً:

=خذ يا حاج امسك منتكسفش.

ضرب الرجل كفاً على كف لهول الصدمة، وكأن هذا الإجراء يعكس تأثير الموقف على نفسه، ثم قال

بصوت منقطع مفعم بالاستغراب:

_لا إله إلا الله.

أم الديب الجزء الثاني

مر المعلم حنفي بين الحاضرين، وشرع في توزيع المشروبات بينهم بحركة منظمة، ساعي لتخفيف أجواء الحزن بتقديم لمسة من الراحة. كان وجهه يعكس فرحاً محاولاً أن يضيفي على الموقف بعض البهجة، بينما كان يتلفظ:

=امسك يا حاج... دي حلاوة موت الولية اللي مررت عيشتي، ده أني شوفت منها العذاب ألوان.
وواصل للأخر:

=خد يا أستاذ.

في حين المعلم حنفي يوزع مشروبات على الحضور، يتبادل الناس النظرات ويظهرون استغرابهم، فيما يتردد صوت المزمار والطبل. اندفع جلال بسرعة نحو والده، وبصوت يعلو، قال له:

_ ايه اللي بتعمله ده ياابا؟

انقض ضايح نحوهم، وهو يصيح قائلاً:

=مش عيب اللي بتعمله ده يا حنفي انت كبرت وخرفت ولا ايه؟

حدَف المعلم حنفي كوب العصير في يد ضايح، وكان هذه الهدية البسيطة تحمل في طياتها رسالة من التعاطف، ثم قال له بود:

_ خد بل ريقك زمانه نشف من كتر التماسي.

شرب ضايح المشروب، وقال بانتعاش:

=كتر خيرك يا حنفي... طلعت حاسس بيا.

ضرب أبو محمد كفاً على كف، وهو يحاول تهدئة جنونه الداخلي تُجاه تصرفات المعلم حنفي، فيما ظهر على وجهه التعبير عن الاستياء، وهو يقول:

_ لا إله إلا الله... لا حول ولا قوة إلا بالله.

شارك عم سلامة ابنه صابر تلك الكلمات الخافتة المنطلقة من شفتيه، وكل كلمة تنبض بتعاطف عميق، حيث قال بصوت متهدج:

=لا حول ولا قوة إلا بالله شكلها كانت ست قوية.

رد صابر بحصافة:

_ مش يمكن الحاج حنفي متأثر بموتها ومش عارف هو بيعمل ايه؟

أجاب عم سلامة بخنكة:

=لا لا كان حاكي قدامي كام مرة إنها مطلعة عينه، وأختك ليالي حكيتلي إنها كانت كل ما تيجي تتخانق معاه.

تلفظ صابر بتأثر:

_ لا ده ربنا يكون في عونته... أهو ارتاح منها.

رغم كل هذا الأسى الذي يلف المكان، استمر المعلم حنفي في توزيع المشروبات على الجالسين بابتسامة سعيدة، كأنه يشارك في حفل زفاف مليء بالفرح، حيث كان يحاول بجهد أن يضيفي لمسة من الإيجابية على الأجواء المظلمة، فقال باطمئنان:

=خد يا حاج اشرب بل ريقك... معلىش يا رجالة جيبناكم أول يوم العيد ونكدنا عليكم، اللي عاوز يروح

يروح اللي مات مات في ستين داهية.

أم الديب الجزء الثاني

نطق أبو محمد بجلبة:

_أمي، دي أمي!

تحدث ضايح بصياح:

= لا يا باشا أقف معوج واتكلم عدل متخلنيش أعملها معاك وانت عدم اللا مؤاخذة راجل كبير ومخلع ولو زقيتك زقة هتقع مش هتستحمل.

تشبث جلال في يد خاله بقوة، محاولاً بجدية فض النزاع الذي نشب بينهم، وعيناه تعكسان أملاً في حل المشكلة، قائلاً بإصرار:

_أقعد يا خالي سيبك من أبويا... أصل أبويا زعلان عليها فمش حاسس بنفسه.

رد ضايح بصخب:

=دي ست طاهرة يا جلال!

بعد أن زادت كذبات ضايح، وبلغت حد الإزعاج، خرج المعلم حنفي عن شعوره تمامًا، فصاح به بقوة، قائلاً:

_ماجرا ايه يا ضايح انت ماسكلي طاهرة طاهرة، هو حد كان قال حاجة غير كده؟

أجاب ضايح بضلال:

=أنا بعرفك اللي فيها يا شيخ!

حينما ارتفع صياح الرجال في العزاء، وبدأت الأجواء تعج بالفوضى، وعدم التفاهم، كان الجميع في حالة تركيز شديدة، متابعين عن كثب ما يجري من خلافات. في تلك اللحظة الحرجة، انطلق عم سلامة، وصابر نحوهم بحزم، عازمين على حل النزاع وإعادة الهدوء إلى المكان. ثم تقدم عم سلامة، وهو يجسد عقلانية ورؤية ناضجة، وقال بصوت هادئ، مستعرضاً كل جوانب المشكلة بحكمة:

_لا إله إلا الله... أقعدوا بلاش مشاكل، الخلق بتبص علينا!

وواصل لأبو محمد:

_ما تقول حاجة يا أبو محمد!

تحدث أبو محمد بنبرته الشريفة، وكل حرف ينبع من عمق تجربته، بينما كان صوته مملوءاً بالوقار، قائلاً:

=يا ناس يا أفاضل... الله يستركم دنيا وآخره احترموا حرمة الست اللي توفاهها الله!

في مجلس النساء داخل المنزل، ألقت أم الديب نفسها فوق السيدات الجالسات، وكانوا يعبرون عن ألمهن بصوت قوي، بينما خارج المنزل، اعتقد البعض أنهم كانوا يعبرون عن الحزن لفقدانهم خواطر في حين نعمة، وليالي يحاولون السيطرة على أم الديب بينما هي تصيح:

_يا خرابي روحتي وسيتيني ياما... يا وجع قلبي عليكي...يا لهوتي.

قالت نعمة بصياح:

=قومي ياما النسوان هتموت تحت منك!

نطقت إحدى السيدات باستغاثة:

_ياريتنا ما جينا!

أم الديب الجزء الثاني

اندلعت أم الديب بوتيرة عنيفة ضد السيدة، وضربتها على وجهها بقسوة، وفي هذا السياق، صاحت قائلة :

=ايهي يا بت الكلب ياريتك ما جيتي؟ أمي اللي ياما شالتكم مش عاجبك تحضري عزاها يا بت الكلب؟
ده أني هطلع القديم والجديد عليكم!
صرخت السيدة قائلة بمعاناة:
_يا لهوي!

في الوقت نفسه، كان هناك اعتداء على السيدة، حيث كانت تستغيث، بينما كان الآخرون يشهدون هذا المشهد الفظيع. أما في مكان آخر، لم يكن أحمد، وجميلة ينويان زيارة أم الديب في أول أيام العيد، ولكن اتصل بهما جلال فجأة، مما دفعهما للانضمام إليهم برفقة أم قمر الدين، وتركوا سيليا، وأسيل في المنزل مع خالاتهم، وجدهم. بعد تجهيزهم، وارتدائهم للثياب ركبوا سيارة أحمد وبينما يرتدون أفخم الثياب السوداء، والساعات الباهظة، والنظارات الشمسية، كانوا يحتفظون بإطلالة الأثرياء، تعكس أسلوب حياتهم الراقى. عبرت أم قمر الدين بدهشة:

=مش معقول تموت أول يوم العيد!
رد أحمد بتعجب، وهو يقود السيارة:
_وهو الموت له مواعيد معينة؟ ده في أي وقت... دي راحت في غمضة عين.. الصبح كانت كويسة ودلوقتي في تربتها.

حينما تحدث أحمد عن الموت كلماته أثرت في نفس أم قمر الدين بشكل يثير الهلع، فقالت بارتعاب:
=أنا مقولتش حاجة يعني بس كنا ممكن نحضر العزا يوم ثاني.
قالت جميلة بتبرم:
_معلش يا مامي هنحضر ساعة وهنرجع.

ردت أم قمر الدين، وصوتها يمتزج به التأثير، وكل كلمة تنبض بمشاعر متدفقة:
=لا يا حبيبتى احنا لازم نعمل الواجب وزيادة معاهم... أم الديب غالية عليا أوي وبيننا أيام حلوة كتير.
تلفظ أحمد بابتسامة:
_ربنا يخليكي يا طنط.

أخرجت جميلة الهاتف لتتأكد من حال سيليا وأسيل، وهي تتصفح الرسائل والمكالمات بقلق عارم، وعينيها تتسارعان في قراءة التفاصيل. قالت معبرة عن قلقها بوضوح:
=هالو يا روجي، طمنييني انتي كويسة؟
ردت سيليا ببراءة:

_أيوه يا مامي بس أسيل بتعيط!
نطقت جميلة بتعشق:
=خلي خالتو منى أو خالتو نالا حد يأكلها ويشوف مالها لحد ما أرجع أنا وبابي ونانا.
قالت سيليا برقة:

_اوكي يا مامي.
ردت جميلة بابتسامة:
=باي يا روجي.

أم الديب الجزء الثاني

ردت سيليا:

_باي يا مامي.

انتهت المكالمة الهاتفية بين جميلة، وسيليا بعدما اطمأنت عليها، وفي الوقت الذي أدت فيه تباهي واجبها نحو عائلة أم الديب، نهضت وعانقت ابنتها بوجه يعبر عن الاستياء، قائلة:

=يلا أنا ماشية يا بتي... خدي بالك من نفسك انتي والعيال، وبإذن الله هنجيلك بكرة نسهروا معاكوا.
قبلت ليالي والدتها بلطف، ووجهها يصف مشاعر الحب، ثم قالت بطمأنينة، تهدف إلى تقديم الراحة:
_حاضر ياما... تيجوا تنوروني.

عانقت هبة أختها بقوة، ساعية أن تعبر عن كل مشاعر الحب التي تحملها في قلبها، ثم قالت:
=مع السلامة يا ليالي هجيلك بكرة أنا وأشرف.

بادلتها ليالي العناق، وهي تستشعر دفء اللحظة، ثم قالت بمودة، تتم عن عمق الروابط بينهما، قائلة:
_ماشي ياختي هتنوروا الدنيا.

ردت هبة ببشاشة:

=منورة بيكي يا ليالي... يلا سلام عليكم.

عانقت تباهي نعمة، وقالت لها بلطف:

_ربنا يجعلها آخر الأحزان.

نطقت نعمة بعيون باكية:

=اللهم آمين يا أم ليالي.

وبعد التحية، والمغادرة، خرجت أم الديب وتوجهت نحو شادر الرجال، وصاحت بصوت عالٍ قائلة:
_يا لهوتي ياما.

اقترب المعلم حنفي منها، وصرخ في وجهها قائلاً:

=خشى جوا يا ولية!

تحدث ضايح بصياح:

_ماجرا ايه يا بسمة ياختي ما تخشي جوا كده الناس تاكل وشنا!

اجتمع الرجال وتبادلوا الصياح في محيط أم الديب، وفيما بينهم جلال يعلن قائلاً:

=يلا ياما اتكلي على الله!

صرخت أم الديب مجددًا، وصوتها يتردد في الأرجاء وكأن صرخاتها تحمل معها عبء الحزن، ثم قالت بدم الألف، وكل حرف يطول ليعبر عن عمق مشاعرها:

_يا لهوتي.

في لحظة من الترح، ألقت أم الديب نفسها على الأرض، وهي تقوم برفع التراب من عليها، ووضعها على رأسها. خرجت نعمة، وليالي، وهايدي لمساعدتها، وقالت نعمه بصوت باكٍ:

=أدخلي جوا ياما بقى حرام عليكى..امسكي نفسك شوية!

ردت أم الديب بنواح من القهر:

_يا وجع قلبك يا أم الديب... كانت ست طيبة... ده هي اللي جابتني الدنيا دي لولا مكنتش جيت.

قالت ليالي بشجن:

=شدي حيلك يا حماتي كلنا لها، هو في حد معمر فيها؟

أم الديب الجزء الثاني

رغم الظروف اللصبة التي يمرون بها، والتي تبدو وكأنها تثقل كاهلهم وتضغط على أعصابهم، إلا أن الحس الفكاهي الفريد الذي يمتلكه ضايح يبرز بشكل لافت، ويظل كجرعة من الانتعاش وسط هذه المشاق، وهو يضحك بضحكته المميزة التي لا تشبه أي ضحكة أخرى، ملء المكان بطاقته الإيجابية، قائلاً:

_رز معمر.

قفزت أم الديب على أخيها، وأمسكت بعنقه بقوة، وهي تعبر عن كل مشاعرها المكبوتة. بينما كان صوتها يرتفع بشكل ملحوظ، قائلة بتعبير قوي مع مد الألف:

=يا خراشي!

تفوه ضايح باستغاثة:

_يا جلال الحق أمك!

جرى جلال، وحامد، والمعلم حنفي بكل سرعة للتشبث بأم الديب وإعادتها إلى الداخل، جاهدين تهدئتها، وإعادتها إلى محفل النساء حيث كانت الأجواء أكثر هدوءاً. بينما كانوا ينقلونها بحذر، ويكادون يخطون خطوات مُتسارعة في سبيل ذلك، قال أحد الحاضرين بصدمة واضحة:

_يا حول الله يارب ده حالتها ضياع خالص.

رد الآخر باستهزاء:

=شكلها كانت بتحب أمها أوي... الإنتين دول عاملين زي الحية.

وفي هذا الجو من الحسرة، قالت نعمة:

_استحلفك بالله تهدي شوية.

تفوهت أم الديب بإرهاق عارم، وهي تعول:

=أمي يا نعمة أمي!

وضعت نعمة يدها الحنونة فوق كتف والدتها، وهي تواسيها، وتزيح عنها كل ما يؤلمها قائلة:

_ربنا يرحمها ياما.

بعد ثلاث ساعات كاملة من الانتظار المستمر في نفس المكان، وصل أحمد، وجميلة، وأم قمر الدين، حاملين معهم حقيبة ثقيلة مليئة بأنواع شتى من الطعام. نزلوا من السيارة التي كانوا يستقلونها بخطوات بطيئة، وفتحوا الحقيبة الكبيرة التي كانت تضم مجموعة متنوعة من الأطعمة الشهية، مما جذب انتباه جميع الحاضرين في العزاء، وقد بدأت أعين الجميع تتجه نحوهم بفضول واهتمام كبير، إذ كان الجميع يعلمون أن أحمد قد تزوج ابنة أحد أكبر الأثرياء في مصر، مما أضاف هالة من التساؤلات حول هذه الأسرة المرموقة. وبينما كانت أم قمر الدين تتفحص الأجواء المحيطة بالعزاء بنظرات مليئة بالحزن والتأمل، قالت بشجن:

=البقاء لله.

عندما رأت نعمة أباها أحمد، وزوجته جميلة، والدتها أم قمر الدين، تسلل شعور جارف من الحنين إلى قلبها، فانفجرت في البكاء، قائلة بصوت مختنق:

_الحقي ياما شكل ست بسملة جات.

بينما كانت أم الديب تندفع بسرعة نحو حقيبة السيارة المفتوحة، مُسرة بخطواتها غير المتزنة من أثر الحزن الواسع الذي يعصف بقلبها، أمسكت بكيسين كبيرين من الطعام، ثم عادت للداخل تحمل الأكياس بثقلها المادي، ورغم الغصة التي تملأ قلبها لوفاة والدتها العزيزة، جلست على أحد الكراسي وبدأت

أم الديب الجزء الثاني

تتناول الطعام بشهية لافتة للأنظار، كأنها تحاول أن تجد في الأكل ملاذًا من الألم الذي يعتصرها، وفي لحظة من التناقضات الصارخة بين بؤسها، ورغبتها العارمة في تناول الطعام، قالت بشهوانية واضحة: =كل ده أكل يا عيال؟ أني جعانة أوي.

ناداها أحمد بصوت متحشرج يعكس خليطاً من القلق، والاستياء، محاولاً أن يلفت انتباهها بعيداً عن الطعام الذي تنهمك فيه بشكل لافت، قائلاً:
_يا ماما!

نادتها جميلة بذهول:

=يا طنط !

دخلت أم الديب غرفة النساء بخطوات مثقلة، وهي تتناول الطعام وتذرف الدموع في آن واحد، مما جعل جميع الحضور يصابون بالدهشة من تصرفها الفريد، والمغاير للعادة في مثل هذه الظروف، وبينما كانت الدموع تنهمر على وجنتيها، قالت بانتحاب:

_هتوحشيني ياما يا غالية.

تعجبت نعمة بشدة من تصرف والدتها الذي بدا وكأنه يعكس شخصية مزدوجة، تجمع بين الاستياء، والرغبة الجامحة في تناول الطعام، فقالت لها بنواح، محاولةً أن تفهم هذا التناقض الغريب الذي يعصف بوالدتها:

=انتي بتعملي ايه ياما؟

نهضت نعمة من مكانها بخطوات قلقة، وخرجت هي، وهايدي مسرعتين لتصلان إلى أم قمر الدين، حيث احتضنتها نعمة بكل أسى، محاولتين معاً التخفيف من ألم الفراق الذي يعتصر قلوبهن، وفي تلك اللحظة المؤثرة، قالت أم قمر الدين بمواساة:

_البقاء لله... ربنا يرحمها.

ردت نعمة بدموع كالشلال:

=ونعم بالله يا ست بسملة.

عانقت جميلة نعمة بقوة، محاولةً أن تنقل إليها بعضاً من الدعم، ثم قالت بصوت يملؤه الاستياء من الأوضاع المحيطة:

_البقاء لله.

ردت نعمة:

=ونعم بالله... تعالوا خشوا.

خلال سيرهم خلف نعمة، وهايدي كانت جميلة، وأم قمر الدين يستغربان من المظهر البالي للمنزل الريفى، الذي يظهر عليه آثار الزمن والصدأ، مصحوباً برائحة الطين وفضلات الحيوانات. وكلما نظرا في أرجاءه باشمزاز كادوا أن يتقيئوا في حين وصل أحمد شادر الرجال، وهناك عبر عن استيائه بوفاة جدته. وقتما وصلت النساء إلى باب منزل خواطر، وهناك دخلوا ووجدوا أم الديب تعول بشدة، وتأكل في نفس الوقت. فقالت:

_جعانة ده الجوع كافر يا عيال.

ردت أم قمر الدين بتعجب في نبرة صوتها، محاولةً أن تستوعب مشاعر أم الديب:

=مش معقول يا أم الديب انتي بتاكلتي وبتعيطي في نفس الوقت؟

أجابت أم الديب بانتحاب:

أم الديب الجزء الثاني

_أقعدني يا ست هانم ارتاحي انتي وجميلة.
أطلقت سعاد صرخات مدوية، وهي تتحدث بلهجة مليئة بالقهر، قائلة:
=ياما هتوحشينا ياما.

نهضت أم الديب وجذبت النساء الجالسات على الأريكة بعنف، ثم قالت بأسلوب خالي من الذوق:
_قومي يا ولية منك ليها هي البعيدة مابتفهمش؟ ست هانم ومرات ابني جم وانتي لسه لازقة؟

ردت السيدة باستفهام من أسلوب أم الديب المفاجئ:
_ايه يا أم الديب مالك هما أحسن مننا في ايه؟

تفوهت أم الديب بشر:
=أنى هقولك أحسن منك في ايه !

بدت أم الديب وكأنها قفزت فجأة فوق السيدة، موجهة ضربة قوية نحوها، مما أثار صرخات النساء بصوت متزايد وعال، بينما تحركت نعمة، وليالي بسرعة كبيرة لمحاولة التدخل وفض الاشتباك العنيف الذي نشب، في حين بقيت أم قمر الدين وجميلة واقفتين في مكانهما، مصعوقيتين من المشهد غير المتوقع الذي تتكشف تفاصيله أمام أعينهما.
يتبع....

الفصل العشرون

اندلعت نيران احتدام لا يُطاق في نفس نعمة نتيجة لإساءة أم الديب تجاه النساء، فأمسكت بكيل والدتها بقوة، محاولةً أن تمنع تصرفاتها المسيئة، ثم عبّرت بصرخة تنبع من أعماق قلبها، مُظهرةً حجم الاحتقان الذي كانت تعاني منه، قائلة: َ

_ اتهدى بقى ياما متوجعيش دماغنا!

عندما أنهت نعمة جملتها، تفاجأت بأن جميع النساء قد نهضن ومضوا بعيداً، في الوقت الذي كان يُفترض فيه أن تعتذر أم الديب لهن عن تصرفاتها غير اللائقة. بدلاً من ذلك، صرخت في وجوههن قائلة:

=الداهية اللي تودي يا شوية نسوان عرر جاتكم داهية لما تاخذكم.

ردت ليالي بصخب حاد، محاولةً أن تعبر عن استيائها من الموقف:

_ انتي هتفضلي لسانك طويل لحد امتي؟ أهو محدش هيبص في وشك تاني بعد اللي عملتيه.

بينما كانت أم الديب تتجه نحوها بسخط لتوبيخها، إذا بليالي تندفع إلى شقتها بسرعة هائلة مع ابنتها، مظهرةً اندفاعاً غير متوقع في محاولة للهروب من الموقف. وفور وصولها إلى شقتها، أعربت بصوت هادر عن مشاعرها المتفجرة، قائلة:

_ ما تموت ولا تولع... أنا ايه اللي جابني؟ أنا أقعد في شقتي مرتاحة بلا وجع دماغ.

وقف أحمد في ظل شادر الرجال، بجوار والده، وأخيه، وخيلانهما، محاطاً بأجواء الوجوم التي تملأ المكان. وفي لحظة من التأثر الذي كان يعصف به، رفع رأسه ونطق بتأثر، مغمور باللوعة، قائلاً:

=لا حول ولا قوة إلا بالله... ربنا يرحمها.

تحدث المعلم حنفي بكراهية بارزة في نبرة صوته، وقد تجسدت مشاعره السلبية في كل كلمة نطق بها:

_ ربنا يحرقها دي ولية عايزة ضرب الشباشب.

رد أحمد بضيق:

=حرام عليك يا بابا اللي بتقوله ده، هي دلوقتي بين ايدين ربنا ومحتاجة دعوة حلوة.

أجاب المعلم حنفي بعصبية جارفة، وقد تجلى الغضب في كل كلمة قالها:

_ ادعيها انت يا خويا وفكك مني.

في الداخل، لم يكن هناك سوى أم الديب، وأختها، ونعمة، وهايدي، وأم قمر الدين، وجميلة، بينما غادرت باقي النساء اللاتي كنّ موجودات في البداية، تاركات خلفهن فراغاً ملحوظاً، وملئاً بالصمت المطبق، وبينما كانت الأجواء مشحونة بالاستياء، قالت نعمة بكسرة يتخللها الألم، تعبيراً عن مشاعرها المتأثرة مما حدث:

=عاجبك كده ياما؟ أهو الستات مشوا وزعلوا منك.

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_ ايهي يولعوا يا بت.

تحدثت أم قمر الدين بجوى عميق، مما أضاف بعداً مؤثراً للكلماتها:

=ربنا يجعلها آخر الأحران.

قالت أم الديب باستياء يحيقه الأسى، وقد ظهرت مشاعرها في نبرات صوتها، وتعبيرات وجهها:

أم الديب الجزء الثاني

_ يارب يا ست هانم... في أكياس برا في العربية؟

أجابت أم قمر الدين بإحراج:

=أه طبعًا في.

مسحت أم الديب دموعها المتساقطة بحركات مترددة، محاولةً أن تمسك برباطة جأشها، وهي تتلفظ باختناق:

_ هتوحشيني ياما يا غالية... صوتي ياختي!

رفعت سعاد يديها الاثنتين إلى أعلى بكل قوتها، وهي تصرخ بأعلى ما في صوتها، قائلة:

=يا لهوي.

انزعجت أم قمر الدين من صخبهم المزعج، فاقتربت من ابنتها وهمست في أذنيها بغضب:

_ مش معقول اللي بيعملوه ده!

ردت جميلة بصوت خافت:

=شوية وهنمشي يا مامي لأن أنا كمان مش مستحيلة أفعد هنا... انتي مش شايفة البيت ده مقرف أوي

ازاي؟ ده قديم جدًا.

نظرت أم قمر الدين حولها باشمئزاز واضح، وقد ارتسمت على وجهها علامات الاستياء وعدم الرضا، ثم قالت:

_ فعلاً حتى ريحته مش لطيفة خالص.

ردت جميلة بهدوء:

=خلاص هانت وهنمشي.. بجد مش مستحيلة!

عادت ليالي إلى الشقة برفقة ابنتها تقى، وشرعت في تغيير الألوان المظلمة التي كانت تملأ المكان إلى ألوان مفرحة، ونابضة بالحياة، حيث انقلبت الأجواء المحببة إلى مناخ أكثر إشراقاً، وفي لحظة من الضيق، بينما كانت ترتب الألوان وتنسقها، قالت لنفسها بمرارة متزايدة:

_ أنا ايه يخليني ألبس أسود وأنا لسه في عز شبابي؟ ما اللي راح راح بقى الله يرحمه... أهم حاجة نفسك يا بت !

دخلت تقى الغرفة، وقد بدت على وجهها علامات الاستفهام، وقالت:

=ماما هي ستو هتيجي بكرًا؟

ردت ليالي بابتسامة واسعة، جاهدة أن تُخفي تحتها مشاعرها الحقيقية، وتبدد الحزن في الغرفة:

_ أيوه يا تقى سنك، وجدك، وخالك، وخالتك، وكلهم جاينين.

سعدت تقى بهذا الخبر المفرح فعبرت عن سعادتها قائلة:

=هيبه.

أثناء جلوس ليالي على الأريكة، وهي تنغمس في راحة وسكينة، أمسكت بهاتفها الذكي لتتصفح بعض التطبيقات، وعندما رأت أن الفيديو الجديد الذي قامت بنشره قد حقق عشرة آلاف مشاهدة في وقت قصير جدًا، استشعرت دهشة عميقة تغمرها وتخيم عليها، وكأنما حدث غير المتوقع، مما جعلها تقول بدهشة:

_ أنا مش مصدقة نفسي، بقى فيديو المقلب جايب ده كله؟ أمال لو عملنا مقالب كثير هيجيب كام؟

أم الديب الجزء الثاني

وفي الحال، اتصلت ليالي بزوجها لتشاركه هذا الخبر المبهج وسط سلسلة الأخبار البائسة التي كانت تحيط بهم، محاولةً أن تُشعره بفرحتها وتضفي لمسة من التفاؤل على الأجواء، وقالت له بلهجة حماسية:
=ألو يا جلال.

رد جلال، وهو يقف بين الرجال في محفلهم، حيث بدا مشغولاً، ومركزاً على المناقشات الجارية:
_ألو.

نطقت ليالي بحبور:

=الفديو بتاعك جايب عشر آلاف مشاهدة، احنا بنتشهر يا جلال وبكرا الزهر يلعب معنا لعب !
قال جلال بدهشة:

_انتي بتكلمي بجد يا ليالي؟

أجابت ليالي بسعادة:

=أيوه ياخويا أهو قدامي.

تبسم وجه جلال بفرح، مما لفت انتباه باقي أفراد العائلة إلى تفاعله الواضح، وبدت على ملامحه إشراقة، وسرور واضحين، وبنبرة فرح ملؤها الحماس، قال:

_يا بركة دعاكي ياما... ياه أخيراً حياتنا هتتغير يا بت وهيبقى معنا فلوس زي الرز؟

ردت ليالي ببهجة، وقد تبهرج وجهها بابتسامة عريضة تعكس سعادتها الغامرة:

=أي والله ده أنا فرحانة فرح يا خويا مقولكش.

تفوه جلال بسرور:

_ربنا يزيد وبيبارك يا ليالي... انتي هتروحي امتي؟

ضحكت ليالي بوضوح، وضحكتها تنبع من قلبها، وقالت:

=مانا رocht البيت من شوية أصل أمك ضربت النسوان اللي جاينين يعزوا، ولما ادبتها كلمتين في جنبها قال ايه مش عاجبها كلامي، وعايضة تقوم تعمل فيا زي ماعملت فيهم... قومت خالعة أنا وتقى وشوية وانت كمان ارجع يا جلال متضيعش علينا أيام العيد !

رد جلال بانسراح:

_لا ومين قالك إن أنا هطول؟ شوية وجاي ده العيد فرحة.

ضحكت ليالي ببهجة، وقد ارتفعت نبرات صوتها مليئة بالسرور، وقالت:

=كل سنة وانت طيب ياخويا.

نطق جلال بفرحة عارمة:

_وانتي طيبة يا لولا

ضحكت ليالي، وقالت بعشق:

=يلا سلام.

رد جلال بابتسامة:

_سلام.

أم الديب وأختها ما زالتا يصرخان، ونعمة تعول بشكل هستيري، وفي حين كانت همومهم تزداد، تعجبت هايدي من استمرار صراخهن دون انقطاع، وقالت لها بغضب:

=انتي متعبتيش؟ ده أنا زوري وجعني من صوتك !

أم الديب الجزء الثاني

قالت أم الديب بضجيج:

_ هقول ايه يا بت؟ مانتى ملكيش غالي، ولا عزيز، ولا فارق معاكي موت ستك.

ردت هايدي بلا مبالاة، وكأنها تتحدث عن أمر عادي:

=أعملها ايه يعني؟ ماهي مانت بقى الله يرحمها هو صوتي اللي هيرجعها يعني؟

في لحظة انفعال متطرفة، جذبت أم الديب هايدي بوحشية من شعرها، مستخدمة العنف بشكل فظ، بينما كانت تطلق صيحات عالية تعبيرًا عن غضبها الجامح المتراكم، مما جعل الشجار يتصاعد إلى درجة من الفوضى، وفي خضم هذا الصراع العنيف، صرخت هايدي بذعر، محاولةً أن تصف معاناتها ومناشدتها لوقف هذا التصرف الجارح، قائلة:

_ آه.

قالت أم الديب بصياح حاد، وهي تؤدب هايدي بحزم، موجهةً لها كلمات تأنيب:

=ايهي بتصوتي ليه يا بت الكلب هو صوتك اللي هيخليني أسيبك ومضربكيش؟

ردت هايدي بصراخ:

_ انتي بتردهالي؟ آه، شعري هيتخلع!

بانفعال منين، استقامت نعمة بسرعة وسحبت هايدي بعيدًا عن يدي أم الديب، محاولةً أن تنقذها من قبضة العنف التي كانت تعاني منها، بينما كانت أم قمر الدين، وجميلة في حالة صدمة مطلقة من المشهد الذي كانوا يشهدونه بكل تفاصيله المروعة، وبينما كانت نعمة تجذب أختها بحنان إلى حضنها، مظهرًا قلقها، وحرصها على حمايتها، صرخت بألم، قائلة:

=اتهدي بقى ياما... طب وربنا لأخدها وأمشي!

ردت أم الديب بصياح:

_ في داهية يا بت.. قعدتك معانا هتزدونا ايه يعني؟ ده انتي، وأختك وشكم يقطع الخميرة من البيت.

غادرت نعمة برفقة هايدي وهي تنتحب بسبب ما فعلته أم الديب بها، بينما نهضت أم قمر الدين، وجميلة بتوتر يخشون اشتباكًا محتملاً مع أم الديب هذه المرة. قالت أم قمر الدين بتردد:

=طيب احنا هنمشي بقى...ربنا يرحمها.

قالت أم الديب باستعبار:

_ الله يخليكي يا ست بسملة ويسترها معاكي.

صافحت جميلة حماتها بقلق من بعيد، محاولةً أن تعبر عن احترامها في ظل الأوضاع المتوترة، ثم قالت بقلق:

=البقاء لله يا طنط.

ردت أم الديب بشجن:

_ انشالله تنستري.

غادرت أم قمر الدين، وجميلة منزل خواطر، وخرجوا إلى الخارج حيث تجمعوا إزاء الدار، ثم أشاروا لأحمد ليخبروه برغبتهم في العودة إلى المدينة بسبب الظروف الراهنة، وعندما تلقى المعلم حنفي هذا الخبر، عبّر بدهشة واضحة ارتسمت على وجهه، قائلاً:

=ايه يا بياض انتوا هتمشوا ولا ايه؟

عانق أحمد والده بقوة، معبرًا عن مدى تقديره، ثم قال:

_ أيوه يا بابا ده احنا وانا حاجات كثير ورغم كده جينا مخصوص.

أم الديب الجزء الثاني

رد المعلم حنفي بحُب، وهو يضافه:
=أه... لا ربنا يسترها عليكم في طريقكم.
بعد أن صافح أحمد جلال، وخاله أبو محمد، وعم سلامة، وبعض رجال العائلة مضى وركب سيارته،
وغادر برفقة زوجته، ووالدتها. بينما في شقة ليالي، ارتدت العباءة الجديدة، تزيّنت بجمال لاحتوائها
على أناقة لافتة. دخلت المطبخ لتجهيز حلويات العيد، وتقديم الشاي بالحليب، وفي لحظة هدوء، وجدت
جلال يدخل مع حمود، حيث قال جلال بإرهاق، وكأن الليل حمل عبئًا عظيمًا على أكتافهم:
_خش يا ض ده كان يوم زفت... الله يرحمك بقى يا ستي.

رد حمود بمزاح:

=ستك عجوزة أوي يابا.

قال جلال بهزل:

_ياض دي ماتت وهى عندها ثلاثة وثمانين سنة... ده كتر خيرها أوي لحد كده.

نطق حمود بحماس، في محاولة للتعبير عن مدى جديته، واهتمامه بحضور عزاء أم الديب:

=ستي بسمه هتموت امتى؟

خرجت ليالي من المطبخ بابتسامة عريضة تزين وجهها، وهي ترتدي عباءة ملفتة تجمع بين الأناقة،
والإثارة، مما أعطى مظهرًا مغريًا في ذات الوقت، وبينما كانت نبرات صوتها تتسم بالدلال، والنعومة،
قالت:

_حمدالله على السلامة.

رد جلال بدهشة واضحة، وقد تجلت على وجهه علامات الاندهاش:

=الله يسلمك يا ليالي.

ثم اقترب منها، وعيونه تعبر عن إعجابه بجمالها، فقال بلحن رومانسي:

_ايه الحلاوة دي يا بت...كنتي شايلة ده كله فين؟

ضحكت ليالي، وقالت بدلال:

=موجود بس البيت والعيال قطموا وسطي وبقى كل وقتي ليهم وبس.

تحدث جلال، وهو ينظر إلى ليالي بشغف، وقد عكست نظراته مشاعر الدفء:

_ماتخش تنام يا ض انت وأختك !

رد حمود بتعجب:

=ليه يابا؟

ضحك جلال، وقد بدت على وجهه الراحة، ثم قال:

_عاوز أمكم في كلمتين.

قهقهت ليالي وقامت بضربه بلطف على صدره حينها، قال حمود بسداجة:

=ما تقولهم قدامنا !

تحدث جلال بينما هو يصب تركيزه بالكامل على جمال ليالي، وقد بدت نظراته مغمورة بالهوى:

_ماتخش يا ض.

وأردف لابنته بتوجيه:

_خشي يا تقى نامي شوية!

أم الديب الجزء الثاني

ردت تقى بسذاجة:

=لا أنا عايزة أسمع الكلام يا بابا.

ضحكت ليالي، وقد بدت على وجهها إشراقة من السرور، ثم قالت:

_أعدوا مانتوا عارفين أبوكم بيحب الهزار... ده أنا مجهز الكم شوية كحك، وبسكوت مع كوباية شاي باللبن إنما ايه بقى من الآخر.

جلس جلال على الأريكة، وقال باشتهاء:

=طب يلا على السريع قبل ما أمي تيجي تصدعنا.

دخلت ليالي المطبخ، ثم خرجت وهي تحمل حلويات العيد، والشاي بالحليب، وجلست مع زوجها، وأطفالها ليتمكنوا من تناول وجبة خفيفة معًا. بينما كانوا يتناولون الطعام، سمعوا فجأة نواح مزعج يأتي من الأسفل، مما جعل جلال يتوقف عن تناول الكعكة بشكل مفاجئ ويقذفها بالطبق بعنف، في حالة من الضيق، ثم قال:

_مش قولتلك؟ أهو النكد وصل!

وضعت ليالي الكعكة في الطبق بهدوء يتناقض مع نبرة صوتها الساخطة، وقالت:

=أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم يارب... ده ايه الهم ده؟ هو الواحد ميعرفش يريح دماغه شوية؟
رد جلال بانفعال:

_ما كانت متلقحة مع النسوان هناك ايه اللي جابها دلوقتي بس؟

تحدث حمود بصياح حاد، مظهرًا استيائه:

=انتي صدعتينا يا ستي.

ردت ليالي بجلبة:

_كلوا، ملكوش دعوة بيها!

في مدخل المنزل، دخلت أم الديب بصوت مرتفع يبرز استيائها، وهي تتجه بسرعة نحو شقتها، حيث كانت خطواتها تعبر عن التعجل، وبمجرد وصولها إلى شقتها، بدأت في استخراج الطعام من الأكياس بيدين متعجرتين، وبنبرة مليئة بالضيق، هتفت قائلة بشوق:

=ياما... هتوحشيني ياما.

وبدأت في تناول الطعام، فنسيت والدتها، وأفراد عائلتها تمامًا، وفي وقت من السعادة الفائقة، نطقت بسكينة، وهي تستمتع بلذة الطعام:

_يا سلام يا عيال... ده ايه البتاع المسكر ده؟ ده طعم طعامة... دي قرص، ولا كحك، ولا ايه نظامها؟
في الشقة العليا لنعمة، كانت حزينة جدًا، والابتئاس واضح على معالم وجهها في حين جلست هايدي بجوارها على الركنة أمام التلفاز تأكل كعكة من صنع يد نعمة، وليالي، فتعثرت أثناء مضغها لقسوتها، وفي حالة من الدهشة، قالت:

=الكحك ده ناشف أوي كده ليه؟

ردت نعمة باستياء:

_وانتي ليكي نفس تاكلي وستك في تربتها؟

وضعت هايدي الطبق بعناية على الطاولة التي تحاذيها، ووجهت كلماتها بلطف إلى نعمة، قائلة:

أم الديب الجزء الثاني

=انتي ليه طيبة أوي كده لدرجة إنك نسيتي هي عملت ايه؟ نسيتي لما كانت كل ما تيجي وتشرشح لبابا؟
يا بنتي دي لسانها طويل ومكنتش بتبطل خناق معنا كنا.

قالت نعمة بقلب بار:

_مبيقاش قلبك أسود يا هايدي دي مهما كان ستك أم أمك، ده لولاها مكناش احنا جينا للدنيا دي.
ردت هايدي بحسرة:

=ده ياريتنا ما جينا، ياريت... جينا الدنيا نتعذب بحاجة ملناش ايد فيها... ماما مخلية راسي في الأرض،
كل الناس حرفياً عارفين هي مين وبتعمل ايه! لدرجة إن يأس من موضوع الجواز ده لأنني عارفة
كويس إنه هيبوظ بسببها لأنها ما بتقدرش تجمل من نفسها.

كادت الدمعة أن تسقط من عين هايدي من اهتزاز نبرة صوتها المتكلمة، حيث قالت نعمة بحيادية:
_أمك غلبانة، وعلى نياتها اعذريها.

من الواضح أن لا جدوى في استقامة قلب نعمة الطيب أو سذاجته، فأثار سخط هايدي، ودفعها للتصرف
بطريقة استفزازية قائلة:

=برضة يا نعمة؟ برضة مفيش فايدة فيكي!

دخل حامد الشقة وهو يحمل أكياساً ثقيلة في يديه، مما لفت انتباه نعمة التي بدت عليها علامات الدهشة.
وبينما كانت تنظر إليه بامعان، قالت بفضول:

_ايه اللي في ايدك ده؟

وضع حامد الأكياس على الطاولة بتناقل، ثم جلس على أحد الكراسي المحيطة بها، مستريحاً من حمل
الأكياس الثقيلة، وكأنما يستعد للراحة بعد جهد طويل، وأجاب:

=الست الغنية اللي هي حماة أخوكي دي... كانت مالية شنطة العربية أكياس، وأخوكي الله يباركله سابلنا
كيسين منهم، وأنا راجع لقيتلك مطعم قولت أجيب شوية ساندوتشات للغدا.

ردت نعمة بحزن:

_كثر خيرك يا حمو حاسس بيا... أنا مقدرتش أعمل أكل ده أنا فيا اللي مكفيني كويس إنك عملت حساب
الغدا.

استخرج حامد محتويات الأكياس بفضول واضح، وهو يتفحص كل عنصر بعناية، ثم قال بدهشة تعكس
انبهاره بما وجد:

=دي ست بركة أوي يا نعمة... دي جايبة حلويات العيد.

وصوب نظره على الأكياس الأخرى المتبقية، بينما كان يواصل تفحص محتوياتها بتركيز، ثم أضاف
قائلاً:

=لأ وايه اللي في الكيس الثاني ده كمان؟

فتح الكيس الثاني ليجده مليئاً بخيرات الخالق، الجبن، واللانشون بأنواعه، والتونة، وأكياس خبز
التوست، واللحوم. امتلأ قلبه بالسعادة بعدما ملأت أم قمر الدين منزلهم بخيرات الطبيعة، فقال بفرح:

=اللهم صلي على النبي، طب والنعمة دي... دي ست بركة ودخلتها علينا كانت دخلة خير.

قالت هايدي برضا:

أم الديب الجزء الثاني

_طنط بسملة كريمة جدًا ده أنا لما روحتلها مع ماما في مرة صممت لازم ناكل. قعدنا ولقيت السفارة عليها أحلي وأعلى الأكلات وبعد ما كلنا جابتلنا الفاكهة، والحلويات، والمكسرات، والعصاير، واحنا ماشيين ادتتنا تاني!

ردت نعمة بارتياح:

=الله بياركلها، أنا اخويا وقع مع ناس كويسة وكُرماء مش زي أمي... ده ياريت ست بسملة دي كانت أمي مكنش ده بقى حالي!

قالت هايدي بحسرة:

_أه والله ده يا بخت عيالها بيها، عايشين في جنة.

في أعقاب تناول أم الديب للطعام وشبعها، دخل المعلم حنفي من الخارج، حيث كان الوقت قد تأخر.

عندما دخل الغرفة، واكتشف أنها نائمة، وهي تحتضن الطعام حيث نبَّهها بانزعاج:

=ايه يا ولية اللي انتي مهيباه في نفسك ده؟

كانت أم الديب في غفوة عميقة، حيث غمرها النوم بشدة، وكانت تصدر شخير النوم. في هذا السياق،

واصل المعلم حنفي حديثه مرة أخرى:

_هاتي الأكل ده أني على لحم بطني...مانتي طفحتي وشبعتي ومش فارقلك حاجة.

استفاقت أم الديب من غفوتها المفاجئة عندما حاول المعلم حنفي نزع الطعام منها، فشعرت باندفاع قوي

للحفاظ على ما بحوزتها. تشبثت بالأطعمة بقوة ورفضت التخلي عنها، ثم نطقت بغلاظة:

=سيب الأكل !

اتخذ المعلم حنفي خطوة إلى الوراء وأعاد ظهره في تلك اللحظة، محاولاً أن يتجنب التصادم المباشر مع

أم الديب وبنبرة ملأنة بالتلثم، قال:

_ايه الصوت ده يا ولية انتي واكله راجل؟

ردت أم الديب بفظاظة، وقد حملت كلماتها قوة العناد:

=ابعد، خليني أتخمد، متصدعنيش!

قال المعلم حنفي بسخرية:

_وانتي فكرك ان أني واقف هنا بتأمل في سواد عيونك؟ أني جاي آخذ الأكل، أني من حقي أطفح زي ما

طفحتي!

نطقت أم الديب بقسوة:

=غور!

بينما خطى المعلم حنفي خطوات حذرة نحو غرفة هايدي، انعكست لمسات الخوف في تلك اللحظة عبر

تنفسه السريع، وهمسات قلقة اللامتناهية، فقال:

_يلا أنام بجوعي أحسن ما تبلعني وأحصل أمها.

في اليوم التالي، كانت هايدي نائمة في شقة نعمة، مستلقية بهدوء على السرير بينما كان محمد نائمًا

بجوارها، يغمره النوم العميق، وفي الطابق السفلي، كانت ليالي منهكة في تنظيف المنزل استعدادًا

لوصول العائلة، حيث كانت تعمل بجد لتنظيم الأمور، وتوفير بيئة نظيفة، ومرتبّة. ومع ذلك، كان صدح

الدريكة المزعج يتسلل إلى غرف النوم، مما أثار بشكل كبير على نوم جلال. فاستفاق فجأة من نومه،

وعلامات النعاس واضحة على وجهه، وهو يتهرش وجهه في محاولة للتخلص من آثار النوم، قائلاً

بامتعاض:

أم الديب الجزء الثاني

=هي حبكت تنضفي دلوقتي يا ليالي؟

ردت ليالي، وهي تنفض السجادة بيدين متعبتين، وقد ارتسم على وجهها الإرهاق، قائلة:
_ معلى يا جلال، مانت عارف أهلي جايين النهارده ومينفعش يدخلوا البيت وهو متبهدل.
تلفظ جلال بنعاس:

=طب ما تنضفي برا لحد مانا أصحى.
قالت ليالي:

_ أنا نضفت كله ناقص أوضة النوم.

نطق جلال بصياح، تعكس نبرات صوته الانزعاج:

=ابعدي يا ليالي خليني أتخمد شوية.

ردت ليالي بفزع:

_ خلاص يا خويا ما براحة شوية... أنا ماشية وسايبهالك.

وأطفأت النور عنه بيدين مضطربتين، ثم خرجت إلى الصالة، حيث اقتربت من ابنها، وقالت له بتوجيه:

=انزل يا حمود هات كيسين جيلي وعلبة كريمة.

رد حمود بعناد:

_ مش نازل.

تفوهت ليالي بصخب:

=لما أقولك كلمة تسمعها ومتعندش معايا أنا أمك مش أختك الصغيرة... فاهم ولا لا؟

أجاب حمود، وهو يغلبه طابع الطمع الذي ورثه من أبيه، وجدته، وقد بدا واضحاً في تعابير وجهه:

_ هاخذ حاجة ليا ولا هروح ببلاش؟

انصدمت ليالي من تصرف ابنها الجشع، حيث نطقت بذهول:

=يخربيتك هي بقيت كده وحاجة قصاد حاجة؟

رد حمود بعناد:

_ مش رايح في حنة!

قالت ليالي بإرغام:

=طب خلاص هديك خمسة جنيه ليك لواحدك بس اسمع الكلام.

نهض حمود بثبات، ثم قال باستعداد:

_ دقيقة وتلاقي الطلبات قدامك.

ردت ليالي بسخط:

=مانتوا مابتجوش غير بكده.

خرج جلال من غرفة النوم بتثاقل، متجهًا إلى المرحاض ليشطف وجهه وينعش نفسه بعد ليلة من
الإرهاق، وبينما كان يقف أمام الحوض ويغسل وجهه بالماء البارد، رفع نظره إلى مرآة المرحاض،

وسأل زوجته باهتمام واضح، محاولاً أن يوضح مدى تفكيره في زيارة العائلة، قائلاً:

_ أبوكي وأمك هيجوا امتي؟

أجابت ليالي:

=كانوا قايلين بالليل، بس عيادت الكلام على أمي وقولتلهم يجوا بدري عشان نلحق نقعد مع بعض.

رد جلال بإنهاك:

أم الديب الجزء الثاني

_ الحق آخذلي دش... بقولك يا ليالي احنا نجهز لهم مقلب حلو يليق بمقامهم.

ضحكت ليالي، وقالت بقلق:

= لا يا جلال انت عارف أبويا عصبي وببيصدق أي حاجة بدل ما يحلف طلاق ما هو داخل عندنا تاني.

تضحك جلال، وقد انبلج على وجهه الراحة، وملأ صوته المرحاض بدفء من الفكاهة، ثم قال:

_ ماهي دي حنة الذكاء احنا ندايقهم من تحت لتحت... اصبري انتي بس وأنا هشغل دماغي.

ضحكت ليالي، وقالت بتألف:

= ماشي ياخويا، أما نشوف.

أوصد جلال باب المرحاض بسكون، وانغمس في أحضان الماء ليبدأ رحلة استحمامه. بعد لحظات، غادر حمود منزله بسرعة فائقة لتأمين طلبات والدته، ثم عاد بها بتفانٍ. قامت ليالي بتحضير حلوى الكريمة، بالجيلي اللذيذ، فتمايلت يداها بحرفية، ثم وضعتها بعناية في أحضان المبرد لتبرد وتجهز للتقديم، ودخلت غرفتها لتتزين بأجمل الثياب استعدادًا لاستقبال عائلتها بروح من البهجة. بعد مرور ساعات، اجتمعت أفراد الأسرة في جو من الانتظار، لكن لم يكتمل اللقاء حتى خرج المعلم حنفي من شقته. فأعلن عم سلامة بابتسامة طيبة تملأ الأجواء:

_ السلام عليكم يا معلم حنفي.

رد المعلم حنفي بابتسامة واسعة:

= يا أهلاً، وسهلاً يا حاج سلامة نورتونا وشرفتنا.

نطق عم سلامة، وهو يحمل بيديه زيارة ابنته بترتيب، وقد بدا عليه التقدير للزيارة:

_ الله يخليك.

تحدث المعلم حنفي ببشاشة:

= يا مرحب يا أم ليالي.

ردت تباهي بابتسامة:

_ يا أهلاً.

صافح المعلم حنفي أشرف، وقال بود:

= ازيك يا أشرف؟

أجاب أشرف بإعزاز:

_ تمام والله... ازيك انت يا حاج عامل ايه؟

رد المعلم حنفي:

= الحمد لله كله بخير... طب ما تدخلوا تقعدوا عندنا شوية!

نطقت تباهي بذكاء، وقد برزت الفطنة على وجهها:

_ لا احنا آخرنا لحد عتبة الباب ماننت عارف اللي فيها.

قال المعلم حنفي بتفهم عميق:

= خلاص مرة تانية متكونش هي موجودة.

بسط عم سلامة يده بتحزن على كتف المعلم حنفي، مشعرًا بمدى المعاناة التي يعيشها، والمشكلات التي

يواجهها، في محاولة لتعزيز مشاعر الدعم، وقال بتأثر عميق:

_ الله يكون في عونك يا معلم حنفي.

أم الديب الجزء الثاني

رد المعلم حنفي باستياء:

=أه والله ده أني مستحمل كثير، بس كله عند ربنا.

جاءت أم الديب من ورائه، وهي تحمل خشبة كبيرة على كتفيها، وقد بدا واضحًا أنها تعتزم إثارة مشكلة جديدة، كما اعتادت في السابق على إحداث الاضطراب، وبسبب ظهورها المفاجئ وحجم الخشبة الذي يشير إلى نيتها في تصعيد الموقف، ارتبك الجميع، وتملكتهم حالة من القلق، وفي لحظة من التوتر الشديد، حيث اختلطت مشاعر الذهول، قالت بقسوة:

_قصداك ايه يا راجل انت وهو؟

تحدث المعلم حنفي بصياح:

=خشى جوا يا ولية!

ردت أم الديب بمكر واضح في نبرات صوتها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة، قائلة:

_ازيك يا سلامة؟

وواصلت لتباهي:

_ازيك يا أم ليالي؟

وأردفت لهبة:

_ازيك يا بت يا هبة انتي وجوزك؟

تعجبت تباهي بفرط حنو أم الديب، فإذا هي أول مرة تسأل عن أحوالهم، فقالت بنظرات مدهشة:

=انتى كويسة يا أم الديب؟

ردت أم الديب بمكر:

_أمال ايه؟ يلا اطلعوا لبتكم.

تحدث عم سلامة بصوت خافت يشوبه القلق:

=أنا مش مرتاحلها.

قالت تباهي بترقب:

_ما يمكن موت أمها هدها وخلها عرفت غلطها!

تحدث المعلم حنفي بابتسامة:

=اطلع يا عم سلامة... البيت بيتك.

رد عم سلامة بابتسامة:

_الله يخليك يا معلم حنفي... يلا بالإذن.

عندما صعد أهل ليالي وحملوا معهم أكياسًا في أيديهم، لم تستطع أم الديب إلا أن تلقي نظرة فضولية على محتوياتها، فقد انعكست تلك الفضولية على عينيها بينما كانت تتأمل الأكياس بلا انقطاع، تريد معرفة السر الذي يكتنفها. أما المعلم حنفي، فقد ظهر على وجهه الاستغراب من رد فعل زوجته، فما كان منه إلا أن يتساءل عن أسباب تلك الاهتمامات المفاجئة فقال:

=مالك يا ولية؟ مش على عوايدك النهارده يعني!

ردت أم الديب بتدليس:

_الواحد مبقاش فيه حيل يا حنفي... أنى مش مصدقة إن أمى ماتت يا خويا، دي كانت غالية عليا أوي !

أم الديب الجزء الثاني

عندما دخلوا الشقة، بدأت أم الديب في البكاء بحرقة، مما أعطى مشهدًا من الحزن. دخل المعلم حنفي وراءها، وجلسا معًا على الأريكة في محاولة لتهدئتها، ومواساتها. ثم قال لها بلطف، مخفف عنها ما تشعر به:

=خلاص يا ولية... الله يرحمها أهي راحت عند الأحسن من الكل.

صرخت أم الديب، وقالت ببهتان:

_روحتي وانتني في عز شبابك ياما... دي كانت طيبة بشكل... لسانها كان بينقط سكر.

رد المعلم حنفي بسخرية:

=أوي هو في حد زيها؟

قالت أم الديب بانتحاب:

_زيها ايه؟ ده اللي زيها قليلين في الزمن ده.

تلفظ المعلم حنفي بضغينة:

=طب الحمد لله إنهم قليلين ده لو كانوا كثير كانت حصلت مصايب.

تحولت نبرة صوت أم الديب في الحال من السكينة، والاستعطاف إلى غلاظة قوية، فصدحت كلماتها في الصالة كالرعد، وقالت:

_قصدك ايه يا راجل انت؟

نهض المعلم حنفي بقلق، وقد بدت عليه علامات الخوف، ثم قال بارتباك:

=قصدي ولا مقصديش، كبري دماغك يا ولية!

دخل المعلم حنفي المرحاض، مما دفع أم الديب إلى التعبير عن استيائها من تصرفه، حيث ضجت بوضوح قائلة:

_أما انت راجل واطي صحيح.

وفي الأعلى، كانت ليالي تقف على الدرج مع جلال، وأطفالها، في انتظار عائلتها بكل لهفة، وحب، وحين وصلوا، اقتربت ليالي من والدها وعانقته بحنان، وفي لحظة من الفرح قالت بابتسامة:

=واحشني بابا.

رد عم سلامة بحنين:

_طميني عليك يا بتي.

قالت ليالي بابتسامة:

=الحمد لله كله بخير يا حاج.

تبادلت الأدوار حين عانقت ليالي والدتها، وأختها بإحسان، وفي الوقت نفسه، عانق جلال عمه سلامة بمودة، وبينما كان يغمره الفرح، قال بابتسامة ودية:

_عم سلامة أليك واحشه يا راجل.

نطق عم سلامة بارهاق، وقد بدت على ملامحه علامات الإجهاد:

=سلمكم هلكني يا جلال.

تحدثت تباهي بحب:

_كل سنة وانتني طيبة يا ليالي.

ردت ليالي بفرحة عارمة، وقد ظهر على وجهها الحبور :

أم الديب الجزء الثاني

=وانتي طيبة ياما.
عانقت هبة ليالي بحرارة، بينما كانت عواطفها تتدفق بسعادة، وملأت الأجواء بروح من الفرح. ثم قالت بلهفة:

_ازيك يا ليالي ياختي؟
أجابت ليالي بغبطة:
=كله تمام انتي عامله ايه؟
ردت هبة بحبور:
_الحمدلله.

بعد أن تبادلوا التحيات بينهم، مما أضفى جواً من الألفة، دخلوا الشقة بتثاقل، وجلسوا ليتناولوا قسطاً من الراحة بعد يوم شاق. بينما كانوا يستقرون في أماكنهم، دخلت ليالي المطبخ بتفان، لتجهيز الضيافة التي تعبر عن كرمها، وهي تعد الأطعمة، والمشروبات بكل اهتمام. وفجأة، بينما كان الجميع يستمتع بالهدوء النسبي، قال جلال بتقدير:
=ايه الأخبار يا أشرف؟
رد أشرف:

_الحمدلله.
بعد لحظات من الاستراحة، نزلت نعمة، وحامد، ومحمد من الطابق العلوي، حيث التحقوا بالعائلة التي كانت في انتظارهم. تقدموا لمصافحة الحضور بمحبة، فعانق حامد الرجال بمودة، في حين تقدمت نعمة إلى تباهي وعانقتها بحنان، وتبادلتا كلمات الترحيب التي تؤكد الروابط القوية بينهما. ثم قالت نعمة بكل ود، واصفة حبها، قائلة:
=ازيك يا أم ليالي... ايه الحلاوة دي؟
ردت تباهي بابتسامة خافتة:
_حبيبتني يا نعمة.

جلست نعمة على الأرض بعدما عانقت هبة بحرارة، ثم قالت بروح الإخاء:
=أنا نازلة مخصوص عشانك يا هبة، أول ما عرفت إنكم جايبين قولت آجي نقعد معاكم.
قالت هبة بابتسامة:
_فيكي الخير يا نعمة.

خرجت ليالي بصينية كبيرة تتسع لمجموعة متنوعة من حلويات العيد الفاخرة، بما في ذلك الجيلي الملون، والكريمة الشهية، والعصير المنعش، وهي تحملها بعناية وحرص، ثم وضعتها بجانب نعمة، ومحمد. بعد ذلك، جلست على الأرض بجوارهم، محاطة بجو من الدفء العائلي، وعندما رأت تباهي هذا المشهد البهيج، اندهشت من لطف ليالي وكرمها، فقالت بدهشة:
=مكفة نفسك ليه يا بتي؟

ردت ليالي بتعظيم:
_طب والله أنا لو أطول اعلمكم أكثر من كده كنت هعمل.
نطق عم سلامة بدعة:
=منتحرمش منك يا ليالي، ونجيلك السنة الجاية وانتي معاكي سلامة الصغير.
ضحكت ليالي، وقالت باعتراض صريح:

أم الديب الجزء الثاني

_ لا يابا كفاية علينا كده...كده حلو أوي.

أراد جلال تنفيذ مقلب بسيط مع العائلة، بعدما اتفق مع ليالي على ذلك بحماس. وقف أمام الحلويات، يحدق في كمية الأصناف المتوفرة، وقد بدا على وجهه المبالغة في الانزعاج، وفي محاولة لإضافة لمسة درامية للموقف، عبّر عن غضبه بطريقة مبالغ فيها، كأن نوبة من الشح، والجشع اجتاحتها بغتة، وبشكل غير متوقع قال بصوت عالٍ، معبرًا عن استيائه وكأنه يواجه أزمة حقيقية، قائلاً:
=ايه يا ليالي اللي انتي حاطاه ده كله؟

أشار جلال بأصابعه على كل صنف من الحلويات، وهو يلفت انتباه الجميع إلى تنوع الأصناف، ثم أردف بامتعاض:

=حاطة كحك، وبسكاويت، وباتافور، وترمس، وكريمة، ايه يا ليالي كل ده؟ ما كفاية طبق صغير كل واحد ياخدله كحكاية!

شعرت ليالي بالإحراج أمام عائلتها، فخرجت كلماتها بخجل متوتر، كأنها رياح قوية تعصف بالسكينة، وقالت بعجيب:

_ ايه يا جلال مالك في ايه؟ ده أنا حاطة حاجات تكفيهم انت مش شايف العدد ماشاء الله؟

قال حامد بتعجب:

=هو في حاجة يا جلال ولا ايه؟

أجاب جلال بصياح:

_وانت مالك يا عم؟ أنا طالع عيني في الشغل وهي بكل سهولة حاطة ده كله؟

ضرب جلال كفاً على كف، محاولاً تعزيز حدة التوتر في الموقف، ثم أردف بتذمر:

_ لا إله إلا الله يا عم في ايه؟

وجلس على الأريكة، وظهر على وجهه كمد لا يُخفى من سخاء زوجته، مما لفت انتباه العائلة إلى تحوله المفاجئ، حتى صدح عم سلامة بصدمة قانئة:

=ايه يا جلال انت أمك عضتك ولا ايه؟ ولا مستخسر فينا شوية الحاجات دي؟ هو احنا بنجيلكم كل يوم؟ تفوه جلال بضيق:

_مش القصد يا حمايا... بس الحاجات دي كتير عليكم، انتوا داخلين بكيسين صغيرين وهي حاطالكم ده كله!

نهضت ليالي، وهي تشعر بالحرج من سلوك زوجها، وأمست بذراعه بقوة، ثم صاحت في وجهه بصوت ملتهب، في حين بقي أفراد العائلة مصدومين ولا يظهرون أي ردة فعل سوى الدهشة الكامنة في وجوههم، فتمكنت ليالي من سحب زوجها بقوة، ووقفوا بعيد عن الجميع، وبصوت متوتر صاحت في وجهه قائلة:

=مالك انت اتعبت ولا ايه؟ ازاي تتكلم كده قصاد أبويا وأمي؟ ده أنا لو أطول أعملهم أكثر من كده هعمل.

تحدث أشرف مع زوجته بصوت خافت، مملوء بالتكتم، وهو يشاركها بمعلومة خاصة دون أن يسمعها أحد:

_ ما بقولك ايه قومي نمشي!

أم الديب الجزء الثاني

ردت هبة بنبرة خافتة:

=طيب يلا.

نهض أشرف، وهبة، وهي تحمل ابنتها بين ذراعيها، وجدوا أنفسهم يسرون بخطى ثقيلة خارج منزل جلال، وكأن وجودهم لم يعد مرغوباً فيه، وفي ظل هذا الإحساس المرير، تجاوزت عيونهم مع برودة الهواء، وتلاشى دفاء الأمان الذي كانوا يأملون فيه في منزل جلال، فاتبعتهم ليالي، وقالت بدهشة:

_ انتوا رايحين فين؟

تلفظ أشرف بعجيج:

=ماهو معلش جوزك مش عامل احترام لحد فينا.

وقف حامد بالقرب من أخيه، وقد بدت على وجهه ملامح الجدية، ثم قال:

_ اطلعوا عندنا، بقى سايب بيت أخوك وجاي عند الغريب؟

ردت ليالي برفض:

=مفيش حد فيكم ماشي... جلال بيهزر مش قصده.

تحدث جلال بصياح قوي، مما جعل نبرة صوته تجذب الانتباه إلى الفور:

_ لا أنا مبهررش... يلا يا ليالي شيلي الحاجات دي من هنا!

وقف عم سلامة، وجسده ينبعث منه السخط المتوهج، حينما اتضح له بوضوح تام ازدياد جلال في سخافته، وقلة ذوقه، وبينما تعانقت الظلال حوله، غصت عبارات الانزعاج بين ثنايا حاجبيه، محاول إخماد لهيب الاحتدام الذي أشعله جلال في قلبه، فقال:

=يلا يا أم ليالي قدامي!

نهضت تباهي مكانها، وقالت باحتجاج:

_ ميصحش الكلام اللي جوزك بيقوله ده!

نشبت ليالي في ذراع والدتها، وقد ظهر على وجهها الإحراج، ثم قالت بارتباك:

=والله ما حد فيكم ماشي أقعدوا بس... شكل جلال اتجنن في مخه.

تحدثت نعمة بتعجب:

_ وانت من امتي يا جلال وانت بتعمل كده؟

رد جلال بسخافة تامة، إذ لم يعبأ بتفاصيل الموضوع أو يضع في اعتباره أهمية النقاش، بل اكتفى بإلقاء كلمات سطحية لا تحمل أي قيمة:

=من النهارده، ده الحاجة بقيت غالية وهي ولا فارق معاها وعماله تحط وتحط.

وأردف لزوجته:

=ده انتي فضيتي كل اللي في التلاجة يا ليالي، لكن لو قرابيي هما اللي جايبين مكنتيش عملتي ده كله.

صاحت ليالي في زوجها بامتعاض يحمل مشاعر الغضب، قائلة:

_ اسكت يا جلال هتخلي أهلي يزعلوا مننا.

تحدث أشرف بكمد:

=يلا عاوزين حاجة؟

ردت ليالي بنبرة حادة، والكلمات تتدفق من شفتيها كالكساكين القاطعة، تعكس مرارة الألم الذي يتسلل

إلى قلبها. كانت عباراتها مشبعة بالغضب، تنبض بقوة الانفعال:

_ أقعد يا أشرف... في ايه؟ ماتقولي حاجة يا هبة!

أم الديب الجزء الثاني

رفعت هبة حاجبها بتعبير ساخر، وكأنها تشير إلى عبثية الموقف الذي أمامها. كان هناك في عينيها بريق من الاستهزاء، كما لو أنها تتفحص الموقف من على بعد، وتستهن كل ما يدور حولها، فقالت: =وأنا هقول ايه بعد اللي جوزك قاله؟ أنا ايه عرفني إنه بخيل زي أمه ومستخسر فينا شوية الكحك اللي حاطاهم.

تحدثت جلال بصخب:

_ أقعد يا عم سلامة، ولا هي كلمة الحق بتزعل؟

تلفظ عم سلامة بعجيج، صوته يتردد في أرجاء المكان كالرعد في عاصفة هوجاء: =احنا في بيتكم... الكلام ده ميصحش.

تفوهت ليالي بإلحاح:

_ أقعدوا بس الله يكرمكم يعني بعد ما جيتوا كل ده في الآخر تمشوا! أقعدوا!

بعدما عادوا إلى أماكنهم وجلسوا، كان الجميع يسعى جاهداً لتجاهل ما يقوله جلال، حتى لا يثيرون مزيداً من الجدل حول موضوع يبدو أنه استنزف كل طاقاتهم. فجأة، دخلت ليالي المطبخ برغبة بسيطة في جلب بعض الشوكولاتة، ولكنها فوجئت بصرخة جلال المزعجة التي اخترقت هدوء اللحظة وكأنها صاعقة مفاجئة. في تلك اللحظة، كان جلال يعترض بكل قوة على الشوكولاتة التي كانت بمثابة تعبير بسيط عن رغبتها في إضافة لمسة من السخاء إلى أجواء الاجتماع:

=ماجرا ايه يا ليالي هو انتي كل شوية داخلة طالعة؟ مش لما يخلصوا اللي قدامهم الأول...ماهو جلال يطلع عين اللي جابوه وفي الآخر انتي داخلة تحولي على كل اللي في المطبخ.

نهض عم سلامة في مكانه، واندفعت الحمرة إلى وجنتيه كأواج الدماء، وأظهرت العروق على جبينه، لتتقدم الكلمات من فمه بغضب، فكادت ليالي أن تنفجر من الضحك على تصرف والدها، ولكنها حافظت على هدوئها وهو يرفع صوته بسخط قائل:

_ لا حول ولا قوة إلا بالله...متنرفز نيش يا جلال ده احنا في بيتكم يا أخي!

ندم أشرف على قراره بالحضور إلى منزل جلال وترك شؤون عمله، فما لبث أن بدأ يفرك كفيه ببعضهما البعض، في محاولة يائسة لاستعادة هدوئه الداخلي، ولكنه لم يستطع سد الثغرات التي تسرب بها غضبه، فانفجر قائلاً بحنق:

=لو هتفضلوا كده احنا هنمشي، ومش داخلين البيت ده تاني!

تحدثت نعمة بفرع:

_ استهدوا بالله...جلال ميقصدش ده بيجبكم، وميقدرش يستخسر فيكم حاجة.

ردت تباهي بسخرية:

=ماهو باين يا نعمة.

وقفت ليالي حيال زوجها، وهي تشعر بثقل المشاعر المتراكمة في صدرها، وصرخت فيه بقوة لا تحتمل أي تساهل، وكان كلماتها خرجت من أعماقها كزئير نمر ساخط. كان صوتها يتردد في أرجاء الصالة مثل انفجار البركان،

_ ما تلم نفسك يا جلال وملكش دعوة بأهلي!

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بصياح، محملاً بنبرة تهديد واضحة تملؤها عزم ووعيد. مما جعل أجواء الدار مشحونة بالقلق. في تلك اللحظة، بدا وكأن جلال لم يتوقف عند مجرد التعبير عن غضبه، بل كان يعبر عن نية صارمة في التعامل مع الموقف بطريقة تتجاوز حدود الحوار العادي:
=وطني صوتك... صوتك ميعلاش عليا بدل ما أرناك علة!

أجابت ليالي بنواح، وصدحها كالعاصفة التي تجتاح الهدوء العتيق، يملأ الفضاء بتموجات من اليأس:
_وربنا لو عملتها مانا قاعدالك في البيت ثانية!

رد جلال بصياح:
=انشالله عنك ما قعدتي... الباب يفوت جمل.

تلفظ ليالي بضجيج:
_مانت لو راجل بحق وحقيقي مكنش كل ده حصل.

اندفع جلال بعنف نحو زوجته، وهو يتجاوز حدود الاحترام، ويطأ عليها بقدمه بلا رحمة، ممارساً عنفه المشين أمام أفراد عائلتها المصدومين، وهو يرفع صوته باحتدام، ينطلق منه كلمات التجريح:
=لو أبوكي مربكيش أنا هربيكي يا ليالي!
يتبع....

الفصل الحادي والعشرون

كان عم سلامة، ذلك الرجل الذي عرف بطيبته، وبساطته، يتنقل بين أشرف، وحامد، بينما كانت ليالي، وجلال تتعالى ضحكاتهم في الأرجاء، معبرين عن لهوهم ومشاركتهم في ذلك المقلب. في حين، كان بقية الحضور يغرقون في بحر من عدم الفهم، وكأن ما يحدث أمامهم هو لغز محير، وفي خضم تلك الأجواء المرحية، صاح عم سلامة بدهشة:

_ انتي بتضحكي ليه يا ليالي؟

تفوهت ليالي، بضحك نابع من أعماق قلبها، وكأن سعادتها لا حدود لها، وقالت بمرح:
=ألف هنا وشفا على قلبك يابا.

قال عم سلامة بعجيج:

=هو في ايه؟

أشار جلال إلى الكاميرا وهو يضحك، كأنه فنان يرسم لحظات الفرح بضيافة ابتسامته، وكلما تسللت ضحكاته عبر العدسة، أضاء المنزل ببريق فكاهي حيث قال:

_ بص قدامك يا حمايا واضحك للكاميرا!

تفوهت تباهي بتعجب:

=هو في ايه؟

قال جلال، بمزاح يتردد صداه في المكان، وصوته يعزف نغمة من البهجة:
_ عاملين فيكم مقلب... أصل أنا بالصلاة على النبي فتحت قناة على البورنامج الأحمر ده، وبدأت اتشهر أنا وبتك وبكرا الزهر يلعب معنا ونشتري الفيلا.

نطقت هبة بدهشة:

=فيلا مرة واحدة؟ وبعدين ده برنامج ايه؟

أجابت ليالي، بهزل ينبع من قلبها، والسعادة تتدفق من شفيتها:

_ اليوتيوب... أصلنا عملنا قناة وجابتلنا مشاهدات كتير أوي.

تفوه عم سلامة بعجيج:

=بقولك ايه يا جلال أنا الكلام ده مياكلش معايا، ده كلام ميدخلش عقل عيل صغير... ايدك متمدش على ليالي تاني، وإلا قسمًا عظمًا ما هعمل حساب لحد فيكم.

تلفظ جلال بضحك:

_ ما تهدي يا حمايا وأقعد، بقولك مقلب !

نطق أشرف، بامتعاض في نبرة صوته، وكأن الغضب يتفجر من أعماق روحه، وقال بصوت قاسٍ:

=انتوا فيكوا حيل للحوارات بتاعة النت دي؟

جلس عم سلامة متأملًا، وبعد لحظات من الحيرة، انكشف أمامهم أنها مجرد مزحة. همست ليالي بضحك هستيري، كما لو أنها عازفة على أوتار الفكاهة، وبدأت تنغمس في ضحكاتها كموسيقى تعزف ألحان الفرح:

_ ضحككتي يابا، كلوا كلوا... هو جلال يقدر يستخسر فيكم حاجة؟

أم الديب الجزء الثاني

قالت تباهي بكمد:

=ربنا يهديكوا.

في الطابق السفلي في شقة أم الديب، وقفت هناك، واستنشقت الهواء قرب نافذة المنور، تنصت بفضول على أصوات العائلة. لكن القدر قرر أن يكشف لها أمورًا لم تكن تتوقعها حين دخلت ابنتها هايدي.

ارتبكت أم الديب في الحال، متكرة وكأنها تقوم بمهام في المطبخ، وفي لحظة من الشك قالت هايدي:
_انتي بتعملي ايه؟

نطقت أم الديب، بقلق في نبرة صوتها، وكانت مغمورة بمزيج من التوتر:

=انتي جيتي امتي يا بت؟

أجابت هايدي بترصد:

_من شوية... خالتي بتقولك روحيلها البيت هناك علشان في ستات كثير جم.

فجأة، تذكرت أم الديب والدتها المتوفية، تلك المرأة التي كانت تمثل لها العالم بأسره، فغمرها شعور عميق بالحنين، والافتقاد. لم تستطع أن تسيطر على عواطفها، فرفعت يديها إلى السماء، والدموع تملأ عينيها، وصاحت بصرخة الحنين، قائلة بكل قوة، وكأنها تناجي السماء:

=يا لهوي ياما يا حبيبتي، هتوحشيني ياختي، اتخطفتي مننا بدري... يا خرابي.

خرجت أم الديب من باب الشقة، وكانت في حالة من الاضطراب العاطفي الذي لا يمكن تجاهله، فيما كانت هايدي تضحك بذهول من التحول السريع في مشاعر والدتها، التي انتقلت من حالة السكون إلى النواح في لحظات قليلة. واصلت أم الديب مسيرتها بسرعة، متجاوزة عتبة المنزل بأكمله وهي تنوح بآلم. بينما كانت هذه المشاهد تتكشف أمامها، قالت هايدي، وهي تضحك بمرح مختلط بالدهشة:

_ربنا يصبرني على اللي أنا مستحملاه ده.

فيما كانت أم الديب لا تزال تتأفف من شدة الشجن الذي يعتريها، خرجت من البيت بخطوات سريعة، حتى صدح صوتها في الحي، وهي تنادي نساء القرية بقوة حيث وقفت في منتصف الساحة، وقالت

بأعوال:

=صوتي يا ولية منك ليها!

نطقت نساء القرية بصراخ:

_يا لهوي... يا لهوي.

نامت أم الديب على الأرض، وكأنها تبحث عن ملاذ في رحم الطبيعة لتخفف من آلامها، وسحبت التراب بيديها المرتجفتين، تضعه فوق رأسها بشكل يرمز إلى الافتقار، وفي تلك اللحظة المؤثرة، بدأ باقي النساء في القرية يتبعنها بحذر، تأثرًا بما رأت أعينهن وبما شحنته مشاعرهن. تجمعن حولها، وهن يصرخن بصوت واحد عالٍ، ممزوج بين نبرات الحزن العميق، والتأثر الجلي، فنطقوا في آنٍ واحد:

=يا خرابي.

خرجت هايدي من البلكونة وهي متألفة بضحكتها القوية، ثم انضمت إلى جلال، وليالي. فقالت ليالي

بابتسامة سعيدة:

_تعال يا هايدي، سلمني على أمي، وأختي هبة.

عانقت هايدي تباهي، وهبة، بابتسامة بسيطة لكنها مغمورة بالبغضاء، وكلماتها تتسرب من بين شفثيها بغرور، قائلة:

=ازيكم عاملين ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت "تباهي"، و"هبة" في آنٍ واحد:

_ الحمد لله.

بعد لحظات، انطلقت ضحكاتهم كالنسيم، وتبادلوا المزاح. أراد جلال أن يلفت انتباههم بفضائح والدته، فقال بسخرية مختلفة، واندلعت ضحكاتهم تهز كل زاوية من الحديث حينما تلفظ جلال:

=ركزوا معاي... أمي ايه بقى؟ كانت تقعد ساكنة وأول ما واحدة من النسوان تدخل، أسمع صوتها اشتغل يا خرابي ويا لهوتي، وأول ما الوقت يعدي تسكت، وأول ما واحدة ثانية تدخل ترجع تصوتلك...
لأ والنسوان كأنهم بيجاملوا بعض بمين هيصوت أكثر من الثاني!
لم تكن ليالي قادرة على استعادة أنفاسها وهي تعلوها ضحكات قوية مُتسارعة، وقالت ببهجة:
_خيبيك يا جلال، ده أنا نفسي اتقطع من الضحك.

تفوه عم سلامة بضحك مَنين، الذي كان يحمل نغمة عذبة، وكأن كل نغمة منه تعبر عن روح مرحة، وقال بحيوية:

=أمك ست بتاعة أفلام... ينفع تبقى ممثلة.

تلفظت تباهي بقهقهة عالية، تكتنف الأجواء بالسرور، معبرة عن كل شعور بالسعادة النابعة من قلبها، وقالت بصوت يفيض بالخفة:

_أه والله.

قال جلال بنبره مُبهجة:

=لأ واسمعوا دي... أبويا امبارح دخل ميت من الجوع وجالنا أكل هناك قالهم لا أني هاكل في البيت وواثق من نفسه أوي أصله شاف الأكل اللي حماة أحمد جابته، وعينه لمعت ولما رجع البيت لقي أمي حاضنة الأكل بعد ما خلصت نصه، طب يهديكي يرضيكي يا حاجة وهي تزعقله... قام خاف يحصل ستي فنام جعان ولا قدر يتكلم!

انفجرت ضحكات الجميع، حتى امتلأ المنزل بضحكاتهم كأموحٍ تعلو، وفي تلك اللحظات، وصل حامد إلى ذروة ضحك، كما لو كان يرتقي إلى أعلى قمم الفرح، وقال بينما يتسلق درجات الضحك بابتهاج:

_حماتي دي حوار قسماً بالله.

تفوهت نعمة بافترار، ينساب بسلاسة:

=كده يا جلال ضحككتي وأنا حزنانة على سنك؟ طب دي كانت قلبها أبيض وحنينة.

قال جلال بضحك، يتخلله نغمة من المرح، وهو يحمل معه عبير البهجة:

_ستي مين اللي حنينة يا نعمة الله يكرمك؟ ده هي وأمي كانوا بيخططوا للمصاييب مع بعض، ده الإنتين

دول روس أفاعي.

تحدثت هبة بضحك:

=ماهي باين عليها إنها مكنتش سهلة.

تواصلوا في الحديث، فأمتعتهم اللحظات بضحكات عالية الصوت. أما في منزل والدته أم الديب، فلم يتوقف صداها في أنحاء المكان، حيث كانت تعول، وتعبر في صوتها العالي بينما يتفاعل معها النساء الحاضرات، يرتدين عباءات سوداء، في جو من الصخب، والمشاركة:

_وحشتيني ياما...ليه كده يارب؟ دي كانت ست طيبة، وحنية الدنيا فيها، مكنتش تاخذ حنفي بدال أمي؟

ردت سعاد بانتحاب:

=الله يرحمها.

أم الديب الجزء الثاني

نطقت إحدى النساء بتأثر عميق، وهي تحمل في طياتها كل مشاعر الحزن، وصوتها يرتجف قليلاً:
_شدي حيلك يا حاجة.

قالت أم الديب بإعوال يعبر عن كل ما يعتمل في قلبها من عذاب:
=كانت زي النسمة، واللي في قلبها على لسانها.
ردت إحدى السيدات بسخرية:
=ربنا يرحمها ويغفر لها... سيرتها سابقاها مش محتاجة تقولي!
في منزل جلال، وليالي، وسط تجمع حميم مليء بالحكايات، نزل الفيديو محملاً بتوقيع يقول: "مقلب لأول مرة في حميا وحمتي". ليس جلال كاتباً مثقفاً بل بلطجياً، حيث يعاني من جهل في أساسيات الكتابة السليمة، واللغوية. بينما يكتب جلال بتمعن على الفيديو، قالت ليالي بسعادة لأهلها:
_والله أنا ما بصدق إنكم تيجوا، القاعدة بتبقى حلوة وكلها ضحك، وهزار، وفرشة.
نفوحت هبة بارتياح، خارجة بروحها كنسمة خفيفة تهب في يوم صيفي، وصوتها يفيض بالطمأنينة:
=دي أحلى قاعدة والله يا ليالي، ربنا يديمها علينا نعمة.
قالت نعمة بحب، ينبض بكل دفء وعاطفة صادقة، ونبرتها تتسلل برقة إلى القلوب:
_اللهم آمين.
نطق أشرف بهدوء، ينم عن تأملات عميقة:
=عايزين ناسافر يوم كلنا مع بعض.

ردت ليالي بتأييد:
_طب والله فكرة.
وأردفت لزوجها:
_ايه رأيك يا جلال؟
قال جلال بإقتناع محمل بالثقة والتأكيد، وصوته يعكس يقينه التام بما يقوله:
=وماله نروح نصيف يومين بدل السنة اللي فاتت واللي حصلنا فيها من أمي... ده في شوية شقق في راس البر حلوة.
نطق أشرف بابتسامة هادئة:
_أكلكم صاحبي سمسار يشوفلنا شالية يكفيننا كلنا.
رد عم سلامة بتعجب:
=وأنا مين يمسكلي أشغالي الكام يوم دول؟
قال جلال بحنكة، وكل كلمة مدروسة بعناية فائقة، وصوته يفيض بالحكمة:
_مجاتش من كام يوم يا عم سلامة... هو احنا بنسافر كل يوم يعني؟ ده هي مرة كل سنة.
تلفظ أشرف بثقة ووضوح:
=جلال عنده حق... انتوا إدوني الأوكية وأنا هكلم صاحبي.
ضحك حامد، وصفق بيديه في حركة تعبير عن حماسه، ثم قال بمرح:
_أيوه بابا بقى... احنا معتمدين عليك في الحوار ده.
رد أشرف بابتسامة:
=لا متقلتش دهانتوا هتنبسطوا أوي.

أم الديب الجزء الثاني

في أول يوم لجميلة في القناة، كانت تعاني من الرهبة، والتوتر الشديدين، خاصةً وأنها لم تظهر على شاشة التلفاز من قبل، وكانت تشعر وكأنها تواجه جمهورًا ضخمًا غير مألوف، مما جعل قلبها ينبض بسرعة، ومع ذلك، كان أحمد داعمًا قويًا ومخلصًا لها، حيث قدم لها النصائح بحنكة، ووقف بجوارها بكل دعم، مما أضفى الثقة والقوة على تجربتها الأولى وأعطاهها شعورًا بالاطمئنان. في خضم تلك اللحظات الحرجة، قال أحمد بكل دعم:

_متخافيش يا جميلة... ده طبيعي لأنك أول مرة تظهرى بس بعد كده هنتعودي.
ردت جميلة بقلق:

=عندك حق... المفروض كنت أعمل يوجا قبل ما أجي، بجد خايفة جدًا وحاسة بتوتر.

نطق أحمد بابتسامة دافئة، توضح مشاعر التشجيع، وكل كلمة كان يختارها بعناية لتخفيف التوتر:

_متقلقيش صدقيني هتعددي، وأنا متأكد إن أول حلقة هتبقى حلوة جدًا.

ثم قبل يد زوجته بكل حنان، وهو يلمسها برفق، فارتاح قلب جميلة وشعرت بالاطمئنان، فقالت بسكون:

=ميرسي على دعمك... أنا هدخل... ادعيلي!

قال أحمد بابتسامة:

_ربنا معاكي يا جميلة.

دخلت جميلة ووقفت لأول مرة حيال الكاميرا، متجاوزة قلقها وتوترها، بينما كانت أعصابها مشدودة لكنها مصممة على تقديم أفضل ما لديها، وفي تلك اللحظة الحاسمة، نطق المخرج بصوت موجه، وهو يهدف إلى تعزيز ثقته، قائلاً:

=يلا نبدا... واحد... اتنين... ثلاثة... أكشن!

وقف أحمد خلف الكاميرا، عينيه تتبعان كل حركة، وأداء لزوجته، وهو يطمئن على تقدمها، يشعر

بالفخر العميق والسعادة الكبيرة لتحقيق حلمها أخيرًا بعد كل تلك الصعوبات التي واجهتها في البداية.

بالرغم من كل المعوقات التي ظهرت في طريقها، إلا أن مقاومتها كانت حافز كبير على تجاوز مخاوفها، ومع كل خطوة تخطوها، كان يظهر بوضوح كيف أن عزميتها قد حولت التحديات إلى نقاط قوة، حتى نطقت جميلة بكل ثقة، وكلماتها تحمل في طياتها قوة الإصرار:

_ مساء الخير أو صباح الخير حسب التوقيت اللي هتشفونني فيه... النهاردة أول حلقة لينا في البرنامج،

أحب أعرقكم بنفسي أنا جميلة باسم وعندي ستة وعشرين سنة... أم وعندي بنتين، خريجة إعلام،

النهارده هنتكلم عن آخر الأخبار حوالين العالم.

وتابعت بلباقة:

_ انخفضت درجات الحرارة لمستويات قياسية، كما اجتاحت رياح قوية شمال شرق الولايات المتحدة،

السبت، ما تسبب في أوضاع تشكل تهديدًا للحياة، وفقًا لوكالة "رويترز". وتعرضت منطقة ماونت

واشنطن بولاية نيو هامبشير، خلال الليل، لرياح باردة، انخفضت فيها درجة الحرارة لأقل من 78

درجة مئوية تحت الصفر.

في ذات اللحظة، كان جلال، وليالي يفتحان القناة على شاشة التلفاز، ليجدوا جميلة تتألق على الهواء.

وقفت بكل أناقتها، تحدثت بلغة طلاقة. اشتعلت ليالي بلهب الغيرة، ولم تتحمل عندما شعرت بأنها حققت

حلمها، وفي هذه اللحظة العاصفة، كانت ليالي ثابتة في مكانها، ومن شدة انفعالها نطقت بصياح:

=اقفل الزفت ده يا حمود..فين الريموت؟

أم الديب الجزء الثاني

تساءلت تباهي بدهشة، وكان كل حرف من كلماتها كان يحمل مزيجًا من الاستغراب:

_ هي مش دي سلفتك؟

أجابت ليالي بغيره نارية، وهي مشحونة بشعلة من الحنق:

=أه هي... احنا أساسًا ملناش في الأخبار، اقلوا الزفت ده!

بالرغم من انفعال ليالي، تألقت نعمة باعتزاز وهي تعبر عن إعجابها بمظهر جميلة على الشاشة، كما لو كانت كلماتها لوحة فنية تعكس فخرها:

_ متفليهوش... الله عليك يا جميلة طب والله زي القمر... اسم الله عليها تتحسد.

كانت هبة تتفق مع أختها على كراهية جميلة، حيث كان واضحًا دائمًا أن الغيرة تزداد تجاه من يتفوق عليها في مجال معين، وكان العين لا تستطيع أن تتحمل رؤية الأفضل منها. كانت قلوبهم مليئة بالحسد، ولا يتسامحون مع نجاح جميلة، التي بدت لهم كعائق مستمر في طريقهم، وبهذه المشاعر المشحونة، قالت هبة بكلام مشحون بالكراهية:

=تتحسد على ايه يا نعمة؟ هو يعني مفيش غيرها؟ ما القنوت والمذيعين ماليين الدنيا، عادي يعني.

كان حامد يعيش في إعجاب عارم بجمال جميلة، حتى نسي بلحظة مميزة أن نعمة تمثل رابطًا قويًا بينهما، إذ يُشكلون أسرة مليئة بالزواج والأطفال، وفي لحظة تفوق فيها الشغف وتجاوز حدود اللفظ، قال بتهور:

_ مرات أخوكي جامدة أوي يا نعمة... دي مكنة، مش حرام يسبب الحلاوة دي كلها تظهر للعلن كده؟

عندما سمعت نعمة هاتين الكلمتين، انقلبت فجأة على الوجه الآخر وتحولت إلى وحش قاتل، وكل مظاهر الهدوء واللطافة التي كانت تتسم بها تلاشت تمامًا. تملكته مشاعر الامتعاض، وشرارة الانتقام تلمع في عينيها، وهي تصيح فيه بصوت عالٍ، يتردد في الأرجاء، قائلة:

=اتعدل يا حامد.. مالك ومال جميلة مرات أخويا؟

نطق حامد بغرام، وعبير الشغف يفيض بدفء المشاعر:

_ مش قصدي يا نعومي.

ثم ضمّ شفتيه لبعض، وقال بنبرة فاسقة، تعكس مزيجًا من الاستهزاء، والازدراء:

_ بس هي جامدة أوي.

صرخت نعمة بصدمة:

=لم نفسك وعدي اليوم متخليهوش يوم أسود!

لم يتردد جلال في النهوض بسرعة، مستجمعًا كل شجاعة بداخله، ثم أطلق صرخة مدوية في وجه حامد، تعبر عن سخطه العارم وعدم رضاه، وصوته كان يملأ المكان بالشدة، وهو يصرخ بحسم:

_ ماجرا ايه ياض؟ هو أنا نعمة أختي كيس جوافة؟ لو مش مالية عينك قولي وأنا أخزوقهالك بإيديا دول! استخرج جلال المطوى ووجهه نحو الحائط، عازمًا على الاعتداء، فانفض الجميع بسرعة، بما في ذلك ليالي التي امتدت يدها لتسحب زوجها، وهي تعلق بصرخة قوية:

=لا يا جلال سيبه، احنا مش حمل مصايب!

قالت نعمة بعجيج:

_ والله مانا قاعدالك فيها.

أم الديب الجزء الثاني

صعدت نعمة إلى شقتها، وبينما هم يتبعونها، وهبة، وليالي يرغبون في مساعدتها في حل مشكلتها قبل أن تتفارق، وفي تلك اللحظة الحساسة، كانت نعمة تصعد درج المنزل، ودموعها تتساقط بغزارة، مذهولة من أن زوجها يعجب بزوجة أخيها، ويعبر عن إعجابه في وجهها دون أن يأخذ في اعتباره مشاعرها. سحب عم سلامة جلال من يده، وهو يحاول تهدئة الموقف، قائلاً:

=أقعد يا راجل منك له... أقعد!

غضب أشرف بشدة من اعتداء جلال على أخيه، فامتألت ملامح وجهه بالتجاويد من قوة الاحتدام، وارتفعت نبرة صوته، تعكس كل استياءه، وقال بصوت قاطع:

_إيدك متقربش من حامد أخويا!

قال جلال بصياح، وقد ارتفع عجيجه بشكل لافت، تعبيراً عن شدة غضبه:

=أخوك مش متربي، عمال يتكلم على مرات أخويا ومش عامل حساب لأختي.

نطقت تباهي بقلق:

_معلش طولوا بالكم شوية.

وأردفت لحامد بروح الأمومة التي كانت مملوءة بالعطف، وعينيها تعكسان اهتماماً عميقاً:

_وانت يا حامد مكنش يصح اللي قولته!

خرج حامد من المنزل وهو شاجن، يصيح بكلماته كالرعد، تتجلى فيها الانفعال، فتتألاً مشاعره في صيحاته المتأججة:

=أنا رايح بيت أمي... دي كانت غلطي إن متجوزتش في بيتنا، أهو كل ما حاجة تحصل ميبقاش ليا عين أتكلم، مانا غريب وسطكم.

خرج عم سلامة عقب حامد، وقال بصوت عالي، يتسم بالوضوح:

_اصبر يا حامد... انتوا أهل مش ناس غريبة!

نطق جلال بلا مبالاة:

=مع ألف سلامة يا عم، انت هتذلنا؟

خرج أشرف خلف أخيه وهو غاضب مما حدث له، وقال لحماءه باستنكار:

_أنا ماشي يا عمي... يلا سلام.

قال عم سلامة بنبرة جلفة:

=يرضيك كده يا جلال؟

أشار جلاله بيده في الهواء كأنه غير مبالي، وكانت نعمة تُجهش بالبكاء، وليالي، وهبة جالسات بجوارها ليواسوها. كانت في حالة صعبة لا يحتملها أحد، حيث تتخبط يديها في فخذها، وتعلو بنواح يعبر عن مدى الضيق الذي تمر به:

_ده أنا قولت أخرج من موت ستي ونفسي اللي زي الهباب، ملحقتش أتهدني طلعي حامد بمشكلة جديدة.

وضعت ليالي يدها على كتف نعمة، وهي تشعر بمدى معاناتها، وتفهم حجم الألم الذي تعانیه، حيث كان لمسة يدها تعبر عن التعاطف. ثم قالت بحزن، وصوتها ينساب برقة:

=معلش يا نعمة حقك عليا.

تفوهت هبة بسخط مشبعاً بالاستياء، وصوتها يفيض بنبرة من الكراهية:

أم الديب الجزء الثاني

_بصراحه جوزك غلطان أوي. بقى دي يبصلها؟ ده مين قالك إنها حلوة؟ ده كلها نفخ وعمليات تجميل مش زينا احنا جمالنا رباني.
قالت ليالي بتأييد، وكأن كل كلمة نطقت بها كانت تعكس دعمها الكامل، وإيمانها بما تقوله:
=قوليلها يا هبة.

وأردفت لنعمة بمكر:
=جوزك هو اللي غلطان... مش فاهمة شايفها حلوة من أنهى ناحية؟
وواصلت لهبة بغلول:
=مش بدمتك يا هبة... شكلها مش اللي هو؟

تلفظت هبة بتأييد:
_أيوه يا ليالي مانا بقول أهو.
قالت نعمة بانتحاب:
=ماشى يا حامد أنا مش هسكتلك ياخويا على اللي انت قولته ده...بقى على آخر الزمن يبص لمرات أخويا؟
ردت ليالي بشحناء، وحديثها كان يوضح تدمرها العميق، ونفاذ صبرها:
_سيبك منه هو الخسران.

في شقة جلال، بينما كان يُمسك بهاتف ليالي، اكتشف فجأة أن الفيديو الذي شاركوه قد حقق عشرين ألف مشاهدة، مما شكل لحظة من الفرح البالغ، والنفاؤل. كان وجهه يتلألأ بالابتسامة، وملأته مشاعر الانتصار التي صعب احتواؤها. فانبثقت من أعماقه كلمات تملأ الكون بالفرح، وكل حرف يعبر عن قمة سعادته، واعتزازه بالإنجاز الذي تحقق، حيث قال بصوت يفيض بالحماس:
=أوبا... هنلعب بالفلوس لعب يا حمايا.
رد عم سلامة، وهو يحاول أن يستفسر عن تلك الفكرة:
_ربنا يزيد ويبارك...بس انت هتاخذ فلوس ازاي من التلافون ده؟
أجاب جلال بحيرة:
=مانا مش فاهم الصراحة، بس هايدي فاهمة في الحوار ده وهتبقى تفهمني كويس.
تفوهت تباهي بابتسامة:

_ربنا يديكم ويرزقكم من حيث لا تحتسبوا.
بعد نصف ساعة، اكتشفوا وجود أم أشرف داخل منزل أم الديب، لأول مرة منذ ساعة زواج نعمة من ابنها. يظهر أنها جاءت بطريقة توحى بحدوث نزاع قوي أو محاولة استرجاع حقوق ابنها. وقفت تباهي متعجبة عندما دخلت أم أشرف شقة جلال، معبرة بلغة تعبيرية عندها تعجب حيال الوضع، وقالت بصدمة:

=ايه ده أم أشرف؟ انتي جايه هنا عملي ايه؟
ردت أم أشرف بحدة:
_أنا جاية أقول كلمتين لنعمة.
قال عم سلامة بتبجيل:
=ما تقعدى يا أم أشرف ترتاحي وهنبعتلك حد يجيب نعمة من فوق.

أم الديب الجزء الثاني

نظرت أم أشرف بكرهية لجلال، ورفعت حاجبها بانزعاج، ثم قالت بنبرة رافضة:
_وأنا أقعد ليه؟ كان صاحب البيت قالي أقعدي؟
تلفظ جلال باستهزاء:
=أقعدي يا أم حمو... عايزة نعمة في ايه؟

قالت أم أشرف باعتراض:
_مش قاعدة، وهما كلمتين و رد غطاهم...نعمة لو عايزة تعمر في الجوازة وتخلي المركب تمشي يبقى
من النهاردة يفكوا عفش بيتهم ويجوا ينقلوا عندنا...أنا ابني يعيش معانا في بيت أهله، هو راجل البيت
مش نعمة أختك، ولو كان وافق فلشان ميكسرش بخاطرها لكن انسوا إن ابني يقعد في البيت ده تاني!
نطق جلال بسخرية خاملة بكلمات تهكمية تحمل في طياتها استهزاء:
=هو ننوس عين أمه لحق يقولك؟ ده لسه نازل من باب البيت !
اقتربت تباهي من أم أشرف، وقالت لها بابتسامة هادئة:
_استهدي بالله يا أم أشرف... متدخليش نفسك في مشاكل ابنك ومراته، هما يحلوها مع بعض.
أجابت أم أشرف بإحراج:
=انتى على راسي يا أم ليالي... ربنا العالم أنا بعزك قد ايه... بس ده كلامي وأنا قولته ومش هعيده
تاني !

بعد أن انتهت أم أشرف من تلقين جلال الدرس، خرج جلال عن صمته، واندلع صوته بسُخط ملحوظ،
وصرخ في وجهها:
_محدش غصب ابنك يقعد هنا...نعمة قائلته نعيش في بيت أمي وهو وافق بمزاجه، وبعدين مالك جاية
مشحونة كده ليه عدم اللا مؤاخدة؟
قالت أم أشرف بصياح:
=أنا قولت كلمتين وهتوصلهم... سلام.
خرجت أم أشرف من المنزل وسط جو من السخط العارم الذي يتجاوز حدود الغضب من عائلة أم
الديب، حيث كانت مشاعر الاستياء تتصاعد كعاصفة هوجاء، مما جعل الأجواء مشحونة بالتوتر، ومع
تصاعد هذه المشاعر، ناداها عم سلامة بصوت ينطلق بوضوح، يعكس كل درجة من درجات الاحترام
التي كانت تخيم على الموقف:
_استنى يا أم أشرف !
تنهدت تباهي، وكل زفرة كانت تحمل معها عبء التأثر، ثم قالت بحزن، وصوتها ينساب برقة:
=كبروا المواضيع على حاجة تافهة.
نطق جلال بضجيج:
_ابنها عيل مش تمام وقاعد يتغزل في واحدة غريبة، أنا نعمة أختي ست الستات ومنتقصش حاجة عنهم
ولو حد عنده كلام غير اللي أنا قولته... يجي يقولهولي ويشوف أنا هعمل معاه ايه!
تفوه عم سلامة باستياء:
=اهدى بس يا عم، بوظتولنا القاعدة ما كانت حلوة !

جلس جلال على مقعده، وعيناه تعكسان توتره، ثم قال بعصبية:
_حامد هو اللي بوظها... احنا كنا ساكتين.

أم الديب الجزء الثاني

تلقت هبة مكالمة هاتفية من زوجها، وفي نهاية الحوار، ختمت بعبارة تنم عن تقديرها له:

=طيب أنا نازلة... سلام.

وقفت هبة وهي تحمل ابنتها، فشاركتها ليالي بالوقوف هي الأخرى، وفي وقت من التعجب، قالت ليالي بدهشة:

_رايحه فين يا هبة؟

أجابت هبة بقلق:

=حماتي تحت... هنروح مع بعض.

تفوهت ليالي بصدمة جسيمة:

_تحت؟ ده عمرها ما عملتها، غريبة يعني.

قالت هبة بتشوش:

=بصراحة حاسة إن في حاجة أصل أشرف صوته متغير... يلا أدينا هنعرف.

نطقت ليالي بهاجس:

_ربنا يجيب العواقب سليمة.

عانقت هبة أختها بحب، كأنها تسعى لإضفاء لمسة من الأمان على قلبها، ثم قالت بمشاعر صادقة:

=يارب... يلا سلام.

تفوهت ليالي ببشاشة خافتة:

_سلام.

عانقت هبة نعمة بدفء أخاذ، وكل لمسة من عناقها كانت تعبر عن مشاعر عميقة من التعاطف. ثم قالت

لها بتأثر واضح، يعكس مدى تأثرها بما حدث لها من ترح:

=سلام يا نعمة... مترعليش نفسك وانسي اللي حصل!

نطقت نعمة بقهر:

_ماشى يا هبة مع ألف سلامة.

نزلت هبة، وابنتها، وزارت عائلة جلال في شقته. فعانقت تباهي وبينما تستعد للمغادرة، قالت لها بعبارة

الوداع:

=أنا ماشية ياما.

ردت تباهي بدهشة، وعينها تتسعان من الاستغراب، وهي تقبل رأس حفيدتها باحتواء، وكأن قبلة رأسها

كانت تعبيراً عن مدى اعتزازها بها:

_ماشية رايحه فين؟

تلفظت هبة بتشوش:

=حماتي تحت هنروح مع بعض.

نهض عم سلامة مكانه، ووقفه يتسم بالجدية، ثم قال بثبات:

_طب واحنا قاعدين ليه؟ قومي نروح احنا كمان.

بعدما وقف عم سلامة، وزوجته، أرفد لجلال وهو يعانقه قبل الوداع بكلمات تعبيرية، تنم عن العلاقة

القوية، والمشاعر الصادقة:

_يلا عاوز حاجة يا جلال؟

أم الديب الجزء الثاني

رد جلال بحب:
= لا سلامتك يا حمايا... أنزل أوصلكم؟
قال عم سلامة برفض:
_ لا مش مستاهلة ارتاح انت... السلام عليكم.
عانق الأطفال جدهم، وجدتهم، في حين رد جلال التحية بملامح من الاحترام، يرسم بذلك صورة جميلة للتواصل بين الأجيال:
= وعليكم السلام... مع السلامة يا حماتي.
أشار حمود بكفيه الصغيرين في الهواء، وفي مشهد مؤثر لفراق جده وجدته، قال بحزن ملحوظ:
_ سلام يا ستي.
قالت تباهي بحب:
= مع السلامة يا حبيبي.
وقف جلال مع أبناؤه على الدرج حتى نزلوا، ثم دخلوا الشقة، وبعد لحظات نزلت نعمة، وليالي. حينما نطقت نعمة بصوت حاد، تجلى فيه الامتعاض، كأنما كانت الكلمات تنبعث منها بحدة:
_ حماتي كانت هنا عايزة ايه؟
تحدث جلال بصياح:
= جاية عمالة تخرف، دي ولية خرفانة ودماعها تعبانة... عاوزة ابنها يعيش معاها في بيتهم ومش عاجبها قعدته هنا وسطنا.
نطقت نعمة بصدمة:
_ أنا مستحيل أروح هناك يا جلال ماننت عارف إنها بتكرهني وتطبق العماء ولا تطيقنيش.
قال جلال بلا مبالاة:
= كبري دماغك منها يا نعمة.
جلس جلال على الأريكة، مسترخياً بينما أخذ يتابع آخر التطورات عبر الموبايل بتركيز، وملامح وجهه تعكس اهتمامه الكبير بما يحدث. جلست ليالي بجانبه، ووجهها يعكس تساؤلاً، ثم قالت لنعمة بتعجب، وصوتها يحمل نبرة من الاستفهام:
_ وهتكرهك ليه بس هو انتي بتعمليلها ايه؟
ردت نعمة بوجه عابس، وكل تجاعيد وجهها معبرة عن الاستياء:
= أهو كده كرهه الله في الله، وهي مين يحبها؟
انتهت نعمة من حديثها ولمحت إلى أن أم الديب صاعده إليهم، تعاني من الوحدة بعدما اجتمعت كل العائلة في الشقة. فقالت بكمد ينبعث منه طابع الاحتقان:
_ ايهي يخبيكم الشقة فاضية عليا وأبوكي معرفش غار فين.
لاحظت أم الديب الصمت المفاجئ الذي حل على الجميع، وكأنه ثقل غير متوقع قد غمر المكان، فتجمدت مشاعرها في تلك اللحظة. ثم قالت بدهشة من هذا الهدوء الغير معتاد:
= مالك يا بت في ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

كانت نعمة على دراية كاملة بأنها إذا حكمت عن ما حدث لأم الديب، ستقوم بمواجهة أم أشرف، وحامد، وربما تقترب جريمة. لذا كان الكذب هو الحل الأمثل في هذا الموقف. مسحت دموعها وقالت بنبرة حزينة، وكأنها تلوح في فضاء المأساة:

_ كنت بعيط على ستي أصلها هتوحشني أوي.

كأن أم الديب تحاول الانتحاب بأي طريقة، حيث بكت دون دموع، وقالت بشجن:

=يا أمي يا غالية، هروح البيت مش هلاقكي قاعدة هناك... ده البيت بقى فاضي أوي يا عيال.
قالت ليالي بكراهية:

_ الله يرحمها ويغفر لها.

وسط كل هذا الحزن، صوبت أم الديب نظرها نحو الحلويات الموضوعة فوق الطاولة، وقالت بإشتهاء، كما لو كانت تحاول التغلب على الألم بالاستمتاع بلحظة حلوة، فتحوّلت الكلمات إلى لحظة من الإغراء:
=ايه الحاجات دي كلها؟ كنتي حاطة كل ده لأهلك يا بت؟

أجابت ليالي باشمئزاز:

_ أه وأنا لو محطلمش كل ده أحطه لمين؟

نفوّهت أم الديب بنظرات مأكرة:

=ايه تحطيه لحماتك، ده أي صوتي اتنبح من الصوت ومحدش هارين عليه يشربني بؤ مايه.

أمسكت أم الديب طبقًا كريميًا لذيذًا وأكملت تناوله، ثم التهمت ما بعده بشراهة. صوت فمها أثار الاشمئزاز بين الحضور، حيث أبدت ليالي تمنيتها لو كانت قادرة على وضع السم في الطبق للتخلص منها ومن شرها، وقالت ببغضاء، كأنما تنقل حالة من الاستياء، والرغبة في التخلص من وجودها:
_ بالهنا والشفاء يا حماتي.

قالت أم الديب بنظرات غاضبة، بينما هي تتناول الكريمة بالمعلقة. كانت عينيها تنفجران من السخط، وكأن كل لمسة للكريمة تعكس مدى انزعاجها، وقالت بصوت مشبع بالتجهم:
=ماسخة ملهائش طعم.

نفوّهت ليالي بسخرية:

_ أمال لو كان ليها كنتي عملتي فينا ايه؟

قالت أم الديب بشناءة:

=مش حلوة.

تلفظت نعمة بضيق:

_ أنا طالعة... عايزين حاجة؟

ردت أم الديب:

=خديني معاكي.

قبل أن تصعد أم الديب مع نعمة أمسكت طبقين إضافيين وأخذتهما، وفي هذه اللحظة، كانت ليالي على وشك البكاء، حيث لاحظت أم الديب خوفها، وبصوت حاد، قالت لها، معبرة عن اضطرابها في هذه اللحظة الحساسة:

_ متخافيش يا بت هنزلك الأطباق مع العيال.

هربت أم الديب بأطباق الكريمة، تاركة وراءها حالة من الفوضى بين الأسرة، مما دفع حمود إلى الانفجار في لحظة من الاحتدام. بعد أن اكتشف سرقة الحلوى الخاصة به، صرخ بأعلى صوته، وتملكت

أم الديب الجزء الثاني

منه مشاعر السخط العارم، فقفز في الهواء، وهو يعبر عن استيائه الشديد والفوري من فعلها، مما جعل الصرخات تتردد في أرجاء المكان كإشارة واضحة لرفضه، واستنكاره لما حدث:
=ياما...دي كلت الطبق بتاعي!

ردت ليالي بكمد:

_ قعدت أقولك كل كل... قعدت تدلع لحد ما هي جات خدته.

قال حمود بصياح:

=أنا عاوز طبقي، مليش فيه!

تلفظ جلال بعجيج:

_ عشان متسمعش كلام أمك بعد كده، استحمل بقى !

في منزل أم أشرف، بعد وصولهم، سعدت هبة وزوجها أشرف إلى شقتهما. أما حامد ووالدته فدخلوا الشقة، حيث كانت تُبث الأفكار الشيطانية في عقل ابنها ضد زوجته، وبعدما جلست على الأريكة وقامت بخلع حجابها لتخفيف من حرارة الجو، هتفت بصوت عالٍ، كأنها تعبر عن اعتراضها، مترجمة بأصواتها إلى حد كبير الضغوط النفسية التي تعيشها:

=كان يوم أسود... أنا ازاي طاوعتك وخليتك تتجوز مقصوفة الرقبة دي؟ أنا ابني راجل وسيد الرجالة أخليه يتعامل معاملة النسوان؟ تقعد في بيتهم ليه؟ ماله بيت أبوك؟ ماهو زي الفل والشقة واسعة يرمح فيها الخيل... مش الشقة الحُق الأوضة وصالة دي.

رفعت يديها للسماء، وهي تطلب العون من القوى العليا، وهي تواصل بكل مرارة، وكل كلمة كانت تتبع من أعماق الألم الذي يعصر قلبها. تملكثها مشاعر الانهزام، وصوتها كان يفيض بالأسى:
=أدعي عليكي بيايه يا بسمة انتي وبتك؟ أشوف فيكم يوم بحق جاه النبي.
تحدث حامد بضيق عارم:

_ خلاص أنا مش ناقص، أنا فيا اللي مكفيني... عندك كلمة حلوة قولها ياما، معندكيش يبقى سيبيني في حالي!

لم تكتفِ أم أشرف بتأنيب ذات ابنها والتوقف عن الحديث السلبي والانتقادات الموجهة إليه، بل قالت بندم، وحزن مؤثرين:

=كان نفسي تطلع زي أخوك بتفهم ومذك نصيف... إنما قدرني ونصيبي الأسود، طالعلي زرع شيطاني، نفسي أعرف جايب المخ ده منين؟ طبعًا ما هي اللي ماتتسمى لحستلك مخك بالكلمتين الحلوين ومشيت وراها زي الدهول وفي الآخر ركبت هي وأمها ودللوها رجليهم!
دائمًا يعيش حامد في صراعات نفسية، وسط مقارنات والدته المؤلمة بينه وبين أخيه الأكبر، حيث تعناد والدته على التقليل من شأنه، راهنة على أنه بلا هدف في الحياة وليس له فائدة، على عكس أخيه الطموح الناجح. كان هذا الواقع يؤلمه ويثير حزنه، حتى أنه لا يطيق التفكير فيه، وقد عبّر عن ذلك بصراخ حزين:

_ انتي هتفضلي لحد امتي تقللي مني؟ هو أنا ايه مش ابنك؟ ولا أشرف هو الوحيد اللي ابنك اللي مخلفتيش غيره؟ لكن أنا حمار وغبي ومبفهمش.

ردت أم أشرف بصياح:

أم الديب الجزء الثاني

=عشان غبي وسايب شوية بقر يضحكوا عليك... اسمع يا حامد... يا تعيش في بيت أبوك ياما لا انت ابني ولا أعرفك، وهفضل غضبانة عليك ليوم الدين!

في مكتب أحمد، بعد انتهاء الحلقة التلفزيونية الناجحة، كان يجلس مع جميلة وهو يمدّها بالحيوية، والطاقة الإيجابية، فقال بهوى:

_كنت متأكد إن الحلقة هتكون حلوة جدًا.

أجابت جميلة بفرحة مليئة بالسعادة، وصوتها يفيض بالبهجة:

=أديني شرفتكم ورفعت راسكم.

تلفظ أحمد بابتسامة فخر، وكل تعبير من وجهه كان يحمل بين طياته شعورًا عميقًا بالاعتزاز. كانت الابتسامة تعكس مدى افتخاره، وصوته كان ينساب برقة، وهو ينطق بكلمات راضية:

_عقبال كل حلقة، وان شاء الله هنكون رقم واحد.

نفوحت جميلة برقة:

=ان شاء الله... طيب يلا نرجع البيت، أنا سايبه أسيل من بدري مع النبيبي سيتر وبصراحة بدأت أقلق.

نهض أحمد وجميلة، فأراد أن يطمئنها على ابنتها حيث قال بلطف:

_لا متقلقيش محدش يقدر يلعب بديله معانا من النهاردة... ده الوضع اختلف جدًا.

كانت جميلة فخورة بكل ما فعله والدها من أجلهم، حيث تنهدت بحب، وقالت بفخر:

=بابي ربنا يخليه لينا بجد دايمًا بيسعى إنه يشوفنا في أفضل حال!

أخذ أحمد هاتفه، ومفاتيحه من على المكتب برفق، ثم وضع يده بحنان على كتف زوجته وهو يعانقها بعشق، ثم خرجوا معًا، فقال بتفاؤل:

_أنا في حياتي مقابلتش حد زيه... ده راجل عبقرى وماغه في حنة تانية خالص.

تلقت جميلة مكالمة من والدها، فضحكت بسرور، وقالت بابتسامة:

=بابي جه على السيرة.

بعدما استجابت للمكالمة، أردفت بكلمات مليئة بالجدية، وكل جملة نطقت بها كانت تعكس التزامها، واستعدادها للتعامل مع الموضوع المطروح، ووجهها يعبر عن التركيز، وقالت بهدوء:

=ألو يا حبيبي وحشتني.

تلفظ باسم بابتسامة:

_وانتي أكثر يا جميلة يا حبيبتى... انتي كنتي هايلة أوي النهارده.

ردت جميلة بسرور:

=ميرسي يا حبيبي، كله بفضل ربنا أولاً ثم فضلك انت.

قال باسم ببهجة، وكأن نبرة صوته كانت تحمل معها إشراقة الفرح:

_عايزين نستمر في الأداء ده عالطول!

تلفظت جميلة بابتسامة حب، وكل تعبير من شفيتها كان يحمل بين دفء المشاعر، وصدق العاطفة:

=أكيد انت بس ثق فيا وهتشوف.

تحدث باسم ببشاشة:

_أنا واثق فيكي، لأن ببساطة ولادي مبيعلموش حاجة وحشة.

أم الديب الجزء الثاني

كانت نعمة جالسة على الأريكة باستياء، مظهرة حالة الانزعاج والترقب لمستقبلها مع زوجها. في الوقت نفسه، وبينما انتهت أم الديب من تناول ثلاثة أطباق من الكريمة، دخلت المطبخ بحثاً عن الكحك. لم تفهم أم الديب سبب شهيتها المفرطة، فضربت يدها بقوة على صدرها، وقالت بغضب متزايد:

=يا خرابي هو أني جرابي ايه؟

وبعدما أحضرت الكحك، والبسكويت، لتجعل الطاولة تنبض بمظاهر الحلاوة، خرجت إلى حيث كانت نعمة جالسة في مكان هادئ، وجلست بجوارها بتؤدة، محاولة أن تبعث في المكان شعوراً بالراحة، وواصلت حديثها بنبرة ملأنة بالاهتمام:

=انتي يا بت... أمال جوزك هيجي امتي؟

قالت نعمة بوجه عابس:

_معرفش.

تلفظت أم الديب بتساؤل:

=مالك يا منيلة في ايه؟

أجابت نعمة بتعاسة:

_مفيش حاجة ياما.

قالت أم الديب بتعجب بينما هي تتلذذ بتناول الحلوى:

=ليالي قالتك حاجة دايفتك؟

ردت نعمة بوجه عابس:

_لا ليالي طيبة متقدرش تزعلني.

نطقت أم الديب بفضول جارف:

=أمال مين اللي دايفك؟

قالت نعمة ببكاء، وكلامها ينساب بمرارة الأسى، وكل كلمة نطقت بها كانت مغمورة بالدموع، والعواطف الجياشة. كان وجهها مشوشاً، ودموعها تهبط على خديها، بينما تعبر عن مشاعرها المؤلمة بوضوح:

_حامد عينه زايغه ياما... ليه هو أنا وحشة ولا ناقصني حاجة؟ طب ده أنا حلوة وجميلة ياما.

ردت أم الديب بعجيج:

=عمل ايه العرة دهو؟ انطقي يا بت!

تفوهت نعمة بانتحاب:

_بيتغزل في جميلة مرات ابنك ياما... ليه هو أنا مش مالية عينه؟ ده أنا قايداله صوابي العشرة شمع. استقامت أم الديب مكانها، ثابتة كالصخرة، وصراخها يتردد في الأرجاء، وكأن كل صرخة كانت تعبر عن شدة الاحتدام الذي يعتمل في أعماقها. كان صوتها يملأ المكان بقوة، وهي تقول بصوت عالٍ:

=ده عيل ناقص رباية، وآني مرقداله بس يقع تحت ايدي وآني مش هرحمه!

تفوهت نعمة بنشيج:

_هتعمليله ايه يعني؟ أهو راح عند أمه... أمه بتكرهني وجاية تشرشح لجلال وتقوله ابني يعيش معايا

ميعش هنا، ليه كان حد ضربه على ايده؟

قالت أم الديب بنواح يغمره صدمة جسيمة:

أم الديب الجزء الثاني

=هي مين دهي اللي جات تشرشح هنا يا بت؟ ده ليلتهم طين وقطران فوق دماغهم ودماغ اللي جابوهم.
خرجت أم الديب من باب الشقة، ونعمة تلاحقها برهبة من حدوث كارثة أو وقوع جريمة. ومع ازدياد
الغضب في رأسها، سعت لاستعادة حق ابنتها من تلك السيدة المؤذية. فصاحت بقوة وهي تتابع خطواتها
على درج المنزل:

=الولية دي مش لاقية اللي يلمها، ما هي اللي مقوياها عليكي سلفتك الحربية هبة... هي اللي بتلعب في
دماغها يا بت وبتشوه صورتك عشان تكرهها فيكي !
قالت نعمة بخوف:

_حماتي بتكرهني من قبل ما يعرفوا هبة.

تفوهت أم الديب بنواح، مما جعل الأجواء مشحونة بالتوتر:

=أني هخليها عبرة يا بت وهعرفها مقامها.

نادت نعمة والدتها قائلة بخور:

_ياما، ياما... استني ياما... هتكبري المشكلة وأنا وربنا مانا ناقصة... ياما كبري دماغك!

بينما لم تكن أم الديب تبالي ببناء ابنتها، وكان كل هموم العالم لا تهمها في تلك اللحظة، بثبات لا
يترزعزع، انتقلت للذهاب متجاهلة كل ما حولها، وعند وصولها إلى باب منزل أم أشرف، اختارت أن
تجلس على عتبة الباب بتصميم ثابت، وكأنها تشعر بأنها لا بد أن تكون هناك لتصل إلى هدفها. ثم بدأت
تنادي بصوت مرتفع، يتردد في الأرجاء كصدى الإصرار، وكان كل كلمة كانت محملة بالإصرار على
لفت الانتباه، وتحقيق ما تسعى إليه، فنطقت بنواح:

=مش ناوية تلمي نفسك يا عرة النسوان وتشيلي نعمة من دماغك؟ ماهي حرقاكي يا ولية، نعمة بتي
ضوفرها برقبة عيلتك كلهم... افتحي يا بت العرر... افتحي ده آني هخلي حياتك جحيم انتي واللي
يتشددلك.

يتبع....

الفصل الثاني والعشرون

فتحتُ أم أشرف الباب ووقفتُ إزاءها بوقار لا يتزعزع! وعاودتها الصرخات بعد نزول هبة على ضجيج أم الديب، فردتُ أم أشرف بصوت مرتفع:
_ يلا يا رمامة من هنا، أنا لساني ميخاطبش أمثالك!
اندهشت أم الديب من الكلمات التي قالتها لها أم أشرف، حيث تعتبر نفسها شخصية كبيرة بلا منازع، لا تسمح لأحد بتجاوز حدوده عليها، وعلى أولادها. همست بدهشة:
=رمامة؟ أني رمامة يا بت الكلب؟
انطلقت أم الديب بطيارة هجومية نحو أم أشرف، فأمسكت برقبته ونفذت سلسلة من اللكمات بينما تتعالى صيحاتها. نزل أشرف وانضم إليهما حامد بعد خروجه من الغرفة. تواصلوا في تكبيلها، لكنها أصرت بعناد على مواصلة الضرب. صرخت بسخط، وعبرت بعصية جسيمة:
_ نافشة ريشك علينا ليه؟ فيكي ايه زيادة عننا يا بت الشباشب؟ ده الله يرحم أبوكي كان بيخيط الشبشب اللي اتقطع منه عشان مستخسر يشتريله واحد جديد... الله يرحم أبوكي، وجدك التلمي... ده انتي لو نسييتي اللي جرا أجيبك الدفاتر تتقري يا بت الكلب!
قالت أم أشرف بنواح يعمره التهديد:
=آه... بقى بتمدي ايدك عليا يا بسمة؟ ده أنا هسجنك ومش هخليكي تشوفي الشمس تاني.
في منزل ليالي، كان جلال جالساً على السرير يقلب في هاتفه المحمول، وكلما مرت اللحظات ازداد عدد مشاهدات الفيديو حتى وصل إلى خمسين ألف مشاهدة. اندهشت عيناه من المشهد الذي رآه وشعر بأنه في حلم، فنادى زوجته بصدمة كبيرة:
_ يا ليالي الحقي يا بت... الفيديو جايب ناس كثير ده احنا اتشهرنا وليتنا فل!
دخلت ليالي الغرفة، وقد كانت عيناها تتلألأ أن بشغف، كأنهما نجمتان متألقتان في سماء صافية، ثم أقبلت على الحديث بلهفة ملحوظة، حاملةً في نبرات صوتها دفقاً من الحماس الذي يملأ المكان، وكأنها تروي قصة مشوقة انتظرت طويلاً لتشاركها:
=وريني كده.

بعدما تيقنت من حديث زوجها، الذي كان مفعماً بالأمل، ضربت يدها بفرح على صدرها، وكأنها تحاول أن تسجل هذا الشعور العميق في أعماق قلبها، ثم نطقت بابتهاج لا يُخفى، وكلماتها تتدفق كنسيم صيفي عذب، تعبر عن ارتياحها:
_ يا خبر أبيض ده بجد... لأ والناس بيقولونا اعملوا تحديات وكتروا من المقالب.
نطق جلال، وهو يعبر عن سعادته بوضوح لا يمكن إنكاره، حيث رفع عينيه نحو السماء، ثم أطلق ابتسامة واسعة تجسد كل ما في داخله من بهجة:
=يا سلام، والله ولعبت يا زهر.
وقف على السرير وانطلق في رقصه، متخيلاً مستقبله المزدهر بالثروات، والمنازل، والسيارات، وحياة مليئة بالفخامة كحياة الأثرياء. ضحكت ليالي على أداء زوجها الغريب للرقص فوق السرير، وقالت:
_ اسألنا البت هايدي، عايزين نسحب الفلوس ونشتري شقة جديدة... كفاية فقر بقى تعبنا.
نطق جلال بسعادة:

أم الديب الجزء الثاني

=اصطبري يا ليالي وبكرا الفلوس تتحدف علينا من كل ناحية !
ردت ليالي، وهي تغمرها فرحة واسعة، ولهفة لا يمكن كتمانها، ارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة
تنبض بالحياة:

_يارب ياخويا هو أنا أكره؟

وفي أعقاب المشاحنات، والتصادمات الكبيرة بين

أم الديب، وأم أشرف، اجتمع الجيران حولهم متسائلين عن ما يجري. كانت أم الديب تنام فوق أم
أشرف، وتوطئها بنعلها المتسخ، وتنفجر في صرخات تقول:

=يلا يا زباله انتي والعرة هبة !

نطقت هبة بعجيج، يفيض بالبغضاء مطلقه صرخة شجن تنبض بالاستياء. تجذب الانتباه وتملأ الجو
بقسوة غير متوقعة:

_احترمي نفسك بدل ما أمسح بكرامتك الأرض !

قال أشرف بصياح:

=أنا هاخذ إجراء قانوني وهرفع عليكى قضية سب وقذف، وهعملك محضر تعدي... أنا هوديكي في
داهية !

وقفت أم الديب في مكانها بثبات، كالجبل الصامد في وجه الرياح العاتية. بينما هي تجسد القوة والشجاعة
بأقصى درجاتها. كان موقفها راسخًا، وعزيمتها تتجلى في كل تفاصيلها، ثم صرخت بشجاعة:

_أم الديب ما بتتهددش... أني أخوف مخافش... ده انتوا ليلتكم طين معايا.

قال حامد بصياح:

=اتكلي على الله من هنا يا حماتي!

عندما قال حامد ما قاله، استمرت أم الديب في التمسك بأم أشرف وعادت لوطنها بجبروت وقسوة من
جديد، حيث أطلقت كل طاقتها السلبية المكبوتة في صيحاتها المرتفعة:

_مش هسيبك يا ولية غير لما آخذ حق نعمة بتي.

بينما كانت ليالي مستسلمة لحضن النوم، انخرط جلال في تفحص شاشة هاتفها، ابتعد عن الواقع
ليستكشف أحدث الأحداث. وفي تلك اللحظة الفارقة، صدمته مكالمة وارده من حامد، فاشتعل كبرياؤه
بلهيب العناد. رغم حزن أخته، تحول إلى دافع قوي يرفض اتصال حامد، وبكل ثقة أعلن بغرور:

=مش هرد ما هو جلال دلوقتي بقى حلو وبينقط عسل..مبشوفكش ياض غير وقت المصلحة !

على الرغم من رفض جلال للمكالمة، إلا أن حامد استمر في محاولة الاتصال به مرارًا، مما زاد من
انزعاج جلال وأثار إختناقه، حتى عبّر بحرارة:

_أما انت عيل زنان بشكل...عاوز من أمي ايه؟

كلما يُلغى الاتصال، يعود حامد مرة أخرى للمحاولة، حتى رد جلال بقلب فاتر، وهو يصرخ في وجهه
قائلًا:

=انت ايه ياض معندكش دم؟ اتصلت مرة ومحدش عبرك... عمال ترن كل شوية ليه؟

أجاب حامد بعجيج:

_أمك منورة في الحجز... شوف حد يطلعها، سلام.

انقطعت خيوط المكالمات قبل أن تبدأ، حيث لم يمنح حامد "جلال" فرصة للرد، ما دفعه للتعبير بتعجب
ملحوظ، فقال بصدمة:

أم الديب الجزء الثاني

=أمي؟ ايه اللي ودا أمي هناك؟

نهض جلال من سريره، وانطلق ليتوجه نحو مركز الشرطة، وفي الأعلى، عند منزل نعمة، تلقت نبأ الحادثة من جلال بنفسه. وفي لحظة الصدمة، وجهت يديها بقوة لتلامس وجهها، فقد تحققت مخاوفها، وتحقق ما كانت تتوقعه، فصاحت بعنف:

_يا نهار أسود، جييتي مصيبة لنفسك ياما... ما قولتك بلاش مسمعتيش كلامي ليه؟ يا ترى هيبتي ايه!
خرج محمد من الغرفة على صراخ والدته، وببراءة الأطفال قال بصوت هادئ:

=في ايه ياما؟

نشبت نعمة في يد ابنها، وقالت بعنف:

_تعالى معايا.

نزلت نعمة برفقة ابنها إلى شقة أم الديب، وهناك صادفت هايدي في حجرتها، حيث تجسدت الحياة اليومية بألوانها المتناقضة، وعلى الرغم من تداول المصائب حولها، كانت هايدي تنغمس في عالم مواز داخل حدود غرفتها، كأنها فقدت تمامًا الوعي بما يجري حولها من مشكلات. نطقت نعمة بصوت مرتفع يحمل بين الحروف نبرة الخوف:

=خلي محمد معاكي... أنا رايحة مشوار مهم أوي !

تعجبت هايدي من استعجال نعمة، ووجهها القالِق، حيث انعكست على محياها آثار التساؤلات. فتحدثت:

_مالك في ايه؟

نطقت نعمة باستعجال:

=هقولك بعدين، يلا بالعافية.

خرجت نعمة بسرعة من المنزل وهي تجري، وفي لحظة من التعجب، نطقت هايدي بينما كانت تتأمل:

_من يوم ما جيت الدنيا وأنا مشوفتش يوم عدل في البيت ده... هقول ايه طيب؟ بيعشقوا المشاكل

ميقدروش يعيشوا من غيرها يوم... يارب صبرني !

في رحيق اللا مبالاة يعيش المعلم حنفي، مشابهًا لهايدي في غياب الوعي تجاه الكوارث التي تندلع تحت

يد أم الديب. جلس في متجر عصائره، يستمتع بطعم العصير ويستمتع إلى أنغام الأغاني كمن يعزف

سيمفونية الإهمال، وبنظرة ممزوجة بالسعادة، همس في نفسه:

=لا كده مزاج... لا تقولي أقعد في البيت مع الولية النكد دي، ولا أسمع منها كلام يكرهني في عيشتي

أكثر مانا كارها.

طوال مسيرة حياة المعلم حنفي، كان يعصف به وجود ثلاثة أشخاص يتشاركون في نفس الدائرة: أم

الديب، وخواطِر، وضايِع. تصارع عقله مع فكرة فقدان أحد أفراد هذا الثلاثي الذي كان يعكس الشقاء

بمعنى أدق. لم يكن يخطر في باله أن القوة الحمانية القائمة بينهم قد انتقلت إلى رحمة الآخرة، وفي

لحظة من السعادة، همس في دخيلته:

=أمها ماتت؟ مش مصدق نفسي يلا عقبالها هي وأخوها ضايِع... أشوف فيهم يوم، أه ماهو ذنبي ده أني

راجل غلبان.

في قسم الشرطة، كانت نعمة تتسارع بخطى مُتسارعة نحو جلال وهي تنهمر دموعًا، وعندما وصلت،

سألته بقلق يتخلله الانفعال:

_أمي مالها؟

أم الديب الجزء الثاني

تفوه جلال بعجيج:

=أمك ما بتسكتش غير لما تعملنا مشاكل مع الخلق...ضربت حماتك وسلفتك، وحدفت جوزك بالطوب، وسمعتهم كلام أبيح.

صفعت نعمة وجهها بيدها، وهمست بصراخ يعزف على وتر الألم:

_يا مصيبتى... بقى كل ده يطلع من أمي؟

قال جلال بغضب:

=هو أساساً ميطلعش غير من أمك يا نعمة... ادينا صابرين لحد مانشوف هنهيب ايه في ليلتنا الزرقا دي.

تلفظت نعمة ببيكاء:

_يارب أنا تعبت دي مابقتش عيشة...أموت نفسي ولا أعمل ايه؟ يا جلال قولي!

أجاب جلال باستياء:

=أنا ذات نفسي مابقتش عارف... يلا بقى خليها تعدي.

خرج العسكري وفي يده أم الديب، ف جذب انتباه أولادها القلقين الذين جرّوا نحوها بفضول لمعرفة آخر التطورات. في لحظة من التوتر، قالت نعمة:

_عملتي ايه ياما؟

قالت أم الديب بانتحاب، يتردد صدها في أرجاء نقطة الشرطة، وكلماتها تحمل وزناً كبيراً من القوة:

=كنت بجيبلك حقك يا بت...ايه بلاش أجيب حقك؟

تفوهت نعمة بصراخ:

_حقي ايه بس ده انتي ضيعتي حقي بعد اللي عملتية ده!

قال العسكري بصخب:

=يلا أنا مش فاضيلكم.

خرج جلال عن سيطرة مشاعره حينما تفاجأ بالعسكري يتحدث إليه بأسلوب غير لائق، فلم يكن يستسلم للحديث مع أي شخص بهذا التلكؤ. فانقلب وجهه إلى الاتجاه الآخر، كأنه يرفض الانخراط في حوار يحط من كبريائه، وقال:

_ما تتكلم عدل يا بابا ومتخلنيش أعملها معاك !

وبعد لحظات من الغيظ، تذكر جلال أن لديه أحكاماً، وأنه في حال تفاقم الوضع، ستقوم الشرطة بالقبض عليه. سرعان ما انعقدت أفكار الهروب في ذهنه، فقال بتحجج:

=طب بقولك ايه يا نعمة أنا هروح أشتري حاجة وراجع.

قالت نعمة بدهشة:

_حاجة ايه بس في اللي احنا فيه ده؟

خرج جلال وهو يلاحق خطواته بسرعة، قبل أن يمسه الشرطي، لكن لسوء الحظ، ناداه العسكري بصوت حاد، كأن نبرته الصوتية كانت سهمًا يخترق الهواء:

=جلال حنفي أقف عندك!

أم الديب الجزء الثاني

بمجرد أن نادى العسكري جلال، تلبّس جسد جلال بالخوف، وشعر بأن اللحظة المصيرية قد حانت، فابتلع ريقه بصعوبة وأدار جسده باتجاه آخر بقلق متزايد، وكأنه يوشوش بين أنين الخوف وضيق الحال، ووسط خطواته الترددية، نطق بتلعثم:
_ايه يا باشا انت عار فني؟

نفوه العسكري بابتسامة:

=ومين ميعرفكش؟ ده انت فيديو هاتك مكسرة الدنيا.
شعر جلال بالراحة حينما اكتشف أن العسكري من أشد معجبيه، فتنهد وهو يلاحق أنفاسه، وقال بصوت مخفف عنه الضغط:

_ما تقول كده من الأول ده انت وقعت قلبي في رجلي...أه مانا الحمد لله ربنا أكرمني وفيديوهات كسرت الدنيا في يومين بس بفضل الله.
قال العسكري بابتسامة هادئة، تتم عن الطمأنينة، كأنها إشراقة أمل في أفق هادئ. كانت ابتسامته تتسم بالدفء:

=سلم على الحاجة.

تلفظ جلال بحبور:

_يوصل.

عندما غادر العسكري، خفت قليلاً أضواء الفزع في عين جلال، وأطلق بصوت متردد معبراً عن قلقه المستمر:

=يا نهار أسود ده ميعرفش إن أمي في الحجز عندهم، أنا هخلع قبل ما أروح في داهية وأحصلها.
نادت "نعمة" جلال:

_يا جلال...انت رايح فين؟

لكن جلال لم يكن جاهزاً للرد، وظل يتقدم في ظل هذه الظروف العصبية دون التوقف. نطقت نعمة بكمد، وهي تشعر بالوحدة المطبقة عليها في هذه المشكلة المعقدة، كما لو كانت الأحداث تلتهمها دون أي أمل في النجاة:

=يا نهار أسود أعمل ايه أنا دلوقتي؟ يا عيني عليك ياما.

خرج حامد، وأشرف، وهبة، وحمايتها من غرفة الضابط، وعلى وجوههم السخط العارم، والغيوم السوداء تعترى محياهم. وقف حامد أمام زوجته بضيق متأجج، وصاح فيها كالرعود الجارحة في السماء المظلمة:

_بقى أنا أمي تتعجن ضرب من أمك يا نعمة؟ أنا مش هسكت غير لما حق أمي يرجع !

نظرت نعمة إلى هبة بعينين مليئتين بالحزن العميق، كأنها تعكس بحرًا من المشاعر المتلاطمة. ثم نطقت بقهر، وكلماتها تنساب ببطء كأموج هادئة:

=قوايلهم حاجة يا هبة! مانت عارفة إن أنا مليش ذنب...ده أنا جربت وراها الحقها وهي أبدًا راسها وألف سيف تيجيلكم.

قال أشرف بصياح مدوّ، يتردد صداه في الأرجاء، وكأن صرخته تحمل ثقل العواطف المكبوتة، وتنطلق بقوة لا يُستهان بها. كان صوته يرتفع، متجاوزاً حدود الصوت الطبيعي:

_أمك لازم تاخذ جزائها، مراتي وأمي يتاكلوا علة سخنة منها والموضوع يعدي عادي؟ ده أنا ههد الدنيا علشان حقهم يرجع.

أم الديب الجزء الثاني

وواصل لوالدته ببغضاء:

=يلا يا أمي.

نطقت نعمة بشجن:

_ يا هبة فهميهم اللي فيها...مناخدونيش بذنب أمي!

خرجت العائلة من قسم الشرطة، وقد كانت جاهزة تمامًا للتقدم بطلب القصاص من أم الديب ولتحقيق الانتقام العادل الذي كانوا يعتبرونه حقهم في هذه الظروف، وعندما وصلت إلى مكان آمن، أخرجت نعمة هاتفها المحمول من حقيبتها، وطلبت الاتصال بخالها، أبو محمد، الذي كان معروفًا بصفته الشيخ التقي والمُعتبر من الشخصيات البارزة في العائلة، وسألته أن يكون سندًا لها في مواجهة هذه المحنة الصعبة، وتطلب منه الدعم والمشورة لمساعدتها في تجاوز هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها:

_ ألو يا خالي انجديني أبوس ايدك.

رد أبو محمد بقلق:

=ايه يا نعمة في ايه؟

قالت نعمة باستعبار:

_ أمي حاجزينها في القسم...ضربت حماتي وسلفتي وحذفت الطوب على جوزي وشتمت أخوه شتايم أبيحه.

تلفظ أبو محمد بصدمة:

=استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم...فهميها إنها خدت ذنب كبير على اللي عملته ده ولازم تتوب عنه!

تفوهت نعمة بإعوال، وكان صوتها يرتفع بصعوبة، يعكس مدى تأثير الوضع عليها. كانت كل كلمة تنطق بها محملة بألم واضح، وتعبير وجهها يعكس عمق مشاعر الإحباط:

_ مش وقت الكلام ده يا خالي... أحب على ايدك تعالى عشان خاطري خرجها.

قال أبو محمد بانزعاج:

=هو انتوا يا بنتي متعرفونيش غير في المصايب وبس؟

أجابت نعمة بإعوال:

_ ماننت عارف إن خالي ضايع وجلال عليهم أحكام، ولو دخلوا هيتمسكوا، وأبويا مش هيرضى، ده احنا ملناش غيرك.

قال أبو محمد بكمد، وقد كانت ملامح وجهه تتجسد بأثر الحزن، والهم العميق:

=يارب صبرني على ده ابتلاء... هقول ايه؟ المؤمن دايمًا مصاب، وأنا ابتليت بأخ وأخت أبشع من بعض.

صمت قليلًا، يفكر بتردد، ولكن في النهاية، أطلق كلماته بحذر:

_ أنا جاي.

تلفظت نعمة بفرح:

=كثر خيرك يا خالي، أنا مستنياك.

عاد جلال إلى المنزل، ووجد ليالي واقفة بكل قوة، وثبات. وضعت يديها على خصرها بقوة، وكان وجهها ملنقًا بغضب. فصاحت بصوت يتجلى فيه الاستياء:

أم الديب الجزء الثاني

_بقي أنا أختي هبة تتضرب من أمك يا جلال؟

قال جلال بصخب:

=وأنا أعمل ايه هو أنا اللي ضربتها ولا أمي؟ ما أمي متنبيلة في الحجز وأنا رجلي دي مش هتعتب عتبه القسم دي مرة ثانية، ده أنا كنت هضيع يا ليالي... كان زمني قاعد مع أمي دلوقتي بناكل عيش، وحلاوة!

تلفظت ليالي بصراخ:

_أختي هبة خط أحمر، واللي أمك عملته ده أنا مش هسكت عليه!

تحدث جلال بضجيج مرتفع، كان يملأ المكان بوضوح، بينما كانت كل جملة تخرج منه محملة بطاقة هائلة:

=ما تعلمي اللي تعملها انتوا هتوجعوا دماغي ليه؟

نزع جلال الهاتف من يد زوجته بعنف، وقال:

=هاتي أم الموبايل خلينا نشوف.

نظر جلال إلى قناة اليوتيوب بحثاً عن آخر التطورات، وفوجئ بحالة مستمرة من التقدم، والازدهار.

تناسى مؤقتاً ما ألمه، وغمرته مشاعر السعادة. فأعرب قائلاً:

=اللهم صلي على النبي... زغردي يا بت الفيديو وصل ستين ألف!

قالت ليالي بصدمة:

_ستين ألف؟ ستين ألف مرة واحدة؟ يا مانت كريم يارب... اندهلي هايدي تشوفلنا الحوار ده آخرته ايه!

صعد جلال إلى أعلى بئر الدرج، حيث كانت الخطوات تصدر صدى واضحاً في المكان، فنادى هايدي

بصوت مرتفع، ملئه الإلحاح. طالب منها أن تستجيب فوراً لندائه:

=يا هايدي... هايدي... هايدي.

خرجت هايدي من الشقة، وفي يديها محمد ابن نعمة، تحنظ به بعناية كما ورثت توجيهات والدته. فقالت

بدهشة:

_عايز ايه؟

قال جلال بصوت عالٍ:

=اطلعي يا بت عاوزينك في حوار.

ردت هايدي بتكاسل:

_طيب.

صعدت هايدي برفقة الطفل محمد، ودخلت إلى شقة جلال، حيث كانت الأجواء تنبض بالترقب. بمجرد

دخولها، توجهت ليالي نحوها بوجه متألئ بالرحابة، ثم قالت بصوت رقيق، يعكس دفاء مشاعرهما،

وحرصها على استقبالهما:

=أقعدني شوفلنا الفيديوهات دي هنستلم فلوسها امتي.

قالت هايدي باستجابة:

_هاتي.

أسمكت هايدي بالهاتف وجلست على الأريكة بجانب محمد، وجلال، وزوجته. جلسوا باهتمام شديد،

ينتظرون استلام أرباح اليوتيوب، حتى يحققوا العيشة الثرية التي يحلمون بها، وبعد مرور عشر دقائق

من فحص هايدي للقناة، شعر جلال بالضيق، فقال بلغة تنبض بالمشاعر:

أم الديب الجزء الثاني

=انتي كل ده بتشوفي؟

تفوهت هايدي بتمعن:

_ خلاص أهو... بصوا انتوا فاضلكم حاجة بسيطة أوي، وتكونوا مؤهلين لإستلام الأرباح...بس اللي أنا مستغربالهانتوا ازاي وصلتوا لده كله وانتوا مش عاملين أي إعلانات! نطقت ليالي بسعادة، وقد كانت كلماتها تنبض بالفرح الحقيقي، والبهجة الصافية، كأنها تعبر عن انتصار أو حدث سعيد. كان صوتها مليئاً بالاحتفاء، بينما كانت ابتسامتها تعكس عمق سعادتها:
=كله من فضل ربنا وكرمه لينا... أهو رزق وجالنا لحد عندنا نقوله لا؟

قالت هايدي بذهول:

_ أكيد لا بس ده في ناس ممكن تقعد سنين علشان بس فيديوهاتهم توصل... بصراحة حاجة غريبة أوي. تلفظ جلال بفرحة عارمة، وقد كانت نبرات صوته تعكس سعادة خالصة، وكان كل كلمة ينطق بها كانت تفيض بالاحتفال:
=فكك ياما... احنا عاوزين ناخد الفلوس.

تفوهت هايدي بحنكة:

_ لا انت علشان تستلم الفلوس لازم تعمل فيزا.

قال جلال بدهشة:

=ايه البتاعة دي؟

تلفظت هايدي:

_ حساب في البنك يعني.

نطقت ليالي بذهول:

=وهو احنا حيلتنا بنوك في البلد الفقرية دي؟ أبقى روح يا خويا البوسطة اعمل حساب.

تفوهت هايدي بسخرية:

_ بوسطة ايه؟ بقولك بنك!

قال جلال بتفكير:

=خلاص يا بت منك ليها... هبقى أروح بكر الصبح في البلد اللي جنبنا... فيها بنك إنما ايه على مستوى.

أفحمته هايدي بردها حينما قالت:

_ ده مش بنك... دي مستشفى!

رد جلال بإجراج واضح وعناد شديد، وكان كلمات التعليق كانت تتسرب من بين شفثيه بصعوبة، تترجم تترده وعدم ارتياحه في الموقف:

=ما جرا ايه يا بت؟ هو لازم تتكلمي وتحشري مناخيرك وخلاص؟ انتي ايه فهمك... أنا سألت وقالولي بنك.

قالت هايدي باشمئزاز:

_ براحتك.

تفوه جلال بصوت حاد، يتسم بالحدة، وكان كل كلمة ينطق بها تخرج من حنجرته كالسهم. كانت نبرات صوته قاسية:

=ماهو براحتي حد قالك إنه براحتك انتي؟

أم الديب الجزء الثاني

تلفظت ليالي باستغراب:

_ خلاص يا جلال في ايه؟ مكنتش كلمة البت قالتها.

نهضت هايدي مكانها، وقالت:

=أنا نازلة، تصبحوا على خير.

ردت ليالي بابتسامة:

_وانتي من أهله.

بعد عودة أحمد، وجميلة إلى المنزل واستلامهما لأسيل من مُربية الأطفال. في هذه اللحظة، يمتزج الفرح، والحنان حينما تحتضن أسيل بعد عمل يوم شاق. هدية الحياة الذي جعلها ربهم جزءًا من عالمهم الصغير. لا يمكن وصف مدى السعادة الذي يغمرهم في هذا الوقت المميز، فكل لحظة مع أسيل تبعث على السرور في قلوبهم، نطقت جميلة بابتسامة عذبة:

=ميرسي، أشوفك بكرة.

قالت مُربية الأطفال بتبجيل:

_أوكي يا جميلة هانم.

وأشارت لسيليا بود:

_باي باي سيليا.

ردت سيليا بابتسامة:

=باي باي!

في أعقاب خروج المربية من المنزل، انعكس حنان جميلة في إغلاقها الهادئ للباب، وبمجرد جلوسها على الأريكة، احتضنت جميلة ابنتها الصغيرة، أسيل، بقلب ينبض بالأمومة. كانت الأم بحالة من السكينة تحاول نقل دفاء حنانها إلى الطفلة. بينما تتأمل في عيون أسيل، أخذت تنطلق بكلمات رفيقة كأنغام الحنان لسيليا، قائلة:

_ عملتوا ايه طول اليوم ومامي برا؟

أجابت سيليا باستياء:

=مامي أنا... أنا جعانة أوي وطنط مأكلتنيش، فضلت أقولها هاتيلي أكل قالتلي مش دلوقتي.

قالت جميلة بصدمة واضحة، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الذهول، وكل كلمة نطقت بها كانت تعبر عن استغراب عميق ومفاجأة غير متوقعة:

_يعني ايه؟

عندما خرج أحمد من عُرفة النوم، استجاب لحديث ابنته ببراءة، بينما كان يحمل في يده ساعة اليد التي اقتلعها بغضب، ثم وضعها فوق الطاولة. أبدى أحمد بصوت ينطلق باحتدام مكبوت واستعداد للتصدي لأي مشاكل محتملة:

=ايه تاني حصل يا سيليا... اتكلمي!

أجابت سيليا بخوف:

_أسيل عيطت كتير يا بابي، وهي كانت قاعدة بعيد ماسكه الفون... رocht طبطبت عليها لحد ما سكتت.

أم الديب الجزء الثاني

تلفظ أحمد بعصبية:

=وهي كده ايه لازمتها؟ ده من أول يوم وبتعمل كده أمال بعد كده هتعمل ايه؟

نفوحت جميلة بغضب جسيم، وقد كانت كلماتها تتدفق بنبرة شديدة:

_ومين قالك أصلاً إن هيكون في مرة ثانية؟ أنا هكلم مامي تشوف هي جايبها منين!

دخلت جميلة بخطواتٍ سريعة، نشبت الموبايل بيدٍ مستعجلة، وبادرت بالاتصال بوالدتها، سائلة عن جذور ظهور تلك المربية الفاشلة، الخالية من مفهوم المسؤولية. صدح صوتها بلغة غاضبة، كأنها تقدم رسالة تحمل في طياتها عتابًا، واستفهامًا:

=ألو يا مامي... البيبي سيتر اللي جاتلي دي جات من أي داهية؟

ردت أم قمر الدين بصدمة:

_أوه ماي جاد يا جميلة، مالك في ايه؟

نفوحت جميلة بعصبية:

=ردي عليا يا مامي!

أخذ أحمد الهاتف منها بحزم، وواصل كلامه بنبرة مشحونة بالعصبية، فقال بصوت ينبعث منه الاستياء:

_ألو يا طنط بسملة... إزاي حضرتك تبعتي حد متعرفيش عنه حاجة؟

أجابت أم قمر الدين بدهشة:

=مش معقول، هي عملت ايه؟

قال أحمد بشحناء:

_الأستاذة اللي بعثتها والمفروض إننا نأمن على البنات معاها طلعت عديمة المسؤولية، والضمير... سايبه

أسيل تعيط وماسكة الموبايل، وسيليا تقولها أكليني تقولها مش دلوقتي!

تلفظت أم قمر الدين بتعجب واضح، وقد كانت تعبيرات وجهها تحمل مزيجًا من الاستغراب، والدهشة:

=ياه بقي عملت كده؟ أنا بجد مصدومة، خلاص متزعلوش نفسكم أنا هعاقبها.

نطق أحمد بعصبية:

_ياريت ولو حضرتك معملتيش كده أنا اللي هعمل!

قالت أم قمر الدين بكمد:

=لا لا بليز ملكش دعوة أنا هتصرف...باي دلوقتي.

انتهت المكالمة الهاتفية بين أحمد، وأم قمر الدين، وفيما كانت جميلة تجلس، تحمل ابنتها أسيل وتضم

سيليا في حضنها، تمتلك جمالها الطبيعي ولكن على وجهها ينبعث الانزعاج. فنطقت بكلمات ممزوجة

بالفضول:

_مامي هتعمل ايه؟

جلس أحمد على مقعده بتثاقل، وقد كانت ملامح وجهه تعكس عمق الإحباط، ثم تنهد بعمق، كأن تنفسه

يحمل كل ما يعانيه من توتر. بعد لحظة من الصمت، قال بوضوح:

=مقالتش... بس ادينا هنشوف.

في منزل أم قمر الدين، اتصلت بمربية الأطفال وأخبرتها بضرورة حضورها إلى القصر لأمر

ضروري. كانت تتحدث معها بكل عصبية، وكأنها تنوي فرض عقوبة عليها بسبب ما قامت به مع

حفيدتها، وفي لحظة غاية في الاستياء، صرحت قائلة:

أم الديب الجزء الثاني

_تيجيلي دلوقتي على الفيلا حالاً!
ردت المربية باستفهام:
=في ايه بس يا هانم؟
تلفظت أم قمر الدين بعصبية واضحة، وكل كلمة تنطق بها تحمل في طياتها موجة من الانهيار. كانت
نبرة صوتها تتسم بالشدة:
_تيجي حالاً مفيش نقاش...يلا أنا مستنياكي.
تفوهت المربية بحذر:
=حاضر مسافة الطريق أكون عند حضرتك.
انتهت المكالمة بينهما بسخط يتسلل إلى قلب أم قمر الدين، وقلق يعكس على محيا المربية. جاءت
"منى"، وهي تلاحظ للمرة الأولى عصبية والدتها، وأعربت بحماية، وفضول ملفنين:
_مالك يا مامي متعصبة ليه؟
أجابت أم قمر الدين بوجه عابس:
=سيبيني دلوقتي يا منى لو سمحتي !
ردت منى بدهشة:
_اهدي طيب يا مامي علشان أعصابك!
تفوهت أم قمر الدين بغضب:
=قولت سيبيني !
بعد مرور رُبْع ساعة، وصلت مربية الأطفال إلى القصر، وفور لمحها لها، نهضت "أم قمر الدين"
باحترام مُشتعل، واقتربت منها بخطوات محددة. تجلّى على وجهها تعبير الغضب الملتهب، وبصوت
يرتفع بكل ثقل الانزعاج، قالت بكلمات تخترق الهواء بحدتها:
_انتي ملكيش شغل عندنا ثاني، مفهوم؟
ارتجف جسد المربية، وهي تعجز عن فهم سبب صياح أم قمر الدين لها، وبصوتٍ متردد، قالت:
=ليه هو حصل حاجة؟
أجابت أم قمر الدين بجلبة:
_لا خالص، الهانم جاية تشتغل وتأخذ فلوس على حاجة هي معملتهاش... بقى سايبية أحفادي الاتنين
ومش شايفة شغلك؟ سايبية دي تعيط ودي تقولك أكليني وانتي ولا هنا؟ أمال قاعدة عملي ايه؟
قالت المربية بنبرة رهبة، وقد كانت كلماتها تتسرب ببطء، تنم عن خوف واضح وقلق متزايد. كان
صوتها يرتجف قليلاً، بينما كانت عينيها تلمعان بلمعة من التوتر:
=هفهمك يا هانم، أنا النهاردة مكنتش في المود !
تفوهت أم قمر الدين بعجيج:
_مكنتيش تيجي...كنتي تكلمي أي حد فينا وتعندري واحنا هنقدر موقفك...الشغل مفيهوش تهاون!
تلفظت المربية برهبة:
=اللي حضرتك تشوفيه !
اتجهت أم قمر الدين بخطوات ثقيلة نحو حقيبتها الفاخرة الموجودة على طاولة الأريكة، وبكل قوة
استخرجت منها حزمة النقود. ثم قامت بتسليمها للمربية بحركة عنيفة، وصاحت بصوتٍ كامد:
_ده شغل النهاردة...مش عايزة أشوفك ثاني!

أم الديب الجزء الثاني

وواصلت حديثها بصياح، وهي تشير بيدها نحو الباب:

_يلا اتفضلي !

غادرت مُربية الأطفال بعد أن استلمت الأموال. اتصلت أم قمر الدين بجميلة لتطمئننها، مُحاولَة البقاء هادئة على الرغم من مزاجها المتعكر. بنبرة لطيفة، قالت:

_خلاص يا حبيبتى أنا طردتها وأوعدك هشوفلك

بيبي سيتر تانية!

قالت جميلة بإحباط:

=لا يا مامي...أنا واضح إن شغلي هيسبب مشاكل كثير في البيت، بفكر اعتذر لبابي وأقعد في البيت أخذ بالي من البنات.

نطقت أم قمر الدين باعتراض واضح، وكان صوتها يحمل نبرة من التحدي، وعدم الرضا:

_لا يا حبيبتى انتي أكيد مدرستيش كل السنين دي علشان في الآخر تقعدى في البيت... أنا هشوفلك

واحدة تانية أحسن بكثير وصدقيني مش هتندمي المرة دي!

ردت جميلة بشجن:

=ميرسي يا مامي متحرمش منك.

قالت أم قمر الدين بابتسامة خافتة:

_ولا يحرمني منك انتي وأخواتك... يلا عرفي جوزك وروقوا مفيش حاجة مستاهلة!

ردت جميلة بحبور:

=حاضر يا مامي.

بعد أن دخل أبو محمد قسم الشرطة لإخراج أم الديب وفشل في ذلك، حيث خرج، ووجهه يعكس نظرات يأس وضيق. شعرت نعمة بأن خروج والدتها قد باء بالفشل، فقالت بحزن:

_ايه يا خالي طمني؟

نظر أبو محمد إلى الأرض، وهو يتلقى أنفاسه بعمق، وكأنما يحاول أن يلتقط أنفاسه وسط حيرة كبيرة، لا يدري كيف يبدأ حديثه أو ماذا سيقول. بعد لحظات من الصمت والتفكير، رفع وجهه ببطء، وقد تجلى فيه بوضوح ألم داخلي وحرقة، ثم قال بصوت يئس:

=يشهد ربنا إن أنا عملت اللي عليا... منفعش يا نعمة، أمك عاملة كوكتيل اتنين في واحد...محضر

تعدي، ومحضر سب وقذف، ناقص ايه تاني معملتهوش يا نعمة؟

ضربت نعمة يديها بعنف على فخذيها، وقالت بشؤم، وندمت على أيام العيد التي من المفترض أن تكون سعيدة، لكنها انقلبت بالمصائب فوق رؤوس الجميع:

_ده عيد ايه ده؟ امبارح ستي تموت والنهارده أمي في الحجز؟ يا بختك الأسود يا نعمة !

قال أبو محمد بنبرة هادئة:

=خدي بالك من نفسك يا نعمة وادعيها.

تفوهت نعمة بفقدان الأمل، وكلماتها تنبض بمرارة الإحباط والاستسلام، تعكس كل ما تشعر به من يأس، وعدم يقين:

_يعني مفيش حل يا خالي؟

أجاب أبو محمد:

=سيبيها على ربنا...ربنا يهدي أمك.

أم الديب الجزء الثاني

قالت نعمة بترح:

_ليه كده ياما ليه بس؟ عاجبك اللي احنا بقينا فيه دلوقتي؟

عادت نعمة إلى شقتها، ذلك المنزل المعتم يعكس حالتها النفسية، فواجهت شاشة سوداء تعكس حالها الداكن، كانت تغمض عينيها وتتمنى الموت، وتشعر وكأن كل ما حدث في الأيام الماضية هو عبور في وادٍ مظلم دون نور في نهاية النفق. في اليوم التالي، استيقظ جلال بنشاط، وحيوية متجددة، وقرر زيارة البنك في بلد قريب من بلدهم. عند دخوله، توجه نحو الموظف الجالس خلف النافذة بابتسامة طيبة، وقال بلهجة حميمية:

=السلامو عليكو يا حاج.

نطق الموظف، وهو منشغل في قضاء عمله:

_وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... اتفضل.

قال جلال بابتسامة خافتة:

=عايز أعمل حساب عندكم.

سأله الموظف بانشغال:

_عايزه لإيه يا أستاذ؟

أجاب جلال بفخر:

=والله يابا بص... أنا عاوزه للنت أصل عقبال أملكك عملت قناة على اليورنامج الأحمر، واتشهرت وعاوز أستلم الفلوس.

وضع الموظف ورقة البيانات حيال جلال، وأخذ يركز نظره عليها وهو يحاول ترتيب أفكاره. كان كل حركة يقوم بها مدروسة بعناية، وكأنه يريد التأكد من أن كل شيء في مكانه الصحيح. ثم نظر إلى جلال بجدية، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يبدأ في شرح التفاصيل، وقال:

_طيب ممكن تملي بياناتك هنا.

استلم جلال ورقة البيانات وألقى نظرة عليها، لم يفهم شيئاً واضحاً، ولكنه كان مصمماً على استكمال الإجراءات. فقال بإصرار:

=وماله مفيش مشكلة.

لم تعتاد أم الديب على الجلوس بصمت، وفي هذا السجن المظلم، حيث يخيم الفراغ الشديد، تشبثت بالنساء وقاتلتهم بأيديها وأرجلها، كمصارعة محترفة في ساحة القتال. كانت تترك واحدة وتندفع نحو الأخرى بقوة، محدثة ضجة لا يستطيع أحد السيطرة عليها. صرخت السيدة، واستندت بالعساكر وبقية النساء حولها، قائلة بصوت يحمل الضياع:

_آه انجدونا يا عساكر ياللي برا !

قالت أم الديب بصراخ وقت الشجار:

=مالك يا ولية؟ بقى أني غلطانة إني ضربت أم أشرف اللي تتشك في جنابها؟

تفوهت عالسيدة بإعوال:

_ده كان يوم أسود يوم ما قولت رأيي !

قامت النساء بخبط الأبواب بأيديهن بينما كانوا يستندون بالعساكر، بعد أن فشلوا في فض النزاع. نطقت إحداهن وهي تتشبث بالباب الحديد، وأطلقت آخر صرخة أمل، قائلة بيأس:

=افتحوا الباب احنا بنموت.

أم الديب الجزء الثاني

نطقت الأخرى بصراخ:

=افتح يا عسكري... الفتوة اللي معانا هتموتنا.

نفوّهت الثالثة بنحيب:

_افتحولنا الله يستركم.

يتضح أن سبب هذا الشجار يعود إلى خطأ النساء في التعبير عن آرائهن، وهنا تظهر روح الديكتاتورية لدى أم الديب، حيث تستشير الناس في آرائهم ولكن في النهاية تفعل ما تشاء. لم تترك النساء شأنهم، بل تمسكت بهم جميعاً، وسحبتهن نحوها في الداخل لتضعهن على نفس المستوى في أرض السجن. فصاحت بعدوانية مفرطة، كمن تهيمن على ساحة المعركة:

=ماهو علشان أني غلطانة فهوريكم أم الديب دي تبقى مين يا شوية جرابيع!

بعد معاناة طويلة من قبضة النساء، حضر العساكر وأمسكوا بأم الديب بقوة، ونقلوها إلى مكتب الضابط، حيث كان عسكري واحد لم يكف عن محاولة السيطرة على تلك المرأة الجبارة. وعندما أصبحت أم الديب في عهدة الضابط، وقف العسكري أمام الضابط بوقفة احترام، ورفع يديه في الهواء، معبراً بصوت عالٍ:

_تمام يا فندم.

نهض الضابط وهو يلقي نظرات شر على أم الديب، ينوي تربيتها على ما فعلت، فقال بنبرة حادة كصوت قاضٍ ينطق بحكم العدالة، ترتسم على وجهه تعبيرات الحزم والقوة:

=امشي انت.

أجاب العسكري بصوت عالٍ:

_أوامرك.

عندما خرج العسكري من غرفة الضابط وأوصد الباب بعناية، وقف الضابط في وجه أم الديب بكل حذر، حيث تأمل في عينيها كمن يقرأ كتاباً صعب التفسير. رُفِع حاجبه بتحدي، كانت تلك رمزاً لاستعداده للمواجهة مع هذه القوة الجارفة. تحدث بنبرة ساخرة، كأنه يعزف على أوتار السخرية، وقال بكلامٍ ملتبس بين التهكم، والاستهجان:

=عاملاي فيها جامدة؟ بقى نازلة ضرب في الستات اللي معاكي جوا؟

اعتمدت أم الديب، كعادتها، على وسيلتها المألوفة للهروب من التحديات الصعبة، وهي البكاء، ولكن دون وجود الدموع. بصوت هزيل ومهتز، نطقت:

_ايهي محصلش ده هما اللي اتلموا عليا وادموني العافية يا سعادة الباشا!

قال الضابط بسخرية، فكانت تعبيرات وجهه تتسم بالبرود، والابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفثيه تعكس الاستهانة بالموقف:

=ماهو باين، أصل شكالك ست غلبانة.

تلفظت أم الديب بنحيب:

_أوي أوي يا باشا... ده ربنا العالم بيا.

قال الضابط بصياح:

=يا عسكري.

أم الديب الجزء الثاني

دخل العسكري المكتب في الحال، وقد ارتسمت على وجهه علامات الانضباط، بينما تجنبت خطواته أي صوت غير ضروري. توجه نحو الضابط الذي كان يقف حيال المكتب، ثم تحدث بنبرة صارمة، تعكس حزمًا، واحترافية عاليتين:

_الست دي تدخل حجز انفرادي.

نفوه العسكري:

=أوامرك يا باشا.

تلفظت أم الديب بنواح:

_ايهي هو آني عملت ايه؟ ده آني ست غلبانة ومسكينة ومكسورة الجناح يا سعادة الباشا !

قال العسكري بصياح:

=يلا!

وثبَّ العسكري، وهو يضع الكلبشات في يد أم الديب، وأدخلها إلى حجرة الاحتجاز الفردية، كي لا تتورط في صراع مع النساء. أما في منزل جلال، كانت ليالي تجلس في غرفتها على السرير، تتحدث مع أختها هبة في الهاتف. وعلى لسانها الذي انبعث بالتأثر، قالت:

_ولا يهكم يا بت... إذا كان ابنها ذات نفسه مش طابقها أمال احنا نعمل ايه؟ تصوري ياختي إن حمايا لما جه امبارح بالليل وعرف إنها في الحجز سجد لله شكر وقال الحمدلله... ده شايف منها المر... ده أنا يمكن اللي مصبرني عليها شوية إنها بتعمل كده مع كله مش أنا بس! تفوهت هبة بكراهية:

=حماتك دي أجارك الله منها، حيه عاملة نفسها عبيطة ومش فاهمة حاجة وهي دماغها مصفحة...دي شيطان يا ليالي !

قالت ليالي بتأثر:

_معلش ياختي حقك عليا هاتينها فيا...أهو محدش معبرها ولا ساءل فيها...خليها كده لحد ما بيانلها صاحب.

تفوهت هبة ببغضاء:

=ربنا ينتقم منها.

نطقت ليالي بابتسامة:

_يارب ياختي...يلا معطلكيش عاوزة حاجة؟

ردت هبة بملامح صلبة:

=سلامتك.

قالت ليالي بحُب:

_الله يسلمك...سلام.

انتهت ليالي من محادثة أختها، ثم قامت بتجهيز الغداء، وفيما ترتب الأطباق، تفكر بفكرة تراود ذهنها، حيث تصوّر الطعام وتخيله كما لو كانت تسجله في فيديو. بسعادة مرسومة على وجهها، نطقت:

_وهو احنا خسرانين ايه؟ احنا أولى بأي فيديو يجييلنا فلوس... نفسي أغير الشقة بقي.

فتحت ليالي الثلاجة واستخرجت الطماطم، والبادنجان، والفلفل الأخضر، والثوم، وأخذت التوابل. ثم فتحت الكاميرا وبدأت بتصوير الخطوات ببراعة، وبينما تعكس الكاميرا تفاصيل الطهي، تتحدث ليالي

أم الديب الجزء الثاني

بلغه طلاقة، تشرح كل تفصييلة بوضوح، فتعبر عن مفرداتها ببراعة، تتحدث بعاطفة عن محبتها للطهي، وتعبيرها الفني عبر الطعام:

_ازيكم يا حبايبي عاملين ايه؟ أهلاً بيكم في قناة يوميات جلال الشبح وليالي... النهارده هنزلكم أكلة إنما ايه فاخر من الآخر بس ركزوا معايا... أنا جيبت هنا بطاطساييتين وبتجانة كبيرة، وشطة خضراء، وتوم. هنقطع البطاطس، والبتجان يا حبايبي زي ماتتوا شايفين كده.

دخل حمود وأفسد الفيديو على والدته حينما خرج صوته فيه وهو يقول بصوته القذر :
=تقى عملتها على نفسها ياما... روعي شطفيها !
يتبع....

الفصل الثالث والعشرون

صاحت ليالي في ابنها بعد أن جلب الفيديو الخراب، وزيف الصورة في نظر الناظرين، حينما أطلق لسانه المسموم بالفضائح أمام عدسة الكاميرا، فلم تتردد لحظة واندفعت نحوه كالريح المجنونة، وهي تجري وتهتف بأعلى صوتها:
_ امشي بوظتلي الفيديو... طب وربنا مانا ماسحاه، امشي روح الأوضة لحد ما أخلص!

قال حمود بصياح:

=يوه.

عادت ليالي لتحدث مجدداً بعد رحيل ابنها الى الخارج، فكانت تحاول بكل جهد السيطرة على أعصابها، فبدت وهي تضغط بقوة على زر الكاميرا، وبنبرة هادئة تعكس تماسكها وثباتها واستمرارها في مواجهة الظروف الصعبة، قالت للمتابعين:

_ معلى يا حبايب قلبي اللي عندهم عيال هيعرفوا أنا بقول ايه... ادعولي ربنا يهديهملي، المهم قطعنا البطاطس هنبداً في البتنجان، وخذوا بالكم كويس بلاش الطرية يا حبايبي نقوها ناشفة.
جاء جلال من الخارج فوجد ليالي تطهو أمام الكاميرا، وبدهشة تتلوح في عينيه، سألها بصوتٍ مليء بالتساؤل:
=انتي بتعملي ايه؟

ضحكت ليالي، وقالت بلطف:

_ بصور فيديو... ده جلال أصله لسه جاي من برا المهم أكملكم... ده احنا ربنا يعينا ويعين كل الأمهات. واصلت ليالي تحضير الطعام ببراعة، متألقةً أمام المشاهدين بمهارتها في فن الطهي، حيث أظهرت موهبتها في إعداد الأطعمة الشهية. في الوقت نفسه، في شقة أم الديب، دخل المعلم حنفي المطبخ حيث كانت هايدي تفتح الثلاجة، وباهتمام غامر سألها عن حالها وعن مهارتها في الطبخ:
=بتعرفي تطبخي يا هايدي ولا هنقضيها ساندوتشات من برا؟
أغلقت هايدي الثلاجة ببطء مُمزقة بين اليأس، والإحباط، وكأن صوت الباب يعزف لحن الخيبة، وبين يديها جزرة فاسدة ترمز إلى قسوة الظروف، وفقدان الأمل المرير:
_ أيوه يا بابا بس البيت فاضي زي مانت شايف.

قال المعلم حنفي ببغضاء:

=أمك اللي ربنا ياخذها كانت مخلصه على الطفح أول بأول.

أخرج المعلم حنفي عشر جنيهاً من جيب جلابيه القديم المقطع، كأنه يستنزف آخر ما لديه من ثروة في محاولة يائسة لتناول وجبة دسمة، يعلم في نفسه أنها ستكون الوجبة الأخيرة قبل عودة أم الديب التي ستحول الحياة إلى جحيم بعدها، ومع ذلك، فإنه يواصل استعداده بحزم، وتحضيره لما هو قادم:
=خذي يا بت... انزلي هاتي ربع كيلو بطاطس، وربع طماطم.
قالت هايدي، وهي في حالة من الصدمة التي ارتسمت على وجهها وكأنها لم تصدق ما سمعت للتو، بينما ارتجفت يداها من فرط الذهول:

_ عشرة جنيه؟ عشرة جنيه ايه يا بابا؟ دي يا دوب أحيب بيها كيس شيبسي!

أم الديب الجزء الثاني

فبعد أن بدأت ابنته المُحبة أن تتحرك قدمًا نحو بوابة المنزل، وجد المعلم حنفي نفسه مضطّرًا لاستخراج عشر جنبيات من أعماق جيب جلابيه، مبدئيًا بذلك لها عظمة قراره، وجاذبيته الفكرية التي لا تُضاهى:
=طب خدي دي كمان...خدي، ومتأخرش!

بينما تُحاول هايدي استيعاب مدى كفاية العشرين جنيهاً التي استخرجها والدها، تتسلل إلى عقلها أفكارٌ متناقضة كأوراق الخريف المتطايرة في رحلة لمعرفة إذا ما كانت هذه القيمة كافية لإشباع طموحاتهم أم لا، وفي لحظة التأمل العميق، كان صوتها يتلّون بالاهتزازات المليئة بالشك، حيث قالت بتردد:
_طيب هروح للراجل اللي جنب البيت.

كان المعلم حنفي، وهو يتأمل في عيون ابنته البريئة، يخاف بشدة على ذرة تراب صغيرة تؤذيها، وكانت كلماته تتناغم مع نبضات قلبه كغمات موسيقى هادئة، لذا قال:
=أيوه متبعديش، خليكي قريبة من البيت.

قالت هايدي، وهي تستجيب بنأى وثقة، بعد أن أخذت نفسًا عميقًا واستجمعت أفكارها بعناية، محاولة أن تجعل من كلماتها تعبيرًا دقيقًا لما يدور في ذهنها:
_طيب.

هبطت هايدي على الدرج وانطلقت نحو السوق لشراء البطاطا، والطماطم، في حين أغلق المعلم حنفي عينيه، وغمضهما برفق عندما استلقى على الأريكة، مستندًا إلى راحة البال، وكأنه يسبح في بحر من السكينة، وبينما كانت الأفكار تنبثق من أعماقه، لم يستطع إخفاء فرحته، فهمس بابتسامة على شفثيه:
=والله البيت رايق... آني كده عرفت العيب في ايه، العيب فيها، هي وش المصايب كلها.

تلفظت أم الديب بصوت حاد:

_لا ياخويا وانت الصادق العيب فيك انت !

وقف المعلم حنفي مكانه، وهو يشعر بالصدمة من المفاجأة التي رآها. تراجعت الكلمات في حلقه، وتعثرت عباراته، وبدأ يتحدث بطريقة متقطعة وغير مفهومة، وعينه تعبران عن التساؤل، فقال بصوتٍ مرتجف:

=انتي بسمه؟

تفوهت أم الديب بصوت حاد:

_أمال هكون العفريته بتاعتها يا راجل انت؟

وجدت أم الديب نفسها تأخذ قسطًا من الراحة على الأريكة، حيث استقرت بها لترتاح بعد يوم شاق، وفجأة، بينما كانت في هدوءها، سمعت صوت المعلم حنفي ينبعث بصدمة:

=انتي رجعتي ازاي؟ ده انتي بعد اللي عملتيه ده فيها ست سنين سجن أقل حاجة!

قالت أم الديب، وهي تتحدث بفخر، واعتزاز لا يخفى على ملامح وجهها، وقد ارتفع رأسها وكأنها تستدعي في ذاكرتها كل إنجاز حققه أخيها، وكل لحظة سعادة عاشتها:

_أخويا ضايح ضهري وسندي في الدنيا بعثلي ناس خلصوا الموضوع كله في نص ساعة.

تلفظ المعلم حنفي بصدمة:

=ده ازاي يا ولية؟ ما أخوكي أبو محمد جه يطلعك معرفش.

قالت أم الديب بابتسامة فرح:

أم الديب الجزء الثاني

_كله من فضل ربنا ليا.

تفوه المعلم حنفي بامتعاض جارف، وقد احتقن وجهه من شدة الانفعال، ونبرات صوته كانت تحمل في طياتها خليطاً من الإحباط، بينما عقد حاجبيه بشدة وكأن كلماته كانت تخرج رغماً عنه:

=أمال ايه؟ ماهي ماشيه بالكوسة، كل حاجة بالفلوس... منك الله يا ضايح أدعي عليك بايه؟

نظرت أم الديب حولها، فوجدت المنزل مرتباً بشكل غير مألوف، وذلك في غيابها الذي عادت فيه لتجد الأمور مختلفة. فعادةً ما كانت تعتاد على اتساخ المنزل، وفوضى مفرطة في غيابها بسببها، وفي لحظة من الغضب، قررت تحويل الحقيقة، وتزييف الأمور، فاندلعت بصياح:

_الصالة مالها مكركية ليه؟ بقى أني أغيب عنكم سواد الليل أرجع ألقيا بالشكل دهو؟

كان المعلم حنفي يشعل بكل عصبية، وخطى بخطوات سريعة للخارج، فلم يستطع تحمل فوز أم الديب بالخروج بعد أن تعشم بسجنها. فكادت حدقاته تنفجر من شدة الصدمة. وبينما كانت تصيح، قالت:
=داهية تاخذك.

في لحظات تسجيل ليالي فيديو لوصفة طهي، تألفت بجمالٍ ساحر. وبينما كانت تضع القدر الممتلئ بعصير الطماطم فوق الثوم المحمر في الزيت، انبعث صوت قوي مترافقاً مع ازدياد الغليان، كموجات من الحماس، والحيوية تتلاطم على شاطئ الطهي، ومع وجودها تحمل علبة الفلفل الأسود، وعلبة الملح، كانت تقدم نصائحها الثمينة للمتابعين بصوت لطيف، كالنغمات الهادئة في سيمفونية الطهي الناجح، حيث قالت:

_احنا بنسبك الطماطم على النار، وأول ما تسرد الزيت على الوش اعرفوا إنها كده اتسبكت، وهنظلها الملح والفلفل.

في قلب الصالة الفسيحة، كانت تتراقص أصوات الطفولة، حيث كان حمود يستمتع بلعبه مع أخته بسعادة غامرة، في حين كان جلال يجلس بتأنٍ، وسكينة على الأريكة، متابِعاً بانتباه التلفاز الذي يعكس تفاصيل من حياته اليومية، وفي هذا الجو المميز من الهدوء، خيّم أفكار جلال السرية التي تعكس حيرته، وبرزت شخصيته القوية التي تحبذ دوماً الانخراط في الصراعات، وبجراً لا مثيل لها، أعلن جلال بوضوح:

=مش حاسه المسلسل ده، أنا عاوز مسلسل كله ضرب، ونفخ، وقتل هي دي المسلسلات اللي على حق. عندما تلاعب حمود بعروسة أخته بلا وعي، أثار غضبها المبرح، فلم يتردد في قطع قماشها بعنف شديد، ولكنها، بعد أن شعرت بالظلم، لم تتوانَ عن الانتقام، فاندفعت بسرعة نحو سيارته اللعبة المفضلة له، وعندما وصلت إليه، وقفت أمامه بوقار، ونطقت بصوت يعبر عن سخطها:

_سيب العروسة بتاعتي !

قال حمود بعناد، وقد اتخذت ملامحه تعبيراً متصلباً، واشتدت قبضته على ما كان يمسك به، بينما نظراته الحادة تعكس إصراره الراسخ:

=مش هسيبها، سيبني انتي العربية بتاعتي!

مدت تقى يدها بتصميم نحو أخيها، وهي تحاول بكل جهدها سحب عروستها من بين يديه الطاغية، وبصوت غاضب نطقت بكلمات حادة:

_سيب وأنا أسيب!

تلفظ حمود بتهديد:

=هضربك يا تقى!

أم الديب الجزء الثاني

فجأة، ألفت تقى سيارة أخيها بقسوة على الأرض، بعدما شعرت بأنه لا جدوى من محاولات تركه لعروستها، وبينما كانت تتأوه بالاهتياج، هبّت بخطى سريعة نحو المطبخ، حيث كانت والدتها منشغلة في تصوير فيديو طهي. وبصوتٍ يمزج بين الصراخ، والاستغاثة، صاحت تقى:
_يا ماما... يا ماما.

ترك حمود العروسة وألقاها بعنف على الأرض، ثم اندفع نحو سيارته ليفحص الأضرار التي لحقت بها. بينما كان جلال متعمداً في عالمه الخاص، لا يبالي لصراعات أبنائه وشجاراتهم، وفي تلك اللحظة، تركت ليالي ما كانت تحمله في يديها وأوقفت التصوير، وعانقت ابنتها بحنان، وبينما كانت تحتضنها، سألتها بقلق عن سبب المشكلة:

=مالك بتعيطي ليه؟

أجابت تقى بانتحاب:

_حمود خد عروستي مش عاوز يديهالي، وعاوز يضربني... أضربيه يا ماما.

نطقت ليالي بتأثر:

=طيب روعي ولما أخلص هنفخهولك.

ردت تقى ببكاء:

_اضربيه قدامي دلوقتي.

خرجت ليالي عن شعورها الهادئ، وتحولت من الهدوء إلى الصياح، عندما شعرت بأنهم يعيقونها عن تحقيق آمالها، وتطلعاتها، وبصوت يتسم بالاحتجاج، نطقت:

=روحي خليني أخلص أم الفيديو وبعدين هشوف حوارك انتي وأخوكي... يلا ربنا يهديكوا.

بعد أن أزاحت ليالي ابنتها خارج المطبخ، عادت مرة أخرى لتستأنف التصوير، ولكن بأعصاب مشدودة. بينما كانت تحاول التركيز على المهمة، نطقت بضجر:

_معلش يا حبايبي، أصل العيال بيتخانقوا مع بعض ده كل يوم لازم يتخانقوا، هنعمل ايه بس؟ دائماً الكبير عايز يتحكم في أخته الصغيرة يلا ربنا يهديهم لبعض... المهم هنكمل وصفتنا، هنقطع البطاطس. في لقاء حامد، وأم أشرف، وعبد الغني، برزت حكمة وتوازن أم أشرف في تصرفاتها، بينما بدت شخصية زوجها ضعيفة، ومترددة. على الرغم من أن كلمتها تحمل نفس الثقل الذي تتحلى به أم الديب، إلا أن أم أشرف تبرز بشخصية فريدة، حيث تتحكم بلسانها ببراعة، وتدرک متى ينبغي لها الكلام، ومتى ينبغي الصمت، وفي وقت غير متوقع، انفجرت أم أشرف بصوت مرتفع بعد أن علمت بخروج أم الديب:

=يعني ايه خرجت؟ بعد اللي عملته فينا ده وخرجت؟ يا نهار أسود عليك يا أم أشرف! بقى أنا يتعمل فيا ده كله وحقي يروح هدر؟

قال أشرف بامتعاض:

_أنا هتجنن! ده محدش فينا اتنازل عن المحضر.

نطق حامد بتفكير:

=مش يمكن هربت؟

قالت هبة بنبرة حادة:

_لازم تروحوا تبلغوا أمال هتقعدوا حاطين ايديكم على خدكم؟

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت أم أشرف بصياح:

=تاخذ أخوك وتروح القسم تفهمولنا ايه اللي جرا، بدل ما أتجنن ويحصلني حاجة!
نفوهت هبة بقلق:

_ اهدي يا ماما بس متفكريش إنها علشان هربت يبقى حقنا راح! لا احنا نقدر ناخذ حقنا تالت ومثلت بس
من بعيد!

نطقت أم أشرف بتساؤل:

=هنعمل ايه بس؟

وقف أشرف بعدما انتهت محادثتهم مع والدته، وفي قلبه نية ثابتة على الانتقال مع حامد إلى قسم
الشرطة، لاستيضاح كيفية خروج أم الديب دون أن يتم التنازل عن المحضر، وبصوتٍ ينطلق بجديّة،
أعلن:

_ يلا يا حامد احنا هنروح القسم ونفهم كل حاجة.

قالت أم أشرف بقلب متألم:

=طمنوني بالتليفون متغيبوش عليا!

رد أشرف:

_ حاضر يا أمي متقلقيش.

وبالفعل، انطلق أشرف، وحامد إلى القسم للتحقق من الأمر، وسارعا بالانطلاق وسط همومهما
واضطراباتهما. أما هايدي، فبعد شراء الطلبات، عادت وهي تتألق بارتداء العباة السوداء، والنعل
البلاستيكي، وتأمّلت في فرصة غياب أم الديب، متوجهة نحو المطبخ بنية الاستمتاع بحرية التصرف،
والإبداع في إعداد أجمل مائدة طعام، وفي عالم تخيلاتها، حيث كانت دائماً تقتصر مساهمة أم الديب
على طهي الجزر المسلوق وجبتها المفضلة، كانت هايدي تحلم بالتفرد والتألق في مهارات الطهي.
وبابتسامة عريضة تعبيراً عن تفاؤلها، نطقت:

=جيبنتك الطماطم والبطاطس يا بابا، أنا بفكر نعمل صينية بطاطس في الف....

لم تكمل هايدي حديثها وقتما لمحت أمامها أم الديب، فتوقفت وهي مذهولة، فانزلقت الأكياس من بين
يديها ووضعت يدها بصدمة على صدرها الذي ارتجف من الدهشة، وقالت:

=بسم الله الرحمن الرحيم!

في حيرة، واندهاش، نظرت هايدي حولها بعينين متسائلتين، ثم صرخت بصدمة:

_ انتي جيتي ازاي؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=جيت زي الناس، ولا انتي مكنتيش عاوزاني أرجع يا بت؟ أمال ماهو عشان تستولوا على البيت انتي
وأخواتك.

قالت هايدي برهبة:

_ لا طبعاً ده أنا استغربت بس أصل هما قالوا إن اللي حصل ده بالكثير فيه ثلاث سنين سجن!

نفوهت أم الديب بسكينة:

=أهو ربنا كرمني وخالك اللي يستره خرمني.

ردت هايدي بدهشة جسيمة:

_ خرجك ازاي وهو عليه أحكام ومينفعش يظهر لهم؟

أم الديب الجزء الثاني

بقلب مطمئن وروح هادئة، أطلقت أم الديب نفسها براحةٍ مميزة، وقالت:
= لا يا بت ماهو بعثلي ناس، ياه أخيراً الواحد هيبات في بيته على سريريه؟ سريري وحشني أوي...ده
النسوان هناك معندهمش رحمة مبيحسوش، كنت محطوطة وسط شوية نسوان عاوزين الحرق.
تفوهت هايدي بامتعاض:
_ أه أمال ايه؟ حمدالله على السلامة.

ردت أم الديب بسرور عارم:
=الله يسلمك.

ثم تجولت بنظرها على ما بين يديها، وأكملت بدهشةٍ متجددة:
=أمال ايه اللي في ايدك دهو؟
بصراحةٍ لا تُخفي شيئاً، ولكن دون أن تدرك تأثير صراحتها الساذجة، ردت هايدي قائلة:
_ أصل أنا كنت جعانة أوي قولت أشتري شوية حاجات من جنب البيت، ده أنا فاصلت مع الرجل،
وقولتله هاخذ كل دول بخمسة جنيه بس.
أم الديب غير عابئةٍ بما أنفقته هايدي، خمسة وعشرين جنيهًا، على تلك الطلبات البسيطة، ولو علمت
الحقيقة، لأصابتها صدمةٌ حادةٌ، فضربت يدها على صدرها بصراخٍ مؤلمٍ، وقالت:
=يا خرابي خمسة جنيه؟ الرجل ضحك عليك يا خايبة، الخمسة جنيه دول كنتي تجيبي بيهم السوق
كله!

نطقت هايدي في سرها المكنون:
_ ده انتي مش عايشة في الدنيا.
ثم أطلقت هايدي حديثها بصوتٍ عالٍ:
_ أهو اللي حصل يا ماما بقى هنعمل ايه؟ أنا هدخل أعملك صينية بطاطس هتاكلي صوابك وراها.
تلفظت أم الديب بامتعاض:
=استني يا بت، صينية بطاطس ايه ياللي يخبيك ربنا؟ اعلمي حلة صغيرة، ومتكتريش في الرز.
نطقت هايدي بعصبية مفرطة:
_ مش هيكفي، دي متكفينيش، ولا تكفيكي، ولا تكفي بابا!
قالت أم الديب بعجيج:
=وانتي تاكلي كتير ليه؟ هتطرشقي يا بت!
تفوهت هايدي بانفعال:
_ لا مش هطرشق أنا مش بالونة علشان أطرشق، وسيبيني أعمل الأكل قبل ما يجيلي هبوط وأقع.

نطقت أم الديب بامتعاض:
=متعمليش حاجة سيبي الأكل ده هنبقى نعمله لخالك ضايح... بقى يوجب معايا ومعملوش عزومة؟
قالت هايدي بصدمة:
_ عزومة ايه؟ أنا جعانة، وعايزة أكل!
تلفظت أم الديب بصياح:
=خشني بلي العيش.

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي بانفعال ساحق:

_ يوه بقى.

بينما كانت هايدي تتجه نحو المطبخ، وجدت نفسها مليئةً بالعصبية، والسخط من بخل والدتها الشديد، حيث كانت قد تخيلت استمتاعها بوجبة لذيذة خلال غيابها، لكن عودة والدتها جعلت الأمور تتحول إلى جو مشحون، حيث بدأت تعتبر منزلها كميتمٍ بدون حياة، والدتها تجعل كل لحظة تبدو كمشهدٍ من الحياة الداخلية للمقابر، محرمةً عليها كل متعة الحياة، وبينما كانت هايدي تتأوه من انزعاجها، خرج صوتٌ جليبةً من فم أم الديب، وهي تقول:

=مترز عيش في الحل بدل ما أجيلك أعلمك الأدب يا بت!

بينما كان أشرف، وحامد يجلسان في القسم، بعد أن توجهوا للتحقق من المشكلة لدى مكتب الضابط، علما بخروج أم الديب بدون عقاب بعد مشاجرتها مع أم أشرف وبقية العائلة، خرج أشرف عن طابعه الهادئ، وصاح في الضابط بقلبٍ مكسورٍ، معبرًا عن استيائه العميق، وخيبة أمله من عدم تدخل السلطات لفرض العدالة، والقانون:

_ يعني ايه خرجتوها؟

كان الضابط متخوفًا من عائلة أم الديب البلطجية، رغم سلطته في الثرية، فهو على دراية بضايح أكبر بلطجي في مصر، الذي لا يهاب صغيرًا أو كبيرًا، فنطق بلا مبالاة، حيث أظهرت عيناه تردده، وقلقه من العواقب المحتملة لأي تدخل أو تصرف ضد هذه العائلة المخيفة، وكأنه يتجاهل مخاطرهم ويتجاوز أي تهديد محتمل، في محاولة للحفاظ على وقاره، وسلامة نفسه، ولكن في العمق يتسلل القلق من التدايعات المحتملة، فقال:

=عادي دفعت غرامة وخرجت، وخذ بالك ضايح احنا مش قده وكلنا عارفين كده كويس فأتقي الشر وقول الحمد لله أنها جات على قد كده !

قال أشرف بصياح:

_ أنا هاخذ حقي بالقانون ومش هسكت ولا هسمح بحاجة زي دي !
تلفظ حامد بقلق:

=خلاص يا أشرف يلا بينا !

في مشهدٍ ملحميٍّ، قام حامد بسحب أخيه أشرف وهو يناب من القلق من المشاكل المحتملة، وبالرغم من أنهما أخوة، إلا أنهما يختلفان في الصفات، فحامد يتميز بالشخصية الضعيفة، والخائفة، على عكس شخصية أشرف القوية التي لا تقبل بالظلم، والاستسلام للظروف، وعلى الرغم من محاولات حامد لابعاد أشرف ومنعه من التصرف، إلا أنه لم يستجب لها، بل كان مصممًا على إيصال حديثه للضابط، وهو يواصل بصياحٍ يرج المبنى، كأنه يتحدى الظروف ويصر على تحقيق العدالة بكل قوة:

_ أنا هاخذ حقي يعني هاخذ حقي... أصلها كوسة، لما تبقى ضاربة أُمي، ومراتي وعاملة فينا اللي ما يتعمل وفي الآخر تخرج بيقي ده يرضي مين؟

قال الضابط بجلبة، وهو يرفع صوته بحدة، مشيرًا بيديه بتوتر، بينما كانت خطواته السريعة وصوته الجهوري يعكسان حالة من الفوضى، وكان كلماته تحمل ثقل أوامر لا تقبل التسوية:

=انفضل يا أستاذ ومتخليش الموضوع يكبر عن كده !

بينما حامد يسحب أشرف للمرة الثانية وهو يقاوم بشدة، قام بالتصريح قائلاً:

أم الديب الجزء الثاني

_ يلا يا أشرف!

قال أشرف بصياح منين:

_ يا أنا يانتوا وفي الآخر هنتشوف!

خرجوا الاثنان معاً، واتصل أشرف بوالدته، معرفاً بها، وهو يحاول بجهد شديد تمالك أعصابه المضطربة، والتخلص من أصابعه المرتعشة من شدة الانفعال، حيث كانت كل خطوة تفاقم الضيق الذي يتدفق في دواخله، وفي محاولة للتعبير عن مشاعره المقهورة، قال بنبرة غاضبة، تهز الهواء حولها، كمنبئة من بركان غضبه الدفين:

=مهربتش، دي خرجت...خرجوها بالفلوس!

ردت أم أشرف بنواح:

_حقك راح...حقك راح واتداس عليه يا أم أشرف، منك لله يا بسمة، ربنا على الظالم والمفتري.

تفوه أشرف بانفعال:

=لأ واللي عمري ماكنت أتخيله إن الحكومة خايفة من أخوها ضايع... حكومة ايه دي اللي بتحمي المواطنين؟

قالت أم أشرف بنواح:

_يعني حقي راح يا أشرف؟ بعد الفضايح والمرمطة اللي حصلت امبارح... خلاص كده كله راح؟
رد أشرف بتفكير:

=لا مراحش بس سيبوني أخطط.

تلفظت أم أشرف بجلبة:

_اسكت انت تخطط ايه وزفت ايه؟ اقل أنا مش هرحمها وهردلها القلم قلمين...سلام.

قالت هبة بأفكار دسياسة:

=لو عايزة ترجعي حقك وحقي فعلاً يبقى لازم تسمعي اللي هقولك عليه... احنا مصلحتنا واحدة وبسمة مينفعش ترجع البيت واحنا هنا عمالين نندب حظنا، بسمة لازم تدوق من اللي احنا دوقناه.
ردت أم أشرف بفضول:

_قولي يا هبة المهم ناري تبرد!

عندما انتهت ليالي، التي أثبتت جدارتها في فن الطهي أمام جمهور اليوتيوب بأساليبها الإبداعية، والمميزة، وانقضى وقت العشاء وقاموا بترتيب الأطباق وتنظيم الأمور في المنزل، وجلسوا في الصالة الضئيلة أمام شاشة التلفاز الساطعة، وهم يتبادلون الضحكات، والمزاح مع أطفالهم الأعراء، حيث كانت الأجواء مليئة بالدفء، في تلك اللحظة الرائعة، قال جلال بتلذذ:

=لا حلوة المسقعة تسلم ايدك.

قالت ليالي بابتسامة مشرقة، وقد ارتسمت على شفتيها لمحة من البهجة الصافية، وعيونها تلمع بوميض من السعادة:

_بالهنا والشفاء.

لكن تقى كانت تعاني من حرارة المسقعة القوية، فقامت بنزع الفلفل الحار بعناية من طبقها الصغير، وعبرت باعتراض قائلة:

=دي حراقة أوي يا ماما!

أم الديب الجزء الثاني

أجابت ليالي بحنان:

_متاكلش الفلفل... كلي من الببتجان!

قال حمود بلا مبالاة، وهو يهز كتفيه وكأنه لا يكثرث للأمر، وصوته يحمل نبرة من اللا مبالاة التي تعكس عدم اهتمامه بما يجري حوله:

=وايه يعني حراق؟ ده كده طعمه أحلى.

تحدث جلال وهو منغمس في لذة تناول طبق الطعام، وكأنه على وشك الانغماس في عالم آخر، فإذا بشعور غريب يتسلل إليه، شعور بأن والدته قد فجأت بإثارة كارثة جديدة داخل جدران السجن، فانتابه الاضطراب:

_زمان أمي قاعدة في الحجز مع النسوان هارياهم ضرب، أصل دي أمي وأنا عارفها.

أجابت ليالي:

=هي مكفهاش هبة وحماتها؟ دخلت على النسوان اللي جوا تكمل عليهم؟

نطق جلال كلماته بانشغال ظاهر، بينما كان يحاول التركيز على عدة أمور في آن واحد، ونبرة صوته متقطعة:

_أمال ايه؟ دي مترتاحش غير لما ايديها تشتغل... الله يعينك عليها يابا شايف منها المر.

قالت ليالي بحديث هادئ، وهي تعزز كلماتها بحركة لطيفة من يدها، لتؤكد على مدى أهمية ما تقوله:

=أبوك بس؟ ده ربنا يعينا كلنا عليها.

رن هاتف جلال وهو مغمور في استمتاعه بالطعام، فوقف عن تناول الخبز البلدي ليجعله جانباً، ومسح يديه المتسخة في ثيابه بسرعة، ثم نطق بفضول:

_مين اللي بيتصل دلوقتي؟ هو أنا فاضيلك؟

سرعت ليالي في التحديق بشاشة الهاتف لتلتقط لحظة من الغموض، ثم اندلعت بالكلمات بينما كانت تلتهم الطعام بنفس الوقت:

=ده أبوك.

تفوه جلال بدهشة:

_أبويا؟ ده حماته بتحبه.

ثم أجاب بود، وكان صوته يملأ صالة المنزل بنغمات الحب، والدفء، بنبرة محبة:

_ألو يابا حماتك بتحبك، تعالى كل معانا شوية مسقعة بالفلفل الحراق إنما ايه جامدة!

نطق المعلم حنفي باستنشاطة، وقد ارتفعت نبرة صوته إلى درجة تعكس مدى غضبه العارم، ووجهه أحمر من شدة الانفعال، وكان كل كلمة نطق بها كانت مشحونة بالاستياء العميق:

=أمك رجعت يا جلال!

كأن شرارة قد انطلقت في قلب جلال، لتشتعل نيران القلق على وقع خبر عودة والدته، صانعة الأزمات، فتغيرت تلك اللحظة معالم وجهه، حيث تبدلت السعادة الزاهية إلى صدمة عميقة، وعجزت أسنانه عن الحركة، ترقباً لما سيأتي، وغلب على الهدوء سكون مؤقت، ثم قال:

_رجعت ازاي يعني؟

أم الديب الجزء الثاني

توقفت ليالي هي الأخرى عن مضغ الطعام، كمن يتوقف أمام شاشة عرض سينمائية تعرض لها مقاطع مؤلمة من حياته، حيث تتجدد مشاكلها المعروفة مع حماتها المتسلطة، فخير الانزعاج على وجهها بوضوح، كما يخيم السواد على الشاشة في اللحظة الدرامية، حيث نطقت:

=رجعت؟ هي ايه اللي رجعت؟

لم يلتفت جلال لسؤال زوجته، بل كان منشغلاً بصدمته العميقة التي تختبئ في أعماقه، حتى تحدث المعلم حنفي بضيق:

_ أه ياخويا أمك رجعت، ومرزوعة في البيت... أني ملحقتش أفرح ولا حتى أرتاح منها شوية!
قال جلال بتبرم:

=بيادي أم ده خير أسود... بتقلني ليه بابا بس؟ لا إله إلا الله، هو الواحد ميعرفش يرتاح منها شوية؟
نطق المعلم حنفي بابتئاس، وقد غلفت ملامحه بريقاً من الحزن العميق، بينما كانت نبرة صوته هادئة ومتقلة بالكآبة:

_ أني مشيت من البيت... أني قرفت من البيت ده ياض واتقلت منه، مش عاوز أرجع... أني هتخد في الدكان أهو أرحملي من إنني أصطحب واتمسا بخلقتها.

رد جلال بجوى جسيم:

=لا بابا تعالى، متتامش في الدكان ده انت عضمك يوجعك... تعالى بات في شقتي ولا حتى في شقة
نعمة هي كده جوزها سايب البيت وبتبات لواحدها!
تفوه المعلم حنفي بأسف:

_ ماشي ياض هخلص أشغالي وهرجع أبات عند أختك... يلا سلامو عليكو.

رد جلال بضيق:

=وعليكم السلام يا حاج.

قالت ليالي بفضول، وقد اتسعت عيناها بلمعة من الحماس، وجعلت نبرة صوتها تنبض بشيء من الاستفسار المترقب:

_ في ايه؟

رد جلال بجزع:

=أمي رجعت.

تفوهت ليالي بصراخ مدوي، وقد ارتفعت نبرة صوتها إلى درجة تجعل الكلمات تتردد في الأرجاء، ووجهها مكتظ بالتوتر:

_ يا خير أسود!

عندما كانوا في منزل أم الديب، وقد مضت ساعتان منذ وقت الوصول، وفيما كانت هايدي قد أكملت وجبتها بالفعل، وهما يجلسان معاً لتناول الطعام، انبعثت دهشة على وجه أم الديب عندما لاحظت سرعة انتهاء هايدي من طهي الطعام، وبراعتها، وبينما تعبيرات التعجب تراقصت على وجهها، تجلت الدهشة في صوتها المفاجئ عندما قالت لها:

=حلوة يا بت، بقى انتي يطلع منك الأكل الطعم دهو؟

نطقت هايدي بتأمل:

أم الديب الجزء الثاني

_أيوه مين قالك إن أنا فاشلة؟ أنا بعرف أطبخ عادي بس المشكلة في إن المكونات مش موجودة مش أكثر!

نفوحت أم الديب بفخر، وقد بدت على وجهها ملامح الافتخار البارز، بينما ارتفعت نبرة صوتها وتعلقت كل كلمة بنبرة تتخللها مشاعر الاعتزاز العميق:
=طالعة لأمك يا منيلة.

بينما كانت أم الديب، وهايدي تتناولان طعامهما بهدوء، إذ بهما يسمعان صوت صراخ مدوّ في الشارع، يشير إلى مشكلة جسيمة. اعتقدا في بادئ الأمر أنه شجار بين المارة في الطريق، فنهضا معًا واتجها نحو الشرفة بقلوب خائفة. حينها سمعا صوت امرأة تصرخ بانفعال، قائلة:
_ انزلي يا بسمة، ده انتي هتتقطعي النهارده... يا بسمة.

نطقت أم الديب بتمعن:

=ابيهي مين اللي بنتده عليا دهي؟

تلفظت هايدي بتعجب:

_ في ايه؟

نهضت أم الديب، وهايدي مُسرعين إلى الشرفة، حيث وقفنا تنظران باستغراب إلى ما يجري في الأسفل، وفوقهما كانت ليالي، وجلال يقفان في شرفتهما، يتابعان المشهد بفضول، وأعلى منهما كانت نعمة تطل من شرفتها الخاصة، متسائلة عما يحدث، وفي الشارع، تجمهر حشد من الناس حول النساء ذوات الصوت الجهوري، اللاتي كن يصرخن بانفعال شديد، مما زاد الأمور توترًا، عندها قالت أم الديب بصوت عالٍ:

=انتني مين يا ولية منك ليها، وعاوزين ايه؟

ردت السيدة الأولى بصياح حاد، بينما كانت تمسك بيدها عصا خشبية جلفة:

_ انزلي وانتني تعرفي.

تحدثت السيدة الثانية بجلبة عارمة هزت المنطقة بأسرها، فانذرت الحيوانات في الشارع، وهربت مذعورة من هول الصوت:

=يلا يا بسمة !

كانت النساء المتسلطات يقفن كالشموع المتلألئة تحت الشرفة، يحملن سكاكين حادة كالبرواز الذي يحيط بصورة ذات طابع قاتم، مستعدات لقتلها، وتدميرها بأمر من أم أشرف، التي قررت الانتقام من أم الديب ومجازاتها على أفعالها الحقيرة التي سلطتها بها كالسحابة السوداء المحملة بالغيث المدمر، وفي الأعلى، هبط جلال بخطوات متسارعة كأنما تقوده رياح الفضول العاتية نحو اكتشاف سبب الشجار، وكانت المطوى في جيبه على أتم استعداد لخروجها عند الحاجة، كالسيف الساطع جاهز للانطلاق في ميدان القتال. اقترب من النساء المتجمهرات في الشارع، وتحدث بصوت رنان، يثبت شجاعته، وقوة شخصيته أمام هذا الحشد الساخط كالأسد الجارح الذي يعلو صوته فوق زئير الجماهير، قائلاً:

_ انتني مين يا ولية؟

صرخت السيدة الأولى بصوت مرتفع:

_وانت مالك؟ ده شغل نسوان ملكش انت فيه.

أم الديب الجزء الثاني

وضعت هايدي يدها بتوتر شديد على فمها لاحتواء رهبتها العارمة، وشعرت في عمق كيائها بأن هناك كارثة محدقة على وشك الحدوث، فلم يتبق لها سوى أن تتحدث بفرع وهي تحاول جاهدة جمع أفكارها، وتوجيهها بشكل متراس:

=يا نهار أسود!

فرت هايدي بسرعة متناهية عبر الدرج الصاعد نحو شقة أختها نعمة، وبينما كانت تسعى للوصول إليها بأسرع وتيرة ممكنة، كانت ليالي تواجه تحدياتها الخاصة، ففي هذا الوقت الحرج، لم تكن هناك سوى هبة، التي كانت تتصل على هاتف ليالي خلال النزاع المحتدم، مما دفع ليالي للرد عليها بشغف متزايد، حيث كانت ترد بتركيز شديد:

_ألو يا هبة.

قالت هبة بهدوء واضح على نبرة صوتها:

=متخافيش يا ليالي وعرفي جوزك إن الستات اللي تحت دول تبعنا.

نطقت ليالي بدهشة، وقد ارتسمت على وجهها علامات الاستغراب، بينما اتسعت عيناها وتوترت ملامحها بشكل يعكس عمق المفاجأة التي صدمتها:

_هو انتي اللي باعتاهم؟

جلست ليالي على الأريكة بأناقة متألقة، تحاول جاهدة الحفاظ على هدوئها رغم النزاع المستمر الذي يدور بالأسفل، حيث ما زالت النساء يحملن السواطير وينادين باسم أم الديب بقوة، وفي هذا الوقت الدقيق، خرج جميع الجيران من نوافذ منازلهم، يراقبون هذا المشهد الغريب والفريد من نوعه، بينما الحفدة الصغار كانوا يطلون من البلكونة بصمت متأمل، ورغم هذا الجو المشحون بالتوتر، فقدت السيدة الأولى هدوءها، وأعدت نداءها بقوة، مستمرة في جلب الانتباه:

_يلا يا بسمة انزلينا.

ردت أم الديب بابتسامة مكرة تلمح إلى استعدادها للقيام بشيء غير متوقع، في حين أن قلبها ينبض بشرارات الفكر الشيطاني، تخطط في صمت لفعل شيء كارثي يخلد ذكره في ذهن تلك السيدات إلى الأبد:

=من عينيا الاتنين دول... من عينيا ياختي !

دخلت أم الديب المطبخ بخطوات متثاقلة، وبدأت بملء الإناء البلاستيكي بالماء الساخن الذي تدفق بلا رحمة من صنوبر المياه، وفي تلك اللحظة الحرجة، جلبت الخرطوم ووصلته بسرعة إلى المياه الجارية، متجاهلة بالكامل أي اعتراضات أو حاجة للرحمة، ثم انطلقت به بسرعة نحو البلكونة، حيث كانت تنتظر تلك السيدات بشكل مثير للاهتمام، وفيما كانت تقوم بكل هذا، لم تكتف أم الديب بمجرد الفعل، بل ألقت بصوتها الغليظ، الذي جلب شرفات الجيران وجعلهم ينبهرون، ويتساءلون عن ما يجري، مضيئة لمزيد من الإثارة إلى هذا المشهد المثير:

_آني هدفيكم دفا هتحفوا بيه طول عمركم.

حملت أم الديب الإناء البلاستيكي بيديها بقسوة، وصبت الماء الساخن بشكل مفاجئ على النساء، لكنها لم تكتف بذلك، بل مسكت الخرطوم الذي كان يطلق ماء حارقاً، ورشته بوحشية على أجسادهن المحترقة، فانهارت النساء على الأرض، تصرخن بألم لا يُطاق، وبدأت جلودهن تذوب كالشمع تحت تأثير الحرارة المفرطة، وفي لحظة من العذاب اللاحق، أطلقت إحداهن صرخة مدوية وهي تتأوه من الألم، محاولة إيجاد نجاة من هذا الجحيم المروع الذي فرضته عليهن أم الديب:

_ أه جتتي.

صدحت الأخرى:

=جسمي الحقوني!

قالت أم الديب بجبروت:

_بالهنا والشفاء يا ولية منك ليها، وابقوا روحوا لأم أشرف اللي باعتاكم خلوها تجيبلكم كيناكومب من الصيدلية عشان التسلخات.

دخلت أم الديب إلى داخل المنزل بكل هدوء، وجلست على الأريكة مستمتعة بوجبتها، وهي تشاهد المسلسل التلفزيوني المفضل لديها، بينما النساء الذين ألفت عليهم بالماء الساخن يعانون بشكل مروع، فبقوا يصرخون بطريقة غير طبيعية تعكس مدى العذاب الذي يعانونه، فلم تكثرث أم الديب بأي شيء من ذلك، كما لو أن ما يحدث خارج نطاق اهتمامها، وفي هذه اللحظة المرعبة، قالت إحداهن بصوت متعطش للنجدة:

_ آه.

نطقت الأخرى بإعوال:

=انجدوني!

انقضت الناس بسرعة هائلة نحو المكان الذي وقعت فيه الكارثة، وأسرعوا لنقل النساء الحرقى إلى المستشفى في حالة حرجة جدًا، حيث كانوا يعانون من آلام لا تطاق وإصابات خطيرة، وبينما كانت الحشود تنتقل الجرحى بعيدًا عن موقع الحادث، وصل الخبر إلى أم أشرف، التي شعرت بصدمة هائلة لفشل خطتها في مواجهة أم الديب، فلم يكن هناك سوى الرحمن الذي يستطيع أن يتدخل ويغير مجرى الأحداث. فوقفت مكانها، مصدومة ومفروعة، لا تستطيع سوى أن تصرخ بكل قوتها، وكأنها تعبر عن الانهزامية، والعجز إزاء هذا الواقع المأساوي الذي لم يكن في حسابها:

_ لا لا لا اللي حصل ده مش حقيقي... لا يمكن، دي ست جاحدة ومفترية!

خرجت هبة بخطوات مترقبة من المطبخ، وفي وقت لاحق من صدى صرخة حمايتها المعبرة عن قهرها، وقعت كلماتها كالصاعقة في أذنيها، وهي تعبت بفضول بالغ، فقالت بلهفة:

=في ايه طمني ايه اللي حصل؟

أجابت أم أشرف بإعوال:

_رشيتهم بخرطوم المايه... اتحرقوا يا هبة وودوهم المستشفى..أنا مستغربة هو في حد قادر أوي كده؟ ردت هبة بصدمة:

=برضة؟ هي ايه مفيش حاجة نافعة معاها؟ نرجع حقنا منها ازاى؟ دي أغرب واحدة شوفتها في

حياتي... يعني حقنا ضاع لثاني مرة؟

قالت أم أشرف بحسرة:

_دماغي هتنفجر يا هبة... اسنديني لحد السرير.

شعرت أم أشرف بدوار حاد يسكنها، فوقفت هبة على الفور لمساعدتها، وبينما كانت تحاول سند أم أشرف ودفعها نحو السرير، جلست بجانبها بترقب، وقلق يتناغمان، فوضعت حمايتها يدها بلطف فوق جبينها الذي كان يتأثر من الصداع الشديد، وكانت تعاني وتعبر عن ذلك بتعبيرات وجهها المتألمة. وفي هذه اللحظة المؤثرة، تحدثت هبة بتأثر عميق:

=سلامتك يا حمايتي، نامي وريحي جسمك وأنا هخطط لها صح.

أم الديب الجزء الثاني

أجابت أم أشرف بإرهاق جسيم:

_وفري خططك مبتنعش معاها... دي ميقدرش عليها غير ربنا يا هبة!
قالت هبة بإحباط:

=هنعمل ايه طيب؟ ماهو أحسن ما نقعد نتفرج عليها!

مدت أم أشرف جسدها على السرير بحركة بطيئة، ومتعبة، ووضعته الغطاء بعناية فائقة فوق جسدها المنهك، ثم بسطت كفها برفق أسفل رأسها العليل، وفي هذا الوقت الحساس، تحدثت بنبرة متألّمة:
_اطفي النور عايزة أرتاح.

قالت هبة بتأثر مَنين:

=طيب سلامتِك.

أغلقت هبة النور في الغرفة بحركة عابثة بالانزعاج، وخرجت بخطوات غاضبة، ومحاطة بغيمة من الضيق، حيث كانت تتجول في الدار وهي تتجنب تفكيرها في أم الديب، وتحاول بشتى الطرق عصر عقلها المضطرب حتى تصل إلى حلاً لهذه الوضعية المعقدة، وفي المستشفى، بعد أن أجرى الطبيب الكشف على الحالات المصابة، تحدث بتأكيد، معتمدًا على خبرته المجمععة في مجال الطب، مما يضيف على كلامه طابعًا مقنعًا وأثرًا ملموسًا في نفوس الحاضرين:
_دي حروق من الدرجة الثانية... هما اتحرقوا ازاى؟

نطق أحد الرجال بصراحة، كلماته تنبعث منها روح الصدق، دون تزييف أو تملق:

=بسمه جارتنا كبت عليهم مائة ساخنة.

قال الطبيب بامتعاض، وقد بدت على وجهه تجاعيد الاستياء واضحة:

_لا احنا كده هنفتح محضر في القسم باللي حصل.

تحدثت السيدة الأولى بذعر واضح، وعبير الخوف يعتلي ملامحها، حيث وجهت نظرة استسلام إلى الطبيب، وهي تشير بيدها باتجاهه، موضحة بذلك اعترافها بالواقع المرير الذي تواجهه:

=لا متعملش حاجة بدل ما تيجي هنا وتخلص علينا.

رد الطبيب بدهشة:

_ماحنا هنفتح محضر علشان نضمن حقكم!

تحدثت السيدة الأخرى بنواح:

=لا يا دكتور... أه جسمي... لا متعملش حاجة دي ست مفترية ولو وصلها خبر هتيجي تخلص علينا!

يتبع....

الفصل الرابع والعشرون

قال الطبيب بذهول:

_ليه هي المستشفى عندنا سايبية؟ عموماً زي ماتحبوا.
في منزل أم الديب، هبطت نعمة، وابنها، وهايدي، بينما كانت أم الديب لا تزال منهمكة في تناول الطعام بنهم لا يوصف، وكأنها ترغب في جذب كل طعام العالم بمغناطيس سحري لتضعه في ثلاجتها العتيقة، المتهالكة. حينئذٍ، شعرت نعمة بفضول لا يقاوم لمعرفة حقيقة ما يجري، فتقدمت بخطوات واثقة نحو أم الديب، وقالت باستغراب:
=اللي انتي عملتيه ده بجد ياما؟

أم الديب، بنبرة تفيض عنفاً واضحاً، قالت:
_اللي يقرب من أم الديب يستحمل... بقى حماك باعتالي شوية النسوان دول علشان يضربوني وفكرة إنهم هيعدوا كده بالساهل من تحت إيدي؟
وقفت نعمة حيال والدتها بثبات لا يتزعزع، وتفوهت بحدة:
=مانتي لو مكنتيش روحتي وضربتيهم مكنش كل ده حصل.
نطقت أم الديب بجلبة عارمة، يملأها الحنق، حيث اندفعت الكلمات من فمها كالسيل الجارف، تنبض بمشاعر متدفقة لا يمكن كبحها، وكأنما كانت تلك الكلمات تعبيراً عن غلها المدفون في أعماق قلبها منذ زمن بعيد:

_بقى أني يا بت الكلب عاملة دهو كله عشانك وفي الآخر ميتقاليش كلمة شكر؟
ردت نعمة بانفعال:
=الحق مبيتاخدش بالطريقة دي ياما، ولو اتاخذ بالطريقة دي بيضيع، انتي بقيتي غلطانة من ساسك لراسك، خليتي كل الناس تتكلم علينا وسُمعتنا بقيت في الأرض من عمايلك.
قالت أم الديب بضجيج عارم:
_غوري يا بت اركنيلك في أي زاوية، أني مش ناقصاكي ولا مستنية منك كلمة... أني اللي غلطانة إنني تعبت نفسي عشانك وفي الآخر ايه؟ ولا أي حاجة.
تلفظت نعمة، بضيق يعترى نبرتها:
=ماشي ياما اعلمي اللي تعمله أنا مش هفتح بوقي بكلمة بس لما نغرق في الآخر متبقيش تتكلمي... بس بتك هايدي ملهاش ذنب إن يوم مايجيلها عريس ويسأل أهل الحنة فيقولوله أهلها بيهم وعليهم، انتي مفكرتيش في حاجه زي دي.

ردت أم الديب بسخرية:
_هي حد معبرها يا بت؟ اقعدى على جنب جاتك نيلة انتي وأختك محسساني إن العرسان واقفين طوابير.
أجابت هايدي، وقد اجتاحتها الصدمة:
=انتني بتقللي مني يا ماما؟ هو علشان أنا مش عايزة أتجوز بيبقي أنا وحشة وعيوب الدنيا كلها فيا لمجرد إن أنا مش مستعدة لحاجة زي دي دلوقتي؟
قالت أم الديب باستنكار:

أم الديب الجزء الثاني

= هو آني اتكلمت يا بت ولا فتحت بؤي؟

نطقت هايدي، وقد غمرها حزن عميق:

_ أه اتكلمتي، أنا مجيبتش كلام من عندي.

رغبت نعمة في تهدئة المعضلة قبل أن تتفاقم بين والدتها، وأختها، فاقتربت من أختها بحنان ووضعت

يدها برفق فوق كتفها، مؤكدةً خوفها على مشاعرها، وقالت بصوت يفيض عطفاً:

= خلاص يا هايدي أمك متقصدش، هي قصدها يعني إن نفسها تفرح بيكي.

ردت هايدي بألم يغمر روحها:

_ هي مقالتش كده وكلامها واضح.

تركتهم هايدي وغادرت المكان، متوجهة إلى غرفتها بخطوات مثقلة بالحزن، ثم أغلقت الباب خلفها بقوة

بعدما آلمتها كلمات أم الديب القاسية، التي لم يكن لها هدف سوى جرح القلوب وكسرها. حينئذٍ، شعرت

نعمة بضيق جسيم يغمر صدرها، فقالت بنبرة يملؤها الاستياء:

= عاجبك كده ياما؟

قالت أم الديب بلا مبالاة:

_ أه عاجبني.

بعد لحظات قليلة، سمعوا حركة غريبة في مدخل المنزل، تزايدت تدريجياً حتى بدت وكأن شيئاً مريباً

يتسلل على السلالم ببطء، مشحوناً بالغموض والرهبة. وبينما تصاعدت دقات قلوبهم، علت صرخة قوية

من أم الديب، وهي تعول بصوت مقترن بالفزع:

=يالهوي !

دخل ثعبان ضخم بحجم مخيف داخل البيت، ولم تستطع نعمة، وأم الديب إخفاء صرخات الرعب. بينما

كانوا يحاولون التصدي لهذا الوضع المرعب، وفي لحظة من الهلع، خرجت هايدي بسرعة وعلى

وجهها بادرة الذعر الواضحة، حيث لم تستطع إخفاء تعبيرها الصادم من الدهشة، وسألت بتعجب

واضح:

_ في ايه؟

أشارت نعمة على الباب وهي ترتجف من شدة الخور، وفي تلك اللحظة، لم تستطع هايدي إلا أن تلقي

نظرة عابرة نحو الاتجاه الذي أشارت إليه نعمة، لترى ثعباناً ضخماً يزحف ببطء، فصرخت بإعوال

حار يمزق السكون، معبرة عن الفزع الذي اعترأها فجأة، وكأن قلبها قد توقف عن النبض من شدة

الرعب:

=لا، ده تعبان!

نطقت أم الديب بنواح:

_ يا جلال... يا جلال.

كان جلال في شقته العليا عندما التقطت أذناه الصوت المفزع، فما إن سمع الصرخة، حتى اندفع مسرعاً

هو، وزوجته، متجاوزين الدرجات بخطوات متعثرة تملؤها العجلة، والقلق، وحين وصل إلى مصدر

الصوت، نطق جلال بذعر، وصوته يرتجف من شدة الهلع، وكأن الكلمات خرجت من فمه بصعوبة

بالغة:

=في ايه ياما؟

أم الديب الجزء الثاني

نظر جلال بين ساقيه فوجد ثعباناً يتلوى بخبث على الأرض، مما جعل الدم يتجمد في عروقه للحظة، وفي تلك الأثناء، صاحت ليالي بفرع لا يوصف، منشبهة بأطفالها وهي تركض بهم عائدة إلى شقتها بسرعة جنونية، تصيح قائلة بأعلى صوتها، وكأنها تحاول دفع المخاطر بعيداً عن أحبائها بتلك الكلمات المفجوعة:

_يا نهار أسود ده تعبان... ولا يا حمود على الله تنزل تحت انت وأختك فاهم ولا لا؟
رد حمود بعناد:
=لا هنزل.

وطأت ليالي طفلها دون أن تقصد، مما جعلها تتوقف فجأة، وتحضنه بحنان ممزوج بالقلق. كانت الدموع تتدفق من عينيها بينما نظرت إليه بحب عميق، تحاول تهدئته واستعادة أنفاسها بعد لحظات من الهلع:

_اسمع الكلام، متبقاش عيل متعب، متغلبنيش معاك، أنا تعبت منكوا.
وجدت جلال صاعداً بسرعة يحضر الهاتف من الشقة العليا، وعيناه تشتعلان بلهفة، وقلق بالغين. كان وجهه شاحباً، وكأنه يحمل ثقل العالم على كتفيه، وقد نطق بكلمات مرتعشة تفضح خشيته من العواقب المجهولة التي تنتظره:
=هاتي موبايلك يا ليالي نعمل فيديو، ده هيبقى فيديو ضرب نار.

نطقت ليالي بصياح:
_هو احنا في ايه ولا ايه؟
قال جلال بانفعال، وعيناه تفدحان شرراً من شدة الاحتدام، وقد تجمعت العروق في جبينه بشكل ملحوظ:
=هنتغني يا بت، هاتي موبايلك خلصي!
نزع جلال هاتف ليالي من يدها بخفة، واندفع نازلاً نحو أم الديب، مستعداً لتوثيق الحدث بكاميرته، وعندما بدأ بتصوير الفيديو، استقام واقفاً وتحدث بصوت واضح وتحية ملؤها العزم، قائلاً:
=السلامو عليكمو يا جدعان... النهارده في فيديو ضرب نار، أمي دخلها ثعبان كبير.
قالت أم الديب بنواح:
_يا لهوي انت بتعمل ايه؟
تلفظ جلال بتركيز شديد، وهو يوجه كاميرته نحو الحدث، فكان صوته متزناً رغم التوتر الذي يشوبه:
=استني بس ياما، فأنا هوريكم لو دخل بينكم تعبان تعملوا ايه... امسكي يا هايدي.
قالت هايدي بصراخ:
_امسك ايه؟ التعبان هيموتنا.
تفوهت أم الديب بصياح جسيم، يملؤه الاضطراب، وصرخاتها تعبر عن حجم المعاناة التي تعيشها في تلك اللحظة:

=يا لهوي انت بتصور ايه يابن الخايبة؟ هو ده وقته؟

قال جلال بلا مبالاة:

_لا بس تعبان كبير معرفش جالنا منين... امسكي يا بت عاوز أوريهم!

أم الديب الجزء الثاني

استلمت هايدي الهاتف منه وصعدت فوق الأريكة برفقة نعمة، حيث كانتا تصرخان بوضوح. في هذه الأثناء، كان جلال يوجههما حول ما يجب فعله، حتى وصل المعلم حنفي وهو في حالة من الصدمة، ونفوه قائلاً:

=في ايه؟

نظر المعلم حنفي فوجد ثعباناً ضخماً بينما كان جلال يصوره، وكانت نعمة، وهايدي فوق الأريكة تصرخان بارتفاع، في حين كانت أم الديب على السرير في الغرفة، ففزع المعلم حنفي وصرخ هو الآخر بلهجة مليئة بالذهول:

_ يا خير أسود، ده حنش ياوض!

تحدث جلال بقلب جلف لا يتأثر:

=امسكه معايا يابا... اتفرجوا يا جدعان، ده حنش إنما ايه ملظظ.

قال المعلم حنفي بجلبة:

_ عاوز تخلص مني يابن الكلب؟

رد جلال بقهقهة مكتومة، كأنما يحاول التخفيف من حدة التوتر الذي يحيط بهم، ولكن ضحكته حملت في طياتها خليطاً من الارتياح، والتوتر:

=ولا هيعملك حاجه اسمع مني بس.

اقترب المعلم حنفي بكل حرص، وحذرٍ شديدين، وأطبق بيده على رأس الثعبان الملتف، وفي تلك الأثناء جاء جلال يحمل قالب طوب ثقيل، وأخذ يضرب به الثعبان بقوة حتى أزهق روحه، ثم تحدث جلال بصوت هادئ لكنه حازم:

=اللهم صلي على النبي، قتلته... الله عليا... متخافيش يا نعمة انتي وهايدي، انزلوا!

نزلت هايدي، ونعمة وهما ترتجفان خوفاً منه، ثم نزلت أم الديب من على السرير واقتربت منه بخطواتٍ مترددة، فأردف باهتمامٍ شديد:

=عايزين ناخده يابا نرميه في أي حته.

قال المعلم حنفي برهبة:

_ يلا ياوض.

تلفظت أم الديب بمكر، وعينيها تلتمعان بخبث، قائلة كلمات تحمل في طياتها نبرة من التلاعب، وكأنها تدبر شيئاً ما خلف الستار، معبرة عن حيلة مدروسة بذكاء:

=لا متاخدوهوش أنني هاخده أرميه بطريقتي.

نطق جلال بتساؤل:

_ ليه ياما؟

أجابت أم الديب بخديعة:

=الحيران هيشوفوك وانت بترميه هيقولك بيتاجروا في الحنشة، اصبر لنص الليل وهبقي آخده أنني أصرفه بطريقتي.

قال جلال باستغراب، وعلامات الدهشة بادية على وجهه، وكأنه لم يستطع تصديق ما يجري حوله:

_ انتي ناوية على ايه ياما؟

نطقت أم الديب بدهاء:

أم الديب الجزء الثاني

=وآني هعمل ايه يعني؟ يلا اطلع لمراتك فوق وآني هشيله في أي شكارة لحد بالليل، وهبقى وآني معدية على بيت ستك هطوحه في أي ناحية.

رد جلال بشك، وقد غلفت ملامح وجهه مسحة من الاستفهام:
_مش عارف بس مش مرتاحلك.

قالت أم الديب بصياح:

=انشالله عنك ما ارتاحلي، يلا اتكل على الله!

تفوه جلال بوعيد، وصوته يحمل نبرة حازمة، وكأنما يهدد بشدة:

_ماشى ياما، بس لو لعبتي بديك أنا هعرف!

قالت أم الديب بخديعة، وعينيها تلمعان بذكاء مريب، وهي تحاول أن تضع الأمور في نصابها بما يضمن تحقيق أهدافها الخفية. كان حديثها يحمل بين طياته سحرًا هادئًا، ومكرًا خفيًا، يعكس قدرة بارعة على التلاعب بالأحداث والناس من حولها:
=وماله ياخويا يلا اطلع.

أزاحت أم الديب جلال من أمامها بحزم، وإصرار لا يلين، حتى خرج من باب الشقة مُكرهًا، وأغلقت الباب خلفه بعناية، ثم التفتت نحو المعلم حنفي، الذي كان يراقب المشهد بعينين متفتحين بالترقب، فسأل ابنته بنبرة مفعمة بالاهتمام:

_انتي بتباتي لواحدك يا نعمة؟

أجابت نعمة باستياء، وعلامات الانزعاج بادية على وجهها:

=أه بابا مانت عارف إن جوزي سايب البيت.

نطق المعلم حنفي:

_طيب أنا هطلع أبات عندك.

ردت أم الديب بجلبة:

=يلا الداهية اللي تودي .

تلفظ المعلم حنفي بضجيج، وصوته يملأ المكان بالاضطراب:

_احترمي نفسك يا ولية!

قالت أم الديب بسخرية:

=ما ده أخرك، يلا ياخويا اطلع!

صعد المعلم مع نعمة إلى شقتها، فيما دخلت هايدي إلى غرفتها وصكت الباب وراءها بإحكام، بينما

أخذت أم الديب الثعبان إلى المطبخ، وفي الأعلى، وقف جلال متأملًا، ثم قال بصوت يملؤه التفكير

العميق:

_خدي التلافون يا بت، نزلي الفيديوهين اللي عملناهم.

قالت ليالي بسكينة، وصوتها يفيض بالهدوء، وكأنها تسعى لتهدئة الأجواء:

=ماشى ياخويا، بس تصدق البرنامج ده مُتعة... راحة نفسية كده وأنا بنزل الفيديو وبيجيب مشاهدات.

رفعت ليالي الفيديوهين على اليوتيوب، وكتبت على أول فيديو "طريقة عمل المسقعة مع ليالي"، أما

الفيديو الثاني فدونته بعنوان "جلال مسك حنش، يا ترى عمل معاه ايه؟". ثم نظرت إلى الفيديوهات

القديمة، فوجدتها قد حققت مشاهدات كثيرة، فغمرتها الفرحة، وقفز الفرح في أعماقها كما تقفز العصافير

في الحقول، وقالت بسعادة غامرة:

أم الديب الجزء الثاني

_ يا خبر أبيض ده احنا كان حظنا في السما من البرنامج ده... شوقنا الكارت ده هيطلع امتى يا جلال.
نطق جلال بهدوء، وقد بدت ملامح وجهه مطمئنة:
=الراجل اللي هناك قالي تعالى بكرا، هبقى أروحله، وربك يسهل.
تفوهت ليالي بسعادة:

_ ماشي.
نطق جلال بشك، وقد ارتسمت على وجهه تجاعيد الاستفهام، وكأنما يواجه شيئاً يصعب تصديقه:
=أنا مش عارف أمي ناوية على ايه! دي مسكت الحنش وقالتلي مترميهاوش أنا اللي هرميه... حاسس
إنها وراها حاجة.
ردت ليالي باحتراس:

_ أنا حالفة مانا واكله حاجة من ايديها، أنا ايه ضمني إنها مش هتقطعها وتطبخهولنا؟

تلفظ جلال بارتياب:

=مانا مستبعدهاش عن أمي، دي بتاكل أي حاجة تيجي قدامها.
خافت ليالي من تناول الطعام الذي أعدته أم الديب، فهي تعلم جيداً أن أم الديب ليست بالشخص السهل،
وتدرك أن المكر، والخداع يتسللان في طيات خططها كما تتسلل الأفاعي في الظلام، لذا قالت بتوجس:
_ ده احنا نخلي عيننا في وسط راسنا، بدل ماتعمل مصيبه وأنا بصراحة مش مرتحاله، ومن كلامك
اللي قولته حسيت كده إنها مرقدالنا مصيبة .
نطق جلال بحيرة:

=الله أعلم اللي في دماغها ايه... هي ونيتها بقی.

في اليوم الثاني، عند الساعة التاسعة صباحاً، استيقظت أم الديب من نومها مفعمة بالنشاط، واتجهت
بخطواتها الوتيدة نحو الأريكة المتهالكة، وجلست عليها كأنها تستعد لتنفيذ خطتها المحكمة بعد عرضها
على ابنتها. رفعت الهاتف واتصلت بنعمة بصوت مفعم بالجدية، وقالت وكأن هناك موضوعاً جلاً
يستوجب الاهتمام:

_ ألو يا بت انزيلي عاوزاكي في موضوع.

في هذا الوقت، كانت نعمة جالسة على أريكتها المريحة أمام التلفاز، وهي تتناول شرائح الطماطم
الممزوجة بالملح والكمون، مرتدية ثيابها القصيرة التي تكشف عن جمال قوامها، وشعرها المجعد يلتقط
نسيم الصباح العليل من خلال النافذة المفتوحة، مما يضيف على مظهرها روح من الأناقة البسيطة.
وفجأة، سألت بفضول ممتزج بالدهشة:

=موضوع ايه ده؟

أجابت أم الديب بالحاح:

_ انزلي بس.

قالت نعمة بدهشة:

=انتي هتتزليني مخصوص علشان تقولي؟ طب ماتقولي في التلفون وخلص.

نطقت أم الديب بضجيج:

_ انزلي يا بت خلصي !

أجابت نعمة بذعر:

=ماشي ياما .

أم الديب الجزء الثاني

خرج المعلم حنفي من الغرفة بخطوات ثقيلة، وفي عينيه بريق من الدهشة الملحوظة:
_ في ايه يا نعمة؟

وقفت نعمة مترددة في مكانها، ووضعت الطبق بحذر على الطاولة التي تقابلها، ثم دخلت الغرفة بخطوات مُتسارعة، وفضولها الشديد يدفعها لمعرفة الحقيقة المستورة. نطقت محاولة استنقاء تفاصيل الموقف الغامض الذي يخيم في الجو:
=أمي عاوزاني تحت .

ونادت طفلها بصوت عالٍ:

=بقولك ايه يا محمد انزل العب عند ولاد خالك تحت !

أجاب محمد باستجابة، وردوده جاءت مدفوعة بدافع التفاعل:
_ ماشي .

نطق المعلم حنفي:

=طب أني هروح الدكان بقى أشوف أشغالي .

ارتدت نعمة جلابها الطويل الذي يلامس الأرض بنعومة، وسترت شعرها الخشن بالحجاب، ثم خرجت من غرفتها بخطوات مُتسارعة تكاد تطير فوق الأرض، وهي تهمس بين شفتيها بلهجة تتم عن الحماس:
_ ماشي يابا .

نزلت نعمة إلى حيث كانت والدتها، وفي الوقت نفسه، نزل محمد، ابنها، ليلعب مع أولاد خاله. بينما كانوا معًا، سألت نعمة بفضول متزايد:

=ايه ياما بقى في ايه؟

ثم جلست على الأريكة، وفي تعبير من الترح العميق، قالت أم الديب بنأييب ضمير ينطفئ فيه الدمع ببطء من عينها، كأنها تشارك التماسيح في خاصية تلاعبها، وهي تقول بندم:

_ أني فكرت بيني وبين نفسي يا نعمة لقيت إن أم أشرف طيبة بس احنا اللي مش فاهمينها .
نطقت نعمة بدهشة:

=ومن امتي الكلام ده؟ ده انتي مبتحبيهاش.

تفوهت أم الديب بعيون متألئة من الاستياء، وكأن لها مرآة تعكس انعكاسات الحسرة في الأفق البعيد:
_ أصل أني مكنتش فاهماها يا بت، وبعدين جوزك قعدته بعيد عنك حاجة توجع القلب... عايزين نصلح

الدنيا بينكم ويرجع وأم أشرف تصفى لينا .

قالت نعمة بذهول:

=وانتي عاوزة أم أشرف تصفى لينا ليه؟ ده انتي ذات نفسك طول الوقت بتقولي حبها ولا كرهها لينا
مش هيزودنا حاجة!

حاولت أم الديب بكل ثبات أن تُقنع ابنتها بحقيقة الأمر المحتال، فخرجت الكلمات من شفتيها كالصخر المنحوت، وعينها تلمعان بحنكة، وهي تقول بصوت يتردد في أركان الصالة:

_ يا بت يا غبية مصلحتك أهم من أي حاجة وأنني ميرضنيش إن حماة بتي تبقى شايلة منها، مش عاوزين محمد لما يكبر يلاقي سته أم أمه وسته أم أبوه بيكرهوا بعض وشايلين من بعض.

تفوهت نعمة بذهول:

=انتي بتلغي وتدوري كتير ليه ياما؟ عايزة توصلي لإيه؟

أم الديب الجزء الثاني

أجابت أم الديب بنبرة خافتة تكاد تكون مهزومة:

_ أني بفكر أعملهم عزومة، أصل بعد اللي حصل وأناي ضميري واجعني وبقول ميستاهاوش مني دهو كله.

قالت نعمه بشك صريح:

=مش قادرة أقتنع ياما باللي في دماغك وقلبي مش مرتاح.

أجابت أم الديب بمكر لا يوصف، كأنها تتقن فنون الحيلة بدرجة لا تُصدق:

_ لا يا بت خليه يرتاح عشان أمك مابتكدبش... أمك رايدالك الخير وعاوزة علاقتك انتي وجوزك تبقى زي السمنة على العسل.

ردت نعمة بابتسامه هادئة:

=كثر خيرك ياما وانتي فكرك يعني إن أنا مبسوفة وحمو بعيد عننا؟ دخلته علينا كانت بالدنيا... ده الواد محمد كل يوم لازم يسأل على أبوه، مبيقاش عارفة أقوله ايه بس.

قالت أم الديب ببهجة:

_ أهو شوقتي يا بت؟ أدي رجوعه فيه مصلحة ليكي وللواد... هاتيلي رقم أم أشرف... يلا يا بت متتحيش!

نطقت نعمة بتفكير:

=طيب ياما استني.

استخرجت نعمة الهاتف المحمول بهدف الحصول على رقم حماتها، التي عاشت معها في صراعات

متكررة بسبب والدتها، وكأنها استفادت من هذه الفرصة لإصلاح العلاقات المتضررة، فاتصلت بأم

أشرف، حيث غمر الندم روحها، وأعربت عن رغبتها الشديدة في عودة زوجها ليعود الهدوء إلى

حياتهم. في الوقت نفسه، خرج جلال من منزله بخطى ثابتة في الشارع، بكل كبرياء كالأسد، وصعد إلى

التوكتوك الخاص به بأسلوب ينم عن وقوة الشخصية، متوجهًا نحو البنك لاستلام بطاقة الائتمان، حيث

دخل بثبات، وأطلق بنبرة صوته العالية:

_ سلامو عليكمو ياأبا .

أجاب الموظف باحترام:

=اتفضل .

تساءل جلال بفضول، وعينه تتسعان بلهفة، وهو يبحث عن إجابات تقطع حبال الفقر:

_ كنت جيتلك أعمل كارت وقولتلي هتاخده النهارده، ايه الكلام يا معلم؟

تلفظ الموظف باهتمام:

=الاسم ايه؟

وضع جلال يديه الائتنتين على حافة نافذة الموظف، وأجاب بلهجة جريئة:

_ جلال حنفي الديب .

نظر الموظف في الأوراق بانفعال واضح يعكسه وجهه، فكانت أصابعه تتوغل بدقة في كل ورقة،

وتمرس بتمعن شديد، مستفيدًا من كل معلومة، حيث بادر بالقول بنبرة متمحورة:

=أصير!

وبعد لحظات، سلم له الموظف بطاقة الائتمان، فعبّر جلال بامتنان:

_ تسلم يا باشا، يلا سلامو عليكمو .

أم الديب الجزء الثاني

عاد جلال إلى المنزل، تتراقص السعادة في عينيه كأنها أمواج بحر لا تهدأ، يحمل بين يديه بطاقة الانتمان التي كانت السبب في فرحته العارمة، وكأنه قد حقق إنجازًا عظيمًا لا يُضاهى، وهناك كانت زوجته تنتظره بفارغ الصبر، وعندما ولج إلى الشقة، مد يده نحوها، وقال بفخر:
=خذي يا بت الكارت أهو.

مدت ليالي يدها بسرعة، وأخذت تحق في البطاقة التي أمامها بعينين تملؤهما اللهفة، كأنها لا تصدق ما تراه عيناها، فارتعشت شفيتها قليلاً قبل أن تقول بصوت يختلط فيه الفرح، والتساؤل:
_ الله يا جلال ده شكله حلو اوي... وايه الأرقام دي؟
أجاب جلال بوضوح:

=وأنا عارف حاجة؟ أبقى اسألني هايدي تقولك.
قالت ليالي بهجة:

_ هو ده اللي هنستلم بيه الفلوس؟
رد جلال بتأكيد:

=أبوه هو ده.

ضحكت ليالي، وقالت بلهفة:

_ بقولك ابيه يا جلال أنا مش قادرة أصبر، أنا هنزل أنه هايدي وبالمرّة تبصلنا على القناة.
نطق جلال بصعوبة، بينما كان يعاني من التصاق العرق بجلده، وملابسه، فقد تسللت رائحته الوضيعة بفعل حرارة الجو الخائفة، قائلاً بصوت منهك:
=انزلي عقبال ماخذ دش، ده الجو نار.

دخل جلال المرحاض استعدادًا للاستحمام، فقد أمسك بالمنشفة بإحكام، وفتح صنوبر المياه، ثم اقتلع ملابسه بسرعة ووقف تحت الماء الجاري، مستمتعًا بانتعاشه، في حين كانت ليالي تنزل إلى الطابق السفلي بعجلة، بينما كانت أم الديب تجلس على الأريكة، تتحدث في الهاتف بنبرة حنونة، وهي تقول بكلمات عذبة:

_ اسمعي يا أم أشرف الدم عمره ما يبقى مايه!

استمعت ليالي إلى هذه الكلمات وكأن عقلها حاسوب أصيب بخطأ ربعمائة وأربعة، فتوقفت للحظة تستوعب ما سمعته، ثم ازداد إنصاتها محاولة أن تربط خيوط الحديث بحصافة، وعلى الرغم من فضولها الشديد لمعرفة التفاصيل، إلا أنها مرت بجانب أم الديب بتجاهل واضح على وجهها، متجهة مباشرة إلى غرفة نعمة، وعندما وصلت إليها، فتحت الباب بسرعة، وأشارت لنعمة بأن تتبعها، ثم خرجتا معًا إلى البلكونة بخطوات سريعة كأن هناك شيئًا ملحًا يستدعي الحديث فورًا. وبينما كانتا تسيران نحو البلكونة، نطقت ليالي بصوت خافت:

=تعالى يا نعمة!

بعدما دخلتا البلكونة وسط الأجواء الريفية الساحرة، حيث الشرفة المطلّة على الحقول الزراعية الخضراء تمتد كالسطح السحري، وسير الأبقار على الطريق مع الراعي يشكل لوحة حيّة تنبض بالحياة، استنشقتا الهواء العليل الممتزج برائحة الطبيعة العذبة كأنها أنغام رقيقة تعزفها نسيمات الرياح. نطقت ليالي بفضول متزايد، مظهرة رغبتها الملحة في التسلل إلى أسرارهم المخفية:
=أم أشرف مين دي؟ أوعي تكون اللي في بالي!

أم الديب الجزء الثاني

حركت نعمة رأسها بمعنى الموافقة دون أن تنطق بكلمة، وكأنها تمثال يجسد الإجابة بصمت مهيب، فواصلت ليالي حديثها بصدمة جسيمة:

_يا نهار منيل، أمك بتكلم أم أشرف؟ ده اللي هو ازاي يعني؟ دول عاملين في بعض عمائل سودة. أجابت نعمة بطيبة، وصوتها يحمل دفءًا:

=أمي حست بغلطها وضميرها بيأنبها وقالتلي إن مش عاجبها بُعد حامد عني أنا والواد، ويعني كانت عاوزة تصلح علاقتنا ببعض.

قالت ليالي بصدمة:

_مش قادرة أفهم يا نعمة، أمك وأم أشرف؟ ده اللي هو ازاي ده؟

ردت نعمة بابتسامة:

=ربنا قادر على كل شئ.

نفوحت ليالي بشك:

_ماشي يا نعمة بس انتي عارفة كويس إن أمك يستحيل تعترف بغلطها.

ليالي تعلم جيدًا شخصية حماتها المستبدة، تلك المرأة التي تتمتع بنرجسية عالية، فلا يمكن لها أن تعترف بخطأها حتى لو كان الثمن بتر عنقها. كان الشك يتخلل صميم قلب ليالي وهي تحاول فك لغز أم الديب الغامض، وعلى الأريكة في الصالة، كانت أم الديب ما زالت تتحدث في الهاتف مع أم أشرف، عدوتها الكبرى بعد عم سلامة الذي احتل المرتبة الأولى بجدارة في قائمة خصومها، والعجيب في الأمر هو صوتها الهادئ الذي يحمل في طياته إحسانًا زائفًا، وهي تقول بلين مصطنع:

=وايه يعني؟ ما كل البيوت بيحصل فيها مشاكل بس في الآخر بيبقوا كويسين.

تلفظت أم أشرف بمكر:

_أنا ابني كانت البنات بتجري وراه جري، بنت خاله كانت هتموت عليه وكنت هروح أتفق معاهم بس قال ايه نعمة بتك هي اللي عجبتة، مش فاهمة على ايه.

نطقت أم الديب بهدوء:

=نعمه بتي طيبة وبتحبك انتي بس ليني شوية من ناحيتها واعتبريها بتك زي مابتعملي مع هبة، ولا هبة بت البطة البيضاء ونعمة بت البطة السوداء؟

أجابت أم أشرف بكذب:

_ومين قال إن أنا مش بعترها زي بتي؟ هي بس اللي قافلة من ناحيتي وبتلعب في دماغ ابني.

ردت أم الديب بلين:

=ولا بتلعب ولا بتعمل حاجة دي حنية الدنيا في قلبها جربي انتي تقربي منها.

أجابت أم أشرف بوضوح:

_أنا وانتي عمرنا ما هيبقى في بينا عشم !

تغير صوت أم الديب إلى درجة أكثر ضعفًا، تصف رغبتها العميقة في إصلاح ما حدث، مخططة لنيل قلب أم أشرف العطوف كأنها تشد شفقة تنقذها من موقفها الحرج، فقالت بصوت يرتجف بلطف

مصطنع، محاولة إخفاء نواياها الحقيقية:

=أني بتصل عشان أعزمكم عزومة حلوة نتصالح بيها، ده انتي عمرك ما دخلتي بيتنا، خشي المرة دي وانتي جاية مع ابنك بمزاجك .

أم الديب الجزء الثاني

تحدثت أم أشرف باعتراض:

_مش هيحصل يا بسمة، رجلي مش هتعتب عتبه بيتك بعد اللي عملتيه.

نطقت أم الديب بلين:

=الشيطان شاطر وضحك علينا كلنا، وأهو حصل اللي حصل...نعمة شارية ابنك، وتلاقي الواد حامد هو

كمان شاريها... متخليش الواد محمد يتربي بعيد عن أبوه وأمه!

تفوهت أم أشرف بصوت حاد:

_عادي محمد يجي ينور بيت سته، هو حد هيقوله لا؟

تحدثت أم الديب بنبرة ودودة:

=طيب آني عزماكم بكرا، هنقعد قعدة صلح وهاتي هبة، وأشرف، والحاج وتعالوا. ده احنا هنفرح بيكم

أوي.

تلفظت أم أشرف بجلبة:

_مانا قولتلك رجلي مش هتعتب عتبه بيتك !

قالت أم الديب بإصرار:

=تعالى على نفسك مرة خلي بتي وابنك يفرحوا، ياختي خليكي أحسن مني ومتكسفينش!

على الرغم من أن أم أشرف هي السيدة الأولى في المنزل، وأنها صاحبة النفوذ، والقرار النهائي، إلا

أنها اخترعت حجة عن زوجها المعترض لتفادي حضور وليمة أم الديب، خوفاً من الوقوع في معضلة

جديدة. فقالت بصوت ينقلب بين الحذر، والرغبة:

_الحاج مش هيرضى !

نطقت أم الديب بالحاح:

=لا قوليله وهيرضى، تعالوا آني مستنياكم ونعمة بتي مستنياكم، دي بتحبكم أوي!

أجابت أم أشرف بصوت حاد:

_ربنا يسهل، سلام.

تلفظت أم الديب بحنو:

=مع السلامة.

دخلت ليالي إلى غرفة هايدي بخطوات متدلية، حيث تتأرجح عباؤها الرقيقة على خصرها المشدود،

والنجوم المتألثة ترقص في خصلات شعرها المنسدلة خارج الحجاب. فانعكست البهجة في عينيها وهي

تتحدث بصوت معبر:

_بقولك يا هايدي شوفي كده ايه آخر الاخبار.

ردت هايدي باهتمام:

=وريني.

نشبت هايدي الهاتف من ليالي، وهي تستعرض معرفتها القوية في برامج التواصل الاجتماعي، حيث

اكتشفت فيديوهين آخرين قد حصدا مشاهدات عالية، ونالا إعجاب المشاهدين، وفي لحظة من التحفيز،

بدت ابتسامة مشرقة تتناغم مع تعبيرات وجهها المشرقة، وهي تعبر بيقين:

_خلاص هانت نزلي كام فيديو كمان وساعتها أقدر أقولك هتاخدي فلوس.

انسكب الفرح من شلال سعادة ليالي، كما لو كانت تتلوح في سحابات الأمانى المتجددة، فكانت تطمح

إلى الثراء، لتتساوى بعودتها الخفية جميلة. تسعى لشراء أفخم المنازل وأجملها، وتصبو إلى العيش

أم الديب الجزء الثاني

بمستوى رفاهية يليق بطموحاتها. وهكذا، بينما تفصح عن أحلامها الكبيرة، وطموحاتها العالية، أعلنت بتطلع واضح:

=ربنا يرزقنا، أديني أي حاجة قدامي بصورها وأديها بتعجب الناس.
ردت هايدي:

_طب كويس.

خرجت ليالي من الغرفة، تاركة هايدي تتفرد مجدداً فوق سريرها، حيث استلقت براحة على فراشها، ونشب هاتفها في قبضتها، تتابع المسلسلات من الباقة التي اقتنتها بالخفاء، دون علم أم الديب بالحقيقة. وفي ذلك الوقت الحاسم، تفاجأت ليالي بوجود نعمة على سيف أم الديب، كأنها تكشف عن الكثير من المواضيع المستورة، وعندما لاحظتها حماتها، أطلقت نبرة هادئة، تختلف عن العادة:

=أختك هبة وحماتها جاينين بكرا معزومين عندي.

نطقت ليالي بدهشة:

_أختي هبة وحماتها مرة واحدة؟

ردت أم الديب بخديعة:

=أمال ايه؟ ده احنا اتصاحبنا وبقينا حلوين مع بعض.

تحدثت ليالي بتعجب:

_لا إله إلا الله، هو في ايه بس؟

ثم تركتهم وصعدت إلى شقتها كأنها في فيلم غير واقعي، حيث تداعبت الأضواء والظلال حولها كمشاهد من سيناريو خيالي قصته تصف رحمة أم الديب، وفي تلك اللحظة الفارقة بين الحقيقة، والخيال، بعد أن تأكدت أم الديب من مغادرتها، حاورت ابنتها بإحسان:

=قومي يا بت ظبطي نفسك عشان جوزك لما يجي بكرا.

تألفظت نعمة بتساؤل:

_انتي هتعمليلهم أكل ايه ياما؟

أجابت أم الديب بتفكير:

=خالك أبو محمد كان باعت اتنين كيلو لحمه، هبقى أعلمهم فته باللحمه، وانتي وليالي زودوا من عندكم.

ردت نعمة بقلق، وقد ارتسمت على وجهها علامات الاضطراب:

_طيب ياما ظبطي الله يكرمك دي أول مرة تدخل بيتنا.

أجابت أم الديب بابتسامة:

=متخافيش يا منيلة، قومي انتي بس.

قالت نعمة بحذر:

_طيب.

صعدت نعمة إلى شقتها استعداداً لزيارة عائلة زوجها لهم غداً، وكانت تتمنى عودة المياه إلى مجراها بفارغ الصبر. دخلت منزلها بخطوات متحمسة، وعقلها كان يتراقص بين مائة فكرة، محاولاً الرسو على خط البداية لتنفيذ تلك الأفكار التجميلية، التي تتمتع ببساطة فائقة، ولكنها اتخذت أول خطوة بتحضير قناع ماء الورد، والليمون لوجهها، وقلبها كان مستعداً تماماً للبدء. في الوقت نفسه، صعدت أم أشرف إلى شقة هبة، زوجة ابنها، وطرقت الباب بحرص شديد، تخاف على حفيدتها من أي حدث غير

أم الديب الجزء الثاني

متوقع، إلا أنها تفاجأت بسرعة استجابة هبة. استقبلتها بكل إحسان، وهي تعبر عن سعادتها برؤيتها في هذا السياق:

=تعالى يا ماما خشى.

دخلت أم أشرف بالداخل، دون أن تلتفت حولها كبقية الحموات المتسلطات، فكأنها تجسد الهدوء الذي لا يُعبأ بالتفاصيل السطحية. لا يههما إذا كانت هبة قد نظفت منزلها بإتقان، أو قد طهت طعامًا شهياً بمهارة فائقة. إنما تُتردي ثوب الأم المخلصة، الذي يبرز أمام العيون بمحبته، وهكذا، جلست على الأريكة أمام زوجة ابنها، وقالت بترقب:

_ تخيلي كده مين اللي اتصل بيا!

ردت هبه بفضول:

=مين؟

أجابت أم أشرف بتعجب:

_ أم الديب بشحمها ولحمها اتصلت بيا واعتذرتلي لأ وقال ايه، عامللنا عزومة ومصممة إننا كلنا نروح نقعد قاعدة صلح.

نطقت هبة بحذر:

= لا أنا مش رايحة في حطة اعفيني من المرواحة دي!

تحدثت أم أشرف بوضوح:

_ أنا رفضت رفض شديد وهي مصممة، ونازلة اعتذارات عمال على بطل، أنا شكيت في أمرها. تفوهت هبه بشك:

=أم الديب مبتعترفش بغلطها ولو على جنتها.

ردت أم أشرف بتفكير:

_ بس الغريب إنها اعتذرت ومش مرة واحدة!. دي كل شويه تعتذر ومصممة تعزمنا عندها بكر... عايزة حامد يرجع لنعمة بتها.

نطقت هبة بحصافة، وكأنها تقيم الأمور بوعي، حيث كانت كلماتها تعكس فهمًا عميقًا للموقف:

=ما تقول كده بقى، يعني هي عاملة الحوار ده كله علشان يرجعوا لبعض؟

أجابت أم أشرف بشك:

_ شكلها كده... ايه رأيك يا هبة في الموضوع ده؟

تحدثت هبه بحيرة:

=بصراحة مش عارفة.

قالت أم أشرف بقلق:

_ اللي ربنا كاتبه هو اللي هيحصل.

تاني يوم في تمام الساعة الحادية عشر قبل الظهر، كانت أم الديب في المطبخ، تسلق اللحم بعناية شديدة، وهايدي تقطع البصل بمهارة في جو من الهدوء، حيث يغمره صدى غليان الماء. بينما نعمة تنظف الصالة بعناية متناهية، تستعد لاستقبال الضيوف القادمين بأرضية براقية. فجأة، خرجت أم الديب من مطبخها الصغير بخطوات ثابتة، وبينما لمعت عيناها بالمكر، قالت بصوت متأن: ِ
=دول الحبايب الغاليين... متعرفيش هيجوا امتى يا نعمة؟

أم الديب الجزء الثاني

نزعت نعمة مفرش الأريكة بلطف، وهي تقول بصوتها الهادئ، بانشغال ينبع من قلبها، ودقة يعجز الزمن عن قياسها في العمل:
_ زمانهم على وصول ياما.
نطقت أم الديب بشوق:
=وماله أدينا مستنينهم .

عادت أم الديب إلى المطبخ، تتأكد من أن عمل هايدي يسير وفق الخطة المدروسة. نزعت الغطاء من فوق القدر بلطف، وبدأت في اختبار اللحم بإصبعها، رغم حرارته العالية التي لم تنثنها عن الاهتمام الدقيق. ثم أردفت لابنتها الصغرى بصوت حنون:
=ده اللحمه زبده... شوفي يا بت يا هايدي دايبه ازاي؟
وضعت هايدي اصبعها الرقيق لتختبر ذوبان اللحم، ثم أبدت رأيها المؤيد بقولها بثقة:
_ أه طرية أوي فعلاً.

نطقت أم الديب بابتسامة ماكرة:
=بالف هنا وشفا على قلبك يا أم أشرف انتي وهبة يا غالين، هو أني لو معملش لنسايب بتي هعمل لمين؟

كانت تبالغ في قولها اللين بشكل واضح، فنطقت هايدي متعجبة من حنان والدتها الذي سقط فجأة كالمطر من سماء صافية. الرحمة أبدت اندهاشها، فصوتها الخافت ترنم في الهواء المشبع برائحة الطهي:
_ يا ترى ايه اللي هيحصل؟ أنا مش متطمنة!
تساءلت أم الديب بفضول:
=بنقولي ايه؟

نطقت هايدي بفزع، وصوتها يملؤه الذعر:
_ لا ده أنا بقول خلصت تقطيع البصل.

تحدثت أم الديب بابتسامة فخر:
=جدعة يا بت.

بعد قليل من الوقت، حضرت عائلة حامد إلى منزل أم الديب كأنما يخطون إلى فخ واضح دون وعي، حاملين في أيديهم أحاسيس مختلطة من الترقب. في يد أشرف، كيس يحتوي على زجاجة من مشروب البرتقال المنعش يعكس كرمهم. وجدوا أم الديب في انتظارهم، تنبض بالشوق، حيث امتلأت عيناها بالاحترام المخلص، والودية الجذابة، وبما يعكس تقديرها لضيوفها، نطقت بإحسان:
=يا ألف مرحب... منورين الدنيا واللي فيها يا حبايبي يا غالين.
ابتسمت لهم ابتسامة خفيفة، وأردفت بمكر بصوت مليء بالدفء:
=منوريين.

خرجت نعمه من الغرفة بخجل، والزينة على وجهها تبدو كإشارة مرور لامعة تُرسل إشارة من بعيد. تقدمت ببطء، كما لو كانت في بداية فترة خطبتها وليس بعد الزواج وإنجاب طفل، ومع ذلك، كانت توضح حبها العميق لحمايتها، وتعبيرها الصادق عن رغبتها في المصالحة. أقبلت عليها بعناق دافئ يعكس الحنان، وتبادلت معها قبلات ودية تنم عن الحب الحقيقي، وهي تقول:
_ ازيك يا حماتي؟ وحشاني!

أم الديب الجزء الثاني

بادلتها أم أشرف العناق بنفس غير راضية، كأنها مجبرة على هذا اللقاء بفعل الظروف التي غرزهم فيها حامد. فقالت بصوت غير مبالي:
=بخير.

حضر الدور على عناق نعمة لهبة بشوق، واشتياق واضحين، حيث كانت نظراتها تعكس دلالة صفاء قلبها، وعمق حبها للخير. وهي تنطلق بحديثها المهتم:
_ازيك يا هبة ياختي؟
أجابت هبة ببشاشة:
=الحمد لله.

تحدثت أم الديب بحُب:
_حُش يا حامد يا جوز بتي يا غالي.
وأردفت لأشرف بابتسامة ماكرة:
_حُش يا أشرف.
وواصلت لعبد الغني بخديعة:
_ازيك يا حاج عامل ايه؟
أجاب عبد الغني بترقب، يخشى الابتسامة التي قد تفتح أبوابًا للمشاكل، فيعود منزله وهو ملتفت في ذاته، متشاجرًا مع زوجته المعادية، التي لا تقبل أم الديب، وأسرتها مهما كانت الظروف. فاكتفى بنظرة ثابتة:
=الحمد لله.

دخلت العائلة عقب نعمة ووالدتها، فأبدت نعمة بشوق، وسرور، حيث انبثقت البهجة على وجهها، وخاطبتهم بصوت ينبض بالود:
_انتوا منتصوروش أنا فرحانة قد ايه!

تحدثت أم الديب بفرحة:
=منورين الدنيا يا أم أشرف.
جلس بعض العائلة على الأريكة، بما فيهم أم أشرف، بينما جلس البعض الآخر على الحصير. فقالت أم أشرف بوجه حاد، كأنها تطلق الكلمات كنيران متقاطعة:
_الله يخليكي.

خرجت هايدي من غرفتها، واكتفت بالسلام من بعيد، وهي تنطق كلماتها كأنها تنثر بذور الاحترام في الهواء:

=ازيك يا طنط؟

ردت أم أشرف:

_بخير.

تحدثت أم الديب بحبور:

=حالاً هيكون الأكل جاهز.

تركت أم الديب عائلة حامد تنظر بدهشة إلى بعضهم في صمت غامض، ثم اتجهت إلى المطبخ بخطي ثابتة، لتنسق الطعام في الأطباق بأناقة تناسب ذوقهم المتفرد، وبعد لحظات، نزلت ليالي، وجلال مع أطفالهم، يملؤهم الشوق، ليستقبلوهم بترحيب حار. عانقت ليالي أختها بشوق شديد، وعبرت عن مدى فرحها بروية أسرتها، وهي تقبل خديها بحنان، وتقول:

أم الديب الجزء الثاني

_وحشتيني يا هبة!
بادلتها هبة نفس العناق، وقالت بابتسامة ودية:
=وانتي كمان يا ليالي.
عانقت ليالي أم أشرف بكل تقدير، وتلفظت باهتمام ملحوظ في صوتها، وهي تعبر عن احترامها العميق:
_ازيك يا أم أشرف؟
في حين الرجال يتبادلون التحيات، ردت أم أشرف بابتسامة خافتة:
=يا أهلاً وسهلاً يا ليالي يا حبيبي، عاملة ايه انتي والعيال؟
أجابت ليالي بإعزاز:
_الحمد لله كله تمام.
وقفت نعمه إزاء زوجها وسط الحضور، وقالت بنبرة تحمل العتاب، معبرة عن مشاعرها بشكل واضح:
=كده يا حمو تغيب عليا كل ده؟
رد حامد بدهشة:
_وأنا غيبت كل ده فين؟ ده أول امبارح المشاكل نزلت خبط رزع، ده أنا مكملتش كام يوم على بعض يا
نعمة.
نطقت نعمه بندم:
=حقكم على راسي أنا وأمي، ده ربنا العالم بحبكم قد ايه !

تحدثت ليالي بابتسامة:
_ربنا مايحيب مشاكل بينكم.
بينما أنتهت أم الديب من تنسيق الطعام داخل الأطباق بطريقة بارعة، نادى ابنتها نعمة بصوت ينطلق
في الهواء بوضوح:
=يا نعمة تعالي!
أجابت نعمة:
_حاضر ياما.
دخلت نعمة إلى المطبخ حيث كانت والدتها تعمل، والسعادة تتوالى في قلبها. بادرت نعمة بمساعدتها،
تحمل الأطباق المليئة بالخيرات بين يديها ببهجة، وخرجت من المطبخ لتضع الفن الذي صنعه والدتها
بيديها بعناية فوق الطاولة، بينما لم تشارك ليالي بنفس النشاط، بل اكتفت بمراقبة الأحداث من بعيد
كمشاهد، وبعد الانتهاء من تنسيق الأطباق، وقفت نعمة حياهم بتواضع، ونطقت بخجل:
=أقعدوا الأكل جاهز.
ردت أم أشرف بصوت حاد:
_احنا مش جايين ناكل!
نطقت نعمة بإصرار، وصوتها مشبع بالعزيمة:
=عيب الكلام ده يا حماتي، هو انتي غريبة؟ طب ده أمي عاملة الأكل ده مخصوص علشانكم.
تحدثت ليالي بتجمل:
_أقعدني يا أم أشرف، هو انتي غريبة؟

نظرت أم أشرف لعائلتها في صمت، كأن عينيها تحكيان الكثير دون أن تنطق بكلمة. ثم جلسوا حول
الطاولة بقلق يعترى روحهم، وسط أجواء مليئة بالترقب. في هذه الأثناء، خصصت أم الديب طبقاً بخفة

أم الديب الجزء الثاني

دم، ليكون خديعة ممتعة لأسرة حامد، ثم جلست آخر واحدة بجانب طبق اللحم المريب، وهي تنطق بابتسامة ذكية:

=طبق اللحمه دهو شايلاه مخصوص علشانكم، أبو محمد كان دابح في رمضان وبعثلي اتنين كيلو بس زي الزبدة.

تلفظ جلال بشك:

_ أبو محمد بينقي قطعة حلوة في اللحمه.

تحدثت أم الديب بسخاء عجيب، وكلماتها تتدفق كالنهر الوفير، مليئة بالكرم:

=أمال ايه؟ دي دايبه دويان... كلوا بسم الله.

شعرت أم أشرف بلحظة ندم عميق تُجاه أم الديب، كأن قلبها يخبرها أنها أخطأت في تفسير تصرفاتها بشكل غير صحيح، ومع ذلك، تغلبت على هذا الشعور بكبريائها، وفجأة، امتلأ جوفها بمشاعر الامتنان، وتحدثت بكلمات تعبر عن شكرها:

_ شكرًا يا أم الديب على العزومة ولو إني يعني كنت رافضة آجي.

نطقت أم الديب بمكر:

=ده احنا عيلة ونسايب، بقى ده اسمه كلام برضة؟

تحدثت عبد الغني بفضول:

_ أمال الحاج حنفي فين؟

ردت أم الديب بابتسامة خافتة:

=في الدكان زمانه جاي، كلوا انتوا بس.

بدأت العائلة في استمتاعها بوجبة الطعام، وروحهم مسلمة إلى قبضة يد أم الديب القاسية، حيث كانت مسغبتهم كفيلة بغمهم بشعور الريبة، وبعد نصف ساعة، انتهوا من تناول الطعام دون أدنى شعور بالغموض، حيث جلس بعضهم على الأريكة للاسترخاء، ودخل آخرون المرحاض ليزيلوا بقايا الطعام من أيديهم. في تلك الأثناء، حضر المعلم حنفي بحنانه الطيب ورفع يديه لأعلى بتحية ترحيبية كرئيس موقر بينهم، وقال بصوت ودي: َ

_ السلامو عليكمو.

ثم توجه إلى عبد الغني، وعانقه بمشاعره الصادقة، وهو يردف بكلمات تفسر مدى سعادته بلقائه:

_ ازيك يا حاج؟

لكن جلال مشاهد من بعيد يتابع بحماس سلامات والده مع أسرة حامد، وحينما حان لقاء المعلم حنفي مع زوج ابنته، تثبث به بحب شديد، وقال له بعتاب مليء بالود:

_ كده ياض غايب عن مراتك؟

أجاب حامد بخجل:

=ربنا يهدي الأمور يا حمايا، أهو شيطان ودخل بينا.

نصحهم المعلم حنفي بناءً على خيراته السابقة، ورفع يديه بحكمة، وقال بهدوء متمرس:

_ كبروا دماغكم علشان الواد محمد!

ردت نعمة، وهي مستجيبة لنصائحه:

=حاضر بابا.

أم الديب الجزء الثاني

تحدث المعلم حنفي باهتمام:

_ انتوا كلتوا؟

أجابت ليالي بابتسامة:

=سبقتك يا حمايا.

نطقت أم الديب بابتسامة:

_ أقعد ياخويا هجيبلك نايبك من جوا.

رد المعلم حنفي باشتياق، وصوته يحمل لمسة من الحنين:

=ياريت ده أني مقتول من الجوع.

دخلت أم الديب المطبخ بخطوات انتقامية، حيث بدأت بتنفيذ خطتها الدقيقة على أرض الواقع، ثم خرجت

بشبات لا يترحزح، وفي قبضتها طبق اللحم المُرِيب الذي أعدته بعناية شديدة. اندهش المعلم حنفي

لسخاءها، وعبر عن دهشته بابتسامة فضولية، قائلاً:

_ هو ايه ده يا ولية؟

أجابت أم الديب بنبرة انتقامية:

=هو أني مقولتكش ياخويا؟

رد المعلم حنفي بترقب:

_ لا مقولتيش.

تحدثت أم الديب بشر عارم، وصوتها يفيض بالخطط الشيطانية:

=ده الحنش اللي أم أشرف وهبة زقوه على بيتي ليلة امبارح علشان يلدعني ويموتني أني وعيالي.

وقفت العائلة متجمدة في المكان، كأنهم أصبحوا تماثيلًا في لحظة واحدة، وحالهم كحال من سكب ماء

حار فوق رؤوسهم، فكانوا لا يصدقون حديثها، وعقولهم لا تستطيع استيعاب ما يحدث. نظروا إلى

بعضهم بنظرات قاتلة توضح الكثير من الكارثة القادمة!

يتبع...

الفصل الخامس والعشرون

تحدثت أم أشرف بصخب عارم، معبرة عن صدمتها الجياشة التي اجتاحت كيائها، فتحركت أمعاؤها اضطرابًا، كأنها تتعانق خوفًا من الموت الذي يلوح في الأفق. لم تستطع أم أشرف أن تسيطر على مشاعرها الساخطة، التي كانت كالحمم المتدفقة من بركان غضب متأجج:

_ انتي بتقولي ايه يا ست انتي؟ اتجننتي في دماغك ولا ايه؟

اشترك أم أشرف مع والدته في صياحها اللافت للانتباه، فاحتدت نبرته وأخشن صوته، وبرزت عروقه كأنها حبال مشدودة على وشك الانقطاع، وهو ينطق بنبرته الجلفة والمليئة بالحنق المكبوت:

=ده أنا هخرب بيتك!

وضعت هبة يدها على صدرها، وكأنها تحاول كبح نبضات قلبها المتسارعة، وقالت بضجيج يملأ المكان، بنبرة مفعمة بالاضطراب:

_ يا نهار أسود!

نطقت أم الديب بقسوة قلب جسيمة، وكأنما صخر الجبال قد تجسد في مشاعرها، ونظرات الانتقام توثب من عينيها كنار مشتعلة تبحث عن وقود:

=بقى يا ولية يا عرة عاوزة تقضي عليا آني وعيالي؟ بالهنا والشفاء على قلبك الحنش ده كانت لحمته زي الزبدة، مقولتيش يعني عجبك ولا لا؟

نطقت أم أشرف بصراخ يملأ الأجواء ويمزق سكون الحي، وكأنها بركان ثائر قد انفجر بغتة، موجهة كلماتها الحادة كالسكاكين:

_ انتي أكلتينا حنش؟

تأكد جلال مما يدور في رأسه كساحر يضم طائفة من الجان يعاونونه على كشف المجهول، فحدسه كان دليلًا قويًا مدعومًا بعلاقته الوطيدة مع أسرار أم الديب الحقيرة، حيث تحدث:

=وربنا اللي في دماغي حصل، أنا كنت مقلق منك.

تلفظت أم الديب بعجيج:

_ متخافش يا ولا آني عنت طبق لحمة بقرى بحق وحقيقي ليك انت وأخواتك، إنما اللي كلته أم أشرف وعيالها كانت لحمة الحنش.

وسط أجواء مشحونة بالذعر، حيث البطون تتقلب من شدة الخوف كأنها على وشك التقيؤ، تقدم المعلم حنفي نحو أم الديب بخطوات ثقيلة، تحمل معها عبء اللحظة، ونطق بصدمة كبيرة:

=جرا ايه يا ولية؟ انتي محدش همك؟

نطقت أم الديب بصياح:

_ اترزع انت مش وقتك!

تفوهت أم أشرف بنواح يمتزج بالوعيد، وصوتها حمل معه ريحًا عاصفة من الغضب :

=ده أنا هخرب بيتك !

تشبثت أم أشرف بأمر الديب بصلابة، وكأن نزاعهما قد اشتعل وسط بركان تنصب النار فيه صبا، يحترق فيه الهواء من حولهم. بدأت المعركة بينهما كأنهما اثنان يتشاجران على حافة هاوية، والبقية حولهم يحاولون التدخل لحل الشجار القائم، مشهدًا يبدو كما لو أنه نذير هلاك لا مفر منه، ومع وطأة نسائية شرسة، سقط الاثنان على الأرض يتمرغان كالأسود المفترسة، تارة تكون أم الديب أعلى وأم أشرف

أم الديب الجزء الثاني

تحت، وتارة أخرى العكس صحيح، حتى أصبح الجميع يحاولون الفصل بينهما بكل ما أوتوا من قوة. تمكنوا أخيرًا من شدّهما بعيدًا عن بعض، ولكن المعركة لم تنته في عينيها. وسط هذا المشهد الفوضوي، فنطقت أم الديب بنواح:

_ اطلعوا برا بيتي، بس وانتوا طالعين أبقوا عدوا على المستشفى أصل كلها خمس دقائق والسم اللي في الحنش مفعوله بيدأ.

ظلت أم أشرف، وحامد، وأشرف، وزوجها، وهبة يجرون حول بعضهم بانتظار ظهور أعراض التسمم، كأن الموت يلوح لهم بموعد لقائه، حتى عاونهم جلال، وليالي وأخذوهم بالسيارة في سرعة جنونية نحو المستشفى، بغية إنقاذ الحالات الحرجة. في لحظة من الفزع، صرخت أم أشرف بارتياح:

=الحقوني، مش عاوزة أموت مسمومة!

نطق حامد بصراخ:

_ بطني بتقطع مش قادر.

رد أشرف بنواح:

=آه.

تفجرت الكلمات من فم هبة، إذ نطقت بنواح يعكس الآمها التي تكدست على مر الدقائق:

_ كان يوم أسود يوم ماسمعت كلامك وروحنا.

تفوهت أم أشرف بإعوال:

=وأنا هعرف منين إنها ناويالنا نية سودة؟

وضعت ليالي يدها برفق على كتف أختها، وكأنها تحاول أن تمنحها قوة من خلال لمسة بسيطة، وفي عينيها بريق من الأمل المتلألئ في آن واحد، وقالت بانتحاب ينبع من أعماقها:

_ متخافيش يا هبة، أنا معاكي ياختي.

نطقت هبة بصراخ:

=لو حصلي حاجة خدي بالك من بنتي!

انطلقت ليالي بانتحاب ملؤه الشجن، وكأنها تنسج من دموعها قصصًا مؤلمة تتردد أصدائها في أروقة السيارة:

_ فال الله ولا فالك، ثفي من بؤك بعد الشر، انشالله اللي يكرهك.

وأردفت لزوجها بصراخ قوي يعكس حجم الضغط النفسي الذي كانت تعاني منه:

=زود السرعة يا جلال شوية!

أجاب جلال بضجيج:

=أهو يا ليالي على أخري وربنا.

كان جلال يجري بسرعة تصل إلى درجة أنه يتسلل بين السيارات بطريقة احترافية، يندفع دون توقف ويندفع بين الزرع، متجاوزًا الأشياء المرصوفة في الشارع بمهارة فائقة، مما كشف عنه كأمر السائقين. كان تركيزه مصطبغًا بالكامل على الطريق أمامه، بالرغم من الأنباء الصاخبة والنواح المتكدرة التي تحيط به، حتى وصلوا إلى أبواب المستشفى المشرقة بأنوارها الزاهية. هرع جلال على ساقيه بمهل، حيث هول بسرعة، يلتفت إلى موظفي الاستقبال ويطلب منهم العون، فقال:

=الحقنا يا دكتور، معانا خمس حالات مسمومين.

أم الديب الجزء الثاني

خرج الأطباء، والمرضون من حصونهم المكلفة بالخبرة، ليقدموا العون الفوري للحالات الحرجة التي وصلت إلى المستشفى بحالة من الطوارئ القصوى، وبعد ذلك، فتح جلال الباب على مصراعيه بانسيابية، ممهدًا الطريق للمرضين الذين بدأوا في حمل الحالات الطارئة فوق الكراسي المتحركة، وعلى النقالة، مستعجلين في تحركهم كمن يقودون صاروخًا نحو قسم الطوارئ، وبينما يتابع جلال وليالي تلك اللحظات بخوف جسيم، استقبلهم الطبيب في طريقهم إلى المركز الطبي، وقد طال صياحه بين أروقة المستشفى، وهو يقول:

_خدوهم على العمليات بسرعة!

بينما هبة تتجه بسرعة نحو قسم الطوارئ، كانت تصرخ بأعلى ما فيها، وينطلق الصوت المشحون بالذعر عبر أروقة المستشفى الملتهبة بالنشاط. يصيها الرعب نحو شأن ابنتها المسكينة، فتنسأل في عقلها المضطرب كيف سيكون حالها إذا ماتت وتركتها تواجه الحياة بأناملها الصغيرة وحدها؟. بينما تسير بخطوات متسارعة، تعبر هبة عن ألمها العميق بهذه الكلمات الصارخة:

=آه يا ليالي.

تتبع ليالي أختها كنسر يترصد لمشكلات ما عويصة، ونطقت من دواخلها بصوت يرتفع:

_متخافيش يا هبة هتقومي بالسلامة انتي وكل اللي معاكي... قلبي عندك ياختي، ربنا على الظالم والمفتري .

وصلت الحالات الطارئة إلى قسم العمليات، فكانت ليالي تنتحب بصوت واضح يعبر عن فزعها الشديد على أختها. كانت تحتضن ابنة أختها هبة بين ذراعيها، تقدم لها حنان الأمومة بينما تغيب والدتها العليلة، وتعكس الأمل في عيونها المحملة بالدموع. نظرت ليالي إلى السماء الظليلة، تمنياً أن تخرج أختها من غرفة العمليات بأخبار مُفرحة تعيد الحياة إلى وجوههم المنهكة:

_أختي هبة... يارب أسترها معاها... قومها بالسلامة علشان خاطر بنتها ملهاش غيرها.

اقترب جلال من زوجته الباكية، وقال بصوت ينطلق من عمق الشك:

=وربنا كان قلبي حاسس إن ده هيحصل، اشمعنا أمي عملت عزومة بعد ما مسكت الحنش؟

أجابت ليالي ببكاء متقطع، وهي تمرر أصابعها برفق على شعر ابنة أختها، بينما ينبعث منها حنان ملحوظ، ورعاية لا تضاهى:

_أمك هتتاسب حساب عسير على اللي عملته، هي فاكرة نفسها هتروح من ربنا فين؟ ربنا ياخذك ويريحنا منك، امتي بقى امتي؟

ظهر ظلال المعلم حنفي، ونعمة، يتجهون نحوهم بسرعة تدل على ملاحظتهم للمجهول، حاملين على محياهم رهبة كبيرة، تتعاطم مع كل خطوة يقتربون بها من الفوضى المتكشفة أمامهم، وحينما وصلوا إلى جلال، وليالي، وأسرتهم الصغيرة، انبثقت الأسئلة من نعمه بإعوال، وهي تتلفظ:

=جوزي ماله يا جلال؟

أجاب جلال بتأثر:

_أهو دخلوهم كلهم العمليات، ربك يسترها عليهم.

نطقت نعمه بصوت باكي، ينساب كالنهر الجاري بينما يتجه حديثها باتجاه ليالي بشكل يعبر عن الخوف العميق الذي يسكن داخلها:

=جوزي يا ليالي... مش عاوزة يحصله حاجة... منك لله ياما أروح منك فين؟ أعمل ايه يارب في اللي

أنا فيه ده؟

أم الديب الجزء الثاني

عانقتها ليالي بكل أحساس، تعبيرًا عن تعاطفها العميق معها، حيث وضعت نفسها في مكانها لتشعر بنفس الألم الذي تعاني منه، ويدها تتمرر برفق على ظهر نعمة، والاثنتان تنهمران دموعًا بلا توقف، وفي لحظة من الحنان، حدثتها بود محاولةً منها لمد يد الراحة في تلك اللحظات اللصبة:
_ أمك ناوية على موتنا كلنا يا نعمة.

ردت نعمة بانتحاب:

= أنا ليه بختي أسود أوي كده؟ لما آجي الدنيا وألاقي دي أمي؟ ليه متكونش أمي واحدة تانية غيرها؟
أبدى المعلم حنفي تأثره بشدة، حتى أنه عبر عن استيائه بكلمات محملة بالشجن:
_ لا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد كان وقتًا حرجًا يمنع فيه الاستهتار، ولكن بالرغم من ذلك، نزع جلال الهاتف من يد ليالي بقسوة لافتة، كأنها عملية ميكانيكية تكشف عن طمع يتجاوز الحدود، حيث بدى الحماس يلتصق بنبرة صوته المتزايدة. تبين لليالي في تلك اللحظة المرهقة أن جلال ينوي تصوير فيديو جديد بهدف جني المال، وهذا الخبر أثار غضبها، فقاومت بقوة تلك الخطوة غير المقبولة التي تتعارض مع مبادئها الإنسانية، وبعبارة تنطلق بصدى العدالة، صرخت بصوت يملأ المبنى:

= أنت هتعمل ايه؟

أجاب جلال بجلبة:

_ هصور فيديو، ولا هو هيبقى موت وخراب ديار؟ خلينا نستفاد من أم الليلة السوداء دي، وسعي! أراح جلال زوجته بقسوة، وهو يتحدى الأزمات بكل الطرق الممكنة ليصنع فيديو يقوده إلى طريق مليء بالثروات، والمال، حلمه نهايته قصر فاخر يشرف على منحدرات الجبال، ومع ذلك، أصرت ليالي على موقفها بقوة، متحديه بلا رهبة، فقالت بدهشة:

= احنا في ايه ولا ايه؟ أختي مسمومة هي، وحماتها، وجوزها وكلهم جوا حالتهم خطر وانت هنا بتصور؟

رفع جلال يديه لأعلى بتهديد واضح، كانت تلك اللحظة مشحونة بالانقسام الداخلي، حيث بدا وكأنه يستعد للإيذاء، لكن قلبه العاشق رفض الخيار البشع هذا، فاكتفى بنبرتة المتوعدة التي تعبر عن قوة داخلية غير مستسلمة، وهو ينطق صارخًا:

_ وسعي من وشي يا ليالي خليني أصور أم الفيديو أهو يجيبنا فلوس تهدينا شوية من ناحية اللي حصل. انطلقت ليالي بجلبة مدوية، تناثرت فيها الأصوات كأنها عاصفة هوجاء تقتلع الهدوء من جذوره:
= وانت شايف إن الفلوس هتنسيني اللي جرا لأختي هبة؟

انزعج المعلم حنفي من كم الأحداث المروعة التي جاءت ملبدة برداء من الرعب المزعج، فكانت تلك التجربة مرهقة للنفوس ومنهكة للأبدان. خرج بصوته العالي، كأنه يشارك معهم في صرخة عارمة تعكس تأثره العميق لما يحدث حوله:

_ أقعدوا بقي هو احنا ناقصين مشاكل؟

وواصل لزوجته ابنه بضيق:

_ روعي يا ليالي خدي نعمة وأقعدوا ارتاحوا!

تفوهت ليالي بعناد:

= مش قاعدة يا حمايا!

أم الديب الجزء الثاني

ابتعدت ليالي عنهم بخطى ثابتة، ورحلت بعيدًا لتواصل حلقة نواحها مع نعمة، وكأنها تنوي إيصال صدى الألم الذي يخيم على أرواحهم. بينما رفع جلال الهاتف بين يديه، مستعدًا لتصوير الفيديو كما خطط له، فتلفظ بكلمات تعبر عن إصراره:

_السلامو عليكمو... يؤسفني أقولكم إن هبة أخت ليالي كلت لحمة جنشة، أه زي مابقولكم كده ومش هي وبس لا ده بالصلاة على النبي، هي وجوزها وحماتها وحماتها وخدوا الكبيره حمو جوز أختي معاهم في الليلة دي، واحنا واقفين على أعصابنا وعازيين نتظمن بس لعله خير، أنا واقف أنا وأبويا قدام العمليات مستنيين خبرهم، أقصد مستنيين الداكتور يطلع يطمننا يعني..سلم عليهم يابا!

لم يُبدي المعلم حنفي أهمية للأحداث العصبية المحيطة به، فكان رد فعله عنيفًا، حيث أشار بيديه بسخط، معبرًا عن اعتراضه، وبعد ذلك، غادر المكان هو الآخر، تاركًا جلال يواجه اندهاشًا حقيقيًا في لحظات موثقة أمام الجمهور، وبينما ينظر جلال إلى الكاميرا، نطق بكلمات تنقل ما حدث:

=أصل أبويا مالوش في التصوير والكلام دهو، أبويا راجل فلاح على قده، ربنا يديله الصحة... زي مانتوا شايفين كده المستشفى حكومي أصل البلد عندنا مفيهاش غير وحدة صحية واحدة بس أهى بتقضي الغرض، ادعولهم ربنا يقومهم بالسلامة وأشوفكم في فيديو جديد، سلام.

أغلق جلال الكاميرا بانزعاج، ورفع الفيديو على اليوتيوب بطريقة غير دقيقة تحتوي على العديد من الأخطاء الإملائية، مما يعود جزئيًا إلى نقص التعليم فقد انتمى في السابق إلى الثانوي الصناعي. كان العنوان المختار كما يلي: "هبة، أخت ليالي مرتي وحمها وحماتها فامستشفى أكلوا لحم حنش". بينما يواصل جلال التأمل فيما حدث، تابع بانبهار متجدد مع ذاته:

=هو ده الكلام... أنا حاسس الفيديو ده هينتشر شهرة من نار... قال ايه ليالي مش عاجبها، دي خايبة أهو بدل من وقفنا على الفاضي نستفاد من البورنامج ده.

ما زالت ليالي تنتحب بترج كبير على أختها، تعبر عن مشاعرها بكلمات مؤثرة، ترنو إلى أن تجد لحظة تخفف عنها الحسرة:

_يا هبة يا حبيبة أختك يا غالية، هتقوميلنا بألف سلامة انتي وجوزك وكلكم هتبقوا كويسين. مسحت نعمه دموعها برفق، في محاولة منها لاستعادة الهدوء الداخلي، وقالت بانتحاب:

=يا عيني عليك يا حامد وعلى بختك.

خرج الطبيب من العمليات، وقال لهم:

_الحالات سليمة مفيهاش أي تسمم!

انقض الجميع نحوه كما لو كانوا يلاحقون فنانًا مشهورًا يحظى بحب الجميع ويتطلعون إلى لقاءه، وفي هذا السياق، نطقت ليالي بصدمة ملحوظة، معبرة عن عجزها عن تفسير ما يحدث:

=ازاي؟

تساءلت نعمة بفضول:

_ازاي يا داکتور؟

أجاب الطبيب:

=أيوه زي ما بقولكم كده الحالات سليمة هما جالهم تسمم من عدم النظافة مش أكثر واحنا اديناهم مطهر معوي وهيبقوا كويسين، لكن مفيش أي سم والكلام الفارغ ده.

تساءل جلال بذهول:

أم الديب الجزء الثاني

_أمال مين اللي كل السم يا دكتور؟

أجاب الطبيب بوضوح:

=أنا ايه عرفني؟ الحالات اللي عندنا سليمة الحمد لله.

تركهم وغادر ليواصل أعماله الهامة، بعد أن بذل جهوده العظيمة في إنقاذ الحالات المستعجلة. في المنزل، كانت أم الديب مستلقية على الأرض، تصرخ هي، وابنتها هايدي، وكان صوتهما الوحيد يعتلي القرية، حيث يعيش الجيران في سكون، بينما هما يكابدان الألم بصوتهما المؤثر. أما أم الديب، فكانت عاشقة للنواح، تعبر بإعوال عن حالتها الصحية العسيرة:

_يا لهوتي بطني بتقطع.

تحسست هايدي بطنها بألم لا يُطاق، فتعالت صرختها عاليًا، كأنها تحاول إخراج كلماتها من بين أنياب الألم:

=انتي شكلك بدلتي الاطباق... آه.

انطلقت أم الديب بنواح عميق، فاختلفت أصواتها بالرياح العاتية وهي تحمل آلام السنين كلها في صوتها:

_آه يا خرابي يآني، الحقوني يا خلق... الحقوني يا هو... الحقوني يا عالم...يا لهوي!

صرخت هايدي بندم:

=ياريتني ما كلت حاجة من ايدك.

ظلت هايدي تزحف على بطنها بصعوبة، حتى مرت على درج المنزل البارز الذي تسبب في جرح بطنها، وفخذيها. كانت تحاول الصمود حتى وصلت إلى مدخل المنزل، ثم خرجت من الدار بأكملها مستلقية على تراب الشارع. عندما رآها الجيران بهذه الحالة، هرعوا نحوها، مقدمين لها العون، وقال أحدهم بفزع:

_مالك يا هايدي في ايه؟

نطقت هايدي بصراخ:

=الحقوني كلت سم!

تفجرت كلمات الجار بفزع واضح، إذ اهتز صوته كأنما حملته رياح الخوف، فعبرت نظراته المذعورة عن اضطراب داخلي، لذلك نطق برهبة:

_يا خبر أبيض.

حملها الجيران بأيادٍ متعاونة، مظهرين أخلاقهم النبيلة التي تحثهم على مساعدة الغير في وقت الحاجة، وبينما كان البعض منهم يصعد نحو أم الديب بعد أن سمعوا صوت صراخها المرتفع الذي شق سكون الحي، تسابقوا لحملها هي الأخرى رغم تعثرهم الشديد بسبب ثقلها، وبعد جهد جهيد وتعاون ملحوظ نجحوا في نقلهم جميعًا إلى المستشفى. هناك، وعندما وصلوا إلى قسم الطوارئ، وقف جلال مذهولاً من وصولهم في هذا الوقت المتأخر، وتلفظ وهو يجري بسرعة بين الممرات، قائلاً بفزع:

=ايه ده أمي وهايدي؟ مالكم جرالكم ايه؟

نطقت أم الديب بصراخ:

_الحقوني!

فرت نعمة مُسرعة عقب والدتها، وأختها، أصحاب الأبدان السقيمة، وكأن غمامة سوداء قد اجتاحت حياتها، تغلفها بالكآبة. كانت تنطلق بإعوالها المدوي مثل شلال لا يتوقف، فقالت بصدمة:

أم الديب الجزء الثاني

=يا نهار أسود، هايدي وأمي؟

أدخل الممرضون الحالات إلى غرف العمليات بسرعة فائقة، ينتقلون كالنحل النشيط في خلية لا تهدأ. وبينما كانت ليالي تراقب المشهد بشماتة خبيثة، تفتت شفيتها عن ابتسامة مكررة، نطقت بكلماتها المسمومة قائلة:

_يا سبحان الله فعلاً من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

تفجرت كلمات نعمة بانتحاب يائس، فقد انطلقت من شفيتها كأنها شظايا قلب مكسور:

=آه ياما آه، ربنا يسترها عليكي انتي وهايدي.

قبّل جلال ظاهر يده وباطنها، يثني على الرحمن لكونه محاطاً بحماية إلهية من دسائس أم الديب الخبيثة. قال بفرح غامر:

_أحمدك يارب إن أنا مدوقتش من الطفح اللي هي عملته.

اتسعت عينا ليالي كفتحة كهف مظلم عندما سمعت حديثه، وارتجفت بينما تذكرت حقيقة مُرة تسري كالسم في شرايينها، تماماً كما حدث للبقية. فجأة، صدرت منها صرخة مذعورة، ملأت المكان برعبها:

=أنا كلت حنة يا جلال!

نطق جلال بفزع:

_أدخلي معاهم الحقي نفسك.

اتسعت عينا نعمة بنفس الطريقة التي اتسعت بها عينا ليالي، وارتجفت بدورها وهي تتذكر الحقيقة المُرة التي اجتاحت عقلها كالعاصفة. فقالت بصوت مرتجف:

=وأنا كمان كلت!

أزاحهم جلال بجبروته نحو غرفة العمليات، وكأنه جبل متين، وقال بصياح يشعله القلق:

_خشوا كلكم، جرا ايه يابا بقى ينفع اللي بيحصل ده؟

دخلت نعمة، وليالي، يحاولان بجدية إنقاذ أنفسهم بأيديهم، بينما نظر جلال إلى المعلم حنفي بمفرده يعاني، وفي لحظة من الصمت العجيب، أطلق صياحاً طارئاً:

_مالك يابا انت كمان؟ قول إنك اتسمت انت الثاني، ده انت مدوقتش لقمة من اللي اتحطنتك.

حزق المعلم حنفي، وملامحه تكشف عن شيء مكبوت في دواخله، يطلب النجاة قبل أن يتساقط في الهاوية التي لا مفر منها. وبلا تردد، ردّ عليه بصوت متوتر:

=محصور.

فر المعلم حنفي نحو المرحاض، ويديه تلمسان بطنه كأنه يكافح لمنع نفسه من التبول، محاولاً الحفاظ على مكانته أمام الحضور، وفي اللحظات الأخيرة، وصل إلى هناك، في حين كانت العائلة برمتها داخل غرفة العمليات، مما أدى إلى تعقيد عمل الأطباء الذين كانوا يتدافعون للمساعدة. أبدى الطبيب اعتراضه على هذا السلوك الفوضوي، وصاح باعتراض:

_يا جماعة مينفعش كده، ممنوع أهل المريض يدخلوا!

أجاب الجميع بصوت واحد:

=كلنا مرضى.

رد الطبيب بذهول:

_كلكم؟ دي حاجة عجيبة جداً، انتوا كلتوا ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

انطلقت نعمة بصراخ مدوّ يمزق القلوب، وهي تقول:

=أمي أكلتنا فنة لحمة، وطلعت لحمة حنشة يا دكتور، الحقني أحب على ايدك!
سقطت نعمة بشكل مفاجئ من فوق شازلونج الفحص، ويدها تمتد نحو يد الطبيب بين الإخضاع،
والتذلل، وهي تستغيث بيأس لإنقاذها قبل أن تفقد أثر الحياة، فقال الطبيب بصوت متعثر بالتأثر:
_هنلحقم كلكم بس اهدوا!

في الخارج، كان جلال متعلقًا بهاتفه، وكل دقيقتين كان يلقي نظرة على التحديثات. كانت المشاهدات
أكثر إثارة من المتوقع، ومعظم التعليقات كانت تعبر عن الدعم، حيث كان البعض يقول "ألف سلامة"
وآخرون يطلبون "طمنا عليهم". وفي لحظة من الفرحة الشديدة، قال جلال بابتسامة واسعة:
=والله واتشهرت يا جلال.

مرت الأيام، فكانت أم أشرف، وهبة متجاهلين أم الديب، ولا يتحدثون إليها، فلم يعيدوا ثقتهم بها مرة
أخرى. هناك حكمة تقول: "لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين". بينما كان حامد في منزله مع عائلته،
والأمور كانت كما هي دون تغيير، بل على العكس زادت سوءًا بعدما قرر أن يتصالح مع زوجته في
محاولة لاستعادة حياتهما السابقة، إلا أن القدر لم يمنحهما الفرصة في إصلاح أوراق حياتهما الملتوية،
وفي الوقت نفسه، توجه جلال إلى غرفة هايدي لطلب مساعدتها في مجال اليوتيوب بما أنها أكثر خبرة
فيه، وبينما كانا يتحادثان، قال جلال:
=بت يا هايدي شوفيلي القناة كده.

انزعجت هايدي لكثرة الطلبات، فشعرت كأنها مجرد خدمة تقدمها لهم، بدون أن يكون لها أي قيمة
أخرى. بمجرد أن تنهي ما يطلبونه منها، تلاشت أهميتها. عبرت عن ضيقها بتنهّد عميق، وزفير متألم،
قائلة بانزعاج:

_كل حاجة هايدي هايدي... هو مفيش غير هايدي؟

رفع جلال يده نحو وجهها بحركة معنادة، ووجه إليها عينيه المليئتين بالقسوة، وكلماته ارتفعت بسخط
متحكم:

=متبرطميش يا بت بدل ما أسفلك على وشك!

ردت هايدي بعصبية واضحة، إذ اشتعلت في عينيها نيران الغضب، وارتفعت نبرة صوتها لتكشف عن
انفعالها، فخرجت كلماتها كالسياط:
_يوه... أهو!

خطفت هايدي نظرة متجاهلة إلى هاتف ليالي، ولتخلص نفسها من ثرثرته المزعجة، قالت بصوت مليء
بالانزعاج:

_روح استلم الفلوس وريحنا.

نزع جلال الهاتف من قبضتها بلا رحمة، وابتسامة النصر تعلو شفقيه، ثم غادر وهو يتلفظ بسعادة
متأججة:

=يا ماننت كريم يارب، أخيرًا هستلم الفلوس؟

انطلق جلال نحو البنك، وهو يشعر بلهفة تملأه، حاملاً في ذهنه الكثير من الأمور التي يجب إنجازها،
وفيما كان يتقدم بخطوات مستعجلة، كان يتأمل في الأوراق التي يجب عليه إحضارها، والإجراءات التي
يتعين عليه القيام بها. نطق جلال:

=عاوز أستلم فلوس البورنامج الأحمر يا باشا.

أم الديب الجزء الثاني

رد الموظف بدهشة:

_برنامج ايه؟

أجاب جلال بصوت مفعم بالثقة، متحدثاً بكلمات مختارة بعناية:

=اليوتيوب هو في برنامج أحمر غيره؟

رد الموظف:

_أه في كثير.

بدأ الموظف بالبحث في الأوراق بعد أخذ بطاقة الائتمان من جلال، وفي اللحظة الحاسمة عندما تم تسليم

خمسة آلاف جنيه، نظر جلال إليهم بعينين متفتحتين، وعبرت ملامح وجهه عن الدهشة. ثم ألقى نظرة

على الأموال، وقال:

=دول كام؟

رد الموظف بانشغال ظاهر، إذ تشتتت نظراته بين الأوراق، والمستندات التي تملأ مكتبه، وكأن أعباء

العمل قد طوقت حواسه، فتسربت كلماته بصوت متهدج:

_قبضك الشهر ده خمس الألاف جنيه.

نطق جلال بسعادة:

=انت بتتكلم بجد؟

تفاجأ الموظف وتلفظ بكلمات مليئة بالدهشة، إذ ارتسمت على وجهه علامات الاستفهام:

_وأنا ههزر معاك ليه؟

لم يمنح جلال لنفسه فرصة للاستماع إلى الموظف، بل سحب المال بسرعة من يده، واستلم بطاقة

الائتمان ببهجة غامرة، وعاد إلى منزله بسعادة فائقة، وفور دخوله الباب، انطلقت ليالي بزغاريد تعبيراً

عن فرحها الشديد، حيث لم تستطع تصديق ما رأته عيناها:

=خمس ألاف مرة واحدة يا جلال؟

ضحك جلال، وقال بحبور:

_أوعي وشك يا بت... ركزي معايا يا ليالي، احنا هناخد منهم ٤٠٠ جنيه مصروف البيت والباقي

هنشيله.

نطقت ليالي بانسراح:

=أيوه ياخويا ونلم القرش على القرش لحد مانشتري الشقة الجديدة... بس أوعي تعرف أمك حاجة!

تحدث جلال بتعجب عميق، إذ ارتفعت حواجب دهشته وتبدت علامات الاستفهام بوضوح على وجهه:

_وأنا عبيط؟ أمي مش هتعرف حرف عن اللي حصل، هي سايبه ولا ايه؟

جلس جلال على كنف زوجته في الأريكة، وهي تعد الأموال، وتشعر بأنها أخيراً نالت نصيبها من

الفرح، وتحقيق الأماني. بينما في الأسفل، في شقة أم الديب بعد أن علمت هايدي أخبار جلال الخاصة

قررت ردم بئر فرحته العميق، وهي تسرد أسرار له لوالدتها، ولكن أصابت أم الديب صدمة شديدة وكانت

عباراتها تنطلق بذهول:

=ايهي راح يستلم الفلوس من البورنامج يا بت؟

أجابت هايدي بشحناء، وعبارتها تنطلق ببغضاء:

_أيوه ده جايله فلوس كثير الشهر ده.

أم الديب الجزء الثاني

نطقت أم الديب باهتياج:

=أما مقالش حاجه عن الموضوع ده ولا اتكلم عنه!

ردت هايدي بنفكير:

_مش عارفة بس هو قالي.

نطقت أم الديب بامتعاض بارز، إذ اهتز صوتها بنبرة حادة تعكس استياءً عميقاً:

=ماشى يا جلال بقى بتخبي على أمك؟ وماله يا جلال .

كأنها ترسم خطتها الشرسة على جدران المشقة، حيث تنبثق الحسابات والتفاصيل الدقيقة كخيوط من نسيج الانتقام. فكما اعتادت، لا يمر موقف إزاءها إلا وتعبّر عن نفسها بشدة، تجني ثأرها بنجاح متقن. فيما نزل جلال مصطحباً لياالي عقب ظهره، كانت الأفكار تلعب في عقلها بخطط محكمة لجني ثمار الازدهار، والوصول إلى أعلى المراتب في مخططاتها المحكمة. وفي نيتهما صنع مقلب قوي في أم الديب، ليغيرا الموازين ويحققا أهدافهما بكل استراتيجية. تقدمت لياالي نحو حماتها بثقة، وهي تتلفظ بجديّة:

_هو مين اللي راكن عربيته قدام البيت ده يا حماتي؟

ردت أم الديب بلا مبالاة:

=مين يا بت؟

تساءلت لياالي بقلق:

_أنا اللي بسألك!

نطقت أم الديب بتجاهل بارد، إذ تسربت كلماتها كنسمة خفيفة، غير مكترثة ولا مُبالية:

=وآني ايه دراني ما اللي يركن يركن.

تحدثت لياالي بضجيج:

_هو انتي متعرفيش؟ دي شكلها عربية أحمد ابنك، دي داخلة في الحيطه ووشها مكسور.

ملأ صراخ أم الديب ذرات الهواء حولها، ممزوجة بالخوف، فظهرت الكلمات كأموج تضرب شواطئ الصمت المحيطة. انطلقت بخطوات مذعورة، وكانت خطواتها ترسم دوائرًا من القلق على أرضية الشقة، وهي تنوح بصوت مليء بالحيرة:

=يا خرابي...أسترها يارب لا يكون حصله حاجة!

خرجت هي وليالي إلى البلكونة، وعلى وجوههما قلق لا يخفى، يعكس تفحصهما المتوتر لتلك النائبة بنفسها. فيما كان جلال يظبط زوايا كاميرا الهاتف، استعدادًا لبدء تمثيليته البراعة على مسرح المقالب الخادعة، عيناه تلوحان حوله بخوف متزايد، خشية من هبوط أم الديب عليه في أي لحظة، وبعد أن تمعنّت الوالدة النظر هنا وهناك دون أن تجد شيئاً كما أخبرتها لياالي، خرج الصوت منها بصياح:

_ابهي هو فين ده؟ مفيش حاجة.

تحدثت لياالي بتلعثم:

=يبقى مشى يا حماتي، ربنا يسترها عليه، خلاص تعالي نخش جوا.

قالت أم الديب بقلق عميق على ابنها أحمد، إذ كان صوتها مفعماً بنبرات الاهتمام المتزايد:

_أني هتصل أتطمئن عليه.

نشبت لياالي بيد حماتها، وقالت بخرع:

أم الديب الجزء الثاني

=أه ده أنا افكرت عربية ابنك لونها نبيتي، إنما اللي خبطت عندنا لونها أزرق.
نطقت أم الديب بجلبة:
_ ايهي كده توقعي قلبي يا بت؟
ابتسمت ليالي ابتسامة حانية، تعبيرًا عن المكر الذي يختبئ في داخلها، وقالت بكل ثقة ممزوجة بالدهاء:
=خشني يا حماتي لا تستهوي.
قالت أم الديب بسخرية:
_ لا وانتى قلبك عليا أوي.
أجابت ليالي بكرامية واضحة، إذ خرجت كلماتها مشوبة بنبرة حادة وملامح وجهها تعكس مدى الاستياء الذي يغمرها:
=أمال ايه؟ ده انتى حماتي الغالية.
بمجرد دخولهم صالة المنزل واستقرارهم فيها، بدأ جلال بتنفيذ المقلب المحكم الذي كان يحضّره منذ فترة، فانطلق بصوت عالٍ يملأ الغرفة بالصياح:
_ الحقي ياما الزربية جالها قرار إزالة من الحكومة.
لطمت أم الديب وجهها بقوة، وكانت تعبر عن ذلك الفعل بنواح مؤلم، صدحت كلماتها بصدمة، وهي تنطق بكلمات محملة بالألم:
=يا لهوي.
وأردفت بصدمة:
=انت بتقول ايه؟
كاد جلال أن يبكي لحزنه، فخرجت كلماته بنبرة مهزوزة، تعكس مدى الأسى الذي يختنق به:
_ زي ما بقولك كده ياما... أبويا لسه مكلمني في التلافون وقالى الحكومة بعته إن الزربية لازم تتهد.
رفعت أم الديب يديها الاثنتين نحو السماء، كأنها تتوسل بكل يأس. صدحت بصراخ يهز أسس المنزل، وكلماتها انبعثت كصدى يُوقظ الأموات من قبورهم:
=يا خرابي، الزربية اللي عيشت طول حياتي أبني فيها وطلع عيني عقبال ما اتبنت وفي الآخر الحكومة عاوزة تهدهالي بكل سهولة؟ يا خراب بيتك يا أم الديب يا مصيبتك السوداء.
كأنها دجاجة تسعى للإباضة، وهي تطوف في أنحاء المنزل، صوتها الغليظ يلفت الانتباه، ولا يفارق أذانهم. وفي محاولة من جلال لإثبات نجاح الفيلم المصطنع الذي صنعه بمكر بمساعدة زوجته، جلس وقال بحالة من الاستياء العارم، وكأنه يحاول إخفاء شعوره الحقيقي:
_ أنا مش مصدق إن الزربية هتتهدي ياما، ده أنا اتربيت فيها وليا فيها ذكريات كتير.
جلست ليالي على سيف زوجها، تتأرجح يديها فوق ساقها، وكلماتها تنطلق بالاستياء، معبرة عن مشاعرها بشكل مؤثر:
=يا حول الله يارب، ايه المصايب اللي بتتحدف علينا دي؟ مرة موت ستك، ومرة أختك وجوزها يتخانقوا ويسبيلها البيت ويمشي، ومرة أمك تدخل السجن، ومرة الحنش يدخل بيتنا، ومرة الزربية يجيلها قرار إزاله... يا حول الله يارب ايه اللي بيحصل ده بس؟
نطق جلال بضيق:
_ مش عارف يا ليالي، المصايب عمالة تتحدف علينا ورا بعضها.
تلفظت أم الديب بنواح:

أم الديب الجزء الثاني

=يا عيني عليكى يا بسمة وعلى بختك المايل، عمرك ما شوفتي يوم عدل، ملكيش حظ في حاجة، لا جوزك ولا عيالك حتى الزريبة اللي شقيتي فيها هنتهد، لا آني زريبتى محدش يقرب ناحيتها، اللي هيفكر يقرب ناحيتها آني همسحه من على وش الأرض!
تحدث جلال بتأثر عميق، إذ ارتجف صوته بخشونة، وبدت علامات التأثر واضحة على وجهه:
_ خلاص ياما آدي الله وآدي حكمته، هنعمل ايه طيب؟
قالت أم الديب بصخب:
=جاك عملك في لقمة يا ولا، آني بيتي محدش يهوب ناحيته هما مش عارفين آني مين ولا ايه؟ ده آني أم الديب!

أبدت ليالي تعاطفها، وكانت نبرتها متأثرة، تنطلق كلماتها كمنبع ينبعث منه الاستياء:
_ معلش يا حماتي إرضي بنصيبك، ده حتى البيت قديم وحالته حالة، حوسة علينا وعلى بختنا.
ردت أم الديب بصياح:
=وانتي مالك يا بت؟ طلعي نفسك منها... ده بيتي آني وآني اللي تعبت فيه بيقى تنقطينا بسكاتك!
نطقت ليالي باهتياج شديد، إذ تجسدت نبرة صوتها في موجات متقلبة من الانفعال، وكأن كلماتها كانت تخرج كالنار من فمها:
_ بقولك ايه يا حماتي اعدلي نفسك معايا ألا وربنا هتجنن!
قالت أم الديب بضجيج:
=مسمعش صوتك يا بت دباح الحمير بدل ما أقوم أرنك علقة سخنة !

تلفظ جلال بجلبة:

=بس ياما، بس يا ليالي!

وسط أجواء مشحونة بالشجار، نهض جلال وهو يضحك بصوت عالٍ، ما أثار دهشة أم الديب التي نظرت إليه بنظرات متسائلة. ثم قال بنبرة منتصرة، كأنه ينوي تأكيد نقطة معينة:
_ شربتي المقلب زي كل مرة ياما؟

قالت أم الديب بدهشة، إذ ارتسمت على وجهها تعبيرات الاستفهام والحيرة. كانت محاولة يائسة لفهم واقع غير متوقع:
=انت بتقول ايه يا ولا؟ مقلب؟ انت بتعمل فيا مقلب؟

ضحك جلال بلا حدود، ثم أشار بإصبعه نحو الكاميرا، وكلماته تنطلق بإيماءة واثقة، وهو يرغب في لفت الانتباه إلى جانب محدد من الموقف:
_ أه ياما، بس بصي للكاميرا واضحكي للناس.

انترعت أم الديب نعلها فوراً، لا تتردد لحظة في الوقوف على وطأة ابنها، وزوجته الممثلة، حيث شعرت نفسها كجريح يطارد فريسته بلا هوادة بينما تهرول خلف جلال وليالي، وتتربص بنية صلبة

أم الديب الجزء الثاني

على الانتقام. هرب الاثنان ببراعة على درج المنزل وصعدا إلى شقتهما، فاكتفت هي بمطاردتهما إزاء شقتها، وقالت بصوت يضمن الوعيد الحار:

=ماشي يا جلال انت ومراتك ماشي، لولا إن رجلي تعبانى كنت طلعتكم بس أني هوريكم، قال الدار هيتهد قال، ده في أحلامك... والنبي مآني فاهمة ايه حوار البورنامج ده، ده الواد من ساعة ما عرفوا وهو ليل نهار ماسك التلافون... ماهو طبعا يجري ورا الفلوس جري المهم ينفذ للمحروسة ليالي طلباتها.

يتبع....

الفصل السادس والعشرون

عندما دخلت أم الديب الشقة وأوصدت الباب بعنف، انطلقت كلماتها من أعماق روحها كالسياط، تدينها في أخلاقها، وكأنها تفرغ أعباء روحها المثقلة على من حولها، وبعد مرور ستة أشهر، قرر جلال أن يصطحب زوجته لشراء شقة بالتقسيط، مجسدًا دور فارس الأحلام الذي يحقق أمانها، ويكون لها ظهرًا وسندًا لا ينحني أمام صعوبات الحياة. تهيأوا للرحلة بفرحة تغمر القلوب، وارتدوا أفضل ما لديهم كأنهم ذاهبون إلى حفل باذخ، فقد كان هذا اليوم بالنسبة لهم عيدًا مشهودًا، وفي هذا اليوم المميز، عاد حسين أخو المعلم حنفي، وابنه زياد من غربة طويلة إلى أرض الوطن الحبيبة، مصر. تجهز المعلم حنفي لرؤية أخيه بعد فراق سنوات، فاشتد شوقه وزاد نبض قلبه، فصعد إلى شقة جلال، وأوصاه قائلاً:
_متأخرش عليا يا جلال، هنروح نجيب عمك وابنه من المطار ده بقاله سنين مرجعش، ياه الغربة وحشة أوي.

رد جلال بألفة وكل كلمة تنساب من شفثيه بلطف، مجسدةً عمق صداقته ودفء مشاعره التي لا يمكن إخفاؤها:

=ربنا يرجعه بالسلامة يابا، أنا هاخذ ليالي وهنروح نشوف الشقة وندفع أول مبلغ من قسطها، بس أوعى تجيب خبر لأمي ألا دي بتوقفنا المراكب السائرة!
تحدث المعلم حنفي بابتسامة:

_لا يا جلال متخافش، أمك مش هتعرف حاجة عن الموضوع ده، ومبروك يا ض على الشقة الجديدة.
عانق جلال والده بحب جارف، وضغط على كتفيه بقوة، ثم قال بصوت مفعم بالعاطفة:
=الله يباركك يابا.

ونادى زوجته باستعداد:

=يلا يا ليالي!

خرجت ليالي من الغرفة وهي ترتدي عباؤها الفاتنة التي قسمت جسدها بأنوثته، وبرزت خصرها بينما سترت بقية تفاصيلها برشاقة. غادر الجميع كلٌ إلى وجهته المحددة، بينما كان الأطفال يلعبون، ويمرحون في شقة أم الديب. قرر المعلم حنفي التوجه إلى المطار برفقة ابنه أحمد لاستقبال جزء من روحه المتجسد في أخيه، وليواصل صلة الرحم المقدسة. في سيارة جلال، قالت ليالي له:
_يارب الشقة تطلع زي اللي في الصور.

رد جلال، وعيناه تركزان على الطريق أمامه بنظرة ثابتة:

=وهما هيستفادوا ايه لما يعملوا كده؟

نطقت ليالي بشك:

_يمكن مش راضية تتباع، فقالوا يجيبوا رجلين الناس بكام صورة حلوة، أصل الشقة اسم الله عليها شرحة وبرحة.

رد جلال بصوت حاد، وكلماته تقطع الهواء كالسيف، بينما كان يتجنب السيارات على الطريق بحركات سريعة، ومهارة فائقة:

=محدث يقدر يضحك عليا، هو أنا أي حد ولا ايه؟

نطقت ليالي بحب:

أم الديب الجزء الثاني

_ لا ياخويا محدش يقدر، ده انت أسد.
ضحك جلال ضحكة ملؤها المرح، ثم قال بصوت يغمره البهجة، ونفيض منه السعادة:
=أمال ايه؟ ده أنا جامد أوي، ما بقولك طلعي التلافون صوري فيديو واحنا رايحين نشوف الشقة.
استجابت ليالي لمطلب زوجها حينما استخرجت هاتفها باستعداد، مُعبّرة عن سعادتها وهي تعيش دور المشاهير، حيث أجابته بثقة بالنفس:
_وماله يا جلال، ده احنا خلاص بقينا نشاركهم كل حاجة في حياتنا، هو احنا بقى لينا غيرهم؟
وجهت ليالي الكاميرا نحو وجهها، وهي تتحدث بطلاقة، مع غمرها لنبرة ريفية مميزة، تنطوي على بعض الهجاء الساقط الذي لم يُلبث أن أثر على نيرتها:
_ صباح الفل عليكم يا حبايب قلبي، طبعًا انتوا هتقولولنا رايحين فين؟ أنا هقولكم، وأخيرًا يا حبايب قلبي هنروح نشوف الشقة الجديدة... احنا شوفناها صور بس النهارده رايحين نشوفها على الطبيعة... هي حلوة أوي وياريت تطلع زي اللي في الصور، ادعولنا دعوة حلوة!
جاء أحمد لزيارة المعلم حنفي ومن ثم يأخذه ليذهبوا معًا إلى المطار، ثم يجلبوا عمه، وابنه، ويعودوا إلى المنزل، يبدو أن هذا اليوم سيكون مرهقًا للغاية. بينما نشبت سيليا بشغف وأصررت على مرافقته، تتبعه كظله في كل مكان، فأصبح أحمد يحتل مكانة الأب المحنك لابنته الصغيرة، يمنحها الحب، والرعاية التي كان يفقدها في منزله العائلي، وبمجرد إشارة من سيليا نحو ما ترغب فيه، يتدخل أحمد كالساحر بتحقيقه لرغباتها فورًا، كما لو كان يمتلك فانوسًا سحريًا، وأثناء انتظارهم في حالة من الترقب، قال أحمد في الهاتف:
= لا يا جميلة متقلقيش على سيليا هي معايا ومش هسيبها من ايدي!

تفوهت سيليا بنبرة عالية، وكأنها تريد أن تسمع العالم بأسره:
_ جدو حنفي جاي يا مامي!
تحدثت جميلة بقلق، وصوتها يتردد بنبرة متوترة:
=طيب يا حبيبتي خدي بالك من نفسك ومتسيببش باباكي ولا تبعدني عنه!
نطقت سيليا بسعادة، وابتسامة مشرقة تضيء وجهها:
_أوكي يا مامي متخافيش، أنا مش صغيرة!
ضحكت جميله، وقالت بتأكيد:
=طيب يا روجي خدوا بالك من نفسكم.
أجاب أحمد، وسيليا في نفس اللحظة، وكأنهما كانا متفقين على الرد مسبقًا باندماج، وتناغم مثير للإعجاب:

_حاضر.
نطقت جميلة بود، وصوتها يفيض بالحنان:
=باي.
تفوه أحمد، وسيليا في ذات الوقت، وهما يعبران عن نفس الرد بلسان واحد:
_باي.

تقدم المعلم حنفي بجلبابه الفضفاض وسط الرياح القوية التي كانت تتلاعب بأطراف ملابسه، وفتح باب السيارة بيده العجوز التي تظهر عليها علامات الزمن، وركب السيارة بتأني، ثم التفت نحوهم، وقال بحب:

أم الديب الجزء الثاني

=حمدالله على السلامة يا ض.

عانقه أحمد بحنان عميق، وضمه إلى صدره كأنه يحاول أن ينقل له كل مشاعره الصادقة، ثم قال بإحسان وصوت مليء بالمودة التي لا تخفى على أحد:
_الله يسلمك يا بابا.

نطق المعلم حنفي بتتيم، وكلامه يحمل الحكمة العميقة:
=ازيك يا سوليا يا حبيبة جدك؟

سحب المعلم حنفي حفيدته نحوه برفق، ينقل لها حنانه العميق وهو يقبل وجنتيها الورديتين الناعمتين، ولكن ردت سيليا بنظرة ممزوجة بالبراءة:

_ازيك يا جدو انت؟ احنا هنا من بدري!

نطق أحمد بابتسامة:

=لا يا سيليا بطلي كذب احنا لسه جايين.

ضحك المعلم حنفي، وهو يقول بصوت مليء بالبهجة:
_يا بت يا بكاشة.

أدار أحمد مفتاح السيارة بحركة مفعمة بالثقة، واستعد لرحلة طويلة كان يتوق إليها منذ زمن، ثم قال بحماس يشع من عينيه وكلماته:

=نطلع بقى... بسم الله.

تحدث المعلم حنفي باطمئنان، وصوته ينبعث منه السكينة:

_توكلنا على الله... ده عمك هيفرح بيكم أوي.

تحرك أحمد بالسيارة بين شوارع القرية ببطء متأن، وبدأ يسير باتجاه الطريق الذي سيخرجون منه إلى الطريق العام، حيث تعكس الأشجار المورقة والبيوت الريفية البسيطة الجمال الطبيعي للمكان. يملأ صوت المحرك الهادئ ويتداخل مع أصوات الطيور المتباينة التي تغرد بفرح في الصباح المبكر، في حين يسود الشوق الشديد داخل قلب أحمد للقاء عمه حسين، وابنه، وهو يقول:

=واحنا كمان، ده أنا آخر مرة شوفته كنت في ثانوية عامة.

نطق المعلم حنفي بحنان مع رؤية الطريق المتموج أمامه، حيث تمتزج أصوات الرياح المنعشة بروائح الأرض المبتلة بنسمات الصباح، مشيرًا إلى الطريق الذي يمتد أمامهم كمسار يعبر عبر أزقة الأمل:

_أكل العيش مُر، بس الأمر منه الغربية... يلا ربنا يرجعولنا بالسلامة هو وزياد ابنه.

أجاب أحمد ببشاشة، وابتسامة واسعة ترتسم على وجهه، تعكس وداعته:

=يارب يا حبيبي.

عندما وصل جلال، وليالي بعد ساعتين إلى وجهتهم المقصودة في حي لا يشبه كثيرًا الحي الذي يعيشون فيه، تفاجأوا بمنطقة نابضة بالحياة والنشاط، حيث تفوقت بكثير على بلدهم القديم من حيث النظافة، والتنظيم، والخدمات. خرجوا من مصعد العمارة الفاخرة ودخلوا إلى شقتهم الجديدة، وفي لحظة من الفرح، قال جلال بابتسامة واسعة تملأ وجهه:

_السلامو عليكمو.

مد مالك الشقة يده لجلال، بينما تألق بابتسامة ودية تعكس حسن استقباله، وقال باحترام:

=وعليكم السلام... اتفضلوا!

نطق جلال باستعداد، ونبرته تصف الجاهزية:

أم الديب الجزء الثاني

_يا مسهل الحال.

بدأ جلال، وليالي، والمالك يدورون في الشقة بشغف حار، كأنهم يمشون على أرض الأحلام. كلما استقرتا عيناها على موضع، نقشت رغبتهما فيه، حيث شرح المالك لهم تفاصيل تخص الشقة بأسلوب موضوعي، ودقيق، وفي لحظة من التأمل العميق، قال بابتسامة:

=زي ماننوا شايفين كده، الشقة ثلاث أوض وريسييشن... المطبخ أمريكي والرخام فيه جرانيت. انهدهش جلال من جمال الشقة، وروعة تقسيمها، حيث كل زاوية، وكل مساحة في الشقة كانت مرتبطة بطريقة مدهشة تبرز فن النظام الداخلي، وفي لحظة من الدهشة الصامتة، نطق جلال بإعجاب:

_ اللهم صلي على النبي... لا حاجة فخمة.

تلفظت ليالي بإعجاب ملموس، حيث تأملت حولها بعينين مشرقتين بالدهشة:

=ماشاء الله طب والله تستاهل تمنها وأكثر.

تحدث مالك الشقة بابتسامة متواضعة تنعكس على وجهه، تعبر عن رغبته الصادقة في أن يجد جلال، وليالي إعجابًا بعقاره الذي يقدمه للبيع، وكانت كلماته تتناغم مع الهواء الدافئ الذي يملأ الصالة:

_ الأوض واسعة زي ما حضراتكم شايفين وفيها حمامين واحد للضيوف، وواحد لأصحاب الشقة. نطق جلال باندهاش، حيث تعكس عبارته عجبته الشديد:

=يا سلام يا سلام هو ده الكلام... طب والتقسيم كام في الشهر؟

أجاب مالك الشقة بنبرة هادئة وقام بعرض التفاصيل بوضوح، حيث كانت كلماته مشبعة بالاحترافية:

_ المفروض بنقسط الشقة على أربع سنين، هندفع مقدم ١٥ ألف، وهنقسط الباقي خمس الألاف كل شهر. تفوهت ليالي بابتسامة رقيقة، تعكس سعادتها ورضاها في تلك اللحظة:

=هي غالية شوية بس الشقة فخمة أوي أوي.

رد جلال بإعجاب:

_ هي أه في منطقة شعبية بس حلوة.

تلفظ مالك الشقة بالكلمات بوضوح، حيث كانت نبرته تعكس تفصيلًا دقيقًا، متحدًا بطريقة رسمية ومدروسة تعبر عن جديته:

=لا يا أستاذ دي بعيد عن الحارات، وزى ما حضراتكم شايفين كده.

خرج المالك بهم إلى البلكونة، ووجه نظرهم نحو المنطقة الشعبية المحيطة بها، وأشار بيده بتأكيد كأنه يوضح لهم أن الشقة لا تقع في منطقة شعبية، وفي لحظة من الصفاء، قال بابتسامة مشرقة:

=الحارات جوا بعيد خالص والعماره في أول الطريق وزى ماننوا شايفين كده بتطل على الدائري. ردت ليالي بسعادة مشرقة تنبعث من عينيها كنجمة مضيئة في ليلة صافية:

_ يا سلام ولا الشمس خابطة فينا، دي هواها يرد الروح.

نطق جلال بنهم:

=طب ايه بابا مش هتنزلنا سعرها شوية؟

أجاب مالك الشقة باعتراض ملحوظ، وقد اتسم صوته بنبرة جادة، بينما كان تعبير وجهه يعكس عدم رضاه:

_ لا دي سعرها قليل مش محتاجة أنزل فيها، دي تعتبر أقل شقة في المنطقة دي كلها!

تحدث جلال بتفكير عميق، حيث تعكس عبارته تأملاته:

=طب ما تعمل معانا الواجب شوية عن كده!

أم الديب الجزء الثاني

صرح مالك الشقة برفض قاطع، وقد كانت نبرته حازمة، معبرة عن حسمه التام لموقفه، بينما كان وجهه يحمل تجاعيد الإصرار، قائلاً:

_ لا والله مقدرش أنا كده هخسر في تمنها كثير.

تفوهت ليالي بأسرارها الصامتة:

=تعالى يا جلال عايزاك في كلمتين!

وسحبته بعيداً، وتحدثت بصوتٍ منخفضٍ، فقد كانت رغبته الجامحة في امتلاك الشقة تفوق كل المعوقات، حيث تغاضت عن سعرها المرتفع من أجل التخلص من معضلات أم الديب، محاولةً إقناع زوجها:

=انجزلنا فيها دي لقطه قبل ما حد ياخذها قبلنا!

رد جلال بصوت خافت:

_ يا بت انتي مش شايف سعرها عامل ازاى؟ لأ وايه لسه على الطوب أمال لو وضبناها هتعملها كام! نطقت ليالي بالحاح:

=مش مهم بس في الآخر هتبقى بتاعتنا و هتعيش معانا طول العمر بدل قاعدة أمك اللي كلها مشاكل مبتخلصش.

لكن جلال، بإصراره الذي فاق إصرارها، لم يكن يعتاد على الاستسلام لمشكلات والدته المستمرة، فشخصيته الصارمة كانت قادرة على المواجهة، حيث يستطيع تحمل والدته المنفرة، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يكن مستعداً لقبول دفع مبلغ جسيم بهذا الشكل، لذا أجاب:

_ يا ليالي افهمي الشقة دي هتبيعنا اللي و رانا واللي قدامنا، دي هتبيعنا هدمونا ذات نفسها.

نطقت ليالي بالحاح:

=ولا هتبيعنا هدمونا ولا حاجة، كل يوم نعمل فيديوهات ياخويا والفلوس هتزيد كل ما حنا نزود بس انجزلنا فيها قبل ماتطير من ايدينا!

تحدث جلال بوجه ساخط، وقد كان وجهه مغطى بتجاعيد الاستياء، بينما تصاعدت نبرة صوته بدرجة تصف سخطه من الوضع:

_ ده انتي اللي يمشي وراكي يغرق.

ردت ليالي بصوت حاد:

=وربنا ما حد هيغرقنا غيرك انت!

عاد جلال إلى مالك الشقة بخطواته الجبارة، كأنها صدى يجلجل في أرجاء المكان، ونطق بصوته الجلف الذي اخترق الضوضاء:

_ طيب يا باشا الشقة دي تلزمننا.

نطق مالك الشقة وهو يخطو خارج الشقة، كأن كلماته تترك أثرها على جدران المكان:
=اتفصلوا معايا نكتب العقد.

خطا الزوجان خلفه إلى المكتب، تتعانق خطواتهما في تناغم، بينما نطق جلال في أذن زوجته، هامساً كنسيم الليل الهادي:

_ ارتاحتي ياخوتي؟

أجابت ليالي بسعادة، وابتسامتها تضيء وجهها كأشعة الشمس في صباح مشرق:

=وقلبي هدى.

عند أم الديب، كانت تجلس على الأرض تأكل الخص بشرهة كأرنب ساغب بين الحشائش، فيما كان حفدتها، وهايدي جالسون أمام التلفاز، يشاهدون الأفلام لعلهم يكبحون الملل الذي تسلل إلى نفوسهم، ويحاولون التخلص منه بأي وسيلة، عدا نعمة التي كانت منهمكة في المطبخ، تعاني من حرارة موقد الغاز، وصوت غليان الطعام الذي يغزو أذنيها كموج البحر الهائج، وفجأة تغير حال أم الديب تمامًا حينما تذكرت عودة حسين، أحد أعدائها، بعدما ظنت أنها تخلصت من رؤية وجهه الذي يثير غضبها كالنار في الهشيم، فقالت بانزعاج:

_يايدي النيلة مش كان مسافر ومرتاحين منه؟ ايه اللي رجعه بس؟

خرجت نعمة من المطبخ على صوتها الذي شق السكون، وقالت بتعجب، كأنما لم تصدق ما سمعت: =وانتي مزعلة نفسك ليه ياما؟ ده احنا بقالنا سنين طويلة مشوفنا هوش... ده لا حضر فرح جلال ولا فرحي ولا فرح أحمد ولا يسمع عننا حاجة، ده هينفاجئ.

قطمت أم الديب الخص بنهم شديد ودون رحمة، وكأنها تسابق الزمن لابتنلاع كل ورقة منه، وقالت بنبرة مكتومة بينما كان الأكل يحجز حنجرتها عن إصدار الأصوات بوضوح، مما جعل كلماتها تخرج مشوشة، لكن الحنق كان واضحًا في كل حرف:

_انشالله عنه ماحضر، ومين قالك إن آني عاوزاه يحضر؟ هو آني ناقصه أبوكي لما يجييلي أخوه؟ قالت هايدي بدهشة:

=انتي محسساني إنه كل يوم هنا.

تلفظت أم الديب بضيق:

_دي جات بركة من عند ربنا إنه سافر، ايه اللي رجعه تاني بس؟

تحدثت نعمة بدهشة واضحة، وقد اتسعت عيناها، وكأنها تكتشف شيئًا غير متوقع:

=وهو ببيعملك ايه ياما؟ ما الراجل حتى وهو كان هنا، كان قاعد في شفته، ده حتى لا كان بيطلب منك تعميله أكل ولا تغسليله هدومه.

كالعادة، صوت أم الديب العالي كان يجلجل الأحياء، كرع يسبق العاصفة، وكانت تستخدم هذا الصوت كسلاح لترهيب الآخرين ودفعهم للهروب من أي جدال تشعر فيه بالخسارة حيال الطرف المقابل، فقالت بصياح:

_ليه وانتي كمان كنتي عاوزاه يطلب مني؟ هو آني كنت الخدمة اللي أخوه اشترهاله يا بت؟

تراجعت نعمة في الحال، كأنما تخطو إلى الوراء بخطوات تتسارع، وارتسم الذعر على ملامحها، والخوف يتجلى في عينيها المذعورتين، وقالت بفرع:

=مش القصد ياما هو بس...

نطقت أم الديب بجلبة، وصوتها يتعالى معبرة عن مشاعرها القوية:

_كملي تنضيف، هو احنا هنتكلم عنه ونديله أهمية كمان؟

ندمت نعمة على دخولها في جدال مع أم الديب، وكأنها استعدادت ذكريات المرات السابقة التي عاهدت فيها نفسها ألا تتناقش معها، لأنها عرفت تمامًا ما النتيجة المحتومة، والغير مرضية التي تنتهي بها، فقالت بندم تام:

=ياريتني ما اتكلمت.

أم الديب الجزء الثاني

دخلت نعمة المطبخ، وهي تستكمل مهامها بتركيز شديد. بعد نصف ساعة، وصل المعلم حنفي مع أحمد، وسيليا إلى المطار. خرج أحمد وهو يمسك يد سيليا برعاية ملحوظة، يعكس وجهه الحنين العميق لرؤية عمه وابنه الغائب. أما المعلم حنفي، فوقف هناك أمام المطار، يحدق في وجوه القادمين بعيون تتسم بالشوق والانتظار، يتمنى في صمته أن يرى وجه أخيه الحبيب الذي طال انتظاره، فقال:
_مستني عمك حسين على نار، وحشني أوي أوي.

لم ينظر أحمد لوالده بل عانقت عيناه الهواء حوله، وكأنها تحلّق في فضاء الانتظار، يتأمل بعمق في كل تفصيلة من المكان، ومع ذلك، قال بانشغال:

=والله يا بابا هو وحشنا كلنا وخصوصًا زياد، عارف؟ زياد بيفكرني بنفسي... أنا، وهو، وهادي فينا حاجات كثير من بعض.

نطق المعلم حنفي بسعادة:

_أمال ايه مش متربيين مع بعض؟

رد أحمد بابتسامة دافئة، تتلألأ على وجهه كأشعة الشمس في صباح صافٍ، مما عكس حسن نواياه:
=ربنا يرجعه بالسلامة يا بابا.

أخيرًا، وصل حسين، وابنه زياد، حيث كان الأب يرتدي القميص والبنطال البسيط، يتلألأ ثناياهما ببساطة مميزة، بينما كان ابنه يبدو في ثياب شبابية فاخرة، حاملاً في يديه ساعة اليد التي تنبض بأناقة متألّفة، تضفي لمسة من الروعة على إطلالتهما، وفي أيديهما حقائبهم، يسرون ببطء متمهل على الرغم من حرارة الاشتياق الذي يشتعل في قلوبهما ويتأجج في كل خطوة، ولم يقتصر الأمر على حسين وزياد فقط، بل كان كل الركاب العائدين إلى ديارهم يلتقون بمحبة عظيمة من أحبائهم، حيث كان بعضهم ينشر باقة من الورود، والآخر يرفع ورقة في الهواء تحمل اسم رفيقه المفضل بكل حنين عميق، وعندما التقى أحمد والمعلم حنفي بأحبائهم، انقضوا عليهم بسرعة فائقة، عانقوهم بقوة في مشهد جمالي ينبض بالحب والترابط الأخوي، حيث اندمجت أصوات الضحك والبكاء في مزيج من الفرح والتعبير عن المشاعر الصادقة. وسط هذا الهمس والحب، كانت سيليا تقف بعيدة كملاك بريء، تشاهد هذا اللقاء العائلي الجميل بنظرات من الفرح الخجول، حيث نطق المعلم حنفي ببكاء، كمن ينزف كل شجونه في كلماته الهامسة:

_حسين أخويا... واحشني أوي أوي!

ازداد حسين في معانقة أخيه، وهو يلفه بذراعيه بحنان يتجلّى في كل حركة وكل نفس، كأنه يحتضن لا تفرقه الدنيا ولا تشقها، معبرًا بلهفة تامة عن الفرح العميقة بلقاءه بعد طول انتظار، حيث نطق بحُب:

=حنفي أخويا، عامل ايه طمني عليك؟

لم يبكي السنوات الماضية، ولم تزرّف منه دمعة رغم الألام المتلاصقة بروحه، ومع ذلك، بكى المعلم حنفي اشتياقًا لأخيه رفيق دربه بعد غياب دام سنوات طويلة، حيث قال بعتاب مؤثر يعكس حنينه العميق، والأسى المكبوت في أعماقه:

_بخير، بقي كل دي غيبة يا حسين؟

نطق حسين بإعزاز:

=أكل العيش مُر ياخويا.

أم الديب الجزء الثاني

نظر أحمد في وجه ابن عمه بحنان، وفي عينيه عبير الذكريات والمشاعر الدافئة التي أعادت إلى ذاكرته لحظات حياتهم المشتركة. تذكر حينما كانوا يلعبون سويًا بالطوب إزاء حظيرة والدته، برفقة جلال، ونعمة، وأولاد الخال أبو محمد، حيث تبادلوا الضحكات، واللحظات الجميلة، لكن هايدي كانت صغيرة ولم تشاركهم في اللهو، بل اكتفت بشرب الحليب وهي على كتف والدتها الحنونة، كما لو كانت بريقًا خافتًا في لوحة الطفولة الجميلة، وتذكر أيام الصباغة التي جمعتهم في الاختفاء بين أشجار القرية، وسط الرياح العاتية التي تهب على الأشجار كموسيقى خفيفة تنساب بين أذنيهم، حيث كانوا يشعرون بالأمان في أحضان الطبيعة التي تغمرهم بدفء الانتماء، وأيضًا، تذكر حينما اعتاد العم حسين أن يناديهم من شرفة منزله، لينضموا إليه لتناول البرتقال، وكانوا يتسابقون للاستمتاع بتلك اللحظات العائلية الجميلة التي تعزز من روابط الألفة بينهم. لم يصدق أحمد أن الشاب الذي يقف أمامه الآن هو نفس الطفل الصغير الذي كان يلهو، ويستمتع بكل لحظة في طفولته، فأبدى دهشته وهو ينظر إلى ملامحه بوضوح كأنه يقرأ في عينيه قصة حياتهم المليئة بالذكريات المحفورة بدقة في قلبه، وقال بابتسامة مغمورة بالحنين:

_ازيك يا زياد؟ ياه انت كبرت!

بادله زياد العناق بحُب، حيث ضمه إلى صدره بقوة وكأنما يحاول أن ينقل إليه كل مشاعره، ثم قال بصوت عذب:

=أيوه وانت كمان... ازيك يا عمي حنفي؟

تبادل الجميع الأحضان بينهم، حتى بقي زياد في حضن عمه حنفي، وأحمد في حضن عمه حسين، وفي لحظة من الدهشة الملائنة بالفرح، نطق المعلم حنفي بحبور:

_كبرت يابن الكلب، كبرت وبقيت راجل ملو هدومك.

رد زياد بحنين:

=واحشني أوي يا عمي والله.

انتهت مبادلة الأعناق، وحديث التعجب انقضى معهم، وفجأة، نظر حسين وزياد وجدوا سيليا، ذات الروح البريئة، تنظر إليهم بذهول عميق، والابتسامة الرقيقة لا تفارق وجنتيها الورديتان، فتساءلوا بصوت واحد يعبر عن الدهشة الجماعية:

_مين دي؟

ضحك المعلم حنفي، وقال بترقب:

=دي سوليا بت أحمد.

تحدث حسين بصدمة، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الدهول، بينما كانت كلماته تتدفق ببطء، تعكس مدى تأثير الموقف الذي فوجئ به:

_انت اتجوزت امتي؟

وضع المعلم حنفي يده بحنان على كتف أخيه، وقال بلهجة ضاحكة تنم عن الفرحة المتجددة:

=تعالى بس يا راجل اركب واني هقولك!

وسط الأجواء المغمورة بالضحك، اتجه أحمد نحو الحقائق وحملها بيديه، ثم توجه بها باتجاه حقيبة السيارة، في حين اقترب زياد من سيليا بذهول ولامس وجهها بيديه برقة، وهو يقول بدهشة تنبعث من عمق قلبه:

_انتي اسمك ايه؟

ردت سيليا برقة:

أم الديب الجزء الثاني

=سيليا.

قال زياد بسرور، وقد بدت على وجهه إشراقة الارتياح:
_ انتي عسولة أوي.

ردت سيليا ببشاشة:

=ميرسي.

بينما يتجهون جميعاً نحو السيارة، يلتفتون إلى نبض مزمار السيارات المجاورة، ليعيدوا قافلتهم إلى أحضان البلدة. جلس المعلم حنفي في المقعد الخلفي بجانب أخيه، وعلى ساقيه حفيدته سيليا، بينما جلس زياد في المقعد الأمامي إلى جانب السائق أحمد. واستأنف المعلم حنفي سرده لبداية قصة زواج أحمد من جميلة في غياب العم حسين، وهو ينطق بأنفاس الاهتمام:
_ يا راجل ده من سبع سنين، الواد أحمد أعجب بجميلة بت ست بسملة وقالك هي دي فاتجوزوا وجابوا سوليا، لأ وفي أسيل الصغيرة آخر العنقود يا دوبك عمرها خمس شهور بس.
تلفظ حسين بدهشة:

=ياه ده أنا كنت فاكِر إنِي هرجع الأقيكم لسه بطولكم، ألف مبروك مع إنها جاية متأخر أوي.
خرج أحمد من سكونه في السيارة، وبدأ يتحرك، وهو يقود بحذر مترقب، وفي لحظة من البهجة، قال بابتسامة:

_ الله يبارك فيك يا عمي، عقبال زياد.

رد زياد بابتسامة:

=ربنا يخليك يا أحمد.

تساءل حسين بفضول ما إذا كانت الأمور قد تغيرت في غيابه:

_ أمال جلال، ونعمة، وهايدي عاملين ايه؟

ضحك المعلم حنفي، وبينما ارتسمت البسمة على شفثيه، قال بلطف:

=جلال الله يباركله عنده حمود وتقى دلوقتي.

رد حسين بدهشة، وقد كان الاستغراب واضح على ملامح وجهه:

_ انت بتتكلم بجد يا راجل؟

أجاب المعلم حنفي بابتسامة تعبق بالفرح:

=أمال ايه؟ بس مراته ليالي بت حلال.

تساءل حسين بفضول، وعينه تنطلقان في استكشاف الحقيقة:

_ ليالي مين؟

رد المعلم حنفي بصراحة:

=ليالي بت الحاج سلامة الفار.

كان أحدهم صب مياة ناراً على رأس حسين، منذ ذلك الحين الأخير الذي شارك في مشكلة أم الديب مع عم سلامة، حتى أدرك حقيقة عداوتهم الصريحة. كيف يمكن لامرأة متسلطة بقدر عالٍ من الاستبداد أن تتقبل ابنة عدوها اللدود؟ وهو يقول ذلك بدهشة شديدة:

_ يا عم قول كلام غير ده! جلال اتجوز ليالي بت الحاج سلامة الفار؟ طب ازاي؟

نطق المعلم حنفي ببغضاء، وصوته مملوء بالاحتقار وعدم الرضا:

أم الديب الجزء الثاني

=وهي أمه كانت راضية؟ دي ورتنا الويل عشان الجوازة تتم.

ابتسم حسين، وكلماته تنطلق بنبرة من الفرح:

_ألف مبروك يا حنفي عقبال نعمة.

رد المعلم حنفي، وضحكه يملأ الجو بالبهجة:

=هو آني مقولتلكش؟ نعمة اتجوزت وخلفت محمد.

نطق حسين بصدمة:

_لا يا راجل؟ بقى كل ده حصل وأنا معرفش؟ ده أنا أخاف أقولك عقبال هايدي تطلع هي كمان متجوزة!

ضحك المعلم حنفي، وكلماته خرجت مع تلك الضحكة بسلاسة:

=لا هايدي الوحيدة اللي متجوزتش، هي راضية تتجوز أساساً؟ دي موريانا الويل وكل مايجيلها عريس

ترفضه ومش عاوزة تتجوز ولا بتطبيق سيرة الجواز.

غريب الأمر، تخلل قلب زياد لحظة من الذعر عندما تلاقت أذنيه بسيرة محبوبته الأولى، عشق طفولته،

ذاب بخياله وهو يتذكرها تنظر إليهم ببراءة من النافذة، وبين يديها عروسها المخلعة. تذكر كيف كانت

ستسقط على الأرض الصلبة، وكيف لحقها بحُب لكنها لم تشكره، بل بكت بشدة وانطلقت نحو والدتها

التي كانت تناديهما. الكثير من الذكريات تغزو عقله، وكان يعتقد أن السفر مع والده للخارج بعد وفاة

والدته سيمحو آثار هايدي من خلاياه، لكن بالعكس، ازداد حبه لها ضعفاً. استراحت روحه من فكرة

زواج هايدي، مع اعتقاده بأن النصيب قدر لها حياة وردية مع شخص آخر، فقال:

_مع إن يعني هايدي ماشاء الله عليها حلوة.

ضحك حسين، وابتسامته تنم عن خفة وفرح داخليين:

=وانت شوفتها فين؟ ده آخر مرة شوفتها كانت داخله أولى ثانوي.

رد المعلم حنفي بحبور، وقد تألق وجهه بالابتسام الواسعة:

_هايدي زي ماهي متغيرش شكلها، هي كبرت وبقيت أنسة، ربنا يحميها.

تحدث حسين باهتمام:

=ربنا يباركلك فيهم، طب والحاجة عاملة ايه؟

تغيرت ملامح المعلم حنفي فجأة، وانعكست حالته السابقة، حيث ذابت ابتسامته بمجرد سماع اسمها،

الذي يعكر صفوه. بينما تأمل حسين هذه النظرة المريية، شعر بالفزع وقال بصوت متردد:

_ايه يا حنفي مراتك جر الها حاجة؟

نطق المعلم حنفي بضيق، وقد ظهر على وجهه الاستياء:

=ده ياريت، ياريت... أهي متلقحة في البيت، دي ولية قادرة محدش يقدر عليها غير ربنا.

ضحك حسين بعدما اطمئن قلبه، ورد بسكينة:

_من يومها وهي كده... الله يمسيها بالخير كان عليها عمائل تشل.

تحدث المعلم حنفي ببغضاء، بينما كانت نبرة صوته تحمل في طياتها حدة واضحة:

=أهي عمائلها زادت أكثر من الأول، ومحدش قادر عليها.

نطق حسين:

_ربنا يهدي.

أم الديب الجزء الثاني

في مكتب مالك الشقة، ترك جلال وليالي ينتظران لحضور عقد البيع، وسط صمت يشعران به بشدة، استغل جلال هذه اللحظة لينظر إلى زوجته ويقول بصوت مهدور:
=افتحي التلافون صوريلنا فيديو.

ردت ليالي بنفكير:

_مش لما نطلع الشقة تاني؟

أجاب جلال بحماس يعكس طموحه في جني الأموال:
=عرفيهم عملنا ايه!

تحدث ليالي بتكاسل، وصوتها يحمل بين طياته خمولاً واضحاً، بينما كانت تفسر الفتور، وكأنها تبذل جهداً ضئيلاً في التعبير عن كلماتها:
_بصراحة مكسلة بس ماشي.

استخرجت ليالي الهاتف من حقيبتها، وفتحت الكاميرا، ووجهتها نحو وجهها، وهي تبتسم، تنبعث البهجة من عينيها، وقالت:

_ازيكم يا حبايبي؟ زي مانتوا عارفين احنا مستنين في المكتب عند صاحب الشقة، هيجيلنا العقد ويجي، هصورلكم الشقة، متقلقوش هتعجبكم زي ما عجبتي، دي شقة إنما ايه؟ يرمح فيها الخيل... بس والله احنا نستاهلها ده احنا شوفنا كتير.

ثم وجهت الكاميرا نحو زوجها، وأردفت:

_زي مانتوا شايفين كده، جلال قاعد مستني الراجل يجي.

أشار جلال بيديه بتعبير يعبر عن حبه للجمهور، وقال بابتسامة تغمر وجهه:

=ازيكم يا جدعان؟ أنا قاعد مستني، ولو إن جلال مبيستناش حد بس آجي على نفسي عشانكم، أمال ايه؟

تحدثت ليالي ببشاشة:

_أيوه أصل احنا ناويين نصورلكم فيديوهات كتير من الشقة الجديدة بس ادعولنا نوضبها، أصلها لسه على الطوب بس يلا ربنا المستعان... أشوفكم في فيديو جديد، سلام.

أغلقت ليالي الكاميرا بعدما أنشأت فيديو جديدًا تعتبره الأقوى في تاريخ فيديوهاتهم، وبيدين متعجلتين، فتحت تطبيق اليوتيوب لتشارك السعادة مع جمهورهم، وفي هذا الوقت الحاسم، نطق جلال ببهجة تنم عن روحه المرححة:

=ده هيبقى فيديو جامد.

بينما كانت ليالي تتأمل في فرحها المتناثر، هبت صدمة عارمة حينما تبين لها فجأة أن قناتهم قد أغلقت دون سابق إنذار أو سبب واضح، وكأنها تعبر عن الفرع، فانطلقت صرختها بنبرة مرتجفة:

_يا نهار أسود يا جلال... القناة اتسرفت!

استولى جلال على الهاتف من يد ليالي بحدة، وانفجر قائلاً باستغراب:

=وانتي ايه عرفك يا بت؟

وقفت ليالي هي الأخرى، وصدحت بصوت حزين:

_القناة مش راضية تفتح، يا مصيبيتي السوداء.

أم الديب الجزء الثاني

صرخت ليالي، وهي تعول بخوف محتشد في عينيها، بينما كانت أصابعها ترتجف من شدة القلق، وكأنها تخشى أن تكون العواقب جسيمة، في حين كان وجهها يعكس مزيجًا من الرهبة قال جلال بحسرة:
=يا خراب بيتك يا جلال.

نشبت ليالي الهاتف من قبضة زوجها، وعبرت عن خوفها بتعابير وجه مترقبة:
_ هات وريني!

فتحت ليالي حسابًا آخر لتتأكد مما إذا كان إغلاق القناة حقيقيًا أم مجرد عطل مؤقت من هاتفها، وعندما بحثت عن القناة للمرة الثانية، أكدت الكارثة، حيث اختفت جميع الفيديوهات التي عملوا عليها بجهد خلال الأشهر الماضية، ومعها ذهب آمالهم. فنطقت بأسى مكلوم:

_ يا لهوي شقانا وتعينا راح...الحقني يا جلال الحق، القناة اتسرقت.

فقدت ليالي وعيها وسقطت على الأرض بقوة، بعدما تحطمت آمالها التي كانت تتساند بها على جدار التطلع لحياة أفضل. بسرعة انقض جلال نحوها، وهو يرحها ويحاول إيقاظها، ويصرخ قائلاً:
=ليالي!

الحقيقة أن من فعل هذا الأمر هايدي حتى تتخلص من استغلالهم لها فقد عكروا مزاجها الرائق في أوقاتها السعيدة بدخولهم عليها، وإن لم تنفذ طلبات أخيها في التو والحال يسرد لها قسيمة من المسبة، أما يده فكانت دومًا مستعدة لوطأها فوق وجهها، وحينما عاد مالك الشقة إلى مكتبه محمل بالأوراق اكتشف كارثة تغزو مكتبه فقد انتهى الأمر بنقل ليالي إلى المستشفى، ومن بعد ذلك ردم حلمهم في بئر الحسرة، مرت الأيام وحاول الزوجين الرجوع إلى حياتهم الطبيعية التي اعتادوا على البقاء فيها، ونسيان أمر القناة، والرضاء بالأمر الواقع، وفي يوم من ضمن الأيام العسيرة كانت هايدي منفردة في غرفتها تسمع الأغاني، وتهرب من مرارة الواقع فجأة تلقت رسالة على الفيس بوك من زياد ابن عمها، وبسرعة فتحتها بفضول لا يوصف، فكان حديثه كالآتي:

_ هايدي أنا بحبك من زمان، وكنت متردد أكلّمك في الموضوع ده، خوفت ترفضيني، خصوصًا يعني إني سمعت إنك رافضة الجواز.

ارتسمت البهجة على وجه هايدي رغم رفضها لكن كون أحدهم يضعها في اولوية اهتماماته كقبيلة بشطب أي حزن من سطور إرهابها، وقد عادت إلى طبيعتها المعترضة، وهي تكتب له رسالة محتواها كالآتي:

=مش هقدر أتجوز دلوقتي أنا مش مستعدة، تقدر تشوف حياتك ممكن تلاقي حد أحسن مني.

كتب زياد لها، وهو متمسك بعزم لا يتزعزع على الزواج منها، معبرًا عن إصراره العميق على ألا يخسرها مهما كانت الظروف، فقد كانت كلماته مليئة بالصدق، والعاطفة، تعكس قوة مشاعره وحرصه على الاستمرار في بناء حياة مشتركة معها، قائلاً:

_ ادبني فرصة يا هايدي، مش يمكن لو جربتي تلاقي إنك كنتي غلطانة؟

كانت هايدي تخشى فكرة أن عائلتها ذو مقام رديء بين بقية البشر، وأن من يناسب هذه العائلة ويدخل في دائرتها يخسر الكثير هو وأسرته سواء كانت خسارة نفسية، أو جسدية، أو حتى مادية، فكانت زيجة أخواتها حيال عينيها كشاشة تعرض المآسي، لذا قالت بإحراج:

أم الديب الجزء الثاني

=بص أنا مش هكذب عليك، انت عارف أهلي مين، معنديش استعداد بعد ما أوافق تغير رأيك لمجرد إنهم مش عاجبينك!

لم يهم زياد كل ما تقوله هايدي من حجج فارغة، فأصراره كان يقوده نحو الزواج منها بثتى الطرق، فقال بالحاح:

_وأنا مقدرش أغير رأيي، أنا شاركي بكل حاجة عيوبك، ومميزاتك ومعنديش مشكلة! لأول مرة لم تجيب هايدي الرد القاطع مثلما فعلت في المرات السابقة، أعطت نفسها فرصة للتفكير في إن كان زواجها من ابن عمها قد يبوء بالنجاح أم الفشل، فنطقت بتردد:
=أديني فرصة أفكر.

رد زياد بانتظار، وقد اتسمت نبرات صوته بالترقب، بينما كانت ملامح وجهه تعكس الأمل:
_مستنى ردك يا هايدي ونفسي إنك توافقي.

قالت هايدي بخجل:

=ماشى يا زياد هفكر وأرد عليك.

حصل زياد على قبول في كلية التجارة، مثل أحمد أخيها، مما جعل هايدي تشعر بالخوف الشديد والتردد، وهي غير قادرة على اتخاذ قرار واضح. تفوهت هايدي مع نفسها بصوت خافت، يعبر عن القلق والحيرة التي كانت تعتربها :

=هو أنا ليه خايفة؟ مش هو ابن عمك؟ يعني مش واحد غريب عليكى وأكيد مش هيبصلك بصة وحشة زي أي حد غريب!

بدأت هايدي أن تسترجع ذكرياتهم أيام الطفولة، حيث تذكرت لحظات كانت فيها متيمة بزياد، ثم استحضرت فترة سفره التي تسببت لها في بعض الحزن، لكنها تمكنت من نسيانه مع مرور الوقت وانشغالها بمشاغل الحياة، وعندما خرجت من غرفتها، كانت مبتسمة، فتوجهت إليها أم الديب قائلة:
_مالك يا بت فاشخة ضبك كده ليه؟

تلفظت هايدي باشمنزاز:

=ايه الألفاظ المقرفة دي؟ اسمها بتضحكي ليه، ايه اللي قولتیه ده؟

ردت أم الديب بصياح، وصوتها ينم عن احتدام مشاعرها:

_وهي حنة مفعوسة زيك يا بت هتعلمني أقول ايه ومقولش ايه؟

نطقت هايدي بغرور:

=حنة مفعوسة؟ أنا مش صغيرة يا ماما واللي في سني مخطوبين ومتجوزين.

قالت أم الديب بدهشة:

_ايه ده انتي عمرك ما اتكلمتي الكلام ده يا بت، انتي عاوزة تتجوزي ولا ايه؟

تفوهت هايدي بتردد، وصوتها كان يرافقه خفوت، وعدم يقين، بينما ارتسمت على وجهها ملامح الحيرة:

=لا طبعًا، بس أنا يعني جايلي عريس، هو بصراحة قمر وحو ووسيم، بس انتي يعني...

ردت أم الديب بفضافة:

أم الديب الجزء الثاني

_انتي ايه؟

أجابت هايدي بخوف:

=ايه يا ماما مالك؟ هو حد من عيلتنا.

تلفظت أم الديب بشك، وقد بدت على وجهها علامات الريبة والتساؤل، بينما كانت نبرة صوتها تحمل شدة من التردد:

_من عيلتنا؟ تقصدي مين يا بت؟

تراجعت هايدي للخلف بسرعة، وقالت بترقب:

=زياد ابن عمي حسين.

يتبع....

الفصل السابع والعشرون

تفاجأت أم الديب، بشكل لا يمكن وصفه وتصديقه، حين اكتشفت أن ابنتها قد اتخذت قرارًا غريبًا، وغير متوقع باختيار ابن عمها، الذي كان العدو اللدود للعائلة منذ سنوات، ليكون شريك حياتها. ارتفع صوتها بصرخات هزت جدران المنزل، تعبيرًا عن رفضها القاطع لهذا القرار، وهي تقول بأعلى صوتها، مشحونة بمشاعر السخط:

_يا لهوتي زياد ابن عمك؟ يا خرابي هو أني كنت مستحمة أبوكي لما تجيبلي اللي من ريحته يا بت؟ أشارت هايدي بإصبعي السبابة على نحو حازم فوق فمها، موجهة نظرة حادة نحو والدتها، قبل أن تصيح بصوت مفعم بالانفعال:

=وطي صوتك، هتعرفي الجيران كلهم إن العريس هو زياد ابن عمي!

وقفت أم الديب أمام ابنتها بصلافة، والتوتر يتصاعد في نبرتها، وقالت بجلبة حارة:

_بقى يا بت الكلب تصومي تصومي وتفطري على زياد ابن عمك؟

اقتلعت أم الديب نعلها من قدميها بسرعة، ملوحة به في الهواء كأنها تستعد للهجوم، وفي اللحظة نفسها، تراجعت هايدي للخلف بخطوات متعثرة، وهي تقول بنواح يغمره الذعر:

=والله العظيم هفهمك... زياد محترم وكويس جدًا ده حتى يعني... ده حتى بيحبني، والمثل بيقول خد اللي بيحبك متاخذش اللي بتحبه.

انقضت أم الديب على ابنتها بصلافة لا تعرف الرحمة، ووطأت رأسها بنعلها المتسخ بالغبار، وتخبطتها بعنف يكاد يهز أركان المكان، وهي تعول بصوت متهدج:

_حب مين يا فاجرة ياللي ناقصة رباية؟ هو احنا بتوع حب يا بت؟ ايهي ده تلاقكي مدوراها معاه من بدري، ومتفقين، ومخططين وأنا في الآخر يقولولي اصحي يا أم الديب سبوع بتك هايدي بكرا، يا خرابي يا لهوتي الحقوني يا خلق بتي هايدي عاوزة تتجوز ابن عمها، يا مصيبيتي!

ظلت أم الديب تنوح بأعلى ما فيها من طاقة، كأن صرخاتها تنتزع الحياة من جسدها، حتى استنزفت كل قطرة من طاقتها برمتها، فانكسر فيها كل ما هو حي، وجلست على الأريكة تلاحق أنفاسها الرابية بتعب ظاهر، بينما كانت هايدي جاثية على الأرض تبكي بقوة، في مشهد يضي شعورًا عميقًا بالأسى. في الريف، حيث الخصوصية تكاد تكون معدومة، منزل العائلة يبدو ككتاب مفتوح يمكن لكل فرد فيه قراءة ما يجول في خاطر الآخر، ووسط هذا الجو المشحون، نزلت ليالي بعجلة من الطابق العلوي، تملأها الحيرة، على أمل سماع خبر مفزع عن حماتها المتسلطة، وخلفها الصغار يهرولون كالطيور الصغيرة خلف أمهم. وعندما دخلت إلى الغرفة، وقفت متسمة بفزع وقالت:

=في ايه يا حماتي؟

أجابت أم الديب بصياح:

_الفاجرة عاوزة تتخبط لابن عمها!

نفتت كلمات أم الديب الحزينة، التي كانت مشبعة بالترح، البهجة على وجه ليالي، التي لم تستطع أن تخفي مشاعر السعادة التي غمرتها، وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، فاندفعت نحو هايدي لتعانقها بحنان، مقدمة لها التهاني والاحتضان الدافئ، وكأن قلبها يرقص على أوتار تعب حماتها، التي طالما كانت مصدر قلق للعائلة بأكملها، لتبدو ليالي في تلك اللحظة وكأنها قد تحررت من عبء ثقيل كان يثقل كاهلها، حتى أن بريق السعادة كان يشع من عينيها بوضوح لا يمكن إنكاره، لذلك قالت:

أم الديب الجزء الثاني

=ألف مبروك يا هايدي يا حبيبتى، ربنا يتملك على خير .
عانقتها هايدي بشدة وهي تبكي بحرقة، والدموع تنهمر على وجهها بشكل لا يمكنها السيطرة عليه،
وقالت بصوت متهدج مملوء بالاستياء:
_الله يبارك فيكي.

نهضت أم الديب بكل غضبها المتأجج، مستعدة لخوض معركة شرسة لا هوادة فيها، تسعى من خلالها
لفرض سيطرتها على الجميع، وفي يدها نعلها المتسخ، الذي تحول إلى سلاحها المدافع ضد الأعداء
الكارهين الذين يحيطون بها، فنطقت بأعوال هائج:
=انتي بتباركيها على ايه يا بت؟ هو كان حد قالك إن آني موافقة؟

ظلوا في حالة هروب مستمرة، ينتقلون من زاوية إلى أخرى داخل المنزل، محاولة منهم للنجاة من
غضب أم الديب المتأجج، التي لم تستسلم أبدًا، وظلت تلاحقهم بلا هوادة، رافعة نعلها كسلاح فتاك،
وكأنها صياد في مطاردة لا نهاية لها، ورغم محاولاتهم المتكررة للاختباء، كانت عزمها التي لا تلين
تمنعها من التوقف، مما زاد من حدة التوتر في قلوب الجميع، فاندلع من ليالي رد فعل غمره الترقب،
وهي تراقب المشهد بعينين متسعيتين وخطوات مترددة، غير قادرة على التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور في
هذه اللحظة، ونطقت:

_ماجرا ايه يا حماتي؟ ماتسيبي البيت تفرح.
تلفظت أم الديب بصياح يخرم الأذان، كأنه زلزال يتردد صداه في الأرجاء. كانت كلماتها تتعالى بصوت
جريح، مملوء بقوة حادة، وكان كل حرف ينطلق من حنجرتها كان قنبلة موقوتة تثير الفزع في قلوب
الحاضرين:
=تفرح مع اللي شبهها مش مع ابن عمها.

تلفظت هايدي بتلعثم:

_ماله يعني؟ ما هو كويس محسساني إنه قتال قتلة.
ردت أم الديب بصياح مدوي، يملأ الأجواء بصدى مُرعب:
=ده لو كان قتال قتلة كنت قولتلك مبروك إنما ابن عمك يا بت؟
تحدثت ليالي بترقب:

_بصراحة انتي مكبرها أوي يا حماتي، سيبها تفرح ولا هو علشان من طرف حمايا، فمش على
هواكي؟

ردت أم الديب بنواح قوي، ينساب كالعاصفة من أعماقها:
=وانتي مالك ايه دخلك بيني وبين بتي؟
تلفظت ليالي باستياء:

_بقى كده يا حماتي؟ هو انتي لحد امتي هتعامليني إني غريبة بينكم؟
أرادت هايدي تعديل حديث والدتها القاسي، على الرغم من آلامها المكونة التي كانت تتأجج في
أعماقها، كأنها تسعى لكسب رضا زوجة أخيها، التي كانت لها مكانة خاصة في قلبها، وفي هذه اللحظة
التي تنطوي على تناقضات عاطفية، تظاهرت بأنها مدافعة بارعة، بينما كانت تقف في مواجهة كلمات
أم الديب القاسية، فاجتهدت لتوجيه الحديث إلى مسار أكثر إيجابية، مظهرة شجاعة في التعبير عن
رأيها:

أم الديب الجزء الثاني

=ماما متقصدهش، وبعدين مانتي عارفة اللي في قلبها كويس... هي بس مبتعرفش توصل الكلام صح. لم تُبالِ ليالي بمحاولات هايدي للفوز برضاءها، فتغير وجهها فجأة إلى تعبير من الضيق الواضح، وكأن سحابة من الاحتدام قد غطت ملامحها في تلك اللحظة. ارتسمت على شفيتها نبرة تحمل في طياتها الرد الجلف، وهي تقول ببغضاء:
_ أنا طالعة.

خرجت ليالي من الشقة بشجاعة، وعلى وجهها صخرة من الثبات لا يستطيع أحد تحريكها، متظاهرةً بالقوة. كانت خطواتها محسوبة، تدللت في مشيتها بهدوءٍ، وكأنها تسعى لإبراز كرامتها رغم الظروف القاسية من جانبيها، نظرت أم الديب إليها بنظرات سخرية واضحة، مستهزئةً بها، في محاولة للتظاهر بالقوة، بينما قالت:

=اطلعي ياختي كان حد ماسكك؟

صعدت ليالي وهي تطعن أم الديب في قلبها بنظراتها الحادة التي تنبض بالاحتقار، وكأن كل بريق في عينيها كان سهمًا موجعًا يوجه مباشرة نحو مشاعر أم الديب. في تلك اللحظة، وبينما كانت المشاعر المتأججة تملأ الجو، تلفظت أم الديب بحسرة عميقة تملأ صميم قلبها:

_ يا بختك المايل يا أم الديب، يادي الفضايح... أني بتي على آخر الزمن تتجوز ابن عمها؟

دخلت هايدي غرفتها، ودموعها لم تجف بعد، وهي تحمل نظرات ساخطة تجاه والدتها التي بدت محطمة لآمالها، تعبر عن غضبها العميق. كان وجهها شاحبًا، وعينيها مليئتتين بالأسى، والإحباط، بينما كانت تتجه نحو مكانها المفضل كمن يسعى للملاذ من واقع مؤلم. في تلك اللحظة، وبحالة من العصبية الزائدة، تلفظت والدتها بكلمات قاسية، تملؤها نبرة من التجريح، كأنها تنفث سموًا من الاستياء:
=خشني ياختي انتي كمان، ماننوا كلكم بتكرهوني ومش طايقنلي نص كلمة بس ماشي يا هايدي!
بداخل غرفة هايدي، حاولت تمالك أعصابها بشق الأنفس، وهي تجلس على سريرها ببطء، كمن خرج من غرفة العمليات وهو لا يزال في حالة من الضعف، دون أن يحقق أي تقدم ملحوظ. أسندت رأسها على الجدار، وكأنها تبحث عن استقرار في تلك اللحظة الفارغة، وعادت لطبيعتها التي اعتادت عليها، حيث كانت تجد الراحة في استخدام الهاتف والمكوث عليه لساعات طويلة. بينما كانت تتصفح شاشة هاتفها، تلقت رسالة جديدة من ابن عمها، الذي كان قد أرسل لها رسالة تتضمن مضمونًا يُثير اهتمامها، كالآتي:

_ ها فكرتي؟

ردت هايدي بإحباط، وقد ارتسمت على وجهها علامات الاستسلام:
=لسه.

لكن زياد كان مصممًا على الزواج منها، عازمًا على المضي قدمًا مهما كانت العقبات، ومؤمنًا أنه سيطرل يحارب حتى آخر نفس له في الحياة من أجل تحقيق حلمه. في ذلك الوقت، كان جالسًا على كرسي المنضدة في مطبخهم، الذي يطل على الحقل الزراعي، محاطًا بمهب الرياح المنعشة التي تهب من الخارج. كان صوت زقزوق العصافير يملأ الأجواء، مع غليان البراد الذي يحتوي على الشاي، والذي كان يغمر المكان برائحته الدافئة. في غياب حسين، مرر زياد أصابعه عبر شعره بتفكير عميق، وأخذ يردد بإصرار ما يجول في ذهنه:

_ فكري كويس يا هايدي، خدي اللي بيحبك، وانتي لو تدخلتي قلبي مش هتلاقي حد فيه غيرك!

أم الديب الجزء الثاني

رأت هايدي حديثه المعبر عن تمسكه بها، وإصراره الصريح الذي يكاد يكون لا يُقهر، وكان أنفاسه معها كانت أطول مائة مرة من أنفاسه مع من حوله، مما جعلها تشعر بأن محاولاته من أجلها كانت شيئاً غير مسبوق، وأنه هو الأول والوحيد الذي ظل متمسكاً بها رغم كل الظروف الصعبة. في تلك اللحظة، مال قلبها نحوه بعمق، وأدركت أن رفضها له قد لا يعود عليها بالخير، بل قد يجر معها خسارة فادحة لإنسان محب ومخلص بهذه الطريقة. في تلك الأثناء، وفي صالة المنزل، عاد المعلم حنفي ليجد أم الديب جالسة على الأريكة، وقد أسندت يديها إلى وجهها في موقف يعكس حجم تفكيرها العميق في زمام الأمور، بينما كانت ملامحها تنم عن شر مكبوت، ففوجئ عندما سأل بدهشة:

=يا ساتر عليكى ولية... مفيش مرة أدخل الأقي وشك ده مفروء؟

نطقت أم الديب بصياحٍ مدوي، كأن صوتها كان صرخة مفزعة تقطع الهدوء وتملأ الأرجاء بالاضطراب:

_وانتوا اللي يعيش معاكم يجيله نفس يفرد وشه؟

جلس المعلم حنفي على مقعده بملامح تعكس الدهشة، بينما كانت نظراته تتابع المشهد باهتمام. قال بتعجب:

=وانتي يا ولية حد جه جنبك؟

أجابت أم الديب بعجيج:

_الموكوسة بتك قال ايه جايلها عريس ويطلع في الآخر ابن أخوك، ده أني فكرته حد عليه القيمة. المعلم حنفي، الذي يشتهر بحكمته وحنكته في إدارة شؤون الحياة، ليس فقط غير معترض على زواج ابنته، بل إنه يُعدّ من أبرز الداعمين لهذا الرباط المقدس. فهو يرى في زواج ابنته من ابن أخيه ضماناً أكيدة لراحة باله وسكينة قلبه، إذ يثق تماماً في أن هذا الرجل، الذي تربطه به صلة الدم، سيكون الأمين والحامي لابنته طيلة حياتها. وفي هذا السياق، أعرب المعلم حنفي قائلاً:

=زياد كلمني وأناي الصراحة موافق، ده واد جدع وشاري بتك، ده بيحبها من زمان وكاتم في قلبه. التفتت أم الديب نحوه، وقد ارتسمت على وجهها تجاعيد الاستفهام، ثم انفجرت بصياح مدوي، ووجهت إليه سؤالاً حاداً:

_يا خرابي انت هتكسر كلمتي؟ هايدي بتي لا يمكن تتجوز الولا ده، ده بالذات لا.

تلون وجه المعلم حنفي بالحمرة، وكان موجة من الغضب قد اجتاحت وجهه، نتيجة خروجه عن شعوره إزاء سلوك زوجته المتسلطة الذي أثار استفزازه، وقد زاد الأمر من توتره، مما دفعه إلى أن يتعالى ضجيج كلماته، وهو يقول:

=آني هنا راجل البيت يا ولية!، وأناي خدت القرار وبتك هايدي هتتجوز زياد ابن أخويا.

نهضت أم الديب، وقد انقلبت على الفور إلى وحش كاسر، نشبت في ثيابه بعنف لا يُطاق، وكأنها زئير أسد هائج. في تلك اللحظة، نقشعر جسد المعلم حنفي، وكأنه يُعانق السماء من شدة دعره، وأصبح يكتسي بالبياض من هول الصدمة. محيت حروف الكلمات من على طرف لسانه، وتداخلت أفكاره، مما جعله ينطق كلمات غير مترابطة، وهو يحاول جاهداً أن يستجمع شجاعته، ويحدد ما سيقوله في تلك اللحظة العصبية:

=لا يا ولية انتي كلامك يحترم ولازم كلنا نعمل بيه برضة ده انتي أمها، هو انتي حد غريب؟

تحدثت أم الديب بصخب كان يملؤه الفظاظ، وصارم لا يُطاق:

_بتي مش هتتجوز الولا ده!

أم الديب الجزء الثاني

تراجع المعلم حنفي في الحال عن قراره، وقد سرت عليه رعشة من الخوف، وقال برهبة واضحة في صوته:

=اللي تشوفيه، بس ريحي عينيكى شوية أنى شايف عينيكى مبرقة لدرجة أنها قربت تتخلع، وياريت يا ولية تريحي أحبالك الصوتية، ده أنى زوري وجعني من صوتك.

كأن أم الديب قد ابتلعت حنجره رجل، وهي تنطق بغلاظة تززع الأوتار، حيث كان صوتها يفيض بالقسوة، وكان كل كلمة تتفجر من أعماقها كالرعد:

_ انت بتتريق عليا يا راجل انت؟

تحدث المعلم حنفي باستسلام:

= لا هو أنى أفدر؟ ده انتي بركتنا... أقعدي بس أقعدي!

جلست أم الديب جانبه، ونظراتها كانت كافية لتؤكد عدم قبولها له وكرهيتها الصريحة، حيث كانت تومض بعناد، وكأنها نار لا تهدأ، دفعت المعلم حنفي بمؤخرتها بقوة، مما تسبب في سقوطه على الأرض وهو يصرخ من الألم، مستنجدًا بصوت متألم قائلاً:

=رجلي... آه.

خرجت هايدي من غرفتها بمجرد سماعها صراخ والدها، وركضت نحوه، حيث تشبثت بذراعه بقوة، محاولة أن تقدم له الدعم في تلك اللحظات العصبية. فقالت بلهفة، واهتزاز في صوتها:

_ مالك يا بابا؟ ايه اللي وقعك؟

نهض المعلم حنفي، وهو يقاقل آثار العجز والألم الذي ألمَّ به، قائلاً بألم عارم وهو يتحسس ظهره بيدين مرتجفتين:

=هيكون مين غيرها يعني؟ أمك!

تفوهت أم الديب بصوت مخيف، كأنها تلتقط خيوط الحنق من أعماقها، وهي تصب كلماتها كالسيف في وجه المعلم حنفي.

_ انت بتتبلى عليا ولا ايه؟ هو أنى جيت ناحيتك؟

قال المعلم حنفي بسخرية:

=لا ازاي؟ أنى اللي وقعتك.

تلفظت هايدي بتأثر، وقد ارتعشت كلماتها وهي تعبر عن مدى قلقها، فقالت بصوت يقطر بالشجن:

_ أدخل جوا ارتاح يا بابا.

دخل المعلم حنفي الغرفة برفقة هايدي، التي كانت بمثابة عكازه ورفيقته في أيامه العسيرة، حيث كانت سندا له في كل محنة يمر بها، وبعدها ساعدته هايدي في الجلوس بهدوء على السرير، جلس الأب متعبًا، ومثقل الهموم، ونطق بصوت خافت، مفعم بالضعف:

=زياد كلمني وقالي يا عمي أنا طالب منك ايد هايدي قولتله هقولها وأرد عليك، فُوك ايه؟

باعدت هايدي يديها عن والدها برفق، وأحنت رأسها تجاه الأرض، مما أظهر مدى خجلها من الموقف. ثم رفعت عينيها بحذر، وقالت بنبرة هادئة:

_ أديني فرصة أفكر يا بابا.

نطق المعلم حنفي بصوت خافت، مشبع بالضعف، وكان كل كلمة يلفظها تخرج بصعوبة من أعماق قلبه المثقل بالهموم:

=فكري على أقل من مهلك عبال ما نلين دماغ أمك اللي عايزة كسرها.

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي بتفكير، وقد اتسعت عيناها بتفحص دقيق، وهي تسعى للعثور على الكلمات المناسبة لتخفف من وطأة الموقف:
_ ماشي يا بابا.

خرجت هايدي من الغرفة بهدوء، تاركة والدها ليغرق في سبات عميق، مستعيداً قواه بعد الحادثة الفتاكة التي ألمت به وأثقلت كاهله. حرصت على نزع الغطاء برفق وبسطه فوق جسده، ثم مرت بحذر بجوار والدتها التي كانت تثرثر بكلمات وضیعة في حق زوجها، تملؤها الأحاديث المسببة التي لا تنتهي، مهددة بتهيج وجدانها إلى درجة قد تصيبها بحالة جنونية من الصراخ طوال الليل إذا لم تُخرج ما يزعجها فوراً. توجهت هايدي إلى غرفتها، وأوصدت الباب برفق، مفضلةً تجنب أي نزاع محتمل مع والدتها لتفادي شجار جديد. بينما كان زياد جالساً في البلكونة، مشغول البال، ومشدود الأعصاب، يفكر في هايدي بقلق شديد، يخشى أن ترفضه، الأمر الذي سيشره بالتحطم الجسيم مدى الحياة. في تلك الأثناء، رأى والده يقترب منه بابتسامة عريضة، وبنبرة مليئة بالمحبة، قال حسين:
=أبقى أقفل الباب وراك وانت خارج.

رد زياد بانشغال:

_ ماشي.

جلس حسين إزاء ابنه، متجماً بابتسامة دافئة، وسأله بفضول عميق، عاكساً اهتمامه الصادق:
=كلمت عمك؟
أجاب زياد:

_ أه كلمته ومستني الرد.

في خضم التحديات التي يمر بها، حملت الزيجة التي يفكر فيها حسين في طياتها آلاماً وانهيارات عميقة، إذ تمنى من كل قلبه أن يرى ابنه، الذي تعب في تربيته بجهد حتى أصبح ذلك الشاب الوسيم، والجدير بالاحترام، يتزوج من ابنة ذات حسب ونسب، وأخلاق نبيلة، بدلاً من أن يتزوج ابنة أم الديب، التي عرفت بصناعة المشاكل وإثارة القلاقل، وبتصرفاتها السلبية التي لطخت سمعة الجيران، ولبسانها الدنس الذي لا يعرف الرحمة. ولذلك، قال حسين باعتراض واضح:
=بصراحة تغور من وش أمها، بس هقول ايه؟ أه في الأول والآخر بنت أخويا، وعمك حنفي عمرنا ماشوفنا منه حاجة وحشة، واللي مصبرني إن هايدي ذات نفسها مش عاجبها عمائل أمها دي.
أجاب زياد باستياء:

_ محدش عاجبه تصرفاتها لا هايدي ولا حتى أخواتها.

نطق حسين بتنهيد عميق، يعبر عن حجم الضيق، والتفكير المرهق الذي يتقل صدره، ورفع نبرة صوته بقلق:

=ولو حصل والموضوع تم، طنشلها، أصل بسمه مرات عمك عاوزة تبقى هي راجل البيت الكلمة كلمتها والشورى شورتها، وزمانها ممشية مراتات عيالها زي الألف ولا جوز بنتها نعمة زمانه بيخاف منها ويبعملها ألف حساب أصل دي مرات أخويا وأنا حافظها وياما شوفت منها أيام سودة.
نطق زياد بابتسامة خافتة:

_ لا متقلقش يا حاج انت عارف ابنك كويس وعارف إن أنا مبسمعش لحد ولا بقبل إن حد يمشيبي أنا بعمل اللي في دماغي وبس.

تحدث حسين ببشاشة:

أم الديب الجزء الثاني

= عفارم عليك ده الكلام المظبوط، انت كده ابني.
نظر زياد حوله وكأنه يسعى لوصف شيء عميق يؤلمه في نفسه، لكن التردد كان يملكه، مما جعله
يختار كلماته بعناية. فقال بنبرة هادئة:
_ أنا بس كل اللي خايف منه، هايدي متوافقش!
رد حسين بحصافة:

_ ويفرض موافقتش؟ ايه نموت نفسنا؟ حياتنا هتقف؟ الدنيا مليانة بنات على قفا من يشيل... هايدي
منفعتش شوفلك غيرها واحدة واتنين وتلاتة لحد ما تستقر.

نطق زياد باستياء عميق، وقد بدت ملامح وجهه مشحونة بالتعب، وكأن الكلمات التي نطق بها تنبع من
أعماق إحباطه:

= بس أنا بالنسبالي مفيش حد زي هايدي ولو لقيت الكون كله مش هلاقي زيها!

تحدث حسين بعقلانية:

_ سيبك من كلام الأفلام ده، الحب مبياكلش عيش.

رد زياد بإحباط:

= بس الحياة من غير حب عمرها ما هتكون حيا!

تلفظ حسين بابتسامة من الحكمة، حيث كانت عيونه تتلألأ بتعبير هادئ يعكس خبرته، وتجربته، وقال
برصانة:

_ ده بيتهينلك، في حاجات أهم من الحب: الإحترام، والتقدير.

تحدث زياد برهبة:

= يا حاج أنا مقدرش أعيش مع حد غير هايدي.

قال حسين بذكاء لامع، حيث كانت كلماته مليئة بالبصيرة:

_ بس هايدي تقدر تعيش من غيرك!

رد زياد بيأس:

= أفهم من كده إنك مش موافق؟

تلفظ حسين باعتدال، وقد ارتسمت على وجهه ملامح هادئة، ومرتزة تصف توازنه الداخلي:

_ أنا على الحياد، سايبها زي ماتيجي تيجي... هو حد يقدر يمنع أمر ربنا؟ لو ربنا كاتبهالك هتاخدها لو
كل الدنيا عارضتك، إنما بقى لو مفيش نصيب عمرك ما هتاخدها لو كل الدنيا موافقة والأمور متسهلة
قدامك.

نطق زياد بخور، وهو يقصد تعبيرًا مفعماً بالأسى، حيث كانت حروفه تحمل طابعًا من الاستسلام
للموقف الذي يواجهه:

= ادعيلي يا حاج!

رد حسين بإحسان، متمسًا برقي التعامل، وحنكة النصح، حيث كانت كلماته مدعمة باللطف، مظهرًا
تفهمه للموقف، وتعاطفه مع مشاعره:

_ بدعيلك من كل قلبي... يدبلك اللي في الخير يارب.

أم الديب الجزء الثاني

كانت ليالي جالسة في حجرة نومها، يغمرها كيد يحرق الأبدان، تفكر بقلق حول كيفية الرد على أم الديب بشكل مستفز ومؤلم كما فعلت بها، مستعجبة من الكراهية التي تكنها لها حمايتها على الرغم من أنها تحاول دائماً تقديم المحبة. لقد تجلى هذا العدوان في تصرفات أم الديب، التي أظهرت بلا خوف أي اعتبار لمشاعر ليالي، على عكس تعاملها مع جميلة، حيث كان يظهر عليها الحب، والإحسان. دخل جلال إلى الغرفة ولاحظ انزعاج زوجته الواضح، فقال لها بفضول:

=مالك مش على عوايدك ليه؟

ردت ليالي باهتياج، وقد ظهر على وجهها تجاعيد الغضب، وعكست نبرات صوتها حالة من التوتر:

_بقى أمك تكبسني يا جلال؟ وكل ما أتكلم كلمة تقولي اطلعي منها انتي؟ ماهو طبعاً لو واحدة زي جميلة هي اللي اتكلمت كانت اشتغللتها تطيبيل من هنا للصبح.

جلس جلال على كنف زوجته، وأخذ ينظر إليها بتمعن، ثم قال لها بصراحة، معبراً عن حرصه على فهم مشاعرها:

=وانتي مين قالك إن جميلة شاغلة دماغها بينا؟ دي دماغها في حنة تانية يا بت... مشغولة في حياتها اللي ياريتنا نوصل لربعها.

نطقت ليالي بعجيج:

_زود النار في قلبي كمان وكمان.

كأن جلال أطلق ناري من لسانه، وهو يقول لها بصوت صريح، مليء بالجدية:

=وأنا ذنبي ايه إنك غلاوية وغيارة؟

ازداد سخط ليالي أضعافاً، وتوهج غضبها، مما دفعها إلى أن تقول بعصبية، وقد بدت كلماتها مشحونة بالانفعال:

_أنا غيارة يا جلال؟

نطق جلال باستفزاز:

=مابقولك ايه خليني ساكت، أنا أه مبفهمش في حوارات النسوان دي، بس انتي لا مؤاخذة بتولعي حريق كل ماتيجي سيرتها قدامك.

ردت ليالي بضجيج:

_قصديك إن أنا بغير منها ولا بغير منها؟ ليه هي أحسن مني في ايه؟ طب دي كلها نفخ وحاجات مش طبيعية، والله أعلم عاملة كام عملية تجميل... مش زيي جمالي طبيعي، لا عمري روحت لداكتور وقولتله انفخلي وغيرلي... اسكت والنبي ياخويا قال غيرانة منها قال.

أشار جلال بيده في الهواء حركة تعكس اللا مبالاة، وهو يتلفظ بتجاهل، وكان الكلمات التي خرجت منه تحمل بروداً، وعدم اكتراث:

=أنا مبحبش حوارات النسوان دي يا ليالي!

أشارت ليالي له بنفس الطريقة، موضحة عدم اهتمامها لتجاهله لها، حيث كانت حركتها تعبر عن اللا مبالاة، ورفعت صوتها بجلبنة، مما أضاف إلى حديثها نبرة من الانزعاج، وقالت:

_عنك ماحبتها ياخويا، انت بتتكلم وأنا برد عليك!

تحدث جلال بتفكير:

=بس الواد زياد ده غريبة إنه أول مايرجع من السفر يطلب ايد هايدي من أبويا ده لو اللي في دماغي صح وربنا ماهسكت ولا هعمل اعتبار لحد!

أم الديب الجزء الثاني

نظرت ليالي لجلال باشمنزاز عميق، دون أن تكلف نفسها عناء الرد على حديثه الأبله، وكأنها ترد له الصفحة صفعتين، محملة إياه بمزيد من الازدراء. وفجأة، وقفت على السرير بعصبية واضحة، ودفعت ساقيه بعيداً عن طريقها بقوة، ثم خرجت إلى الصالة، تاركة إياه خلفها ليحدث نفسه كالمجنون في الغرفة. في تلك اللحظة، صرخ جلال بصوت مدوي، يشرح جدار المنزل ويملاً الأجواء بالامتعاض، قائلاً:

=ما جرى ايه يا بت؟ هو أنا بكلم نفسي؟

خرج جلال خلفها باندفاع، مستفيداً من ساقيه الطويلتين التي منحته سرعة الحركة، واندفع خلفها في محاولة لإدراكها. بينما كان يتتبع خطواتها، أطلق جلبة عالية، تعبيراً عن غضبه، قائلاً:

=ما تردي عليا زي مابكلمك!

نطقت ليالي بصياح، حيث كان صوتها يملؤه الانفعال، مما جعل كلماتها تصل إلى أذنه بوضوح:

_ غور من وشي، هو أنا ناقصاك؟

تحدث جلال بعصبية:

=ماتكبري دماغك يا ليالي، وفكك من حركات النسوان دي، ده انتي بقيتي تعملي زي العيال الصغيرة وكل حاجة تتقمصي وأنا الصراحة مليش مزاج أجري وراكي ولا أقول ولا أعيد!

ردت ليالي بصياح:

_ انشالله ما قولت ولا عيدت هو كان حد طلب منك حاجة؟

اقترب جلال من زوجته بجرأة زائدة، كما لو أنه يتجاوز كل حدود الاحترام، وتفوه بكلمات وضيعة، وبأسلوب ينم عن عدم اكتراث وتهور، وكان تأثير مخدر قد أصابه، حيث تجلى في نبراته عدم الوعي الكامل بعواقب أفعاله، مما جعل حديثه يبدو كأنه صادر عن شخص فاقد السيطرة على تصرفاته:

=أنا بعرفك بس عشان منتكلمش كثير، اتمسي وقولي يا مسا بدل وربنا هتجنن عليكى وهتبقى ليلتك

سودة!

اقتربت ليالي منه أكثر، حتى استنشقت رائحة الخمر الثقيلة التي تفوح من فمه، مما زاد من شعورها بالصدمة، وقد وضعت يدها على صدرها، محاولة تهدئة نفسها من وقع المفاجأة، ثم قالت بصياح مدوي:

_ نهارك أسود انت شارب ايه؟

تحدث جلال بسخرية:

=شارب مايه ساقعة متلجة... ماتوعي من وشي يا ليالي!

نشبت ليالي بذراعي زوجها، وهي ترجه بعنف وكأنها تحاول إعادة سمكة ضالة إلى بحرها، مستعينة بكل قوتها لإجباره على الانتباه إلى حديثها، وقالت بأسنان مضغوطة، تعبيراً عن احتقانها:

_ وطي صوتك العيال هتصحى... انت بتشرب بيرة يا جلال؟

نطق جلال بانزعاج:

=نفوخي تعبان ومش ناقص، وسعي!

أزاح جلال زوجته من أمامه بتجاهل، وعاد إلى الغرفة غير مكترث، بينما كانت هي تتبعه بخطوات مضطربة، مليئة بالإحباط. دخل إلى الغرفة واستلقى على سريره بتصرفات مهيمنة، رافعاً قدميه في وجهها بطريقة مهينة تضاف إلى إهانتته السابقة. في تلك اللحظة، وجدت ليالي نفسها غارقة في مشاعر الاستفزاز، فقالت بجلبة عالية:

أم الديب الجزء الثاني

_ ده أنا اللي هخلي ليلتك سودة، يا مصيبيتي انت بتشرب زفت؟

أجاب جلال بصياح:
=اطفي النور خليني أتخمد!
ردت ليالي بانزعاج:
_ ماشي يا جلال... ماشي.

أطفت ليالي الأنوار وخرجت من الغرفة، تاركة جلال مستلقاً على سريرته، عينيه تغفو في عالم الأحلام الهادئ، واتجهت بخطواتها الكامدة نحو غرفة أطفالها، حيث جلست على سرير ابنتها تقي، مستعدة للبدء في رحلتها الخاصة نحو النوم. طوال جلوسها، كانت تفكر بتأنٍ عميق، محاولة تصفية ذهنها من الضغوط، حتى خلدت للنوم بنفس منهكة، بينما في غرفة هايدي، كانت نائمة في ظلام دامس، تفكر بعمق في موضوع زياد، ولأول مرة تمنح نفسها الفرصة لتفكر في شخص آخر بجدية، فقالت في دخيلتها:

=ما توافقي وافرحي وفرحيه، وفرحي أهلك اللي نفسهم يفرحوا بيكي... هو بصراحة محترم وكويس وطيب ده غير إنه قمر... لا لا لا مش هينفع، ويفرض وافقتي وبعد كده سابك هتعملي ايه بقى؟ انتي ايه ضمنك أصلاً إنه هيكمل معاكي؟ ناس كتير اتخطبوا ومكملوش... مش يمكن لما يشوف ماما عن قُرب يغير رأيه؟ مش يمكن هو مش كده وانت بتفكري بطريقة سليبيه؟ اديله فرصة وجربي انتي خسرانة ايه؟ هصلي استخارة واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

ثم نامت هي الأخرى، لتستيقظ في صباح اليوم التالي، حيث كانت نائمة بجانب ابنتها تقي، وفجأة تسلل ضوء النهار من الجزء المكشوف من النافذة، متسللاً من تحت الستارة التي كانت تحجب الأضواء، ليملأ الغرفة بأشعة الشمس المشرقة التي تعلن عن بداية يوم جديد، وبينما كان الضوء ينعكس بلطف على وجهها، اكتشفت ليالي أن جلال قد ظهر فوق رأسها، يناديها بصوته الحاد الذي يملؤه أمر، كما لو كان ملكاً يأمر خادمته، مما جعلها تستيقظ بفزع من نومها وتواجه نبراته الصارمة التي لا تقبل النقاش:
_ قومي جهزي الفطار عاوز أنزل الشغل.
لم توجه ليالي نظرها إلى جلال، بل اكتفت بالاستدارة قليلاً والابتعاد عنه. فتحدثت بصوت ساخط، فيفيض بالاستياء:
=مفيش فطار.

اقترب جلال منها أكثر، وكأنه يتمنى أن يكون رد فعلها على هذا النحو تحديداً، ليبرر لنفسه تصرفاته الغليظة ويفتح المجال لخلق المزيد من المشكلات. فقال بنبرة تنم عن استعداده التام لافتعال الصراعات، حيث كانت نبراته مشبعة بالتهديد في إشعال النزاعات، قائلاً:
_ يعني ايه مفيش فطار؟

خرج حمود من تحت غطاءه، وقد بدت عليه علامات الاستيقاظ المفاجئ، وقال بإلحاح:
=يايا أنا هنزل معاك أسوق التوكتوك.

ظل نظر جلال متجهًا نحو زوجته، ولم تتحرك عينيه في زاوية أخرى، مما زاد من حدة التوتر في الجو. ثم قال بصوت حاد، لا يقبل التسوية، وهو يصر على تحقيق هدفه:
_ اركن يا ض انت دلوقتي لما نشوف أمك...مالك يا بت لاوية بوزك ليه؟

أم الديب الجزء الثاني

نطقت ليالي بجرأة، وقد تماسكت في كلماتها بثبات، عاقدة العزم على مواجهة الوضع بشجاعة:
=تحب أقول قدام العيال لاوية بوزي ليه؟

تحدث جلال بوعيد:

_آه... لا ده انتي ناوية تسيحيلي ولو حصل يبقى على بيت أبوكي عدل!
وقفت ليالي في مكانها ثابتة حيال زوجها، وأخذت تحق في بنظرات مشمزة، تعبر عن مزيج من
النفور، والاستياء، وكأن عيناها تتحدثان بصمت عن مشاعرهما المتأججة التي لم تستطع الكلمات أن
تنقلها بوضوح كافٍ:
=طالع لأمك سبحان الله فولة واتقسمت نصين.

تلفظ جلال بتساؤل يحمل في طياته مزيجًا من الحيرة، مستجمعًا كل ما في نفسه من تساؤلات عالقة:
_طالعها في ايه؟

تحدثت ليالي بدهاء، وهي تقذف كلماتها بحنكة، كأنها سهام مسمومة تهدف إلى إصابة أهداف محددة:
=في الندالة أمال هيكون في ايه يعني؟ أصلانتوا عيلة تاكل وتنكر سبحان الله مبيطمرش فيهم أبدًا.
تشبث جلال بذراع ليالي بقوة، مستخدمًا كل ما يمتلك من طاقة في يديه، ليجذبها إلى الخلف بعنف، وفي
تلك اللحظة، كان الشيطان نفسه يتجلى في كل تصرف يُفترض أن يتسم بالهدوء، لكنه بدلًا من ذلك،
أظهر الجانب الأكثر شراسة من شخصيته، حيث اندفعت كلماته من فمه وكأنها تمر عبر سلة قمامة
ملئية بالألفاظ البذيئة، لتخرج في النهاية محملة بالإهانة:
_اتلمي يا ليالي، متخنيش أتعبط عليك!

انقض حمود نحو والدته بسرعة ودون تردد، مفعمًا ببراءته الطفولية التي لم تعرف بعد قسوة الحياة،
وتعقيدات، وحاول جاهدًا فك يد والده القوية عن ذراع والدته، معتقدًا في أعماق نفسه النقية أنه بقوته
البسيطة سيستطيع إصلاح الأمور بينهما، فنطق بكلمات عفوية:
=سيب أمي!

قفزت تقى من فوق سريرها في الحال، وكأنها قد تلقت صدمة كهربائية، وصرخت بذعر مرتجف يعكس
حالة الهلع التي اجتاحتها بشكل مفاجئ، وقالت:
_ماما!

تألمت ليالي بشدة تحت وطأة قوة زوجها المتزايدة التي كانت تضغط بقسوة على ذراعها الضعيف،
ووسط هذا الألم الجسدي، والنفسي الذي كاد أن يسحقها، خرجت منها كلمات متقطعة وملئية بالعذاب:
=آه... سيب ايدي!

تركها جلال بجبروت، وانطلق بخطوات ثقيلة تضرب الأرض بقوة، عازمًا على تلبية مطلبه في تلك
اللحظة، وكأنه يأمل أن تتحقق رغباته على الفور كما يحدث في الأساطير عندما يفرك الفانوس
السحري، لذا، وبصوت جهوري يحمل بين طياته الأمر والعنفوان، قال بجلبة قوية:
_يلا جهزي الطفح خلينا نطفح!

كانت ليالي في حالة صدمة عميقة يرثى لها من جراء أفعال زوجها القاسية التي لم تترك لها مجالًا للرد
أو المقاومة، حيث كانت تشعر بقلّة حيلتها أمام عنفه، بينما في الطابق العلوي، كانت نعمه جالسة بهدوء

أم الديب الجزء الثاني

على الأريكة بجانب زوجها، مسترخية أمام التلفاز، وكل أفكارها مركزة على أملها العميق بأن توافق هايدي على الزواج من زياد، فقالت من أعماق قلبها، بنبرة تحمل كل الأمانى:
=يارب هايدي توافق، نفسي أفرح بيها وأشوفها عروسة.

رد حامد بدهشة واضحة، وهو يقزقز اللب الأصفر ببطء، وبطريقة غير مُبالية، وكأن تلك الحركة البسيطة تعكس حالته الذهنية المتناقضة:
_وهي أختك بيعجبها العجب؟ ده كل ما يجيلها واحد تطلع فيه القطط الفطسانة.

أجابت نعمة بتمني:

=لا أصل زياد ده ابن عمي، واتربى هو، وأحمد، وهايدي مع بعض فترة كده فتلاقي التلاتة واخدين نفس التفكير، فيما إن زياد وهايدي شبه بعض في حاجات ممكن هايدي تفكر وتلاقيها وافقت ده، غير إنهم سبحان الله لايقين على بعض.
رد حامد، وهو يلقي القشر ببطء داخل الكيس البلاستيكي بيد غير مُبالية، بينما عينيه تظل مصوبة نحو المسلسل المعروف على الشاشة، وكأن التركيز على أحداث المسلسل يأخذ جزءًا كبيرًا من اهتمامه، مما يضيف إلى ردوده طابعًا من التشتت:
_أنا مشوفتوش بس كلكم بتشكروا فيه.
تلفظت نعمة:
=أصل الواد كويس الصراحة، يارب توافق بس.

رد حامد:

_هتوافق، هي ضامنة تلاقي فرص تانية قدامها؟ الجواز زي القطر يا يتلحق من أوله يا إما يفوتك ومنتطيليهوش.
ضحكت نعمه بمرح، وجعلت ضحكتها تتصاعد بأجواء من الفكاهة، ثم قالت بلهجة مرحة، متبينة نبرة من الدعابة:
=عادي ياخويا تاخذ القطر اللي بعده.

ضحك حامد، وقال هو الآخر:

_لا ده انتي كده بوظتي الحكمة.

مدت نعمه يدها نحو كيس اللب، وهي تتناول منه بعض الحبات وتدفعها برفق إلى فمها. بينما كانت تعبيرات وجهها تعكس اندماجها الكامل في لحظة الاستمتاع، قالت باندماج تام:
=هايدي بت حلال وطيبة هي أه عصبية شوية بس من اللي شافته من أمي مانا عذراها...ربنا يرزقك يا هايدي.

بعدما أكملت هايدي وضوءها بدقة، وجلست في غرفتها لتؤدي صلاة الاستخارة بإخلاص، تسعى أن تتكشف أمامها مشيئة الله بوضوح، ليُتأكد إن كان أمر الزواج الذي تفكر فيه خيرًا لها أم سيكتنفه عقبات، سلمت من صلاتها وخرجت من الغرفة، حيث خلعت حجابها برفق وكأنها تخلصت من عبء داخلي، ثم خرجت إليهم وهي تشعر بإحساس عميق من الراحة التي توغلت في قلبها وملأت صدرها، وعندما رآها المعلم حنفي، كان متلهفًا لرؤية تعبيرات وجهها، وكان أمل الفرح يتلألأ في عينيه، فقال بفضول عميق، وهو يترقب ردها بشغف:

أم الديب الجزء الثاني

_ها عملتي ايه؟

أجابت هايدي بتردد:

=أنا صليت صلاة استخارة.

نطقت أم الديب:

_و ايه اللي حصل يا بت؟

ردت هايدي بابتسامة خافتة، تفيض بالطمأنينة، وكأنها كانت توازي مشاعرها الداخلية التي تلاقحت مع

نتائج صلاة الاستخارة، معبرةً عن ارتياحها الداخلي بطريقة تعكس عميق تفكيرها، بينما تتسلل نور

الابتسامة الهادئة عبر ملامح وجهها:

=أنا موافقة.

يتبع....

الفصل الثامن والعشرون

ارتسمت البهجة على وجه المعلم حنفي كأنما ينتظر سماع خبر الموافقة منذ زمن مديد، فتألفت عيناه ببريق الفرح الذي لا يخفى، وارتسمت ابتسامة عريضة على شفثيه، وكأنها ترسم لوحة من السعادة العارمة التي طال انتظارها، فأبدى فرحته الغامرة قائلاً:

_يا ماننت كريم يارب.

كانت أم الديب، مثل العقدة في المنشار، لا تسمح له أن يؤدي عمله بسلاسة ولا أن ينشر الخشب بسهولة، فكلامها كان حاداً كالسكين، يقطع الأمل ويفتت العزيمة، وكأنها تنثر المسامير في طريق سعادتهم، فتتعثر خطواتهم عند كل محاولة للتقدم، فقالت باعتراض قاطع، صوتها لا يعرف الرحمة، ولا يقبل التراجع:

=وآني مش موافقة، وانسي يا بت إنك تتجوزي ابن عمك... ده لو آخر واحد في الدنيا عمري ماهر ميكي له!

حاول المعلم حنفي إقناعها، كمن يسير وراء رائحة البهجة محاولاً استنشاقها رغم سلة القمامة الضخمة التي تلتصق بقدميه وترافقه في كل مكان، كظل ثقيل يعيق حركته، ويعكر صفو سعيه، فقال بنبرة حنونة، وهو يتخلى عن ثياب التحكم:

_يا ولية افهمي اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش، ولو أبوه اللي هو أخويا مزعلك اعتبري إن ده مش ابنه، بس الواد كويس وابن حلال!

مهما حاول إقناعها، فقد كانت أم الديب تتميز بعقل حجري لا يؤثر فيه الدق بالشاكوش، كأنها صخرة صماء لا تلين، أو كأنها طفلة صغيرة تصر على رأيها بشتى الطرق، تلتف حول عنادها بكل ما أوتيت من قوة، وهي تنطق كلماتها بعناد:

=برضة مش موافقة هو آني لاقية عيالي في الشارع لما أرميهم لكل من هب ودب؟ نطقت هايدي بدهشة:

_كان فين الكلام ده لما كان بينقدملي عرسان وكنتي بنتخانقي معايا علشان أوافق عليهم رغم أنهم لا تعليم ولا شكل ولا منظر؟

قالت أم الديب بعجيج، صوتها يرتفع كالعاصفة الهوجاء، يجلبج في الأجواء ويمزق السكون:
=جرا ايه يا بت؟ انتي هتكسري كلمتي؟ آني مش موافقة على الجوازة دهني وطلعوا الحوار دهن من نفوخم!

رن الهاتف الأرضي في وقت غير متوقع، فاستعجبت أم الديب، إذ لم يكن في الحساب أن يتلقى المنزل اتصالاً في تلك الساعة. شعرت بارتباك مفاجئ، فانفض قلبها وكأنما يسبق خطواتها، وتملكها انفعال شديد. بينما تحاول جاهدة أن تستجمع قواها وتنهض لتجيب على الهاتف. تنفست بعمق، ثم زفرت بقوة، وقد بدا على وجهها مزيج من السخط، وهي تقول بصوت مشحون بالانفعال:

_يايدي الهباب مين اللي بيتصل دهن؟ هو آني لسه هقوم وأعمل؟

نهضت أم الديب بوجه ساخط، ملامحها ترتسم عليها تجاعيد الاستياء. بينما وقفت هايدي جانباً، تتابع الأحداث القادمة بعيون ملوها الفضول، وكانت نظراتها لوالدها تحمل حسرة عميقة تشرح الكثير من الآلام التي تعصر قلبها. بعد أن جلست الوالدة فوق سريرها المتهاك، الذي يعكس سنيئاً من العناء، تلمس بأصابعها المتعبة سماعة الهاتف، وردت بصوت قاسي، يخرج من بين شفثيها:

_ألو... ألو.

كان أحمد في تلك اللحظة جالسًا على مكتبه بالعمل، محاطًا بكومة من الأوراق والملفات التي تنم عن كثافة العمل. في آنٍ واحد، كان يتحدث مع والدته عبر الهاتف، محاولًا إقناعها بشدة بأمر زواج هايدي من زياد، بينما يواصل بأنامله السريعة الحركة على لوحة مفاتيح الحاسوب، حيث كان يكتب تقارير هامة، ويجب على رسائل البريد الإلكتروني. كل حركة من يديه كانت مدروسة بعناية، تحاكي التنسيق بين الحوار الشخصي، والالتزامات المهنية. وقد بدا عليه التركيز العميق، وهو يقول:
=ألو يا ماما.

ردت أم الديب بابتسامة خافتة، كأنها تتسلل من بين طيات الترح:

_أزيك يا ولا؟

أجاب أحمد بجدية:

=الحمدلله، أنا سمعت إنك رافضة موضوع زياد وهايدي، انتي رافضاه ليه؟
قالت أم الديب بدهشة، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الاستغراب، وكأنما كانت تنتظر شيئًا آخر تمامًا:
_إيهي هي الأخبار لحقت توصلك؟

ثم صوبت نظرها نحو هايدي بغل واضح، وكأنها تعاتبها بصمت على سرعة وصول الأخبار بشكل فوري إلى أخيها، مما زاد من توتر الجو الذي كان يحيط بالموقف. كانت عيناها تشعان بنار من الاستياء، ففهم أحمد الرسالة غير المعلنة. ثم رد بنبرة لا تحتمل سوى الحزم:
=ايه انتي نسيتي إن أنا أخوها؟ ولانتوا معتبريني واحد غريب؟

كان اعتقاده يخيله أن أم الديب ستتخلى عن مبدأ التسلط الذي لطالما هيمنت به على كل تفاصيل حياتهم، وتفتح له بابًا يسمح له بالتدخل بأرائه، ومشاركته في اتخاذ القرارات. في الحقيقة، لم تكن تُعتبر أكثر من مجرد أصوات تُطوى تحت حذائها. لكن تفاجأ بشدة عندما قالت له بفظاظة شديدة، وقد بدت ملامح وجهها صلبة كالصخر، وصوتها يحمل شدة لا تترك مجالًا لأي نوع من النقاش:

_وانت هتعملها ايه يعني؟ أي هنا أمكم والكلمة كلمتي، ومفيش حاجة اسمها أخوها وأختها كل دهبو كلام فاضي، وأني قولت كلمتي وخلصت مش هنعيد ونزيد!
قال أحمد بالحاح، مرتديًا ثوب المقنع الذي يميز أفكاره الحليفة، وكأنه يرتدي قناع الحكمة الذي يجعله يبدو أكثر جدية:

=يا ماما انتي كده بتضيعي من عليها فرصة كويسة، زياد بصراحة ميترفضش أنا عارفه أكثر منك وعارف بقول ايه كويس، وصدقيني مش هتلاقي حد أحسن منه!

لم يكن هناك طريقة جديدة لإقناع أم الديب أو كسر رأسها الصلبة التي لا تقبل أي جدال، فهي كانت مصرّة على موقفها ولا تفتح مجالًا لتغيير أفكارها. كان زياد مجرد ثمرة فاسدة ساقطة من شجرة البغضاء، لا ترى فيها سوى تجسيد لشخص غير مرغوب فيه، وقالت بحزم، وكأنما تضع النقاط على الحروف:

_هو مين دهبو ياخويا اللي فرصة كويسة؟ زياد ابن عمك بقى فرصة كويسة؟ الواد دهبو شكله لاعبلكم في دماغكم ولا ساقكم مصيبة سودة عشان توافقوا عليه ومتسمعوش كلامي.

أم الديب الجزء الثاني

تخلى أحمد عن ترده، ونطق بشجاعة لأول مرة، كمن يحرر نفسه من قيود الضعف. يحمل نبرة جديدة من الحسم، وهو يتحدث بوضوح:
=سيبك من الكلام العبيط ده وخلي هايدي تختار بنفسها، هي مابقتش عيلة صغيرة ومن حقها تختار الشخص اللي هتكمل حياتها معاه!

قالت أم الديب باعتراض، وكأنها تخرج كلماتها من بين أسنانها كالرصاص، بصوت مليء بالاستنكار:
_أمال ياخويا؟ ما لازم يكون دهبو كلامك، بدل ما تنتشف وتبقى راجل وتقولها لأ مش هتتجوزيه لأ جاي في صفها.

خرج أحمد عن شعوره، وارتسمت على وجهه ملامح الذهول، وكأنما تلقى ضربة مفاجئة. صوته ارتفع. بينما كانت عينيه تتسعان من الدهشة. كان كل شيء من حوله يبدو وكأنه يتلاشى، وهو ينطق بعبارات يملؤها الاستفهام:

=وايه علاقة ده بأنها تختار شريك حياتها؟

صاحت أم الديب فيه، متجاهلة تمامًا كونه أبًا مسؤولًا لطفلتين، ولديه وجهة نظر في الحياة مشابهة لرؤيتها الخاصة، مما أظهر مدى إصرارها على موقفها. بدت صرخاتها كالعاصفة التي تهب في المكان، إذ امتد صوتها بسرعة حولها ليملاً الأجواء بنبرته الغليظة، حيث تجنب المعلم حنفي وهايدي، اللذين كانا يراقبان الموقف بقلق، تلك النبرة العالية التي عكست الحنق:
_صوتك ميعلاش يا ولا!. متنسوش نفسك، أني هنا هو الراس الكبيرة واللي أقوله يتسمع... كنت فاكرة الجواز هيعقلكم لكن زي مانتوا متغيرتوش.

ندم أحمد كونه تدخل في نقاش معها، فباعده يده عن الحاسوب ووقف ساخطاً. كان جسده مشدوداً كوتر مشدود، وصوته يخرج بحدة عارمة، فقال بلهجة قاطعة:

=عمومًا أنا كلامي مع بابا، الكلام ده مش نافع، سلام.

ردت أم الديب بخشونة، وكأنها تسكب صبغة من القسوة على كل كلمة تنطق بها. كان صوتها جافاً، يتسم بالتجاهل، وعدم الاهتمام:
_سلام ياخويا.

نهضت أم الديب، بينما كانت تثرثر بحديث أبله، يتخلله تجريح في حق أولادها، وزوجها، وكل كلمة تنطق بها تحمل سخرية مكتومة وتهكمًا دفيئاً. كان صوتها يتردد في أرجاء الغرفة كصدي مزعج، وهي تتوجه نحو الباب وتخرج منه، لتجد المعلم حنفي، وهايدي جالسين بهدوء، منصتين لحديثها بنظرات مترقبة وكأنهما في انتظار سماع شيء ما يتجاوز حدود الكلمات. عندما خرجت إلى الصالة، كان المعلم حنفي يراقبها بعينين مليئتين بالقلق، أما هايدي فكانت ملامحها تتراوح بين الاستغراب، وعندما التفت نحوهم، تلفظ المعلم حنفي بكلمات تنم عن الحيرة:
=ايه يا ولية؟ طلع مين؟

وقفت أم الديب إزاء الأريكة التي يجلسون عليها، وكلما تذكرت أن زياد هو ابن عدوها حسين، ازداد الرفض يتأجج في قلبها كأنما غمرتها موجة شحناء دون استئذان. كانت تعبيرات وجهها تنطق بالاستياء، وعينها تتقدان بنار الاحتدام الذي لا ينطفئ. وضعت يديها على خصرها، وبدا أنها تأخذ وضعا يعبر عن استعدادها لمواجهة مشكلة جديدة. مع كل كلمة تخرج منها، كان صوتها يتصاعد بعجيج عالٍ، حيث نطقت:

_دهو أحمد...شوف يا حنفي لو كلكم اتلميتوا حواليا والنعمة دهني مآني موافقة .

أم الديب الجزء الثاني

وأردفت لابنتها بعناد:

_وانتي يا بت بطلي تحكي لأخوكي كل حاجة أول بأول!

لم تقتنع هايدي بفكرة رفض أم الديب سرد المشكلات لأخيها ومشاركته في اتخاذ القرارات، فكانت دهشتها واضحة، وكأنها تحاول استيعاب المنطق وراء هذا الرفض الذي يبدو غير مبرر بالنسبة لها. ثم قالت باستفهام:

=وايه المشكلة لما أحكيه؟ هو مش أخويا الكبير برضة ولا ايه؟

ما زالت أم الديب قاسية في إخراج حروفها من جحر القسوة، فرفعت يديها لأعلى بحركة واسعة ومبالغ فيها، تعبر عن استهزائها بأرائهم، وتعكس رفضها الصريح لهم. ثم قالت بنبرة قاطعة، مليئة بالاستنكار، وكأن كل كلمة تُخرجها هي إعلان عن موقفها الثابت:

_بلا أخوكي الكبير بلا أخوكي الصغير!. اركحي في أي زاوية آني صدعت منكم، أدعي عليكم بإيه؟
نطق المعلم حنفي بهدوء:

=طب خشي جوا يا هايدي، وادعي لأمك ربنا يهديها!

قالت أم الديب بصياح:

_ايهي قصدك ايه يا راجل انت؟ قصدك إن آني عبيطة، ومخي ضارب؟

نطق المعلم حنفي بدهشة، وقد بدت على وجهه ملامح الاستغراب العميق، كأنما تلقى ضربة مفاجئة في قلبه:

=وآني اتكلمت؟ انتي هتقوليني كلام مقولتوش؟

ردت أم الديب بصخب قوي، وهي لا تطيق وجوده معهم في المنزل، وكل حرف ينطق به يثير احتدامها، ويعكر صفوها. كانت نبرة صوتها منقطعة، تعبر عن غليان مشاعرها، وعدم قدرتها على تحمل الوضع:

_روح دكانك ياخويا متصدعنيش!

نهض المعلم حنفي بتأني، ووجهه يعكس روح الحكمة التي لطالما ميزته. كانت كل حركة من حركاته محسوبة بعناية، وكأنه ينوي التوازن بين الهدوء. بينما وقف، سحب نفساً عميقاً، مستجمعاً كل ما لديه من صبر، ثم تحدث بصوت مملوء بالتعقل:

=آني كده قايماً بس قبل ما أقوم يا ولية فكري كويس في حوار هايدي، متكسريش بخاطر البيت، ده انتي مفيش جوازة واحدة لعيالك عدتها على خير! لازم تحشري مناخيرك وتبوظي أمها!
قالت أم الديب ببجاجة، وبطريقة استهزائية لمشاعره، كأنما تسخر من كل ما يحمله من محاولة للتفاهم. كانت نبرتها ملأنة بالتهكم، والابتسام على شفيتها تعكس استهزاءً صارخاً:

_غور من وشي يا حنفي!

خشى المعلم حنفي صوتها، وشعر أنه إذا نطق بحرف زائد، ستتهول نحو المطبخ كالمجنونة، وتعود بالسكين لتنفيذ تهديداتها بهجوم لا يرحم. أدرك أن سلامته تكمن في تجنب أي تصادم مباشر معها، فتوجه بسرعة إلى متجر المشروبات، حيث حاول أن يواصل عمله في بيئة أكثر هدوءاً بعيداً عن احتدام الموقف. في الوقت نفسه، نزل جلال من شقته متوجهاً إلى شقتها، عازماً على التحقق مما سمعه. كانت خطواته حذرة، وقد بدا على وجهه مزيج من الفضول، حيث قال بلهجة مشوبة بالتساؤل:

=ايه ياما فطرتوا ولا لسه؟

ردت أم الديب بدون أهمية للرد، وكأنما تعتبر كل محاولة للنقاش معه مجرد مضيعة للوقت:

أم الديب الجزء الثاني

_طفحننا.

قال جلال بفضول:

=أمال الواد زياد ابن عمي ده ايه دنيته؟

أجابت أم الديب بصياح، وقد ارتفعت نبرة صوتها بشكل ملحوظ، كأنها تسكب سخطها في كل كلمة تُخرجها. كان صياحها يملأ الأرجاء ويهز جدران المكان:

_متجيبيليش سيرته فاهم ولا لا؟

تساءل جلال عن سبب عصبيتها كلما نطق أحدهم اسمه، وهو يحاول فهم سبب هذا الغضب المستمر الذي يثور في كل مرة يُذكر فيها. كان عقله مليئاً بالتساؤلات، وأمامه تتناثر الأفكار حول الأسباب الكامنة وراء هذا الانفعال المتكرر:

=مالك ياما متعصبة على آخرك كده ليه؟ ده أنا بسأل بس مش أكثر، وبعدين غريبة يعني إنكوا لسه بنتشاوروا في الحوار ده لحد دلوقتي، ده هايدي لما كان بيجيلها عريس كان بيترفض من قبل مايدخل عندنا اساساً.

أجابت أم الديب بعجيج:

_قال ايه البت موافقة... بقي على آخر الزمن نحط ايدينا في ايد حسين المبقع؟

على الرغم من شكوك جلال بشأن فكرة أن زياد وهايدي قد يكونان على علاقة غرامية ببعضهما في الخفاء، إلا أنه كان يتمنى زواجها، مدفوعاً برغبته في أن يتفرغ الدار له ولعائلته الصغيرة، وليرتاح من الغزو المستمر لشجار أم الديب، وهايدي الذي كان يقض مضجعه كل صباح. كان متعجباً من سلوك أم الديب الغريب، حيث كانت دائماً تقف في طريق أي محاولة لتحقيق السعادة، معطيةً لكل قرار زواج يطرح إجابة مرفوضة بكل صرامة، وكأنها تصطاد كل فرصة للسعادة ونفشلها. كان يشعر أن سعادة أبنائها تُطيح براحتها كأنهم أبناء ضررتها وليس أبنائها، مما يضيف عبئاً إضافياً إلى حياته اليومية، ولذا، قال لها بذهول:

=جرا ايه ياما؟ ده انتي مسيبتيش حد إلا وعدى عليكي وطلعتي سلسفين أبوه... ما تتهدي شوية وتكبريها! نطقت أم الديب بنبرة جلفّة، تنم عن تجاهلها التام لمشاعر الآخرين، واستهانتها بالحديث:

_هي ايه ده ييا ولا؟

أجاب جلال بخور، وملامح وجهه تعكس دهشة عميقة من الموقف الذي يعيشه:

_دماغك... يلا أنا ماشي، سلامو عليكو.

تركها جلال تثرثر مع ذاتها، واستدار بخطوات سريعة نحو درج المنزل، حيث انحدر بسرعة إلى الأسفل. خرج من الدار بأكمله، مستخرجاً الجردل والماء والصابون من محلهم الصغير، وعزم على تنظيف التوكتوك الخاص به استعداداً لبدء رحلة عمله في شوارع القرية. كانت خطواته متسارعة، وكأنه يسعى للهروب من ضجيج المشكلات ومشاحنات المنزل إلى عالم أكثر هدوءاً. في هذه الأثناء، جاءت نعمة، وهي ترتدي جلباباً زاهي الألوان يعكس الحيوية، ومعها ابنها الذي يتبعها بخطوات طفولية متحمسة. دخلا شقة أم الديب، التي استقبلتهما بنظرة متوجسة، وقد ارتسم على وجهها مزيج من الريبة. قالت أم الديب بارتياح، وقد حاولت إخفاء شعورها بالحذر:

=جرا ايه يا نعمة؟ هو انتي متففة مع أبوكي وأخوكي تجولي ورا بعض؟ هو أني كل شوية هيستلمني حد فيكم؟ ماني قاعدة مورايش غير أختك ست هايدي!

أم الديب الجزء الثاني

خلعت نعمة نعلها البرتقالي عند المدخل، وكأنها تتخلص من عبء خارجي قبل دخولها إلى عالم المنزل. جلست على كنف والدتها، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الراحة، ثم قالت بنبرة مفعمة بالحاجة للتواصل:

_ هو أنا لسه اتكلمت ياما؟

وأردفت لطفلها بحنان:

_ أقعد يا محمد جنب سنك!

جلس محمد بجانب جدته، ووالدته، ووجهه يعبر عن براءة الطفولة. مد يده لأم الديب، وابتسم ابتسامة بريئة تشع بالود، قائلاً بلهجة مغمورة بالتقدير:

=ستي.

بادلته أم الديب المصافحة، وقد تخلت عن بعض قسوتها لتظهر وجهًا آخر من الحنان. كانت نبرتها ناعمة، وقالت له بحذب، وعينيها تلمعان:

_ ازيك يا ولا يا حبيب سنك؟ ايهي ماله الواد خاسس كده ليه وحالته حالة؟

ضحكت نعمة، ورفعت نظرها نحو جسدها الهزيل بلمحة من السخرية. ثم قالت بابتسامة خفيفة، تعكس تفاعلها مع حالتها الشخصية بتفهم:

=طالعلي ياما، انتي مش شايفة؟

قالت أم الديب باستهزاء:

_ مانتي العيب عليكي مكنتيش بنتغذي كويس وانتي حبله فيه، أهو طالع شبه البرص الجعان.

وواصلت حديثها إلى حفيدها بسخاء مفاجئ، كما لو أنها تفتح نافذة جديدة من العطاء. كان صوتها دافئًا، ومليئًا بالتقدير، وهي تقدم له كلمات مشجعة وتمنحها له بحب، قائلة:

_ خش يا ولا افتح التلاجة اعملك شاندوتش، ميغلاش عليك.

تعجبت نعمة من هذا الكرم المفاجئ الذي هبط على أم الديب كهدية غير متوقعة من سماء الرزق، حيث بدا الأمر وكأنه تحول دراماتيكي في سلوكها. ارتسمت على وجهها ملامح الدهشة، وهي تعبر عن استغرابها من التغيير المفاجئ في التصرفات، ثم قالت بدهشة واضحة:

=ايه الطيبة اللي حطت عليكي فجأة دي؟

ردت أم الديب بتدليس:

_ أعز الولد ولد الولد.

تساءلت نعمة بعمق عن مدى غلاوتها في قلب والدتها، وهي تتفكر في مدى تأثير وجودها في حياة الأم، وتنتظر بلهفة لحظة تأكيد لتلك المشاعر التي لطالما تساءلت عنها:

=طب وعيالك مالهمش غلاوة عندك؟

تفوهت أم الديب بكلمات تنم عن نية غير صافية وإفك خفي، وكأن لسانها كان ينطق بما يتناقض تمامًا مع ما يعتمل في أعماقها:

_ ليهم، أمال ملهمش؟

دخل محمد إلى المطبخ بصمت، وهو يحمل في ذهنه طلب الجدة التي أمرته بتحضير وجبة بسيطة. عندما مد يده إلى مقبض التلاجة الصدي الذي يذكره بقبر مهمل، شعر وكأنما يفتح علبه ذكريات بانسة، وبما أن المطبخ كان مليئًا برائحة قديمة، فتحت التلاجة ببطء، كما لو كانت مئات الأعوام قد تراكمت خلف

أم الديب الجزء الثاني

أبوها. داخل الثلجة، اكتشف محمد مشهدًا يبعث على النفور: ثلاث جزرات يابسة، ومتشقة، وبيضتان تبدوان وكأن الزمن قد ترك عليهما بصماته الثقيلة، ورغيف خبز صلب كأنما تم نسيانه منذ أيام عديدة، رائحته تنبعث منها بشدة، وكأنها تحمل آثار الإهمال. بين هذه المكونات المتلاشية، وجد مجموعة من الأدوية التي تثير الأشمزاز برائحتها المزعجة، وفي زاوية أخيرة، علبة جبن تبدو وكأنها نُسيت منذ زمن بعيد، تحوي داخلها كمية ضئيلة من الجبنة قد تُعتبر طعامًا مناسبًا لنملة تترنح على حافة النافذة. قالت نعمة بدهاء، وهي تحاول كسب ود أم الديب:

=والنبي ياما أنا ماشوفت في حنيتك وطيبة قلبك، ده انتي غالية علينا بشكل، ده احنا منقدرش نبعده عنك يوم، ده انتي بركتنا وأمنا الغالية، ده احنا بنحبك حب ربنا العالم.

لم تفتنع أم الديب بمدح نعمة المبالغ فيه والذي بدا غير معتاد منها، مما جعلها تشعر بشيء من التوجس. فبوجه عابس يعكس استياءً خفيًا، قالت بخلق ضيق:

_ اخلصي يا بت! عاملة الحوار ده كله ليه؟

ابتلعت نعمة ريقها، وهي تشعر بالتردد يعترئها كما لو كانت تعبر سلكًا مشدودًا، ثم قالت بحديث متقطع، كما لو كانت تحاول جمع شتات أفكارها بينما تتلمس طريقها عبر كلماتها:

=بصراحة عاوزينك توافقي ونفرحينا، هايدي ملهاش غيرك، دي آخر فرحتك، عيالك كلهم اتجوزوا وملوك البيت عيال بدل ماكنتي هتبقى وحيدة بطولك أهو اللي نازل واللي طالع يعدي عليك وعاملينك جس في البيت، أديكي شبعتي منهم عايزة ايه تاني؟ طب لو كان عندك بت واحدة كنا قولنا ماشي، إنما ياما انتي عندك أربعة وكلهم اتجوزوا.

أفحمها رد أم الديب كأنها التصقت في جدار دون أي سبيل للفرار، مما جعلها تشعر بالعجز. في تلك اللحظة، كانت تتمنى بشدة أن تجد في عيون والدتها لمحة من الأمل تفتح أمامها أبواب الرجاء، لكن الواقع كان مريرًا. رغم محاولاتها لإشعال شعلة من الأمل في قلبها، لم يكن هناك ما يشير إلى تغيير في موقف أم الديب. ولذا، تفوهت بوضوح:

_ومين قالك إن أني راضية عن جواز جلال؟

ردت نعمة بثقة، وكأنها محامية تدافع بكل إخلاص عن موكلتها، ليالي. كانت كلماتها مدروسة، تجسد إصرارها على تقديم الدفاع القوي:

=ليالي بتحبك ومفيش قاعدة نقعدها غير لما تحكيكي عنك.

قالت أم الديب بسخرية:

_يا سلام يا بت؟

أجابت نعمة ببشاشة واضحة، وهي مصممة على تحقيق هدفها، حيث لم يفارقها الإصرار ولو للحظة. برغم التحديات التي واجهتها، حافظت على ابتسامتها التي تجسد صمودها:

=أمال ايه؟ انتي بس علشان مبتحبيهاش فحاسة إنها هي كمان مش بتحبك، لكن ده ربنا العالم باللي في قلبها... وافقي على عريس هايدي منكسريش بخاطرهما، انتي ايه ضمناك إن لو الجواز دي باظت هايدي ممكن توافق على أي حد يجي بعد منه؟ مانتني عارفاها وهايدي دماغها ناشفة، دي ورتنا الويل في كل مرة جالها عريس... وافقي وفرحيتها!

قالت أم الديب بغلاظة، وكأنها تقطع حديثًا طالما استمر في إزعاجها:

_انشالله عنها ما وافقت، أني لما يجي عريس على مزاجي هنكتب الكتاب قوام قوام مش هنطول، البت بتكبر وهتعنس ومش هتلاقي حد يبص في خلقتها!

أم الديب الجزء الثاني

خرجت هايدي من الغرفة وهي تبكي بمرارة، بعد أن استمعت لحديث أم الديب، ونعمة، وهو حديث أثار في قلبها جرحاً عميقاً. منذ صغرها، كانت تشعر أن والدتها تقبض على هواء الفرح وتبعده عنها، وكأنها تحرمها من طعم الحياة المليء بالبهجة التي ينعم بها الآخرون. كم مرة رأت والدتها بشوشة الملامح، فقط لتكتشف لاحقاً أن حديثها الجارح كان يخفف من بريق تلك الابتسامة؟ وكم مرة سلبت منها فرص الصداقة، بحجة أنها تخشى من آراء الناس وكلامهم الجارح؟. كانت هايدي تتحمل كل هذا بمرارة، تسكت وتكظم غيظها في صمت مطبق، حتى فاض بها الكيل، وأصبحت تجد من الصعب للغاية أن تستمر في التحمل. خطواتها كانت بطيئة وكأنها خرجت من مستشفى، تنتقل بين الأوراق وهي تشعر بثقل الأعباء. كل خطوة كانت تتخذها كانت تصدر كأنها تستمد قوتها من جراحها العميقة. عندما توقفت أخيراً، قالت بعتاب مملوء بالشجن، وكلماتها تخرج بصعوبة وكأنها تدفع الثمن غالياً:
=ايه الجديد عليك؟ مانتي طول عمرك عدوة الفرحة! بتشوفي ايه اللي ممكن يفرحنا وبتقفلينا فيه! كأنك مستخسرة فينا نفرح! هو أنا ليه مش من حقي أفرح؟ لغاية امتى طيب؟ بتعملي معانا كده ليه يا ماما؟ هو حرام؟ كل ده لمجرد إنه تبع بابا؟ وانتي علشان بتكرهيه فبتكرهيه اي حد تبعه! أنا مش عايزة أعيش ثاني!

وواصلت لأختها بانتحاب:

=مش عايزة أعيش يا نعمة!

وقفت نعمة مكانها، واحتضنت أختها بكل حب، متجسدة في ذلك لحظة من التضامن العميق الذي يعكس قمة الإنسانية. كانت كل ضمة منها كالجناح الذي يحجب أعاصير القهر ويخفف من شدة الألم، وكأنها تلوذ بها من كل المحن التي تعصف بحياتها. في ذلك العناق الدافئ، استطاعت نعمة أن تزيل شيئاً من ثقل الأيام الثقيلة التي عاشتها هايدي، وتغمرها بالطمأنينة التي تشتد حاجتها إليها. ثم نطقت بحنو يجلاً من بين ضلوعها المحبة:

_ اهدي يا هايدي متعلميش في نفسك كده! أمك بتحبك ومش تهترمك من اللي انتي عايزاه، شوفي انتي عايزة ايه وهي هتعملهولك!

حينما شعرت أم الديب أن ابنتها قد تكون على وشك إلقاء نفسها من النافذة، أو الوقوع تحت عجلات سيارة مُسرعة، أو حتى إقدامها على قطع شريانها في لحظة يأس، بدأت تجتاحها مشاعر متناقضة بين الخوف، والحب الأمومي. تخلت عن جبروتها، ولكنها لم تفعل ذلك بدون وضع شروط صارمة. فقالت بلهجة مشددة:

=خلاص آني موافقة بس بشروطي!

سألت نعمة بفضول يعكس رغبته العميقة في معرفة الحقيقة، وعيناها تلمعان بشوق لتفاصيل مخفية:

_ شروط ايه دي؟

قالت أم الديب بفظاظة:

=الاتفاق كله هيبقى معايا آني!

كيف يمكن لسيدة واحدة أن تلغي وجود ثلاثة رجال لتبرز دورها؟ هذا ما دار في ذهن نعمة، وهي تفكر بعمق في مدى صعوبة تحقيق هذا التوازن. لم تستطع قبول الشرط القاسي الذي فرضته والدتها، فاعترضت بقوة، قائلة برفض:

_ ازاي بس ياما؟ يعني هيسيب أبويا، وجلال، وأحمد وهيتفق معاكي انتي؟

أم الديب الجزء الثاني

كانها تتحجج بأي شكل من الأشكال لإنهاء الزيجة قبل بدايتها، تلقي بالكرة في ملعبهم ليبدو العيب قادمًا منهم وليس منها. فقالت أم الديب بعناد، وتصميم لا يقبل المساومة:

=هو كده، يا إما الجوازة دهي تطلعوها من دماغكم!

لا حل آخر سوى الموافقة على مطلبها، وإلا ستتمزق القلوب العاشقة إثر عنفها، وتصرفاتها القاسية. هنا، وجدت نعمة نفسها مضطرة للقبول بما فرضته والدتها، حتى يتمكنوا من عبور أول معضلة في طريقهم. فقالت بصوت مليء بالاستسلام، والأمل في تجاوز هذه العقبة:

_ماشى ياما اللي تشوفيه.

أم الديب ليس لها أمان، فهي كالطفل الصغير تتراجع عن قرارها في ثانية، مما جعل هايدي تشعر بالقلق، وعدم الاستقرار. أرادت التأكد من أن هذا القرار سيكون نهائيًا، فسألته برهبة في صوتها:

=يعني انتي موافقة ولا هتغيري كلامك تاني؟

قالت أم الديب بحدة:

_ليه هو كلام عيال يا بت؟ آني قولت كلمة ومش هرجع فيها إلا لو انتوا مسمعتوش الكلام!

ارتسمت الابتسامة على وجه نعمة، مشيرة إلى فرحتها العارمة. فقالت بسرور يعكس حماسها:

=لا ياما متخافيش هنسمع كلامك.

تحدثت أم الديب بوجه عابس، تعبيراتها الجادة تشي بعمق تفكيرها، وثقل ما تحمله في قلبها، فقالت بلهجة حازمة، وملامح لا تعرف الابتسام:

_وماله أبقوا نصفوا الصالة، ولا أقولكم نصفوا الشقة كلها علشان المحروس لما يشرف عندنا يلاقي حته يترزع فيها.

ضحكت نعمة، وضحكتها تملأ المكان بروح المرح، وقالت بصوت مبتهج:

=ماشى ياما.

وأردفت لأختها بمحبة:

=خشى يا هايدي امسحي دموعك يا هبله، وأنا هبلغ أبوكي في التلافون.

ردت هايدي بقلق واضح في نبرتها:

_ماشى.

دخلت هايدي الغرفة بخطوات متعثرة، وكان كل خطوة كانت تتطلب جهدًا مضاعفًا. مسحت دموعها بمنشفة ورقية، محاولَةً أن تلتقط أنفاسها، ثم مدت يدها تحت السرير وسحبت زجاجة المياه التي كانت بحاجة إليها بشدة. بللت ريقها بعدما جف تمامًا من كثرة الانتحاب، وشربت منها قليلًا، ثم أغلقت

الزجاجة، وأعادتها إلى مكانها بدقة. رفعت هاتفها، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تتصل بمحبوبها لتبلغه بالخبر السعيد، وملامح وجهها تتألق بفرح مخفي خلف سحابة من القلق. في الوقت نفسه، دخلت نعمة إلى البلكونة بسرعة، محملة بطاقة مشبوهة من الحماس، وأخرجت هاتفها واتصلت بوالدها، محاولَةً أن تنقل له الخبر بذات الأهمية التي حملتها إلى قلبها. قالت لهم بكل حبور:

=أيوه زي مابقولك كده أمي وافقت.

قال المعلم حنفي باستغراب:

_ده اللي هو ازاى يعني؟ ده آني نازل من البيت وهي رافضة وعاملنا موال، هي لحقت؟

سحبت نعمة الكرسي وجلست عليه بارتياح، ثم تنهدت بعمق وكأنها تطلق زفرات التوتر المتراكم. بدأت في رحلة سرد التفاصيل، وحيالها المنظر الريفي الجميل، والهواء المنعش الذي كانت تتنفسه:

=أيوه مانا هقولك اللي حصل ايه!

أم الديب الجزء الثاني

سعد زياد بعدما علم بخبر موافقة أم الديب، كأن حديث هايدي قد زرع البهجة في قلبه، وأشعل فيه شعلة من الفرح النقي. نطق بحبور عميق، وكأن كلماته تملأ الفضاء الحزين بألوان السعادة المتألقة:
_أنا هكلم عمي وأخذ منه ميعاد النهارده بالليل.

مررت هايدي يديها برفق فوق رأسها، وكأنها تحاول تهدئة نفسها من توتر اللحظة. ثم قالت بهدوء يعكس سكينه داخلها، وراحة قلبها:
=ماشى يا زياد.

قال زياد بدهشة، معبراً عن تعجبه من موافقة أم الديب في فترة وجيزة:
_لا بس أنا بصراحة مش مصدق أنها وافقت!

مررت هايدي يديها برفق على خديها، وكأنها تحاول أن تستجمع أفكارها، وتعيد ترتيب مشاعرها. ثم قالت بتفكير:

=موافقتش غير لما كلمتها كلمتين جامدين، موافقتش كده وخلص! لا دي وافقت بشروط!
قال زياد بسعادة:

_مش مهم، المهم أنها وافقت... يلا يا عروسة اجهزي عقبال ما أكلم عمي!
كأن الفرحة ممتنعة عن الظهور على وجنتي هايدي، حيث نطقت ببسمة مكتومة تنم عن مشاعرها المعقدة، وتكافح لتظهر عكس ما يجول في قلبها من قهر:
=تمام يا زياد، سلام.

تلفظ زياد بحبور:

_سلام يا عروسة.

في الأعلى، كانت ليالي جالسة مع أطفالها، غارقة في أفكارها حول تصرفات جلال الأخيرة، وقد بدت عليها علامات الحيرة. فجأة، نطقت بذهول، حيث كانت كلماتها تعبر عن اندهاشها من التطورات الأخيرة:

=يا خبر أسود بقى ده جلال اللي كان بيقولى انتي نقطة ضعفي؟ ده مقلوب عليا ولا عاجبه العجب ولا الصيام في رجب! يا دي الحوسة، هتفضلي كده لحد امتى يا ليالي؟
قال حمود بضيق:

_أبويا مخدنيش معاه.

أجابت ليالي بانزعاج:

=اسكت انت كمان! تروح معاه فين؟ عشان تتعلم القرف اللي هو بيعمله؟

بعد كل التغييرات السلبية، تغيرت فكرة تقى تجاه والدها بشكل جذري، فصار في نظرها كالوحش الكاسر، أو الجنى المرعب الذي يظهر في روايات الرعب. قالت برهبة، وقد اتسم صوتها بالخوف:
_بابا وحش.

قالت ليالي بخوف من أن يسمعها زوجها، وهي تهمس بنبرة مقلقة تحمل في طياتها الرهبة:

=لا يا تقى متقوليش كده على أبوكي ألا يرنا العلقه التمام، ده الأيام دي مبقاش في وعيه، وعقله فلت...
مش فاهمة ايه اللي جراه بس!

سمعت ليالي زغاريد تصدح من الأسفل، ففوجئت بالتحول الكبير في الأجواء. فقالت بدهشة، وقد ارتسمت علامات الاستفهام على وجهها:

أم الديب الجزء الثاني

_بس يبقى وافقوا على العريس!
ثم أمسكت ليالي مفتاح الشقة، ونزلت هي وأطفالها إلى الأسفل، حيث بدا عليها الفضول المتقد
لاستكشاف سبب الفرح المفاجئ. قالت باهتمام، وهي تسأل بلهفة:
=في ايه يا نعمة؟
أطلقت نعمة الزغاريد بفرح عارم، ووقفت حياها بابتسامة مشرقة تنبض بالبهجة. ثم قالت بسعادة:
_أمي وافقت الحمدلله.
ضحكت ليالي بمجرد سماع الخبر، وكأنها لم تتمكن من كبح مشاعر الانشراح التي انفجرت في قلبها.
نطقت بفرحة عارمة، حيث تجلى في صوتها كل الإشراق:
=طب الحمدلله...مبروك يا هايدي.
قالت هايدي بدموع محبوسة تكاد تنفجر في وجوههم، حيث كان صوتها يرتجف تحت وطأة المشاعر
الجياشة:
_الله يبارك فيكي.
سألت ليالي باهتمام بالغ عن موعد حضور العريس، ووالده، وقد برز في صوتها حرصها على
الترتيبات وتوقها لمعرفة التفاصيل:
=طب هيجوا امتي؟
أجابت نعمة بابتسامة:
_هيجوا النهارده بالليل ان شاء الله.
قالت ليالي بتفكير عميق:
=هيجوا عندنا ولا في شقة أمك؟
ردت نعمة بانشغال، وهي تلجأ بعينيها نحو ليالي، مشيرة إلى المظهر السيء لصالة منزلهم. كانت
الألعاب مبعثرة هنا وهناك، والأتربة ملتصقة بالنافذة، مما جعل المكان يبدو في حالة فوضى واضحة:
_لا هنا، ايه اللي هيطلعهم فوق؟ بس عايزين ندى الشقة ترويقة على السريع أصل هيقعدوا في الصالة
هنا.
سألت ليالي مجددًا بفضول غامر، وقد بدا في عينيها اهتمام عميق، ورغبة في معرفة المزيد:
=أيوه يا نعمة، طب العروسة مش هتروح الكوافير؟
أجابت هايدي ببساطة:
_لا أنا مش رايحة، هحط ميك أب بسيط.
احتضنت ليالي هايدي بكل حب، مظهرة لها مشاعر الإخوة العميقة والفرحة العارمة بمناسبة الأحداث
السعيدة التي تطرأ عليها. فقالت بحبور كبير:
=مبروك ياختي، عيشنا وشوفناكي عروسة أخيرًا.
ردت هايدي بابتسامة خافتة:
_الله يبارك فيكي وعقبال تقى.
ضمت تقى ذراعيها لبعض، وتغيرت ملامح وجهها في الحال، إذ برزت عليها معالم الرفض التام
للزواج في المستقبل، تمامًا كما فعلت عمته هايدي. قالت بنبرة حاسمة، تعكس تمسكها بموقفها:
=مش عاوزة أتجوز!

أم الديب الجزء الثاني

انصدمت ليالي من رد ابنتها الصغيرة، وسألتها بأحاسيس كارثية تدور في صدرها، وقد تجلى في نبرتها الاستفهام المحير. قالت، وهي تحاول فهم مصدر هذا الموقف غير المتوقع:
_ يخيبك انتي هتعملي زي عمك؟
أجابت تقى بخوف:
=لا.

ضحكت نعمة بفرحة عارمة، وقالت بسرور:
_ ربنا يمد في عمرنا ونشوف كل عيالنا متسترين في بيوتهم مع اللي يستاهلهم.
ردت ليالي بابتسامة:

=يارب ياختي، بس ده لسه بدري أوي أوي.
قالت نعمة بقلب صافٍ، لا يغمره ذرة كراهية، وبنبرة تنبض بالصفاء:
_ ولا بدري ولا حاجة، الأيام بتعدي هوا.
ردت ليالي باقتناع:
=على رأيك.

خرجت أم الديب من الغرفة بوجه عابس، بخطوات ملكية مهيبية، كأنها ملكة تسير في قصر يكتنفه الزهور الوردية. كان المشهد يكتمل بتصورها وهي تتقدم بثقة، والخدم يحيطون بها متراصين، منتظرين سماع أوامرها لتنفيذها في لمح البصر، وكأنهم جن يسهرون على راحتها. بدأت بإصدار الأحكام، مستعرضة شخصيتها المتسلطة بكل وضوح، وعينيها تلمعان بالقوة. قالت بحدة، وهي تستعرض سلطتها، وتضع الجميع في مكانهم:
_ اسمعي يا بت منك ليها! ليالي تعمل الأوض، ونعمة عليها الصالة، والحمام، وهايدي عليها المطبخ.

ردت ليالي بسخرية:
=وانتي هتعملي ايه يا حماتي؟

قررت أم الديب التخلي عن صلابتها، وأعلنت أنها ستصنع مشروب السعادة تعبيرًا عن فرحتهم بخطبة هايدي، كرمز للاحتفال في هذه اللحظة المبهجة. فقالت بحماس:
_ هبل الشربات يا بت.

قالت هايدي باعتراض، مستنكرةً كيف لعروس في مثل حالتها أن تنسى أمور العناية بنفسها وتوجه اهتمامها نحو تنظيف المطبخ؟. كانت نبرتها تعكس عدم التصديق:
=لا طبعًا انتي هتخليني أعمل وأنا العروسة؟ وأنا هلحق أجهز امتي؟
ردت أم الديب بكراهية عارمة نحو زياد، وبدت مشاعر الاحتقار تتدفق من كلماتها:
_ ايهي تجهزي لمين يا بت؟ لزياد ابن عمك؟ هو دهو منظر؟
نفوحت نعمة بحنكة:

=الحق عليك يا ما، الواد حلو وتحسبه ابن ناس أكابر، متحسبش خالص إنه متربي وسطنا.
تلفظت أم الديب باستهزاء، كأن حروفها تسقط من منبع السخرية، حيث كان كل حرف ينطق به يحمل معه نبرة التهكم، مما جعل كلماتها تبدو كقطعنا تنبع من عمق الاستهانة:
_ هو عشان عاشله في البندر كام سنة يقوم ينسى أصله وفصله؟ ده الله يرحم أمه كانت ست فلاحه على أصولها.

أم الديب الجزء الثاني

أرادت أم الديب تشويه صورة زياد، لكن الرد جاء سريعًا من ليالي، وكأنه ضربة بسرعة الضوء. تصاعدت كلمات ليالي بشكل متهم، حيث كان استهزاؤها واضحًا وموجهًا بدقة:

=ماهو نفس الحوار معاكي انتي وابنك أحمد يا حماتي!

تلفظت أم الديب بعجيج حار:

_ايهي تقصدي ايه يا بت؟

قالت ليالي بنبرة هادئة كالجبال الثلجة في روسيا، حيث كانت كلماتها تنساب ببرود وثقة، تعكس استقرارها الداخلي وعدم تأثرها بالموقف:

=أقصد إن ابنك مش شبيهك واللي يشوفه يقول إنك الدادة بتاعته مش أمه، هو لو كان شبيهك كانت ست جميلة بصتله ولا رضت بيه؟

وطأت أم الديب يدها على صدرها، وبؤبؤا عينيها يتسعان بشكل لا يصدق، تعبيرًا عن صدمتها من كون زوجة ابنها تقلل من شأنها إلى هذا الحد. فقالت بصياح، وقد تجلت في نبرتها مشاعر الحنق العارم:

_يا خراب بيتك يا أم الديب! يا مصيبتك السوداء! أني الدادة بتاعته يا بت الـ***؟

بمجرد سماع ليالي مسبة أم الديب لوالدها سلامة، تحولت في التو والحال كالوحش الكاسر، وكان غضبها يجسد القوة المدمرة. تلفظت بصخب عارم، وأخذ صوتها يتردد في أرجاء المنزل، محطماً هدوءه، ومستنفرًا الجميع بارتجاجات سخطها:

=كله إلا أبويا، أبويا خط أحمر ولا أنا جيتك على الجرح؟ مادي الحقيقة!

وأردفت لهايدي بمكر:

=ماتقولي حاجة يا هايدي!

كادت هايدي أن تعول، وعينيها تملؤها الدموع، وهي تقول بفزع:

_أبوس أيديكم عدوها على خير، أهو ده اللي أنا كنت خايفة منه، علشان خاطري بلاش مشاكل!

تدخلت نعمة في المشكلة كمصلح اجتماعي حصيف، مستندة إلى روحها النقية التي لا تسعى وراء المعضلات. قالت بلهجة موأتية، محاولة أن تهدئ الأوضاع، وتعيد الأمور إلى نصابها، وبأسلوب يعكس حرصها على إيجاد حلول سلمية قالت:

=ميصحش الكلام ده يا جماعة! كل واحد يشوف أشغاله قبل ما العريس يجي ويطب على فجأه.

خبطت أم الديب فمها بيدها بقسوة، وكأنها تعبر عن احتجاجها العميق. ثم تفوهت بعجيج:

_آني هحط في حنكي فردة بلُغة قديمة علشان لا تقولوا بسمة عملت ولا اتنيلت... آني كدهو عداني العيب وأزح، الدور والباقي على الناس الثانية.

قالت نعمة برهبة:

=طيب ياما روعي عقبال ماحنا نروق!

أجابت أم الديب بصياح منين:

_آني أروح بمزاجي مش بمزاجك انتي يا بت!

ردت نعمة بترقب:

=طيب ياما زي ما تحبي.

غادرت أم الديب إلى الحظيرة الموجودة في منزلها، تاركة وراءها جواً من التوتر. في هذه الأثناء، بدأ الجميع في تنظيف المكان بجدية، حيث كانت هايدي واقفة أمام المرأة، تعمل بجد على تنظيف شعر وجهها، وترطيب يديها استعدادًا لوصول زياد لطلب يدها من العائلة. بينما كان الجميع ينشغل بجهد في

أم الديب الجزء الثاني

الترتيبات، كانت ليالي تراقب الموقف بعينين مليئتين بالاستياء. فمها كان ملتويًا بشكل يعكس عدم رضاها عن تصرفات أم الديب، التي اعتبرتها خسيصة. قالت بمرارة، وهي تعبر عن خيبة أملها وتنديدها بأسلوبها:

_عاجبك اللي أمك عملته ده يا نعمة؟

نظفت نعمة الأريكة بقماشة، وهي تتخبطها فيها بحركة حازمة لتخرج كل الأتربة المتجمعة بين ثناياها. بينما كانت تعمل على تنظيف الأريكة، حاولت جاهدة أن تصلح ما يمكن إصلاحه. توجهت إلى ليالي، وعلامات الإحراج تلوح على وجهها، وبدأت تطلب العفو منها نيابة عن والدتها. قالت بإحراج، وهي تبتسم بصدق، وتحاول أن تعكس نواياها الطيبة:

=معلش يا ليالي هاتيها فيا... مانتي برضة قولتيلها كلام مينفعش يتقال.

قالت ليالي بنبرة جلفة:

_ماهي دي الحقيقة، ده اللي بيته من إزاز ميحدفش الناس بالطوب، وانتي أمك ناسية أصلها.

ردت نعمة بحيادية:

=خلاص يا ليالي متنسش إن دي أمي برضة!

نفوحت ليالي بندم، متأسفة عما فعلته، وهي تدرك أن نعمة، صديقتها المقربة، كانت تهدف فقط لإزالة همومها، ومساعدتها في الخروج من فوضى الحياة التي تعاني منها:

_معلش يا نعمة حقك عليا بس أمك لسانها زفر.

قالت نعمة ببشاشة وجه:

=سيبك منها خلىنا في اللي احنا فيه!

ردت ليالي بسكينة في حديثها، وقد تجلت في نبرتها هالة من الهدوء:

_أنا هسكت علشانك انتي بس.

تلفظت نعمة بمحبة:

=حبيبتى يا ليالي.

في الليل، بعدما انتهوا من تنظيف المنزل واتسخت ثيابهم إثر معركة تنظيف حادة، شعروا وكأن شقة أم الديب كانت مفتوحة النوافذ منذ أعوام، وذلك بسبب الفوضى التي كانت سائدة. لم تكثف النساء بذلك، بل سعدت كل واحدة منهن إلى شقتها لتستحم وتعقم جسدها، ثم ارتدين العباءات الجميلة، ورششن العطر الزكي في محاولة لإضفاء لمسة من الرقي على الأجواء. على جهة أخرى، انتهت هايدي من تجهيزاتها، حيث وضعت مكياجًا خفيًا أنار وجهها بالعذوبة. حضر أحمد خصيصًا من أجل أخته الحبيبة ليشاركهم في هذا الحدث المهم. حينما نزلت النساء، استقروا في غرفة هايدي، بينما الرجال كانوا في الخارج ينتظرون وصول العريس. وصل العريس، زياد، ووالده حسين، حيث كان الشاب يرتدي بنطالًا أسود، وقميصًا أبيض، وفي يديه باقة من الورود. أما الوالد حسين، فقد ارتدى جلبابًا أزرق وحمل في يديه علبة حلوى تحتوي على قطع الجاتوة الشهية. بعدما صافح الجميع بعضهم، جلس زياد وحسين على الأريكة بجانب أحمد، بينما في الجهة المقابلة على كراسي بلاستيكية، جلس جلال، والمعلم حنفي. أعرب المعلم حنفي عن سعادته بلقاء أخيه، وقال بوجه بشوش:

_منور يا حسين ياخويا يا غالي.

وجه حسين نظره نحو الأرض، خجولًا على الرغم من صلة الدم التي تربطه بالجميع. توردت وجنتاه

بالحمرة، بينما نطق بسكينة، تعكس تواضعه:

أم الديب الجزء الثاني

=الله يخليك يا حنفي ياخويا.

قال جلال بابتسامة:

_البيت منور يا عمي.

رد حسين بمحبة:

=منور بيك يا جلال.

خرجت أم الديب من غرفتها، ودون أي مقدمات، قالت بغلاظة، تعبر عن استيائها وصوتها يحمل نبرة حادة:

_بص ياخويا منك له أني شروطي وحطيتها، لو عاوزين هايدي بتي لابنك يبقى تحطوا الكلام دهو حلقة في ودنكم، هايدي ميجيلهاش أقل من بنات خالتها!

خرجت نعمة من الغرفة، وقالت بدهشة:

=وهي خالتي عندها بنات اتجوزوا أصلاً ياما؟

نفوخت أم الديب بصياح:

_اسكتي انتي يا بت، خليني أكمل كلامي!

تحدثت حسين بانزعاج واضح من تدخل السيدات في حديث الرجال، وقد تجلت في نبرته مشاعر الضيق:

=الكلام ده ميصحش، أنا اتفاقي مع الرجالة مش مع الحريم .

وأردف للمعلم حنفي بحنق:

=ماتقول حاجة يا حنفي!

قال جلال بصوت جلف:

_اطلعي منها انتي ياما وكبري نفوخك!

تلفظت أم الديب بعجيج:

=بقولك ايه! دهي شروطي وإلا ما هيهمني حد، وهقولكم السكة اللي تودي، فاهم ولا لا؟

نطق حسين برفض لهذا التصرف، وبدت على ملامحه علامات الحزم:

_وأنا مش راضي باللي بيحصل ده.

قال أحمد بإجراج:

=معلش يا عمي سيبك منها وخلي كلامك معنا احنا!

وقفت نعمة إزاء والدتها، وقالت بعصبية:

_ما تدخلني جوا ياما! انتي ايه حشرك ما بينهم؟

رفعت أم الديب صوتها، وتلفظت بصياح، تعبيراً عن غضبها:

=مش دهو كان اتفاقي معاكم يا بت ولا لا؟

قالت نعمة بإجراج:

_حصل ياما، بس بلاش تزوديه متخليش عمي يزعل منا.

تلفظ جلال بضيق:

=أدخلني ياما، احنا عاوزين نفرح مش ناقصين وجع دماغ!

وبعد إلحاح طويل، خرجت أم الديب من بينهم وعادت إلى غرفتها برفقة نعمة، التي حاولت إشغالها بكل

الطرق الممكنة. قال جلال بدور المسيطر، وهو يعبر عن توجيهاته:

أم الديب الجزء الثاني

_بص يا عمي احنا مش عُرب، احنا أهل وعيلة واحدة، أختي هايدي يجيلها شبكة بعشرين ألف.

نطق أحمد باعتراض على هذا المبلغ الضئيل، وبدت على ملامحه علامات عدم الرضا:
=لأ طبعًا، هايدي يجيلها بمية وخمسين ألف!

قال المعلم حنفي ببساطة:

_هايدي يجيلها شبكة بأربعين ألف وكده تمام أوي.

كأنهم في مزاد، حيث أصبح التنافس على تقديم أرقام أكبر أشبه بمباراة حامية، فكل طرف يحاول أن يبرز بأعلى عرض ممكن ليفوز في هذه المسابقة، وفي هذا السياق، قالت أم الديب بصياح، وهي تبسط ذراعيها الاثنين في الهواء إلى الأعلى، كما لو كانت تدعو الجميع للتقدم والزيادة في عروضهم، بينما تعكس حركتها المشهد المشحون بالتحدي:
=بس! بنتي هايدي يجيلها بـ ٥٠٠ ألف شبكة وإلا كدهو الجوازة دهي متلزمناش!

وقف حسين معترضًا على هذه الطلبات العسيرة، مبدئيًا رفضه للزيجة التي رأى أنها ستكون فاشلة. بدا كأنه يسير وراء مثل "الكتاب يُعرف من عنوانه"، حيث تجسدت لديه النتيجة سلفًا قبل أن يبدأ في خوض ملحمة المشاكل التي أثارها أم الديب. كانت ملامح وجهه تعبر عن الاستياء، بينما كان يستعد للتعبير عن رأيه بوضوح قال بنبرة حادة، تفيض بالتصميم على موقفه:
_يلا يا زياد قدامي، البيت ده ملناش نصيب فيه.
يتبع....

الفصل التاسع والعشرون

بعدما نهض حسين، وابنه زياد للمغادرة، وتيقن الوالد أن تلك العلاقة قد انتهت قبل أن تبدأ، وظهرت علامات الحنق على وجهه، ارتعد قلب هايدي من هذا المشهد العسير الذي يفسر انتهاء علاقات لا يجب أن تنتهي أبدًا، فتبدلت ملامحها في الحال، وقد ارتسمت على وجهها علامات القلق، حيث شعرت بمرارة الفراق وكأنها تتجرع كأسًا من الألم، وبدأت الدموع تتجمع في عينيها، فيما كان تفكيرها يجول في تفاصيل الأيام التي مضت، فقالت بهلع:

_ يارب لا!

استقام الجميع، بما فيهم المعلم حنفي، الذي كان يتجه نحو أخيه بخطوات مملوءة بالقلق، وعندما وصل إليه، لمس ذراعه بحنان، متوسلاً إياه أن يجلس، قائلاً:

= أقعد بس يا حسين ياخويا! ما قولنا ملكش دعوة بيها يا أخي!

قال حسين باعتراض، وقد أبرزت ملامح وجهه الاستياء، وهو يشعر بثقل الكلمات التي كان عليه أن ينطق بها:

_ الكلام ده ميصحش يا حنفي!

تحدث أحمد وهو يحاول نصب زمام الأمور بكل طاقته، مستجمع كل ما لديه من قوة، وإرادة لضبط الأمور، وإعادة التوازن إلى الموقف المتوتر:

= أقعد يا عمي نتكلم كلمتين! ملكش دعوة بماما!

كل واحد منهم أبدى اعتراضه على نهاية الزيجة، وقد تجلى هذا الاعتراض في مواقفهم المختلفة، بما فيهم جلال، الذي تدخل بقصارى جهده، متجهًا نحو عمه بنية صادقة لحل المشكلة المتفاقمة، وجاهدًا بكل ما أوتي من قوة في محاولة التوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف، متحدًا بنبرة تنسم بالإلحاح:

_ أقعد يا حاج!

جلس حسين، وابنه زياد من جديد احترامًا لطلبهم، وقد برزت على وجهيهما الموافقة على منح الحوار فرصة أخرى، في حين سحبت نعمة أم الديب بعيدًا عنهم بخطوات محسوبة، محاولة إبعادها عن الاحتقان السائد، ثم التفتت إليها بنظرة مليئة بالحنان، وقالت لها بتمثيلٍ متقنٍ، وكأنها تحاول تهدئتها:

= بقولك ياما أنا تعبانة معرفش ضهري ماله! ما تيجي معايا نروح للدكتور نكشف!

قالت أم الديب بغلاظة:

_ وهو دهو وقته يا بت؟ وسعي من قدامي! لما نشوف حوار أختك الأول نبقى نشوف حوار الدكتور دهو.

وضعت نعمة يديها خلف ظهرها، تتحسسها بألم وكأنها تتقمص شخصية درامية بكل براعة كممثلة قديرة تجيد فن التمثيل، حيث بدا واضحًا في كل حركة أنها تتعمد إظهار الإحساس بالمعاناة بشكل مبالغ فيه، ثم تلفظت بوجه متألم:

= مانا تعبانة أوي ياما ومش مستحيلة!

أزاحتها أم الديب بعيدًا عنها بقوة، دون أن تراعي أن نعمة هي ابنتها وذراعها الأيسر في الحياة، وأكدت بذلك على إصرارها في الفصل بين مشاعرهما العائلية، واحتياجاتها الشخصية، حيث كانت كل ما يهمها هو إثبات حضورها بين الرجال والظهور بمظهر القادرة على التدخل في كل الأمور، مما جعل صوتها يتصاعد، ويتردد في أرجاء المكان:

أم الديب الجزء الثاني

_بقولك ايه حلي عن نفوخي الساعة دي!

في الخارج، بالصالة، قال جلال بحزم، وقد بدا عليه إصرار واضح، وهو يتمنى في أعماق قلبه أن يكون مهر أخته في حدود المعقول، لا مبالغ فيه ولا ضئيل جداً، فكان يشعر بقلق عميق تجاه توازن الأمور، محاولاً التأكيد على أهمية ضبط هذا البند بما يتماشى مع الواقع:

=احنا عايزين ذهب سبعين جرام.

لم يمانع حسين من تلبية مطلب جلال، فقد بدا أنه يقبل بفكرة توازن المهر وتفهم أهمية تحديده بشكل عادل، وذلك نظرًا للظروف الحالية والرغبة في الحفاظ على روح التقدير بين الأطراف، وبذلك، عبّر حسين عن موافقته بسلاسة، مؤكداً استعداده لقبول شروط جلال دون تردد:

_وماله؟ ميغلاش على هايدي.

شعر أحمد أن ذلك المبلغ قليل، فقد بدا له أن المهر الذي يُحدد الآن لا يعكس القيمة الحقيقية التي يتمنى أن تحصل عليها أخته، وذلك لأن تجربته الشخصية قد تغيرت بشكل كبير منذ أن تزوج من ابنة الأثرياء، حيث أصبح يقارن بين مستوى الرفاهية الذي يعيش فيه، وحياة عائلته السابقة، مما دفعه إلى أن يعيد تقييم الأمور بنظرة جديدة، فلم يعد يرى الأمور كما كان من قبل. هو الوحيد الذي يتمنى لأخته أن تعيش حياة الفخامة، ويتوق إلى أن تكون أسعد الناس، حتى وإن تطلب الأمر زيادة المهر لتناسب مستوى الحياة الذي يأمل أن تتمتع به، فبدأ يعبر عن رغباته بصراحة، قائلاً:

=سبعين جرام قليل أوي عليها، احنا عايزين مية جرام ويبقى كويس أوي.

سواء كان مطلبهم ملايين أم آلاف، فإن كل هذا لن يغير من اقتناع زياد بشيء، إذ كان دائماً في أتم استعداد لجلب أحلامها بين يديها وتلبية أي رغبات قد تعبر عنها، فحتى لو طلبت قلبه، فلن يتأخر في تقديمه بكل سرور، لأن حبه لها كان أقوى من أي شعور بنقص المال أو الحالة المادية التي قد يمر بها، فهو يرى في سعادتها ورفاهيتها أعلى من أي قيمة مادية، ولذا، في خضم هذا الموقف العصيب الذي استولى على وقتهم، جلت ابتسامه واسعة من بين شفثيه، وقال بنبرة تعكس الإصرار:

_هايدي لو تطلب نجمة من السما هجيبهاها!

جلال، صاحب الشخصية الحادة والذي لا يسمح بتجاوز الحدود أو التلاعب بالقوانين، لا ينتمي إلى الشباب العاشقين الذين يحملون الورود الحمراء، ويغمرهم الرومانسية الحاملة، إذ إن خشونة صوته، التي تجلت بشكل بارز في نبرته المتسلطة، كان لها دور كبير في تعبيره عن اعتراضه، حيث أظهرت نظراته استخفافاً واضحاً بالمسألة، ثم تلفظ بفضاظة، ليدلل على مدى تباين سلوكه عن سلوكيات الآخرين:

=ماجرا ايه يابا؟ ما تهدي على نفسك! انت مش عامل حساب لأبوها ولا لأخواتها؟ مانا لو هوا قدامك عرفني!

قال أحمد بدرجة صوت تكاد تكون عالية، حيث كانت نبرته تملؤها الحدة، تعكس مشاعره الجياشة:

_خلاص يا جلال في ايه؟ الراجل شاري هايدي! هو مقالش حاجة غلط!

تحدث المعلم حنفي برضا تام:

=يبقى ان شاء الله سبعين جرام ذهب حلو.

تلفظ أحمد بكلماته الهادئة مع عمه حسين، وهو يظهر له تبجيله قبل أي شيء آخر، فكان في كل كلمة ينطقها يضع في اعتباره أن العم يُعد في منزلة الأب ويستحق التقدير العميق، ليضع وسام المحبة فوق رأسه كما يفعل مع أقرب الناس إليه، مما أضفى على حديثه لمسة من الاحترام:

أم الديب الجزء الثاني

_ أنت يا عمي على راسي، بس سبعين جرام أنا شايفه قليل!

احترم حسين طريقة حديث أحمد العقلانية، التي تكن الكثير من الرصانة والنضج، فابتسم ابتسامة حانية، تعكس تقديره لأسلوب أحمد الهادئ، وأظهر من خلال ابتسامته مدى اعتزازه بموقفه، مما ساهم في تهدئة الأجواء، فقال له:

=اللي تشوفه يا أحمد... اتفق انت، وأبوك، وجلال وشوفوا عايزين بكام واحنا من ابيدنا دي لإبيدنا دي. نطق أحمد ببشاشة، وهو يتمنى أن تسير الأمور كما خطط لها، فكانت نبرته مليئة بالتفاؤل:
_ الله يخليك يا عمي، احنا مبنعجزش حد احنا بس علشان نضمن حق أختنا.

يعلم حسين أن الزواج ليس أمرًا عبثيًا، بل هو مسألة بالغة الأهمية وتحمل مسؤولية خطيرة على عاتق الشريكين، إذ يتطلب تضافر الجهود والاحترام المتبادل لتأسيس علاقة مستقرة، ومع ذلك، فإن حسين يدرك أيضًا أن قبل أن تود هايدي زياد، فإنها ستكون تاجًا فوق رأسه، وضرورة احترام وجودها في حياته، وهو ما عوّده عليه منذ الصغر، بأن يحترم، ويعزز قيمة كل شخص يقترب منه، وفي هذا السياق، قال الوالد برصانة، تتضمن الحكمة العميقة التي تراكمت عبر السنوات:

=حق أختكم في الحفظ والصون، ومحدث يقدر ياكل حقها، احنا أهم حاجة عندنا تشيل هايدي في عيننا. اقتنع جلال أخيرًا بأن المائة جرام من الذهب هي الحل الملائم الذي يرضي جميع الأطراف، ويحقق التوازن بين تطلعاتهم، فدخل معهم في دائرة الاتفاق بارتياح، حيث بدت على وجهه ابتسامة تعكس القبول، فقال له:

_ هو ده الكلام يا عمي حسين، طب خلاص زي ما أحمد قال، مية جرام حلو. سأل حسين باهتمام، وقد بدا في عينيه إشعاع من الفضول، حيث كانت ملامحه تعكس حرصه الشديد على فهم التفاصيل الدقيقة للموقف:
=ده آخر كلام؟

أجاب المعلم حنفي بتأكيد:

_ بإذن الله آخر كلام.

تفوه حسين بطمأنينة:

=توكلنا على الله.

سأل جلال عن أحوال المعيشة في المستقبل القريب، إذ كان من الضروري بالنسبة له أن يتأكد من أن أخته ستكون هنية في معيشة مريحة تعكس مستوى من السخاء الذي يتمنى لها أن تحظى به:
_ وبالنسبة للشقة أخبارها ايه؟

أجاب زياد بوضوح، دون تزييف الحقائق أو تجميلها، متحدثًا بكل شفافية عن أحوال المعيشة والتفاصيل المتعلقة بمستقبلهم، حيث كان يسعى لتقديم صورة دقيقة عن الوضع كما هو:
=أنا عندي شقة هنا، أكيد انتوا عارفين يعني، بس أنا مش حابب أقعد هنا.

بعدما عاش أحمد في شقة بحي الأثرياء، واعتاد على أسلوب حياتهم الفاخر التي توفرها تلك البيئة، قرر أن يضع أخته بنفس المستوى من الراحة التي اختبرها، حيث لم يكن قادرًا على تصورها تقضي بقية حياتها وسط الريف بكل ما يحمله من مشقة لا يمكن تجاهلها أو تحمّلها بسهولة، فكان من الواضح أن التباين بين أسلوب حياته وبين الحياة التي قد تُفرض على أخته في تلك البيئة الريفية، سيكون غير مقبول

أم الديب الجزء الثاني

بالنسبة له، لذا، تقدم باقتراح يهدف إلى ضمان أن تعيش أخته بنفس مستوى الترف الذي تعود عليه، لذلك تلفظ:

_ لا بصوا فككم من الشقة اللي هنا... أنا هشوفلك شقة في المنطقة اللي أنا فيها، ولو شقة فضيت عندنا هعرفكم.

ضحك زياد، وتعلقت على وجهه ابتسامة ودودة تعكس إخاءه، وقد بدا في ضحكته مزيج من الإيجابية، وكأنه يجد في الموقف نوعًا من التفهم، وقال:
=طب ياريت، هو أنا أكره أكون جارك؟

تلفظ جلال بوجه عابس، كاد أن ينثر أشعة سوداء محملة بالكثير من التهكم، حيث كانت ملامحه تعكس استياءً عميقًا:

_وانت مش عاوز تقعد هنا ليه عدم اللا مؤاخذه؟

رد زياد ببساطة:

=أنا عيشت مع الحاج برا فترة طويلة وشوفت الحلو والوحش، والصراحة حابب أعيش هايدي في مستوى حلو.

قال أحمد باقتناع، معبرًا عن تأييده الكامل للفكرة، وتفهمه للموضوع:.

_أنا عن نفسي موافق.

رد جلال بموافقة:

=وماله؟ هو أنا أكره الخير لأختي؟

تحدث المعلم حنفي بسرور، مشعًا بالرضا:

_احنا مش هنلاقي أحسن من زياد ابنك!

قال حسين بحبور، وقد عكست نبرته الفرح:

=متحرمش منك يا حنفي ياخويا.

نفوه جلال باستعداد، مظهرًا تفاؤله بالموقف:

_نقرأ الفاتحة.

رفع الجميع أيديهم ليقروا الفاتحة بتأني في أجواء الغبطة التي ملأت المكان، بينما كانت هايدي برفقة ليالي، ونعمة في الغرفة، يفعلون مثلما يفعل الآخرون بالخارج، حيث تجلى المشهد في انسجام بينهم، وكان الصوت الصادر من الخارج يعبر عن أجواء الاحتفال، وبعدها انتهوا من قراءة الفاتحة، أطلقت نعمة، وليالي الزغاريد، معبرين عن قوة بهجتهم. لكن فجأة، دخلت أم الديب، محطة للسور، كقطار متهور عازم على هرس كل ما حوله، وصاحت بهن بكل قسوة، وقالت بشحناء:

=ايهي بتزغردى على ايه يا بت منك ليها؟ سنكم لسه ميتة وانتوا هنا هو عمالين تزغردوا ولا هاممكم حاجة؟

ردت نعمة بدهشة، تعبيرًا عن صدمتها من التصرف غير المتوقع:

_سنى ايه اللى ميتة بقالها تسع شهور؟ ما تكبرى دماغك ياما، الله يرحمها بقى!

قلبت أم الديب وجهها، وقالت بانزعاج، مظهرة استياءها من الوضع:

=ايه شوف البت ولا فارق معاها ازاى؟

عانقت ليالي هايدي بفرح، وقدمت لها التهاني بقلوب مليئة بالسعادة، غير مصدقة أنها أخيرًا تخلت عن أفكارها السودوية بشأن الزواج، التي كانت تملأ ذهنها، وتؤثر على رؤيتها للمستقبل. فقد بدا وكأنها

أم الديب الجزء الثاني

تودع فترة من التشاؤم، معبرة عن أملها في بداية مشرقة، واحتفلت مع هايدي باللحظة المميزة التي كان يملؤها التغيير الإيجابي، مما أضاف السعادة إلى الأجواء المحيطة، وقالت لها:
_ ألف مبروك يا هايدي عقبال الخطوبة، والفرح.
ردت هايدي بسرور:
=الله يبارك فيكي.

اقتربت نعمة من هايدي بطولها المهيب، وعانقتها بحنان الأخت الذي يعكس عمق روابط الأسرة، بينما كان الجميع غير مقتنعين تمامًا بأن عقدة هايدي قد انفكت أخيرًا بفضل زياد الذي سرق قلبها وساهم في تغيير نظرتها للأمور. فقد بدا الأمر كتحول دراماتيكي يعكس مدى تأثير زياد في حياتها، فتحدثت نعمة بهجة، تعبر عن سعادتها العميقة لنجاح زياد في تغيير مسار حياة هايدي:
_ مبروك يا هايدي ياختي، عقبال ما تلبسي دبلته.
قالت هايدي باغتباط، وهي مسرورة بالتغيير الذي طرأ على حياتها:
=الله يبارك فيكي يا نعمة.

بالخارج في الصلاة، بعدما تبادلوا العناق والتبريكات، قال زياد بلهفة عارمة، معبرًا عن حماسه بالمستقبل، وكأنه يشارك الجميع فرحته العميقة:

_ هنروح نجيب الشبكة امتى يا عمي؟
أجاب المعلم حنفي كأنه قد منح شخصيته لأبناءه، وترك لهم اتخاذ نهاية القرار دون تدخل منه، مما يعكس ثقته في قدرتهم على اتخاذ القرارات المناسبة بأنفسهم:
=أخواتها هيقولوك.

رد جلال بجرأة، متجاوزًا حدود التفكير في العواقب القادمة أو استحضار حكم العقل بطريقة صحيحة، كأنما اندفع بكلمات قوية لا تلين:

_ بكرا الضهر ننزل نجيب الشبكة.
اعترض أحمد على موعد يتسم بارتفاع درجات الحرارة بشكل ملحوظ، حيث كانت الشمس تلقي بأشعتها الحارقة، مما جعل هذا الوقت غير مناسب على الإطلاق. بدا وكأنه قد تفوق على جلال بفطنته الحاذقة، حينما علق بمرونة تفكير قائلًا:

=الضهر ايه يا جلال؟ هنتزلهم في عز الحر علشان يجيبوا الشبكة؟
لم يكن جلال يصدق أن أخاه الأصغر يجرؤ على محاولة التدخل ولو بشكل بسيط، محاولًا استبداله في إصدار الأوامر. كان جلال، وهو يسعى لفرض سلطته ونفوذه بشكل مطلق، يرفض هذا التدخل بكل حزم، وكأنما أراد إثبات هيئته بشكل يذكر بتصرفات قط يتبول في المكان ليثبت وجوده بين بقية القطط. هكذا كان حديث جلال، الذي عبّر عنه بلسانه المتسم بالاحتقار، حيث نطق قائلًا:

_ ما بقولك ايه أنا أخوك الكبير وأفهم عنك!
أحرقه أحمد بردوده الحصيفة التي جاءت سريعة، وهو يقول بدهشة:

=وايه علاقة الكبير والصغير بالفهم؟

وأردف لعمه حسين:

_ بُص يا عمي، احنا ان شاء الله نجيب الشبكة بكرا بالليل حتى تكونوا جهزتوا حالكم.
قالت أم الديب بلهجة غليظة، محاولة بكل السبل أن تعقد الأمور وتزيد من تشابكها:

_ الشبكة يجيبوها دلوقتي!

تلفظ حسين باستغراب، مُبدئًا تعجبه البارز:

=ده اللي هو ازاي يعني؟

نطقت أم الديب بعناد، وكلماتها تنسل من بين شفثيها الداكتين بتصميم لا يُقهر:

_ هو كده يا إما مفيش شبكة ولا فرح!

قال جلال بصياح، دون أن يأخذ في اعتباره مقام والدته ومكانتها، مستعرضًا سخطه بكل وقاحة:

=ما تركحي على جنب ياما، وطلعي نفسك منها! مانا مش فاهم انتي حاشرة نفسك من ساعتها ليه؟

تفوه حسين باشمزاز، وبدا على وجهه لمحة من الغرور الطفيف، رغم أن شخصيته تتسم بالتواضع،

والود مع الجميع. لقد كان في نبرته مسحة من الكبرياء الخفيف، الذي لا يليق إلا بالأرواح العظيمة:

_ أنا مش هرد عليك، كلامي مع الرجالة!

وقفت أم الديب إزاءه، وقالت بكَراهية جلية لا تتستر، وكأن كل كلمة تنبض بالبغضاء الذي يتفجر من

أعماقها:

=ايهي، انشالله ما رديت، هو انت تطول تتكلم معايا؟

جَزت نعمة على أنيابها وندمت على ترك الوالدة بمفردها، كما لو أنها أطلقت سراح فأر لعين من

المصيصة، ليعود مجددًا إلى أكل الأخشاب وتدميرها، ثم قالت بقلق واسع:

_ تعالي معايا ياما عايزينك في حوار!

وسحبت أم الديب بيدها وأدخلتها مرة أخرى، فتلفظ جلال بحسم، وكلماته تأتي كقطعناات حادة تضع حدًا

للجدل:

=وبالنسبة للشبكة احنا هنجزلكم حته أرض بتاعة جارنا وهنظبطها لكم على الآخر... هتصلكم ببتاع

الفراشة يروقها.

بعدما تمنى أحمد أن ينظم حفل خطبة يتجاوز أحلامه في ضخامته، وجماله، فوجئ برد جلال الذي لا

يتجاوز عقلية ضئيلة، إذ بدا وكأن آخر طموحاته في الحياة هو مجرد سن مطواة وتنظيفها. حينها، عبر

أحمد عن انزعاجه بوضوح، قائلاً:

_ أرض ايه بس؟ احنا عايزين الخطوبة في قاعة كويسة!

خرج جلال عن شعوره لكثرة تدخلات أخيه الذي كان يحاول فرض آرائه بقوة بين الحضور، مسببًا

بذلك توترًا في الجو، وعندما تجاوز الأمر حده، لم يتمالك جلال نفسه، وصرخ بعصبية، قائلاً:

=انت يا ض حاطط راسك ل فوق أوي وتعبتني معاك، وأنا وربنا ما عاوز أقل منك عشان انت أخويا

فلمها كده، وخليها تمشي بالحب!

دخلت ليالي إلى المطبخ بتفاؤل، وهي تتحرك بنشاط، وتحمل الأطباق لتجهيز الحلوى، بينما صبّت

شربات الورد اللذيذ في الأكواب بأناملها المحبة، في أجواء مليئة بالسعادة بحلول حفل قادم في حياتهم،

الذي يُعتبر حدثًا بارزًا منذ ليلة زفاف نعمة. كانوا في فترة استراحة من الابتهاج، وفي تلك اللحظة، رد

زيد على حديث جلال بوضوح، قائلاً:

_ أنا هعمل الخطوبة في قاعة وعلى حسابي، الخطوبة هدية مني ليكم ولو إنها يعني المفروض عليكم

مش علينا!

تلفظ أحمد بدهشة:

=لا ازاي؟ أنا الخطوبة هتكفل بكل حاجة فيها، أنا شايف إن المصاريف هتبقى كثير عليك يا زيد!

أم الديب الجزء الثاني

تنهد زياد معبرًا عن صعوبة تكاليف الخطبة، وأعرب عن استصعابه بوضوح، قائلاً:
_ هي بصراحة هتبقى كتير أوي، بس كله يهون علشان هايدي... أنا بحاول أرضيكم بأي شكل.

رد أحمد بابتسامة:

= لا لا سيب موضوع الخطوبة ده عليا أنا... احنا إن شاء الله بعد ما نجيب الشبكة، نلف نشوف القاعات
سوا.

قال حسين ببشاشة، وهو يعير عن سروره:

_ وماله؟ واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

وواصل لزياد بحنو:

_ مبروك يا زياد يابني.

رد زياد بفرحة، وهو يشارك الآخرين بهجتهم:

= الله يبارك فيك يا بابا.

نادى أحمد العروس هايدي لتأتي وتصافح عريسها، وحماها، وكان صوته يملأ الصالة بنبرة حماسية.
بدا وكأن أحمد أراد أن يخلق لحظة من السحر، حيث أن حضور هايدي وتبادل التحيات مع عريسها،
وحماها كان يشكل جزءًا أساسيًا من الاحتفالية التي تجمع بين الأهل في هذا اليوم المميز. فقال بنبرة
مغمورة بالحب:

_ يا هايدي تعالي سلمي على العريس!

نطقت نعمة من داخل غرفة العروس، محاطة بأجواء من الهدوء، وهي تحت هايدي على التحلي
بالجراة، والتخلي عن الخجل. كانت الغرفة مزينة بالألوان الهادئة، بينما كانت نعمة تحرك يديها
بتشجيع. جلست هايدي على الكرسي أمام المرأة، فستانها الأحمر اللامع ينعكس في الزجاج، وكانت
عيناها تعكسان التوتر. لكن نعمة اقتربت منها بوجه مليء بالطمأنينة، ووضعت يدها على كتفها برفق،
وقالت بصوت عذب:

= يلا اطلعي يا هايدي!

دخلت ليالي الغرفة، تاركة ما في يدها من أجل مساعدة هايدي، وشاركت نعمة في إزاحتها بلطف نحو
موقعها المخصص. كانتا تتعاونان كرجال يقودون سيارة نقل ثقيلة على الطريق، في محاولة لإزاحتها
بأقصى جهد ممكن، ومع ذلك، لم تنجح محاولتهما، إذ ظلت هايدي صامدة، تقاوم بشدة بتوتر ملحوظ.
فقال زوجة أخيها، في محاولة لتشجيعها، بحنكة:

_ اطلعي متكسفيش!

ردت هايدي بخجل:

= استنوا بس، استنوا!

توقفت نعمة عن محاولة إقصاء هايدي، وبدلاً من ذلك، قالت بترقب:

_ استنينا أهو... مش عايزة تطلعي ليه؟

تفوهت هايدي بإحراج عارم، وقد بدت علامات الاحمرار واضحة على وجهها، حيث عبرت عن
مشاعرها بصوت خافت:

= أنا أول مرة أتخط في الموقف ده، وبصراحة خايفة.

ضحكت ليالي بلطف، وعيناها تتلألأ بالمرح، ثم قالت:

أم الديب الجزء الثاني

_ كل اللي حصلك ده حصلي أيام ما جلال جه اتقدملي، هما شوية كسوف في الأول وبعدين هتتعودي...
اطلعي بس!

حينما تأخرت العروس عن الخروج، رفع المعلم حنفي صوته بنبرة حازمة، تتخللها لمحة من الإلاح، بينما كان الجميع في الخارج يتطلع بشوق إلى ظهورها. نادى بوضوح، وصوته يملأ المكان، قائلاً:
=يا هايدي... هايدي!
أجابت نعمة، بالنيابة عن هايدي، بنبرة عالية، محاولةً أن تعكس موقف هايدي الواضح، وحماستها الكبيرة تجاه قراءة الفاتحة:
_ هايدي جاية أهو يابا.

أزاحتها ليالي جانبًا بحركة دقيقة، ثم رفعت رأسها بشموخ، وقالت بشجاعة لا تقبل التردد:
=يلا اطلعي متخافيش!

نظرت هايدي إليهم بعينين متسعيتين خوفًا، وكأن كل زاوية في جسدها تعكس توترًا لا يمكن إخفاؤه، ثم خطت خطوات مترددة نحو الصلاة، وهما تبعاعها بحذر، وهما يريدان أن يشاركاها كل لحظة من تلك التجربة المثيرة للأعصاب، وعندما وصلت إلى الصلاة، اقتربت من عمها، والعريس زياد بخطوات خجولة، مبدية احترامًا وتقديرًا عميقين. كانت تحني رأسها نحو الأرض، وكأنها تبحث عن كلمات مناسبة تقولها في هذا الموقف المهم. أخيرًا، رفعت رأسها قليلًا وقالت بخجل:
_ ازيك يا عمي حسين؟

صافحها حسين بفخر ظاهر، إذ ابتسم لها ابتسامة عريضة مليئة بالاعتزاز، وقال بثقة:
=الحمدلله، يا أهلاً وسهلاً، بدر منور.

مدت هايدي يدها للعريس بحياء، وكانت وجنتاها تشتعلان حمرة كزهر الورد في ربيع الشباب، ونظراتها تهرب بخجل نحو الأرض كالفراشات التي تبحث عن مأمن في ظلال الزهور. بنبرة خجولة، تحدثت وكان الكلمات تتسرب من بين شفتيها بتردد:
_ ازيك يا زياد؟

نظر زياد في عينيها بعشق يفيض من أعماق قلبه، وكأنما يرى فيها عالمًا من الأحلام، وأجاب بابتسامة مشرقة أضاءت وجهه كأشعة الشمس في صباح ربيعي، تعبر عن سعادة لا حدود لها:
=الحمدلله.

دخلت هايدي المطبخ بخطوات حذرة، وأحضرت صينية الشربات التي أعدتها ليالي بعناية فائقة، وخرجت بها إلى الضيوف، بينما كانت أناملها ترتجف بتوتر، وهي تحاول جاهدة أن تحافظ على توازن الصينية. كان الشربات يهتز في الكؤوس، وكاد يتساقط منها من شدة ارتباكها، ومع ذلك، استجمعت شجاعتهما وتقدمت بخطى مترددة نحو الجميع لتوزع الشربات عليهم. جلست جانب العريس زياد وهي تشعر بالإحراج العارم، وكأن حرارة الخجل تتصاعد إلى وجنتيها. حينها، نطق حسين بفخر ظاهر نحو ليالي، مشيدًا بما قدمته من جهد في إعداد الشربات:
_ ماشاء الله، مراتك يا جلال محترمة.

قال جلال بابتسامة:

=الله يخليك يا حاج.

أم الديب الجزء الثاني

ردت ليالي ببشاشة مشرقة تضيء وجهها:

_ أنت محضرتش فرحنا بقي، فاتك كثير.

نفوه حسين بلطف، مبتسمًا بودّ وكلماته ملؤها الحنان، وكأنه يريد أن يعبر عن مشاعره الدافئة بطريقة تلامس القلوب:

=معلش كنت مسافر برا، ده أنا لا حضرت فرحكم ولا فرح حد من عيال أخويا بس النصيب جابني أحضر فرح هايدي، وهايدي طيبة طالعة لأبوها.

قال المعلم حنفي، وهو ينظر إليه بعينين مليئتين بالحكمة، وابتسامة خفيفة تلعب على شفثيه:

_ أه والله ده احنا ناس غلابة، ربنا العالم بينا.

اقترب زياد من أذن هايدي، وهمس بنبرة حنونة، مشدودًا بتعابير وجهه التي تعكس استغرابًا لافتًا من خجلها، وهي تضم ساقيهما وذراعيها نحو الأسفل كما لو أنها تبحث عن مأوى في أحضانها، سابغةً على لحظة التواصل، فحدثها بدهشة:

=ايه يا هايدي؟ حاسك مكسوفة أوي!

ردت هايدي بخجل، ووجهها قد تورد خجلًا كزهور الربيع، وعينيها تتجنبان النظر المباشر له، بينما

ارتعش صوتها بأرقى درجات التردد، وكل كلمة تنبثق من بين شفثيها بحذر:

_ لا خالص، وأنا هتكسف إليه بس؟

ضحك زياد بلهفة، وهو ينغمس في جمال عينيها الساحرتين وكأنهما مرآة تعكس أعماق روحه، وفجأة، تجسد في صوته حيوية لا يمكن إنكارها، حينما تلفظ:

=بس بصراحة أنا مش مصدق إننا هنتخطب!

ردت هايدي بتلعثم، والكلمات تلتف حول لسانها، وتتعثّر في محاولتها للترتيب، كانت تحاول جاهدة جمع حروفها الساقطة، وتجميع أفكارها المتناثرة مثل قطع اللغز:

_ ولا أنا... أدعي بس إن ماما ربنا يهديها عالطول، أنا لسه مقلقة منها.

قال زياد بإصرار، وهو يسير كفيًا وراء مشاعر قلبه المُحب التي لن تتغير تحت أي ظرف، كأنه يتبع نداءً داخليًا لا يمكنه مقاومته:

=تعمل اللي تعمل! مفيش حاجة هتهزني، ولا هتغيرني من ناحيتك يا هايدي، لأن أنا شاربي بجد!

ابتسمت هايدي، وهي تشعر بالحرّج الشديد ولا تدري ماذا تقول، في الوقت الذي كانت فيه مشاعرها تتصارع في صمت، ولكن أم الديب، التي كانت تراقب الموقف عن كثب، نطقت بحسرة واضحة في نبرتها، وكان قلبها ينزف بمرارة كلماتها:

_ يا ألف بركة... يا عيني عليك يا هايدي، هنتخطبي وتسيبي أمك.

سأل المعلم حنفي أخيه حسين عن أهم سؤال، فتصاعدت نبرة فضوله بشكل واضح، كأنما كان يسعى بعمق لفهم جوهر الموضوع، وتفصيله:

=أما صحيح يا حسين احنا مقولناش الخطوبة تبقى قد ايه!

كلما ازدادت فترة الخطبة، ازدادت درجة فهم الطرفين لبعضهما البعض، حيث بدأ كل منهما يتعرف على جوانب الشخصية الأخرى، ويدرك التفاصيل الدقيقة التي قد تكون غير واضحة في البداية، ولكن في الوقت ذاته، تتزايد المشاكل بينهما، ويبدأ الملل يتفاقم شيئًا فشيئًا، لأن كل طرف أصبح أكثر دراية بما يثير مشاعر الآخر، وأصبح من الصعب الحفاظ على عنصر المفاجأة في العلاقة. كلما تناقست فترة الخطبة، واكتشف الأسرار المكنونة في أعماق الآخر، ارتفعت احتمالية تلاشي الخلافات الجديدة، مما

أم الديب الجزء الثاني

يؤدي إلى اضمحلال الضغوط النفسية على كلا الطرفين. كان حسين، بدوره، يدرك هذه الديناميكية المعقدة في العلاقات الإنسانية، ولذلك تفهم الوضع وبدأ في التعبير عن رأيه بوضوح، فقال:
_سنة حلو يكون العيال جهزوا أمورهم.

تدخل أحمد في الحوار، وهو يشارك برأيه المقنع بثقة واضحة، حيث بدأ يتحدث بصوت متوازن يعكس عمق تفكيره، وتجربته الشخصية، وبتعبير جاد، تُلَفِّظ بكلمات تصف رؤيته للموقف:
=مع احترامي لكلامك يا عمي بس أنا شايف الخطوبة لما تبقى سنة ونص هيكون أحسن على الأقل يعرفوا بعض أكثر.

نطق حسين بموافقة، وهو يعبر عن تأييده الكامل لرأي أحمد:
_وأنا معنديش أي مشكلة، شوفوا انتوا عايزين ايه وأنا هعمله.
من الواضح أن جلال يسعى بكل جهده ليثبت ذاته القوية، حيث كانت محاولاته بارزة في كل تصرفاته، في هذا السياق، قال جلال بوضوح، وهو يعزز من مواقفه بحجج غير مقنعة:
=لا وأنا الكلام ده ميعجبنيش... الخطوبة هتبقى ثلاث سنين!
ردت ليالي بعقلانية:

_لا يا جلال ده كده هيملوا من بعض! معلش خدوا رأيي برضة، الخطوبة خلوها سنتين تبقى تمام، على الأقل يفهموا بعض كويس ويلحقوا يجهزوا أمورهم.
قالت أم الديب بكرهية، وكأنها لا تستطيع كبت مشاعر العميقة تجاه ليالي:
=وانتي مالك يا بت بتدخلي ليه؟ كان حد طلب رأيك؟ الخطوبة هتبقى خمس سنين!
نطق الجميع بصدمة:

_خمس سنين؟

أجابت أم الديب بابتسامة عارمة:

=أمال ايه؟ أي بتي متبعدهش عني بالسرة ده، وبعدين العيال لسه صغيرة، يكونوا كبروا شوية.
تعجب المعلم حنفي من المدة الطويلة التي تقترحها أم الديب للخطبة، إذ أن أقصى مدة معقولة في رأيه لا تتجاوز ثلاث سنوات، واعتبر ذلك مسألة غير منطقية، خاصة وأنها دائماً ما تضع عراقيل في طريق سعادتهم، وكأنها تنثر الأشواك بشكل متعمد لعرقلة سير الأمور بسلاسة. كان يراقب هذه التصرفات بذهول، متسائلاً عن سبب إصرارها على إطالة فترة الخطبة، فقال:

_عيال ايه يا ولية اللي لسه صغيرة؟ هايدي بتك متخرجة بقالها سنة ونص وبتشتغل!

تعهدت أم الديب استصعاب الأمور، وهي تتحدث بعناد شديد، وقد كانت نبرتها مليئة بالتحدي، كأنما تتبنى موقفاً ثابتاً دون أدنى مرونة:

=مليش فيه إيما مفيش جواز بالكل!

رد زياد بهدوء، محاولاً أن يقنعها بفكرتها الخاطئة، فقد اعتمد على أسلوبه الهادئ المتوازن ليفند حججها بأسلوب منطقي، مسلطاً الضوء على مزايا الحلول الأكثر مرونة. بدلاً من الرد بحدة:

_يا مرات عمي أنا مينفesch أخطب كل المدة دي! ثم إن مفيش حد بيخطب خمس سنين! هما آخرهم بالكثير أوي سنتين.

قالت نعمة باستغراب:

=ياما حرام عليك، سيببها تفرح بقى!

أم الديب الجزء الثاني

أجابت أم الديب بنبرة خشنة، وكان كل كلمة تخرج من بين شفثيها كانت مشبعة بصلافة، تنم عن الإصرار على موقفها، وعدم استعدادها للتنازل:
_ حرمت عليك عيشتك يا بت!

تلفظ أحمد بثبات في رأيه، حيث لم يهتز لحديث أم الديب المستفز، بل ظل صامدًا في موقفه وقراره بشأن أخته. برزت قوة إرادته من خلال هدوءه الواثق:
= خلاص زي ما اتفقنا، ان شاء الله الخطوبة سنة ونص.
قال حسين بموافقة:

_ معنديش أي مشاكل، يلا على بركة الله.
نطق جلال:

=توكلنا على الله يا عمي.

تحدث المعلم حنفي بابتسامة:

_ ربنا يتم على خير .

رد زياد بفرحة:

=يارب .

تناول الجميع المشروبات الباردة بكل شغف، وتناولوا الكيك بالكريمة البيضاء التي كانت تتلألأ كالنجوم في ضوء المساء، بينما كانت نعمة تلتقط بعض الصور لأختها والعريس بكل حب، محاولةً أن توثق لحظات السعادة، وفي صباح اليوم التالي، وعند تمام الساعة الحادية عشرة، جلست ليالي على سريرها المريح، وقد تركت شعرها الناعم ينحدر بحرية على ظهرها، وهي تتحدث مع أختها هبة. كانت تخبرها بأدق تفاصيل الليلة الماضية، حيث سردت كل لحظة من تلك اللحظات الرائعة، من تفاعلات الضيوف إلى تفاصيل المغادرة، مما جعل هبة تستمع إليها بانتباه شديد، وكأنها تعيش كل لحظة مجددًا من خلال رواية ليالي، فحدثتها:

_ أيوه بس الواد شكله نضيف كده ميبانش عليه، وشكله هو وهايدي دماغهم زي بعض، ده احنا كنا مستغربين إن جالها واحد زي ده... سبحان الله فجأة طلعنا من تحت الأرض، بس الصراحة لايق عليها. قالت هبة بكراهية:

=أنا ميرتاحش لهايدي، حاساها منفوخة أوي على مفيش... ساعات بحس إنها بتقلد مرات أخوها، وبتحاول تبقى زيها.

ردت ليالي ببغضاء نحو هايدي، وقد كانت نبرة صوتها تتخللها مشاعر المرارة، مما أعطى كلامها طابعًا جافًا:

_ لا هايدي كده من زمان، من قبل ما أحمد يعرف جميلة... طول عمرها راسها فوق أوي، وإنفة أوي ياختي مبيعجبهاش العجب، مع إن تبصيلها تلاقي في الآخر إنها بت أم الديب يعني منفوخة نفخة كدابة. في الأسفل، عند أم الديب، قالت لابنتها بضيق، حيث كان صوتها محملاً بالإرهاق، وكأنها تبحث عن منفذ للتعبير عن مشاعرها المكبوتة. أضافت تعبيرات وجهها، ونبرة صوتها الطابع القاسي للكلمات التي كانت تخرج منها:

=بقي أني يا بت أقولكم خطوبة خمس سنين وفي الآخر محدش يسمع كلامي؟ بقي أم الديب على آخر الزمن يتعمل فيها كدهو؟

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي باختناق، وكأن الجدالات الفاشلة معها قد أخذت منها كل ما في جعبتها من قوة، فتسلل التعب إلى صوتها، وكل كلمة تخرج منها كانت تكافح للظهور عبر غيمة من الإحباط:
_ يا ماما مفيش حاجة اسمها خطوبة خمس سنين! يفرض فضلت مخطوباله خمس سنين، وفي الآخر محصلش نصيب؟ أعمل ايه ساعتها؟ ده مش هيكون ضاع من عمري سنة ولا اتنين هيكون ضاع خمسة، وانتي عايزاني أتجوز وأنا لسه صغيرة، ساعتها هتعملي ايه لما تلاقي بنتك عمرها ضاع على الفاضي؟

اقتنعت أم الديب بالحديث، رغم أن ملامحها أظهرت تأثير الانزعاج، ومع ذلك، استمرت في إبراز مظهر الكبرياء الذي تحاول الحفاظ عليه، كأنها ترفض تمامًا الاعتراف بكل ما قالته هايدي. تلعثت في نبرتها، التي جاءت مليئة بالتردد، وتفوهت:

=الكلام دهب مش داخل دماغي... يلا يا بت قومي اغسلي المواعين، عاوزاها بتبرق من النضافة! نهضت هايدي ودخلت المطبخ بالإكراه، وهي تسعى للتخلص من أذية أم الديب، وكلماتها المزعجة التي تسبب لها صدادًا مستمرًا، حيث أمسكت بالقدر وبدأت في تنظيفه بالقرب من الحوض، محاولةً أن تهدئ أعصابها، وتبتعد عن جو التوتر، وفي تلك اللحظة، بينما كانت تعمل بصمت، قالت أم الديب في نفسها بصوت غير مسموع، عاكسةً بداخلها مشاعر مختلطة من الاستياء:

_ ايهي خليني أمرمطها شوية قبل ما تتجوز وتسييني، ده البيت هيفضى عليا من بعدها... هفضل قاعدة بوزي في بوز حنفي العرة؟ يا دي المصيبة، ده أني يجوالي حاجة منه! جوازة هايدي دهني أي مش مصداها! يعني هتمشي وتسييني؟ طب وأنى أتخانق مع مين بس؟

بينما في الليل في محل الصاغة، حيث كانت أجواء المكان تنتسم بالألوان المتألئة، رحل الجميع باستثناء جميلة التي اختارت أن تبقى نفسها بعيدًا عن عائلة أحمد العشوائية، معتبرةً نفسها ابنة الأكابر المدللة. كانوا جميعًا منشغلين بتنقية الذهب، يفحصون القطع بعناية، وبعدما وجدت هايدي قطعة الذهب التي تلائم ذوقها الرفيع، قالت:

=حلوه.

سأل زياد باهتمام:

_ بكام؟

أجاب الصائغ:

=بخمسة آلاف.

تحدث زياد بسخاء، وهو لا يستخسر فيها شيئًا:

_ اختاريلك كمان دبلة وسلسلة.

ردت هايدي، وهي تختار الأشكال الحديثة من بين أنواع عديدة باهتمام:

=مائشي.

كانت ليالي، ونعمة، وأم الديب جالسات جنبًا إلى جنب على الكرسي، بينما كان الرجال واقفين. تلفظت ليالي بصوت منخفض:

_ ده غالي أوي، ولسه هيجيلها كمان!

خشيت نعمة من أن يسمعهم أحد، فلامست خصرها برفق، وقالت بنبرة خافتة:

=هايدي تستاهل الأحسن من كده!

قال جلال لوالده، وهو يتفحص الأسعار المرتفعة في محل الصاغة باستكبار:

أم الديب الجزء الثاني

_ الحاجة شكلها غالية أوي بابا.

رد المعلم حنفي بحكمة:

= هي غالية أه، لكن متغلاش على أختك.

سعد حسين، كونه والد العريس، بعد سنوات طويلة من التربية الشاقة التي مرّت منذ أن كان زياد مجرد قطعة لحم حمراء صغيرة، حتى كبر ووصل إلى ريعان الشباب، لم يكن بإمكانه تصديق عينيه أنه قد حان الوقت ليرى ابنه يتزوج بعد أعوام، وأن يصبح أبًا، ويجعله هو جدًّا، فنظر إلى المعلم حنفي، بعقل مشغول، وغير قادر على استيعاب واقع هذه اللحظة التي يعيشونها، فقال:

_ عيشنا وشوفنا عيالنا عرسان يا حنفي.

ضحك المعلم حنفي، ووضع يده برفق على كتف أخيه، مشعلًا ابتسامة دافئة على وجهه. ثم قال بحبور، وكأن صوته يحمل عبق الذكريات:

= عقبال ما نجوز عيالهم.

قهقه حسين بشدة، مما جذب الأنظار حوله بشكل لافت، ثم تلفظ قائلاً:

_ يا رجل واحنا هنبقى لسه عايشين؟

قال المعلم حنفي بتمني:

= الأعمار بيد الله مين عارف؟

تفوهت أم الديب بطمع، حيث كانت تأمل في شراء كل قطع الذهب الموجودة في المتجر من أجل ابنتها، وكأنها تتطلع إلى استغلال كل فرصة للحصول على ما يليق بها، بينما في ذات الوقت، إذا كانت زوجة ابنها هي التي تستحق الهدايا، لكانت قد أهدتها بعضا خشبية فوق رأسها، تعبيرًا عن مدى استهزائها، ورفضها للانتقاص من قيمة ابنتها بالمقارنة مع الآخرين، لذلك قالت:

_ أني بتي هايدي يتجايلها أعلى حاجة في الدكان دهو .

ثم نهضت بجشع، ووقفت على مقربة من سيف هايدي، وزياد، كأنها كاميرا راصدة تراقب اختياراتهم بدقة، حيث كانت عينها تنتقلان بين القطع الذهبية المختلفة، وكأنها تبحث عن الأفضل، وسألت الصانع بفضول شديد، متسائلة عن تفاصيل كل قطعة، وسعرها، لتتأكد من أنها ستنال أفضل ما يمكن الحصول عليه لابنتها:

_ ايه أعلى حاجة عندك هنا يا رجل انت؟

أجاب الصانع، وهو يشير بإصبعه على القطع المتاحة:

= عندي ذهب ممتزج بالألماس، في خاتم عندي بأربعين ألف، والسلسلة، والأنسيال على بعض بستين ألف.

تفوهت أم الديب بنبرة جلفة:

_ هاتهملنا!

قالت هايدي بدهشة:

= ايه يا ماما؟ ده مكنش اتفاقنا!

ردت أم الديب بحدة بالغة، ووجهها مشدود إلى أقصى حد، وكأنما أعدت نفسها مسبقًا لصنع عاصفة من الفوضى من أبسط الأمور، مترقبة الفرصة لتصعيد الوضع إلى أقصى درجات النزاع:

_ متبقيش عبيطة يا بت! آمال يضحك عليك، ويجيبلك أي حاجة؟

قالت هايدي باستغراب عميق، وقد علت وجهها ملامح الدهشة:

أم الديب الجزء الثاني

= وهو هيضك عليا ليه؟ مانا هجيب دبلة، وسلسلة، وأنسيال! انتي مستهونة بيهم؟ دول كتير أوي!
تفوهت أم الديب بطمع جلي في أموالهم، وقد ظهر الجشع بوضوح، وكأنما سُحرت بفكرة المال الذي
كان يشكل لها مغريًا لا يمكن مقاومته:

_ولا كتير ولا حاجة، يجيبهمك ويجيب عليهم الحاجات اللي طلبتها من الراجل، هو انتي كل يوم
هتتجوزي؟

سأل جلال الصائغ بفضول حول الأسعار، وقد بدت على ملامحه علامات الاستفهام. كان يبدو وكأنه
يبحر في عالم من التساؤلات:

=احنا اتفارقنا مية جرام، يعملهم في حدود كام يا عم الحاج؟

أجاب الصائغ بوضوح، وكانت إجابته مدعمة بالحقائق:

_في حدود مية وعشرين ألف كده.

اعترى جلال صدمة هائلة حينما تلقى الجواب، وكأنما صُدم بحقيقة غير متوقعة قد قلبت كل توقعاته
رأسًا على عقب. بدا وكأنه يجاهد لاستيعاب المعلومات الجديدة التي تهدد استقرار افتراضاته السابقة.
فقال بذهول:

=يا خبر أبيض! ده الجرام غالي أوي أوي!

قال الصائغ بنظرات مليئة بالدهشة، وقد كان يشير إلى الجهل الذي يعاني منه الآخر، كمن يواجه فردًا
يعيش في زمن مضى بعيدًا عن أحدث التطورات. كأنه يراقب شخصًا غافلاً عن التغيرات الجوهرية
التي طرأت على العالم من حوله:

_أمال ايه يا أستاذ؟ كل حاجة أسعارها زادت، هنعمل ايه بس؟ ما حنا بنستورد الخامات بالغالي فلانم
نبيع بالغالي أمال التاجر يخسر؟

تلفظ أحمد باقتناع:

=عندك حق، بس أنا شايف إن ده السعر المناسب.

نظر زياد إلى هايدي بتتيم عميق، وقال بمحبة صادقة:

_أنا هجيب أي حاجة هايدي تطلبها.

أعوجت أم الديب فمها، وأظهرت سخرية واضحة في تعبير وجهها، بينما وضعت يدها على خصرها
المتلئ بطريقة متعمدة، وقالت باستهزاء:

=يا كُهنه يا مُحنه... دهى مرارة واحدة يا ولا!

قال المعلم حنفي بفظاظة، ساعيًا لإنهاء مشكلاتها اللانهائية:

_اسكتي يا ولية، اطلعي انتي منها! خلي العريس وعروسته ينقوا بمزاج، متشغليهمش!

استقرت هايدي على خاتم نال إعجابها البالغ، فقالت بفرح:

=ده كمان حلو أوي.

تحدث زياد بغرام:

_ميغلاش عليك يا هايدي.

تدخلت أم الديب في الحديث بينهم بغلاظة، وكأنها تنتظر خطأ صغيرًا لتفجير الموقف، وقالت بلهجة
صارمة:

=جيب الحاجات اللي قولتهاك ولا لا؟

رد الصائغ باستجابة هادئة، محاولةً منه لتهدئة الأوضاع:

أم الديب الجزء الثاني

_حاضر يا حاجة.

قال جلال بدهشة:

=انتي مش شايفة بيقولك سعرهم كام؟

انفجرت أم الديب في وجه جلال، وقالت بصياح حاد:

_يكون زي ما يكون أي مليش فيه، بتي هايدي يجيبولها أغلى وأحسن حاجة، أمال يضحك علينا يا ولا؟

وكل اللي قاعدين أني بقولكم كلمة ومش هرجع فيها! لو هايدي مجالهاش أغلى حاجة في الدكان دهو

أنسوا أنكوا تحطوا أيديكم في أيدينا!

تحدث حسين بمواقفة:

=وماله؟ اللي تشوفيه يا أم العروسة!

تلفظت أم الديب بهدوء بعد عاصفة من الاهتياج، وكأنها استعادت رباطة جأشها لتقول ببرود محسوب:

_الله يسترك يا حاج.

ثم هدأت روحها ورجعت إلى مكانها مجددًا، فقرب حسين من المعلم حنفي، وقال بصوت خافت:

=مراتك واقفالننا زي اللقمة في الزور، واحنا مكنش اتفاننا نجيب أزيد من مية ألف، هي كده بتحطلنا

العقدة في المنشار، وبتعجزنا يا حنفي!

كان المعلم حنفي حريصًا على ألا تسمعه أم الديب، فقال له بصوت غير مسموع:

_أصبر بس ليها حل!

ثم نادى جلال، وأحمد للاتفاق سرًا دون أن تعلم أم الديب، وقال:

_تعالى يا جلال انت وأحمد، عايزكم!

قدم جلال، وأحمد، فسأل جلال بفضول:

=ايه بابا في ايه؟

أجاب المعلم حنفي بصوت خافت:

_أمك مصعباها على عمك، وشكلها ناوية لا تخربلنا أم الجوازة... اتصرفوا!

تحدث أحمد بنبرة منخفضة، تكاد تكون همسًا، خشية أن تسمعه أم الديب. كانت كلماته تتسلل بصعوبة

بين الشفاه المتوترة، وهو يحاول جاهدًا أن ينقل ما يود قوله دون أن يلفت الانتباه:

=طب بصوا احنا هنعمل إننا جيبنا اللي هي عايزاه، وهي كده مبتعرفش تقرأ ولا تكتب.

قال جلال بثبات، متحليًا بالاطمئنان الذي ينبع من ثقته العميقة في نفسه:

_عين العقل ده كلام مظبوط... روح عرف العريس ألا ينسى ويودينا في داهية!

رد أحمد:

=مائشي.

وبالفعل، توجه نحو العريس بهدوء شديد، وهمس له بنبرة منخفضة لا تكاد تسمع، شارحًا له الأمور بإيجاز ولكن بوضوح تام. في تلك الأثناء، جلس جلال بجوار المعلم حنفي، ودار بينهما حديث طويل مع الصائغ، حيث شرحوا له بعناية كل ما يتعلق بالزواج، مؤكدين له أهمية تجاوز أي عقبات قد تعترض طريق إتمام هذا الزواج. بعد استماعه للتوضيحات المفصلة، نطق الصائغ:

_ خلاص يا حاج مفيش أي مشكلة... الحاجة شكلها صعبة، الله يكون في عونكم.

أم الديب الجزء الثاني

قال المعلم حنفي باحتدام مكبوت، بينما كان يترقب نظراتها بحدة:
=حسبنا الله ونعم الوكيل، أدعي عليها بإيه؟

تحدثت أم الديب بصوت عالٍ يحمل في طياته الصياح، مما جذب انتباه الجميع نحوها، وجعل الأنظار تتركز على ما كانت تقوله:
=جيببتوا الحاجات ولا لسه؟

حذق المعلم حنفي فيها بنظرة مملوءة بالكراهية، ثم التفت إلى الصائغ بملامح متجهمة، وقال:
_ أه يا ولية، هيدفع تمناها أهو، روحوا أسبقونا على العربية عقبال ما زياد يدفع!

تلفظت أم الديب بعجيج:
=أني مش رايحة في حنة، أمال تسكعوني على قفايا ويتضحك عليا؟

ردّ المعلم حنفي بلهجة تعكس استسلامه للوضع، وكأنه مجبر على القبول بما لا يرغب فيه:
_ خلاص يا ولية خليكي... منك لله.

قالت أم الديب بجلبة:
=بتقول ايه ياللي تتشك في جنابك؟

أجاب المعلم حنفي بخوف:
_وآني اتكلمت ولا فتحت بوقي؟ ده آني بدعيلك!

نظرت أم الديب إليه بنظرة ممثلة بالاشمئزاز، وبقيت واقفة في مكانها حتى دفعت الأموال وتأكدت من صدقهم بعد اتفاق الرجال على خداعها. بعد ذلك، استلموا ذهب العروس بفرح، وركبوا السيارات متجهين إلى القاعات ليختاروا المكان المناسب لإقامة حفل الخطبة، ولكن يبقى السؤال: هل ستتمكن أم الديب من الصمود؟ أم أنها ستعود للتدخل مرة أخرى؟
يتبع....

الفصل الثلاثون

ذهبت العائلة جميعها في صباح يوم مشرق، يجمعهم الحماس، إلى مكان يجتمع فيه الجمال، بحثًا عن القاعة المثالية التي ستكون شاهدة على بداية رحلة جديدة مليئة بالفرح. فور وصولهم، قامت السيارات واحدة تلو الأخرى بالركون في صفوف مرتبة بعناية، وكأنها تشارك في هذا الحدث الكبير، بينما نزل الرجال بحماس لا يخلو من الجدية، إلا أن السيدات فضلن البقاء في السيارات، حيث اعتنيتن بأطفالهن الصغار بعطف. قاموا بفتح حقائبهن التي كانت تحتوي على كل ما يمكن أن يسعد الصغار، وأخرجوا منها قطع البسكويت المغلفة بالشوكولاتة التي أضاعت وجوه الأطفال بسعادة بريئة، وبعد لحظات من وصولهم، نزل جلال من سيارته، متقدما بخطى ثابتة نحو والدته، وقال لها بنبرة مليئة بالتفاؤل:

_خليكي هنا ياما عقبال ما تشوف ايه الدنيا جوا!

بصوت مرتفع يكاد يزلزل المكان، ملاء الرغبة في التدخل مرة أخرى في شؤونهم، أطلقت أم الديب صيحتها التي تحمل في طياتها إصرارًا قديمًا لا يتبدد، مصممة على الحضور والمشاركة بكل ما تملك من قوة:

=يعني ايه خليني هنا هو يا ولا؟ أمال آني جاية معاكم ليه؟
رد جلال بحزم، رافضًا بحسم مجيئها، إذ كان يدرك تمامًا ما قد يترتب على مشاركتها في الأمور. فقد كانت خبرته الطويلة في التعامل مع تدخلاتها المتكررة تجعله يتوقع بدقة كل ما سيحدث إذا ما سمح لها بالمشاركة:

_مانتي جيتي معانا واحنا بنجيب الشبكة، ارتاحي بقى!
قالت ليالي بهدوء:

=أقعدني معانا يا حماتي هما مش هيطولوا!

التفتت أم الديب بعنف نحو الناحية الأخرى، وكأنها تحاول الهروب من حقيقة الرفض الذي واجهته، ولكن المشاعر التي كانت تغلي في داخلها لم تعد تحتل الكتمان. فجأة، انفجرت بكلماتها التي حملت في طياتها كرهًا متجددًا، وهي تتلفظ:

_مش قاعدة معاكي وأني هنزل معاهم يعني هنزل معاهم، مليش فيه! وسعوا!
نزلت أم الديب من السيارة بخطوات سريعة، وكأنها تسابق الزمن للانضمام إلى الرجال المتجهين نحو القاعة، تاركة نعمة، وليالي، وهايدي، والأطفال الصغار يجلسون بمفردهم داخل السيارة، يتبادلون النظرات المتفاجئة لما سيحدث، وبينما كانت أم الديب تبتعد، استدارت نعمة نحو هايدي، وهي لا تستطيع أن تخفي بريق الفرح الذي يغمر عينيها، ولا تكاد تصدق أن هذا اليوم الذي طال انتظاره بات على أعتاب الحدوث. بحب كبير وابتسامة تحمل بين طياتها ألف معنى، قالت نعمة لأختها:

=مبروك يا هايدي عقبال ما نشوفك في الكوشة.

ردت هايدي بصوت دافئ يحمل في طياته إعزازًا عميقًا:

_الله يبارك فيكي... أنا مش فاهمة بس ايه اللي نزلها معاهم؟

رفعت ليالي منتصف شفنيها للأعلى في حركة تلقائية، لكنها كانت تحمل في طياتها تعبيرًا صريحًا عن الغل الذي ظل مكبوتًا في أعماقها تجاه أم الديب. تلك السيدة التي لا يهدأ لها بال إلا إذا كانت في قلب كل قرار، متسلطة، ومصرة على فرض رأيها في كل صغيرة وكبيرة، دون أن تترك مجالًا للآخرين للتعبير عن أنفسهم أو التنفس بحرية، فقالت باعتراض واضح:

أم الديب الجزء الثاني

=أمك حاشرة نفسها في كل كبيرة وصغيرة.

ردت هايدي بخوف:

_ربنا يستر بقي، أنا خيفة ألا الجوازة تبوظ بسببها.

لاحظت نعمة بعين فاحصة الدرجة الكبيرة من التمسك التي أبداها زياد تجاه هايدي، رغم كل ما مرّ بهما من ظروف عسيرة، وكأن محبته لها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من وجوده. كانت ترى في تصرفاته إصرارًا لم يتزعزع حتى بعدما كشفت أم الديب له عن وجهها الحقيقي، وجه الأشرار الذين لا يتركون مجالًا للطيبة. رغم كل ذلك، كان زياد مصممًا على أن يظل بجانب هايدي، راغبًا في الإحسان إليها، وتقديم كل ما يمكنه لجعلها سعيدة، وكان حبها قد رسخ في أعماق قلبه لدرجة جعلته مستعدًا لتحمل كل شيء في سبيلها، فقالت بنبرة سعيدة:

=لا ده شكل زياد ماسك فيكي بيده وسنانه، الواد ده ابن حلال، ده ربنا باعتهولك هدية من عنده.

ردت هايدي بصوت مرتجف يحمل في نبراته كل معاني الخوف:

_تفكرري يا نعمة؟

أجابت نعمة بطمأنينة، وقد بدا على وجهها سكون وراحة تعكس يقينها العميق بقدره الحب على التغلب على الصعاب، وهي تلتقط شريحة من البسكويت من حقيبتها، وكأنها ترغب في أن تنقل هذه الراحة إلى هايدي عبر أبسط الأفعال:

=أمال ايه؟ ده مش هامه أي حاجة غير إنه يتجوزك، لا تقولي أمك ولا غيره، ده ياريت حمو كان زيه كده.

قالت هايدي بتفكير، وهي تغرق في تأملاتها حول حامد وكيف أنه يخشى أم الديب لدرجة أن مستعد لدرجة التنازل المفرط، حتى أنه يقبل أقدام زوجته من أجلها، كوسيلة لإرضاء أم الديب، ودرء غضبها. كان ذلك في محاولة لتفادي أي صراع قد يدور حوله، وللحفاظ على مكانته دون أن ينضم إلى قائمة الأخصام التي قد يتزايد عددها بسبب أي تصرف غير مدروس:

_بس انتي جوزك بيعاملك حلو يعني، معتقدش إنه وحش معاكي.

كانت هناك حسرة مدفونة بعمق قلب ليالي بعدما استمعت بعناية إلى أحاديثهم، مما دفعها إلى إجراء مقارنة بين حامد وزياد من جهة، وزوجها جلال من جهة أخرى، لتكتشف فجأة مدى تشابه جلال بأمه في تصرفاته المتجبرة. كان جلال هو الوحيد الذي يمتلك القدرة على إظهار القسوة ببرود، دون أدنى تأنيب ضمير أو شعور بالندم، وقادر على خوض معارك عنيفة مع أهل القرية تستمر طيلة سنة كاملة، بلا انقطاع أو توقف، ومع مرور السنوات، ومع كل عام يمر بينهما، كان جبروت جلال يتزايد، كدليل على تعوده على معاملتها بهذه القسوة، بخلاف الأيام الأولى من فترة الخطبة حيث كان يظهر الحنو، ويعبر عن عاطفة حقيقية كانت تنبع من روحه لأجل ابتسامة بسيطة منها. في خضم هذا التناقض الصارخ بين الماضي والحاضر، قالت ليالي بقهر واضح:

=انتوا الإثنين حظكم من السما، لكن أنا بختي أسود.

سألت نعمة بدهشة، وكان الصدمة قد اجتاحت مشاعرهما، وعقلها معًا، تسأل عن تحول الأمور الذي لم يكن متوقعًا:

_ليه كده بس يا ليالي؟ ما جلال كويس معاكي، هو حصل حاجة منه؟

أجابت ليالي بشجن:

أم الديب الجزء الثاني

=قصديك محصلش! أخوكي اتقلب يا نعمة، ده كل يوم على الله لازم يسمعني قصيدة شتايم من اللي قلبك يحبها، ولو الحاجة بتاعته متعملتش يفضل يزق، ده حتى مبقاش يقعد معايا وعالطول نايم ياما برا في الشارع.

قالت نعمة بثقة راسخة في قدراتها الذاتية على معالجة المشكلات:

_ لا متزعلش نفسك، أنا هبقى أديله كلمتين في جنبه، ده مالوش غيرك، هو بس جلال خلقه ضيق وعصبي.

تلفظت ليالي بخوف:

=لا ياخني اسكتي بدل ما يعملنا حوار جديد، أنا مش ناقصة!

بداخل القاعة الضخمة التي كانت تعج بالناس المتجولين من هنا وهناك، والتي أضاءتها الأضواء المبهجة التي كانت تغمر المكان بأشعة من السعادة، وكان الورد والزينة قد أضفيا لمسة من البهاء على أركانها، دخلت العائلة بهدوء، حيث كانوا ينظرون حولهم بعناية، يتحققون من مدى ملاءمة المكان للحفل المقرر، بخطوات متأنية يعبرون بها عن اهتمامهم بالتفاصيل الدقيقة، وبينما كانوا منشغلين بالتجول والتحدث حول ما إذا كانت القاعة تفي بكل توقعاتهم، خرجت أم الديب عن دائرتهم المعتادة، وبدأت تسير بمفردها إلى إحدى الغرف التي كانت تضم العمال. فجأة، وبصدفة غير متوقعة، لاحظ جلال تصرفاتها المريبة، وأدرك حجم الكارثة التي قد تكون وشيكة. ارتفعت نبرته فجأة، مملوءة بالقلق، ونادى والدته بصوت عالٍ:

_ ياما، ايه دخلك هناك؟

وأردف لأحمد بصدمة واضحة في صوته، وقد بدا عليه الدهول من تصرفات أم الديب غير المتوقعة:

_ الحق يا صا أمك دخلتلهم!

بعدما لفت جلال نظر أحمد إلى الوضع المثير للقلق، التفت أحمد بدوره ليجد الوالدة داخل إحدى الغرف، دون سبب مقنع. عند رؤية هذا المشهد، ارتسمت على وجهه علامات الانزعاج، وكأنما الصدمة التي أصابته أدت إلى تفجير بركان من المشاعر المحبوسة. بدا واضحًا أنه لم يتوقع أن يجد والدته في موقف كهذا، وقال:

=ايه اللي دخلها هناك؟

ونادى الوالدة بصخب، وهو يرفع صوته بشكل يقطع أجواء الاحتفالات التي كانت تسود القاعة، مشبعًا نبرته بالقلق:

_ يا ماما!

كان العمال في تلك الغرفة مشغولين تمامًا بتجهيز مستلزمات الفرح المقرر إقامته في اليوم التالي، حيث كانوا يعملون بجد وسط فوضى منظمة من الأدوات، والمواد، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لتلقي أي أحاديث غير ذات جدوى أو تتسم بالسطحية من أم الديب. حيث دخلت أم الديب إلى الغرفة وكأنها جزء من هذا الفريق، تتحدث معهم وكأنها قد أقامت رابطًا أسريًا معهم منذ سنوات، غير مدركة تمامًا لمدى انشغالهم، وعندما لاحظ الرجل هذا المشهد غير المعتاد، عبّرت تعبيرات وجهه عن الدهشة الممزوجة بالحيرة، وهو يتساءل:

_ انتي ايه دخلك هنا يا حاجة؟

قالت أم الديب بعجيج، وهو الصوت الذي يعبر عن اضطرابها، وحيرتها وسط هذا الموقف المحرج:

=وانت مالك؟ هو المكان دهو كان بتاع اللي جابوك؟

أم الديب الجزء الثاني

ترك أحدهم عمله بشكل مفاجئ، وابتعد عن واجباته بلامح تعكس التعجب، ثم اقترب منها بخطوات مفعمة بالاهتمام، وبنبرة تنسم بالحذر، قال لها:

_ايه يا حاجة، انتي عايزة ايه؟

سألت أم الديب بطريقة تكن فيها استعدادًا للنزاع، حيث كان في نبرتها تحدٍ خفي، وبنبرة تحاكي الامتعاض الكامن. توجهت إليه بسؤال يحمل في طياته استفسارًا مباشرًا، وملينًا بالحدة:

=فين الحمام اللي هناهو؟ أني محصورة.

نطق الرجل باشمئزاز:

_محصورة؟ طب اتفضلي برا، الحمام مش هنا!

حضر جلال، وأحمد، ووقفًا بجانب باب الحجرة، حيث كانا يراقبان بصمت متجههم ملؤه الاستغراب والدتهما التي بدت كأنها قد فقدت صوابها، تتسبب لهم في قدر هائل من الإحراج أمام الأعراب الذين كانوا مشغولين في تحضير المكان لاحتفال كبير. كان الموقف برمته يعج بالرهبة، ويجعلهم يشعرون بالخل من تصرفاتها، فقال جلال بدهشة:

=ايه اللي دخلك هنا؟

قالت أم الديب بلامح متألّمة، وهي تعبر عن رغبتها الملحة في قضاء الحاجة بالمرحاض، حيث كانت يديها مستقرتين على بطنها بشكل يوحي بالضيق، وعدم الراحة:

_محصورة ياخويا.

تلفظ أحمد بفضافة واضحة، بعدما وضعته الوالدة في موقف محرج لا يمكن التهاون بشأنه:

=عايزة تدخلي الحمام كنتي عرفينا، إنما انتي سارحة مع نفسك!

أزاحتهم أم الديب من طريقها بقوة، وأطلقت صرخة مدوية في وجوههم، مستعرضة عاطفتها الساخطة بشكل مهين أمام العمال الذين كانوا يتابعون الموقف بصمت. في تلك اللحظة، كانت جلبة صوتها تعكس اندفاعًا، وكأنها تعبر عن امتعاضها بوضوح:

_وسعوا من وشي، أني على أخري!

ثم خرجت أم الديب إلى الخارج، وجلال يتبعها كظلمها، يحرص على عدم مغادرتها دون متابعة، بينما بقي أحمد في مكانه يعاني من كتلة خجل ثقيلة تجثم على صدره، تمنعه من التحدث بحرية، ومع ذلك، حاول أن ينطق بكلمات متلعثمة أمام الرجال، معبرًا عن اعتذاره، وحرصه على تصحيح الموقف:

=معلش أنا أسف!

تلفظ الرجل:

_ولا يهملك.

ثم خرج ليتبع أم الديب، وجلال. في حين تجول المعلم حنفي بنظراته في أرجاء القاعة الفاخرة، مشدوهاً بجمال تصميمها، وتفصيلها الراقية، وهو يتخيل شكل ليلة الحفلة التي كانت تلوح في الأفق كفجر جديد، يتخيل الأجواء المليئة بالاحتفالات التي ستأتي لتخفف عنهم آلام السنوات الماضية، وتزيل الاضطرابات النفسية التي عانوها طويلاً، ونطق بذهول:

=لا حلوة القاعة دي، احنا ناخذها.

سأل حسين مدير القاعة بفضول واضح، معبرًا عن اهتمامه بتفاصيل الحفل الذي يستعدون له:

_دي تكفي كام فرد يا حاج؟

أجاب مدير القاعة بوضوح:

أم الديب الجزء الثاني

=حوالي متين فرد.

قال حسين بإعجاب، وقد بدت على وجهه إشارات الدهشة من تفاصيل القاعة، وتحضيراتها، تعبيراً عن رضاه الكامل عن مدى التنظيم، والجمال الذي يميز المكان:
_بس حلوة.

سأل زياد باهتمام:

=في أوبن بوفية؟

أجاب مدير الفرع بكل تأكيد، وثقة، عاكساً اطمئنانه تجاه جودة العمل الذي قاموا به:

_أه طبعاً، حضراتكم بتحددوا عايزين البوفية يكون عبارة عن ايه، وبحدد الميزانية، ونشوف. تلفظ حسين، وهو يشعر بفضول، ورغبة في الاطمئنان إلى تفاصيل الطعام الذي سيقدّم للحاضرين يوم الخطبة، بنبرة مليئة بالاهتمام:
=وانتوا عايزين الأكل يكون ايه؟

قال زياد بتفكير، وهو يحك إصبعه برفق على رأسه في حركة تعكس تأمله العميق:

_ايه رأيك يا بابا نخليه حاجات خفيفة؟ ساندوتشات وكده؟ ده غير الجاتوة، والعصير طبعاً. رد حسين بموافقة سريعة، معبراً عن استعداده الكامل لتنفيذ أي طلب يتعلق بحفل ابنه الوحيد دون تأخير أو تردد. بدا عليه الإصرار على تلبية كل رغبات ابنه بأسرع وقت ممكن، مؤكداً التزامه التام بجعل كل التفاصيل تسير بسلاسة، ووفقاً لتوقعاته:
=وماله يا زياد يابني.

تحدث مدير القاعة بتبجيل، معبراً عن احترامه الكامل لطلبات حسين، وسعيه لتلبية كل التفاصيل بامتياز:

_طب اتفضلوا معايا في المكتب.

دخل الجميع إلى المكتب وجلسوا على المقاعد المريحة، حيث بدا الجميع في انتظار بدء المناقشة. نطق مدير القاعة، وقد بدا عليه الهدوء، والثقة وهو يستعد لتوضيح تفاصيل إضافية :
=كام فرد هيجضر؟

بدأ المعلم حنفي في حساب عدد أفراد العائلة، وكأنه يسترجع معلومة قديمة من بئر عتيق في ذاكرته، حيث بدا على وجهه اهتمام بالغ، ثم قال بنبرة تأملية:

_احنا بالصلاة على النبي قول من ناحيتي ١٣ فرد، وأني، وعيالي، ومراتاتهم، والولية اللي ربنا يقصف عمرها، والعيال الصغيرة، وقول قرايبها بتاع خمستاشر واحد كمان، وعم سلامة، واللي معاه قول كده بيقوا ثلاثة، ونسايب نعمة بيقوا أربعة، وست بسلمة، وعيالها قول أربعة، خمسة. في الحدود دي كده. سأله حسين بفضول:

=وقرايبنا يا حنفي؟

كان المعلم حنفي يضع آلة حاسبة افتراضية في رأسه، بينما كان يعد على أصابعه الأقارب المتبقية الذين من الممكن أن يحضروا خطبة هايدي، وباهتمام بالغ، قال:

_أه وقرايبنا قول بتاع ١٢ فرد، والجيران هنعزم منهم عشرة.

قال حسين بتفكير:

=عدهم معايا يا حنفي!

أم الديب الجزء الثاني

ظلوا على هذا الحال في حالة حساب عميقة، كل منهم غارق في حساباته الخاصة، ومراجعة التفاصيل الدقيقة، حيث كان الصمت يتخلله صوت خفيف من الآلة الحاسبة، واهتزازات الأصابع المتنقلة بين الأرقام. ثم نطق حسين، وقد ظهر عليه التركيز:

_ يبقى كده اتنين وستين فرد، ده كده هيتبقى وزيادة يا حنفي!

تلفظ المعلم حنفي بحصافة:

= لا ماهو ممكن ناس تانية تيجي!

سأل زياد عن عدد الأطعمة التي ستكون متوفرة خلال الحفل، حيث كان يتطلع إلى تفاصيل دقيقة لضمان تلبية احتياجات جميع الضيوف:

_ طب وبالنسبة للأكل؟

أجاب أحمد بفراسة، معبراً عن فهمه العميق، وتقديره لتفاصيل الحفل:

= احنا ان شاء الله هنعمل حاجات بسيطة، كل واحد له أربع ساندوتشات واثنين جاتوه، وكوباية عصير يعني حوالي متين تمانية وأربعين ساندوتش، ومية أربعة وعشرين قطعة جاتوه، واثنين وستين كوباية عصير.

كان زياد يخشى أن تكون كمية الطعام قليلة في حال حضور عدد من الأقارب يتجاوز ما تم حسابه مسبقاً، مما قد يتسبب في نقص الغذاء، ويؤثر سلباً على تجربة الضيوف. فبناءً على هذه المخاوف، أبدى رأيه المستقبلية بوضوح، قائلاً:

_ بسانتوا مينفعش تجيبوا على القد، يفرض ناس تانية جات!

قال حسين لمدير القاعة، وهو يعبر عن اهتمامه الكبير بتفاصيل التحضير:

= خلاص يا حاج اكتب عندك متين وسبعين ساندوتش، ومية وخمسين حنة جاتوه، وثمانين كوباية عصير.

بدأ مدير القاعة في تدوين ما يقوله والد العريس بتركيز عارم، وهو يدون الملاحظات بدقة على الورقة، مستعيناً بالقلم الذي كان ينتقل بسلاسة بين الأسطر. كل كلمة ينطق بها حسين كانت تُسجل بحرص. بعد أن انتهى من تدوين كل النقاط بدقة متناهية، رفع نظره إليهم، ليبحث في وجوههم عن أي إشارات إضافية أو تعليقات قد تكون ضرورية، استعداداً لمواصلة النقاش، وقال:

_ تمام، بالنسبة للفقرات بقى؟

لكن أم الديب خرجت من المرحاض، ووجدت نفسها في حالة من الضياع، كمن تاه وسط مولد فسيح، محاطاً بصخب الحياة، والضجيج، دون أن تجد أثراً لأي من أفراد أسرتها. كانت محاطة بهالة من القلق، حيث تنقلت بين الأروقة بتردد، تفتش عن أي وجه مألوف في كل زاوية، وكل ركن، وفي خضم هذا البحث المحموم، صادفها أحد الرجال الذي كان عابراً في طريقه، يحمل بيده ورقة كعلامة على استمراره في عمله، فسألته أم الديب بتردد، معبرة عن مشاعر الحائرة:

= بقولك ياخويا، مشوفتش شوية رجالة معديين من هناهو؟

نطق الرجل بوقاحة:

_ ما المكان فيه رجالة رايعين جايين، أنا ايه عرفني؟

أم الديب الجزء الثاني

لم تتل طريقة هذا الرجل المتعجرف إعجاب أم الديب، فارتفعت نبرة صوتها بشكل ملحوظ، لتعبّر عن استيائها بشكل صارخ:

=ومالك ببتكلم كدهو ليه ياخويا؟ ما ترد عدل، مالك طالع فيها كدهو ليه؟
رد الرجل باشمنزاز، حيث كان نظراته تنبض بالاحتقار، معبرة عن استيائه الجسيم من تصرف أم الديب:

_ انتي عبيطة ولا ايه؟ ايه الاشكال دي؟

تركها الرجل وخرج من الفندق دون أدنى احترام، وكأنه يرمى خلفه بظلال الازدراء، تاركاً وراءه موجة من الكمد. في تلك اللحظة، ارتفعت صيحات أم الديب بشكل ملحوظ، معبرة عن رغبتها في إرسال رسالتها بوضوح إليه، وهي تسبه بألفاظها الدميمة:

=يلا يابن الـ*** انت واللي جابوك في ساعة واحدة، ايه الناس المقرفة ده؟ ماله ياختي طالع فيها كدهو ليه؟

ظلت أم الديب سائرة مع ذاتها، وهي تدم الرجل بأبشع الألفاظ، متألمة في الإهانة التي تعرضت لها، حيث وجدت نفسها فجأة داخل مطبخ ضخم، يكتظ بأكبر الطهاة الذين كانوا منهمكين في إعداد وصفات مبتكرة. كان كل طاهٍ منهم غارقاً في عمله، يقدّم لمسات فنية لمكوناته، محاطاً برائحة التوابل، والأطعمة التي ملأت الأجواء بعبقها المميز. بينما كانت أم الديب تتجول بذهول، فاجأتها كمية الحلويات المتنوعة، والجميلة التي تزين المنضدة، مما جعلها تعبر عن دهشتها من هذا الكم الهائل من الأطعمة التي بدت كتحفة فنية من الحلويات، فتحدثت:

_ ايه كل دهو؟ بقى كل دهى ساندوتشات وحلويات؟

اقتربت أم الديب من الطاهي، فقال لها بنبرة محترمة لكنها متعجبة، تعكس اندهاشه من وجودها هنا:
=حضرتك مين؟ وايه اللي دخلك هنا؟

بدلاً من أن ترد أم الديب بشكل مهذب، جلجل صوتها الغليظ في أرجاء المطبخ، حاملاً في طياته نبرة متسلطة. لم يستطع الرجل تجاهل هذا الصراخ المزعج، فتغيرت ملامح وجهه على الفور، وهي تصدح قائلة:

_ وانت مالك؟ ما أدخل مكان ما أدخل، انت ايه حشرك؟

قال الطاهي بهدوء:

=يا أستاذة مينفعش، اتفضلي برا ده مكان شغل!

تفوهت أم الديب بعجيج، وعيناها متوجهتان إلى الخبز الشهي، الذي كانت رائحته تفوح بعبق الطهي الممتاز، وكأنها لم تعد ترغب في المغادرة حتى تحصل على نصيبها منه. كانت نظراتها تتأمل الخبز وكأنها تبحث عن تعويض عن الإهانة التي تعرضت لها، محاطة بهالة من التوق:

_ أني مش خارجة من هنا هو غير لما تديني رغيف من اللي قدامك دهو!

نظر إليها الطاهي بنظرة ملؤها الاستياء، وكأن كل تفصيل من تفاصيل وجهه يعكس مدى عدم رضاه عن وجودها، ثم قدم لها ساندويتشاً، أملاً أن يكون هذا التصرف كفيلاً بإرسالها بعيداً، والتخلص من إزعاجها، وعندما استلمت أم الديب الساندويتش بين يديها، بدأت تتناول الطعام ببطء، حيث نطقت بتعبير من اللذة:

_ ده حلو أوي هما حاشيينه ايه؟ دي شكلها كفتة طب والنعمة طعمه بشكل.

أم الديب الجزء الثاني

خرج جلال، والمعلم حنفي، وأخاه، وأحمد من مكتب مدير القاعة، وكان كل منهما يحمل في طياته ثقل هموم غير مرئية. فقد ظهوروا كخارجين من عالم مغلق بعد حديث طويل، حيث بدت تعابير وجههما مرهقة، وملامحهما تعكس تأثير الجلسة التي مروا بها. استدار جلال نحوها، وبلغه تجمع القلق، نطق: =انتي كل ده في الحمام ياما؟

ردت أم الديب، وهي تنغمس بعمق في عذوبة الخبز المحشو بكفتة مشوية، وهي تستمتع بكل قضة، وكأنها رحلة ذوقية ساحرة. كانت تشعر بكلماتها تتدفق ببطء، بينما كانت نكهات الكفتة المشوية، التي تنصهر بسلاسة مع ملمس الخبز الطري، تثير إحساسًا بالرضا الكامل:

_ لا يا ولا أني خرجت لقيتلك المطبخ قدامي، روت داخلة فالراجل اداني الشاندوتش دهو.
أكد المعلم حنفي الموعد مع مدير القاعة، وهو يتحدث بنبرة تحمل في طياتها قدرًا من الرسمية التي تليق بأهمية الأمر:

=خلاص يبقى بإذن الله الخطوبة السبت الجاي.

رد مدير القاعة باحترام تام، متوجًا كلماته بابتسامة مشرقة تتم عن مدى تقديره للمعلم حنفي:

_ ان شاء الله، نورتونا يا حاج حنفي.

قال المعلم حنفي بحبور:

=الله يخليك.

تحدث مدير القاعة بابتسامة:

_ أستأذنكم.

رد حسين بتبجيل واضح، حيث كان صوته يحمل بين طياته مزيجًا من الاحترام العميق، والتقدير الصادق:

=اتفضل.

غادر المدير المكان بوقار، متجهًا إلى مكتبه، حيث كان كل خطوة يخطوها تعبر عن هالة من الاحترام التي لطالما اتسم بها، وفي هذه الأثناء، نظر المعلم حنفي إلى خلفه بإعجاب من شخصية المدير الموقرة، التي كانت تجسد الأناقة في كل تفاصيلها، ومن ثم، رفع صوته ليقول:

_ لا الراجل محترم، والحوار مطولش، أني كنت فاكّر إننا هنقعد نتفق ساعتين تلاتة وأنّي مليش خلق للكلام ده.

تفوه حسين باستعجال:

=لا الموضوع مبيطولش، يلا بقى عاوزين حاجة؟

عانق أحمد عمه بدفاء، معبرًا عن مشاعره، وصدق علاقتهما الأسرية. كان عناق أحمد يفيض بالمحبة، وبعد أن انفصل عن عمه، نطق أحمد بكلمات محسنة:

_ لا يا عمي سلامتك.

رد حسين بإعزاز، مستجيبًا للعناق بكل حفاوة، كأنما يعبر هذا العناق عن روابط متينة بينه، وبين أحمد: =مع السلامة.

صافح جلال عمه بيدين متقنّتين، حيث كانت المصافحة تصف مدى الاحترام الذي يكنه له. كانت حركة يديه مليئة بالتقدير. تلفظ جلال بوداع نابع من القلب:

_ سلام يا عمي حسين.

أم الديب الجزء الثاني

عانق زياد عمه حنفي بكل حرارة، وكل لحظة من العناق تعبر عن إحساس قوي بالود، وعندما انفصل زياد قليلاً عن عمه، نظر إليه بعينين مليئتين بالتقدير، وتلفظ بكلمات تفيض بالحب:
=سلام يا عمي.

صافح الجميع بعضهم البعض بحرارة، وكانت المصافحة تعبر عن وداع مؤثر. حيث جلال، والمعلم حنفي، وأحمد، عادوا إلى مكانهم، بينما حسين، وابنه زياد استقلوا بسيارة التاكسي، وغادرا المكان بسرعة ملحوظة، كانت علامات العجلة على وجه أحمد، فنطق بكلمات تحمل في طياتها إحساساً بالاستعجال، والضرورة، وهو ينظر إلى ساعته بين الحين والآخر، كأن الوقت يضغط عليه:
_طيب يلا عايزين حاجة؟

كان المعلم حنفي يتمنى بصدق أن يعود أحمد معهم ليشاركهم وجبة العشاء، حيث كانت فكرة الجلوس سوياً حول مائدة الطعام تعني له الكثير، كفرصة لتجديد الروابط الأسرية، وبكل حفاوة، نطق المعلم حنفي:
=ما ترجع معنا نتعشا سوا!

رد أحمد بابتسامة:

_لا جميلة والبنات مستنيني في البيت، أشوفكم يوم الخطوبة ان شاء الله... سلام يا ماما، سلام يا هايدي! أشارت هايدي لأخيها من نافذة السيارة، وهي تودعه بابتسامة دافئة، وكل حركة من حركات يدها كانت تعبر عن مشاعرهما الصادقة، وهي تتابع نظراته عبر النافذة، فتلفظت بود:
=سلام!

ثم ركب أحمد سيارته، وابتعد عن المكان متجهاً نحو أحضان زوجته، وفتياته الصغيرات في أوقات من السكنية التي كان يتوق إليها بعد يوم مليء بالتحديات. في ذات الوقت، صعد المعلم حنفي، وجمال، وأم الديب إلى سيارتهم، التي كانت وسيلتهم للعودة إلى منزلهم بعد يوم شاق، وبينما كانت السيارة تسير، كانت ليالي، التي ظلت تفكر في مجريات اليوم، تتساءل بفضول، محاولة فهم تفاصيل اليوم:
_عملتوا ايه يا جلال؟

رفع جلال يده على تارة السائق، وهو يعبر عن شعوره بالإرهاق بعد يوم طويل مليء بالأحداث. كان تعبير وجهه يعكس مدى التعب الذي ألمّ به، بينما كانت كلماته، التي نطق بها بلهجة متعبة، تحمل في طياتها إشارات من الاستسلام:
=اتفقنا وخلصنا، وكله تمام، يلا نطلع بقى.

نطق المعلم حنفي بإرهاق:

_توكلنا على الله.

تعجبت نعمة من تصرف أم الديب، التي تناولت الخبز أمامهم دون أن تصر على مشاركته معهم، وكأن طغيان الشح قد تسلل إليها في تلك اللحظة، مما جعلها تفضل ذاتها بكل أنانية على حساب الآخرين، وهي تراقب هذا المشهد بذهول، نطقت بعبارات تنم عن استغرابها من تصرف أم الديب:
=انتي جييتي الساندوتش ده منين ياما؟

أجابت أم الديب بنبرة مكتومة، والطعام يحتجز في حلقها:

_وانتي مالك يا بت؟ خليكي في حالك!

ردت نعمة بخور:

=طيب.

أم الديب الجزء الثاني

بعدما غادروا، ووصلوا القرية بعد ساعات حيث صعد كل منهم إلى شقته. دخلت هايدي إلى غرفتها، وأخذت هاتفها لتحدث مع زياد، منقذة حاله ومطمئنة إذا ما كان قد وصل إلى منزله بأمان. خلال المحادثة، وبينما كان حديثهما يتنقل بين مواضيع متنوعة، لم تستطع هايدي إلا أن تعبر عن فضولها حول شأن موعد الخطبة، قائلة بلهجة تجمع بين الاهتمام، والتوقع:

_انفقتوا على ايه؟

دخل زياد المنزل بخطواته الثقيلة وكأنه يحمل على عاتقه عبء يوم طويل، وفتح باب منزله بهدوء، ليجد أن والده قد سبقه إلى الداخل وانعزل في المرحاض. دون أن ينبس بكلمة، اتجه زياد إلى الأريكة القريبة التي كانت تناديه بأحضانها المريحة. جلس هناك، وقد أرهقه التعب حتى تجلى ذلك في ملامحه الشاحبة، وعينيه المتعبة. بعد أن استقر في مكانه، تنهد بعمق، وقال:

=ان شاء الله الخطوبة السبب الجاي.

وجدت هايدي نفسها محاطة بموجة من الارتباك عندما أدركت أن الحفل الذي كانت تنتظره قد حلّ بسرعة لم تكن تتوقعها، وكأن الزمن قد طوى أيامه على عجل، تاركًا إياها في مواجهة اللحظة دون أن تكون قد أعدت أي شيء. لم تكن قد اختارت الفستان المناسب، ولم تستقر على خبيرة تجميل تثق بها لتضفي عليها تلك اللمسة الخاصة في هذا الحدث المهم. وسط هذا الاضطراب، تجمدت في مكانها للحظة، وارتسمت على ملامحها الدهشة، وقالت:

_معقول؟ يعني كمان ثلاث أيام؟ وأنا هلحق أجيب الفستان، وأحجز الميك أب اريست؟
أجاب زياد، وقد بدا التعب وكأنه قد سكن كل جزء من جسده، استجمع ما تبقى لديه من طاقة ليجيب.
بصوت خافت مثقل بالإرهاق:

=لا ماهو بكرا ان شاء الله هعدي عليك ونروح نحجز الفستان، والبدلة، والكوافير.
قالت هايدي بإحباط:

_مع إن المفروض يكون قبلها على الأقل شهر بس مش مهم، المهم إنها تعدي على خير.
في الخارج، وتحديداً في الصالة ذات الإضاءة الخافتة، كانت أم الديب جالسة على الأريكة، وقد بدا عليها التعب، حيث كانت تتألم بصمت بسبب الجوع الذي نال منها. بينما كانت أم الديب تكابد جوعها، دخل المعلم حنفي إلى الصالة، ليجدها في تلك الحالة المؤلمة. وقف هناك للحظة، مشدوهاً، وقد اجتاحه شعور بالذهول لم يكن يستطيع إخفاءه، وهو يتألفظ:

=مالك يا ولية بتتوجعي ليه؟

قد أرهاق أم الديب الجوع، وعصف بجسدها الواهن، رفعت يدها بتناقل ووضعته على بطنها التي كانت تنن من شدة الألم، وقالت:

_جعانة أوي ياخويا، بطني بتاكلني!

وقف المعلم حنفي مشدوهاً أمام هذا المشهد الغريب، لم يستطع أن يحبس دهشته عندما استرجع في ذهنه الصورة التي ما زالت حية في ذاكرته؛ صورة أم الديب وهي تتناول من قبل رغيف خبز ضخ، بطول ثلاثة أمتار، كان ممتلئاً بكل ما تجود به الطبيعة من خيرات وفيرة. لقد اعتاد أن يرى فيها شهية مفتوحة أمام كل صنف من الطعام، وقال:

=جعانة يا ولية بعد الشاندوتش الثلاثة متر اللي طفحتيه؟

قالت أم الديب ببغضاء:

_مكنش فيه بركة، كله من قرك عليا، لو مكنتش بصيتلي فيه كان زمانى شبعانة لحد دلوقتي.

أم الديب الجزء الثاني

رد المعلم حنفي بسخرية:

=وهو انتي بتشبعي؟ ده انتي كل ما تطفحي كل ما بتجوعي أكثر من الأول... أني داخل أتخد! تلفظت أم الديب، وقد بلغ منها الألم مبلغه، وأطلقت صوتًا مشوبًا بالعجيج:
_حُش ياللي يجيلك خشونة في مفاصلك.

ثم واصلت بنواح:

_أه يآني أه، مالك يا أم الديب بقيتي تجوعي كدهو ليه؟

عاد أحمد إلى المنزل بعد يوم طويل، وبدت عليه علامات الإرهاق التي كان يحاول إخفاءها. عندما دخل، رأى زوجته جميلة جالسة بكل هدوء إلى جانب سيليا أمام التلفاز، يستمتعان بلحظات من الراحة، وهما يتناولان الفشار بالكراميل اللذيذ، والمقرمشات المملحة التي كانت تزيد من بهجة تلك الجلسة. على مقربة منهما، كانت أسيل الصغيرة تجلس في مشاية الأطفال، تحاول بشغف تعلم الحبو، حيث كانت تتحرك بحماس، وتكتشف عالمها الصغير. حينما وقع نظر جميلة على زوجها العائد، لم تستطع أن تمنع نفسها من ابتسامة واسعة ارتسمت على شفيتها، مليئة بالدفء الذي لطالما جمعهما. في تلك اللحظة نطقت بكلمات حالمة مشبعة بالغرام:
=حمدالله على السلامة يا حبيبي.

رد أحمد، وقد شعر بأن كل ما مر به من تعب قد تبدد بمجرد أن رأى ابتسامة جميلة، بادلها نظرات مفعمة بالحب. تلك النظرات التي لم تكن مجرد تعبير عابر، بل كانت رسالة صامتة تحكي عن ارتباطه بها. بعد لحظة من التأمل في ملامحها المشرقة، اتجه أحمد نحو الأريكة التي بدت وكأنها تدعوه للراحة. جلس هناك، محاولاً التقاط أنفاسه التي كانت مُتسارعة بفعل الإرهاق الذي رافقه طوال اليوم. استرخى قليلاً، وترك جسده يغوص في الأريكة الناعمة:

_الله يسلمك يا جميلة.

هرولت سيليا نحوه، وقالت باشتياق:

=بابي!

قال أحمد، الذي كان يفيض قلبه بالحنان، بعدما مدّ ذراعيه ليعانق طفلة الصغيرة برفق، محاولاً أن يعوضها عن كل لحظة غاب فيها. رفعها بين ذراعيه برقة، لتجلس ببراءة على ساقيه، حيث بدأت تدور في أحضانه بفرح. بينما كانت سيليا تتعلق برأسه بيديها الصغيرتين، تملأ تلك اللحظة دفئاً، أخذ أحمد ينظر إليها بعينين مليئتين بالحب:

_عاملة ايه يا سيليا؟

أجابت سيليا بفرح:

=الحمدلله، مش أسيل بتتعلم المشي!

ضحكت جميلة، التي كانت تتبع المشهد بابتسامة دافئة على شفيتها، انفجرت ضاحكة بحماس عندما رأت تفاعل أحمد مع ابنتهما:

_أنا مستغربة جداً خصوصاً إن عمرها لسه عشر شهور!

قال أحمد، وقد انتابه شعور بالدهشة حينما نظر إلى ابنته الصغيرة التي لم تتجاوز عشرة أشهر من عمرها وهي تحاول بثقة تعلم المشي، وكأنها تتحدى حدود الزمن بعزيمتها. كانت أسيل، بفضل حركتها المستقلة، وتوازنها غير العادي، تثير في نفسه شعوراً عميقاً بالدهشة، وهو ينظر إليها، ليعبر عن مدى تأثره من سرعة تقدم طفلة وتعلمها:

أم الديب الجزء الثاني

=طب فرحتوني والله، علشان تلعب مع سيليا بدل ماهي مش لاقية حد يلعب معاها.
تلفظت سيليا بسرور:

_أيوه سيليا أول ما تمشي هاخذها معايا المدرسة، هو ينفع يا مامي؟
تحدثت جميلة، التي كانت تتناول الفشار بالكراميل بشغف، ولاحظت تأمل أحمد في طفلتهما المتعلمة
على المشي. مع كل قضة من الفشار المقرمش، ارتسمت على وجهها ملامح الحبور:
=لا طبعًا يا سيليا، لازم تكبر وتبقى قدك وبعدين تروح .
فقدت سيليا الأمل في رؤية أختها الصغيرة ترافقها إلى الحضانة، كما يفعل بقية زملائها الذين يأتون إلى
المدرسة مصطحبين معهم أخواتهم الأصغر سنًا. هذا الإحساس بالفقدان ألجأها إلى حالة من الحزن،
حيث كان من الصعب عليها تقبل فكرة عدم تمكنها من مشاركة هذه اللحظات المميزة مع أختها
الصغيرة، فقالت بياس:

_يا خسارة يا مامي، أنا صاحبتني بتروح مع أختها الصغيرة!
ردت جميلة بحنان:

=معلش يا حبيبتني بكرا تكبر وتروح معاكي.
قالت سيليا، وهي تتحدث بصوت رقيق يفيض بالرقّة:
_ماشي.

عانقت جميلة سيليا، ثم تحدثت بفضول:
=صحيح عملتوا ايه في خطوبة هايدي؟
أجاب أحمد، وهو يهّم بفك أزرار قميصه الواحد تلو الآخر ببطء، وكأنه يحاول التخفيف من ثقل اليوم
الذي مرّ به:

_روحنا وجيبنا الشبكة، بصراحة زياد محترم وابن حلال، وأنا مآمن على هايدي وهي معاها... ماما
ونعمة سألوا عليكي صحيح كان نفسهم أنك تيجي!

نفوّهت جميلة، التي كانت ترفض النزول من مكانتها العالية رغم جميع الظروف المحيطة، أظهرت
بوضوح أنها لن تتنازل عن كبريائها، وتنحدر إلى مستوى التواضع لمشاركة عائلة أحمد في تلك اللحظة
الخاصة لاختيار الشبكة من المتجر. كانت تجسد بفخر استمراريتها في كونها ابنة الأثرياء، معتبرةً أن
قيمتها لن تتأثر بأي شكل من الأشكال:

=مانت عارف أنا مليش في الجو ده، هروح أعمل ايه؟ خلينا في الخطوبة أحسن.
كان أحمد مدرّكًا تمامًا لموقف جميلة، ومكانتها الاجتماعية التي ترفض التنازل عنها مهما كانت
الظروف. بفضل فهمه العميق لطبيعتها، وتقديره لعزتها، قرر أن يتعامل مع الموقف بحكمة. لذا قال:
_مانا قولتلهم أنك مش هينفع تيجي، بس خلاص الخطوبة كمان كام يوم.
ردت جميلة بفضول:

=بجد؟ امتي؟
أجاب أحمد، وهو ينتهد بعمق، محاول أن يخفف عن كاهله عبء الموقف:
_السبت الجاي، خلاص هانت أوي.

ابتسمت جميلة برقة، وقالت بدلال:
=ربنا يتملها على خير بجد.

أم الديب الجزء الثاني

رد أحمد بتمني:

_يارب.

في اليوم التالي، توجه زياد إلى منزل أم الديب، عازمًا على اصطحاب هايدي للذهاب لشراء الفستان والبدلة. طوال الطريق، كانت أفكاره تتصارع بشكل مضطرب، حيث كان يعاني من القلق بشأن احتمالية رفض والدتها المتسلطة لأي خطوة قد يتخذها. تلك الأفكار التي ملأت ذهنه بالقلق، جعلته مشغول البال، وغير مرتاح. عندما وصل أخيرًا إلى المنزل، لم يكن يحتاج إلى الكثير من الوقت ليتأكد من صحة بصيرته. فقد تأكد من إحساسه عند سماعه كلمات أم الديب، التي نطقها بتعبيرات حادة:

=بتي مش هتروح معاك في حطة!

ردت هايدي بانفعال:

_هو ايه ده يا ماما؟ أمال أنا هجيب الفستان ازاى؟ ولا هلبس شيكارة يوم خطوبتي؟ مانا مش فاهمة! تفوهت أم الديب، وقد استشعرت بوضوح التوتر الذي يحيط بالموقف، وأطلقت صوتًا مشويًا بالعجيج:

=الشكارة دهى أنى هلبسهالك في دماغك لو محترمتيش نفسك انتي وابن عمك! اتعدلوا كدهو مش ناقصين مُحن يا بت!

قال زياد بذهول:

_هو فين المحن ده يا مرات عمي بس؟ هو أنا بقولك هاخذها ونروح نقعد قاعدة رومانسية وسط الشموع؟ أنا كل اللي بقولهاك هاخذها علشان نجيب الفستان ونجهز حاجة الخطوبة!

تفوهت أم الديب بسخرية:

=وانت مالك ومال الفستان اللي ياكش يولع على دماغك؟ هو انت اللي هتلبسه ولا هي؟

تلفظت هايدي بصياح:

_يوه، أنا زهقت دي مابقتش عيشة!

ردت أم الديب بصخب:

=اسكتي يا بت بدل ما ألقع اللي في رجلي وعلى دماغك!. يلا خشي جوا اترزعي في أوضتك مش ناقصين كلام فارغ.

نزلت نعمة، برفقة ابنها، في صباح هادئ كي يتجها إلى السوق، حيث كان هدفهما شراء الفاكهة، والخضروات الطازجة، وما إن لمحت هايدي ظهور نعمة، حتى تجسدت في عينيها إشراقة الأمل المشرقة، فاندفعت نحوها بخطى سريعة، ملتزمة الإغاثة من رحيق حضورها، وصرخت بصوتٍ مفعم بالاستغاثة:

_الحقيني يا نعمة، ماما مش عايزة تسيبني أروح أنا وزياد نجيب الفستان، والبدلة والوقت بيضيع!

تدخلت نعمة في المشكلة، وقالت بدهشة:

=في ايه ياما؟ ماتسيبيهم، مزعلة نفسك ليه؟ هما خارجين يتفسحوا في الجنينة؟ دول رايعين يشتروا حاجتهم!

أجابت أم الديب، التي كانت تخشى بعمق على ابنتها من أن يلحق بها الأذى، نظرت إلى زياد بعينين مملوءتين بالتوجس. في اعتقادها، كان زياد يبدو كذئب شرس، لا يتصف بالصفات الطيبة التي يفضلها الإنسان ذو الأصل النبيل:

_يخرجوا لواحدهم ليه يا بت؟ ويفرض عمل فيها مصيبة أودي وشي من الناس فين؟ يا خرابي راسك هتتحط في الطين يا أم الديب، والعدويين هيشمتوا فيكي.

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي، التي جمعت مشاعر الاستفهام في قلبها، لم تستطع أن تستوعب حجم الاتهامات التي وجهت إليهم دون وجود مبرر واضح. شعرت بأن تلك الاتهامات كانت تفتقر إلى أي أساس منطقي: =انتي بتصوتي على ايه؟ هو في حاجة حصلت أصلاً؟ زياد محترم ولا يمكن يعمل كده أبداً!
قال زياد بانزعاج:

_ قوليلها، مانا مش فاهم انتي شايفاني قدامك ايه بس؟
نفوحت نعمة بإلحاح:

=استهدي بالله ياما، وسبييهم ده خلاص الخطوبة فاضل عليها يومين متضيعيش عليهم الوقت!
أجابت أم الديب بعناد صارم، وقد غلفت كلماتها بعزيمة لا تقبل الجدل، رافضة بشدة أن تستمع إلى أي حديث، أو اعتراض من جانبهم:

_ ما يضيع ولا يولع، أني مالي؟ أني بحافظ على بتي من كلاب السكك اللي هينهشوا في لحمها.
تلفظ زياد بعصبية رغم طبيعته الساكنة:

=كلاب السكك اللي هما مين؟

أجابت أم الديب، وهي توجه كلماتها كسهام جارحة موجهة بدقة، كما لو كانت تتعمد إلى إصابة الهدف بقوة، فتملكها التجريح في حديثها، وكأنها تقصده بعمق:
_ كل واحد عارف نفسه كويس.

اتسعت عينا هايدي بدهشة واضحة، بينما انفجرت مشاعرها بصخب، إذ راحت تعبر عن استنكارها بصوت عالٍ:

=يا ماما مينفمش اللي انتي بتقوليه ده! احنا الاتنين محترمين ولا يمكن نعمل أي حاجة من اللي بتقولها!
أوصت أم الديب نعمة بالاعتناء بهايدي، مشفقةً عليها من خطر يهددها، إذ كانت تخشى أن يسلب زياد روحها، ويصيبها بأذى، وصرحت بقلق واضح، قائلة:
_ تروحي انتي وأختك، وانتي يا بت عينك متنزلش من عليهم، فاهمة ولا لا؟

ردت نعمة بترقب:

=حاضر ياما.

ذهبت نعمة برفقة هايدي، وزياد لاقتناء الفستان، بينما كانت ملامح السخط بادية على وجوههم جميعاً، وكانوا يخطون خطواتهم في شوارع القرية الضيقة، كان زياد يتحدث بامتعاض، معبراً عن استيائه في كل كلمة ينطق بها:

_ بصراحة أنا متوقعتش أنها هتطلع بالصعوبة دي، أنا كنت فاكرها سهلة عن كده.

كان حديث زياد كان يلامس جروح هايدي العميقة، حيث شعرت أن كلماته كانت تشير إلى أنها ستترك وشأنها كما توقعت، ففجأة ودون أي تحذير، توقفت عن السير، وانهمرت دموعها على وجنتيها بينما راحت تنوح في انكسار، وتقول بصوت مرتجف، ومفعم بالخوف:

=هتسبيني صح؟ أنا كنت عارفة إن ده هيحصل من الأول، ألقى يا نعمة، أنا مش قادرة!
وبدأت أن تنهار من النكاء، فقال زياد لها بعشق:

_ مستحيل أسيبك يا هايدي، ولو على جنتي مش هيحصل! أنا هستحمل أي حاجة علشانك، ومش هفرط فيكي!

أم الديب الجزء الثاني

من الطبيعي أن يعبر كل إنسان عن ألمه بوسيلة سردية، إذ يخرج ما يعتل في نفسه من خلال الكلمات. ومن هذا المنطلق، قالت نعمة برصانة:

=متعيطيش يا هايدي، هو كان قالك هيسيبك؟ هو بس بيقول اللي في قلبه، والصراحة عنده حق أنا أمي دي متتعاشرش، سامحني يارب ماهي دي الحقيقة!

نفوخت هايدي بصوتٍ مفعم بالانتحاب، غير قادرة على السيطرة على دموعها التي كانت تتساقط بغزارة، مما جعلها عاجزة عن ملاحظتها:

_ لا لا هيسيني أنا كنت عارفة... احنا لسه فيها يا زياد، خد دهبك وكل واحد يروح لحاله!

قال زياد بطمأنينة، وهو يسعى جاهداً لتهدئة مخاوفها، ويبت الأمان في روحها المرتجفة، ليمنحها شعوراً بالسكينة:

=مستحيل أسيبك يا هايدي، هو لعب عيال ولا ايه؟ مانا عارف إن مرات عمي صعبة، ورغم كده جيت، وأنا مش هرتاح ولا يهدالي بال غير لما نكون مع بعض!

ردت هايدي بانتحاب حاد يجذب الأنظار، إذ كان صوتها يعلو، ويغمر المكان بمشاعر الاستياء المكثفة، مما جعل الجميع يلتفتون إليها بقلق:

_ مش قادرة أصدق إن كل ده ممكن يحصل.

تنهدت نعمة، وقالت لأختها بضيق:

=يا هايدي مش هيسيبك!. انتي مصممة إنه هيسيبك بالعافية وخلص؟ يا بت متتكديش على نفسك، وافرحي ده انتي عروسة!

لم يكن زياد قادراً على تحمل رؤية دموعها، نظراً لعمق تعلقه بها، فقال لها بصباغة:

_ أرجوكي يا هايدي متعيطيش، مش هستحمل أشوف دموعك، انتي غالية عليا أوي!

هدأت هايدي قليلاً بعد حديثه لها، ومسحت دموعها ببطء، ثم قالت بنبرة خالية من الانفعالات:

=ماشني يا زياد، أو عدني أنك مش هتسبيني مهما حصل!

ابتسم زياد، ووعداها بأن حبه لها يفوق كل ما يمكن أن تتخيله، ثم وصف لها جميع مشاعره، وأشواقه، قائلاً بكل صدق:

_ أو عدك يا هايدي إن لو الدنيا كلها حاولت تفرق بينا مش هتعرف!

ضحكت نعمة، كما لو كانت تشاهد مشهداً من فيلم رومانسي، غير قادرة على تصديق الأجواء المحبة التي يعيشها زياد، وهايدي، وقالت:

=طب والله حلو، وأنا كيس جوافة في النص... تعالى يا حامد اسمع الكلام الحلو.

كان حامد كالجني الذي يظهر بمجرد الطلب، إذ انبعث صوته فجأة من خلف ظهورهم، محملاً بنبرة مرعبة، قائلاً:

_ أنا جيت يا نعمة.

انفزعت نعمة على الفور، واستدارت نحوه، وقالت برهبة، وهي تضع يدها على قلبها المُرْتَجَف:

=بسم الله الرحمن الرحيم، هو أنا بحلم ولا بيتهيللي؟

بيدو أن حامد جاء مشحوناً بالأسى، وكلماته تتلون بالشجن، وهو يقول باحتدام:

_ لا مش بتحلمي يا نعمة... بقى سايبه بيتك، وابنك وخارجة تتسرمحي مع أختك وخطيبها؟

قالت نعمة بدهشة:

=أتسرمح معاهم؟ هو انت ايه اللي جابك هنا؟

أم الديب الجزء الثاني

تفوه حامد بنبرة صارمة لا تقبل النقاش، مما أعطى لكلماته ثقلًا وصرامة، وجعلها تُشعر الجميع بأنها تعبر عن حسم نهائي:

_النصيب يا نعمة، يلا اتكلي على الله وروحي بيتك!

نظرت هايدي إليه بنظرات ملؤها الاستحقار، وقالت بغرور، معبرة عن عدم اكتراثها:

=هو في ايه؟ وايه تتسرمحي دي؟ هو احنا خارجين ننفسح؟ نعمة جاية معايا أجيب الفستان!
قال حامد بكمد:

_وهو الكلام ده ينفع يا نعومي برضة؟ بقى خارجة من غير ما تعرفيني؟ بقى بتضحكي عليا وتقوليلي رايحة السوق؟

حاولت نعمة إثبات صحة قولها لزوجها بكل السبل الممكنة، مستندة إلى كل حجة يمكن أن تقنعه، وبدأت بالكلام بخوف، وهي تبحث عن كلمات تُظهر صدقها:

=طب وربنا ما ضحكت عليك، أنا كنت نازلة السوق، وعديت على أمي وبالصدفة كان زياد جاي ياخذ هايدي، وأمي راسها وألف سيف ما يروحوا لواحدهم وقالتي روعي معاهم.
سأل حامد بفضول:

_الكلام ده بجد؟

أجاب زياد بضيق، مظهرًا قلقه العارم من أن يتسبب تأخرهم في إضاعة الموعد المحدد:
=الكلام ده حصل فعلاً، ويلا علشان مفيش وقت.

ردت هايدي بانفعال:

_سيب نعمة تيجي معانا، وبعدين ابقوا حلوا مشاكلكم دي في البيت، ومتعطلونيش أكثر من كده!
تلفظ حامد بكلمات مسالمة، يتسرب منها هوء، كما لو كانت نسائم رقيقة تحملها ريح خفيفة في ليلة صيفية هادئة:

=ماشني أنا هسيبك يا نعمة، بس تخلصي وترجعي على بيتك عدل!

ردت نعمة بدهشة:

_الله، طب والسوق؟

أطلق حامد كلمات مصحوبة بنظرات حادة، كأنها سهام تنطلق من عينيه لتخترق الصمت المحيط:
=اكتبيلي الحاجات في رسالة وأنا هجيبهالك.

غمر نعمة شعورٌ براحة لا توصف، أشبه بنسمة عليلة أزاحت سحابة ثقيلة كانت تخيم على سمائها، حينما أخبرها زوجها بأنه سيتولى مسؤولية شراء الطلبات من السوق بدلًا منها، وكأن همومها قد تلاشت فجأة، فسارعت قائلة بتهنئة ارتياح:

_ماشني ياخويا وفرت عليا برضة، ده أنا كنت هتهلك من المشي.

رفع حامد يده في الهواء برفق، وأشار إليها بإيماءة سلام تحمل بين طياتها ودًا وسكينة، ثم قال:
=سلامو عليكو يا نعومي.

وتابع لزياد بتقدير:

=سلام يا عديلي.

أجابت نعمة بارتياح، يتسلل في كلماتها كما تتسلل أشعة الشمس الدافئة عبر نافذة مفتوحة في صباح ربيعي:

أم الديب الجزء الثاني

_سلام يا حمو.

انطلق زياد بسؤال ملؤه الفضول، تتوقد في عينيه رغبة حقيقية في كشف ما قاله حامد:

=يعني ايه؟

قالت هايدي بعجيج:

_امشوا بقي متضيعوش علينا الوقت!

واصلوا سيرهم دون أن تتوقف خطاهم، حتى بلغوا موقف البلدة حيث تنتظرهم المواصلات التي ستحملهم إلى القاهرة. ركبوا السيارة، وكل منهم غارق في أفكاره، وبعد ساعات من السفر، وصلوا أخيرًا إلى متجر الفساتين، ونزلوا من التاكسي، قلوبهم تنبض بتوتر مشوب بالشجاعة، كأنهم يستعدون لمغامرة غير معلومة، وحينما وطئت أقدامهم أرض المتجر، ابتسمت هايدي ابتسامة خافتة، ثم قالت بهدوء:
=صباح الخير.

تجاوبت البائعة بابتسامة، كلماتها تناسب بلطف، وكأنها تعزف لحناً هادئاً يضيء على الجو شعوراً بالترحاب:

_صباح النور، اتفضلوا.

ابتسمت هايدي بلطف لصاحبة المتجر، تعبيراً عن امتنانها، قبل أن تبدأ هي ورفيقتها في التجول بين أروقة المتجر، يتأملون الفساتين المعروضة، وكل منهم يبحث بعينه عن ذلك الفستان الذي يحمل في طياته الجمال، وأثناء تجوالهم، استوقفهم فستان ساحر التصميم، مفتوح من الأعلى، يتلألأ بجاذبية لا تقاوم. شعرت هايدي بإعجاب شديد يشع من عينيها، فنطقت بحماس لا تخفيه:
=حلو أوي ده.

أبدى زياد رفضاً قاطعاً لأن ترتدي هايدي الفستان المكشوف على هذا النحو، كانت رجولته واضحة بشكل لافت، وكأنها تجسيد لمبادئه الثابتة التي لا تقبل التنازل. لم يكن في قلبه مكان لأي تساهل يخص أن تُعرض خطيبته أمام الأعراب بتلك الطريقة، مهما كان الثمن باهظاً، وكأنه يفضل أن يُدفن حياً تحت التراب على أن يرى خطيبته على هذه الصورة، وقد قال:

_لا طبعاً يا هايدي، انتي هتليسي ده؟

كانت هايدي ترى الأمر مقبولاً، ولم تكن تمنع من ارتداء الفستان المكشوف بهذا الشكل. بدت وكأنها تتبنى عقلاً منفتحاً بشكل غير عادي، وقتما تفوهت:

=أه عادي، أنا بفكر ملبسش الطرحة يوم الخطوبة.

رفضت نعمه الفستان المكشوف بنفس الحسم الذي أبداه زياد، فعبرت عن اعتراضها بوضوح لا لبس فيه، كأنها تدافع عن مبادئ راسخة، وقد قالت:

_يخربيتك يا بت، ده انتي لو زياد وافق، عُمر ما حد فينا هيوافق، هو انتي فاكرة إننا من الناس إياهم؟

قال زياد بهدوء متعمد، جاهداً إلى عدم جرح مشاعر أي شخص من الحاضرين، على الرغم من أن نيران السخط كانت مشتعلة في داخله. حاول أن يُعبر عن موقفه بطريقة تراعي مشاعر الآخرين:

=ومين قالك أصلاً يا نعمة إن أنا هوافق على حاجة زي دي؟ هخلي خطيبتي تلبس لبس عريان وأخلي كل الناس تتفرج عليها؟ ده اللي هو ازاى يعني؟

سحبت نعمه هايدي بعيداً، إلى مكان هادئ لا يصل إليه همس، حيث تتناغم الكلمات بين الأختين كأنها أسرار لا يجوز أن تُسمع من قبل أي طرف ثالث، وهمست بكلماتها بصوت منخفض:

أم الديب الجزء الثاني

_ عفارم عليكي يا بت، خطيبك إنما ايه شكله بيغير عليكي، والله ووقعلك من الققص يا بت المحظوظة.
ردت هايدي بعصبية:

=اسكتي خالص! اشمعنا أنا يعني؟ ما كل البنات بيقلعوا الطرحة في الخطوبة والفرح، لا أنا شكلي
هفرکش الجوازة دي، بلاها خالص.
قالت نعمة بصوت خافت:

_وطي صوتك، متبقيش خايبة، الواد مفيهوش غلطة، ده بعد اللي قاله اتأكدت أنه بيحبك، أمال يخليكي
تقلعي، وتبقي فرجة لكل الناس يا بت؟
تلفظت هايدي بانفعال:
=انتي شايبة كده؟

أجابت نعمه بوضوح، مظهره في كلماتها شخصيتها الحكيمة، والناضجة:
_أمال ايه؟ ده لما يغير عليكي معنى كده إنك فارقاله، لو مغارش يبقى مبيحبكيش ولا انتي في دماغه
من الأساس!
اقتنعت هايدي بكلمات أختها نعمة، وشعرت بأنها تستوعب وجهة نظرها بشكل كامل. عادت إلى النقاش
مع تجدد في فهمها، ثم قالت باقتناع تام:
=خلاص أنا هشوف حاجة تانية أحسن.

هدأ قلب زياد، وقد زال عنه التوتر الذي كان يعصف به، فارتسمت على وجهه ملامح الرضا. ثم قال
بهدوء:
_براغو عليكي يا هايدي.

ظلوا يدورون على أقدامهم ساعة كاملة في رحلة بحث شاقة عن فستان الخطبة، برفقة الطفل محمد الذي
أرؤى عطشه بعصير المانجا المنعش. بينما عانت هايدي من التعب الناتج عن كثرة تجربة الفساتين، مما
أدى إلى تدمير حجابها، ومكياجها البسيط، دون أن تجد أي فستان ينال إعجابها. في النهاية، اجتاح
الإرهاق جسدها، فجلست بتعب واضح، وصرحت بإنهاك:
=أوف، أنا تعبت.

جلس زياد على الكرسي، وجبينه يتصبب عرقًا على الرغم من وجود المكيف في المتجر. لم يكن
لمشاعره أي تأثير على راحة ساقيه، التي أثبتت عجزها عن الوقوف بعد الجهد الطويل. قال، وهو يعبر
عن استنزافه الجسدي:
_أنا مابقتش قادر من رجلي.

قالت نعمه بتعب واضح، وهي تتشبث بطفلها بحنان:
=لا بقولك ايه، أبوس ايدك تشوفي حاجة، أنا سايبه بيتي، واللي ورايا وجاية معاكي.
ردت هايدي بإرهاق:

_طب أعمل ايه بس؟ أنا مش لاقية حاجة مناسبة!
اقترح زياد فكرة جديدة، متجاوزًا الإرهاق الذي ألم به، فقال:
=طيب تعالوا نروح مكان تاني يمكن نلاقي حاجة أحسن.
تفوهت هايدي بإحباط:

_تفكر ممكن نلاقي حاجة أحسن في مكان تاني؟

أم الديب الجزء الثاني

أجاب زياد بثقة:

=أه طبعًا، قومي بس!

اقتربت نعمة من البائعة، وهي تشعر بالحرج من الجهود الكبيرة التي بذلتها معهم دون تحقيق أي نتائج مرضية، وأخبرتها بخجل بأنها ستعود لاحقًا. قالت بصوت مهذب، يعكس اعتذارها:

_طيب احنا هنجيلك تاني.

أجابت السيدة بتفهم:

=مفيش مشكلة، نورتونا!

قالت نعمة بانسراح، وقد تخلل صوتها نبرة من الفرح:

_الله يخليكي ده نورك.

ابتسمت هايدي، وقالت بسرور:

=شكرًا.

ثم خرجوا وتوجهوا إلى مكان آخر ليتابعوا البحث عن فستان الخطبة، وعندما دخلوا إلى المتجر الجديد، وجه زياد حديثه إلى البائعة الجديدة، قائلاً:

_صباح الخير.

ردت البائعة بابتسامة:

=صباح النور يا فندم.

قال زياد، وهو يوجه عينيه حوله بفحص دقيق، ينتقل بين الفساتين المبهجة المعروضة في المكان:

_عايزين فستان خطوبة حلو كده.

نطقت البائعة:

=اتفصلوا ان شاء الله تلاقوا الليانتوا عايزينه.

في منزل أم الديب، كان حفدها حمود، وتقى يلعبون بمرح في الصالة، بينما كانت هي جالسة في غرفة النوم، منهمكة في دعوة أقاربها، وأم قمر الدين لحفل خطبة هايدي القادمة، وبينما كانت تعد تفاصيل الدعوة، قالت:

_تيجي من بدري يا ست هانم، ده أني هحجزلك أول ترابيزة، ده انتي الغالية.

كانت أم قمر الدين جالسة على الكرسي في الحديقة الفسيحة، محاطة بجمال الطبيعة، وأشعة الشمس الدافئة، وأمامها مجلتها المفضلة التي تملؤها اهتماماتها، ومواضيعها المفضلة، وبينما كانت تتصفح صفحات المجلة، نطقت بلهجة تعبر عن اهتمامها:

=ميرسي بجد يا أم الديب، بس أنا مش هقدر آجي بدري!

ردت أم الديب بمحبة:

_ليه بس؟ ماهو علشان تلحقي مكانك... بيني وبينك يا ست بسملة أني مكنتش موافقة على الجوازة ده، العيال بيخرجوا برا طوعي مرة جلال، ومرة هايدي.

تلفظت أم قمر الدين باستفهام:

=طب واشمعنا نعمة موقتيلهاش في جوازتها؟

أم الديب الجزء الثاني

أجابت أم الديب ببغضاء:

_الواد حمو ابن حلال، وطيب، أمال ايه؟ بس أمه عقربة لا أني بحبها ولا هي تحبني، دي ولية عايزة
حش رقبتها... بس على مين؟ مش على أم الديب، لأ وقال ايه متففة عليا مع أم ليالي اللي تنشك في
مصارينها، ده أني هوريهم القديم والجديد كله بس يصبروا!
يتبع....

الفصل الحادي والثلاثون

أبدت أم قمر الدين دهشتها البالغة وهي تفتح عينيها على اتساعهما وكأنها لم تصدق ما سمعت، متسائلة بنبرة تملؤها الحيرة:

_سوري مش فاهمة، هي ايه علاقتها بمامة ليالي أصلاً؟

ردت أم الديب بصوت هادئ يخفي وراءه حكمة السنين:

=مآني هفهمك بس ركزي معايا وصححي!

أعربت أم قمر الدين بكلمات رقيقة نابعة من قلبها، وقد حرصت على أن يكون صوتها مغموراً بالحنان: _أوكي فهميني.

استرسلت أم الديب في شرح العلاقة التي تربط بين أم أشرف، وتباهي، متوخية الدقة في كل كلمة

نطقتها، محاولة أن تنقل لأم قمر الدين الصورة بكل تفاصيلها المعقدة، فقالت بهدوء:

=أم أشرف اللي هي حماة نعمة بتي، ابنها الكبير أشرف اللي هو أخو الواد حامد جوز نعمة، متجوز

بتها هبة اللي هي أخت ليالي العقربة!

في تلك اللحظة، كانت أم قمر الدين غارقة في بحر من الحيرة، حيث تشابكت الأفكار في ذهنها كخيوط متداخلة يصعب فصلها، مما جعلها تشعر وكأنها تائهة في متاهة من عدم الفهم، ومع هذا الاضطراب الذي هيمن على عقلها، نطقت أم قمر الدين بنبرة استغراب:

_مش فاهمة، مين جوز مين؟

بدت أم الديب وكأنها تروي حكاية طويلة مليئة بالتفاصيل التي قد تكون ضاعت في سردها الأول، لكنها أدركت أن أم قمر الدين لم تستوعب ما قيل، فتوقفت، ثم بدأت بإعادة الشرح مجددًا:

=أم ليالي عندها بتين، الكبيرة ليالي اللي تتشك في جنبها مرات ابني جلال، والصغيرة هبة اللي هي مرات أخو حامد جوز بتي، سلفة نعمة يعني.

لكن أم قمر الدين، ورغم محاولاتها الجادة لفهم ما تقوله أم الديب، شعرت وكأن رأسها قد أصيب

بتشويش شديد، حتى أن الكلمات بدأت تتلاشى من ذاكرتها قبل أن تتمكن من إدراك معناها، ومع ذلك، تظاهرت بأنها استوعبت كل ما قيل، فتململت قليلاً في مكانها، ونطقت بكلمات يغلفها الحيرة:

_أه أوكي، ألف مبروك، ربنا يتم على خير.

تلفظت أم الديب بسعادة:

=الله يباركك يا ست بسملة ويسترك، مستنياكي يوم السبت متتأخريش!

ردت أم قمر الدين بابتسامة هادئة:

_أوكي إن شاء الله، باي.

ودعت أم الديب أم قمر الدين في نهاية المكالمة الهاتفية بكلمات مفعمة بالود، وقد حرصت على أن

يظهر حنانها في نبرة صوتها، حيث قالت بإخلاص، وكأنها تحاول أن ترسل عبر الأثير دفء

مشاعرها:

=سلام، سلامو عليكو، سلام.

أنهت أم الديب حديثها مع أم قمر الدين، ثم أخذت بيدها الهاتف لتتصل بأختها سعاد، عازمة على إبلاغها

بأخبار هامة، ومع كل كلمة كانت تنطقها، كانت تعبر عن اهتمامها، فقالت بسلاسة، ناقلة تفاصيل

الموعد:

أم الديب الجزء الثاني

_ألو ياختي، عاملة ايه؟

بينما كانوا في منزل نعمة، ومع وجود هايدي، وزياد هناك، تحقق أخيرًا الهدف المنتظر بالعثور على الفستان المثالي. ارتدت هايدي الفستان، وكان من الواضح أن الاختيار كان موفقًا للغاية، إذ كان الفستان يبدو رائعًا بشكل يلفت الأنظار، وعندما رأى زياد هايدي ترتدي الفستان، لم يتمكن من إخفاء إعجابه، فتلفظ بكلمات حارة تعبر عن تقديره لجمال فستانها:

=تحفة عليكي يا هايدي، هياكل منك حنة!

سألت هايدي أختها بلهفة، وقد أشرق وجهها بابتسامة مشرقة تبين مدى ترقبها لرد فعلها، حيث كانت مشاعرهما مزيجًا من الحماس:

_ايه رأيك يا نعمة؟

أجابت نعمة بسرور، وقد شعرت بحبور كبير وهي ترى أختها الأصغر تتألق كعروس، متألقة بجمالها بعد سنوات من الرفض، والمقاومة لفكرة الزواج. كان ابتسامتها تنبض بالفخر:

=ده مفيش كلام يوصف حلاوته، مبروك عليكي يا هايدي.

اطمأنت هايدي بعد أن تأكدت من موافقة خطيبها، وأختها، فشعرت بسكينة تغمر قلبها، ومع هذا الاطمئنان الذي أزال عنها أي بقايا من التوتر، نطقت بكلمات هادئة:

_الله يبارك فيكي، طب أنا هدخل أغيره بقي.

تلفظت نعمة بكلمات مفعمة بالبهجة، تجسد السعادة التي ملأت قلبها:

=ماشني يا هايدي، ربنا يسعدك يا حبيبة أختك.

دخلت هايدي لتغيير الفستان المذهل الذي ارتدته، ثم عادت إليهم وهي ترتدي ملابسها، لتجد الجميع مجتمعين في حالة من الفرح. بعدما استقروا على الحل الأفضل، توجهوا إلى البائعة لإتمام عملية الشراء، وحين جاء وقت الدفع، استخرج زياد المال من جيب بنطاله، وهو في حالة من الترقب، فعبر بنبرة مليئة بالجدية:

_الحساب كام؟

أجابت البائعة:

=أربع آلاف يا فندم.

استخرج زياد المال من جيب بنطاله وسدد المبلغ للبائعة، ثم خرجوا جميعًا إلى الشارع حيث كانت أصوات السيارات تصدح في الخلفية، ملئًا المكان بالحركة والضجيج. بينما كانت هايدي تحمل الفستان بين ذراعيها بحذر، وتلتف حوله بابتسامة رضا، نطقت بكلمات سعيدة:

_أنا حاسة أنه غالي أوي.

قال زياد برومانسية:

=مفيش حاجة تغلى عليكي يا هايدي، انتي لو طلبتي نجمة من السما هجيبها لك لحد عندك!

ابتسمت هايدي بخجل، حيث ارتسمت على وجهها تعبيرات مختلطة من السعادة، والخجل، وأدارت رأسها للأسفل بحياء. ثم نطقت بكلمات رقيقة، تحمل في طياتها فرحتها، وهي تتحدث بصوت خافت:

_شكرًا بجد يا زياد، ربنا يخليك ليا.

رد زياد بصوت يعبق بالغرام، حيث كانت كلماته مفعمة بالحب، وتحتوي على لمسة من الشاعرية، تعكس مشاعره تجاه هايدي:

=حبيبتي يا هايدي.

أم الديب الجزء الثاني

تتنحنت نعمة بصوتها لتلفت انتباههم، وكأنها تذكّرهم بوجودها بينهم، بعدما لاحظت أن الحديث كان موجّهاً بشكل خاص بين هايدي وزیاد. بعبارة تنبثق منها لفظة انتباه خفيفة لكنها واضحة، قالت بتنبیه مدروس:

_هتقضوها غراميات كثير ولا ايه؟ ايه الجاي؟

تلفظت هايدي بخجل، وقد بان على وجهها مشاعر من الحياء:

=هنروح نجيب الطرحة والشوز، والبدلة.

سألت نعمة بفضول، وهي تتطلع إلى هايدي محاولة فهم المقصد وراء كلماتها، فسألت ببراعة تعكس جهلها بالنية الحقيقية التي تحملها هايدي:

_شوز؟ يعني ايه؟

أجابت هايدي، وهي تعبر عن أفكارها بشفافية تامة، وكأنها تسعى إلى إزالة أي لبس أو غموض قد يكون قد نشأ. كانت نبرتها حازمة:

=يعني الجزمة!

تغيرت معالم وجه نعمة إلى تعبيرات سلبية، حيث تجلت السخرية في ملامحها، بينما أطلقت ضحكة خفيفة تتم عن استهزاء خفي تجاه أختها التي اختارت استخدام كلمات إنجليزية في حديثها، كأنها تقتبس أسلوب الأثرياء، وأبناء الطبقة الراقية، وبنبرة حادة، والتي تحمل في طياتها نوعاً من الاستياء، ذكرت نعمة أختها بوضوح أنهم نشأوا في بيئة ريفية حيث لا يُتوقع أن يتحدثوا بتلك الطريقة التي قد تبدو غير مناسبة لمستوى حياتهم البسيط، قائلة:

_يا بت بطلي وعيشي عيشة أهلك، ده انتي لو أمك تسمعك بس.

خرجت هايدي عن شعورها وكأنها أصيبت بالدهشة عند إدراكها أن المتحدثة لم تكن نعمة كما ظنت، بل كانت أم الديب التي تتحدث بنفس الأسلوب، مما زاد من إحساسها بالإرتباك:

=وهو فيها ايه لما الواحد يعدل من نفسه؟

أيد زياد قول هايدي، مشيراً إلى موافقته التامة على ما قالت، حيث كان صوته مليئاً بالثقة. أضاف إلى تأكيد كلمات تحمل في طياتها دعماً قوياً لوجهة نظر هايدي، وقال:

_عادي يا نعمة هو احنا لازم نتكلم زيكم يعني علشان نبقى حلوين؟

تلفظت نعمة بضيق:

=عيشوا عيشة أهاليكم، ده احنا في الأول والآخر من الفلاحين، مش من الناس إياهم بتوع بابي ومامي! أشارت هايدي بيدها نحو الطريق الذي يمتد أمامهم، وعكست إيماءتها حجم الاستياء الذي يكنه قلبها. وبنبرة مفعمة بالكمد، التي تعكس الألم العاطفي الذي كانت تعاني منه، قالت لنعمة بخيبة:

_طب اتفضلي قدامي!

وأزاحت نعمة أمامها بعنف، وكأنها كانت تحاول إخراج طاقتها السلبية من خلال هذه الحركة القوية، مما أعطى انطباعاً عن مدى غضبها الداخلي. ثم بلهجة حادة، قالت نعمة:

=الله ما براحة، هو أنا قولت ايه غلط طيب؟

حمل زياد الفستان بدلاً من هايدي، وأخذوا يمرون بين الشوارع المزدهمة، حيث كان الضجيج يحيط بهم من كل جانب، بينما كان زياد يوجههم نحو التاكسي الذي أشار إليه بيده، وعندما استقلوا السيارة،

أم الديب الجزء الثاني

اتجهوا بها إلى متجر متخصص في بيع الأحذية، والأحذية، وبعد مرور خمس دقائق في طريقهم، توقفت السيارة في وجه المتجر، حيث نزلوا منها وسددوا الحساب. ثم دخلوا المتجر، ودخل أجوائه المشحونة بالحركة، والألوان، نطقت نعمة بفضافة:
_خشي ياختي!

كانت أم قمر الدين جالسة في حديقة القصر الواسعة، حيث نسيم الهواء العليل يلطف الأجواء، وهي تتناول فنجان القهوة بيدها، عابثة بلمسات من التفاؤل، وكأنها خالية من هموم الدنيا وأعبائها. إلى جانبها، كانت ابنتها نرمين تجلس براحة، تتناول عصير البرتقال المنعش، حيث تجسد هذه اللحظة تجاذبًا هادئًا بين الأم وابنتها، مع حوار يتناول أمورًا هامة، ومع مرور السنوات، ظل سؤال واحد يراود ذهن نرمين، لا تجد له جوابًا مقنعًا، وتوجهت إلي أم قمر الدين بذهول واضح، قائلة بمرارة:
=بصراحة أنا مستغراباهم جدًا، ازاي جميلة تتجوز من الناس دي؟ أنا خايفة عليها فيما بعد تتحول وتبقى شبيههم!

لم تجد أم قمر الدين أي جدوى من هذا الحديث سوى أنه يعزز تفكك البيوت وانهارها، خاصة في ظل ما شهدته من تحول في حياة ابنتها الخاصة، حيث أنجبت جميلة من أحمد اثنين من الفتيات الرائعات، مما أضاف إلى الوضع تعقيدًا إضافيًا. فقد كانت ترى أن المشكلات العائلية قد تساهم فقط في زعزعة الاستقرار العائلي، بدلًا من أن توفر حلولًا فعالة، حيث قالت باستياء:

_مالوش داعي الكلام ده يا نرمين، كل شئ في الدنيا ده نصيب، وأكد مش كلامنا هو اللي هيغير اللي ربنا كاتبه... الولد أهله كويسين وهو ذات نفسه كويس، بعد ما وافقنا عليه بصعوبة اتأكدت إن الانسان عمره ما كان بالشكل ولا بالفلوس... ناس كتير معاها فلوس ولكن أخلاقهم سيئة وطباعهم وحشة أوي، كفاية إن أختك مبتنامش معيطة!

كان الاشمزاز واضحًا على وجه نرمين، حيث كانت مشاعرها تتجسد في كل كلمة تنطق بها، وكأنها تعبر عن استياء من شخصية أم الديب التي كانت تتحدث عنها بطريقة متعجرفة:
=حتى لو هو كويس، أنا شوفت حماتها بجد مستغرابها جدًا، مش عارفة هل هي طبيعية زينا ولا عقلها فيه مشكلة!

ردت أم قمر الدين بثبات، مظهرة دعمها الكامل، وتقديرها لابنتها جميلة. كانت نبرتها تعكس يقينها الكامل بقدرات ابنتها، بينما أكدت على حسن سلوكها، وتفانيها في جميع جوانب حياتها:
_أم الديب بتيجي عند جميلة وتعمل ستوب، كفاية بس هي عارفة بتتعامل مع مين، المهم أنا هروح الخطوبة وهباركلها وهعمل اللي عليا، كفاية أنها قدرتني وجات خطوبة قمر الدين!
قالت نرمين بصدمة:

=ازاي هتروحي يا مامي بعد ما حصل مشكلة بين علاء الدين وهايدي؟ انتي نسيتي الفترة دي حصل فيها ايه؟ ولا المشاكل اللي حصلت لجميلة وجوزها بسببهم؟
أجابت أم قمر الدين برصانة، حيث حرصت على أن تصف كلماتها توازنها العاطفي، وعقلانيته. كان صوتها يعبق بالسكينة:

_علاء الدين وهايدي مالهمش نصيب مع بعض، ومستحيل ينفعوا لبعض أبدًا... غلطة وعدت يا نرمين يا حبيبتي.

أم الديب الجزء الثاني

لم تجد نرمين فائدة في نصح والدتها بعدم حضور هذا الحفل، الذي كان من المحتمل أن يعزز العلاقة بين أم الديب، وأم قمر الدين بشكل أكبر، الأمر الذي قد يعقد الأمور أكثر. شعرت بالإحباط لأنها أدركت أن كلماتها لم تكن لها تأثير يذكر في إقناع والدتها بوجهة نظرها، وعندما عبرت عن مشاعرها، قالت بإحباط:

=خلاص يا مامي زي ما تحبي.

نهضت نرمين بسخط من رفض والدتها لرأيها، وقررت أن تعود إلى عملها بدلاً من قضاء معظم الوقت معها، مما بدا وكأنه تصرف مفاجئ، وغير متوقع. مع تحول موقف نرمين، عبرت أم قمر الدين عن استغرابها من هذا التغيير، فسألت باستفهام:

_رايحة فين يا نرمين؟

أحنت نرمين رأسها في حركة مليئة بالحنان، وعانقت والدتها بشغف، رغم مشاعر النيران المتقدة التي كانت تندفق في عروقها، وبينما كانت تعانقها، حاولت أن تُخفف من وطأة مشاعرها الداخلية، فتكلمت برفقة:

=همشي بقى يا مامي، أنا ورايا شغل كثير.

قبلتها أم قمر الدين على خدها بحنان، مشيرةً إلى عاطفتها الرحبية، وحرصها على تعميق العلاقة بينهما. ثم تلمظت بلطف، وهي تحاول أن تهدئ من مشاعر ابنتها وتبعث فيها الطمأنينة:

_أوكي يا روعي ربنا معاكي.

قالت نرمين بابتسامة خفيفة، محاولةً أن تعكس على وجهها تلطيف الأجواء، بينما كانت نبرتها تنم عن الأمل في تجاوز التوتر:

=يارب.

عند هايدي، وزياد، ونعمة، وقد انتهوا أخيراً من شراء جميع مستلزمات هايدي، بما في ذلك الاكسسوارات التي تناسب لون الفستان، حان الدور الآن لزيارة المتاجر الخاصة بزياد. توجهوا إلى المحلات لشراء البديل المناسبة، والحذاء الذي يليق بالمناسبة، وساعة اليد التي تكمل أناقته، وبعد ساعتين من السير المستمر، والبحث الدقيق في المتاجر، تمكنوا أخيراً من العثور على كل ما يحتاجونه، مع العلم بأنهم ضغطوا على أنفسهم وفرضوا مزيداً من الجهد تحسباً للأيام المتبقية قبل الحفل. بينما كان زياد يجرب القميص في حجرة القياس، نطقت نعمة بإرهاق واضح، وهي تتحسس ساقها بألم شديد، تعبيراً عن التعب الذي نال منها جراء هذه الرحلة الشاقة:

_آه يا رجلي آه، مابقتش قادرة.

استحت هايدي من رؤية إرهاق نعمة، فتوجهت إليها بحديث لين، محاولةً أن تعبّر عن تقديرها لجهودها، وقالت لها بلهجة دافئة:

=خلاص يا نعمة هانت أهو، زياد قرب يخلص!

ردت نعمة بإنهاك، حيث كان صوتها يعبّر عن التعب الذي كانت تشعر به، بينما كانت ملامح وجهها تصف مدى الإجهاد الذي نال منها:

_مابقاش فيا حيل يا هايدي، رجلي اتكسحت... ده أنا لسه هرجع وأعمل شغل البيت، ده لو أمك مستلمتنش.

أم الديب الجزء الثاني

قالت هايدي بهدوء:

=متعمليش حاجة، ليالي تبقى هي اللي تعمل، مجانش من يوم.

تلفظت نعمة بحصافة، وهي تترك تمامًا عواقب تجمع أم الديب، وليالي في مكان واحد، حيث كان واضحًا لها أن هذا الاجتماع قد يؤدي إلى تصاعد المشاكل بينهما، وبنبرة مليئة بالوعي، عبرت عن مخاوفها من تداعيات هذا التجمع:

_وهي ليالي وأمك يتلموا على بعض أبدأ؟ الاتنين دول كل ما يتلموا في مكان واحد لازم تحصل خناقة، وليالي الأيام الأخيرة بقيت تدي أمك كلام زي الكراييج، مابقتش تسكتلها!
قالت هايدي بإنصاف، محاولةً أن تقدم تقييماً متوازنًا، ومنصفًا للوضع:
=حقها.

نظرت نعمة إلى هايدي بدهشة، متفاجئة من تأييدها لليالي في هذه اللحظة الحساسة، وتفوهت:
=أه حقها بصراحة، دي من ساعة ما دخلت بيتنا وماما مش بترحمها وكل يوم خناقة شكل، ماهي لازم يفرض بيها، أنا لو منها مسكتش.

تراجعت نعمة عن نظراتها الحادة، وقد خففت من تعبيراتها القاسية بعد أن رأت هايدي تنصف ليالي بعدالة. حيث كانت مشاعرها متقلبة بين الإحباط، والتفهم، وقالت بوجه مستاء، يعبر عن حيرتها:
_هي الصراحة معذورة، بس أنا بعرفك إن مينفعش ليالي تنزل لواحدها... أنا لما يكون موجودة بلطف الدنيا شوية.

نقشت ابتسامة بسيطة على وجنتي هايدي، وهي تعكس امتنانها لأختها التي أسهمت في تخفيف العديد من الأوجاع، والضغوطات التي عانت منها في ذلك المنزل البائس. كانت الابتسامة تعبيرًا صادقًا عن شكرها، لذلك قالت بحنو:

=مانا عارفة، ده انتي بلسم البيت، انتي الوحيدة يا نعمة اللي مهونة عليا حاجات كثير في البيت ده. ردت نعمة بقلب طيب، وصافي، كالسحابة البيضاء التي ترفرف في سماء صافية، حيث لم يكن في قلبها مكان لأي نوع من العداوة:

_أعمل ايه طيب؟ ما الدنيا بتبقى والعة حريق، لازم حد فينا يتنازل ويلم الجو... والنبي احنا ما بقينا ناقصين مشاكل، إن كان عليا نفسي أهرب من البيت ده وأرتاح بقى!
سكنت نفس هايدي حينما تذكرت أنها ستمكن قريبًا من الإفلات من قبضة أم الديب الطاغية التي كانت تسيطر على حياتها. ارتاحت إلى فكرة التحرر من تلك الضغوط، مما منحها شعورًا بالسلام الداخلي، وعندما عبرت عن هذا الشعور، قالت براحة:

=الحمدلله إن أنا ههرب منه، بس اللي مريحني إن ههرب لمكان أحسن... اللي كان مخوفني إن أهرب على مكان زيه! بس الحمدلله حصلش.

قالت نعمة بسرور، معبرة عن فرحها الحقيقي، حيث كانت نبرتها تنبض بالحيوية:

_ربنا بيحبك يا هايدي، وأهو باعتلك واحد ابن حلال.

ردت هايدي بابتسامة:

=أيوه الحمدلله.

خرج زياد ببهجة، متأفقًا في بدلة أنيقة تبرز جاذبيته، وبأسلوب يعكس ثقته بنفسه، واهتمامه برأي الآخرين، توجه إليهم ليسألهم بوضوح عن آرائهم حول اختياره هذا:

_ايه رأيك؟

أم الديب الجزء الثاني

نال زياد إعجاب هايدي، التي تجلت على وجهها علامات الحماس تجاه ليلة الخطبة المرتقبة. فاندفعت، ووقفت في الحال، تتجه نحوه بخطوات متسارعة، عينيها تلتقطان كل تفصيل من تفاصيل أناقته بدقة. ثم، بفيض من الانبهار، نطقت بكلماتها، تعبيرًا عن تقديرها لإطلالته الرفيعة:
=حلو أوي، تحفة بجد.

اكتفت نعمة بالبقاء جالسة في مكانها، برفقة ابنها، حيث بدا عليها الإرهاق من عناء اليوم. ورغم ذلك، لم تستطع أن تخفي إعجابها ببذلة زياد البهية، فطالما كانت تتطلع إليها نظراتها المتعبة، وهي تعبر عن إشادة واضحة بجمال، وأناقة الزي الذي اختاره، قائلة:
_ ماشاء الله عليكم، ربنا يحرسكم من العين.

سأل زياد بترقب، متطلعًا إلى ردود الأفعال المحيطة به، وكان كل نظرة، وكل تعبير يحمل له دلالة على مدى نجاح اختياره:

=يعني خلاص أستقر على ده؟

أجابت هايدي بفرح:

_ أه حلو أوي، وشيك جدًا.

قالت نعمة بحبور، وهي تعبر عن مشاعرها بثقة:

=اتكل على الله يا زياد وخلص فيه.

رد زياد ببشاشة:

_ ماشي.

دخل زياد إلى الداخل لتغيير ثيابه، ثم عاد سريعًا إلى الخارج بعد أن أتم مهمته، ليقوم بعدها بدفع الحساب بابتسامة رضا، قبل أن يغادروا أخيرًا بعد يوم طويل، وشاق مليء بالمشاغل والأنشطة، وعندما استقروا في الشارع، منتظرين وصول سيارة التاكسي التي ستقلهم إلى موقف السيارات، انتابت نعمة نوبة من الإرهاق البدني، فتنفست بصعوبة، وتلفظت بتعب، معبرة عن مدى الإجهاد الذي أصابها بعد هذا اليوم المضني:

=خلاص كده؟

أجابت هايدي بصراحة:

_ لا طبعا لسه في حاجات.

قالت نعمة بصدمة، وقد بدا عليها الألم المبرح في سيقانها، وهي تكافح بكل جهدها لمقاومة الألم الذي أثقل كاهلها بعد يوم طويل:

=حاجات ايه؟ هو مش جاب البذلة والجزمة؟ وبعدين انتي مش قولتي إن دول آخر حاجة؟

يبدو أنهم قد أغفلوا عن أهم نقطة، فقالت هايدي بوضوح، دون أي محاولة للتلاعب بالحقائق:

_ احنا محجزناش الميك أب ارتيست ولا الفوتوغرافير .

كادت نعمة أن تصفع وجهها تعبيرًا عن صدمتها بعد ما سمعته من هايدي، حيث اندلعت داخلها صرخات غير مسموعة، لكنها حاولت أن تعبر عن مشاعرها للعروسين، من خلال كلماتها التي كانت تنطوي على مزيج من الاستعراب، والضيق:

أم الديب الجزء الثاني

=يايدي الحوسة اللي جات على دماغك يا نعمة، كان مالك ومال كل ده بس؟ كان زمانك روحتي السوق جيبتي طلبات البيت ورجعتي... أنا رجليا دول اتكسحوا، ده أنا مجيبتش الكوافيرة ولا اتصورت في الأستوديو غير يوم فرحي، ده حتى الخطوبة معملتهاش!
تلفظ زياد بضيق بالغ كلما تذكر أم الديب، التي كانت سبباً رئيسياً في إفساد سعادتهم، وعرقلة فرحتهم، حيث تسببت تصرفاتها في إحداث خيبة أمل كبيرة:
_ انتي مكنتيش جاية أصلاً لولا مرات عمي هي اللي أصرت أنك تيجي معانا، يعني هي السبب في كل ده!

قالت نعمة بوجه متجهم، وقد ارتسمت على ملامحها تجاعيد الاستياء:
=أعمل ايه؟ أمي موسوسة والشيطان راكب دماغها ومكنتش هترتاح غير لما أنا آجي معاكم، ده أحمدوا ربنا أنها هي اللي مجاتش ده كان زمانها مورياكم الويل!

صرخت هايدي في الحال، وقد ارتفعت نبرة صوتها تعبيراً عن رفضها الراسخ، بينما ظهر على وجهها الاحتجاج:

_ لا لا يا ساتر، ماما تيجي؟ ماهي حاجة من الإنتين ياما كنت هتشل بسببها، ياما هنتحر.
قضاء أخف من قضاء، فوجود نعمة المنهكة يبدو أرحم بكثير من وجود أم الديب، التي كان من المتوقع أن تجلب معها العديد من الكوارث. في هذا السياق، قال زياد بخوف، تعبيراً عن قلقه العميق من العواقب المحتملة:

=لا وعلى ايه؟ انتي أرحم منها... ده كفاية الكلمتين اللي هي سمعتهملي.
ردت هايدي بإحراج، مما أضفى على حديثها طابعاً من التردد:
_ أنا أسفه يا زياد، هاتها فيا!

لم ينس زياد ما قالته حماته له في السابق، حيث ظلت كلماتها الجارحة تتردد في ذهنه، مما أثر بشكل ملموس على مزاجه في يوم منعش كان من المفترض أن يكون مفعماً بالفرح. إلا أن تلك الكلمات حولت أجواءه من الانتعاش إلى حالة من الكآبة، حيث أسهم لسانها الباتر في تقويض كل لمسة من البهجة التي كان يشعر بها. في هذا السياق، قال زياد:

=لا يا هايدي متقوليش كده، انتي ملكيش ذنب!
قالت نعمة بآلم بدني، بعد أن استنفدت طاقة كبيرة من روحها:
_ طيب يلا بينا، خلونا نخلص.

ثم توجهوا لحجز خبيرة التجميل، والمصور، وهو آخر ما كان يتعين عليهم فعله في هذا اليوم المتعب، حيث ركبوا التاكسي وأبلغوه بالعنوان المطلوب، وفي هذه الأثناء، كانت ليالي جالسة في الصالة على الأريكة، تستمتع بالهدوء بعد أن نزل أطفالها للهو عند الجدة، بينما توجه زوجها إلى عمله كسائق توكتوك. خلال هذه اللحظة من السكون، كانت ليالي تتحدث مع والدتها عبر الهاتف، وتروي تفاصيل أحداث العائلة. قالت تباهي بضيق:
=دي لا عبرتنا، ولا بصت في وشنا حتى!

حاولت ليالي تهدئة الأمور بينهما، فقالت بروح نظيفة، تعبيراً عن نيتها الصافية في تهدئة الأجواء:
_ اصبري بس، أكيد حمايا هيكلم أبويا ويعزمكم.

أم الديب الجزء الثاني

عبرت تباهي عن ضيقها من عدم اكتراث أم الديب بهم، بعدم طلبهم بالحضور إلى الحفل مثل باقي أفراد العائلة، حيث نطقت بكلمات تنم عن امتعاضها، مشيرة إلى إحساسها بالإحباط بسبب تجاهل أم الديب المتعمد:

=كان الواجب عليهم هما الإثنين يتصلوا ويقدرونا.

قالت ليالي بسخرية:

_مانتي عارفة أنها مابتفهمش في الأصول، زمانها عزمت ست بسملة ماهي أصلها غالية عليها أوي. ردت تباهي باستهزاء، مستعرضة مشاعرها تجاه حماة ابنتها المتسلطة، حيث عبرت عن تيرمها من تصرفاتها:

=لازم تكون غالية، مش بتبعنلها كميات أكل؟ حماتك تحب اللي يدهنلها بطنها، حطي ايديكي في بؤها وهي تحبك.

نفوحت ليالي بكراهية، تشع من عينيها نحو حماتها، وكأن كل كلمة كانت تحمل في طياتها مشاعر السخط:

_مين قالك؟ وهي دي بيظمر فيها حاجة؟ ده بالعكس ده ممكن تجرصني في قلب المنطقة، وتقولهم يا ناس مرات ابني بتدفسلي العمل وسط الأكل علشان تخلص عليا.

قالت تباهي بصوتٍ مرتجف يخفي في طياته خوفاً من ذكر سيرة أم الديب، تلك المرأة التي تثير الرعب في قلوب الجميع. كانت تقطع اللحم بحذرٍ شديد على فرشاة موضوعة بعناية على أرضية صالتها، بينما تثبت هاتفها في حجابها بمهارة فائقة، وكأنها تتحدى الموقف بكل ما أوتيت من احترافية:

=يا ساتر يارب دي ست يتفائلها بلاد، ربنا يبعتها عن سكتنا، ويغورها في داهية بعيد، ويكفيننا شرها. ردت ليالي بنبرة تخفي أمنية قاتمة، وهي تتمنى الخلاص من حماتها بالموت، وكأنها ترى في ذلك النهاية الوحيدة لمعاناتها، والفكاك من تلك القيود التي أثقلت كاهلها:

_يارب.

بعدما دعت أم الديب الأقارب جميعاً، خرجت من الغرفة بخطوات ثقيلة، محملة بتلك الأسرار الدفينة. في تلك اللحظة، انطلق صوت حمود وهو ينادي الجدة، بلهفة تخفي وراءها شيئاً أكبر من مجرد استدعاء عادي:

=ستي!

سألت أم الديب بصوتٍ غليظ خالٍ من أي شعور بالرحمة، دون أن تعير أدنى اهتمام لبراءة الأطفال أو ضعفهم، وكان قسوتها كانت جبلاً راسخاً لا يتأثر بطفولتهم العذبة:

_عاوز ايه؟

رد حمود بصوتٍ مرتعش تختلط فيه أنات الألم، وهو يكاد يعجز عن إخفاء شدة جوعه، وكلماته خرجت محملة بمرارة الجوع الذي ينهش أحشاءه:

=جعانين.

صاحت أم الديب في وجهه بلهجة قاسية لا تعرف للرحمة سبيلاً، رافضةً بوضوح إطعامه. في تلك اللحظة تجلت قسوتها بأبشع صورها، وهي تقول بحدة جارحة:

_جرا ايه؟ هو انت كل ما تشوف خلقتي تقولي نفس الكلمة؟ بقى أمكم سايباكم ومتفحة فوق مرتاحة، وبليانى بيكم هناهو؟ عيني على النسوان دلوقتي أمهات بالاسم!

أم الديب الجزء الثاني

قال حمود بتساؤل:

=وايه المشكلة لما تأكلينا؟

نفوحت تقى بكلمات مغموسة في بحر الانتحاب، بعدما مزقت الجدة مشاعرها الرقيقة بحدة لسانها، وكان قلبها الصغير لم يحتمل قسوة الكلمات، فانهارت دموعها كالمطر:

=اشمعنا احنا؟ ما محمد لما كان بيطلب كانت بتعمله!

دخلت أم الديب المرحاض، تاركة خلفها جراً مشحوناً بالجبروت، فاشتد غيظ حمود من جدته، وتراكمت مشاعره المكبوتة حتى انفجرت في هيئة دموع غزيرة، وبكاء يملؤه القهر قال:

_ستي بتكرهنا، وربنا لأقول لأمي!

ثم ذهب حمود بأخته الصغيرة، وصعدا سوياً إلى الطابق الأعلى حيث كانت ليالي، عازمين على إخبارها بعنف الجدة التي لم تترك في قلبها ذرة رحمة تتأثر ببكاء الصغار. كان حمود يضرب الباب بقوة تعكس مشاعره المضطربة حتى فتحت لهم والدته ليالي، واستقبلتهما بقلق وهي تقرأ في وجوههم الحكاية التي لم تُرو بعد. دخلا إلى الداخل بخطوات جلفة تحمل في طياتها ثقل الموقف الذي مرّ به، وفي هذه الأثناء، كانت هايدي، وزياد، ونعمة قد انتهوا أخيراً من حجز كل ما يلزم، وبعد ساعات طويلة من التخطيط، كانت الساعة تشير إلى السابعة من مساء ذلك اليوم الذي بدا وكأن نصفه قد ضاع في التحضير، وما إن وصلوا إلى القرية، حتى قام زياد بنقلهم إلى المنزل، ليكون لهم حصناً منيعاً ضد أي خطر قد يهددهم من المختلين الذين يجوبون المكان، فالتفت زياد إليهم وقال، وكأن كلماته كانت واحة أمان في وسط صحراء الخوف:

=حمدالله على السلامة .

ردت نعمة، وهايدي في أن واحد:

_الله يسلمك .

نفوه زياد بمحبة، وابتسامة رقيقة:

=أنا كده اتطمنت أنكوا وصلتوا... همشي بقى عايزين حاجة؟

ابتسمت هايدي بابتسامة دافئة تنم عن طمأنينة، وقالت بسكينة تهدئ القلوب:

_لا سلامتك.

ختم زياد هذا اللقاء بكلمات طيبة تحمل في طياتها الأمل، قائلاً:

=سلام.

ردت هايدي، وهي تنتقل بصعوبة تحت ثقل فستانها:

_باي.

تحركت نعمة بصحبة هايدي، وصعدا إلى الطابق الأعلى، بعد يوم طويل شاق قضياه في التنقل، والتجوال، وكان التعب يثقل خطواتهما. كانت كل واحدة منهما تحمل شيئاً، فيما كانت نعمة قد استغلت الفرصة وابتاعت لنفسها جلبابين فاخرين، وحذاءً ثميناً، مما زاد من عبء حملتها، وبارهاق واضح على وجهها، وهي تسير على درج المنزل الضيق، بدأت تتلفظ كلماتها بشكل متقطع، وكأن كل خطوة تأخذ منها جهداً مضاعفاً، قائلة:

=يوم كان متعب بشكل يا هايدي... ده أنا متعبتش بالشكل ده في فرحي!

ردت هايدي بتنهدي، وكأنها تحاول إخفاء التعب الذي يعتصرها:

أم الديب الجزء الثاني

_ معلى يا نعمة أنا عارفة أنك تعبتي أوي، بس الموضوع جه خبط رزع كله ورا بعض فملحقناش، ومكنش في وقت.

قالت نعمه بابتسامة:

=كله يهون علشانك يا هايدي، ربنا يتملك على خير.

ردت هايدي بأمل:

_ يارب يا نعمة.

وحيثما وصلوا إلى شقة أم الديب ودخلوا، وجدوا الوالدة واقفة في منتصف الصلاة، واضعة يديها على خصرها في وضع يوحي بأنها تستعد لشجار لا مفر منه. قالت نعمة بترقب، وهي تراقب الوضع بتوتر، متوقعة أن المواجهة ستكون حتمية:

_ ده احنا تعبنا تعب ياما، بس الحمد لله جيبنا كل حاجة.

فتوهت أم الديب بملامح حادة تعكس صرامة لا تقبل الجدل:

=انسوا الجوازة دهى، وطلعوها من دماغكم !

كأن هايدي سقطت من شلال القهر حينما استمعت لحديث والدتها الذي عبر عن رفضها القاطع لإتمام هذا الزواج، مما جعل قلبها ينفطر من الألم. دخلت غرفتها بسرعة، ووضعت الفستان على سريرها، ثم خرجت من الغرفة، وجهها مغطى بظلال الصدمة، لتقول بوضوح:

_ انتي بتقولي ايه؟

أجابت أم الديب بنبرة متشددة، عكست عنادها:

= هو كدهو يا بت، مفيش جواز من ابن عمك، ده لو آخر واحد في الدنيا عمري ما هوافق عليه!

قالت هايدي بعصبية، وقد ارتفعت نبرة صوتها لتعبر عن استيائها:

_ هو كلام عيال؟ انتي جاية تقولي الكلام ده بعد مانا اشتريت الفستان؟

وأردفت لأختها بصياح:

_ شوفتي يا نعمة مش قولتلك هتغير كلامها؟

بعدما أهلكت أبدانهم في رحلة طويلة ومضنية إلى مكان بعيد، وسير استمر لساعات بين المتاجر التجارية، تفاجأت نعمة بمشكلة لم تكن في حسابها، مما جعلها تنظر إلى والدتها باندعاش، قائلةً باستغراب:

=مالك ياما ايه اللي جراك؟ هو مرة موافقة، ومرة مش موافقة؟ هو احنا شخشيخة في ايدك تحركيها على مزاجك؟

حاولت أم الديب بكل ما أوتيت من جهد أن تجد أي عيوب في زياد بشتى الطرق، وبدأت تشكك في

نواياه بقلق. حيث نطقت، وهي تتحدث بخوف عميق من أن يتسبب في أذية ابنتها:

_ الواد دهو أني مش مرتحاله، وقلبي مقبوض من ناحيته، الواد دهو مش كويس!

قالت هايدي لنعمة بعصبية، وكأن الحياة قد تحولت إلى شاشة سوداء أمام عينيها:

=مش قولتلك يا نعمة؟ عرفتني إن كلامي صح؟

في ظل الأجواء البائسة التي أحاطت بهم، هدأت نعمة، وأخفضت من صوتها، محاولة إقناع والدتها بأن تلك الأفكار ليست صحيحة، ولا مبرر لها. فتفوهت بالحاح:

_ الله يكرمك ويسترك ما تكسري فرحتها، ده انتي أصلك مشوفتيهمش النهارده وهما فرحانين، دول

كانوا طيرين من الفرحة!

أم الديب الجزء الثاني

قالت أم الديب بعناد:

=ولا يشغلني، ما يفرحوا ولا يزعلوا، آني كل اللي يهمني بتي تتجوز واحد عليه القيمة، ويكون على مزاجي.

ردت هايدي بعصية، إذ لم تستطع تحمل سماع حديث أم الديب، الذي جاء مفعماً بالجهل:

_وأنا أتجوزه على مزاجك ليه؟ هو مين فينا اللي هيعيش معاه أنا ولا انتي؟

نطقت نعمه بنبرة هادئة، ترافقها سكينه تامة، كأن كلماتها كانت تندفق من قلب هادئ، مطمئن:

=خشى جوا دلوقتي يا هايدي، وأنا هتصرف مع أمك!

نظرت هايدي إلى نعمه بنظرات مليئة بالعصية، كأنما مشاعرها المتأججة تنفجر من عينيها، ثم هرولت

إلى غرفتها، ودفعت الباب خلفها بعنف، لتبدأ في انتحابها مجددًا بصوت مكتوم يتخلله الألم. في تلك

الأثناء، جذبت نعمه أم الديب برفق إلى الأريكة، حيث جلستا معًا في هدوء، وواصلت نعمه حديثها

بصوت مليء بالحنان:

=خليها تفرح ياما، احنا اتفقنا على كل حاجة خلاص، بقى بعد ما اتفقنا تقومي تغيري كلامك؟ منظرنا

ايه قدام الناس؟

ردت أم الديب بنبرة قاسية، متسلحة بالكلمات الجافة التي تنم عن صعوبة الظروف:

_لا منظرنا ولا منظرناش يا بت... مش كفاية أخوكي اتجوز واحدة من غير رضايا؟ هيبقى هو

وهايدي؟ يا خراب بيتك يا أم الديب ملكيش حظ في عيالك، مانتي لو ربنيهم صح مكنوش خرجوا عن

طوعك، لكن انتي اللي دلعتيهم.

قالت نعمة باستغراب، وقد بدت على وجهها علامات الدهشة، كأنها تواجه أمرًا غير متوقع قد زرع

يقينها:

=بعد كل المرار الطافح ده ياما ومدلعانا؟ يا نهار أسود، أمال لو مش مدلعانا كان حصلنا ايه؟

تفوهت أم الديب بكلمات عدوانية، كأنها تقذف سهامها نحو أبنائها وكل من حولها، فتبدو غير مسالمة ولا

تأبه بمشاعر الآخرين، فتترجم تصرفاتها حالة من الغضب المكبوت:

_مانتوا زي القطط تاكلوا وتنكروا، طالعين لأبوكم.

ألحت نعمة على والدتها، مصممة على ألا تترك مجالاً لرؤية أختها في صورة بانسة أو سماع أي خبر

غير سار عنها في أي لحظة، إذ كانت تخشى أن يؤثر ذلك سلبيًا على نفسية أختها، ويزيد من معاناتها،

فتوجهت إليها بكلمات ملؤها القلق:

=علشان خاطري ياما سيببها تفرح، أبوس ايديكي!

أخيرًا، وبعد تردد طويل وبفضل ليونة كلمات نعمة، استجابت أم الديب، وأذعنت لمطالبها، متخفية عن

إصرارها السابق، ومقدمة فرصة جديدة للموافقة. فتحدثت بتردد:

_حاضر يا نعمة عشانك انتي بس.

لم تثق نعمة في حديث أم الديب، إذ كانت تدرك تمامًا أنه من الممكن أن يتغير رأيها فجأة كما حدث في

الماضي، وبشعور من الارتياح، قالت نعمه بنبرة تحمل الكثير من الشك:

=بجد ولا بتضحكي علينا زي المرة اللي فاتت؟

أجابت أم الديب بحدة:

_بتكلم بجد، أمال بهزر يا بت؟

أم الديب الجزء الثاني

قالت نعمة بخوف، يختلط بشعور من القلق، خشية أن يتغير كلام أم الديب بين لحظة وأخرى، كما اعتادت على تقلبات المواقف في الماضي:

=انتي ملكيش أمان ياما!

صاحت أم الديب في وجه نعمة، محدثة جلبة صاحبة، وكأنها تعبر عن الامتعاض داخلها بكل قوة:
_ احترمي نفسك يا قليلة الرباية.

نهضت نعمة بسرعة، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الفزع، وقالت بصوت متهدج:

=ماشى ياما، خليكي عند كلامك متغيريهوش!

ثم جلبت نعمة ابنتها، وصعدت إلى شقتها، وهي تحمل مشترياتها، بينما في الأعلى، حيث كانت ليالي قد استمعت إلى ما رواه أطفالها عن ما دار بينها وبين الجدة، ازداد احتدامها بشكل كبير، وباهتياج متصاعد، قالت ليالي:

_ يعني ايه مجوعاكم؟ بقى حماتي سايباكامانتوا تتلوا من الجوع؟

نفوه حمود بسخط، وكان كلماته تنبض بالاحتقان:

=أه هي بتكرهنا.

قالت ليالي باغتياظ، وقد تملكها نوبات من الغضب العنيف، وكلماتها خرجت محملة بكل ما يجول في صدرها من استياء:

_ ماشى يا حماتي، أصبري عليا بس!

تحدثت تقى بصوت مملوء بالأنين، وقد غلفتها مشاعر الأسى، وهي تعبر عن رغبتها العميقة في الانتقام من الجدة:

=اضربيه يا ماما!

ردت ليالي بكراهية عارمة، تتوقد في عينيها كالجمر المتأجج، وهي تعبر عن تمنياتها القوية بموت أم الديب، لكن دون أن تتورط في فعل خسيس بحق امرأة بلهاء حقيرة:

_ مينفعش كان على عيني، ده أنا إن كان عليا نفسي أدوس عليها بالعربية رايح جاي لحد ما تتببط.

ضحك حمود بقوة، متصنعا سخرية لاذعة، وهو يتنمر عليها بأسلوبه المشين، وأخلاقه الوضيعة:

=دي هتبقى فطيرة كبيرة أوي ياما!

ضحكت ليالي بعد حديث ابنتها، وكان ضحكها يتسم بالاستهزاء:

_ ضحككتي، متعايش لا تبقى زيها يا ولا!

قال حمود وهو يقهقه بضحك ساخر، كأن ضحكته كانت تتردد في أرجاء المكان، تعبيراً عن استهزائه:

=أعوذ بالله، ده أنا لو زيها أنط من الشباك وأخلص.

ظلت ليالي تضحك مع أطفالها بسعادة عارمة، تتخللها نوبات من الضحك المتواصل، حتى جاء جلال، وقد عادت ألوان ملبسه منسخة إثر يوم طويل، وشاق قضاه بين سائقين التكاتك، ينتقل هنا وهناك في

مناهاات العمل المضني، وعندما سمع ضحكاتهم العالية التي تملأ المكان، أبدى فضوله، وسأل بلهجة

تحمل بين طياتها استفساراً عميقاً، محاولاً فهم سر هذه الأجواء المليئة بالمرح:

_ بتضحكوا على ايه؟

قالت ليالي لابنتها بخوف، يعلوه قلق واضح، وكلماتها تتسرب من بين شفتين مرتجفتين:

=أوعى تقوله وألا هنفحك!

أم الديب الجزء الثاني

أوصد جلال الباب خلفه بهدوء، ثم تحدث بدهشة، وقد ظهرت عليه علامات الاستغراب:

_ هوانتوا بينكم أسرار ولا ايه يا ليالي؟

ردت ليالي بضحكة واسعة:

=أه أنا وعيالي بينا أسرار، اطلع منها انت... أما قولي مش هتدينا فلوس نشبرق نفسنا يوم شبكة أختك؟

جلس جلال على كرسي الأريكة، ممدداً ساقيه بتعب، ثم وضع يده فوق رأسه بحركة منهكة، كأنما كان يحاول تخفيف ضغوط يوم طويل، وقال بإحباط:

_وأنا هجيب منين ده الحال مايل.

دائمًا ما كانت ليالي مشغولة الفكر بأمر جميلة، متخيلة كيف أن الأخيرة ستبدو أكثر جاذبية في ليلة الحفل، برفقة فتياتها، وهذا ما لم تكن ليالي ترغب فيه على الإطلاق، إذ كانت تتوق لأن تكون وحدها محط الأنظار، تاركة الجميع يشاهدون بريقتها المتفرد. كان لديها إصرار كبير على أن تحضر الحفل بأبهى صورة ممكنة، فتخيلت كل تفاصيل إطلالتها بدقة، وسعت لتحقيق هذا الهدف بكل ما لديها من قوة، وقالت:

=لا بقولك ايه! أنا مش هحضر المناسبة دي إلا وأنا على سنجة عشرة، ليه عاوز الناس الثانية تبقى

أحسن مني؟

كان جلال يعلم مقصدها جيدًا، وكان يعرف خبايا نواياها ويحفظها عن ظهر قلب أكثر من معرفته باسمه، مما جعله يشعر بغيرتها الواضحة من جميلة، وعندما لامس جلال هذه النقطة بدقة، أطلق كلماته بدهاء:

_ الناس الثانية برضك، ولا قصدك جميلة؟

ردت ليالي بخبث، متمسكة بتظاهرها بالثقة، وكأنها تحاول إخفاء مشاعرها الحقيقية وراء قناع من الهدوء المصطنع:

=وأنا كنت جيبت سيرتها ولا اتكلمت؟ ثم انت مالك، ومال ست جميلة وكل ما أتكلم كلمة نفهمها أنها عليها؟

قال جلال بحصافة:

_ لا مانا قولتلك ببيان عليكي يا ليالي، انتي فاضحة نفسك أول بأول.

تفوهت ليالي بشحناء، تحمل كل مشاعر الاستياء، كأنها تطلق كلماتها كسهام مسمومة، تعبيرًا عن احتقانها:

=ليه أحسن مني ولا أحسن مني؟

رد جلال بدهشة:

_وأنا كنت اتكلمت يا بت؟ انتي هتقوليني كلام مقولتوش؟

نطقت ليالي بعصبية، مصحوبة بعناد كبير، تأكيدًا على إصرارها ألا يكون أحد أفضل منها بأي شكل من الأشكال. كان في نبرتها مشاعر من المنافسة:

=بقولك ايه يا جلال! انت هتديني فلوس علشان أظبط نفسي أنا وعيالك، وإلا الخطوبة دي أنا مش حضراها!

رد جلال بسكينة:

_ ماتصبري يمكن ربنا يسهل الحال ويرزقنا.

أم الديب الجزء الثاني

قالت ليالي بعصبية، وهي تبرم بشدة من الموقف الذي لا تحتمله ثانية، مضيعة أن كلما مر الوقت، تقترب أكثر للحظة الخطبة، مما يجعلها تشعر بضغط مضاعف. فهي تدرك أنها لن تتمكن من متابعة شراء احتياجاتها الضرورية، وأطفالها في الوقت المتبقي، مما يضاعف من إحساسها بالتوتر:

=أصبر ايه أكثر من كده؟ ده خلاص مش باقي غير يومين!

حاول جلال أن يهدئ من عصبيتها، فبادر بتقديم كلمات مفعمة بالأمل، عارضاً عليها بواذر طمأنينة حول مساعيها، وقال:

_ربك يسهلها في اليومين دول، جهزتي الأكل؟

أجابت ليالي بضيق:

=أه.

نهض جلال، واتجه نحو المرحاض ليغسل يديه بالماء والصابون، محاولاً تجنب أي ملامسة غير ضرورية، ثم قال بهدوء يعكس رغبته في الاسترخاء:

_قومي حضريه عقبال ما أغسل ايدي.

ردت ليالي باستجابة سريعة، دون أن تتأخر في تلبية طلبه، وكأنها حرصت على تلبية حاجته بأقصى سرعة:

=ماشني ياخويا.

نهضت ليالي، منشغلة بتجهيز الطعام الذي أعدته ببراعة فائقة، حيث بدأت في تسخين قدر الأرز على عين الموقد اليسرى، بينما وضعت قدر الفاصوليا الخضراء باللحم، والصلصة على العين اليمنى، فأخذت تتحرك بمهارة بين الموقد والمكونات الأخرى. في ذات الوقت، استخرجت المخلل من المبرد، لتضيف لمسة من النكهة إلى الوجبة. بينما كان جلال يقف بالقرب من الحوض، فتح صنوبر المياه ليغسل يديه، محاولاً التخفيف من آثار يومه الطويل، وفي الأسفل، في غرفة هايدي، كانت مشغولة في الدردشة مع خطيبها عبر الواتساب، غارقة في الحديث حتى انشغال ذهنها، وفجأة، دخلت أم الديب إلى الغرفة بدون استئذان، مما جعل هايدي تشعر بالذعر. وقالت أم الديب بشك واضح، معبرة عن عدم ارتياحها تجاه الموقف:

_مالك يا بت اتخضيتي كدهو ليه؟

أجابت هايدي بفرع:

=ده طبيعي لأنك دخلتي على فجأة!

أظهرت أم الديب ربيتها تجاه هايدي، متسائلة في ذهنها عما إذا كانت الأخيرة قد تكون في حديث غير أخلاقي مع زياد، مما زاد من حدتها وجعلها تعبر عن استيائها بغلاظة شديدة. وقالت لها بلهجة حادة، تنم عن استهجان واضح:

_ماسكة المخروب دهو بتهبي عليه ايه؟ أوعي يا بت تكوني بتبعته صور بشعرك وإلا هخلي ليلتك

سودة! احنا مش بتوع الكلام دهو، يا خراب بيتك يا أم الديب بتك فضحتك، وخلصت راسك في الطين!

وضعت هايدي هاتفها على الفراش بجانبها، ثم ردت باستغراب من الاتهام الذي لم، ولن يحدث أبداً،

وهي تحاول تصحيح المفهوم الخاطئ بشكل قاطع، وتأكيد براءتها من أي سوء فهم:

أم الديب الجزء الثاني

= هو انتي بتتكلمي وبتتردي على نفسك؟ مين قالك أصلاً إن أنا بيعتله صوري؟ وبعدين أبعته صوري ليه وهو بيشفوني على الطبيعة؟

كانت أم الديب تسعى لاختلاق النزاع من الهواء، فقالت بلهجة متصاعدة:
_ قومي يا بت نضفي الصالة، أني مش هعتقك لحد ما تتجوزي، أمال قاعدالي على الفاضي كدهو من غير شغلة ولا مشغلة؟

ردت هايدي بدهشة، متسائلة كيف يمكن لوالدتها أن تطلب منها تنظيف المنزل بعد يوم شاق قضته في الشوارع، دون أدنى إحساس أو رحمة لما مرت به؟. كانت كلماتها تعكس إحساسها بالظلم، وهي تنتظر من والدتها تفهم حالتها:

=ماتسيبيني أرتاح، هو ايه مفيش فهم؟ أنا مشيت مشي النهارده لحد ما رجلي اتكسحت!

قالت أم الديب بصوت غليظ:

_ غاوي العسل ياكله بمعلقة يا بت، يلا قومي!

نهضت هايدي، مجبرة على الاستجابة لمطالب والدتها، بدلاً من أن تتعرض لضغوطها القاسية، وكأنها تتجنب الخضوع لضغوط شديدة قد تؤدي إلى استنزاف طاقتها. كان في تصرفها تعبير عن استسلامها للأمر الواقع، في محاولة لتفادي المزيد من النزاع، فقالت:

=طيب، أهو قايمه، أهو!

ثم دخلت المطبخ، محاولة فهم ما تريده أم الديب في هذا الوقت المتأخر، رغم أنها كانت تشعر بإرهاق شديد، وجسدها الهزيل يناديها للراحة، حيث كانت لا تزال تتوق إلى الاستلقاء على السرير، وقد زفرت بعمق، بينما اصطدمت الصحن ببعضها البعض بفعل انفعالها، مما أضفى على المشهد المزيد من التوتر. في تلك اللحظة، جاءت أم الديب خلفها، وكأنها تنوي إثارة مشكلة جديدة، مضيئة مزيداً من الضغط إلى حياتها مما جعل الأمور تزداد سوءاً.
يتبع....

الفصل الثاني والثلاثون

في منزل نعمة، حيث كانت تجلس على الأريكة بعد يوم مرهق، غارقة في التعب، إذ بها ترى زوجها، حامد، يدخل إلى المنزل حاملاً أكياساً ممتلئة بالخضار، والفواكه، تلك التي وعداها بها سابقاً، وبابتسامة خفيفة، وكأنه يريد أن يُشعرها بالاطمئنان، قال حامد بنبرة دافئة:
_السلامو عليكو .

ردت نعمة بابتسامة:

=وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ربنا يعينك داخل شاييل ومحمل.

نهضت نعمة بسرعة، راغبة في مساعدة زوجها، حيث شعرت بالامتنان والحرص على تخفيف عنه عبء اليوم الطويل. بدأت في حمل الأكياس معه، بينما هو جلس ببطء على الأريكة محاولاً استعادة أنفاسه من عناء التسوق، وبنبرة متعبة تكشف عن الإرهاق الذي ألمَّ به من طول الجولة في الأسواق، قال حامد بتعب:

_آه يانا، ده السوق ده طلع حوار، أنا ايه خلاني أتعبط في دماغي وأقولك هجيبلك الحاجة؟

رغبت نعمة، التي كانت دائماً تحرص على اختيار أفضل، وأطرح المنتجات لعائلتها، في التأكد من أن زوجها قد تمكن من انتقاء الخضروات بعناية كما ينبغي. لذا، نظرت إليه بعينين تحملان بعضاً من الشك، وقالت بنبرة متسائلة مليئة بالتردد:

=أوعى يكون البياح ضحكك عليك، واداك حاجات بايظة!

رد حامد بابتسامة واثقة ترتسم على وجهه، وكأنه كان ينتظر هذا السؤال ليؤكد لها معرفته وقدرته على تلبية توقعاتها:

_لا، ودي تيجي مني برضة؟ هو حد يقدر يضحك عليا؟

كانت نعمة تنحني قليلاً وهي تفتح الأكياس واحدة تلو الأخرى، عيئها تفحص الخضروات بدقة، باحثة عن تلك العلامات التي تدل على جودتها. لكنها، ومع كل نظرة تلقيها، بدأت ملامح وجهها تتغير تدريجياً من الترقب إلى الذهول، حتى تجمدت ملامحها بالكامل حينما اكتشفت أن نصف الخضروات في الأكياس كانت فاسدة، غير صالحة للاستخدام. رفعت عينيها نحو حامد، وقلبها مثقل بالصدمة، لتقول له:
=يا نهار أسود، الراجل ضحكك عليك يا خايب واداك البايظ اللي تحت!

أخذ حامد الأكياس من يد نعمة ببطء، محاولاً الحفاظ على رباطة جأشه، لكنه كان يشعر بقلق متزايد يتسلل إلى قلبه. نظر داخل الأكياس بعناية، محاولاً تمييز الخضروات التي بدت غير سليمة، وبينما كان يتفحص كل قطعة، رفع رأسه نحو نعمة بعينين مليئتين بالدهشة، وقال بارتباك:

_يا خبر أبيض، أنا ازاي فاتتني حاجة زي دي؟

شعرت نعمة بغمة ثقيلة تجثم على صدرها، وكأن الخيبة قد اجتمعت لتثقل روحها. كانت تتمنى لو أنها أخذت على عاتقها مسؤولية شراء الخضروات بنفسها، خاصة بعد أن أدركت أن زوجها الطيب قد وقع ضحية لخديعة بائع لا يعرف للضمير طريقاً، بائع بلا مبالاة اختار أن يضع في الأكياس أسوأ الأنواع وأردأها، متجاهلاً أي اعتبار لأمانته، وقالت، بصوت يخفي وراءه الكثير من اللوم الذاتي:

=ما كنت روحت بدالك أحسن، علينا بايه الخسارة دي؟

أم الديب الجزء الثاني

نظر حامد إلى نعمة بعيون تلمع بحدة، وقد شعر بالمسؤولية، والجرح في آن واحد. كان يستطيع رؤية الندم في ملامحها، وكأنما يريد أن يضع حدًا لأي نقاش حول الموضوع، وقال:
_ليه علشان تتسرحي مع أختك، وخطيبها؟

ردت نعمة بعد أن ضاقت بها المشاعر، وقد تراكمت داخلها أحاسيس الإحباط:
=تاني يا حمو؟ هو احنا مش قولناك رايعين نجيب الفستان والبدلة؟ مانت عارف الشبكة كمان يومين. قال حامد بانزعاج، إذ شعرت نعمة بأن قلقه لم يكن فقط من سوء الخضروات بل من مسألة أكثر عمقًا، حيث اعتقد أن نعمة قد اعتادت على إخفاء الحقائق عنه، وتزييف الأمور بطريقة غير حقيقية:
_انشالله تكون بكر، كنتي عرفيني يا نعومي، ده أنا حتى جوزك مش راجل غريب.
وضعت نعمة الأكياس جانبًا بيدين ارتجفان من التوتر، ثم رفعت حاجبها في حركة تعبيرية تحمل الكثير من الصرامة، وتقدمت نحو حامد، وأطلقت كلماتها بلهجة حازمة، كأنما تريد أن تقطع الجدل، وتوضح موقفها بشكل قاطع:

=وأنا ايه عرفني بس؟ أنا كنت نازلة، ورايحة السوق، وأمي صممت، ومكنش قدامي حل غير كده! تغاضى حامد عن ما فعلته زوجته، محاولاً تجاهل الكمد الذي سببه الموقف، وقرر أن يتجاوز الأمر ليواصل حياته بشكل طبيعي. قال بلهجة هادئة تحاول أن تبعث الطمأنينة، كما لو كان يرغب في طي صفحة الخلاف، والبدء من جديد:

_سماح المرة دي يا نعمة، بس المرة الجاية مش هعديها!
تعجبت نعمة من قوة شخصية زوجها المفاجئة، وقد أعاد هذا التغيير المفاجئ توجيه مشاعرنا نحو استغراب كبير، وقالت باستغراب، محاولة فهم كيف أن هذا الجانب القوي كان قد غاب عنها طوال الفترة الماضية:

=ومن امتي الكلام ده بقى ان شاء الله؟
أجاب حامد بثقة، وهو يقرر بوضوح أن يضع نهاية لأي جدال حول هذا الموضوع:
_من النهارده، مانا جوزك مش رجل الكنبة اللي في بيتكم!
تلفظت نعمة بشجن، حيث اختلطت في صوتها مشاعر الأسى:
=ماشى يا حمو.

ثم أخذت نعمة الخضروات، والفواكه، ودخلت المطبخ وهي ما تزال متعجبة من تحول سلوك زوجها المفاجئ، محاولة استيعاب تلك اللحظة. في هذه الأثناء، كان حسين، وزياد جالسين في البلكونة، حيث تسلل إلى أذنهما أصوات صراخ الحقل التي أضفت على الأجواء الليلية طابعًا مميزًا، وبينما كان الحوار بينهما يجري في ظل هذه الأجواء، قال حسين بهدوء:
_تلبسها وتتهنى بيها يا زياد يابني، وتفرح بشبابك.

لم يكن زياد يتوقع أبدًا قمة السعادة التي وصل إليها، وهو يقترب من تحقيق حلمه مع معشوقته بعد فترة طويلة من الرفض من والدتها، التي كانت تعدّ عائقًا كبيرًا في طريقه. بدا له الوقت وكأنه يقف ساكنًا، فاليومان المتبقين على حفل الخطبة كانا كأنهما سنتان، كل دقيقة تمر كأنها ساعة، مليئة بالانتظار. وسط هذا الشعور العارم، والذي يشبه السير على قشر البيض، قال بحبور عميق يعبر عن إحساسه بالتحقق:
=الله يخليك يا بابا، أنا بجد مش مصدق إنني أخيرًا هخطب هايدي! أنا كنت دايمًا بحلم أكون معاها أو حتى توافق عليا، وساعات كنت بقول لنفسى ده حلم بعيد بس هقدر أوصله، وأحققه!

أم الديب الجزء الثاني

قال حسين بدهشة، وهو ينظر إلى ابنه، الذي يبدو وكأنه فتى أحلام كل الفتيات، وقد وجد فيه فرصة نادرة لن تتكرر بسهولة:

__ومتوافقش عليك ليه هو انت قليل؟ ده انت ربنا يحفظك مالي مركزك، وكل البنات تحلم ترتبط بواحد زيك.

لكن زياد كان يدرك بوضوح أن الرفض لم يكن نابغاً من أي عيوب شخصية فيه، أو من عدم استحقاقه، بل كان يعزى إلى طموحات محددة تملكها النساء، والتي تتمنى شيئاً معيناً لشريك حياتها. كان يعرف أن كل فرد يحمل تطلعاته الخاصة، ورغباته في الشخص الذي سيشاركه حياته، ولذلك قال بواقعية:
=مش معنى إني من وجهة نظرك مفيش غلطة يبقى أنا حلم أي بنت! الرفض عمره ما كان لأنك ناقص حاجة، وفي شيء غير مكتمل! كل إنسان له أحلام معين غير الثاني ولو ملقهاش في اللي قدامه طبيعي عمره ما هيشوفه مناسب!

ضحك حسين على حديث ابنه، الذي بدا وكأنه صادر عن نضج فئة الكبار، يعكس حكمة تتجاوز عمره. كانت ضحكته تحمل في طياتها فخراً عميقاً، إذ رأى في كلمات ابنه تعبيراً عن النضج، فقال بفخر:
__ انت بقيت تقول كلام كبير أوي! كبرت يا زياد، كبرت وهشوفك عريس... الله يرحمها أمك سابتك وانت لسه في الإعدادية... سابتك في الدنيا وحدك وأنا اللي اتوليت كل أمورك، وبقيتلك الأب والأم، ومقدرتش أحرملك من حاجة!

ظهرت ابتسامة زياد المشرقة، والتي برزت فرحته العميقة، بينما نظر إلى والده بأعين مليئة بالحب، وقال له بكل عاطفة:

=طبعاً يا بابا أنا مقدر كل ده، ربنا يخليك ليا يارب، وميحرمني منك أبداً!

ظل الجميع يتحدثون حتى تأخر الوقت، وذهب كل منهم إلى سريره، وفي يوم الخطبة، وبالتحديد في الساعة الثانية بعد الظهر، في منزل أم الديب، تحركت خبيرة التجميل مزودة بحقيبتها الكبيرة التي تضم كافة الأدوات اللازمة، وكانت كل عشر دقائق تتواصل عبر الهاتف مع هايدي، مسترشدة إياها بتفاصيل المكان الذي بدا كمتاهة بالنسبة لها حتى تمكنت من الوصول إليه. استقبلتها نعمة بفرح بالغ، ووجهها يشرق بالغبطة، وأدخلتها إلى غرفة هايدي حيث تبادلتا العناق، استعداداً للبدء في رحلة التحضير السعيدة. بينما في نفس الوقت، كانت أم الديب جالسة مع شقيقتها سعاد في المطبخ، مستلقتين على عتبته، يتحدثان كعادتهم عن أحوال الحياة، وبينما هما مشغولتان في تبادل الأحاديث، قالت سعاد بفضول، وهي تسعى للاستفسار عن نوعية الطعام المقدم في هذه المناسبة:

__وتهعملوا أكل على كده يا بسمة؟

أجابت أم الديب، وهي ترتشف الماء من الكوب النحاسي الذي كان يلمع في ضوء المطبخ، بنبرة تعكس جديتها:

=لا ياخوتي، المكان اللي احنا رايعينه هما اللي هيعملوا كل حاجة، يارب الأكل يكفي بس!

قالت سعاد بانسراح، وهي تستشعر أجواء الاحتفالية، معبرة عن سعادتها لما ستقدمه المناسبة من أطباق، وأصناف متنوعة:

__هيكفي، وهيفيض كمان!

أم الديب الجزء الثاني

عند هايدي في غرفتها، وبعدما استخرجت خبيرة التجميل جميع أدواتها من حقيبتها بعناية، ووضعتها بشكل منظم أمامها على الطاولة، وقفت أمام حامل الهاتف الذي كان يتيح لها التواصل السلس مع أي استفسارات. نظرت إلى هايدي باهتمام بالغ، وقالت لها بجدية:

=حابة اللوك يكون عامل ازاي؟

أجابت هايدي بفرح:

_شوفي ايه اللي يليق عليا واعمليه.

تفوهت خبيرة التجميل، وهي تغمس أصابعها برفق في كريم الترطيب، متجهةً نحو وجه العروس، وكان كريم الترطيب ينساب بين أصابعها، حيث بدأت تدلك به وجه هايدي برقة، قائلةً بلهجة مليئة بالاحترافية:

=خلاص سيبيلي نفسك خالص!

ردت هايدي بسعادة، وهي تشعر بارتياح عميق تجاه العناية التي تتلقاها، بينما كانت نعمة جالسة على السرير في الغرفة، تتناول الجوافة، وتراقب أختها بكل إعزاز. كانت ملامح وجه نعمة تعكس شعورًا بالاعتزاز، وهي ترى كيف تتلقى أختها العناية اللازمة في هذا اليوم الخاص:

_حاضر.

في الأعلى، في شقة جلال، اشترت ليالي في اليوم السابق فستانًا رخيصًا، لكنه كان يتمتع بجمال لا يوحى بثمنه المنخفض، ليظهر بشكل أنيق. في المقابل، اشترت لتقى فستانًا جديدًا، وحذاءً لامعًا، رغم ممانعة جلال في البداية، ومع ذلك، فقد تغلب رأيها على معارضته، فهي لم تكن ترغب في أن يتألق أحد غيرها في ذلك اليوم الفريد. بينما كانت تقف أمام المرأة، توزع بعناية خليط القهوة، والعسل على وجهها، لتمنح بشرتها إشراقًا مميزة، كان جلال جالسًا على السرير يتابعها في صمت. بعد لحظات من السكون، خرج من صمته، وسألها بفضول:

=هو كان لازمنا فساتين وبتاع يا ليالي؟

أجابت ليالي، وهي تنزع بقايا ماسك القهوة، والعسل من أصابعها برفق، وتحرص على إزالة كل آثار الخليط بحذر:

_أمال ايه يا جلال؟ ما دام الشبكة هتتعمل في قاعة يبقى لازم نكون على سنجة عشرة، ده الكاميرات هتبقى شغالة في كل حطة.

دخل حمود الغرفة، وهو يبدو على وجهه آثار الإحباط، وكأن السخط قد تراكم على كاهله. كانت خطواته تعبر عن عدم الرضا، بينما قال:

=اشمعنا أنا مجيبيليش بدلة؟

تلفظ جلال بشح، وهو يعبر عن رفضه لفكرة شراء الثياب لأبنائه، حيث بدا وكأنه يستخسر تكلفة تلك المشتريات، ويعتبرها عبئًا ماليًا غير مبرر:

_البس البدلة اللي جيبينها لك في فرح عمك نعمة.

صدمت ليالي يدها على صدرها بقوة، تعبيرًا عن دهشتها من الموقف، بينما كان صوتها يرتفع بصخب يعكس حجم استيائها، قالت بصدمة:

=يالهوري يا جلال دي متدخلش فيه! ده الواد كبير!

قال جلال بدهشة:

_وأنا قاعدلكم على بنك فلوس لما انتي، والعيال تشتروا فساتين، وبدل؟ أجيبلكم فلوس منين لكل ده؟

أم الديب الجزء الثاني

حكمت ليالي عقلها في تلك اللحظة، واستغلت ذكاءها، ومهارتها في إدارة المواقف، وقالت برصانة:
=خلاص أنا هتصرف!

ثم دخلت غرفة أطفالها الضيقة، التي كانت مزدحمة بالألعاب، والكتب، وفتحت الخزانة الضئيلة التي كانت تكتظ بالملابس الصغيرة. استخرجت منها البنطال الأسود، والقميص الأزرق لابنها، الذي كان يتبعها بخطوات مترددة، وأمسكت بالملابس بحرص، قائلةً باهتمام:
_مش لازم بدلة يعني... خد يا حمود البسه.

قالت تقى بغياء، دون أن تعير الأمر الكثير من التفكير، بينما كانت كلماتها تتدفق بدون وعي:
=اشمعنا أنا يا ماما معنديش قميص زي ده؟

ضحكت ليالي، وعبرت عن ضحكتها بتلك النغمة التي تحمل في طياتها مزيجًا من الدهشة:
_ده لبس ولاد، البنات الحلوين اللي زيك بيلبسوا فساتين، زي الفستان الجميل اللي جيبتهولك، ويلا هحطلك شوية روج على خفيف، وهتبقى زي القمر.

دخل جلال على حديث زوجته العجيب، وقد بدا متعجبًا من رغبتها في تزيين طفلة صغيرة كما لو كانت عروسًا كاملة، وهو غير قادر على استيعاب هذا التناقض، وقد تجلى فزعه في صياح مرتفع، يعكس حجم انزعاجه:

=جرا ايه يا بت انتي اتعبطتي ولا ايه؟ هتخطي الأحمر والأخضر لحنة عيلة صغيرة؟
قالت ليالي بصياح يتنازع مع نبرة جلال العالية، حيث كان صوتها يرتفع في محاولة للتعبير عن إثبات وجهة نظرها:

_اسكت، هو احنا كل يوم عندنا مناسبة؟ وبعدين ده أنا هحطلها على خفيف، لأ وياه هكويلها شعرها هيبقى زي الحرير.

سأل جلال بفضول، بينما كان يحاول فهم دافع زوجته وراء تزيين الطفلة بهذا الشكل غير المعتاد:
=ده اللي هو ازاي يعني؟

دخلت ليالي غرفة نومها، بينما كان زوجها، وأطفالها يتبعونها بخطواتهم، فرفعت جسدها بجهد وهي تقف على أصابع قدميها، ونجحت بفضل عزميتها في إحضار مكواة الثياب من علو الخزانة العالية دون أن تطلب مساعدة جلال بفضل طوله الفارع، وبعدها حصلت على المكواة، ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة، مليئة بالإنجاز. في تلك اللحظة، كان جلال يقف مندهشًا، فقال باستفهام واضح:

_انتى هتعملي للبت شعرها بدي؟

ضحكت ليالي، وعبرت عن فرحها من قدرتها على تحقيق ما أرادته، ثم قالت بتأكيد واثق، وهي تنظر إلى جلال بابتسامة مفعمة بالحيوية:

=أمال ايه؟ ده أنا ياما أمي عملتلي شعري عليها، لا تقولي كوافير يطلب منا شيء وشويات ولا عفريت أزرق.

خرج جلال عن شعوره، وهو يرى زوجته تبذل جهدًا مضمينًا في إنجاز مئات المهام من أجل حفل، بينما دوره لم يتعد الاستحمام، وتصفيف الشعر. بدا عليه الضيق، كأنما استشعر ضغوطات الأمور تتزايد بشكل غير عادل. قال بصوت يعكس كل مشاعر الاستياء:

_وربنا دماغكم رايقة، أنا هدخل آخدلي دش على السريع، وهنزل، وانتوا خليككم مع نعمة.

ردت ليالي بفزع:

=ماشى ياخويا.

أم الديب الجزء الثاني

دخل جلال المرحاض، بينما كانت ليالي مشغولة بتسخين المكواة، استعدادًا لفرد شعر ابنتها بأقل الإمكانيات المتاحة، محاولةً تحقيق أفضل النتائج رغم الظروف البسيطة. في الوقت نفسه، لم يتمكن أحمد، وجميلة من الذهاب إلى عملهما هذا اليوم بسبب الأهمية القصوى لحفل خطبة هايدي، الذي كان اليوم المنتظر منذ سنوات طويلة لكل أفراد العائلة. بينما كان أحمد واقفًا في غرفة الثياب، يجرب البدلات المختلفة لاختيار الأنسب، كانت جميلة تقوم بتسريح شعر سيليا بعناية، وبعدها انتهت من ذلك، دخلت بأسيل إلى المرحاض لتغسل جسدها، وتستعد ليوم الحفل الكبير. وفي خضم هذا الوقت الصعب المليء بالتحديات، اتصلت أم قمر الدين بهاتفها، مما جعل جميلة تخرج من المرحاض بسرعة، تاركة أسيل تلهو بألعاب الماء. نشفت يديها، وأمسكت بهاتفها، وقالت بدهشة بينما كانت تحاول فهم هوية المتصل: _مين ده؟

حينما تأكدت جميلة من هوية المتصل، ارتسمت على وجهها ملامح الفرح، وسرعان ما تحولت دهشتها إلى فرحة عارمة. ارتفع صوتها، وقد أضاءت عينيها بشعاع الأمل، بينما ردت بفرح يعبر عن مدى سعادتها، قائلة: _ألو يا مامي عاملة ايه؟

قالت أم قمر الدين بفضول:

=الحمد لله يا حياتي، انتي عاملة ايه انتي، وأحمد، والبنات؟
أجابت جميلة بحنو، في الوقت الذي كانت تحاول فيه أن تشارك فرحتها:
_الحمد لله كلنا بخير، قوليلي بقى هتعدوا علينا ولا احنا نعدي عليكم أحسن؟
تلفظت أم قمر الدين باكتراث، وقد بدا عليها الاهتمام، والمشغولية بما يحدث:
=لا يا حبيبتي احنا هنعدي عليك، بس احنا مش هنطول... باباكي أول مرة يحضر لهم مناسبة، وانتي عارفة أنه مش فاضي خالص، ده فضى نفسه بصعوبة!
تفوهت جميلة بسكينة:

_أيوه يا حبيبتي ربنا معاه، هو فعلاً معندوش وقت خالص، بس أنا مبسوطه أنك انتي وبابي جايين معانا.

ردت أم قمر الدين بينما كانت تصعد على درج قصرها الهادئ، الذي يعبق بأجواء الاستقرار، وترافق خطواتها خلفية موسيقية أجنبية هادئة تعزز من شعور الراحة. كانت ملامح وجهها تتسم بالجدية:
=خلاص يا حبيبتي جهزوا نفسكم، وأه صحيح أنا جايبالهم معايا جيفتات تحفة، يارب تعجبهم.
دائمًا كانت جميلة فخورة بوالدتها السخية، التي لا ترفض طلبًا لأحد، وتضع دائمًا احتياجات الآخرين قبل احتياجاتها الخاصة. فقد كانت تعبر عن إثارتها من خلال تقديم كل ما في وسعها لخدمة من حولها، حتى ما في يديها لم يكن مخصصًا لها بل للآخرين. مما جعل جميلة تشعر بحب تجاه والدتها، التي كانت رمزًا للعطاء اللا محدود، وقالت:

_طول عمرك كريمة يا مامي وصاحبة واجب!

قالت أم قمر الدين بصبوة، وقد تخللت نبرتها مشاعر الحنين، مما أعطى صوتها طابعًا مليئًا بالعاطفة:
=طبعًا يا حياتي، ده لو احنا منعلمش كده أمال مين اللي يعمل؟
ضحكت جميلة برقة، معبرة عن شعورها بالسرور، وكانت ضحكتها ناعمة، مليئة بالدلال، بينما قالت:
_طنط بسمة هتفرح بيكي أوي.

أم الديب الجزء الثاني

ردت أم قمر الدين ببشاشة، وهي تستقر على كرسي أرجواني في الطابق العلوي من القصر، حيث كان الكرسي يضيف لمسة من الفخامة إلى أجواء المكان. كان تعبير وجهها مليئاً بالود، بينما كانت تستمتع بلحظات الاسترخاء في هذا الفضاء الهادئ:

_ ده أكيد، بس اللي مستغرباله إن هايدي أخيراً هتتخطب، ده كله كان بيقول أنها رافضة الجواز تماماً! تلفظت جميلة بسعادة، وهي تشرح أصدق أمانيتها للعروس هايدي في يومها المنتظر. كانت كلماتها ملأنة بالتمنيات الطيبة:

=ماهو خلاص جه الشخص اللي غيرلها تفكيرها، كلهم بيقولوا أنه شخص كويس أوي ومناسب ليها.

قالت أم قمر الدين بانسراح، وقد برزت على وجهها البهجة:

_ ربنا بيقرّب كل اتنين شبه بعض لبعض، يلا مبروك ليها ربنا يفرحها.

ردت جميلة بابتسامة:

=يارب يا مامي، خلاص أنا هستناكوا بقي.

نطقت أم قمر الدين بسرور:

_ أوكي يا حبيبتني.

بعد مرور ساعتين في منزل أم الديب، كانت هايدي قد انتهت من وضع المكياج، وارتدت فستانها الجميل الذي أضفى عليها الأناقة، وقد فضلت خبيرة التجميل بإضافة لمسائها الأخيرة، حيث زينت أظافر هايدي الاصطناعية باللون الأزرق اللامع، وصنعت لها حجاباً متيناً يتحمل تحركات اليوم الذي قد يكون مليئاً بالنشاط. أضافت أيضاً العطر الزكي فجعلت الأجواء أكثر روعة. في هذه الأثناء، كانت نعمة، وليالي، وأطفالهم، بعد أن ارتدوا فساتينهم البسيطة، وثياب الصغار الرائعة، قد وضعوا المكياج الطفيف، وأدوات الزينة التي تكمل الإطلالة بشكل مثالي. نزلوا جميعاً إلى شقة أم الديب لمشاركة هذا الحدث الرائع، حيث كان المنزل يملأه صدى زغاريد النساء، مما أضفى جواً من الاحتفال، وعندما رأت نعمة أختها التي أصبحت عروساً جميلة، لم تستطع تصديق تحولها المدهش، فتعالت صرخاتها باغتناب، قائلة:

=بسم الله ماشاء الله... الله أكبر.

خرجت أم الديب من المطبخ، محملة بكيس الملح الخشن الذي كان يرمز إلى حمايتها، وتعويذتها لابنتها من أي عين حاسدة قد تصيبها في هذا اليوم الخاص، وقد ارتفعت نبرتها بصياح حاد، بينما قالت بحرص:

_ حصوة في عين الأعداء... حصوة في عين دباح الحمير، وعياله كلهم واحد واحد.

دخلت أم الديب غرفة العروس بين النساء، وهي تحمل كيس الملح الخشن، وبدأت ترش الملح في الهواء باندفاع، مما جعل الحبات تتناثر وتستقر في كل مكان. للأسف، طار الملح إلى عين ليالي، مما تسبب في شعورها بألم حارق لا يُطاق. صرخت ليالي من شدة الألم، بينما وضعت يدها على عينها، محاولة تهدئة الحرقان الذي كان يتسبب في انزعاجها، وبدأت تنوح بصوت عالٍ:

=أه عيني!

تشبثت نعمة في ليالي، وقد بدت على وجهها ملامح القلق، وهي تحاول أن تطمئن على حالتها وسط الفوضى. كانت يديها ترتجفان قليلاً بينما كانت تحاول تهدئة ليالي ومساعدتها، وقالت:

_ مالك يا ليالي عينك جر الها ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

صرخت ليالي بقوة، وهي تلف في الغرفة كمن فقد السيطرة، وقد بدا واضحًا عليها الألم الجسيم، وكأنها ذبابة موطوءة فوق رأسها. ارتفعت صرخاتها عاليًا، بينما كانت تصيح بشدة، قائلة:

=نار في عيني يا نعمة!

انصدمت هايدي مما حدث لزوجة أخيها، وتجمعت على وجهها ملامح الذهول. لم تستطع استيعاب الموقف، وأثارت مشاعر الفزع في قلبها. صرخت بصوت عالٍ، قائلة:

_روحي اغسليها بسرعة!

هرولت ليالي إلى المرحاض بسرعة، وهي معيرة عن ألمها، وحالتها المتردية، وفتحت صنوبر المياه بشدة، محاولةً غسل عينها من الملح المزعج الذي دخلها. كانت حركة يديها عصبية، وسريعة، في محاولة يائسة للحفاظ على المكياج الذي زين وجهها. بينما كانت نعمة تراقب الموقف بقلق، وجهت حديثها إلى والدتها بصخب، قائلةً بعجيج:

=ما جرا ايه ياما؟ ايه اللي انتي عملتيه ده؟

صرخت أم الديب بغلاظة، بينما قالت بحدة:

_برش الملح بدل ما أختك تاخذ العين وتروح فيها.

ردت نعمة بجلجلة:

=وهي هتاخذ العين من مين بس؟ هي لا أول ولا آخر واحدة تتخطب، هي يعني بتعمل اللي محدش عمله؟

قالت هايدي برهبة، خائفةً من أن يفسد ما تبقى من يومها الخاص، بينما كانت تحاول أن تستجمع أفكارها، وتبحث عن حل سريع. كان صوتها يرتجف قليلاً:

_أبوس ايديكم عدوها على خير، امسكوا نفسكم النهارده، واتحكموا في أعصابكم!

ردت أم الديب بصياح:

=وهو حد كان عمل حاجة يا بت؟

عادت ليالي وهي تنتشف عينيها من المياه بمنديل ورقي، محاولةً إزالة آثار الملح، والحفاظ على المكياج بأقصى ما تستطيع. بدت على وجهها علامات التعب، بينما كانت تحاول استعادة هدونها. في تلك الأثناء، كانت نعمة تنتظر إليها بقلق، قائلةً بلهجة مفعمة بالاهتمام:

_عاملة ايه دلوقتي يا ليالي؟

أجابت ليالي بتعب:

=خفيت شوية.

وبعدما هدت قليلاً واستجمعت قوتها، وقد بدت عازمة على مواجهة الواقع بكل شجاعة، صرخت في وجه أم الديب كما تصرخ العاصفة الهوجاء التي تعصف بكل ما يعترض طريقها، قائلة:

_ما تلمي نفسك يا حماتي، حد قالك إننا طبق فول؟ وبعدين مالك ومال أبويا، وأخواتي؟

قالت أم الديب بفضاظة عارمة، وكأنها موجة جارفة تهدم كل ما يمر في طريقها، بلهجة تجسد قسوة لا تتهاون في استنكارها:

=هو أني جيبت سيرته يا بت؟ قولت سلامة؟ ولا هو اللي على راسه بطحة؟

حينما استشعرت نعمة وقوع كارثة جديدة، أغرقت بحالة من الذعر جعلتها تتجه نحو أم الديب، وتدفع بها وبمن معها إلى الصالة، في محاولة يائسة لتهدئة الأوضاع قبل أن تتفاقم الأمور، وتخرج عن

أم الديب الجزء الثاني

السيطرة. حيث كانت تُفكر بعمق حول كيفية حماية فرحة هايدي من أن تتعرض لأي ضرر، وقررت أن تكون صامته حتى تستكمل هايدي فرحتها، وفي خضم هذا التوتر، نطقت هايدي برهبة:

_علشان خاطر متريديش عليها وعديها النهارده... أنا طول عمري رافضة الجواز وخايفة منه، ومتعقدة بسبب ماما، ويوم ما ربنا يهدي الدنيا تقوم هي خرابها ثاني!

طمأنتها ليالي بردودها العقلانية المتزنة، مستعينة بقدرتها على التحليل المتأن، حيث قالت بعبارات تجسد الحكمة التي تفيض من ملامحها:

= لا يا هايدي متحطيش في دماغك... أمك أنا حسابي معاها بعدين، متشغليش بالك، مش هنخلي اليوم يبوظ بسبب عباطة أمك.

رن هاتف ليالي في تلك اللحظة، وقطع صمت الغرفة المتوتر، مما جعلها تخرج بخطى متعجلة نحو الخارج لترد على المكالمة. ومع عبور عتبة الباب، تحدثت بصوت خافت:

_ألو يابا، انت فين؟

تبادلت ليالي الأحاديث مع والدها عبر الهاتف، وهي تأمل في أن يتمكن من الوصول في الوقت المناسب قبل أن يغادر أفراد العائلة المنزل، متمنية أن يسير كل شيء وفق ما هو مخطط له، وبعد فترة قصيرة، وصل زياد إلى المكان، متأثراً ببذلته الأنيقة، وبرفقته والده حسين، إلى جانب مجموعة من الأقارب، والزملاء الذين حضروا للمشاركة في المناسبة، وفي ذات الوقت، ظلت أم الديب واقفة في البلاكونة، ممعنة في رش الملح في الهواء بنية طرد أي طاقة سلبية قد تعكر صفو الحفل، حتى تسببت هذه الحركة غير المتوقعة في أن يسقط الملح على عين المعلم حنفي، الذي كان ينظر إلى الأعلى، مما جعله يصرخ بصوت عالٍ يعبر فيه عن ألم شديد، قائلاً:

=عيني يا ولاد الـ!***

هرول جلال بسرعة نحو والده، مستشعرًا القلق، والخوف الباديين على وجهه، وهو يحاول التأكد من خلوه من أي مشكلة أو أذى قد يكون تعرض له، ومع نبضات قلبه المتسارعة، وصوته الذي ارتجف من شدة الفزع، قال:

_مالك يابا؟

أجاب المعلم حنفي بصراخ مدوّ، وقد كانت نبرات صوته تنم عن الألم الشديد، والصدمة التي تعرض لها، مما دفع جميع الأنظار إلى التوجه نحوه بقلق بالغ، معبرين عن اهتمامهم الشديد بموقفه:

=هاتولي مايه بسرعة!

كان جلال يركض بلا توقف، يُسابق الرياح في محاولة يائسة لاستحضار المياه، علّه يستطيع بذلك مساعدة والده الذي كان في أمس الحاجة إليها، وفي حين كان جلال منشغلاً بهذه المهمة العصبية، تجمع الرجال حول المعلم حنفي، عيونهم مغمورة بالقلق، يحاولون الاطمئنان على حالته الصحية التي باتت تبدو، للأسف، شديدة الخطورة، وبينما كان الجو، الذي كان في الأصل مفعماً بالفرح، قد تحول تدريجياً إلى حالة من الاضطراب، ظهر زياد في الأفق، بهيئته التي تعكس مكانته المرموقة كعريس الليلة.

اقترب بخطوات حذرة، تعلق ملامح وجهه القلق، ثم سأل عمه بصوت متحشرج يكاد يخفي ارتعاشه:

_مالك يا عمي؟

صرخ المعلم حنفي بصداح يخترق صمت الحي، موجعاً كل من سمعه، فيما كانت يدها المرتعشتان تتحسسان وجهه بعصبية. كانت أصابعه تتلمس عينيه كما لو كان يحاول التحقق من كارثة لا يريد تصديقها، مردداً بصوت متقطع:

أم الديب الجزء الثاني

=عيني يا خلق، نار في عيني!

عاد جلال مسرعاً، بخطوات متعثرة تحت ثقل الهم، وهو يحمل بيديه دلو الماء الذي هرع ليحضره، وما أن وصل إلى حيث يجلس المعلم حنفي، حتى أفرغ الماء على عينيه المصابتين بحذر، لعل هذه المياه الباردة تستطيع تخفيف الحريق الذي يلتهمهما. ثم جلس جلال بجانبه على الرصيف، ويده على كتف المعلم، يبته بصمت دعاءً صادقاً للشفاء. بعد أن اطمأن الجميع إلى أن حالة المعلم أصبحت مستقرة بعض الشيء، رغم الألم الذي لا يزال يعتصر قلبه، سعد زياد الدرجات بخطوات واثقة ليأخذ هايدي. كانت في انتظاره، لكنها لم تكن تعي تمامًا ما يدور حولها من اضطرابات، وما أن همّ زياد بالتحرك، حتى نطق حسين بقلق:

_ لا إله إلا الله، انت كويس يا حنفي ياخويا؟

تلفظ المعلم حنفي بتعب:

=الولية دي آني مش هسكتلها بس عيني تخف الأول... آه يا عيني آه!

قال حسين بصوت غلب عليه الشجن:

_سلامتك يا حنفي.

سعد زياد الدرجات المؤدية إلى شقة أهل العروس بخطوات حذرة، يحمل بين يديه باقة من الورد الأحمر، ألوانها النابضة بالحياة تناقض تمامًا المشاعر المعقدة التي كانت تجول في صدره. في الأعلى، كانت هايدي واقفة بظهرها، جسدها مشدود بالانتظار. من حولها، تجمع الحضور، وقد انشغل معظمهم بتوثيق هذه اللحظة بكاميرات هواتفهم. كانت هايدي تشعر بحرج شديد، إذ بدت وكأنها عالقة بين رغبتها في الانسحاب من هذا الموقف المحرج، وبين التزامها، ومع اقتراب زياد منها، شعرت بنبضات قلبها تتسارع، وقررت أخيرًا أن تواجه اللحظة. أدارت وجهها نحوه ببطء، وجسدها يكاد يخفي ارتجافه. ما إن تقابلت أعينهما، حتى تفجرت في عيني زياد دهشة لا توصف. كانت نظراته تحمل انبهارًا خالصًا، وكأن جمالها كان يفوق كل ما رآه من قبل. الكلمات خرجت من فمه، وهو يقول:

=أنا مش مصدق، بقى انتي هايدي؟

ضحكت هايدي ضحكة خفيفة، كانت أشبه بنغمة عذبة رقيقة تلامس الأذن برفق. ارتسم على وجهها ابتسامة خجولة، زادت جمالاً. ثم بادلتها النظرة بنعومة، وهمست بصوت يكاد لا يُسمع من شدة خجله:

_ آه طبعًا.

تلفظت أم الديب بصياح:

=ايهي قصدك ايه؟ قصدك إن بتي عفشة ولولا شوية الحاجات اللي الكوافيرة حاطهملها هما اللي

محلينها؟ آني بتي ضوفرها برقبة عيلتك!

قالت نعمة بدهشة:

_ماتتهدي بقى ياما، هو جر شكل وخلص؟

على الرغم من كل ما صدر عن أم الديب من إساءة تجاهه، لم يسمح زياد لنفسه بالانجرار إلى مشاعر الغضب. بل على العكس، اختار أن يتجاوز تلك الإهانات بروح من التسامح، والاحترام. كان في داخله يعتبرها كوالدته الراحلة، لذا خاطبها بتبجيل، قائلاً:

=أنا مش هرد عليك عشان انتي في مقام أمي!

تفوهت أم الديب بصياح، يحمل في طياته التمرد، دون أن تُلقي بالألما أبداه زياد من احترام. كان صوتها يعلو المكان وكأنها تحاول بحدة كلماتها فرض هيمنتها عليه، غير أبهة بمشاعره:

أم الديب الجزء الثاني

_ أني أصغر من أمك، أمك دوكتها كانت ولية عجوزة، دي جايبك على كبر، بعد ما لفت على الدكاترة واحد واحد، وكلهم قالولها انتي مليسة، وعلى قلبك دهون قد كدهو.

جلجل صوت نعمة في المكان، مفعماً بسخط لا يمكن إخفاؤه، وكأن صبرها قد نفذ من تصرفات أم الديب. لم تستطع أن تتحمل المزيد من الإهانات الموجهة إلى زياد، فشعرت بأن عليها التدخل، حتى لو كانت ستضع نفسها في موقف محرج. حيث قالت:

=ايه ياما اللي بتقوليه ده؟ انتي عارفة بتقوللي ايه؟

قالت هايدي بشجن، وقد غلب عليها الحزن من تطور الموقف، وهي راغبة بشدة في أن لا تتفاقم المشكلة بين الطرفين، وتؤدي إلى تركها تبكي وحيدة في زاوية هذا النزاع:

_ زياد علشان خاطري ملكش دعوة بيها!

أجاب زياد برصانة:

=متخافيش يا هايدي، يلا بينا!

ثم نشب بيد هايدي بلين، فهبطت برققة زياد إلى الأسفل، يتبعهما الجميع في أجواء احتفالية يطلقون الزغاريد، ويعبرون عن فرحتهم، عدا نعمة، وأم الديب اللتين ظلتا في الشقة، حيث كان وجه نعمة يعكس تفكيراً جاداً. نظرت نعمة إلى والدتها، ثم خاطبتها بنبرة حازمة:

_ بقولك ايه ياما اتعدلي، وعديها على خير متخريبيش الجوازة على البيت، وامسكي لسانك شوية!

كالعادة، أجابت أم الديب بصياح حاد، كان ينساب من فمها كأنها تتحدث من خلف جدار من الامتعاض:

=وانتي مالك يا بت؟ أني أقول اللي يعجبني في الوقت اللي يعجبني، فاهمة ولا لا؟

ردت نعمة بانزعاج:

_ انتي هتفضلي لسانك طويل لحد امتي ياما؟ طب والله ده لو كان واحد ثاني كان رد عليك وما عمل

اعتبار لحد!

ازدادت درجة نواح أم الديب لدرجة أنها صاحت بقوة، وكأنها تحاول أن تعبر عن كل ما يختلج في

صدرها من غضب. ارتفع صوتها ليملاً الصالة، محملاً بالاستفزاز، وقالت:

=يرد عليا يا بت الكلب؟ أمك يتغلط فيها وانتي قاعدة تتفرجي؟ بدل ما تجيبه من زمارة رقبته؟

أجابت نعمة بدهشة:

_ وهو كان اتكلم؟ ده انتي اللي شغالة غلط من ساعتها!

وطأت أم الديب يديها على فخذها بعنف، ساعية للبحث عن قوة تعينها على مواجهة الندم الذي يعترض

قلبها. كانت تعابير وجهها تجسد عمق الحسرة التي تعترتها، وهي تتلفظ:

=يا عيني عليك يا هايدي وقعتي نفسك في جوازة مالهاش لازمة، ده على رأي المثل، يا واخذ القرد

على ماله، يروح المال ويفضل القرد على حاله.

قالت نعمة، وهي تسعى جاهدة لإعادة الأمور إلى نصابها، مُظهرةً قدرًا كبيرًا من الإنصاف في كلماتها:

_ الواد مش وحش ومفيهوش غلطة! بقولك ايه ياما أنا تعبت منك، أنا نازلة!

تفوهت أم الديب بعجيج يرعد الأبدان:

=داهية تاخدك، بت قليلة الربابية، بدل ما تبقى في صف أمها لا بتيجي عليا أني!

نزلت نعمة، وقد بدت عليها الكآبة التي تعكس مدى تأثرها من تصرفات والدتها المستفزة، وكأن ثقل

الموقف قد أثقل كاهلها. تلتها أم الديب، التي خرجت أيضًا، وتراكم الغضب على ملامح وجهها. صعد

الجميع إلى سيارتهم التمنائية التي كانت تحملهم برققة العائلة، بينما العروس، التي وصلت إلى السيارة

أم الديب الجزء الثاني

المزينة بالورود، صعدت إلى جانب عريسها، وتوجها معًا نحو مكان التصوير. بينما توجهت أم الديب، والمعلم حنفي، والبقية إلى القاعة حيث كان من المقرر أن ينتظروا وصول الآخرين، وصل جلال إلى القاعة، موقفًا سيارته بعناية بين صفوف السيارات المصفوفة، وحينما وقفت، قال جلال:
_يلا انزلوا!

كلما نظر حامد إلى أم الديب، كان شعور غير مبرر يعتريه، مما يجعله ينفجر في نوبة ضحك متكررة، لم يكن لها سبب واضح بالنسبة للآخرين. كان يتجلى في ضحكاته نوع من الفكاهة الشخصية، التي لم يتمكن أحد من تفسيرها. في خضم هذا المشهد، نظرت نعمة إليه بدهشة، محملةً مشاعر من الاستفهام، وقالت، محاولةً استيعاب ما يحدث:
=بتضحك على ايه؟

نزل حامد من السيارة، وأخذ يقف متجمدًا في مكانه، وقد فتح فمه بزواية ستون درجة، مما منح وجهه تعبيرًا غير معتاد، كان يلفت الأنظار بهذه الطريقة، محاطًا بنظرات الفضول من جميع الحاضرين، الذين لم يفهموا تمامًا مصدر هذا التصرف غير المألوف، حيث أجاب:
_لا ولا حاجة.

حينما نزلت العائلة برمتها من السيارة، كان حامد لا يزال يتابع أم الديب بحركاته المبالغ فيها، فكلما خطت خطوة على الأرض، انفجر في ضحك مبهم، كأنما كان يجد شيئًا مضحكًا بشكل لا يمكن تفسيره. استمر هذا الموقف في إثارة استغراب الجميع، إلى أن نظرت أم الديب إلى حامد بذهول، وكأنها لا تستطيع تصديق ما تراه، وقالت بصياح:
=ايهي مالك يا ولا فشتك عايمة كدهو ليه؟
تزايدت ضحكات حامد بشكل متسارع، فكانت تنتشر في الهواء كأصداء غير قابلة للسيطرة، وقال، محاولاً تهدئة نفسه بصعوبة، لكن مع ابتسامة لا تفارق وجهه:
_منورة يا حماتي.

نطقت نعمة بانزعاج من تصرفات أسرتها البلهاء، وهي تسعى لتوجيه النقد بشكل غير مباشر:
=ربنا واعدني باتنين يشلوا، أم لسانها عايز قطعه، وجوز أهطل، أروح منهم فين بس يارب؟
حينما دخلوا الفندق، انبهروا بجماله المدهش، وتصميماته الفريدة، وألوانه الباهرة التي تزينت بها أرجاء المكان. كان كل ركن يعكس ذوقًا رفيعًا واهتمامًا دقيقًا بالتفاصيل. ومع دخولهم إلى القاعة، وجدوا المكان في حالة من الاستعداد المثالي لاستقبال العروسين، حيث كانت الموسيقى الهادئة تعزف في الخلفية، مهينة الأجواء لبداية الاحتفال قبل أن يتحول إلى صخب. توجهت ليالي بنظراتها إلى كل زاوية، مذهولة بما تراه، إذ لم يكن في حسابها أن هايدي تختار لإقامة حفلتها مكانًا بهذه الفخامة، وقد أظهرت استغرابها حين قالت:

_حلوة القاعة، بقى حماتي تعمل شبكة بنتها هنا؟ دي ولا كانت تحلم.
أجاب جلال، وهو يتلفت في كل زاوية حوله، مستمتعًا بكل تفاصيل الأجواء المحيطة:
=أحمد أخويا هو اللي دافع في القاعة دي... مالها بس حته الأرض اللي جنبنا؟ ماهي زي الفل وتسع من الحبايب ألف.

حاولت ليالي أن تقلل من شأن أحمد، وزوجته، محاولةً بذلك أن تبتث عدم التفوق في الأجواء. استخدمت أسلوبها بدهاء، قائلة:

_ولا دافع ولا حاجة، ده تلاقيه حوار عاملينه علشان يطلعوه كريم، وبيفهم في الأصول.

أم الديب الجزء الثاني

لكن جلال أكد لها الحقيقة، معبراً عن قناعته الصادقة، وقال:
= لا يا بت ده مطلع الفلوس من جيبه، ده ربنا يزيدہ انتقل نقلة تانية من ساعة ما اشتغل مدير في قناة التلازيون.
ردت ليالي بحق، بينما كانت نيران الغيرة تتأجج في قلبها، تجسد غضبها في تعبيرات وجهها التي حملت مشاعر الكره:
_وايه يعني مدير قناة؟ ده لولا بس ست بسملة، وجوزها مكنش وصل لكل ده... بصراحة بيني وبينك حسيته اتجوزها جواز مصلحة علشان يقش شوية فلوس ويكبر على قفاهم!
أثبت جلال صدق أخيه، الذي لم يعرف يوماً طريق الخيانة أو الخداع، من خلال دفاعه المستميت عنه بكل الطرق الممكنة. تجلى ولاء جلال، وإيمانه بأخيه في كل كلماته، حيث أظهر عزمته القوية في البرهنة على نزاهة أخيه، وقد تلفظ:
= لا أنا أخويا تمام التمام، أمال ايه؟ ده أنا أعرفه أكثر منك، هي جات معاه بالحظ، إنما الواد نيته سالكة.

ضحكت ليالي، وقالت بسخرية:

_ليه هي حماتي تخلف عيال نيته سالكة؟ الثعبان مبيخلفش غير ثعبان زيه يا حبيبي!
تحول جلال في هذه اللحظة الحاسمة، وهو يصرخ بصوت عالٍ يتردد صداه في الأفق، كما لو كان صرخته تعبيراً عن صراع داخلي هائل:
=جرا ايه يا بت؟ قصدك إن أنا مش سالك؟
تراجعت ليالي فجأة، وبدت عليها علامات الذعر، كما لو كانت قد شهدت شيئاً غير متوقع يثير في نفسها مشاعر الرعب، ثم نطقت بكلماتها بصوت مشحون بالرهبة، قائلة:
_لا العفو ياخويا مش قصدي!

في حديقة شاسعة تمتاز بتنوع أشكال الزينة الرائعة التي تزينها، وتنتشر في أرجائها، تحت أضواء ساحرة تنعكس على كل زاوية، وفي ظل أعمدة التصوير المتعددة التي أعدت خصيصاً لالتقاط أجمل الصور للعروسين، كانت هايدي، وزياد يقفان معاً، بينما كان المصور يقف أمامهما، موجهاً كاميرته نحوهم بحرفية، ملتقطاً لحظات توثيقية لليلة الخطبة المميزة، وقد وجه المصور الأنظار إلى كيفية التكوينات المناسبة للالتقاط الصور، وهو ينطق بأوامر مهنية لينتقط أفضل اللحظات التي تعكس جمال المناسبة:

=أقف بعيد وامسك بوكية الورد، وانتي أقي قدام!

أجابت هايدي باستعداد تام، وقد أشرفت ملامح وجهها بابتسامة دافئة تحمل في طياتها تألقاً:
_تمام.

وقفت هايدي في وضعية أنيقة، حيث جعلت وجهها يواجه الكاميرا، بينما كان زياد، الذي ارتدى بدلة سوداء أنيقة تضيف إلى مظهره أناقة، يقف على بُعد منها، ممسكاً بباقة الورد برفق في قبضتيه، ويطل بابتسامة عذبة. في تلك اللحظة، كان المصور منهمكاً في التقاط العديد من اللقطات المميزة، ليجمع تفاصيل اللحظة بدقة، وبعد انتهاء جلسته التصويرية، اقترب المصور منهم، ليعرض عليهم الصورة الأفضل التي تم التقاطها. نظرت هايدي إلى الصورة بإعجاب شديد، وقالت:
_حلوة أوي!

نالت الصور إعجاب زياد بشكل كبير، حيث أظهر انبهاره، وعكست ملامح وجهه الرضا، وهو يعبر عن تقديره للتفاصيل الرائعة التي وثقتها العدسة، وقال:

أم الديب الجزء الثاني

=تسلم ايدك الصورة مطبوعة.

تحرك المصور بسرعة ملحوظة، وكان رجليه تعملان كعجلات خفيفة، مما يظهر احترافه، وكفاءته العالية في إدارة جلسة التصوير. ثم أشار بيديه إلى الموضع المناسب لتعديل حركة العروسين، متوجهاً إليهما بأوامر دقيقة، وهو ينطق بصوت محدد:
_ عايزين نغير الوضعية، تعالوا أقفوا هنا!

نفذ العروسان بحرص تام كل ما طلبه منهم المصور، كأنهما قد سلموا أرواحهم له طواعيةً في سبيل توثيق لحظات خالدة ستبقى محفورة في الذاكرة. في الوقت نفسه، كان أحمد، وجميلة، بعد أن ارتدوا أفضل الفساتين، والبدل الفاخرة، في طريقهم متجهين نحو قاعة الحفل، حيث كانت أم قمر الدين، وباسم يتبعونهما في السيارة التي تليهم، مملوءة بأجواء من الفرح. كانت روائح العطور الفاخرة التي عبأت أجواء السيارة تنبعث بقوة، مما يزيد من حالة الرفاهية ويأسر الحواس. فجأة، ودون أي مقدمات، قالت سيليا بسرور:

=خطوبة عمتو هايدي النهارده؟

أجابت جميلة، التي كانت مهووسة بالتقاط الصور، وهي تلتقط صوراً لنفسها بفرح، حيث كانت تبتسم وتنظر إلى الكاميرا بحماس:

_ أيوه يا حبييتي.

قالت سيليا باغتراب عارم، يشرح حماسها للحظة:

=أخيراً يا مامي عمتو هنتجوز!

ضحكت جميلة بفرح، وكانت ضحكتها تعبر عن سعادتها، ثم قالت ببهجة:

_ أيوه يا روجي عقبالك.

لا يريد أحمد أن يتخيل حتى مجرد فكرة زواج ابنته سيليا في المستقبل، فهو يجد في نفسه صعوبة بالغة في تصور نفسه عجوزاً، بعد أن كان في ليلة وضحاها، ذلك الشاب المرح الذي كانت أقصى طموحاته تتمثل في إحضار حفازات فاخرة لبناته الصغيرات، وفي لحظة من التأمل العميق، قال بقلق:

=ياه ده لسه بدري أوي!

لكن جميلة، التي تمكنت من تخيل المستقبل، شهدت مرور السنوات وأصبحت أمًا مسؤولة، بعد أن كانت في يوم من الأيام طفلة تلهو مع أخواتها في حديقة القصر، حيث كانت حياتها مليئة بالبراءة، والمرح، وعندما تأملت التغيرات التي طرأت على حياتها، قالت بحكمة:

_ خالص، الأيام بتعدي بسرعة، فين أيام لما كنت صغيرة؟ عمري ما كنت أصدق إن الأيام هتعدي بسرعة و هتجوز.

تحدث أحمد وهو يقود السيارة بحرص، حيث كانت عيناه مركّزتين على الطريق أمامه، ينتقل بين النظر إلى اليمين، واليسار، وتدقيق التفاصيل لضمان سلامة السير:

=كلنا كده، بس مش قادر أتخيل سيليا تبقى عروسة، وتسييني، وأدخل أوضتها ملاقيهاش فاز عل!
أجابت سيليا بعفوية الطفولة، كما لو كانت تتحدث دون تكلف:

_ لا يا بابي أنا هجيلك كل يوم!

ضحك أحمد على ردها، معبراً عن سعادته، ثم قال بنبرة هزلية، تحمل تلميحات من المرح:

=خلاص قررتي يعني؟

قهقهت سيليا، وقالت بمزاح:

أم الديب الجزء الثاني

_طبعًا، وهدخل وأنا معايا حلويات كتير أوي!

انتشر الضحك في الأجواء السعيدة، مما أضفى على اللحظة طابعًا من الفرح الخالص. فقالت جميلة ببشاشة:

=طيب كويس، طالعة كريمة لانا بسملة.

عندما دخل الجميع القاعة، وجلسوا في ترقب لمجيء العريس، والعروس، توجهت أم الديب إلى المطبخ الفسيح المخصص للطباخين، وهو مكان يعبق بروائح الطهي الشهية. هناك، وبينما كان الصمت يلف المكان، تلفتت بكلماتها المتأثرة، التي حملت في طياتها مسغبة رهيبة:

_املاي طبق على السريع، آني واقعة من الجوع!

ترك الطباخ القدر من يديه، ووضع جانبا برفق، ثم التفت إليها بتركيز، وكأنه يحاول جاهداً تذكر ملامحها المألوفة. كان إحساسه يوحى له أنه رآها من قبل، لكن تفاصيل الزمن كانت ضبابية، حيث قال بتدقيق:

=انتي مين يا حاجة؟ أنا حاسس إنني شوفتك قبل كده!

بعد ثوانٍ من رحلة التذكر العميقة التي انشغل فيها ذهنه، والتي كانت مزيجاً من محاولة استرجاع الذكريات، وتصفية الغموض، قال بنفور:

=هو انتي...؟

أجابت أم الديب بترقب:

_أيون آني، ويلا ياخويا خلص هو احنا هنحكي ونتحاكي؟

تلفظ الطباخ بعبارات مشبعة بالرفض، وهو يواجه فكرة وجودها بينهم بشيء من الاستنكار، بعد أن خصم المدير منه مبلغ ألف جنيه بسبب منحها خبزاً ضخماً مملوئاً بالكفتة المشوية، وتلك الحادثة أضافت إلى كاهله عبئاً ثقيلاً:

=اطلعي برا، انتي مش كل يومين ناطلنا هنا، ده انتي خدتي ساندوتش كبير، وبسببك أنا أخذت جزاء من الشغل!

ردت أم الديب بحدة، وكلماتها فُدمت من خلال سياج من الصلابة، تعبيراً عن رفضها لأي نقاش:

_تستاهلها حد قالك تصغر الشاندوتش؟

قال الطباخ بتهديد:

=اطلعي برا يا حاجة، متخلنيش أندهلك الأمن!

اقتربت أم الديب منه، وهي تتلفظ بصياح حاد، متحدية أي شعور بالخوف، وهي ترد على كل

الاعتراضات التي واجهتها بلا اكتراث، قائلة: َ

_لا ياخويا أقف معوج واتكلم عدل، أمال ايه؟ النهارده خطوبة بتي وكلامك كله هيبقى معايا آني، فاهم ولا لا؟

أعاد الطباخ حديثه بحزم، مصمماً على ضرورة خروجها من المكان، وهو يقول بصوت يحمل بين طياته إصراراً لا يتزعزع:

=انفضلي يا أم العروسة بلاش شوشرة!

اقتربت أم الديب منه ولامحها مشبعة بالاحتدام، حتى أنها بثت شعوراً بالخوف في قلبه. شعر الطباخ بوجود تهديد مهين قد يتعرض له في اللحظات القادمة. بنبرة متوحشة، قالت بوعيد لا يقبل الجدل:

أم الديب الجزء الثاني

_ بقولك ايه يا بتاع انت، لو ممليتش طبق قول على نفسك يا رحمن يا رحيم!

رد الطباخ بخور:

= خلاص، خلاص... عايزة ايه؟

أجابت أم الديب بضحيج:

_ تملاي طبق كبير على آخره، وإياك يا راجل انت تنزل أكل لليالي وأبوها دباح الحمير... الأكل مينزلش غير على ترابيزة ست هانم، وترابيزتي، وترابيزة أخواتي، وبتي نعمة... لو لمحتك بتنزل أطباق للتانيين أني هوريك الوش الثاني!

رد الطباخ بنفاد صبر، متممًا بكلمات لم يكن فيها سوى نبرة من الاحتراس:

= حاضر.

مدت أم الديب ذراعها نحو طبق المخلل الشهي، وسحبت الجزر المفضل لها، ثم تذوقته ببطء، وهي تتفنن في استمتاعها به. بعد أن أخذت قضة كاملة، نظرت إلى الطباخ بعينيها المملوءتين بالعدوانية، وقالت بحدة:

_ وأوعى تفكر إنني ست ظالمة، لا أني مش ظالمة!

تفوه الطباخ بتلعثم:

= لا طبعًا، هو حد اتكلم؟

قالت أم الديب بنبرة غليظة:

_ وعلشان أني ست طيبة، فهخليك تنزل أكل مُعتبر لليالي، وأهلها، وجوزي اللي ما يتسمى وأخوه.

رد الطباخ بخرع:

= اللي تؤمريني بيه!

فاجأت أم الديب الطباخ بردها الصادم، الذي كان يحمل في طياته إهانة واضحة لليالي، والمعلم حنفي وأسرهم. بتلفظ وقح، طلبت منه بشكل غير لائق أن يهديهم جلد الدجاج، في إشارة استهزائية، وأضافت بجرأة مهينة، كأنها تساويهم بكلاب قذرة تجوب الشوارع، قائلة:

_ هتنزلهم جلد فراخ على شوية مصارين!

يتبع....

الفصل الثالث والثلاثون

تملك الطاهي شعور بالصدمة حين سمع كلمات أم الديب القاسية، تلك المرأة التي لم يكن يتوقع منها هذا الكم من العداء. كيف لها أن تستغل رغبتها في الانتقام لتضع مهنته العريضة، التي بذل فيها سنوات طويلة من التفاني، على المحك؟ تردد صدى الخور في صدره، لكنه لم يسمح له بأن يظهر. شعر بأن هذه اللحظة تتطلب منه وقفة حازمة، فجمع كل ما يملكه من قوة، ورفض بحزم، قائلاً باعتراض:
_يا حاجة مينفعش الكلام ده احنا فندق محترم، انتي كده هتسببي في قطع أكل عيشي، وأنا عندي عيال عاوز أربيهم!

رغم الرفض القاطع الذي أبداه الطاهي، إلا أن أم الديب ظلت متمسكة بإصرارها، عازمة على تحقيق مطلبها مهما كلفها الأمر. لم يكن لديها أدنى نية للتراجع، بل على العكس، استبد بها شعور متزايد بالتحكم حيث قالت:

=لو عاوز تربي عيالك يبقى تسمع كلامي بالحرف!

رد الطاهي بخوف:

_أوامرك.

خرجت أم الديب من المطبخ بخطوات حازمة، تاركة خلفها أجواء مشحونة بالتهديد. بعد فترة وجيزة، وصل أحمد، وجميلة، وأم قمر الدين، وباسم إلى الفندق، ودخلوا ببطء إلى القاعة، حيث سرعان ما تحولت الأنظار نحوهم، فكان حضورهم ملفتاً للعيون الحائرة. كل واحد منهم بدا محافظاً بعناية على مظهره الأنيق، كما لو كانوا يعلمون أنهم محط أنظار الجميع. باسم، بصفته رجل أعمال عملاق، ألقى نظرة فاحصة على القاعة من حوله، ولكنه لم يشعر بأي إعجاب حقيقي. في ذهنه، كانت المعايير أعلى بكثير؛ فهو معتاد على حفلات فخمة لأبنائه، تصل تكلفتها إلى مئات الملايين من الدولارات، وقال:
=قاعة بسيطة جداً.

لكن أم قمر الدين، التي كانت على دراية تامة بظروف أم الديب وأسرتها، فهمت تمامًا مقدار السعادة التي يشعرون بها في هذه القاعة المتواضعة. فهي تعلم جيداً أن مثل هذا المكان يمثل لهم قفزة نوعية مقارنة بحفلاتهم السابقة، التي غالباً ما كانت تُقام في قطعة أرض ترابية بسيطة، محاطة بأجواء ريفية تعج بالحشرات الطائرة في الهواء. بهذه الخلفية في ذهنها، تفوهت:

_ده حقيقي، ولكن بالنسبة لأم الديب قاعة سيفن ستارز، أصل انت مشوفتش عملت فرح أولادها فين! أكد باسم، بنبرة جدية لا تحتل التأخير، على ضرورة العودة في وقت قصير، مشدداً على أهمية الالتزام بالجدول الزمني المحدد، قائلاً:

=بسملة احنا مش هنقعد كثير زي ما اتفقنا!

ردت أم قمر الدين بابتسامة هادئة، تعكس مزيجاً من التفهم، والهدوء، فكانت تعرف أن باسم دائماً ما يضع الأولويات بعناية فائقة:
_أكيد يا باسم.

بمجرد أن أبصرتهم أم الديب، انطلقت نحوهم بخطوات حماسية، تعبيراً عن فرحتها الغامرة برؤيتهم. كان قلبها مليئاً بالسرور، فلم تستطع أن تخفي ابتسامتها العريضة التي أضاعت وجهها. اقتربت من

أم الديب الجزء الثاني

صديقتها العزيزة أم قمر الدين، واحتضنتها بحرارة، ثم قبلتها من وجنتيها بمحبة، تعبيرًا عن سعادتها الكبيرة بلقائها في هذه المناسبة الخاصة، وقالت:

=ست هانم وصلت، ازيك يا ست بسملة عاملة ايه؟

باعدت أم قمر الدين وجهها بلطف، حريصة على حماية رونق مكياجها المتقن من فم أم الديب الذي ظهرت عليه آثار العرق المتلاصق، والذي قد يفسد إطلالتها. اكتفت بإرسال قبلة في الهواء، كإشارة دافئة للصدّاقة، دون أن تلامس الوجوه، ثم علقت بلباقة:

_ الحمدلله، انتي عاملة ايه؟

تلفظت أم الديب ببهجة، وعيناها تلمعان بالسعادة وهي تنقل نظرتها إلى باسم. كان وجوده بالنسبة لها يعني الكثير، فهي لم تخف فرحتها بحضوره، وعبرت عن ذلك بحرارة في صوتها:

=نحمد ونشكر ربنا، ازيك يا باسم بيه؟

أجاب باسم بتواضع:

_ الحمدلله.

مد أحمد يده برفق إلى والدته، معبرًا عن مشاعره بطريقة دافئة. ثم قال بابتسامة عريضة:

=عامله ايه يا ماما؟

ردت أم الديب بسرور، وقد ظهرت السعادة في تعبيرات وجهها:

_ يا أهلاً وسهلاً.

وواصلت حديثها إلى جميلة بفرح عارم، ويدها ممدودة نحوها بكل حماسة، كأنها تسعى لاحتضانها دون أن تلامسها جميلة:

_ ازيك يا جميلة؟

لامست جميلة أصابع أم الديب من بعيد بشيء من الاشمئزاز، وقد بدت على وجهها ملامح التبرم. نطقت بنبرة مغرورة، تبرر بها تباعدها عن الملامسة المباشرة، وكأنها تسعى للتعبير عن تباين كبير بين ما تشعر به، وبين حماس أم الديب:

=الحمدلله يا طنط.

عانقت أم الديب سيليا بقوة، معبرة عن مدى سعادتها برؤيتها، قائلة كلمات مليئة بالود:

_ ازيكوا يا عيال عاملين ايه؟

تفوهت سيليا برقة:

=هاي نانا بسملة.

قبلت أم الديب سيليا على وجنتها الوردية، ولكن قبلتها تركت آثارًا من المياه على وجه الصغيرة، مما جعلها تشعر بشيء من الاشمئزاز. ثم قالت بفخر:

_ زي السكر ياختي.. اسم الله عليك، ربنا يحفظك.

بعدما انتهى تبادل السلام بين الجميع، نظرت أم الديب خلفها لتكتشف كمًا هائلًا من الهدايا المترامية. لم تستطع أن تخفي دهشتها، فتوجهت نحوها بسرعة، وتلفظت بذهول:

=كل دهني حاجات؟ يا خرابي، دهني بتاعتنا احنا؟

اتجهت أم قمر الدين خلفها، تتصاعد خطوات كعبها اللامع بشكل رنان على أرضية السيراميك اللامعة، حتى وصلت إلى أم الديب. ثم قالت بحنان، محاولة أن تبعث الطمأنينة في قلبها:

_ أه طبعًا يا أم الديب، الهدايا دي متقسمة لتلات أجزاء للعروسة، وجزء للعريس، وجزء لمامة العروسة.

أم الديب الجزء الثاني

لم تتمالك أم الديب فرحتها العارمة التي أثارها كلمات أم قمر الدين، فاندفعت نحوها بسرعة، واحتضنتها بحرارة. كان عناقها تعبيرًا صادقًا عن مدى سعادتها، وقالت بامتنان عميق:
=انشالله يخليكي، ويسترك دنيا وآخره، ويطعمك ما يحرمك، ويرزقك، ويديكي كل حاجة حلوة.
تحدثت أم قمر الدين بانقياد، متبينة نبرة لطيفة:

_ميرسي يا أم الديب.
دخل أحمد، وجميلة إلى القاعة ليقدموا التحية لجلال، وزوجته، وجميع الحضور، وعندما لاحظ جلال وصول أخيه، وقف على الفور، وخطى بخطوات سريعة نحو أحمد. اقترب منه وهو يرتدي ابتسامة واسعة على شفتيه، تعكس مشاعر الحفاوة برؤية أخيه، وبدأ يتلفظ بكلمات الترحيب بحماس:
=يا أهلاً وسهلاً، وأنا أقول القاعة منورة ليه؟
عانق أحمد جلال بإعزاز، حيث كان العناق ودي، ساعياً للتأكد من أحواله، والتعبير عن مدى تقديره له بقوله:

_ عامل ايه يا جلال؟

نهضت ليالي لتصافح جميلة، وابتسامة خبيثة ترتمس على وجهها، وكأنها تحمل في طياتها نية غير معلنة. ثم نطقت بهتكم، تضيف لمسة من الغموض إلى اللقاء:
=منورة الدنيا يا جميلة ياختي.
قبلت جميلة ليالي قبلتين في الهواء، تعبيرًا عن تحية دافئة وبعيدة عن الملامسة المباشرة. ثم نفوحت برقة:

_ميرسي منورة بيكي.

أجابت ليالي ببشاشة وجه، حيث كانت ابتسامتها تعكس انفتاحها:

=الله يخليكي... ازيك يا سيليا؟

تلفظت سيليا بحبور:

_الحمدلله يا طنط.

قالت ليالي بإعجاب، وهي تنظر إلى سيليا، التي بدت بالفعل جميلة ببراءتها الطفولية كان في صوتها تأكيد على جمال الطفلة، وإشادتها بجاذبيتها المحتملة:

=ما شاء الله عليها تتحسد من حلاوتها.

ردت جميلة بضحك خفيف، حيث عبرت ضحكتها عن امتنانها للتعليق الإيجابي، مما أضفى جواً من الألفة:

_ميرسي ده من زوقك.

سأل جلال بتفكير عميق، وعلامات التأمل على وجهه:

=جايين من بدري ولا ايه؟

أجاب أحمد بوضوح، حيث كانت كلماته مباشرة:

_لا لسه جايين، ومعايا طنط بسملة، وعمي باسم.

قال جلال بدهشة:

=الإثنين مرة واحدة؟

تمنى أحمد من أعماق قلبه أن يسير اليوم على نحو إيجابي، خالٍ من الفضائح أو المشكلات التي قد تعكر صفو المناسبة. لذا، رد بعبارات متأنية، تجسد حرصه على الحفاظ على جو من الانسجام طوال الوقت:

أم الديب الجزء الثاني

_ عمي أول مرة يحضر لنا مناسبة، عايزكم تشر فوني!
كان جلال يثق كل الثقة أن هذه المرة سيكون كل شيء على أكمل وجه، وأن الجميع سيغادرون في نهاية اليوم وهم يشعرون بالرضا. فقال بطمأنينة، معبرًا عن يقينه الكامل:
= لا ياض متقلش احنا نشرف أي حد!
تلفظت ليالي بفضول:
_ أمال حماتي راحت فين؟

أجابت جميلة بلا اكتر اثن بشأن أم الديب، وقد فسرت نبرتها عدم اهتمام واضحًا:
= طنط بسمة قابلتنا برا، أكيد لسه واقفة مع مامي، وبابي.
ضحكت ليالي، وقد بدت عليها علامات التعجب من استمرار تمسك جميلة بطريقة معيشتها القديمة في منزل والديها. فقالت بتعجب، معبرة عن استغرابها من هذا التمسك بالماضي الذي يبدو أنها لم تتجاوز تفاصيله بعد:

_ هو انتي لسة بتقولي بابي ومامي؟ انتي كبرتني على الكلام ده أوي.
ردت جميلة باستغراب، والدهشة على وجهها، كأنها لم تكن تتوقع هذا النوع من التعليق:
= ايه علاقة السن باللي بتقوله ده؟
تلفظت ليالي باستهزاء في وجدانها، لكن ذلك ظهر كأنه مجرد مزاح في المظاهر، حيث كانت نبرتها، وموقفها يخلقان انطباعًا بأنها تقصد شيئًا غير جاد:
_ بحس العيال الصغيرة هي اللي بتعمل كده.

لم تتقبل جميلة هزل ليالي، إذ وجدته غير لائق بالنسبة لها، حيث كان في نظرها بعيدًا عن مستوى حياتها الاجتماعي، والمادي، والثقافي، ورغم محاولات ليالي للتقرب منها، لم تكن قادرة على تجاوز الحواجز التي فصلت بين طبقاتهم الاجتماعية. وبكل تعجرف، تفوهت جميلة قائلة:
= عيال صغيرة؟

جاءت نعمة مع حامد، وابنها محمد لتقديم التحية، فبادرت بعناق أحمد بحفاوة، وقد بدا على وجهها سرور لا يخفى، يعكس سعادتها بلقائه، وهي تتحدث:
_ ازيك يا أحمد ياخويا؟
أجاب أحمد بغبطة تملأ الكون سعادة:
= الحمد لله يا نعمة، انتي عاملة ايه؟
ردت نعمة بسرور، بينما كانت تعدل حقيبتها على كتفها، مظهرة بذلك ارتياحها:
_ الحمد لله.

عانق أحمد زوج أخته بكل حب، مبررًا العلاقة الأسرية الوطيدة التي تجمع بينهما. كان عناقه مليئًا بالعاطفة، وسأله بإحسان:
= ازيك يا حامد؟
تحدث حامد بسكينة:

_ كله تمام انت عامل ايه؟
اقتربت نعمة من جميلة، وعانقتها برفق، ثم قالت بشوق، معبرة عن مدى اشتياقها للقاءها، وحنينها للعلاقة بينهما:

أم الديب الجزء الثاني

=وحشاني يا جميلة، كده محدش ببشوفك إلا كل فين وفين؟
ردت جميلة بلا اكتر، وعلامات اللا مبالاة على وجهها:
_ هعمل ايه طيب؟ من ساعة ما خلفت أسيل وأنا المسئولية زادت عليا أكثر من الأول، ده أنا حتى لحد دلوقتي مش عارفة أوفق ما بين الشغل والبيت!
ودت نعمة أن توجه إلى جميلة بعض النصائح التي قد تكون مفيدة لها في التعامل مع فتياتها، مستفيدة من خبرتها السابقة مع طفلها محمد. فقالت:
=نصيحة مني سيبك من الشغل وخليكي مع عيالك، هما أولى بيكي من أي شغل ومحتاجين اللي يراعيهم!

لم تحب ليالي أن ترى نجاح جميلة يتلألأ، بل أرادت تهيبطها بنصائح خاطئة، وغير واقعية، تدرك جيداً أنها لن تنجح في تحقيقها أو العمل بها يوماً ما، رغم أن جميلة كانت أكثر حاجة للعمل الفعّال. فنفوهت بمكر، معبرة عن نيتها في تقويض ثقته بنفسها:
_ نعمة عندها حق، شغل ايه وكلام فاضي ايه في الزمن ده؟ الواحدة ملهاش إلا بيت جوزها وتربية عيالها.

لن تتمكن جميلة، التي تجسد ملامح التحضر، من الاستسلام أو التبعية للأحاديث المتخلفة التي يسوقها أولئك الريفيون القدماء، الذين يعتنقون وجهات نظر تقليدية ضيقة تشدد على قصر دور المرأة على دور الزوجة فقط، مُعتبرين إياها مجرد خادمة تحت أقدام زوجها. فهي، بحكم نشأتها وحياتها الرفيعة في المدينة بين الأثرياء، حيث تنصدر عائلتها قائمة الأغنياء، والنخبة الاجتماعية، تجد أن هذه التصورات تتناقض تمامًا مع واقع حياتها المترف، والمبني على المساواة، وفي هذا السياق، صرحت بوضوح قائلة:
= لا طبعًا، الكلام ده كان زمان أوي لكن دلوقتي مينفعش، الحياة اتطورتانتوا بس اللي مش عايشين في الدنيا!

قالت ليالي، وقد ارتسم على وجهها التذمر بحدة:
_ يعني ايه مش عايشين في الدنيا؟ أمال اللي قاعد معاكي دلوقتي وبيكلمك خيالنا؟
اقتربت أم قمر الدين، رافقها باسم، وأم الديب، نحو طاولة جلال، وزوجته، وبقية الحضور، وقد كانت أم قمر الدين تحمل على وجهها تعبيرًا من السرور، وتحدثت بحماس:
=هاي يا حبيبتى، عاملة ايه؟
أجابت ليالي بنبرة ملأنة بالضعينة، حيث كان كلما رأتهم تتفاقم نيران مشاعرها السلبية، وتتصاعد في داخلها كالنيران التي لا تهدأ، مشبعة حديثها بقدر كبير من الكراهية:
_ الحمد لله كله تمام.

عانقت نعمة أم قمر الدين بدهشة، غير قادرة على تصديق أن أم قمر الدين نفسها قد حضرت بينهم. ومع ذلك، كانت نيتها صافية، حيث قالت بتقدير:
=أنا مش مصدقة نفسي بقى جيتي لحد عندنا؟
ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ طبعًا ده أم الديب ليها خير عليا، أنا بردلها جزء بسيط منه، دي غلاوتها كبيرة!
تحدثت أم الديب بدفاء صادق، حيث كانت مشاعرها تتجلى بوضوح في بريق عينيها المتلألئين:
=والنبي ده انتي اللي غلاوتك كبيرة قد كدهو، ربنا يخليكي لينا يا ست بسملة، ويسترك.

أم الديب الجزء الثاني

قالت أم قمر الدين بحبور:

_ميرسي يا أم الديب.

بمجرد وصول باسم، قام أحمد بنقله إلى طاولة أخرى كانت مخصصة له، والتي تُعد واحدة من أفخم الطاولات المتاحة، بينما توجهت أم قمر الدين مع جميلة، والفتيات إلى ناحية أخرى، حيث جلسوا بعيدًا عن جلال وزوجته، وعندما لاحظت ليالي هذا التباعد، لم تستطع إخفاء مشاعرهما المكبوتة، فقالت لزوجها بنبرة مفعمة بالكراهية:

=محسنتش بحاجة يا جلال من الحركة اللي لسه عاملينها فينا؟

رد جلال بفضول:

_حركة ايه يا ليالي؟

نطقت ليالي بكلمات محاكاة بالاغتيال، حيث كان الغضب يتطاير من كل حرف تفوهت به:

=مش عاجبهم القاعدة معانا، وهما يعجبوا مين؟ دول ناس نفخ على الفاضي، وأمك من ساعة ما جُم

وهي نازلة شعر فيهم كأن مفيش لا قبلهم ولا بعدهم!

قالت نعمة بتفهم، حيث تجلى في ملامح وجهها تعاطف صادق مع الوضع، مما جعل كلماتها تحمل عبق الحكمة، والرؤية المتبصرة:

_لا هما ميقصدوش كده! هما ليهم حياتهم وكل واحد بيعمل اللي يريحه ده غير أنهم ميعرفوناش كويس.

تفوهت ليالي بغلٍ، حيث كان كل حرف ينطق به يعكس ما في باطنها من كراهية عارمة:

=ولا هما يعجبونا.

أشار جلال بيده في الهواء بتجاهل تام، كأنه ينفي أهمية الموضوع برمته، ثم نطق بكلمات تفوح

باللامبالاة، معبرًا عن عدم اكترائه بأي من التفاصيل التي تمت مناقشتها:

_يا بت كبري دماغك بقى!

ضمت ليالي ذراعيها إلى بعضهما وكأنها تحاول حماية نفسها من الإحباط، ثم قالت بضيق شديد:

=أهو يا جلال كبرتتها!

وعلى نحو آخر، عبّر باسم عن إعجابه بالقاعة، رغم أن مشاعره الحقيقية لم تكن تعكس هذا الإعجاب،

لكنه كان يسعى لتجنب الإحراج، وجبر الخواطر، فحرص على تقديم كلمات ملؤها المديح. قال بابتسامة

دبلوماسية:

_ما شاء الله قاعة هاييلة.

تعجب أحمد من مدى إعجاب حماه بالقاعة، وكأنما قدم له كأس النصر بدلًا من مجرد إبداء رأيه. فقد

برزت السعادة على محياه، في حين أنه كان يتحدث بحماس ظاهر قائلاً:

=عجبتك بجد يا عمي؟

أجاب باسم بتبتل، حيث كانت نبرته ولامحه تتسم بالوقار، كأنما يسعى لإظهار عمق تقديره له:

_طبعًا، بس أنا مبسوط منك أنك اتوليت أمور خطوبة أختك.

أظهر أحمد حبه العميق لأخته، الذي كان يسكن أعماقه ويشكل جزءًا أساسيًا من كيانه، إلى العلن أمام

الجميع. وصف تعلقه بها بكل صدق، دون أدنى خجل، وقال:

=أنا أقرب حد ليا في أخواتي هي هايدي، مبحبش أستخسر فيها حاجة، ونفسي أفرحها وأشوفها

مبسوطة.

أم الديب الجزء الثاني

تلفظ باسم باحترام شديد، حيث كانت كلماته مصاغَةً بنبرة تفيض بالود:
_ كويس جدًا أنك بتحاول تسعد أختك، الأخوات سند لبعض، محدش فيهم يقدر يستغنى عن الثاني.
قال أحمد بغبطة:

=طبعًا، بس هايدي أختي طيبة، وربنا بيحبها.
تحدثت أم قمر الدين بإعجاب، حيث كانت كلماتها تتدفق بصدق، مستعرضةً جمال هايدي اللافت. تجلى في حديثها تقديرٌ حقيقي لرواء هايدي، مما جعل إشاراتنا تفيض بالأناقة:
_ هايدي عسولة موت، أنا مشوفتش عريسها بس حاسة أنه هيطلع لذيد أوي!
أظهر أحمد بوضوح تقديره لخطيب أخته، مشيدًا بصفاته الحسنة، والأخلاق الرفيعة التي يتمتع بها. كان أحمد يسلط الضوء على مزاياه الفريدة أمام الجميع، مبررًا كل جانب إيجابي فيه، وذلك على النقيض تمامًا من والدته التي لم تخف كراهيتها له. فقد عبّرت والدته عن استياءها، وسردت مساوئ الخطيب من وجهة نظرها. فقال:

=لا زياد بصراحة محترم وأنا مبسوط بخطوبته من هايدي، الوحيدة فينا اللي مش مبسوطه هي ماما.
ردت أم قمر الدين بتعجب:
_ ليه رافضة مادام الولد كويس؟
شرح أحمد السبب الحقيقي وراء الرفض، مستعرضًا التفاصيل بشفافية، بحيث كانت كلماته تتسم بالدقة، والموضوعية، فقال:

=لأنه مش على مزاجها، الوحيد اللي فلتوا منها هو أنا ونعمة... هو الموضوع يعني بالنسبة لماما بالحظ كده يا توافق يا ترفض، هي ومزاجها بقى!
أوضحت أم قمر الدين بأسلوب راقٍ طريقة تفكيرها المميزة التي تعكس بُعد نظرها وفهمها العميق للأمور، مشيرةً إلى أن هذه الصفات تفتقر إليها عقلية أم الديب التي تصفها بأنها ضيقة الأفق، ومحدودة التفكير، ومعبرةً عن تباين كبير بين مستوى تفكيرها، وتفكير أم الديب، وقالت:
_ المفروض الأم تسبب أولادها يختاروا بأريحيه لأنهم هما اللي هيعيشوا مش هي، الجواز بيكون صعب جدًا لو مفيهوش أي قبول من الطرفين.
تحدثت جميلة باقتناع، حيث تجلت في كلماتها ثقة الرأي. كانت نبرتها تعكس الإيمان التام بما تقوله، مما جعل حديثها يبدو مقتنعًا، ومعبرًا عن قناعاتها الراسخة:
=عندك حق يا مامي.

عند أم الديب بالخارج، دخلت القاعة حاملةً طبقًا ملاً بالساندويتشات الشهية التي تزينت بألوان جذابة، بينما كان زياد، وهايدي قد وصلا إلى القاعة، يتبعهما بعد ذلك فرقة الطبل التي أضفت أجواء من البهجة. كان الناس يتدفقون نحو الخارج لاستقبالهم، بما في ذلك أفراد العائلة الذين حرصوا على تقديم الترحيب الحار، وحينما وصل المعلم حنفي مع أخيه، برزت على وجهه ملامح الفخر، فألقى نظرة مشبعة بالحنان على ابنته، قائلاً بفرح:
_ ألف ألف مبروك يا هايدي.

عانقت هايدي والدها بحرارة، حيث كان شعور الفرح يملأ كل حركة في عناقها، وردت بسرور، مما جعل كلماتها تنبض بالحب:
=الله يبارك فيك يا بابا.

أم الديب الجزء الثاني

صافح حسين العروسين بحنان، معبرًا عن أصدق تمنياته، وأرقى مشاعره. بينما كان يده تلتقي بيديهما في مصافحة دافئة، قال لهما بكلمات تحمل بين طياتها التقدير:

_مبروك يا عريس، مبروك يا عروسة.

أجاب زياد، وهايدي بفرحة غامرة تملأ قلوبهم، مشعّة على وجوههم ابتسامات عريضة تعبر عن سعادتهم الغامرة:

=الله يبارك فيك.

على الرغم من ارتفاع الأصوات المختلطة بين صخب المزمّار، وضربات الطبل الصاخبة، وزغاريد النساء التي تملأ الأجواء بحماس متأجج، كانت أم الديب تواصل التهام الطعام بشهية جارفة لا تعرف الهدوء. لم يكن شيء من هذا الصخب قادرًا على انتزاعها من تلك اللحظة التي استسلمت فيها تمامًا لمذاقتها، حتى ألهمها إحساس مباغت أن العروسين قد وصلا إلى القاعة، لتنتشلها المفاجأة من انغماسها العميق في الطعام، وتجعلها تهمس لنفسها بصدمة تشوبها دهشة غير متوقعة:

_يا حلاوة، ده العيال وصلوا!

ثم خرجت على عجل من المكان، متجهة نحو العروسين بخطوات واثقة، لتسلم عليهما بيدين مرتعشتين من فرط الحماس، وعندما التقت بابنتها، لم تتمالك نفسها من الاحتضان بشدة، وكأنها تحاول التعبير عن كل مشاعرها المكبوتة في تلك اللحظة. إلا أن كلماتها التي خرجت من فمها كانت مشوبة بفضاظة غير معتادة، قائلة:

=مبروك يا بت، كبرتي وبقيتي عروسة!

وسط دوامة الأحضان الحارة التي تبادلتها الأم، وابنتها، بدأت هايدي تشعر بشيء غامض ينبعث من أم الديب، وكأنها تخفي خلف تلك العاطفة الجياشة نية مبيتة لإحداث شيء غير متوقع، ربما مصيبة كبرى قد تقلب الأجواء السعيدة رأسًا على عقب. كان هذا الشعور الغامض يعكر صفو اللحظة، مما دفع هايدي إلى أن تنظر إلى أم الديب بنظرة مليئة بالرغبة، قائلة لها بلهجة متوجسة:

_الله يبارك فيكي، أوعي تكوني مجهزنا مصيبة جديدة!

ردت أم الديب بصوت هادئ يفيض حنانًا غير معهود، وكأنها فجأة قد كشفت عن جانب دافئ من شخصيتها لم يظهر من قبل، فاجأت به الجميع، حيث لم يتوقع أحد أن تكون كلماتها مغلفة بهذا القدر من العطف:

=وآني أقدر أزعل بنتي في شبكتها؟

قالت هايدي بخوف:

_ربنا يستر!

لم تقترب أم الديب من زياد لتصافحه كما هو متوقع في مثل هذه المناسبة، بل وقفت على مسافة وكأنها ترسم حاجزًا غير مرئي بينها وبينه. ثم نطقت بكلمات باردة، وتعيسة:

=مبروك يا عريس.

رد زياد بابتسامة خافتة:

_الله يبارك فيكي.

وأخيرًا، دخلوا القاعة التي امتلأت بالأجواء الاحتفالية المبهجة، حيث نهض الحاضرون من مقاعدهم لتحتيهم بكل حفاوة، وكان المشهد بأسره تحول إلى لوحة تصويرية تنبض بالسعادة. الأقارب تدافعوا لتقديم التهاني والتبريكات للعروسين، وكلمات الفرحة تتردد في الأرجاء كألحان موسيقية تلامس القلوب.

أم الديب الجزء الثاني

جلس الجميع في أماكنهم، والأجواء تفيض بالبهجة، حتى انقضت عشر دقائق، وظهرت شخصيتان طال انتظارهما؛ ضايح والراقصة. كان ضايح يتقدم وسط القاعة بخطى واثقة وكأنه يتخيل نفسه شخصية سياسية رفيعة، وزيراً أو رئيس جمهورية، يمشي في المنتصف رافعاً يديه بإيماءات السلام، مُشعراً الجميع بأهمية وجوده، وعندما وصل إلى المسرح، نطق بصوته الوضيع، محاولاً أن يجذب الانتباه بكلماته، التي حملت نبرة من الادعاء:
=السلامو عليكمو يا جدعان!

عانق ضايح أخته الكبرى بحرارة، وكان هذا العناق كان فرصة نادرة له للتعبير عن مشاعر خفية لم تسنح له الفرصة للكشف عنها من قبل، وبينما كان يحتضنها، نطق بكلمات محملة بإحسان غير متوقع:
_ازيك يا بسمة ياختي؟

ردت أم الديب بسرور، يكاد يتسرب من نبرات صوتها:

=ازيك ياخويا يا غالي يا حبيب أختك؟

وفي تلك اللحظة، تأكدت هايدي أن خطبتها قد باءت بالفشل قبل أن تبدأ حتى، مع ظهور خالها ضايح الذي كان بمثابة علامة واضحة على انهيار كل آمالها. كانت تنظر إلى الأوضاع بعيون مملوءة بالذعر، وكأنها تنتبأ بما سيأتي، وتدرك تمامًا عواقب هذا الظهور غير المتوقع، وبينما كانت تستشعر التشويش في قلبها، اقترب ضايح وهو يغمر وجهه بدموع حارة، وقال بنبرة متأثرة، تشرح ألمه الدفين:
_الله يرحمك ياما، كان زمانك وسطنا دلوقت.

تلفظت أم الديب بكلمات مشوبة بانتحاب، وكان كل حرف كان ينساب من أعماق قلبها المثلث بالهموم:
=الله يرحمها دي كانت طيبة.

رد ضايح بتأثر:

_أوي.

وأردف ضايح لكليهما، هايدي وزيد، بكلمات متقطعة:

_مبروك يا عروسة، مبروك يا عريس.

وتابع، وهو يتحدث في الميكروفون بصوت عالٍ يملأ المكان برمته، وكان صوته كان يرتفع ليواجه القاعة بأسرها:

_النهارده خطوبة بت أختي الغالية، بعد ما رفضت نص عرسان مصر... البت كان جايلها عقدة بس العقدة النهارده اتفكت... عقبال الليلة الكبيرة، ونخربهاكم ضرب نار.

ثم استخرج ضايح المسدس من جيبه، وأطلق النار في السقف، مما تسبب في سقوط النجفة وتحطيمها إلى أجزاء متطايرة. كان دوي الطلقات، وصوت تحطم الزجاج يرددان المكان، مما أثار فرعاً شديداً بين الحضور الذين تجمدوا في أماكنهم، بينما ارتفعت صرخات أم الديب، وهايدي في الوقت نفسه، ملأهما الرعب من التصرف الخطير، وبابتسامة ماهرة تشي بخبثه، نظر ضايح إلى الجميع وكأنه يتلذذ بوقع الفوضى الذي خلفه، وقال:

=متخافيش يا بسمة ياختي، دي حاجة على الخفيف كده، لسه التقييل جاي!

قالت هايدي بخور:

_أبوس ايديك متبوظش الخطوبة!

أم الديب الجزء الثاني

ارتعبت أم الديب، وبسطت يديها فوق قلبها الذي كاد أن يتوقف عن الخفقان، وكأنها تحاول الإمساك به ليبقى في مكانه. كان وجهها شاحبًا، وملامحها ترتعش، بينما تفوهت بكلمات ارتجفت من شدة الخوف: =كده يا ضايح خضتني؟ ده أني كنت هعملها على نفسي.

جاء المعلم حنفي، وجلال، وحسين باتجاه ضايح، الذي كان قد تسبب في ارتياح المعازيم، وحالة الفوضى العامة. تقدم المعلم حنفي، الذي بدا عليه علامات الاستفهام، حيث لم يكن قد وجه دعوة لأي شخص، ناهيك عن ضايح. نظر إلى ضايح بفضول، وكأن ظهور الأخير في مثل هذا الوقت والموقف قد فاجأه بشدة، وقال:

_ انت ايه اللي جابك؟

استخرج ضايح المسدس مرة ثانية، ووجهه مباشرة نحو المعلم حنفي، الذي بدا متجمدًا في مكانه. كان ضايح يديه ترتعش قليلاً من شدة العصبية، بينما كانت نبرته تعكس تهديدًا واضحًا، وقال، بعصبية متصاعدة:

=يعني ايه يا حنفي؟ مش خطوبة بت أختي؟ ولا بلاش أحضر شبكتها علشان سواد عيونك؟ ماهو لو مش عاوزني أحضر عرفني!

رد المعلم حنفي بفرع:

_ لا وأني اتكلمت؟ احضر براحتك، ده انت خال العروسة.

عانق جلال خاله بحب، تقديرًا لكل ما فعله من أجل تعليمه، وتوجيهه في مجال سياسات السرسجية، وأسرار أصحاب المطاوي الجلفة. كان خاله قد لعب دورًا مهمًا في تعليمه كيفية الدفاع عن النفس بطرق متقدمة، وفعالة، مما أكسبه مهارات حيوية كان يعتمد عليها في حياته، وقال جلال، وهو يعبر عن امتنانه الكبير:

=ازيك يا خالي؟ ليك واحشة!

بادلته عناقًا دافئًا، متجاوزًا الحدود المألوفة بين البشر، ثم نطق بكلماتٍ تتدفق من أعماق قلبه:

_ وانت كمان يابن أختي يا غالي.

قال جلال بترقب:

=ده عمي حسين أبو العريس.

رد حسين بوجهٍ مغمم بالعبوس، حيث تجسدت على ملامحه تجاعيد القلق، وكان عواطفه المشتتة قد احتلت كل جزء من وجهه:

_ يا أهلاً.

ضحك ضايح بمرارة، وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة تعكس تهكمه:

=يا مرحب ببيك يا حسونة.

وتابع بتلك النبرة الساخرة التي تحمل قدرًا من الاستهانة، مخاطبًا الراقصة بدناءة، كأنما كان يرقب كل حركة، وكل تعبير منها يتمعن مملوء بنبرة الازدراء:

=خُشي يا بت ولعي القاعة رقص، عارفة لو مرقصتيش بضمير، أنا هطير رقبتك!

أجاب الراقصة بروح من الاستعداد، حيث تجلى في نظرتها وابتسامتها تعبيرٌ عن جاهزيتها التامة، وكأنها كانت تترقب هذه اللحظة بلهفة، متأهبة لتلبية أي طلب:

_ متخافش، ده أنا هوريك اللي عمرك ما شوفته!

حرك ضايح طرف المسدس الفتاك على مستوى صدره، في حركة توحى بتأكيده لسلطته، وقوة تأثيره، ثم نطق بكلمات تتسم بالخسة:

أم الديب الجزء الثاني

=وَأنا أحب أشوف.

تشبث جلال بذراعه في ذراع خاله، في حركة ودية، ثم بدأ يتحدث إليه بمزاح لطيف:

_حُش يا خالي، انت هتفضل واقف ولا ايه؟

كانت جميع السيناريوهات السيئة تدور في رأس هايدي بلا انقطاع، وكأنها دوامة لا تهدأ، مما جعلها في حالة من القلق المستمر. لم تكن لديها أي لحظة من الهدوء؛ كانت خائفة بكل المقاييس، حتى أن دماء الذعر كانت تجري في شرايينها وكأنها تيار متسارع من القلق، وأمام هذه المشاعر المشتعلة، قالت لزياد بتردد، وكلماتها تتلعثم في فمها كمن يطأطئ رأسه أمام عاصفة لا تنتهي:

=أنا خايفة أوي، خالي ضايع ده مش سهل، وممكن يبوظ الخطوبة!

بث زياد الطمأنينة في روحها من خلال ابتسامة هادئة، تتم عن ثقة راسخة:

_يعمل مهما يعمل، مفيش حاجة هتغيرني من ناحيتك يا هايدي!

ردت هايدي بانسراح، وقد أضاعت ملامحها بابتسامة تفيض بالراحة، وكأن عبء القلق قد انزاح عن كاهلها فجأة:

=ربنا يستر بقي.

جاءت نعمة، وليالي، متألفتين بأبهى حلة، ليسلمن على العروسين ببهاء منقطع النظير. عانقت نعمة أختها أولاً، في لحظة عاطفية تجمع بين دفء المحبة، وصلة الدم. ثم، بروح عطوفة، استخرجت مائة جنيه من حقيبتها بعناية، وقدمتها لأختها، قائلةً لها كلمات تُعبر عن جودها:

_ألف مبروك يا هايدي.

تحدثت هايدي بسكينة:

=الله يبارك فيكي، عقبال ما تجوزي محمد.

سلمت نعمة أختها هدية الخطبة البسيطة، التي كانت تلمع بلمسات الود، ثم ردت بكلمات تحمل بين طياتها التمنيات الطيبة لهذه المناسبة السعيدة:

_يارب.

عانقت ليالي هايدي بحنان، وسلمت إليها في يديها مائتي جنيه، بينما أشرق وجهها بالسعادة البالغة، وقالت بعبارات تفيض بالسرور:

=ألف مبروك يا هايدي، عقبال الليلة الكبيرة.

ردت هايدي بفرح:

_الله يبارك فيكي.

قالت نعمة للعريس بغبطة عارمة:

=مبروك يا عريس .

تحدثت ليالي بابتسامة:

_ألف مبروك.

رد زياد، وقد علت ملامح وجهه مسحة من الفرح:

=الله يبارك فيكم، شكرًا.

أم الديب الجزء الثاني

جاءت جميلة، يرافقتها أحمد، وأم قمر الدين، ليعبروا عن تحياتهم ببالغ الألفة، وقد عانقت جميلة هايدي، التي كان الفرح يتلألأ في عينيها، بعدما سقطت هايدي في مصيدة الحب دون أن تدرك. وفي ختام تلك اللحظة المؤثرة، نطقت قائلة:

_مبروك يا حبيبتي.

أجابت هايدي، وقد امتلأت ملامحها بالحبور:

=الله يبارك فيكي يا جميلة.

احتضن أحمد أخته برفق، وقبل جبينها بعاطفة صادقة، وهو ينطق بكلمات تحمل الإخوة العميقة، قائلاً:

_مبروك يا هايدي، أخيراً كبرت، وبقيتي عروسة؟

ردت هايدي، وقد برز على وجهها ملامح السعادة النقية، متمنية من أعماق قلبها أن تشهد في المستقبل

البعيد بنات أخيها وهن يتوجن بفستان العروس، لتكتمل بذلك صورة الفرح، والتجدد في عائلتهم:

=الله يبارك فيك، شوفت بقى؟ عقبال سيليا وأسيل تشوفهم أحلى عرايس.

قال أحمد بانسراح، وقد تناثرت على شفثيه ابتسامة عريضة تظهر سعادته:

_ان شاء الله.

وأردف لزياد، وهو يحتضنه بقوة إلى صدره، وكأنها لمسة من عناق رجالي صادق، يضاف إليه ضربات الكفين التي تنم عن الحفاوة، بينما تتلألأ الابتسامات من أعين الجميع، معلنة عن فرحة جماعية

تجسد أواصر التآخي:

_مبروك يا زياد يا حبيبي.

رد زياد بجذل في كلماته:

=الله يبارك فيك.

قالت أم قمر الدين بتهنئة، متجسدة في نبراتها مشاعر الأمومة، معلنة عن تمنياتها الحارة، ومشاركتها

الصادقة في فرحة العائلة:

_ما شاء الله العريس والعروسة زي القمر بجد، مليون مبروك عقبال ما توصلي بيتك بمليون سلامة.

ردت هايدي بفرح:

=شكرًا يا طنط ربنا يخليكي.

ضحك أحمد، وهو يوضح لها الواقع الذي قد يكون خفيًا عليها، محذرًا من أن هداياهم قد تُسرق دون أن يُفصح لها أحد بالحقيقة، وأضاف بتأكيد صريح:

_خدي بالك، طنط بسملة جايبة هدايا كثير، شوية ليكي، وشوية لزياد، وشوية لماما، أنا قولت أعرفك ألا

أنا حافظها، وعارف هتعمل ايه كويس أوي!

ضحكت هايدي، وهي تنظر إلى أم قمر الدين بامتنان، وكأنها تنعم عليهم بخيراتها التي تتساقط كأنها

مطر من السماء. كانت أم قمر الدين تجسد معنى السخاء، كتمثال يحتذى به في العطاء بلا حدود. ثم

نطقت هايدي قائلة:

=شكرًا يا طنط، تعبتي نفسك ليه بس؟

أجابت أم قمر الدين بابتسامة خافتة:

_دي حاجة بسيطة أوي يا حبيبتي.

قالت هايدي بسعادة:

أم الديب الجزء الثاني

=شكرًا، بجد مش عارفة أقول لحضرتك ايه!
على طاولة المعلم حنفي، وحسين، وبعد أن عادوا، وجلسوا بملاح مرهقة، قال حسين بشك واضح:
_شكل خال عيالك بلطجي، وبتاع مشاكل!
رد المعلم حنفي بسخرية:
=شكل؟ شكل ايه يا حسين؟ ده هو أساس البلطجة كلها، ده مسابش حاجة حرام إلا لما عملها... ده الناس
بتصحى الصبح تقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، وده بيصحى يعد عنده كام مصلحة فيها سرقة،
وقتل. ده الحكومة بتخاف منه ومش قادرين يعملوله حاجة!
سأل حسين باستفهام:
_وايه اللي جابه بس لما هو كده؟
أجاب المعلم حنفي بكرهية:
=هيكون ايه اللي جابه يعني؟ هي الولية أم مخ تخين هي اللي جابته وعزمته في التلافون.
دائمًا ما يرى حسين أخاه كائنًا ذا شخصية ضعيفة، يتقبل الإهانة بلا مبالاة وكأنها عادية، حتى أن ردود
أفعاله تبدو وكأنها تعكس قياسًا كبيرًا من الذعر أكثر من كونه إنسانًا قادرًا على الاعتراض. لذلك،
أوصاه ببعض النصائح الهامة، ممدًا إياه بالإرشادات اللازمة التي يجب اتباعها عند العيش مع امرأة
بهذا القدر من التسلط، قائلًا:
_لازم يا حنفي يكون عندك شخصية عن كده، أنا شايف إن لا مؤاخذة يعني مراتك هي اللي ممشية
البيت كله.
قال المعلم حنفي بخوف:
=يا حسين الموضوع مش شخصية، وكلام من ده. الولية دي لتاتة، وكلامها كثير، ولسانها طول كده.
هتكلم كلمة هتردهالي عشرة، ومش هنخلص في ليلتنا.
إن كثرة الحديث لن تعيد الماضي، ولن تغيّره بل على العكس، ستزيد من قوة الحسرة، وكان رياح
الاستياء هبت فجأة نحو حسين لتكشف له عن معاناة أخيه في علاقة فاسدة، وقد قال بتأثر:
_صعبان عليا يا حنفي، أهي جوازة واتدبست فيها، ربنا يعينك عليها.
نطق المعلم حنفي بتمني:
=يارب ياخويا يارب.
على طاولة ليالي، ونعمة، حضر عم سلامة بمفرده، دون زوجته وأبنائه، تجنبًا لاختلاطهم بأم الديب،
وبعد أن صافحه جلال بحرارة، قال له بتبجيل:
_أقعد يا حمايا.
قال عم سلامة باستعجال، وهو عازم على إنجاز المهمة التي حضر خصيصًا من أجلها:
=لا أنا هروح أسلم على أبوك، وأبو العروسة.
ردت ليالي باهتمام:
_ماشني يابا.
ثم توجه إلى المعلم حنفي، حاملًا معه ظرفًا أبيض يحتوي على ثلاثمائة جنيه. بينما كان جلال قد ترك
أجواء الحفل، والأغاني الصاخبة من حوله، ليتفرغ لفحص محتويات الظرف، شعر وكأن المبلغ الذي
يحملة كبير جدًا بالنسبة للعروسين. فتحدث بنبرة خافتة مع زوجته:
=أبوكي شكله داخل بمبلغ وقدره.

أم الديب الجزء الثاني

اعتدل جسد ليالي بثقة في الحال، وقالت بغرور، وقد تجسدت في كلماتها نبرة من العظمة:
_أبويا صاحب واجب أمال فكرك ايه؟ علشان تعرف بس إن أنا أهلي هما كمان بتوع واجب، وبيفهموا
في الأصول.

رد جلال بحُب:

=وهو حد كان قال غير كده؟ مانا عارف أبوكي راجل جدع واللي في ايديه مش له.
أجابت ليالي بفطنة:

_طبعًا هو احنا حد زينا؟

تفوهت نعمة بفرح عارم، كاد قلبها أن ينفجر من شدة قفزه فرحًا، وهي تستمتع برؤية أختها السعيدة
بجانب محبوبها في أجواء الحفل المبهرة، التي زادت من سحر جمالهم:
=هايدي اسم الله عليها، الفستان هياكل منها حنة.

ردت ليالي ببشاشة:

_ربنا يهنيها ويسعدها.

قالت نعمة بأمل، وقد بدت عينيها تلمعان بتفاؤل:

=يارب.

وبعد قليل، نهض العريس والعروس للرقصة الهادئة، وسط الأضواء الخافتة التي أضفت على المشهد
سحرًا خاصًا. بسط زياد كفيه على خصر هايدي، وهما يرقصان ببطء بين الأضواء، بينما كانت أنظار
الجميع موجهة نحوهما بإعجاب. قال زياد بتتيم، وقد انعكست في نبراته مشاعر الحب:
_عقبال ما نبقي في بيت واحد يا هايدي.

تلفظت هايدي بابتسامة:

=ان شاء الله.

على طاولة جلال، لم يستطع تحمل رؤية أخته في هذا المنظر الذي يهين كرامته ويجرح رجولته أمام
الأقارب. شعر وكأن هذه المشاهد تُثير غيرته على عرضه، فتحدث بنبرة محتدة، تنبئ عن استعداد
للمشكلات:

_وربنا مانا مستحمل... هو شايف أخواتها مركبين قرون ولا ايه مش فاهم؟ حوار الرقص ده مينفعش،
مانا مش مختوم على قفايا، لا ده أنا راجل أوي.

قهقهت ليالي، ثم قالت بدهشة:

=اهدى يا جلال، أمال هيرقصوا ازاي طيب؟

أنزل جلال يده بقوة على الطاولة، حيث ارتجت تحت وطأتها وكادت أن تُسمع صريرها وكأنها على
وشك الانهيار، ثم تلفظ بسخط، محاولًا السيطرة على ما يعتمل في صدره من ثورة عارمة:

_مش عارف، بس الكلام ده ميصحش، أنا ماسك نفسي!

تكلمت نعمة بصوت خافت لا يكاد يخفي برودتها، متجردة من أي اهتمام يُذكر، وكأن ما يدور حولها لا
يعنيها بتاتًا:

=كبر دماغك يا جلال!

نطق جلال بكلمات ملتبهة، وقد بدا في صوته انفعال لا يمكن تجاهله:

_لما يبقى جوزها يبقى يهيب اللي هو عايزه!

أم الديب الجزء الثاني

استدار حامد نحو زوجته بعينين تلمعان بفضول، بينما كانت يده تمتد نحو الزجاجة المثلجة ليروي عطشه بالمياه الباردة، سائلاً إياها بحيرة:

=احنا معملناش خطوبة ليه يا نومي؟

كأن كلماته أشعلت في قلبها نار السخط، فتأهت نعمة بنبرة يملؤها الأسى، وكأنها تحاول كبح مشاعر الألم التي طفحت على سطح حديثها، وأجابت:

_متفكر نيش، أنا دمي بيتحرق كل ما أفكر!

تفوه حامد بفخر:

=بس عملنا فرح جامد، وكل الناس حلفت بيه.

لن تتبدل قناعة نعمة أبداً حول عدم إقامة حفل خطبة كغيرها من الناس، ولن تشرق عيناها بفرحة مجرد تنظيم حفل زفاف وحسب. ففي كل مرة تعود فيها ذاكرتها إلى ذلك القرار، يجتاحها شعور عميق

بالبؤس، وكأنما تتحسر على ما ضاع منها. فقالت بمرارة:

_الفرح حاجة، والخطوبة حاجة. الفرح مش هيغيني عن شبكتي اللي متعملتش.

لكن ليالي كانت واحدة من أولئك الذين أقاموا حفل خطبة بكل تفاصيله، إلا أن ما كان يُفترض أن يكون بداية سعيدة تحوّل إلى نهاية مأساوية على يد أم الديب. فجلست ليالي بوجه يكسوه العبوس، تتملكها ندامة تكاد تخنقها، وقالت بصوت يائس:

=واللي عملوا شبكة خدوا ايه يعني؟ أهو شوية رقص على شوية شربات بيتوزعوا وشكراً، قال يعني لو عملتي شبكة كنتي عملتيها في قاعة زي دي.

ردت نعمة بدهشة:

_وليه لأ يا ليالي؟ هو حرام أفرح؟ ولا هو كثير عليا؟

تحدثت ليالي بعقلانية:

=لا مش كثير عليكي، بس كلامك مش هيرجع اللي فات.

حينما اقتنعت نعمة بحديث ليالي الألمعي، قالت:

_على رأيك.

حاولت أم الديب أن تتجاهل رقصات زياد، وهايدي المثيرة للجدل، والتي كانت قد تثير استياءً كبيراً وقد يُنظر إليها على أنها تصرف مذل بالحياء أمام الأقارب، ولكن، مع ازدياد توتر الموقف، نهضت بحزم استعداداً لمواجهة ما كان يلوح في الأفق من نزاع، واتجهت نحوهم بخطوات قوية. وعندما اقتربت من

زياد، خاطبته بنبرة حادة:

=نزل ايدك من على وسطها يا ولا!

عندما توجهت أم الديب إليهما، نظر زياد وهايدي إليها بإحراج، ومع ذلك لم ينبس أي منهما بكلمة، واستمروا في الرقص وكأن شيئاً لم يحدث. فغضب أم الديب ازداد، فرفعت صوتها عالياً، وأعدت حديثها مجدداً بصياح ملتهب، عاقدة العزم على أن يُسمع صوتها ويُفهم ما تعنيه بوضوح:

=نزل ايدك بقولك!

رد زياد بدهشة:

_هو أنا هخطفها؟

تلفظت أم الديب بعجيج:

أم الديب الجزء الثاني

=دي حياالله خطيبتك، ده انت مش عامل احترام لا لأبوها، ولا أخواتها، ولا ليا... يا خراب بيتك يا بسمه!

ابتعدت هايدي عن خطيبها بسرعة، وقد غمرها شعور بالخوف، وراحت تنظر إلى الحاضرين بعينين مليئتين بالرغبة:

_خلاص يا ماما!

نهض أحمد على الفور، عازماً على تهدئة الموقف، فتقدم نحو أم الديب، وجذبها برفق لتعود إلى مقعدها مرة أخرى، عازفاً عن النزاع مع العروسين، ولكن، ما إن جلست أم الديب حتى تحولت وجهتها إليه، وبدأت في النزاع معه بحماسة، قائلة بجلية:

=انت بتشدني ليه؟ بقى سايب الواد مكلبش في أختك، وجاي عندي أني وتشدني؟

جز أحمد على أسنانه بشدة، وهو يتحدث بنبرة مكبوتة ووجهه يشتعل بلون الإحراج، فقد كان واضحاً مدى استيائه من الموقف الذي آل إليه الأمر، وبصوت مليء بالصراخ، قال:

_وطي صوتك، بلاش فضايح، عمي أول مرة يحضرلنا مناسبة، وانتي كده بتخلي شكلي وحش لتاني مرة!

دفعته أم الديب جانباً بيد قوية، دون أن تبدي أي تردد، ثم انفجرت بصوت عالٍ، قائلة كلمات تعكس سخطها:

=أوعى من وشي، حسابكم معايا بعدين!

ثم تركت الحفل بكل ما يحويه من أقارب ومعارف، واتجهت نحو المطبخ، وكان هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنها فيه أن تجد وتكبت فيه أحزانها التي تحيط بها من كل جانب. في هذه الأثناء، عاد أحمد إلى مقعده، وقد ارتسمت على وجهه ملامح العبوس، مما يعكس تأثره بالموقف. في ظل هذا الجو المشحون، نظرت إليه زوجته بفضول، تسأل بشغف عن ما يدور في ذهنه:

_هي طنط مالها؟

أجاب أحمد بصوت خافت:

=أهو العبط اشتغل تاني، الخطوبة لازم تعدي على خير، مش هتبقى كل مناسباتنا عبارة عن مشاكل، وفضايح.

قالت جميلة بلهجة مليئة بالبغضاء، حيث تخللت كلماتها نبرة من الاحتقار:

_بصراحة طنط بنزودها أوي، أنا مش شايفة إن الموضوع مستاهل!

رد أحمد، وهو يوجه نظره حوله بانزعاج، كأنه يحاول إيجاد مخرج من الموقف المخرج الذي يعيشه: =هو فعلاً مش مستاهل بس هي بتحب تكبر كل حاجة .

بعدما تركت أم الديب العروسين، وأحمد، دخلت إلى المطبخ، حيث صرخت في وجه الطاهي كما لو كان عبداً تحت قدميها، ثم تقدمت نحوه بخطوات عازمة، وكأنها تفرض سيطرتها الكاملة على كل من حولها، قائلة بخشونة:

_انت يا راجل انت!

أم الديب الجزء الثاني

كأنما انتاب الطاهي نوع من الذعر، كأن روحًا زرقاء قد استقرت في جسده بمجرد سماعه صوتها الغليظ. فجأة، ترك الطباخ مهمة إعداد المعكرونة بالمشروم، وخفض النار تحتها بخفة، ثم توجه نحوها ببطء، وهو يتمتم بصوت خافت غير مسموع، تعبيرًا عن عدم ارتياحه:
=استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم.

قالت أم الديب بصياح:

_بتقول ايه؟

رد الطاهي بحذر، كأنه ينتظر بفارغ الصبر ما ستؤول إليه الأمور، بينما كان يحاول جاهدًا أن يستوعب طلباتها، ويجعل نفسه جاهزًا لأي تعليمات:
=بدعي ربنا يا حاجة، في حاجة؟

تلفظت أم الديب بصخب:

_املالي طبق!

قال الطباخ بدهشة، حيث كان الفرع يملأ عينيه من أن تفسد أم الديب كل الطعام الذي بذل جهدًا كبيرًا في إعداده، مما قد يؤدي إلى أن يجد المعازيم أنفسهم بلا طعام سوى المياه للشرب، وهو ما قد يسبب فضيحة عظيمة للحفل بأسره:

=تاني؟ هو كل شوية؟ ده انتي قربتي تخلصي على الأكل كله، الناس اللي برا هتاكل ايه؟

أم الديب لم تكن تبالي بشؤون الآخرين أو بمشاعرهم، فكل ما يشغل بالها هو تأمين استقرار الأطعمة في معدتها، والتمتع بشرب العصائر، فقد أصبح رضاها هو الشغل الشاغل لهم. وقالت بلهجة تفسر تمسكها بمصالحها الخاصة دون اعتبار للآخرين:
_ياكلوا طوب، يلا خلص أني جعانة!

لم يكن الطباخ قادرًا على إكمال تلك الجملة، فقد تملكه شعور بالارتباك، مما جعله يتلعثم في الكلمات، ويقف عاجزًا عن متابعة الحديث:
=طيب ما تستني لحد ما ننزل الأكل للـ...

حتى قاطعته أم الديب فجأة، وبترت حديثه بحدة، وهي تصرخ بصوت عالٍ يعكس غضبها المتصاعد، مما جعل الطباخ يتوقف عن الكلام تمامًا:

_انت اتعبطت ولا ايه؟ انتوا هتدلوا فيا؟ ما عاش ولا كان اللي يذل أم الديب، آني هنا أم العروسة واللي أقوله يتسمع، ده آني ابني دافع وصارف من جيبه، وفي الآخر يجي واحد زيك يقولي الكلام دهو؟

انتبه جميع الطباخين إلى صوتها العالي، حيث ملأ جو المطبخ بطنين من القلق، وعندما استشعر الطباخ اصطدامات عنيفة من حوله، قال لها باحتراس:
=طيب اتفضلي انتي يا حاجة، واحنا هنبعتلك الأكل لحد عندك.

أم الديب الجزء الثاني

هدأت أم الديب قليلاً، وكأنها استجمعت قواها لتعيد ضبط أعصابها، ثم قالت بسكينة تُظهر قدرًا من الاستقرار:

__وماله ياخويا.

خرجت أم الديب من المطبخ، وألقى الطباخ نظرة على المساعدين الذين هرعوا إليه بسرعة، ليقفوا حوله في دائرة مشدودة، منتظرين توجيهاته. ثم أخبرهم بضرورة إخراج الأطعمة بسرعة قبل أن تُتهيأ أم الديب، قائلاً:

=بقولكم ايه نزلوا الأكل دلوقتي قبل ما تشطب عليه، وتودينا في داهية!

بداخل القاعة، وسط صخب الأغاني المدوية، وكلام الديجي المُتسارع، أمسك الرجل بالميكروفون بقوة، وأطلق صوته بنبرة عالية، محاولاً أن يتغلب على الضوضاء المحيطة. كان صوته يعلو فوق كل الأصوات الأخرى، لينقل رسالته بوضوح، ويشد انتباه الجميع نحو ما سيقوله:

__البنات والستات يتفضلوا يمين، والرجال شمال.

نهض الجميع من أماكنهم، فتجمعت النساء مع العروس على الجهة اليمنى، بينما وقف الرجال مع العريس على الجهة اليسرى، باستثناء أم قمر الدين، وأحمد، وجميلة، وباسم، الذين ظلوا في أماكنهم، محتفظين بهيئتهم بدلاً من الانضمام إلى الرقصات المختلة التي تفسد الوقار. أما ضايغ، فقد سعد إلى المسرح ورقص مع جلال باستخدام المطاوي، وكأنما يجسد صورة مفرطة في الشعوية، والهمجية. نظرت أم قمر الدين نحوهم باشمئزاز، يتناقض تمامًا مع مستوى معيشتهم الراقى، وقالت بدهشة تملأ وجهها:

=خاللك ده كائن عجيب جدًا!

لم يكن أحمد يدري ماذا يفعل بعد أن شعر بالإهانة التي ألتمت به، وكأنما دفنوا رأسه في التراب إزاء زوجته، وأسرته الثرية. إذ كان خجله يعكس مشاعر الحرج التي غمرته، فقال بصوت مكتوم:

__أنا مش عارف ايه اللي جابه بس؟ ده هو اللي كان السبب في إن خطوبتي أنا وجميلة تيوظ.

لم تستطع جميلة تذكر تفاصيل الأمر الذي أصابها قبل سنوات وأدى إلى دمار نفسي حاد كاد أن يصل بها إلى حافة الانتحار، لكن القدر منحها فرصة جديدة للحياة لتبدأ فصلاً جديدًا مع أحمد في هناء، ومع ذلك، فإن مجرد تذكر تلك الأحداث المؤلمة يثير الألم المدفون في أعماقها، فتنطق بصوت يعبر عن معاناتها الداخلية:

=بليز متفكر نيش بالموضوع ده!

كما اتفق باسم، وزوجته على قضاء وقت قصير جدًا في الحفل، فقد كانت هذه الخطوة غير معتادة بالنسبة له، إذ لم يسبق له أن حضر حفلًا بهذا المستوى المتدني، فقد اعتاد على حضور أفخم الحفلات التي تليق بمقامه الرفيع. خاصةً أن حضوره كان دائمًا مميزًا وفريدًا، ليس كحال الآخرين. فنهض، وهو يعدل بدلته بأناقة، معبرًا عن استيائه من الوضع، وقال:

__أنا مضطر أمشي، احنا كده خلاص عملنا اللي علينا، وألف مبروك لهايدي.

نهض أحمد، وذهب نحو حماه، ليعانقه بحنان يعكس احترامه. ثم قال بصوت دافئ، يعبر عن اعتزازه بالعلاقة بينهما:

=الله يبارك في حضرتك، أنا مبسوط أنك شرفتنا.

رد باسم ببشاشة:

__متشكر يا حبيبي، يلا يا بسملة!

أم الديب الجزء الثاني

نهضت جميلة بخفة، وعانقت والدتها بقوة محملة بكل مشاعر الحب، ثم نظرت إليها بدهشة ملؤها الاستفهام، وقالت:

=معقول هتمشوا دلوقتى؟

قبلتها أم قمر الدين على وجنتيها، قائلة بعبارات دافئة:

_أبوه يا روجي، احنا اتفقنا مش هنقعد كثير.

تفوهت جميلة بابتسامة:

=خلاص يا حبيبي خدوا بالكم من نفسكم!

ردت أم قمر الدين بفرح ظاهر، وهي تشير إلى حفيدتها بعاطفة جياشة:

_حاضر يا جميلة، باي باي سيليا!

عانقت سيليا جدتها عناقًا أخيرًا مغمورًا بالوداع، ثم قالت بركة:

=باي باي نانا!

خرج أحمد برفقة باسم، بينما أم قمر الدين ترافقهم إلى السيارة، فودعتهم بابتسامة دافئة، وفي ذات

الوقت، على طاولة المعلم حنفي، قال حسين بتفكير:

_بس شكل أخوها الثاني محترم، ويعرف ربنا.

أجاب المعلم حنفي باشمئزاز، وهو يوجه نظره إلى ضايح الذي يرقص بالمطوى، بمشاركة جلال، حيث

كان المنظر يثير في نفسه تدمرًا:

=أبو محمد ده راجل محترم، بس سبحان الله ميتلمش على أخوه أبدًا، هما الاتنين عكس بعض في كل

حاجة!

قال حسين بعقلانية:

_مش كل صوابك زي بعضها يا حنفي، مش معنى أنهم أخوات يبقى لازم يكونوا شبه بعض، كل

إنسان له شخصيته.

دخل العاملون بالفندق، محملين بصواني مزدحمة بأطباق متنوعة من الأطعمة الشهية، وبدؤوا في

توزيعها على المعازيم. عندئذٍ، توجه جلال إلى خاله بتعب، وهو يمسح عرق جبينه الذي كان دليلًا على

الجهد الكبير الذي بذله، وأخبره بعبارات تحمل بين طياتها المشقة التي عانى منها:

=أقعد ارتاح يا خالي!

ضحك ضايح بمرح، ثم وطأ جلال على ظهره بشكل مفعم بروح الدعابة، وقال بشجاعة:

_اللي زي ضايح ميتعبش، ده أنا أسد!

تشبث جلال بابنه حمود، وسحبه برفق نحو الطاولة، وهو يتلفظ بكلمات توجيهية، معبرًا عن رغبته في

مشاركتهم:

=تعالى يا ضاح أقعد معنا!

ترك حمود يد والده، وفرّ بعيدًا بمرح، وهو يصيح بحبور، معبرًا عن سعادته المطلقة بلحظة الحرية

التي يعيشها، وقال:

_لا أنا هروح ألعب برا.

أم الديب الجزء الثاني

جلس جلال على الكرسي، وقد بدا عليه الإعياء، ثم قال بإنهاك:
=أوعى تنوته، ولا حد يخطفك!

قدم ضايح خلف ظهر جلال، وجلس بجانبه برفق، ثم مدد ذراعيه خلف رأسه بحركة تعبير عن طلب الاسترخاء. ورد بثقة:
_وهو حد يقدر يخطف حفيد أختي؟ ده أنا أدفنه صاحي.

ضحك جلال بمرح، ثم توجه إلى خاله بابتسامة عريضة، قائلاً:
=أمال ايه يا خالي، هو احنا أي حد ولا ايه؟

لم يكن جلال، وضايع يشبهان البشر العاديين في تصرفاتهم؛ فقد شكلا ثنائياً غير عادي، يميزهما تآلف لا يفترق، وتعاون دائم على الأذية. كانت بينهما علاقة متشابكة بكل ما تحمله من محبة وأيضاً مشاغبة، حيث لا يمكن أن يمضي يوم دون أن يثيرا ضجة، حتى وإن كانت هذه الضجة موجهة بحسن نية. في تلك اللحظة، كان الحفل يسير في أجواء مليئة بالبهجة، مع تألق الأضواء وتناسق الموسيقى، وجميع الحاضرين منغمسون في التمتع بالفعاليات، والمشروبات. لكن تواجد جلال وضايع، بفضل طبيعتهما المليئة بالحركة، جعل الجميع يتساءل عن ما إذا كانا سيواصلان طريقهم في إحداث الفوضى أم سيمرون بسلام دون أن يعكروا صفو الحفل؟.
يتبع....

الفصل الرابع والثلاثون

شعرت سيليا بمدى الرتابة التي تغمر الأجواء، فتسللت إليها رغبة جامحة للابتعاد عن هذا المكان الذي أضحت جدرانها تضيق على روحها. فتوجهت بنظرات ملؤها الرجاء إلى والدتها، وكأنها تطلب منها الخلاص، وهمست برغبة ملحة:

_مامي أنا عايزة أروح البيت!

ردت جميلة بصوت يفيض دفناً، وكأن كلماتها كانت تحمل في طياتها عناقاً يواسي قلب سيليا:
=حاضر استنتي شوية كمان، وبعدين هنروح.

بعدما ودّعت أم قمر الدين، وباسم المكان، وعاد الفراغ ليخيم على القاعة، خطا أحمد عائداً إليها، ليستقر على مقعده بين أفراد أسرته الصغيرة. لكن سيليا، التي ما زال شعور الضيق يسكنها، لم تستطع كتمان رغبتها في الرحيل، فالتفتت إليه، وقالت بنبرة ملؤها الرجاء:

_بابي أنا عايزة أروح!

تحدث أحمد بابتسامة هادئة تعكس التفهم:

=ماشى يا سيليا هنسلم على عمّو ونمشي.

وعدها أحمد بالمغادرة، بينما جلست ليالي، ونعمة، وعم سلامة على الطاولة، وقد أبدت ليالي رغبتها الصادقة في حضور والدتها، وأختها لهذا الحفل، وكان كلماتها كانت تعبيراً عن أمنياتها الحارة بأن يكونوا جميعاً جزءاً من هذه اللحظة المميزة، فتوجهت إليهم قائلة:

_كان نفسي أمي، وهبة يجوا.

لكن عم سلامة، الذي كانت بصيرته نافذة، وشديد المعرفة بنفاصيل الأحداث المقبلة، كان يدرك تمامًا ما قد يحدث بعد وصولهم. لذا، تحدث بصوت مليء بالفطنة:

=لا يجوا ايه بس يا ليالي؟ انتي نسيتي حماتك بتعمل ايه؟

تدخلت نعمة في المحادثة، محاولاً تصحيح الصورة المشوهة التي كونها عم سلامة عن والدتها، والذي كان يراها في صورة متوحشة ولا يقنع بأنها امرأة بسيطة، وذات قلب طاهر. فقالت بلهجة محملة بالإصرار:

_انت فاهم أمي غلط يا عم سلامة، دي حنية الدنيا فيها، هي بس عصبية وساعات بتعمل حاجات غريبة، إنما هي طيبة.

رد عم سلامة بسخرية:

=ماهو باين، الكتاب باين من عنوانه.

لم تكن ليالي وحدها من تمنّت حضور تباهي، وهبة، بل كانت نعمة أيضاً تشعر بنفس الأمل. لذا، عبرت بعبارة ملؤها الرجاء، معبرة عن أمنيتها في رؤية هؤلاء الأحباء، قائلة:

_طب والله الفرحة كانت هتبقى اتنين لو الحاجة، وهبة جم.

قال عم سلامة بهدوء تام، وكان كلماته كانت تعبيراً عن تفهمه العميق للموقف:

=تتعوض في الفرحة.

ردت نعمة بفرحة:

_ان شاء الله يا عم سلامة.

أم الديب الجزء الثاني

رغبت تقى في الاستمتاع، واللعب مع ابنة عمها، تمامًا كما يفعل بقية الأطفال الذين ينتقلون بحيوية في الخارج. فتوجهت إلى والدتها، وقد علت وجهها علامات الحماس، وقالت ببراعة:

=ماما أنا هروح أعب مع سيليا!

لكن مشاعر الكراهية التي تكنها ليالي تجاه جميلة حالت دون انخراط ابنتها في اللعب مع سيليا. فقد نشبت في فستانها بعنف، وسحبته نحو الكرسي بقوة، ثم نظرت إليها نظرة مفعمة بالقسوة، وقالت بلهجة حازمة:

_ لا أقعدي هنا متحركيش!

ألحت تقى على والدتها، وعبرت عن إصرارها برغبة ملحة في أن تنال فرصة اللعب، فتلفزت بعبارات مليئة بالاحتجاج، قائلة:

=علشان خاطر!

لكن ليالي ظلت متمسكة بقرارها بكل عناد، ورفضت الاستجابة لرغبة تقى، فتحدثت بصوت صارم، يعبر عن عدم استعدادها للتراجع، وقالت بحزم:

_ مش هيحصل، هتفضلي قاعدة جنبي لآخر الفرحة!

ضمت تقى يديها إلى بعضهما البعض، وجلست على الكرسي بجانب والدتها بالإكراه، وكأنها تتجرع مرارة الاضطرار، ثم نطقت بعبارات مفعمة بالاستسلام، قائلة:

=يوه بقى.

لكن بعد مرور نصف ساعة، وعقب انتهاء هايدي، وزياد من تناول وجبتهما الشهية على طاولتهما الفريدة التي تزينت بالسندويتشات المتنوعة، والكعك بالكريمة، والبف باستري، والمعجنات الشهية، والمشروبات المتلجة، عادوا إلى مقعد العروسين ليواصلوا الاحتفال بأجواء مفعمة بالفرح. في الوقت ذاته، كانت أم الديب قد أنهت تناول الطعام بكل شغف، حتى أنها لم تترك طبقًا واحدًا إلا وأفرغته، كأنها تناولت كل شيء بما في ذلك العظام، ومع اقتراب لحظة ارتداء الشبكة، ظهرت نعمة من بعيد، محملة بصينية مزخرفة بالورود، والزينة، بالإضافة إلى علبة الشبكة. تحركت بنعومة بينما كانت الكاميرا تسجل جمال اللحظات، وبرزت ليالي بجانب هايدي وهي تزغرد فرحًا، حتى وصلت أخت العروس، وقدمت الشبكة للعروسين. بدأ زياد بتجربة خاتم الخطبة، ووضع بلطف في إصبع هايدي، ولكن في وقت غير متوقع، ظهرت أم الديب فجأة، وهي تصيح بقوة تعبيرًا عن مشاعرها، مما أضاف عنصرًا مفاجئًا إلى المشهد الاحتفالي، قائلة:

_ متلمسش ايديها يا ولا!

قالت نعمة بانزعاج:

=والنبي ياما تقعدي وتريحيننا بقى، هي هتتخطب كل يوم يعني؟

تفوهت أم الديب بصخب، وبصوت عالٍ يعبر عن مشاعرها المشتعلة:

_ هي كلمة وأني قولتها، مش هعيدها يا بت!

ردت نعمة بدهشة ملحوظة، وقد انعكست على وجهها ملامح الاستغراب، وهي تتساءل عن كيفية ارتداء الخاتم دون أن يلامس أصابعها:

=هو ايه اللي ميلمسش ايدها؟ أمال هيلبسها الشبكة ازاى؟

قالت أم الديب بحنكة، وكأن كلماتها تحمل بين طياتها دروسًا:

_ أني ألبسهاها يا بت.

أم الديب الجزء الثاني

وضعت ليالي يدها على خصرها، وعبرت عن استهزائها بطريقة واضحة، ثم قالت بسخرية:
=ليه يا حماتي كنتي انتي العريس واحنا منعرفش؟
تلفظت أم الديب بعصبية، وكأنها لا تطيق سماع صوت ليالي الذي كان يثير أعصابها:
_ طلعي نفسك منها انتي ياختي!

بعدما بادلتها هايدي تلبيس الخاتم، وأخيرًا ارتدوا الشبكة بنجاح، ارتفعت الزغاريد في القاعة لتضاعف من حجم الاحتفالية، حيث ظل الجميع يصفقون بحرارة، وتزايدت أجواء الفرح، وفي لحظة أخرى، نهض الحضور ليرقصوا مرة أخرى، بينما جلست أم الديب على الطاولة برفقة أختها. في هذه الأثناء، استخرجت سعاد ورقة نقدية من فئة خمسين جنيهاً، وقدمتها لأم الديب كهدية مادية تتماشى مع أجواء الاحتفال، وقالت لها بكل بهجة:

=مبروك يا أم الديب عقبال ما تشيلي عيالها.
أخفت أم الديب المال بحذر في خزانة قماشية معلقة على عنقها، ثم تحدثت بصوت منخفض ولكنه مفعم بالتأكيد:
_ عقبال عيالك ياختي، أما مشوفناش حد من عيالك اتشيك يعني؟

أجابت سعاد بحسرة:

=مانتي عارفة إن مي بتي لسه في الثانوية.

أم الديب لم تكن من أنصار التعليم الذي يمكن أن يتسبب في زعزعة أحلام العذارى وأمانيهن، إذ كانت ترى أن المرأة ليس لها من ملاذ وستر سوى ظل زوجها، الذي يحيط بها ويحميها. من وجهة نظرها، كان التعليم الذي يروج لمفاهيم مغايرة بمثابة تهديد للأدوار التقليدية التي تفضلها وتؤمن بها، وكأنها تسعى لتطبيق هذا المعتقدات بصرامة على الآخرين. ففي هذا السياق، نطقت بكلمات مليئة باليقين، معبرة عن قناعتها الراسخة بأن مكان المرأة هو دار زوجها:

_ يا شيخخة بلا تعليم بلا كلام فاضي، هما اللي اتعلموا خدوا ايه؟ دول مترصصين على القهاوي.

على الرغم من أن أبناء أم الديب الأربعة قد حصلوا على مستويات تعليمية متفاوتة، حيث أتم جلال دراسته الثانوية وحصل على الدبلوم الصناعي، ونعمة نالت الدبلوم الفني، وأحمد حصل على بكالوريوس التجارة، وهايدي نالت بكالوريوس التربية، إلا أن سعاد كانت تتطلع إلى أن يحقق أبنائها نفس المستوى من التعليم، على غرار ما أنجزه أبناء أختها. فقد كانت سعاد تأمل بشغف في أن يتلقى أبنائها التعليم الذي يمكنهم من تحقيق النجاح، مثلما فعل أبناء أختها الذين كانوا مصدر إلهام لها. في خضم هذه الأفكار، تلفظت سعاد بتمني:

=مانتي عيالك متعلمين يا بسمة، اسم الله عليهم اللي معاه الدبلوم، واللي معاه الكلية.

لكن جاءها الرد صريحاً، حيث أحبطتها أم الديب بكلمات قاطعة تعكس اعتقادها الراسخ. قالت أم الديب بلهجة حاسمة:

_ ولا خدوا منها حاجة، قعدي البت وجوزيها، قبل ما الناس تتكلم وياكلوا وشنا.

تفوهت سعاد بتفكير:

=سنة كده ونجوزها تكون كبرت شوية.

بعد ساعتين من الرقص الحماسي الذي جمع النساء في مجموعة والرجال في مجموعة أخرى، حيث تخلل ذلك النقاط العديد من الصور التذكارية التي توثق لحظات البهجة، انتهى اليوم بشكل رائع على عكس المتوقع. فقد كانت أجواء الخطبة قد أكتملت بنجاح، وبدأ الحاضرون، الذين توافدوا من مختلف

أم الديب الجزء الثاني

الأماكن لتهنئة العروسين، يغادرون واحدًا تلو الآخر بعد أن صافحوا العروسين وتبادلوا معهم كلمات التهنئة، والوداع. بمجرد أن خرج الجميع من عتبة الفندق إلى الهواء الطلق، حيث بدأ الليل ينسج ستائره، اقتربت نعمة من أختها، واحتضنتها بحرارة، وقد علت وجهها علامات الفرح. كانت عيونها تلمع، ثم نطقت بعبارات مليئة بالسعادة، قائلة: َ
_ألف مبروك.

ردت هايدي بسرور:

=الله يبارك فيكي.

بعد أن صافح الجميع العريس والعروس، وودعوا بعضهم البعض، بدأ كل واحد منهم يتوجه إلى سيارته عائداً إلى منزله، بعد يوم طويل وشاق مليء بالاحتفالات، وعندما وصلوا إلى منزل أم الديب، حيث كانت اللحظات الأخيرة من هذا اليوم المميز تتوالى، توقف زياد لحظةً عند عتبة المنزل. قبيل أن تخرج هايدي بفستانها اللامع الذي يبرز جمالها ويشع بريقاً تحت أضواء المساء، نظر زياد إليها بتعبير مليء بالحنان، وكأن لحظة الحقيقة قد أطلت عليه فجأة. لم يستطع أن يصدق أن هذه المرأة الرائعة أصبحت خطيبته، وأنه سيشتركها حياتها. فبمشاعر ملؤها الفرح العارم، عبّر زياد عن سعادته بشكل صادق، قائلاً:
_ أخيراً اتخطبنا يا هايدي؟ أنا مش مصدق، يعني خلاص بعد كده هقول أنك خطيبتي مش بنت عمي؟
أجابت هايدي بابتسامة:

=أيوه طبعاً، الحمدلله أنها عدت على خير، أنا كنت خائفة أوي إن يحصل حاجة خصوصاً بعد ما خالي ضايع جه!

رد زياد بنبرة حنونة، تحمل في طياتها عمق مشاعره:

_مش قولتلك أنها هتعدي على خير؟ نقي في ربنا بس!

قالت هايدي بسكينة:

=الحمدلله.

فتحت نعمة الباب لهايدي برفق، وسحبته بركة نحو الداخل، حيث صعد الجميع إلى الطابق العلوي. كانت هايدي في حالة من الذهول، غير قادرة على تصديق نفسها حتى دخل كل واحد إلى شقته الخاصة. بينما هايدي دخلت غرفتها لتغيير ثيابها بعد يوم طويل، قررت أن تستحم وتزيل مكياجها بعد أن شعرت بالتعب الشديد. في تلك الأثناء، غادر زياد إلى منزله مع والده، وكان المهمة التي أنجزها اليوم كانت مرهقة بالنسبة له. هايدي بدأت بخلع فستانها المذهل، وتفكيك الدبابيس التي كانت تثبت حجابها، ثم توجهت إلى المراض لتستحم، وتزيل كل آثار المكياج التي تغطي وجهها. بعد عشرين دقيقة من الراحة، خرجت من المراض، وارتدت بيجامتها المريحة، وبللت شعرها باستخدام الزيت، وقامت بربطه بشكل أنيق. جلست على السرير، وهي تتنفس بعد يوم مليء بالأحداث، وأمسكت هاتفها لتتفقد الأخبار. تصفحت المنشورات لتجد زياد قد كتب منشوراً يعلن فيه عن خطبتهما، مرفقاً بصورة بسيطة لهما معاً. بدأت التهاني تتوالى في التعليقات، وعبّرت الناس عن تهنيتهم. وبينما كانت تقرأ التعليقات المليئة بالتمنيات الطيبة، حدثت هايدي نفسها بسرور عارم، متخيلة كيف أن هذا اليوم سيظل ذكرى جميلة في حياتها، قائلة:

_ الحمدلله يارب، أنا مش مصدقة، أنا كنت دايمًا خائفة من فكرة إنني أتجوز... خوفت من ماما ألا تبوظ الجوازة زي ما عملت في بقية أخواتي، بس الحمدلله أنها عدت على خير، شكرًا يارب.

أم الديب الجزء الثاني

فجأة، دخلت أم الديب إلى غرفة هايدي دون أي سابق إنذار، وهي تحمل بين يديها صندوقًا كبيرًا محشوًا بالعديد من المفاجآت. تحركت بخطوات حازمة، وكأنها قد جاءت مهممة واضحة. عندما اقتربت من هايدي، نطقت بفضافة:
=بصي يا بت، شوفي ست بسملة جايبة ايه؟

وقفت هايدي باندهاش، ونظرت إلى داخل الصندوق الذي كان مملوءًا بالعديد من المفاجآت، وعبرت عن دهشتها، قائلة: َ
_الله تحفة أوي!

وقبل أن تمتد يد هايدي داخل الصندوق لتلتقط شيئًا ما، صرخت أم الديب فيها بقوة، ووجهت إليها رفضًا حادًا، قائلة: َ

=اصبري يا بت، ايدك متمدش على الحاجات دهي!
ردت هايدي باستغراب، وقد ارتسمت علامات الدهشة على وجهها:
_ليه بقي ان شاء الله؟

قالت أم الديب بأنانية، وكأنها تعبر عن مصلحة شخصية محضة دون الاكتراث بمشاعر الآخرين:
=هو كدهو، هبقى أدكي أي حاجة والباقي ليا.
تفوهت هايدي بعصبية:

_يعني ايه؟ أنا وزياي لينا حاجات كثير، وكل واحد عارف حاجته كويس، يبقى ليه تاخدي الهدايا بتاعتنا؟
كانت أم الديب تستخسر منح العروسين حقوقهم، كما أكدت عليها أم قمر الدين، وكأنها تسعى لنهب كل حقوقهم وتقييدها لمصلحتها الشخصية. بدت وكأنها تركز على تحقيق أقصى درجات السعادة لنفسها، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين. في هذا السياق، تحدثت أم الديب بنبرة تحمل في طياتها تلميحات من الأنانية:

=ملكوش حاجة عندي ومش هعيد كلامي، يلا يا بت سبيي التلافون دهو، واطفي النور، واتخدي!
تركت أم الديب الغرفة في تلك اللحظة، وخرجت دون أن تلتفت خلفها، مما زاد من حدة الاستغراب الذي شعرت به هايدي. وقفت هايدي، وقد ظهر على وجهها عدم التصديق، ثم نطقت بعبارة تعكس مدى ذهولها مما قالته:
_أتخمد؟

بما أن هايدي كانت مستاءة، زفرت بفمها من شدة الإحباط، وبدت وكأنها قد استنفدت كل طاقتها. تركت هاتفها على السرير، وأطفأت النور بهدوء، ثم عادت إلى سريرها محاولة الاستسلام لنوم متأخر. بدأت رحلتها نحو النوم بصعوبة، في محاولة منها لتجاوز أحداث اليوم المتعب. في اليوم التالي، استيقظت ليالي مبكرًا، وقررت أن تبدأ يومها بعناية خاصة. أخذت ابنتها إلى المرحاض لتقوم بتحميمها، وأخذت تدلك رأسها بلطف بالشامبو. في تلك الأثناء، استيقظ جلال من نومه العميق، وشعر بتثاؤب يمتزج بالحكة في عينيه. خرج من غرفة النوم، وهو يهرش عينيه، متناقلاً قليلاً. عندما وجد جلال زوجته في المرحاض وهي تقوم بتحميم تقي، توقفت لحظة مدهوشًا من مشهدها. نظرت إليه ليالي بابتسامة خفيفة، بينما استمر جلال في فرك عينيه، متسائلًا عن السبب الذي يجعلها تستيقظ في هذا الوقت. فقال بفضول:
=صباحو.

ردت ليالي بابتسامة مشرقة:

أم الديب الجزء الثاني

_ صباح الفل عليك يا جلال.

سأل جلال بتعجب، وهو ما زال يهرش عينيه محاولاً استيعاب الموقف:

=على الصبح كده؟

أجابت ليالي، وهي تواصل فرك شعر ابنتها برفق تحت المياه الجارية:

_ ما هو أنا رايحة لأبويا وأمي هقضي معاهم اليوم كله.

قال جلال بنبرة جلفة، تصف تعجبه من تصرفات ليالي:

=ما بولك ايه يا ليالي، جو أنك تخططي وتنفذي من ورايا بلاش منه، هو أنا آخر من يعلم؟

تفوهت ليالي بدهشة:

_ أخطط وأنفذ ايه؟ أومي وحشاني هروح أشوفها، ايه المشكلة يا جلال؟

رد جلال بعناد، وقد برز على وجهه الحزم:

=مفيش مرواح، متجيش تخططي وفي الآخر تعرفيني، ده انتي حتى مخدتيش رأيي يا بت، ايه قرطاس

لب قدامك؟

تفوهت ليالي بإحباط، وقد بدت مشاعر الاستياء واضحة على وجهها:

_ الله، ماننت عارف إن أنا كل أسبوع لازم أزور أومي، متفاجئ ليه المرة دي يا جلال؟

قال جلال بإصرار، معبراً عن موقفه بوضوح:

=أنا هنا راجل البيت، وبقولك مفيش مرواح في حتة، أقعدي في بيتك مع عيالك، بلاش شحططه على

السكك كل شوية!

تلفظت ليالي بتعجب من إصرار زوجها:

_ وأنا هتشحطط ليه؟ دول في البلد اللي جنبنا، يعني ربع ساعة بالكثير وأكون عندهم، مالك يا جلال في

ايه؟

رد جلال بغلاظة:

=أنا كفي كده، ويلا حضري الفطار!

قالت ليالي بضيق:

_ طيب.

جلس جلال على الأريكة، وضغط على زر التحكم بالتلفاز محاولاً إيقاظ نفسه من دوامات النوم التي

كان قد غرق فيها. شعر بالتحسن تدريجياً، وساعده ذلك في استعادة تركيزه، وإدراك ما يدور من حوله.

في تلك الأثناء، كانت هايدي تتسلل بهدوء إلى الغرفة دون أن تسمعها أم الديب، التي كانت مشغولة في

الحظيرة بحلب الأبقار. عندما دخلت هايدي الغرفة، حملت معها الهدايا التي كانت في الصندوق، وأخذت

خطواتها بحذر نحو المطبخ، وحرصت على أن تكون صامتة قدر الإمكان. نظرت حولها بعينين

حذرتين، لتتأكد من أن أم الديب لم تسمعها أو تلاحظ دخولها. بمجرد أن تأكدت من سلامة عودتها إلى

غرفتها، أغلقت الباب خلفها برفق. ثم وضعت الصندوق فوق السرير، وجلست أمامه على حافة السرير،

وقد تملكته مشاعر الفضول. فتحت الصندوق ببطء، وبدأت تتفحص ما بداخله بعينين تتطلعان بشغف

إلى محتوياته. بينما كانت تتأمل المحتويات، همست لنفسها بفضول:

=يا ترى ايه اللي جوا؟

أم الديب الجزء الثاني

بدأت هايدي بفتح الهدايا، وأصابها شعور من الفرح مع كل شيء تكشفه. داخل الصندوق، عثرت على مجموعة من الفساتين الفاخرة التي تخص جهازها، وأدوات مكياج متكاملة تضيف لمسة من التألق لجمالها في يوم زفافها. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أكسسوارات متنوعة تناسب كل فستان، تزيد من رونقها. بينما كانت تنبهر بكل قطعة تخرج من الصندوق، اكتشفت أيضًا هدايا لخطيبها، والتي شملت ثلاث بدل أنيقة تتألق بالألوان، والتفاصيل، بالإضافة إلى ساعات فاخرة تعكس ذوق أم قمر الدين الرفيع. لم تكتمل مفاجآت الصندوق بدون عطر من أعلى الأنواع، وبينما كانت تتفحص المحتويات، لاحظت أيضًا كعكة الخطبة التي كانت قد استخرجتها من الثلاجة، مصفوفةً بعناية كما لو كانت جزءًا من حفل إضافي. استشعرت عبير الكيك المحبب، فأثارت شهية هايدي بشكل كبير. بابتسامة عريضة على وجهها، حيث قالت هايدي بشهية مفتوحة:

_الله تحفة...أما الحق أكل قبل ما تيجي.

خرجت هايدي من الغرفة مرة أخرى، وهي تحمل معها مشاعر الحماس بعد اكتشافها للهدايا المذهلة التي وجدتتها في الصندوق. لكنها قبل أن تتمكن من الدخول إلى المطبخ، فوجئت بأم الديب تظهر فجأة أمامها، وهي تحمل قارور الحليب الطازج، الذي بدا وكأنه ثقيل على يديها. كانت ملامح أم الديب حادة، وعبرت عن استياء كبير، مما أعطى انطباعًا بأنها لم تكن في مزاج جيد. نظرت إلى هايدي بحدة، ثم سألتها بفضاظة:

=وخداها ورايحة فين يا بت؟

أجابت هايدي بخوف:

_هاخذ حنة صغيرة.

تلفظت أم الديب بكلماتٍ مشوبةٍ بشحٍ رهيب، كأنما كانت تنفث من أعماقها حروفًا متجمدة، تعكس ما يعتمل في قلبها من قسوةٍ: =متكتريش، يا دوك هي حنة صغيرة!

سألت هايدي بتلعثمٍ، وكان الكلمات تتعثر على لسانها، وتتخبط في طريقها إلى الخارج:

_حاضر، أجيبك معايا يا ماما؟

ردت أم الديب بطمع:

=وماله هاتيلي أكبر حنة.

قالت هايدي بذهولٍ غامر، وكأن صدمةً عميقةً قد اجتاحت كيانها، جعلت ملامح وجهها تتجمد في لحظة من الدهشة التي تسلب منها القدرة على التفكير:

_اشمعنا انتي تاخدي حنة كبيرة، وأنا حنة صغيرة؟

أجابت أم الديب ببخلٍ لا يمكن وصفه، وكأنها قد ابتكرت قانونًا جديدًا يخصها وحدها، يستند إلى أفسى درجات الاقتصاد في كل كلمة تُنطق:

=أني أكبر منك، الكبير ياخذ الأكبر.

ردت هايدي بتعجب:

_ده في قانون مين ده؟

تفوهت أم الديب بصياحٍ منقطع، وهي تلاحق أنفاسها في محاولةٍ يائسةٍ للتمسك برباطة جأشها، وكان كل صرخةٍ تخرج منها كانت تفتح نافذةً إلى عمق معاناتها:

أم الديب الجزء الثاني

=وانتي مالك يا بت؟ يلا خشي وخلصينا!

نظرت هايدي إلى أم الديب بنظرة مشوبة بالاشمئزاز، حيث ارتسمت على وجهها ملامح التذمر التي لم تستطع إخفاءها، ثم دخلت المطبخ بخطى حازمة، وبدأت في تقطيع الكيك بمهارة دؤوبة. في تلك الأثناء، دخلت أم الديب خلفها بخطواتٍ متمهلة، حاملةً قارورة الحليب، ووضعتهَا برفقٍ على الأرض وكأنها تتعامل مع أشياء ثمينة. ثم خرجت من المطبخ، وذهبت للجلوس على الأريكة لتستريح بعد الجهد الذي بذلته. بعد أن انتهت هايدي من تقطيع الكيك إلى قطعٍ صغيرة، وتأنقت في وضع كل قطعة على طبق باستخدام الشوكة، خرجت من المطبخ في النهاية. بيدها الأطباق، ووجهها ينذر بشيء من الهدوء، ثم وقفت أمام أم الديب، وقالت بنبرة جافة:

_خدي!

سألت أم الديب بفضولٍ لافت، وكأنها تستجوب أعماق سرِّ خفي:

=انتي حاطة لنفسك حنة كبيرة ليه؟

أجابت هايدي بحذر:

_لا دي صغيرة خالص أهو.

أمسكت أم الديب بقطعة الكيك في يدها دون استخدام الشوكة، وهي رافضة كل مظاهر التمثيل الاجتماعي. مدت يدها بحركة مفاجئة، وقطعت قطعةً كبيرة من الكيك، ثم وضعتها في فمها دفعةً واحدة، لتبتلعها بسرعة كما لو أنها تحاول أن تستفيد من كل لقمة في أقصر وقت ممكن. بينما كانت تلتهم الكيك، ظهرت على وجهها تعبيرات متباينة من التلذذ، وكأنها تتناغم مع الطعم الذي يلامس حواسها. ثم أطلقت تنهيدةً مكتومة، وقالت بصوتٍ خافت:

=يا سلام، حاجة معتبرة... البتاعة دهي حلوة أوي.

جلست هايدي بجانبها على الأريكة، وأعربت عن مشاعرهما بابتسامة خافتة:

_بالهنا والشفاء.

تحدثت أم الديب بنبرة ملؤها الطمع:

=بعد ما أخلصها يا بت أبقى أدخلي هاتيلي حنة كمان.

قالت هايدي في أعماق وجدانها بصوت غير مسموع، كأنها تتلو تأملاتها في صمت مطبق، فنتسلل أفكارها إلى ذاتها ببطء:

_ماهي بتيجي عندي أنا وتقف.

سألت أم الديب، وهي تستعد لمواجهة محتدمة، بكل عزم، وكأنها تقف على عتبة نزاع حتمي:

=بتقولي ايه يا بت؟

ردت هايدي بكذب متقن، بينما تناولت قطعة الكيك بتلذذ، مستمتعة بكل قضة وكأنها تنسج خيوط المراوغة في كل حركة من حركاتها:

_بقولك حاضر.

رن زياد على هايدي في تلك اللحظة، فنهضت مسرعة، وكأنها تطوي المسافة بين تفاصيل لقاءه المرتقب. دخلت إلى غرفتها بقلق متوقد، ثم أجابت على المكالمات بابتسامة عاشقة، وكلماتها تتدفق كعذب الندى في الصباح، قائلة:

=ألو.

قال زياد بحنو، وكل كلمة ينطق بها تفيض بالحب:

أم الديب الجزء الثاني

_صباح الخير يا هايدي.

ردت هايدي بغرام يتلألاً في نبرات صوتها، وكل كلمة تحمل نسمات من العشق المتأجج، مما يجعل حديثها ينبض بألوان الحب المتوهجة، ويعكس عمق المشاعر التي تفيض من قلبها:
=صباح النور.

سأل زياد باهتمام بالغ، وكل حرف ينطقه يحمل معه شغفاً شديداً، مما يجعله يتوق إلى معرفة كل تفاصيل حياتها:

_صاحبة من امتي؟

أجابت هايدي بحبور كبير، وكأنها تضيء الأفق بابتسامة ملؤها الفرح الخالص:

=مش من كثير، صحيت وفتحت الهدايا، بجد تحفة أوي!

دخلت هايدي إلى البلكونة لتتحدث مع زياد، تاركة وراءها قطعة الكيك بجانب والدتها. كانت أم الديب في حالة من الطمأنينة بعد خروج هايدي، لم تتردد في التهام قطعة الكيك بلهفة، وكأنها تستعيد لذتها في كل قضمة، بينما تتلأشى بقايا الكريمة والشوكولاتة على شفيتها. بمجرد أن انتهت من تناول الكيك، استقرت في معدتها بكل يسر، ودون أدنى تأنيب ضمير، ثم قالت بإعجاب، موجهة كلماتها بنبرة من الرضا:

_حلو حلاوة مش طبيعية.

في البلكونة، جلست هايدي على الكرسي البلاستيكي المُتهالك، الذي كان يظهر على مر الزمن تجاعيده العديدة كأنها تحمل قصصاً من الأيام الماضية، وبينما كانت تستقر في جلستها، تساءلت بفضول:

=هتيجي امتي صحيح؟

أجاب زياد بثقة:

_نص ساعة كده وجاي.

نطقت هايدي بنبرة خافتة، تحسباً من أن يسمعها أحد، إذ كان هناك خوف في صوتها، وكأنها تحاول إخفاء كلماتها عن آذان أم الديب:

=أنا شايلالك الهدايا في أوضتي، ماما امبارح مكنتش راضية تديني حاجة منها، وأول ما مشيت قومت فتاحهم.

سأل زياد بفضول:

_ولقيتي فيهم ايه؟

أجابت هايدي بصوت خافت، يكاد يُخفي تحت وقع خطوات الأبقار التي تسير في الشارع برفقة راعيها، كأنها نغمة رقيقة وسط جوقة من الأصوات الجبلية العالية:

=مش هحرقلك المفاجأة، بس بجد طنط بسملة كريمة أوي أوي، هي الوحيدة اللي دايمًا فاكرانا في أي مناسبة!

سأل زياد سؤالاً يشغل حيزاً واسعاً من فكره، متطلعاً إلى إجابة تحمل في طياتها معنى اللقاء بين أم الديب، وأم قمر الدين، وكأنه يبحث عن نقطة تلاقي بين عوالم تبدو متباعدة:

_أنا عندي سؤال يعني، بس منفهمنيش غلط!

ردت هايدي بهدوء:

=لا عادي اسأل!

أم الديب الجزء الثاني

قال زياد باستغراب، وعقله عاجز عن استيعاب فكرة أن أحمد، ابن بسمة المعروفة بشحها، قد تزوج جميلة، ابنة الأثرياء، وكان القدر جمع بين النقيضين في حكاية يصعب تصديقها:

_ هي ايه اللي لمها على مرات عمي؟ أصل أنا شايف أنها مستواها المادي، والثقافي شكله عالي أوي. أعدلت هايدي جلستها بحذر، موجهة نظرها نحو باب البلكونة، خوفًا من أن تندفع أم الديب نحوها في أي لحظة، ثم قالت بصوت يحمل احتراसा:

=ماهي دي مامت جميلة، بص أنا هحكليك من الأول لأنك متعرفش الموضوع بدأ ازاي! اعتدل زياد في جلسته هو الآخر، وكأنه يستعد لمواجهة غير متوقعة، ثم قال باستعداد:

_ احكيلي ياستي أنا سامعك!

في الصلاة، استيقظ المعلم حنفي من نومه، ليجد أم الديب تأكل الكيك بنهم، وبقايا الكريم متلاصقة بوجهها كأثار جريمة لذيدة، فنظر إليها باشمزاز، وقال:

=جاتوه على الصبح يا ولية؟

ردت أم الديب، وهي تغرق في لذة الكيك الذي يفوق على كل ما ذاقته في حياتها، متشبثة بكل قضمة، وكأنها تلتهم ذكريات حلوة لم تُعط لها من قبل:

_ ده حلو حلوة بشكل، ايه الطعامة ده؟

قال المعلم حنفي بسخرية:

=خفي طفح شوية، معدتك اشتكت!

ردت أم الديب بصوت عالٍ، كضجيج عاصفة لا تعرف الهدوء:

_ وانت مال اللي خفوك يا راجل انت؟ هي دهي بطني ولا بطنك؟

اقترب المعلم حنفي منها بخطوات واثقة، ونظر في وجهها بثبات كالصخر، وقال بشجاعة لا تهتز:

=احترمي نفسك يا ولية، أني بقولك أهو!

مسحت أم الديب بقايا الكريمة عن الطبق المصنوع من الأستانلس بانشغال، وكأنها لا تعير النقاش معه أي اهتمام، ثم قالت وهي تواصل عملها:

_ اركن ياخويا على جنب، متفصلنيش من المزاج اللي عاملاه إلا وديني هخلي يومك هباب!

قال المعلم حنفي بخور:

=لا وماله يا ولية؟ أني هدخل أتشطف وأروح الدكان أهو أرحملي من القاعدة في وشك اللي نغم.

ردت أم الديب بصخب:

_ غور جاك داهية لما تاخذك، وتريحني منك.

دخل المعلم حنفي المراض وهو مملوء بالانزعاج، ولكن عجزه عن الرد كان واضحًا، إذ كان يدرك تمامًا ما ينتظره من تداعيات، وبعد قليل، نزلت نعمة وابنها، وقالت للوالدة بلطف:

=صباح الخير ياما.

نفوحت أم الديب، وهي تنزع بقايا الكريمة عن وجهها بطريقة عشوائية، ومقززة باستخدام طرف جلبابها، كأنها تسعى للتخلص من أثر غير مرغوب فيه:

_ صباح الورد عليك يا نعمة.

جلست نعمة بجانب والدتها، وقالت بارهاق يفسر ثقل الأيام:

=عايزة أروح السوق اشتريلي كام حاجة، بس بيني وبينك مشوار امبارح تعبني.

قالت أم الديب باستهزاء، وهي تتلاعب بالكلمات لتقلب الموقف لمصلحتها:

أم الديب الجزء الثاني

_وهو انتي جوزك حيلته اللضا؟

تفوهت نعمة بحيرة، وكأنها تبحر في غموض لم تجد له تفسيرًا:

=حمو اداني مية جنيه، وقاله هاتي اللي ناقصك متكتريش، بس قليلين ميكفوش ومش عارفة أعمل ايه!
كأن أم الديب عائدة من غيبوبة طويلة امتدت منذ أيام العصر الحديدي، تتعامل بعملة الإلكترونيوم وكأنها لا تعرف شيئاً عن التطورات التي حدثت عبر العصور. بدت وكأنها تعتقد أن المائة جنيه تعادل مليون جنيه، قادرة على شراء العالم بأسره، محاولة إقناعها بقيمة المال الذي تملكه، وبصوت يحمل مزيجاً من الجدية، قالت:

_قليلين ايه يا بت؟ دول كتير أوي، الست الشاطرة تملّي بيتها بخيرات ربنا كلها بعشرين جنيه، إنما الست الخايبة اللي ترجع بكيسين خضار، متبقيش عبيطة وتخلي الناس تضحك عليك، اتعلمي من أمك يا بت!

تفوهت نعمة بدهشة:

=وده في اقتصاد مين ده ياما؟ هما عاملين سوق غير اللي احنا نعرفه؟ مانتي عارفة الحاجة غالية، ولا انتي عايزاني أعمل زيك وأروح أجيب الخضار، والفاكهة البايطة بأقل سعر؟
تلفظت أم الديب بصياح:

_ايه بقى أي جيب خضار وفاكهة بايظين؟

تراجعت نعمة في الحال عن قولها، ووجهها يكتسي بالفزع، وقالت بقلق متزايد:
=لا أقصد يعني بيكونوا مستويين أوي عن العادي.

قالت أم الديب بوجه عابس، رافضة أي محاولة لفهمها:

_ده انتي خايبة ومايلة، ده المستوي دهو يديكي أحلى طعم مش زي الناشف اللي يقطم السنان.
نهضت نعمة بسرعة، ونطقت بحذر، وكأنها تخشى أن تثير رد فعل غير متوقع:
=طب خلي محمد معاكي عقبال ما أروح أتسوق، والنبي تاخدي بالك منه ياما!

قالت أم الديب بمكر:

_بقى دهو اسمه كلام؟ ده أي أسيب اللي ورايا كله، وأقعد أحرسه ماهو ابن بتي الغالي .
وواصلت حديثها إلى حفيدها بنحو، وكأنها تروي له قصة تملؤها مشاعر العطف:

_تاكل ايه يا ولا؟

أجاب محمد:

=فراخ مشوية.

فرت نعمة للخارج بسرعة، متوجهة إلى السوق، بينما نادى أم الديب ابنتها بقوة، ساعية لاستدعائها من عمق بعيد:

_بت يا نعمة خدي ابنك معاكي أي مش فاضية، قال فراخ قال هو احنا بتوع الكلام دهو؟ مانتوا كلكما طمعانيين فيا وإن كان عليكم نفسكم أموت علشان تورثوني، كله من ليالي بت سلامة، هي اللي بتلعب في دماغهم!

خرجت هايدي من غرفتها بخطوات مترددة، وكل خطوة تأخذها تتطلب شجاعة غير يسيرة، ثم قالت:
=زياد جاي كمان شوية.

ظهرت كراهية أم الديب لزياد بوضوح، حيث تلفظت بكلمات مملوءة بعجيج من الاستياء، كأن كل حرف يعبر عن عمق مشاعرها السلبية تجاهه:

أم الديب الجزء الثاني

_جاي يهيب ايه؟ هو كل يوم هينطننا؟ احنا مورناش غيره ولا ايه؟
ردت هايدي بدهشة:

=هو فين اللي كل يوم ده؟ احنا لسه مخطوبين امبارح!
قالت أم الديب ببغضاء:

_قوايله يخليه في بيت أبوه أحسنله، احنا مش ناقصين وجع دماغ.
نفوحت هايدي بنفور من والدتها المزعجة، وكأن كلماتها كانت صرخات مستغيثة من الإزعاج الذي لا يُطاق:

=في ايه يا ماما؟ اهدي شوية بقى!
ردت أم الديب بصياح:

_حد قالك إن آني بشد في شعري؟
زفرت هايدي بفمها، واتجهت نحو المطبخ، وهي تقول:
=أوف.

سألت أم الديب بتعجب، وهي تواجه موقفاً غير متوقع يستعصي على الفهم:
_انتي بتعملي ايه ياللي تتشكي في جنابك؟

فتحت هايدي الثلاجة تبحث عن مكونات المشروب الذي تنوي تحضيره، وأجابته دون رغبة، كأنها تتحدث من بين أنفاس مشغولة بإعداد شيء يريح أعصابها:
=هعمله حاجة نقدماله!

نهضت أم الديب واقتربت منها، وقالت بصياح يعبر عن امتعاضها المتزايد، وكأنها تسعى لإحداث ضجة تستعيد بها سيطرتها:

_خُشي أوضتك، هو احنا حيلتنا حاجة نحطهاله؟ ولا هو جاي على طمع وناوي يخلص على كل اللي عندنا؟ ماهو طمعان فينا من أولها.

ردت هايدي بعقلانية:

=أنا أتخيل أي حاجة في الدنيا إلا إن حد يطمع فينا، لان ببساطة احنا معدناش حاجة أصلاً!
صرخت أم الديب، ورفعت يديها لأعلى كأنها تستنجد بأعلى السماوات، في محاولة يائسة للاستغاثة بالجيران، وكان حياتهم أصبحت كتاباً مفتوحاً أمام الآخرين بسبب تصرفاتها الحمقاء. لم يكن في صوتها سوى نواح يعبر عن خيبة أملها، ساعية بكل جهدها لجذب انتباه كل من حولها، قائلة بنواح متقطع:
_يا لهوي البت بتعاير أمها بالفقر، البت مش عاجبها عيشتنا يا ناس، يا خرابي، ياريتني دفنتك وارتاحت منك... شوفوا يا ناس بتي بتعمل ايه فيا!

قالت هايدي بدهشة:

=هو في ايه؟ ايه الأوفر ده؟

في الشقة العليا لجلال، كانت ليالي واقفة في المطبخ، مشغولة بإعداد الإفطار، وصوتها يتخلل أرجاء المكان عبر الهاتف، حيث كانت تتحدث مع والدتها تباهي. بينما كانت تتعامل بحذر مع البطاطا، تغمرها في الزيت المغلي، كانت كل حركة تقوم بها مدروسة بعناية لتجنب أي حوادث، فكانت تتحدث بشجن عميق، لم يكن بإمكان زوجها سماع كلماتها، لكنها كانت تعبر عن مشاعرهما عبر الهاتف، فقالت بصوت مليء بالاستياء:

أم الديب الجزء الثاني

_ لا مش جاية النهارده، أهو وقفلي زي الخازوق، ماننش رايحة، وماننش جاية، وأنا هنا الراجل و، و، و.

قالت تباهي، متعجبة من حال جلال الذي تغير بشكل مفاجئ في ليلة وضحاها، وكان التحول الذي طرأ عليه كان درامياً ولا يُصدق:

=جوزك بقى صعب أوي يا ليالي، وبقي يتحكم تحكيمات تخنق.
ردت ليالي بجوى:

_ أه وحياتك عندي، تحسي إن أمه بتلعب في دماغه، وبتقويه عليا... بس ده طول عمره ميبسمعلهاش، اشمعنا المرة دي؟ يعني خلاص دلوقتي بقوا حبايب؟

كان لتباهي طريقة دبلوماسية متقنة في حل المشكلات، مستندة إلى خبرتها الطويلة في الحياة، وكان لديها رغبة داخلية قوية في التحدث مع جلال، ومحاولة إقناعه. في لحظة من التأمل، قالت بنبرة مهدئة، تنسم بالعقلانية:

=ادهوني يا ليالي عاوزة أكلمه كلمتين.

وضعت ليالي المصفاة فوق طبق على الرخامة، وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول، بصوت هادئ يحمل نبرة من الأمل:

_ طيب استني.

ثم خرجت إلى حيث كان جلال يجلس أمام التلفاز، وسلمته الهاتف بين يديه، وقالت بابتسامة محبة، تجسد كل مشاعرها الدافئة تجاهه:

_ أمي عايزة تسلم عليك.

رفع جلال الهاتف إلى أذنه، وعادت ليالي لمتابعة أعمالها في المطبخ، بينما قال هو لحماته بتبجيل:
=ازيك يا حماتي، ايه الأخبار؟

ردت تباهي، وهي تسير في ممر منزلها باتجاه غرفة النوم:

_ الحمدلله، انت عامل ايه يا جلال؟

تفوه جلال بتقدير:

=كله تمام، حمايا عامل ايه؟

تحدثت تباهي بتردد، وهي تخشى أن يلقي طلبها بالرفض، وعيونها تعكس قلقها المتفاقم:

_ كويس الحمدلله، أما بقولك ما تيجي نسهر مع بعض النهارده، ده احنا مشوفناكش من زمان.

رد جلال برفض:

=عندي أشغال، ومش فاضي.

حاولت تباهي إقناعه بطريقة غير مباشرة، وهي تقول، وكأنها تلمح إلى رغبتها بذكاء:

_ لا ربنا يعينك ويرزقك، طب ابعثلي ليالي والعيال ده أنا قاعدة زهقانة والبيت فاضي عليا.

لكن جلال ما زال متشبهاً برأيه، وقال بصوت حازم، كأنه يثبت موقفه برغم كل المحاولات:

=يوم تاني يا حماتي، نبقى نجيلك كلنا نسهر معاكي.

تلفظت تباهي بالحاح، حاملة في كلماتها كل مشاعر الشوق، وهي تتمنى قدوم ابنتها، وأحفادها:

_ ما تيجوا النهارده، يا عالم مين هيعيش ليكرا؟

أم الديب الجزء الثاني

قال جلال بعناد غير ملموس، وهو يتذرع بأعذار أخرى ليبرر موقفه، وكأن كل حجة يتلوها تحاول إخفاء تردد داخلي:

=ماهو أنا مش فاضي يا حماتي، ده أنا بعد ما أفطر هنزل على التوكتوك... بفضل طول اليوم برا وبرجع آخر اليوم.

أعدت تباهي حديثها من جديد، طالبة منه السماح بقدم زوجته وأطفاله، وتحدثت بنبرة مسالمة: _طب اسمع ابعث ليالي، والعيال، وآخر اليوم أبقى عدي علينا وروحوا مع بعض. لأن قلب جلال، الذي يشبه الصخرة في قسوته، قد بدأ يلين نوعًا ما مع حديثها، لم يرغب في رفض مطلبها احترامًا لها ولمقامها. فقال بابتسامة، تعكس مدى تغيّر مشاعره:

=مع إني رافض ولسه قايل لليالي مفيش مرواح في حتة، بس تمام علشانك انتي بس يا حماتي! استقرت تباهي فوق سريرها، وضحكت برقة، وقالت:

_جوز بتي طول عمري أقول عليه جدع، شكرًا يا جلال يابني ربنا يسترك.

رد جلال بابتسامة، تعكس اعترافه بالطلب، وتقبله برضا:

=الله يخليكي يا حماتي، عاوزة حاجة؟

قالت تباهي برضا:

_لا سلامتك.

نطق جلال، وهو يلتقط أنفاسه بعمق:

=سلام .

ثم نادى جلال زوجته بعد أن أنهى المكالمة، وقال بصوت مفعم بالقرار:

=يا ليالي تعالي خدي تلافونك!

وضعت ليالي الطماطم جانبًا وخرجت وهي تحمل الملعقة بيدها، حيث قال جلال بابتسامة، وهو يغمز بعينية:

=روحي لأمك، أنا عملت كده علشانها ومرضتش أز عليها.

ظهرت بشاشة على معالم وجه ليالي، وتأكدت من احترام جلال لوالدتها، مما زاد من مكانته في قلبها، وسعدت بتصرفه النبيل، وقالت بلهفة، معبرة عن امتنانها:

_طب وعلشان الخبر الحلو ده أنا هعملك الأكلة اللي بتحبها.

دخلت ليالي المطبخ وهي ممسكة بهاتفها، تتابع خطوات صنع الفطور بدقة. في الأسفل، عند هايدي، أنهت تحضير مشروب الجوافة بالحليب، ثم اختارت فستان خروج بسيط يناسب المقابلة، وأكملت إطلالتها بمكياج خفيف جدًا ورشة عطر خفيفة. جلست على الأريكة في انتظار خطيبها زياد، ولكن كل هذه التحضيرات لم تنل إعجاب أم الديب. عندما دق الباب، أسرعت هايدي نحو البلكونة، متمكنة من تنفيذ حركتها بسلاسة، ورمت المفتاح لزياد ليصعد إلى الشقة. ثم عادت بسرعة إلى الداخل، حيث كانت أم الديب تراقب الموقف بتجاويد وجه مشدودة. نظرت إليها بقسوة، ثم قالت بلهجة مشبعة بالانتقام:

=كنتي احذفيه بقالب الطوب وخلصينا منه!

ردت هايدي بصدمة، وكأنها لم تتوقع رد فعل أم الديب:

_حرام عليك يا ماما، امسكي لسانك شوية، وبلاش تتكلمي كلام مالوش لازمة!

قالت أم الديب بهدوء:

=ده آني ست غلبانة، وعمري ما أز عل حد مني.

أم الديب الجزء الثاني

ردت هايدي بسخرية:
_أوي ماشاء الله عليكي.
أخيرًا سعد زياد، ومعه هدية صغيرة، وقال بوجه مبتسم، فكان تعبيره يفسر سعادته، وفرحته بلقاء هايدي:
=ازيك يا مرات عمي؟
ردت أم الديب باشمئزاز، كأنه كلب نجس قادم من حاوية القاذورات بالشارع، وكل نظرة تعبر عن احتقارها العميق لمجيئه:
_ أهلاً ياخويا.
نظر زياد إلى محبوبته بغرام، وقال باشتياق:
=وحشتيني أوي يا هايدي!
خجلت هايدي، وردت برقة، وكأنها تذوب في حرارة مشاعره:
_وانت كمان!
تحدثت أم الديب بصخب:
=ايهياتتوا فاكرين نفسكم متجوزين ولا ايه؟ دهانتوا حياالله مشبوكين!
سلم زياد الهدية لأم الديب، وقال باحترام، معبر عن تقديره:
_دي حاجة بسيطة ليكي يا مرات عمي.
أصابت أم الديب غبطة لا مثيل لها، وهي تستلم هديتها منه، فنهضت في الحال، ووجهها يتلألأ بالسعادة، وقالت بحماسة:
=الواد زياد دهو محترم، ويستاهل كل خير.

ثم دخلت الغرفة مُسرعة، وأوصدت الباب خلفها لتفحص ما أهداه زياد لها. بينما جلس العروسان على الأريكة، قالت هايدي بمزاح، وهي تراقب الموقف بعيون مليئة بالمرح:
_ احنا كده خلاص عرفنا نقطة ضعفها ايه!
رد زياد بضحك:
=لا إذا كان كده أنا مستعد أدخل كل مرة بهدية المهم تسيينا في حالنا!
ضحكت هايدي، وتنهدت بعمق، وقالت:
_دي جننتني النهارده، ربنا يكون في عوني.
خرج ابن نعمة من الغرفة، فقال زياد بابتسامة، تعكس سروره:
=ازيك عامل ايه؟
أجاب محمد بغبطة:
_ الحمدلله.

سأل زياد هايدي باهتمام، كأنما يبحث في أعماق روحه عن جواب يروي عطش فضوله:
=ده ابن جلال صح؟
ردت هايدي بوضوح، وهي تضع النقاط على الحروف، لتكشف عن الحقائق بكل صراحة:
_ لا ابن نعمة.

جلس محمد بجانب العروسين بعد أن أوصته أم الديب ليكون عزولاً، وذلك خشية من أن يجد زياد وهايدي نفسيهما بمفردهما دون رقابة. بينما في السوق، كان الفلاحون يتجولون لشراء الخضروات،

أم الديب الجزء الثاني

والفواكه، والطيور، والأسماك، وسط أصداء نداء البائعين التي تعج بها الأجواء. من بين هؤلاء البائعين كانت نعمة، التي تقدمت بخطوات واثقة نحو البائع، وسألته بلطف عن سعر الطماطم، في محاولة لمعرفة تكلفة ما ستشتريه:

=بكام الطماطم يا حاج؟

أجاب البائع، وهو ينتقل بين الزبائن، ويسلمهم أكياس الخضروات، بصوت هادئ يختلط بدفء الشمس الصباحية:

_ الكيلو ستة ونص.

أشارت نعمة إلى طلباتها، وقالت بثقة تامة:

=هاتلي نص طماطم، ونص بطاطس، وربع فلفل.

وأثناء انتظار نعمة، اقترب شاب يبدو أنه جاء بنية غير نية الشراء، بل ربما كان يتجول في السوق ليتسلى بإزعاج النساء المتجولات. كان الشاب يرتدي بنطالاً أسوداً ضيقاً، وفانلة بيضاء قديمة غير مناسبة تماماً لمكان مثل السوق، بينما يلتف حول عنقه سلسلة فضية لامعة تتدلى بشكل مبالغ فيه. كانت هيئته غير منظمة، وعكست تفضيله الواضح للإثارة. نظرت نعمة إليه بنظرة غير مبالية، وعادت بنظرها إلى البائع، وهي مشغولة بانتظار إتمام طلباتها. في تلك الأثناء، تقدم الشاب نحو البائع بوقاحة، وأطلق بنبرة هزلية:

_ هاتلي كيلو خيار.

ثم نظر الشاب إلى نعمة، وسأل بفضول مصطنع، بينما ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة:

_ الحلو واقف سرحان ليه؟

لم تتأخر نعمة في إصدار رد فعلها الصاخب دون أن تنطق بكلمة، فقد أصدرت ضجيجاً عاليًا يهز الأذان، ويثير انتباه الجميع من حولها. ثم قالت بنبرة حادة:

=انت بتكلمني أنا؟

رد الفاسق بدهشة على وجهه، وكأنه فوجئ برد فعلها القوي:

_ أمال بكلم أمي؟ أه بكلمك انتي !

رفعت نعمة صوتها بصياح مدوي، فتجمهر الناس من حولهم، تتأجج نفوسهم بشغف الفضول، متلهفين لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء هذا الشجار المفاجئ الذي اجتاح الأجواء بحدة غير متوقعة، قائلة:

=احترم نفسك بدل ما أقلع اللي في رجلي، وعلى دماغك!

رد الشاب بصياح:

_ مش عيب اللي بتقوليه ده؟

قالت نعمة بصخب يعبر عن السخط المتصاعد:

=انت خلّيت فيها عيب يا روح أمك؟

انتزعت نعمة رداءها بعنف من قدميها، ثم عمدت إلى دسه فوق رأسه، فتجمع بقية الناس بسرعة، في حين لم تكتف بذلك، بل بادرت بالاتصال بجلال، أخيها، ونطقت بصوت متألم ملؤه الانتحاب، يعبر عن معاناتها:

_ ألو يا جلال الحقني، وأنا بشتري من السوق جه واحد وعاكسني، الحقني بسرعة!

نهض جلال بسرعة من على الأريكة، وقد امتلأ صوته بصياح حاد يعبر عن الاستعجال، والقلق، وسأل باستفهام:

أم الديب الجزء الثاني

=انتي فين يا بت؟

أجابت نعمة بنواح:

_السوق اللي جنب البيت، الحقني!

أنهى جلال المكالمة معها بسرعة، ثم انقض كطائر جريح نحو السوق، يتحرك باندفاع يجسد مشاعر الفلق التي تعتريه، وعندما وصل إلى مكان الحادث، لم يتردد في اقتلاع الفانلة من على جسده، وأخرج المطوى من جيبه في لحظة تاهب قصوى، وسط صرخات النساء المتعالية التي ملأت الأجواء. كان المنظر مروعاً، حيث اندفع كل واحد من الحضور محاولاً الهروب بعيداً، بيتعدون عن مصدر الخطر، محاولين حماية أنفسهم من الأذية التي قد تصيبهم، وبينما كان الفرع يسيطر على الحشود، رفع جلال صوته بنبرة صارمة، تعكس عزمته القوية واستعداده لتجاوز أي عقبة في سبيل الدفاع عن شرف عائلته:

=هو فين؟ انت يا ض اللي عاكست أختي؟

رد الشاب بخوف:

_مش أنا.

أشارت نعمة نحوه، وهي تعول بقوة، متكئة على مشاعر الاحتجاج التي تتعاضم في قلبها:

=وربنا هو!

تشبث جلال به بجبروت، وهو يتعامل مع الموقف بكل قسوة، حيث اتكأ بقوة على رأسه وجميع أجزاء بدنه، مما أسفر عن مشهد مؤلم. تجمهر الناس حولهم، وقد ضج المكان بصوت ارتفعت حدته بشكل كارثي، مما أضاف إلى الأجواء رهبة. في خضم هذا النزاع العنيف، وبحضور الفوضى، والصراخ الذي يملأ الأفق، صرخت نعمة. بينما كان جلال يوطأ بطغيان عارم، كان يسعى إلى تأكيد حقيقة مؤلمة: أن كل من ينتمي إلى دائرة عائلته هو بمثابة أسلاك كهرباء عالية التوتر، لا يمكن الاقتراب منها دون أن يتعرض المرء لخطورة الموت المحتم، فقال:

=أختي خط أحمر يا روح أمك!

رغم كل المحاولات اليائسة من قبل الناس لفصلهم، لم يكن هناك قائد يستطيع السيطرة على الوضع، فاستمر جلال في ما تبقى له من طاقة، حتى انتهى منه، مما أدى إلى تكسير عظام جسده وانفصاله إلى أجزاء متناثرة، وبعدما قضى جلال عليه تمامًا، وقف أمامه، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يصرخ بصوت مدوي، يعبر عن انتصاره، ثم قال:

_علشان تبقى تعاكس أختي يابن الـ.***

نطق الشاب بألم شديد، وهو ينازع في اللحظات الأخيرة من حياته، صوته كان متقطعاً، يعبر عن مرارة الهزيمة:

_آه، آه.

نظر جلال خلفه، ففاجأته رؤية ثلاثة آخرين، كل منهم يحمل سكيناً أو مطواة حادة، مما أضاف إلى الوضع تعقيداً وخطورة بالغة. بدا أن النزاع قد تفاقم بشكل يتجاوز الوصف، كأنما تحول إلى مشهد يشبه العاصفة التي لا تعرف الرحمة. في خضم هذه الفوضى، نطقت نعمة بصوت مليء بالعويل، وهي تصفع وجهها بيديها:

=يا لهوي يا لهوي!

أم الديب الجزء الثاني

اقترب جلال منهم بثقة، كأنما هو أسد لا يهاب أي تحدٍ، يتحرك بخطى ثابتة تعكس شجاعته الفائقة، وعندما اقترب بما يكفي، نطق بكلمات مليئة بالشجاعة، معلن بوضوح استعداداه لمواجهة أي تهديد: _انتوا اللي جيبتهو لنفسكم!

ثم بدأ جلال معركته العصبية ضدهم، معركة كانت تكتظ بالشراسة، حيث تمازجت الأصوات المدوية للمطواة، والسكاكين مع صرخات الألم. وسط تبادل الضربات الشرسة، تلقى جلال ضربة قاتلة بسكين في جانبه، كانت من شدة قوتها تجعله ينحني من الألم، ويقع على الأرض، عاجزاً عن الحفاظ على صلب طوله، في مشهد يبعث على الرهبة. بينما كان صوت النساء يعلو بالعويل، تجمعت حولهم سحابة من الصرخات التي تعبر عن الذعر. تقدم زعيم العصابة نحو جلال وهو يتسم بشراسة مطلقة، وقد ملأت عينيه نيران التحدي، وأخذ يصرخ بكلمات حادة، قائلاً:
=اللي يجي علينا ميسلمش من شرنا، وانت جيت علينا فاستحمل!
ثم تركوه وغادروا، وهو غارق في دمائه ويعاني من ألم عارم، كأنما هو غارق في بحر من المعاناة. اجتمعت الناس حول جلال، يهرعون لمحاولة نقله إلى المستشفى، وأولهم كانت نعمة التي اندفعت نحو جلال بكل سرعة، قلبها يملؤه الفزع. صرخت بأعلى صوتها، مشبعة كلماتها بالعويل الحار:
_جلال أخويا!

عندما جهزت ليالي الإفطار الشهي، وخرجت به إلى الطاولة، جلست في انتظار عودة زوجها الذي خرج فجأة، بينما كان أطفالها يلعبون حولها، يلتقطون شرائح الطماطم المتبللة بالكمون بمرح طفولي، وفجأة نطقت بدهشة، تعكس استغرابها من تفهقر جلال:
=هو نزل راح فين؟ أمال قاعد يقولي جهزي الفطار أديني جهزته أهو.
في تلك اللحظة، تلقت ليالي اتصالاً مفاجئاً من نعمة. رفعت سماعة الهاتف، وتعبير الدهشة لا يزال يكسو وجهها، ثم نطقت بصوت ملؤه الاستفهام:
_ألو يا نعمة.
نطقت نعمة بإعوال:
=جوزك اتصفي في الشارع يا ليالي!
يتبع....

الفصل الأخير

لم تستطع ليالي أن تصدق أن زوجها قد وقع ضحية للأذية على أيدي قوى شريرة، فتسللت برودة مرعبة إلى أوصالها، وارتجف جسدها كأوراق شجر خريفية تتراقص في مهب الريح العاصف، لتتسلل من بين شفتيها كلمات مشبعة بالذهول:

_ انتي بتقولي ايه؟ جلال؟ يا نهار أسود !

ثم نهضت بسرعة كالسهم المنطلق من قوسه، و علا صوتها بالنحيب كأغنية حزينة تخترق الصمت، وأردفت بفرع يملأ عينيها بريئاً من الرعب المستبد:

_ انتوا فين؟

بعدما علمت ليالي من نعمة بالمكان الذي يرقد فيه زوجها المصاب، انقبض قلبها بين ضلوعها كطائر مذعور، فدخلت غرفتها بخطوات متعثرة وهي تكاد لا ترى شيئاً من شدة القلق، وارتدت عباؤها وحجابها كما لو كانت ترتدي درعاً يحميها من عالم غريب يملؤه الخوف، ثم اندفعت خارج المنزل بسرعة لم تترك مجالاً للشك في عزمها، وهرولت إلى المستشفى كأنها تسابق الزمن، صراخها يمزق صمت الشوارع الخالية، وبمجرد أن وقعت عيناها على نعمة التي كانت تبكي بحرقة، اندفعت بجسدها كمن يحمل ثقل العالم بين ذراعيه نحوها، وعانقتها بقوة، وقالت بصوت يكاد يتمزق من الشجن:

_ جوزي، استرها عليه يارب.

ضربت نعمة وجهها بعنف، كأنها تحاول إيقاظ نفسها من كابوس صنعهت بيديها، وقالت بصوت مقل بتأنيب الضمير، وقد انعكست في عينيها عذابات الندم بعد أن تسببت في أذية أخيها:

=أنا السبب يا ليالي، أنا السبب!

تشبثت ليالي بعنق نعمة بأيدٍ قوية كالصخر، كأنها تتعلق بحافة هاوية، وفتحت عينيها على اتساعها كمن أفاق من صدمة، بينما كلماتها خرجت من بين شفتيها بذهول عميق، غير مصدقة لما سمعته، قائلة:

_ انتي السبب ازاي يا نعمة؟ ردي عليا انتي السبب ازاي؟ عملتيله ايه؟

أجابت نعمة بانتحابٍ متقطع، والكلمات تُنزع من أعماقها مع كل شهقة، في صوتٍ مشبع بالمرارة:

=اهدي بس يا ليالي وأنا هقولك!

تركت ليالي عنق نعمة بتردد وكأنها تتخلى عن آخر أمل، ووضعت يدها على صدرها، حيث ينبض الألم كطوفان جارف، ثم أطلقت صرخة مدوية خرجت من أعماق روحها المعذبة، قائلة:

_ يارب... يارب أسترها!

حينما كان النحيب يتصاعد من حنجرتها كصوت جرح غائر، سقطت ليالي تحت وطأة الألم النفسي الذي اجتاحتها كعاصفة لا ترحم، فمالت نعمة نحوها بقلب مشفق تفيض منه العاطفة، وكأنها تحاول أن تضم شظايا روحها المتكسرة، ثم نظرت إليها بعيون باكية، مشبعة بالحنان، وهمست بكلمات خافتة تفيض بالمواساة:

=هيبقى كويس يا ليالي.. بس اهدي!

في تلك الأثناء، كانت هايدي وزيايد يجلسان في الصالة الواسعة، وقد انساب بينهما حديث ناعم يحمل في طياته مشاعر غامرة، يجسده بريق العيون ونبرات الصوت العاشقة، وكأن الكون كله قد أصبح مجرد خلفية لمشهد يتجسد فيه الغرام بأبهى صورته. أمامهما كان كوبان من مشروب الجوافة بالحليب، الذي أعدته هايدي بعناية، يتلألأ تحت ضوء الشمس المتسلل من النافذة. بينما كانا يتبادلان الكلمات إذ فجأة،

أم الديب الجزء الثاني

تحطم هذا الهدوء الساحر على صوت صارخ اخترق الأجواء، حين خرجت أم الديب من غرفتها، وشقت الصمت، وهي تصرخ قائلة:

_يا لهوي، أخوكي اتضرب بالسكينة يا بت!

توقفت هايدي عن الشرب، وقد تجمدت يدها في منتصف الطريق إلى فمها، وسرعان ما تحول بريق عينيها إلى شعاع من الفزع الذي ارتسم على وجهها، ثم همست بصوت مرتجف:
=مين فيهم؟

ردت أم الديب بضجيج:

_أخوكي جلال، جيب العواقب سليمة يارب، يلا يا بت قدامي!

نهض الجميع على عجل، وتركوا ما في أيديهم من أكواب، حيث تدرجت الأكواب على الأرض مبعثرة كقطرات مطر تسقط على رصيف شارع هادئ، واتجهوا بسرعة نحو الخارج، تاركين الأطفال بمفردهم في المنزل، وكأنهم ينسون عوالمهم الصغيرة في خضم الفاجعة، وبينما كان الهواء يعانق خطواتهم المتعجلة، أشار زياد إلى توكتوك كان يمر بالقرب منهم، وطلب منه التوجه بسرعة إلى الوحدة الصحية بالقربية، وكان الوقت أصبح عدوًا يقف بينهم، وبمجرد أن وصلوا إلى الوحدة الصحية، دفع زياد بسرعة الحساب، ثم انطلقوا إلى داخل المبنى، حيث كانت أقدامهم تطرق الأرض بقلق، وبمجرد أن خطت قدما أم الديب داخل المستشفى، اختلطت أنفاسها بحمى الفزع، وصاحت بصوتها المجلجل الذي ارتد صداه في أرجاء المبنى، قائلة:

=يا عيني عليك يا جلال، يا عيني عليك ملحقتش تفرح بشبابك... هتسيب عيالك لمين؟ يالهوي!

صرخت ليالي، وصرختها جاءت من أعماق قلب يكاد ينفطر من الرعب، وقالت برهبة عميقة:

_ما ياما قولتله الشر آخرته وحشة، قولتله يمشي جنب الحيط علشان يعرف يربي عياله... يا بختك الأسود يا ليالي... يا لهوي يانا، يارب انجدنا.

تحدثت أم الديب بصخب، وكل كلمة تنفجر من بين شفتيها كصوت طلقات المدافع:

=كله منك انتي السبب، انتي اللي بتلعي في دماغ ابني وبتوزيه على الشر، مش خايفة عليه، كل اللي يهمك نفسك!

ردت ليالي بصياح:

_وأنا مالي باللي حصل؟ هي أي مصيبة تحصل تبقى ليالي هي اللي عملتها؟

تلفظت نعمة بأسى، وكل حرف يخرج من بين شفتيها يحمل معه عبء الألم، بينما كانت ملامح وجهها تترجم معاناة قلبها المكسور:

=محصلش ياما، أنا السبب في اللي حصل ده!

سألت أم الديب باستغراب، وكأن صدمتها قد تجسدت في كل تفصييلة من تعبير وجهها، بينما كانت عيناها تتسعان بإندهاش كبير:

_انتي السبب ازاى يا نعمة؟

أجابت نعمة ببكاء:

=لو مكنتش اتصلت بيه وحكيته مكنش كل ده حصل من الأول!

جلست أم الديب على المقعد، فاحتلت حيزًا كبيرًا منه حاملة كل ثقل الآلام، بينما كانت هايدي تستند إلى جانبها، وقد تركت زياد واقفًا بجانبهم، كأنه يشهد مشهدًا يكتنفه التوتر. مدت أم الديب يدها بوطأة عنيفة على ساقها، كمن يستند إلى ملاذ صلب في لحظة عجز، بينما كان النحيب يتسرب من بين شفتها، قائلة:

أم الديب الجزء الثاني

_ يا عيني عليك يا جلال، ده انت طول عمرك أسد يا ولا، والناس كلها بتعملك ألف حساب... غدروا بيك، يا لهوتي!
ضمت ليالي ذراعيها إلى صدرها، وكأنها تبحث عن حماية داخل عناقها الشخصي، ثم انفجرت بالبكاء، متمنية من أعماق قلبها أن يتجاوز زوجها أزمة المرض التي ألمت به، وقالت:
=قومه بالسلامة علشان عياله يارب، مين هيربيهم من بعده؟ آه يا وجع قلبي آه.
قال زياد باطمئنان، وقد تجلت على وجهه سمات الثقة:
_ ان شاء الله هيقوم بالسلامة.
ردت هايدي بانزعاج:
=ايه البخت الأسود ده؟ ضاقت عليهم طول السنة حبكت يعني بعد خطوبتي بيوم؟ ده أنا ملحققتش أفرح!
تلفظ زياد برضا، وقد امتلأ صوته بنغمة من الاستقرار:
_ خلاص يا هايدي هنعمل ايه طيب؟ ده قضاء وقدر !

بعد مرور عشر دقائق من الترقب، حضر المعلم حنفي برفقة أبو محمد، وقد ظهرت على وجهيهما علامات الاستعجال، والخوف على وقع سماع الكارثة التي ألمت بجلال، كأن كل خطوة تقريهما كانت تضاف إلى رصيد التوتر الذي يجتاحهما، وبمجرد أن اقتربوا من مكان الحادث، سأل المعلم حنفي بصوت مملوء بالخشية، وهو يتطلع إلى الأفق الذي قد يحمل أخبارًا قد تكون حاسمة، بشأن تطورات صحة ابنه الأكبر، الذي يواجه أزمة صحية:
=جلال ماله؟

سأل أبو محمد هو الآخر، وقد بدا عليه الارتباك:

_ جلال كويس يا بسمة؟

وطأت أم الديب فخذيها بعنف، كأنها تبحث عن ملاذ من الألم، بينما كان نواحها يملأ الفضاء حولها بعبير الأسى:

=غزوه بالسكينة يا أبو محمد، غدروا بيه، يا ترى هيقوم منها ولا هيموت، يا ترى هنلاقي محلات فاتحة نجيب منها كفته؟

اقتربت ليالي منها، وهي تبدي كل مشاعر الرهبة تجاه حالة زوجها، وكأن كل خطوة تخطوها نحو أم الديب كانت محملة بأثقال من الحزن، في حين كانت أم الديب تستمر في نواحها المتواصل، غير مكترثة بتأثير كلماتها الجارحة التي تتفلت من بين شفثيها كالسكاكين الحادة، وكأنها لا تأخذ في اعتبارها كيف يمكن أن تؤثر هذه الكلمات على مشاعر الآخرين، فقالت:

_ بعد الشر، متقوليش كده، حرام عليكى!

نظر أبو محمد إلى سقف المبنى، وكأن عينيه تبحثان عن مخرج من هذا المشهد المؤلم، ثم قال بترح:
=لا حول ولا قوة إلا بالله، خير بأمر الله.

سأل المعلم حنفي بشجن، وكل حرف ينطق به يحمل في طياته مرارة اللحظات الصعبة:
_ جلال ودوه فين؟

ردت نعمة بانتحاب:

=في العمليات يابا، ادعوله!

دعا أبو محمد الشيخ التقى لجلال الطائش، متمنيًا من أعماق قلبه أن يستفيق على خير، وتمنى أن يأتي الفرج على يد. الشيخ الذي كانت بركة دعائه تنير دروب الأمل في أوقات الأزمات، قائلًا:

أم الديب الجزء الثاني

_ أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيه شفاء لا يغادر سقاً، اللهم آمين.
ازداد صراخ أم الديب، وتفاقم نواحيها إلى درجة ملأت الأجواء بالأمها، بينما كانت كلماتها تخرج
بإعوال يقطر من بين شفثتها كحمم الانهيار، وهي تقول بلهجة مضطربة تنبع من معاناتها:
=يا خراب بيتك يا أم الديب... يا بختك المايل، ابنك الكبير بين الحياة والموت، يا عيني عليك يا ولا.
نفوحت ليالي بصراخ:

_ تُفي من بوقك يا حماتي متقوليش عليه كده، ما قولتلك بعد الشر، ولا انتي عايزاه يحصله حاجة؟
توقفت أم الديب عن البكاء التمثيلي فجأة، وكأنها انتقلت من حالة الحزن المفتعل إلى حالة الاحتدام
الثائر، فتبدلت نبرتها إلى عتاب حار يشبه انفجار بركان متأجج، وهي تتساءل بحدة عن سبب جراءة
ليالي عليها دون أدنى اعتبار لمقامها:

=انتني بتغلطي فيا يا مقصوفة الرقبة؟ بتغلطي في حماتك اللي شايلة همك، ومستحلامي؟

أجابت ليالي بشجاعة، بينما كانت نبرات صوتها تعكس استنكاراً عميقاً لأي فعل حسن قد تكون أم الديب
قد قامت به في أي يوم من الأيام، كأنها تبحث في ذاكرة الماضي عن دليل ينقض ادعاءات أم الديب،
وتنكر كل مظاهر الطيبة التي قد تكون قد قدمتها:

_ شايلة همي فين؟ هو احنا بنستفاد منك بحاجة؟ ده انتي مطلعة عين اللي جابونا!

قالت أم الديب بصخب عال:

=أمال؟ ما هو حبيبيك ييلعلك الزلط، وعدوك يتمناللك الغلط يا بت.

اقتربت نعمة بخطواتها الواسعة نحوهم، وكل خطوة تحمل معها حجم الاستياء المتراكم، وصاحت بهم
قائلة بضيق واضح:

_ اسكتوا متوترونيش، أنا خايفة عليه!

عند أحمد في قناة التلفاز التي يعمل بها كمدير، كان جالساً في مكتبه، غارقاً في أداء عمله على
اللابتوب، حينما رن هاتفه فجأة رفع نظره عن الشاشة وتوقف عن الكتابة، وبتأمل هادئ، قال بصوت
معتدل:

=ألو يا زياد، عامل ايه؟

تفوه زياد بحزن:

_ جلال اتضرب بالسكينة، وفي المستشفى دلوقتي!

نهض أحمد بسرعة، وهو يحرك سهم الفأرة على الشاشة في محاولة لإغلاق اللابتوب بسرعة، بينما بدا
الفرع واضحاً على ملامحه سأل، وقد تسرب القلق إلى صوته:

=يا نهار أسود، جلال ماله؟

أجاب زياد بترح، كما لو كان يعبر عن خيبة أمل لا يمكن تجاوزها:

_ الظاهر أنه دخل خناقة مع حد.

بعدما أغلق أحمد اللابتوب، جمع أوراقه بسرعة وأعاد ترتيبها في المكتب، ثم انتزع مفاتيحه والجاكيت
المعلق على الكرسي، وتحرك بسرعة حاسمة. كان يتحدث باهتمام متزايد، كما لو كان يسعى لمتابعة
أمر طارئ يتطلب تركيزاً كاملاً، وسرعة في التصرف:

=انتوا فين طيب؟

قال زياد بتأثر:

_ المستشفى اللي في بلدكم.

أم الديب الجزء الثاني

رد أحمد بينما كان يخطو بسرعة بين الموظفين في القناة، وكل خطوة تعكس صعوبة الموقف الذي يواجهه. كانت نبرته مفعمة بالتعجل:

=طيب أنا جاي، سلام.

ثم خرج أحمد من الشركة، وركب سيارته متجهًا بسرعة عالية إلى بلدة أبو حلاوة، دون أدنى خوف من الحوادث المتوقعة، كأن كل ما حوله قد تحول إلى مجرد تفاصيل هامشية في مواجهة عجلة الزمن. بينما في المستشفى، لاحظت هايدي أن زياد يتحدث في الهاتف بلهجة مشدودة، وعندما اقترب منها، سألته بخوف في عينيها:

_ انت قولتله؟

أجاب زياد بوضوح، وقد تجلى في صوته توتر محكوم بقدر من الثقة:

=أيوه كان لازم يعرف.

قالت هايدي بانزعاج، وكأنها تعبر عن نفاذ صبرها من الموقف الحالي:

_ انت كده هتعطله، بقى هيسيب كل اللي وراه علشان يجي لجلال؟ ما كلنا عارفين إن جلال بتاع مشاكل، وهو اللي بيحبب الكلام لنفسه... مش كل ما حاجة تحصل هنسبب اللي وانا ونجري وراه! تعجب زياد من كون جلال الأخ الأكبر لها، ومن المفترض أن يكون له مكانة خاصة في قلبها، إلا أن الحقيقة الصادمة كانت أنها لم تبال بما حدث له، وكأن كل ما يشغل بالها هو أحمد، الذي قد يتعرض للاضطراب في متابعة أعماله بسبب تهور جلال وما يترتب على مشاكله، ووسط استغرابه من هذا التجاهل، قال بصوت ملؤه الأسى، عاكسًا حجم الصدمة التي يشعر بها:

=غريبة أنك بتقولي كده وده أخوكي، المفروض يعني أنك تكوني متأثرة باللي حصل! تنهدت هايدي، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت بهدوء مطمئن:

_ جلال أخويا بالاسم، عمري ما حسيت أنه أخويا. عصبي، ولسانه طويل، وأسلوبه وحش، كل كلامه زق، معندوش حنية، ولا يسمع عنها!

نطق زياد بمحبة، وكان كل كلمة يلفظها تحمل في طياتها رغبة صادقة في تعويضها عن كل ما فاتها من حنان:

=لو ربنا مرزقكيش بأخ طيب وحنين، فأنا هعوضك عن كل ده يا هايدي!

ردت هايدي بعشق نابض بمشاعر الحب، بينما كانت عيناها تتلألأان ببريق عاطفي:

_ شكرًا يا زياد، مش عارفة أقولك ايه بجد، انت أحسن حاجة في حياتي!

قال زياد بصباغة، وقد تجلى في صوته شغف كبير:

=متشكرنيش يا هايدي، احنا خلاص بقينا واحد.

وسط الأجواء الغرامية الحاملة، ظهرت لهم أم الديب كنسمة مفاجئة تخرق السكينة، وصاحت في آذانهم بصوت عالٍ كأنها تعمد إزعاجهم بشدة، بينما كانت نبراتها مليئة بالإعوال، وكل كلمة تنطق بها كانت صرخات تعبر عن احتجاجها بطريقة لا يمكن تجاهلها، قائلة:

_ يا لهوي، يا مصيبيتي، يا عيني عليك يا جلال، يا بختك المايل يا جلال.

انفزعت هايدي، وضمت يدها نحو قلبها في محاولة لتهدئة نبضاته المتسارعة، بينما كانت تحاول اللحاق بأنفاسها التي انقطعت بفعل صرخات الوالدة، نطقت:

=قلبي!

أم الديب الجزء الثاني

تلقي زياد أنفاسه هو الآخر، وحاول أن يستعيد هدوءه وسط الاضطراب الذي أثارته أم الديب، بينما كانت ملامح وجهه تعكس توترًا. سأل بارتجاف، وصوته يرتعش قليلاً من تأثير المفاجأة:

_ هو في ايه؟

قالت أم الديب بقهر يغمر روحها:

=مك الله ياللي في بالي!

ونظرت إلى ليالي بعدوانية، عازمة على توجيه أي اتهام إليها حتى وإن لم تكن مسؤولة عن الموقف، فتوجهت نعمة نحوها، وقالت بنبرة متألّمة، وكأنها تحاول أن تصف حجم المعاناة التي تسببت بها هذه المشكلة:

_ أقعدي ياما بقى!

جلست أم الديب بجانب نعمة، يواصلان انتحابهما، بينما كان الاستياء يتسلل إلى كل زاوية من المكان، وكل لحظة تمر تزيد من وطأة الألم الذي يعصف بهما. بعد نصف ساعة من هذا المشهد المروع، حضر حسين، وهو يسير بسرعة عبر ممرات المستشفى، وقد بدا على وجهه قلق وخوف حقيقي من احتمال فقدان ابن أخيه في أي لحظة. كان خطواته تتسم بالتعجل، كأن كل لحظة تأخير قد تكلفه أكثر مما يستطيع تحمله. وعندما اقترب منهم، سأل برهبة، وصوته يرتجف من تأثير التوتر:

=جلال ماله يا حنفي؟

رد المعلم حنفي باستياء:

_ اتضرب بالسكينة، بيقولك دخلت في الكلية عملت نزييف.

تحدث حسين بفزع، وكان صرخات الخوف قد تجسدت في صوته، مشدوهاً من هول ما رأى، وقلبه يضح بالقلق الذي لا يعرف له هدأة:

=لا حول ولا قوة إلا بالله، وده حصل ازاي بس؟

قال المعلم حنفي بصياح مدوي:

_ كله من المشاكل، لو يمسك لسانه، وايده مكنش كل ده حصل... ده كويس أنها جات على قد كده، ده لو واحد ثاني كان راح فيها.

تلفظ حسين باهتمام، مستشعرًا أهمية اللحظة التي تتطلب تركيزًا لا حدود له:

=وخرج من العمليات ولا لسه؟

أجاب المعلم حنفي بخوفٍ جلي، وكان نبرات صوته قد أثقلت بظلال الرعب:

_ لسه.

بعدما أنهوا حديثهم، خرج الممرضون من غرفة العمليات، وهم يدفعون السرير المتحرك الذي يحمل جلال، الذي كان غارقًا في سبات عميق، كأنه في عالم آخر بعيد عن هموم الدنيا. ما إن رآته ليالي ونعمة حتى اندفعا نحوهما، عيونهم تتسابق إلى تأمل الحالة، وقلوبهم تدق بقلق شديد. تم إدخال جلال إلى غرفته، بينما خرج الطبيب من غرفة العمليات، وعليه عرق متصبب يعكس الجهد الكبير الذي بذله. توجه إليه المعلم حنفي وحسين، وقلوب مشحونة بالهموم، سأل الطبيب بترقب:

=جلال ابني ماله يا دكتور؟

أجاب الطبيب بصراحة، كما لو كان يستعرض واقعًا مؤلمًا لا يمكن التستر عليه:

_ حصله نزييف في الكلية بس سيطرنا عليه، ولحقناه وخيطنا الجرح، خدوا اصرفوا العلاج ده من أي صيدلية.

أم الديب الجزء الثاني

استلم زياد الروشة من الطبيب، وخرج من المستشفى، عازماً على العثور على أقرب متجر أدوية
لصرف العلاج المكتوب، وهو يحمل بين يديه أملاً ضئيلاً في تخفيف معاناة جلال. في تلك الأثناء،
دخلت النساء غرفة جلال، حيث هرعن ليالي نحو سرير زوجها، وقد اجتاحت دموعها وجهها وملأت
صرخات أنينها أرجاء الغرفة، وبينما كانت تتوسل بحرقه، قالت:
=قوم بالسلامة علشان خاطر عيالک!

قالت نعمة باستعبار، وقد تجلت على ملامحها ظلال الأسى:

_ربنا يشفيك، ويسترها معاك، سامحني ياخويا...أهو كل اللي جراه ده بسببي، كان بيدافع عني يا
ليالي، جوزك راجل أوعي تخسريه!
تلفظت ليالي ببكاء مرير، بينما كانت تتشبث بيديه برأفة، وكأنها تستمد قوتها من التماس هذا الاتصال:
=وأنا أقدر أزعله برضه يا نعمة؟ ده هو اللي ساترنا، ده احنا من غيره ولا حاجة، العيال يا هايدي،
روحي هاتيهم!

ردت هايدي بانزعاج:

_أنا لو روحت مش راجعة!

قالت أم الديب بصخب:

=ايهي أمال انتي لازمك ايه يا بت؟ مش فالحة غير في الهز والرقص؟ إنما محدش فينا يستنفع منك
بحاجة!

ردت هايدي بعصبية، مُظهرة اضطرابها من مجريات الأمور التي زادت من احتقانها:

_يوه، كل ده علشان رفضت؟ خلاص أنا رايحة، وسعوا!

تفوهت نعمة بشجن:

=خلاص ياما مالوش لزوم تجيبهم، خليها تقعد معاهم وخلاص، دول هيجوا هنا هيعملولنا زحمة.
حاولت هايدي أن تطمئنهم لتتخلص من الجلسة المُزعجة في المستشفى، وتعود إلى غرفتها لتستعيد
هدوءها. فقالت، وهي تبتسم بجهد:
_أنا هقعد معاهم، ومتقلقوش عليهم.

ردت نعمة باستياء:

=ماشى يا هايدي خدي بالك منهم !

خرجت هايدي وذهبت إلى المنزل لرعاية أطفال أخواتها، حتى لا يكونوا بمفردهم ويتعرضوا للخطر.
وقد ركبت التوكنوك وعادت بسرعة إلى دارهم، حيث اجتمعت بالأطفال وطمأنتهم. بعد ساعتين، وصل
أحمد إلى المستشفى، مفزوعاً، وظهرت عليه علامات القلق الجسيم. خطى في الممرات بهيئته
المرموقة، تتسابق خطواته نحو أفراد الأسرة، وهو يحمل في عينيه توترًا. ما إن وصل إليهم حتى سألهم
برهبة، وكان كلماته تتعثر بين شدة القلق:

_جلال عامل ايه دلوقتي؟

قال المعلم حنفي بوجه عابس، يحمل الكثير من الآلام:

=زي ماننت شايف كده أخوك جاله نزييف على الكلية ولحقوه... مانا ياما قولتله بلاش مشاكل يا جلال
بس هو يحب المشاكل زي عينيه.

رد أحمد بعصبية:

أم الديب الجزء الثاني

_مشاكل تاني؟ هوانتوا مبترتاحوش غير لما تعملوا مشكلة جديدة؟ يابني حرام عليك، انت عندك عيال ولو حصلك حاجة هيضيعوا من غيرك!

قالت ليالي بشجن، وهي تمسح دموعها بحركة مترددة، وكل مسحة تعبر عن أوجاع قلبها:
=كل يوم أقوله نفس الكلام ده... يسمع الكلام من ناحية ويخرجه من ناحية ثانية خالص، كان علينا بياه ده كله؟

تحدث أحمد بنبرة جادة، مبررًا جدية الموقف، وحجم القلق الذي يعتريه:

_جلال لما يقوم بالسلامة ليا كلام تاني معاه.

تفوهت نعمة بأسى، بينما دموعها لم تجف بعد:

=آه يانا آه.

صاحت أم الديب في ابنتها بقسوة، وكأن صرخاتها تتدفق كالسياط، تحمل في طياتها مشاعر الخيبة، وقالت بحدة، وكلماتها تنقطر من صميم الاستياء الذي يعصف بها:
_خلاص يا بت ماهو الداكتور قالك لحقو، ولا هو وجع دماغ وخلاص؟
وأردفت لأحمد بفظاظة:

_آني راجعة البيت ألحق نصيبي في الجاتوه اللي حماتك جابته، البت أختك سرحت عليه الصبح.

نهضت أم الديب من مكانها، مما جعل المعلم حنفي يتبادل نظرات الاستغراب. فقد تجسد على وجهه شعور غير متوقع، وكأن تصرفها قد أحدث صدمة مفاجئة، فقال:

=جاتوه ايه؟ ابنك حالته خطر وانتي راجعة البيت تحشي؟ انتي ايه يا ولية مفيش دم؟ ده انتي مش

راحمة نفسك لا صبح ولا ليل... بؤك شغال أربعة وعشرين ساعة!

ردت أم الديب بعجيج متصاعد، وكلماتها متدفقة من أعماقها في زوبعة من الاستياء، تعبر عن ثورة مشاعرها في لحظة لا تحتل الهدوء:

_وانت مالك، هو دهو بؤي ولا بؤك؟

تفوهت نعمة بجلجلة:

=خلاص ياما ارجعي البيت، ريجونا بقى!

غادرت أم الديب المستشفى، متجاهلة حالة ابنها الحرجة، متجهةً نحو المنزل بدافع تناول الكيك الذي شغلت به نفسها، وعندما سعدت إلى المنزل، اكتشفت أن حفدتها مجتمعين مع العمه هايدي، مستمتعين بالكيك الشهي، وكأنهم قد نسفوا خطتها التي كانت تدور في ذهنها. ففوجئت بالمنظر الذي يضيف إلى غضبها، وارتفعت نبرات صوتها بالصراخ، قائلة:

_ده الجاتوه يا بت؟

ردت هايدي بتلعثم:

=أيوه يا ماما، ما هما كمان ليهم نفس زيك اشمعنا انتي يعني؟

فرت أم الديب مُسرة، وكأنها تسابق الزمن، تجمع الأطباق من بين أيديهم جميعًا بقسوة، وكأنها تريد أن تعيد النظام إلى ما كان عليه. دخلت المطبخ وهي تصرخ، وصوتها يتعالى، مبددة كل لحظات الهدوء التي حاولوا الاستمتاع بها، قائلة:

_بقى يا بت الكلب بتستغلي إن آني في المستشفى وبتلعبي بديلك؟ عاوزة تطفحي الجاتوه انتي والعيال

ويخلص عليكم؟ وآني منابي فين؟ ايهي وايه الحنت الكبيره دهه؟

استقامت هايدي، وقالت بترقب:

أم الديب الجزء الثاني

=ليه هو أنا بقطع من لحمي زيك؟

ما إن تسللت السبع كلمات من فمها، حتى انطلقت كالسهم في الهواء، لتستقر مباشرة في أذن أم الديب. لم يكد الصوت يصل إلى مسامعها حتى اشتعلت نار السخط في عينيها، فتوهجتا ببريق لا تخطئه العين، وانقلبت ملامحها لتتسع حنقًا، ومع كل خطوة كانت تخطوها أم الديب باتجاه هايدي، يزداد القلق في قلب هايدي، فتراجع بخفة، محاولة الهرب من تلك النظرات الثاقبة التي تلاحقها. وفي تلك اللحظة، انفجر صوت أم الديب كالرعد، قائلة:

_ أني بقطع من لحمي يا بت؟

أجابت هايدي بصوت يحمل في طياته حذرًا واضحًا، وكأن الكلمات كانت تخرج من فمها ببطء مدروس: غضبًا أكبر أو أن تتسبب في إشعال نيران جديدة.

=أه.

قالت أم الديب بصخبٍ يجتاح المكان كالعاصفة:

_ أني ايدي مش مخرومة زيكم، أني اللي زي يحافظ على الحاجة بالشهور، مش زيكم تخلصوها في مقام يومين.

ردت هايدي بسخرية:

=تورته ايه دي اللي هتعدلك بالشهور؟ دي هتكون باظت واتحللت!

قالت أم الديب، وهي توجه نحو هايدي سهام انتقاداتها السلبية، محملةً كلماتها بمرارة خفية، كأنها تقطر سخرية:

_ لا مش هتبولظ، واتعلمي مني بدل مانتي خايبة، وحاطة راسي في الأرض.

نهض حمود من الأرض بقوة، كأنه لم يعد يحتمل الجلوس أكثر من ذلك، وحدقت عيناه بنظرة حادة تعكس الكراهية التي تغلي في داخله، وتحدث بصوت عالٍ لكنه مشحون بالبغض:

=بقولك ايه يا ستي، أنا مش عاوز أطفح!

تلفظت أم الديب بكلمات ملتهبة بالبغضاء، وكأن كل حرف كان يقطر سمًا، يعبر عن كره عميق يخنقها:

_ انشالله عنك ما طفحت!

فرغت أم الديب قطع الكيك من الأطباق بحركات كامدة، كأنها تنقل أثمن الأشياء، وأعادتها بعناية إلى داخل العلبة، ثم وضعتها في الثلج. كل خطوة كانت تؤديها وكأنها في طقس مقدس، رغم أن هذا التصرف بدا للبعض محملاً بنوع من الحصافة التي قد يفسرها الآخرون على أنها غباء، ومع ذلك قالت:

=لما تتحط هنا هو عمرها ما هتبولظ.

اقتربت هايدي منها بخطوات مترددة، يكتنفها الذهول الذي بدا واضحًا في عينيها الواسعتين، وكأنها لا تصدق ما تراه، وعندما أصبحت قريبة بما يكفي، تلفظت بكلماتها بتعجب كبير:

_ انتي هتخطيها هنا بجد؟ كل ده علشان متخلصش بسرعة؟

نفوحت أم الديب بوضوح:

=أمال ايه؟ هو احنا كل يوم عندنا شبكة يا بت؟

ردت هايدي بصدمة، وصوتها خرج منقطعًا، وكأن الكلمات قد تعثرت في حلقها من شدة المفاجأة:

_ ليه هي الحاجات دي مبتاكلش غير في المناسبات وبس؟

قالت أم الديب بثقة:

=أمال انتي فكرك ايه؟

أم الديب الجزء الثاني

تركتهم، وقد طغى على وجوههم شعورٌ عميق بالشجن، وأدخلتهم في حالة من الحيرة، ثم دخلت الغرفة ببطء، لتغلق الباب خلفها بشحناء، كأنما تعمدت أن تتركهم خلفها في حالة من الارتباك. في الوقت نفسه، كانت هايدي غارقة في صدمتها من قسوة التصرف الذي بدا غير مبرر في نظرها، وفي المستشفى، حيث كان جلال قد بدأ يستفيق شيئاً فشيئاً، وإن كان بشكل خفيف للغاية، كانت نعمة تقف بجواره، تنفوه بابتسامة خافتة، كأنها تحاول إخفاء التوتر الذي يعتصر قلبها:

_حمدالله على السلامة يا جلال.

تحدث أحمد بصرامة، كأنما يريد أن يضع حدًا لأي عبث في المعضلة الموجودة، مما يضيف على حديثه قوة، وقناعة لا تقبلان النقاش:

=ألف سلامه عليك، في حد عاقل يعمل اللي انت بتعمله ده؟

قال المعلم حنفي متأثر، وصوته اهتز بنبرة من الأسى، وهو يصف كيف أن هذه الصراعات المتكررة قد أثرت على ابنه بشكل ملموس:

_قوم بالسلامة، مراتك كان هيجرالها حاجة علشانك.

تلفظت ليالي باستياء، كأنما كانت تحاول أن تضع حدًا لما يحدث من خلال تعبيرها عن استيائها:

=أه والله يا حمايا، ده أنا لحد دلوقتي قلبي لسه واجعني.

تلقى جلال النصائح الثمينة التي قدمها أبو محمد، التي تعد بمثابة الذهب الخالص، والتي تهدف إلى توجيهه نحو حياة كريمة خالية من الصراعات، حيث قال:

_امشي جنب الحيط يا ولدي، تجنب الشر، لو جرالك حاجة فانت ظلمت زوجتك، وأولادك معاك... مستحيل تلاقي حد زي الأب، محدش بيعوض مكانه.

أيد أحمد بحماس كبير ما قاله خاله، وأضاف بصوت مليء بالإيمان:

=أه والله يا خالي، هو بس اللي الشر راكب دماغه، لو يهدى بس ربنا هيكرمه.

دعا حسين له بكل حرارة القلب، وعاطفة العم الحنون، وهو يرفع بصره إلى الأفق بنفاؤل، قائلاً بأمل يعكس إشراق الروح:

_ربنا يشفيه ويعافيه.

رد المعلم حنفي بعبارات مفعمة بالتمني:

=يارب يا حسين ياخويا.

قال أبو محمد بسكينة بعدما استفاق جلال من علته وعاد إليهم، مشعًا بينهم من جديد كفجرٍ يضيء الدروب:

_اسجدوا لله شكر، إنه قام بالسلامة، وإن الموضوع موصلش لحاجة تانية وحشة!

نفوحت نعمة بترح، يتسرب من أعماق قلبها كأنين الرياح في الأفق البعيد:

=الحمدلله، أنا مش مصدقة اللي حصل من أوله لآخره، يلا ربنا ينتقم من المؤذي اللي عمل كده.

خطى حامد ووالده عبد الغني بخطوات ثابتة نحو عتبة الغرفة، ليقدموا تواسيها الحار، وقد بادر الوالد بنبرته المليئة بالحكمة، قائلاً:

_السلام عليكم.

رد الجميع بصوت واحد، وتآزر، قائلين:

=وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أم الديب الجزء الثاني

وقف حامد إزاء سرير جلال، وقلبه يملؤه الخشية، وسأل المعلم حنفي بنبرة توحى باهتمامه:
_ جلال ماله يا حمايا؟

رد المعلم حنفي بطمأنينة تسكن روحه، وكأنها نهر هادئ يجري في أعماقه:
=جات سليمة الحمد لله.

قال عبد الغني بتبجيل، يُعبر عن تقديره:
_ ربنا ما يجيب حاجة وحشة، ويسترها.
نطق المعلم حنفي بأمل يفيض من قلبه:
=يارب يا حاج.

خرج المعلم حنفي مع عبد الغني إلى الخارج، بينما توجه حامد إلى ليالي، وقد غلفت كلماته بالشجن، واحتوت على أصداء الحزن، قائلاً:
_ شدي حيلك يا ليالي.

انفجرت نعمة في وجه زوجها، وقد تملكها الصدمة وأشعلت نيران السخط في عينيها، قائلة: َ
=جرا ايه يا حمو؟ هو ايه اللي شدي حيلك؟ انت بتقول على أخويا؟
أجاب حامد برهبة:

_ لا مش القصد، ده أنا بدعيه في السر ربنا العالم، جلال غالي عليا ده أخو مراتي، ده احنا عيلة ونسايب، والغلاوة كبيرة.
ردت ليالي باستياء، كأنما يختلط الألم بالترح في نبرتها:
=تسلم يا حامد.

دخل زياد الغرفة، حاملاً معه عبق الأمل للعلاج، فسأله أحمد بفضول لامع، وكان عينيه تترقبان كل تفصيل في الإجابة، قائلاً:
_ جبت العلاج يا زياد؟
أجاب زياد بثقة:
=أيوه.

جلس زياد على الكرسي البلاستيكي، بينما أخذ أحمد يرمق الأجواء المحيطة بنظرة مليئة بالقلق، فرأى أن الكآبة التي تعم المكان لن تسهم في تحسين حالة جلال العليل. لذلك، اقترح بأن يتم الانتقال إلى المنزل لاستكمال العلاج، قائلاً:

_ جلال المفروض يروح، قاعدة المستشفى كئيبة، وتخنق!
ردت ليالي بنظرات حزينة تنبض بالألم، كأن كل نظرة تحمل معها قصة من الهموم:
=الدكتور قالنا لحد بكرة الصبح يقدر يمشي، أصل الجرح طازه وشادد عليه.
تحدثت نعمة بألم نفسي ينهش روحها كما ينخر السوس في الخشب:
_ ربنا يشفيه، ويعافيه.

قالت ليالي، بصوتها الهادئ:
=يارب يا نعمة.

في منزل العائلة، دخل حمود إلى غرفة أم الديب حيث كانت مستلقية على سريرها، عيونها تتطلع عبر النافذة المفتوحة إلى الأفق البعيد، وبتعبير منفتح على فضول صادق، سأل حمود بترقب ملحوظ، وهو يلاحظ غياب أبيه الذي أثار اهتمامه:

أم الديب الجزء الثاني

_أبويا راح فين يا ستي؟

بدلاً من أن تنكر أم الديب الواقع الأليم أو تختلق حججاً لتبريره، أطلقت النيران التي أصابت قلب الصغير حينما ردت عليه بغلظة صوتها التي كانت تعكس قسوة الواقع، قائلة له:
=أبوك المايل سايح في دمه، والبلطجية ضاربينه بالسكينة في كليته، الفتحة في جنبه قد كدهو يا ولا يعشش فيها الحمام.
ازداد صراخ حمود في الهواء، وقد ملأ الفضاء بصوته المرتجف، وهو يردد بارتياح عارم:
_أبويا، أبويا!

دخلت تقى، ومحمد إلى الغرفة، ليجدوا حمود يبكي بشدة، وانخرطوا في بكائه دون أن يسمعوا الخبر الذي جعل قلبه يذوب من الحزن. نظرت أم الديب إليهم بدهشة، ثم قالت:
=ابهيانتوا بتعيطوا ليه؟
كانت تقى تردد، وهي تبكي بحرقة، قائلة:
_ودوني لماما!

نهضت أم الديب من على سريرها بأعجوبة، وكأنها تستمد قوتها من عمق الاستياء الذي يلف الغرفة، وسألت بقلق متزايد:
=المفتاح مع مين فيكم؟
أجاب حمود بنواح حزين، وقد ارتعش صوته من الألم الذي يعتصر قلبه:
_معايا.

قالت أم الديب بعجيج:
=وسعوا، آني جعانة وكنت شامة الصبح روايح أكل من عندكم... هي آه أمكم طبيخها مزفت بستين نيلة، بس أهو أي حاجة تسد الجوع.
صعدت أم الديب برفقة حفدتها إلى شقة ليالي، حيث فتحت الباب ودخلت إلى الداخل. هناك، وجدت الطعام جاهزاً فوق الطاولة في الصالة، ورغم أن الوجبة كانت تبدو لذينة، مدّت يديها نحو الخبز، وبدأت تتناول الطعام باشمئزاز، مُعبرة عن عدم رضاها الشديد، وقالت:
_الأكل مش حلو، مبيعجنيش أكلها، انتوا هتفضلوا واقفين تنفرجوا كدهو؟
رد حمود باعتراض:
=الأكل ده بتاعنا، متاكلش منه!

أزاحت أم الديب عن طريقها بشدة، وصرخت فيه بصوت متصاعد، قائلة: َ
_وسع يا ولا، هو ايه اللي بتاعكم؟ دي كلها فلوس ابني، وفلوس ابني فلوسي... يبقى الأكل دهو بتاعي.
كانت تقى تردد، وهي تبكي بحرقة، قائلة:
=هاتولي ماما!

في أثناء ما كان فم تقى مفتوح، وهي تبكي بحرقة، قامت أم الديب بحشر قطعة خبز ضخمة في فمها لتتوقف عن انتحابها المستمر، ثم قالت بصوت غليظ، وقد بدا عليه قسوة الواقع:
_متعملوليش وش، آني ست كبيرة، وروحي في مناخيري، اللي هيعيط فيكم آني هجيبله الداكتور يديله حقنة كبيرة قد كدهو!
قال محمد ببكاء، فارتعش صوته من شدة الحزن:

أم الديب الجزء الثاني

=مش علوز أخذ حقن يا ستي!

لم تستطع أم الديب ملاحقة بكاء الأطفال المتعاطم حولها، الذي كان يمنعها عن تناول الطعام بتركيز، فتبددت قدرتها على الاستمتاع بالوجبة وسط هذا الاضطراب، وفي لحظة من الغضب، قبضت على الزجاجاة بقوة وهددتهم بوطأتها فوق رؤوسهم، بينما كانت تمضغ الطعام بشراهة، وقالت بصخب يملأ المكان:

_يبقى تسكت انت وعيال خالك، فاهمين ولا لا؟

بينما كان جلال مستلقي على سرير المستشفى، تتجلى معالم الإرهاق على وجهه، كانت نعمة، بنظرتها الحانية، تتحدث إلى ليالي قائلة:

=قومي معايا يا ليالي، نرجع البيت نريح جتتنا شوية.

رفضت ليالي المغادرة بإصرار، معبرة عن رغبتها في قضاء الليلة بجانب زوجها بدلاً من تركه وحيداً في محنته. في تلك اللحظة، تجلت أصالتها وروحها النبيلة في أوقات الشدائد، وهي تقول:

_مش همشي من هنا، أنا هبات على الكرسي ده.

لكن نعمة، وهي تحمل مسؤولية الأبناء على عاتقها، كانت مصممة على مغادرة المستشفى رغم مشاعرها المتأثرة. أبت إلا أن تترك مكانها من أجل ضمان راحة عائلتها، فقالت:

=مينفعش يا ليالي، العنبر مليون ناس، ده لا عمرك هترتاحي ولا هتغمضك عين، ارجعي بيتك ارتاحي، وبعدين الصبح نرجعه.

ردت ليالي بإرهاق:

_مش قادرة يا نعمة، سيبيني!

نهضت نعمة، وجذبت يد ليالي برفق نحوها، قائلة بالحاح:

=اسمعي مني بس، ده زي مانتي شايفة كده مش هترتاحي طول ماحنا هنا، يلا قومي معايا!

نظرت ليالي إلى نعمة بحزن، ثم نهضت ببطء، وعادوا إلى منزلهم بعد يوم طويل مليء بالمشاق والأخبار التعيسة. كانت خطواتهم متثاقلة، وكأن ثقل الهموم قد استقر في أجسادهم، حتى وصلوا إلى شقة ليالي. عند دخولهم، صدموا بمشهد مروع؛ صينية الطعام فارغة تمامًا من الطعام الذي بذلت ليالي جهداً في تحضيره في الصباح، والأرض مغمورة بقشور اللب الأصفر، وقطع العيش الحادة التي تشكل خطراً على الأقدام. بدا منزلها وكأنه تحول إلى مقلب للقمامة، بعد أن كان يتألق بنظافته. استشعرت ليالي صدمة شديدة، وصرخت صرخة مدوية في الهواء، قائلة:

_يا لهوي، أسيب البيت كام ساعة وأرجع لأقيه كده؟

أجاب حمود بارتياح:

=ستي هي اللي عملت كل ده!

نظقت نعمة بصدمة:

_هي ايه اللي طلعتها عند ليالي أساساً؟

تلفظ حمود برهبة:

=كانت هتضربنا لو مسمعناش كلامها.

ازدادت نيران الامتعاض في قلب ليالي اشتعالاً، حتى كادت تتحول إلى جمرات متوقدة، فاستعدت بنية قوية لمواجهة أم الديب ومحاسبتها على ما أحدثته من خراب وفوضى في منزلها، وعندما دخلت الصالة، فوجئت بمشهد غير متوقع؛ إذ وجدت أم الديب ترتدي عباءتها البالية التي تراكمت عليها

أم الديب الجزء الثاني

الأوساخ، وتحمل معها شنطة سفر ممزقة تتناثر منها محتوياتها. لم يكن هذا كل شيء، بل كانت ترتدي نظارة شمسية لا تتناسب أبدًا مع سنّها، مما أضفى على المنظر طابعًا ساخرًا. في تلك اللحظة، تاهت أفكار ليالي عن هدفها الأصلي، وسألت حماتها بذهول:

_ انتي رايحه فين يا حماتي؟

أجابت أم الديب، وقد برزت عليها ملامح الغرور:
=مسافرة.

ثم خرجت من الشقة حاملة حقيبتها الممزقة، بينما وقفت ليالي في ذهول، تتبعها بخطوات مترددة متسائلة عن دافع السفر الذي طرأ عليها فجأة وكأنه مفاجأة غير متوقعة، وقد غمرها التعجب، فقالت باستفهام:

_ يعني ايه مسافرة يا حماتي؟ مسافرة رايحة فين أصلًا؟

نزلت أم الديب على الدرج بخطوات سريعة، وصاحت في وجه ليالي بلهجة حادة، قائلة:
=محدث له دعوة بيا فاهمين ولا لا؟

ثم دفعت ليالي بعيدًا، مما أدى إلى اصطدامها بالحائط. بينما كانت أم الديب تخرج من المنزل حاملة حقيبتها السفر، تركت ليالي في حالة من الصدمة، وفي خضم هذه الفوضى، خرجت هايدي من غرفتها، متفاجئة مما حدث، وسألت بصدمة:

_ هي ماما رايحة فين؟

أجابت ليالي بصخب:

=أمك خلاص مخها ضرب!

نزلت هايدي، وهي تجري بسرعة خلف أم الديب، معبرة عن استفهامها، ولكن أم الديب تجاهلت نداءاتها، وواصلت سيرها دون أن تبدي أي اهتمام. بينما كانت هايدي تبذل قصارى جهدها لملاحقة والدتها المتعثرة، بكل ما لديها من عزم، ونداءاتها تتعالى بوضوح فوق ضجيج الشارع، صرخت قائلة:
_ يا ماما، يا ماما رايحة فين؟

بعد عشر دقائق من الجري المتواصل وراء أم الديب، التي كانت تسير بثبات وكأنها لا تعبأ بما يحدث حولها، أصاب الإرهاق هايدي، مما جعلها تعود إلى المنزل مجددًا وهي تكاد تلهث من شدة الجهد. عند وصولها، رفعت هاتفها بسرعة محاولةً التواصل مع والدها، وأخذت تصرخ بأعلى صوتها، بينما تتصاعد مشاعر القلق في نبرة صوتها، قالت:

_ ألو يا بابا الحق، ماما مشيت بشنطة السفر، طلعت اجري وراها مردتش عليا لحد ما اختفت!

فكرة عجيبة طرأت على أم الديب، ولا يستطيع أحد فهم الدافع وراء سفرها المفاجئ الذي يبدو غير مبرر ولا يتماشى مع أي ترتيب مسبق. فقد قررت أن تسافر إلى بلاد الخارج، كما وعدتها أم قمر الدين في حفلة خطبة هايدي، في خطوة بدت وكأنها مغامرة غير متوقعة. شوقها إلى تجربة جديدة جذبها بقوة نحو هذه الرحلة، تاركة خلفها فوضى. بينما هم سيجدون في غيابها فترة من الاستجمام، ويتذوقون متعة الحياة بدون عوائقها. أما جلال، الذي لا يزال في سريرته بين المرضى، فقد ظل بعيدًا عن هذه الهموم، محاطًا بالمرض، ليبقى في مكانه وسط معاناته.

تمت بحمد الله....